محمود عبد الحليم

عضو الهيئة التأسيسية

الإخوان المسلمون

أحداث صنعت التاريخ

رؤية من الداخل

الجزء الثاني

١٩٤٨ - ١٩٥٢

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع

١ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

الطبعة الخامسة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لما ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب ، تلقيت آراء بعض الذين طالعوه . فقال بعضهم انه تاريخ ممتع ، وقال بعض آخر انه اسلوب فى التأليف يغرى بالقراءة لما فيه من تنقل بالقارىء من ميدان الى ميدان ومن موضوع الى موضوع . وقال آخرون انه ليس تاريخا فحسب بل هو برنامج ومنهج بين المعالم محدد الخطوات ...

وهكذا تنوعت الآراء .. وأرجو أن يكون الكتاب جديرا بها جميعا ، فانها جميعا كانت أهدافا متوخاة - ولكن الهدف الاول الذى كنت حريصا على ابرازه فى هذا الكتاب بأجزائه ، هو أن أوضح للقارىء حقيقة غائبة عن أكثر الناس ، هى أن دعوة الاخوان المسلمين هى التى صنعت تاريخ مصر خاصة والامة الاسلامية عامة فى هذا العصر الذى نعيشه صنعا جديدا ، وحولت مسار هذا التاريخ الى مسار آخر ... ولولا ظهور هذه الدعوة فى هذه الحقبة من الزمان ، لتوقف التاريخ بنا حتى اليوم عند الحال التى كنا عليها فى أواخر العشرينيات من هذا القرن .

فلقد عالجنا فى الجزء الاول من الكتاب توضيح الحالة الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة خلال العشرينيات والثلاثينيات للشعب المصرى خاصة وللشعوب العربية والاسلامية عامة .. وكيف واجهت دعوة الاخوان المسلمين الناشئة هذه الحالة التى كانت تبدو للمصلحين يائسة موئسة .. فالشعوب فى هذه البلاد تغط فى نوم عميق ، فاقدة الوعى ، مقطعة الاوصال ، مستسلمة للغاصبين ، مسترخية ، لا تدرى ما يفعل بها ولا ما تفعل - سواء فى ذلك عامة هذه الشعوب وزعماؤها . ورحم الله الشاعر العظيم أحمد محرم اذ يصف حال هذه الامم الاسلامية فى ذلك الوقت فى الياذته المشهورة فيقول :

فى دولة للمسلمين تشوقهم	أيامها ، وتهزهم ذكراها
يا ويح للامم الضعاف أتنقضى	دنيا الشعوب وما انقضت بلواها؟
أمم هوالك ، ما لمست جراحها	الا بكت وبكيت من جراها
لم أدر اذ ذهب الزمان بريدها	ماذا من القدر المتاح دهاها ؟
ان الذى خلق السهام لمثلها	جمع المصائب كلها فرماها

وبينا للقارىء كيف استطاعت هـذه الدعوة ـ بقيادة ملهمـة حـكيمة بارعة ، وجهود مضنية خالصة مخلصة ، وبتكتيك وئيد منسق منظم راسخ الخطوات ، بعيد الاهداف ، لا يسنحته المستبطئون ، ولا يستخفه المعجبون، ولا ينهنه من عزمـه المعـوقون ـ اسـتطاعت أن نبث روح الحيـاة فى هـذه الشعوب من جديد ، فأيقظتها من رقادها ، وبعثتها من سباتها ٠٠ فقـامت تنفض عن نفسها غبار نوم طال أمده ، وأخذت تتعرف على نفسها ، وتستعيد هـويتها ، وتحن الى أصلها ، وتأسف على ما فرط منها فى حق هذا الاصـل الكريم ، عاقدة العزم على استرداد ما سلبته من حقوق ، وما ضيعته من أمجاد٠

وبهـذه الامـة الجـديدة الفتية المستيقظة المتوثبة ، واجهت الدعـوة بعقيدتها المستقرة فى أعماق النفوس ، المتزجة بشغاف القلوب مآسى الامـة الاسـلامية التى تقطعت معها اربا ، وتوزعت تحت وطأتهـا شيعا ، وأثخن بدنها على مر الايام طعنات وجـراحا ، وديست أرضـها بنعال المحتلين من المستغلين وشذاذ الآفاق ٠

واجهت ذلك كله بأسلوب جديد لا عهد للمتصدين للقيـادة فى انحـاء العـالم الاسلامى كله به ٠٠٠ أسلوب الواثق بنفسه ، المطالب بحقه ، المقتنع بعدالة قضيته ، المنبعث من سويداء قلبه ، المستند الى أعدل رسالة ، الداعى الى أقوم سبيل ، المندفع بآمال أوسع من رحاب الدنيا ، المؤثر الموت الكريم على العيش الذليل ٠

وكما أيقظت الوعى فى النفوس والعقول فى مصر ، أيقظته أيضا فيما سوى مصر من البلاد العـربية والاسـلامية ، فامتـد أثرها حتى وصـل الى اندونيسيا وباكستان ـ وتعهدت القضية الفلسطينية فوصلت بها من حالة كانت فيها مجهولة تماما من البلاد العربية والاسلامية نفسها ـ سواء فى ذلك شـعوبها وحـكامها ـ الى حالة صـارت فيها القضية الاولى لهـذه البـلاد شـعوبا وحكاما ٠

وتجاوب مع الدعاة فى القاهرة كل الطبقات المثقفة المستنيرة فى أنحاء العالم الاسلامى ، متخذين القاهرة منارتهم الهادية وسـط الظـلام الدامس الذى كان مخيما على هذا العالم الاسلامى ٠٠ فواجه الاستعمار العالمى لاول مرة منذ قرون انتفاضات واعية ، وحركات مواجهة جادة عارمـة ، تؤججهـا روح اسلامية شابة ملتهبة ، سـواء فى مصر وفى الشرق العـربى والمغـرب العربى ، وفى الهند وفى جنوب شرقى آسيا ٠٠ حركات وانتفاضات ، ليست من الطراز المعهود للاستعمار من قبل ، تلك التى كان يمتص حدتها بوعود

تبذل أو بمناصب تسند ··· وانتهت هـذه الانتفاضـات بتحـرير هـذه الشعوب مزربقة الاستعمار ·

وبحث الاستعمار العالمى هذه الظاهرة الخطيرة التى هددت وجوده فى كل مكان ·· فلم يجد أن جديدا قد طرأ على هذه البلاد ـ منذ وطئت أقدامه أرضها وتم له احتـواء كل ما نشـأ فيهـا من هيئات واحـزاب ـ لم يجـد جديدا قد جد سوى « دعوة الاخوان المسلمين » ·· فجمع الاستعمار شمله ، وأعد عدته ، ووضع خططا خطيرة ماكرة لمواجهة السيل الجارف الممثل فى هذه الدعـوة ، وقرر معـاجلتها بضربة قاضـية قبل أن تسـبق هى بضربه هذه الضربة ·

كل هذه المعانى التى أدرنا الحديث حولها فى الجزء الاول كانت واضحة تمام الوضوح فى خاطرى وفى مخيلتى حين سطرتها ، لاننى لابستها وعايشتها واعتقد انه قد كان لها نفس الوضوح فى مخيلة القراء من جيلنا حين طالعوها لانهم عايشوها كذلك ·· ولكن السؤال الحائر الذى يبحث عن جواب هو : هل كان لهذه المعانى بالذات الوضـوح الكافى فى نفـوس الذين قـرأوها من الاجيال الجـديدة التى لم تعايش هـذه الاحـداث ، والذين نشأوا ولقنوا تاريخا مزورا ممسوخا وهم لا يشعرون ؟

ان على هذه الاجيال أن تعلم أن كل ما سردناه فى الجزء الاول إنما هو الا مجموعة من الحقـائق التاريخية الثابتـة التى لا تجحـد · ولكن الذى حجبها ومـوه عليها تواطؤ متعمـد بين الاستعمار الخـارجى والاستبـداد الداخلى ·· واذا كان لهذين القدرة على حجب الحقائق ، فانه لا قدرة لهما على تغييرها أو محوها الى الابد ، فان الاحداث التاريخية جزء من الزمن ·

***

واذا كانت أحداث الجزء الاول قد وقع أكثرها والعالم الاسلامى لا يزال فى غفوة ، وكان من طبيعتها أن لم يكن لها الصـخب الكافى الذى يلفت اليهـا الانظار ، فسهل بذلك على المغرضين حجبها ، فان أحداث الجزء الثانى هذا جاءت صاخبة متؤججة مدوية ·· ولكنها مع ذلك لم تكن الا نتيجة الاحداث التى سردناها من قبل ، والتى لا يعيبها أنهـا كانت حادثة رزينة ، والمثـل العربى يقول : « أول الحرب الكلام » ·

فماذا يقول الجاحدون حين ننقل للقراء أحداث الجزء الثانى المثيرة المشتعلة من مظانها ، وقد سجلتها أضابير المحاكم ، وسالت بذكرها والتعليق

عليها أنهار الصحف فى الداخل والخارج ، ورددت صداها اذاعات العالم ، وشهدت لها سجون البلاد ومعتقلاتها ؟

‏٠٠ وهل كانت هذه الاحداث الصاخبة التى يطالعها القراء ان شاء الله فى هذا الجزء الا صدى للعمل الهادىء الوئيد المخطط الدءوب الذى استمر عشرين عاما دون ملل ولا صخب ولا هوادة ٠٠ وبفضل الحكمة ومهارة القائد أمكن أن تحجب الدعوة الوليدة عن أعين المتربصين من الخونة والمستعمرين ، فلم يتنبهوا لها الا وقد صارت ماردا جبارا يجتاح الظلم والظالمين ٠

***

ونحب هنا أن نقف وقفة قصيرة أمام قضية قد يثيرها بعض الناس ٠٠٠ ذلك أن الجزء الاول من هذا الكتاب ــ بطبيعة مسايرته لاطوار الدعوة منذ كانت فكرة يجب الاقناع بها ــ قد استعرض كثيرا من آى الكتاب العزيز وبعضا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ وقد لا يجد القارىء فى هذا الجزء مثل ذلك فيقول بعضهم : أين موضع هذا الجزء من الدين ، ولم نقرأ فيه تفسيرا لآيات ولا شرحا لاحاديث ولا تعرضا لاحكام فقهية تتصل بالعبادة ؟

ولهؤلاء الاخوة الكرام نقول : ان المسلمين قد درجوا فى عهودهم التى طمست فيها معالم دينهم على أن يروا أن الكتب التى تتعلق بالدين هى الكتب التى تنحو بالقارىء ناحية علمية نظرية ، تزيد من معلوماته الدينية وتثريها ٠ أما ما سوى ذلك من الكتب فانها فى نظرهم كتب ليست من الدين فى شىء ٠٠ مع أن الدين ممارسة عملية قبل أن يكون دراسة علمية ٠

ذلك أن الاسلام شقان : أحدهما المعلومات والآخر التنفيذ والتطبيق ٠٠٠ ولم يشغل الشق الاول بكل ما فيه ــ من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة الرعيل الاول معه ــ الا جزءا من ألف جزء شغلها الشق الآخر ٠ حيث كانت حياتهم كلها مرصودة للنهوض بأعباء نشر الفكرة الاسلامية وتثبيتها فى النفوس ، وللعمل المتواصل لاقامة الدولة الاسلامية على المنهج الذى جاء به القرآن ، وللجهاد الذى لا يفتر لتحرير الشعوب من ربقة الظلم والاستبداد ، وانقاذ الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ــ ولقد دخل الجنة رجل عاهد النبى صلى الله عليه وسلم على أن يضرب بسهم من هنا فيخرج من هنا ، والمعركة قائمة ، فصدق الله فصدقه الله ، ودخل الجنة قبل أن يركع لله ركعة ٠

وليس معنى هذا اننا نغض من قيمه الشق العلمى فى الاسلام . وانما قصدنا أن نلفت النظر الى أن هذا الشق – مع عظيم قيمته – لا ينبغى أن يستوعب من حياة المسلم الا القليل ، على أن يخصص الجزء الاكبر من حياته لتنفيذ ما حازه من معلومات . وأكثر من تسعين فى المائة من المعلومات فى الاسلام تتصل بالمجتمع وتطالب المسلم أن يساهم بكل ما أوتى من قدرات ومواهب فى اصلاح هذا المجتمع حتى يستقيم على أمر الله مهما كلفه من تضحيات « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور » .

وما كان الصحابة رضوان الله عليهم – على علو قدرهم – يعرفون من من الاحكام الفرعية فى الدين عشر ما يعرفه الآن طلاب المراحل الاولى من الدراسة الازهرية ، ولكن حياتهم مع ذلك كانت ممارسة عملية لما تعلموه من المعلومات الاساسية القليلة من أحكام الدين ، فكانوا يتحركون للدين ، ويسكنون للدين ، ويفرحون للدين ، ويغضبون للدين .. ويعيشون للدين ، ويموتون للدين ، وكانوا هم الذين حققوا قول الله تعالى « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين » .

ولقد مد الله تعالى فى عمر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حتى رأى أجيالا – لا شك انها كانت أحسن منا حالا وأقرب الى الدين منا – ومع ذلك قال عنهم : « انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا – ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به » .

فالاسلام ممارسة وعمل وصبر وجهد قبل أن يكون معلومات يتعمق فى دراستها ، ويتبحر فى الخوض فيها .. واذا أنت طالعت كتابا فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تقرأ الا عن سلسلة متصلة الحلقات من الصبر والمصابرة والتجلد والثبات أمام شآبيب من نار التنكيل والتعذيب والسجن والقتل والاضطهاد والتشريد والاعنات .. وهذا هو الرسول الذى خاطبنا الله فى شأنه فقال « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

والتاريخ يعيد نفسه .. ولا يزال المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم يشقون نفس الطريق الذى شق ، ويعانون الآلام التى عانى ، ويواجهون الاضطهاد الذى واجه .. حتى تقوم الساعة « الم . احسب الناس

ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ٠ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » ٠

والذى يطالعه القراء فى هذا الجزء من هذا الكتاب هو حلقة من حلقات هذه السلسلة التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الحلقة الاولى فيها ـ فالاهداف هى الاهداف ، والوسائل هى الوسائل ، والعقبات هى العقبات ٠٠ وان اختلفت شكلا فقد اتفقت موضوعا ٠

* * *

هذه وقفة ٠٠ وهناك وقفة أخرى من حق الاخوة الذين طالعوا الجزء الاول أن نعرض لها حتى تطمئن نفوسهم ، تلك هى أن هذا الكتاب هو مذكرات تسجل أحداثا تاريخية ٠ والاحداث التاريخية لا تخرج عن كونها مواقف لاشخاص ٠٠ ولا يمكن فصل المواقف عن الاشخاص الذين اتخذوها ـ فاذا كان الحدث التاريخى موقفا كريما ، فأمانة التاريخ تقتضى تسجيله لصاحبه دون أدنى محاولة للغض منه ، أو غمز لصاحبه ، او افراغ ما قد يكون فى نفس الكاتب من شعور نحوه « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » ٠

وهكذا جاءت مواقف سجلناها لاصحابها ٠ مرهونة بأوقاتها التى اتخذت فيها ، مشدودة الى الظروف التى احاطت بها ٠ مستحقة من الثناء أو الذم ما أوحت به هذه الاوقات وما حكمت به هذه الظروف ٠

واذا كان الله تعالى ذكره قد قطع على نفسه عهدا فى حسابه لعباده أن لا يغفل لعبد منهم عملا صدر عنه مهما صغر هذا العمل فقال « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ثم زاد هذه القاعدة وضوحا فقال « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ثم تعالى فضله وكرمه فوق أعلى مستويات العدل فقال « ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » ٠

ونحن ـ معشر المؤمنين ـ مطالبون بأن نتخلق بأخلاق الله ٠٠٠ فكيف نضيق ذرعا بذكر موقف كريم ـ على سبيل التسجيل التاريخى ـ لانسان رأينا له فيما بعد مواقف قد لا تتوائم مع هذا الموقف ؟

احب أن يكون مستقرا فى خلد الاخوة القراء أن أمانة التاريخ ، ونقل

صور الاحداث ، وتسجيل المواقف ٠٠ أمر يجب أن يؤدى دون أن يتأثر بعاطفة الكاتب من حب للشخصيات التى يكتب عنها أو كراهية ٠

واذا كان شريط التسجيل عند الله يسجل الاحداث والمواقف ظاهرها وباطنها ، فان شريط التسجيل البشرى يسجل الاحداث والمواقف بظاهرها دون بواطنها ، ذلك أن الله تعالى وحده هو المحيط بكل شىء علما وهو العالم بالسر وأخفى ٠٠ أما نحن فلا ندرك الا ما يقع فى مجال حواسنا ٠

وليس معنى أن انسانا كان فى وقت من الاوقات على حال ما ، أن يظل على هذه الحال فى كل وقت ٠٠٠

على أننى ما رأيت صديقا فتنه منصب أو أبطره جاه الا وكان شعورى نحوه شعور الاشفاق ٠٠ لا الاشفاق عليه وحده ، بل الاشفاق على نفسى أيضا أن لو وضعت فى موضعه فقد يغلبنى ما غلبه ، وقد يستهوينى ما استهواه ٠٠٠ وقلب العبد المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن « فمن يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » ونسأل مقلب القلوب ونضرع اليه أن يثبت قلوبنا على دينه ٠

***

وبعد هاتين الوقفتين القصيرتين نرجع الى ما كنا بصدده فنقول : ان الاحداث التاريخية الكبرى تجرى فى احداثها سنة الكون ، فتبدأ حياتها جنينا صغيرا يخلق خلقا من بعد خلق فى بطون الامم فى ظلمات ثلاث ٠٠ حتى اذا تكاملت أسباب الحياة فيه أخذ الحمل تشتد أوجاعه ، وتتفاقم آلامه ، وتتصعد آهاته ، بالضجر من ثقله ٠٠ حتى اذا تمت للحمل ساعاته وأيامه وشهوره بدأ المخاض ٠٠ وما أشق المخاض ، وما أصعب لحظاته ٠٠ حتى تكون الولادة ٠

واذا كان الحدث البشرى تجرى عليه هذه الاطوار فى بطن أمه حتى يولد فى أشهر معدودة ، فان الحدث التاريخى يستغرق لاستكمال أطواره هذه فى بطن الامة سنين عددا ٠

وهكذا ساير القراء فى الجزء الاول من هذا الكتاب الحدث التاريخى الذى بدأ والامة الاسلامية ساهية لاهية تائهة ، ثمّ التقت بالدعوة الناشئة فاحتضنتها ، فبدأ الحدث التاريخى الكبير أول اطواره ، وأخذ ينمو فى بطن الامة ويتطور عشرين عاما ٠٠٠ وعلى حين غرة فوجىء الغاصبون الذين كانوا قد أوهموا هذه الامة بأنها عقيم ووضعوا أيديهم على كل مقدراتها من ثروة

ومتاع – فوجئوا بأن الامة على وشك ولادة حدث خطير ، يزلزل أقدامهم ، ويسلبهم كل ما يستمتعون به من ثروة أمة ومتاعها ·· فأتوا مذعورين ، وأجمعوا كيدهم على اجهاضها متغاضين فى ذلك عن كل مبادىء الاخلاق والانسانية والرحمة والقانون ·

وانتهى القارىء فى الجزء الاول مع استعراض ثمانى محاولات من هؤلاء الغاصبين لهذا الاجهاض ·· فلما فشلت هذه المحاولات لجأوا الى محاولتين وحشيتين قصدوا بهما قتل الجنين والام معا ·

والاحداث التى تصنع التاريخ لابد لها من أن تمر بهذا الطور البالغ العنف والشدة والقسوة والوحشية ·· وقد رأينا ان نفرد لهذا الطور بابين فى هذا الجزء الثانى من الكتاب ، حيث عملت أيد خفية على حجبه ، لايهام الاجيال الجديدة التى لم تعش أيامه أن التاريخ الذى يعيشونه هو من صنع صور تحركها أمامهم هذه الايدى ·· وهذه الصور المحركة من وراء هم الذين قال الله تعالى فى شأنهم « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » ·

* * *

يطالع القارىء فى هذا الجزء مجابهة صريحة بين الدعوة الفتية وبين القوة الغاشمة · وكيف فعلت القوة الغاشمة بشباب هذه الدعوة وزجالها ونسائها من فظائع ترتجف لهولها النفوس وتقشعر الابدان ·· وكيف تلقى هذا الشباب الطاهر المؤمن هذه الوحشية بالصبر والايمان والثبات ·· وكما أذهل هذا الشباب العالم أجمع بشجاعة وفدائية منقطعة النظير فى ميدان القتال ، أذهله كذلك بصبره وجلده وثباته فى ميدان المحنة والابتلاء ·

كانت هذه الفترة هى أشد ما مر بالدعوة من محن وما اعترض طريقها من شدائد ·· انها كانت جائحة لا يقف أمامها شىء الا اقتلعته من جذوره ·· فالدولة كلها بكل ما تملك من قدرات قد سخرت نفسها وقدراتها لاجتثاث هذه الدعوة من أعمق أعماقها ·· وقد تخلت هذه الدولة فعلا قرابة عام كامل عن كل مهمات الدول وتفرغت لهذه المهمة ، مستبيحة جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة ·

ولقد كنا نحن – الاخوان المسلمين – فى ذلك الوقت ، لشدة ما نرى من تضافر جميع القوى ضدنا ، نلتفت يمينا وشمالا فلا نرى الا أعداء أو شامتين ·· حتى الشعب المسكين بدا يتأثر بما لم يعد يسمع غيره مما تكيله لنا وسائل الاعلام من تهم وافتراءات · فالتنكيل والتعذيب يتم فى خفاء ومن

وراء ستار ، والتهم والافتراءات تكال ملء الصفحات وفى الاذاعة الساعات تلو الساعات ، وبألسنة حداد وبلاذع العبارات ·· فكأنما كنا المخاطبين بقوله تعالى « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا · هنالك ابتلى المؤمنين وزلزلوا زلزالا شديدا » ·

ولم نكن ندرى بعد ، أن هذا الذى نعانيه هو طور لابد منه لافراز حدث تاريخى جديد ·· لم نكن ندرى أن هذا هو طور المخاض لحمل تكون فى بطن الامة خلال عشرين عاما وقد آن للمولود أن يولد ـ واذا كانت فترة المخاض لافراز المولود البشرى لا تعدو أن تكون ساعة أو نحوها ، فانها تمتد لافراز الحدث التاريخى شهورا وسنين ·

* * *

ولعمرى انها لحقائق تاريخية لسنا فى ايرادها متخيلين ولا متوهمين ولا مدعين ·· واذا كان هناك من يدعون أن لهم فضلا فى صنع هذا التاريخ فليأتونا بما سجله التاريخ لهم من فكرة محددة المعالم بثوها لمدة عشرين عاما فى أذهان الشعب المصرى والشعوب العربية والاسلامية ، فأحيت هذه الشعوب من موات ، وأيقظتها من سبات ، وجمعتها بعد شتات ، وواجهت بها ـ بعد تربية على أعلى المستويات ـ الفساد فى الداخل والاغتصاب والاستعمار فى الخارج ·

ولو كان الاستبداد الداخلى والاستعمار الخارجى قد وجدا أمامهما من يعترض طريقهما أو من يخشيان على وجودهما منه ، لكان لهما معه موقف شبيه بموقفهما من الاخوان المسلمين :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

* * *

لقد نكلت الحكومة الحاقدة المؤيدة بكل قوى البغى الداخلية والخارجية برجال هذه الدعوة وشبابها ونسائها ومزقتهم كل ممزق ··· ثم لم تكتف بذلك بل ارادت أن تمحو هذه الدعوة من التاريخ ، فتقدمت بالحطام الذى أبقى عليه التنكيل والتعذيب من هؤلاء الشباب الابطال الى القضاء ، بقضايا مجهزة بأخطر التهم وباعترافات خطية مفصلة ·· فكانت هذه الخطوة هى اشد علينا من كل ما لقينا من عنت وظلم وافتراء وتعذيب ·· ذلك أن كلمة القضاء هى الكلمة الفاصلة التى يتلقاها التاريخ بتجلة وثقة

واحترام ·· واذا ضلل القضاء فقال كلمته ـ بناء على ما قدم اليه من أدلة مزورة والقضاة بشر لا يعلمون الغيب ـ فان كلمته هـذه تدمـغ المقضى فى شأنه دمغا يمحـو تاريخـه ويقضى على مستقبله ·· ان كلمة القضاء قبر يوارى فيه من دمغته كلمته الى الابد ·

ولكن الله جلت قدرته صدق وعده اذ قال « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » فقد تكفل هذا العليم الخبير القدير بأن يجعل هذا القبر الذى أعدوه لهذه الدعوة قبرا لهم ·· أو ليس هو سـبحانه الذى وصـف قـدرته فقـال « ويخلـق مالا تعلمون » وسجل وعده فقال « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين · انهم لهم المنصورون · وان جندنا لهم الغالبون » وقال « وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين » ؟

ولا يحسبن القارىء الكريم أن الغلبة والنصر اللذين وعـد الله بهما لا يتحققان الا بتولى الموعودين مناصب الحكم ·· فمناصب الحكم عارضة وزائلة ، وستنسى عـلى الايام وينسى من شـغلوها ، ولا يبـقى فى أذهان الناس الا رذائلهم وسخافاتهم وطيشهم ·· وانما النصر هـو التمكين فى الارض ·· هو تغلغل الفكرة التى تدعو اليها فى عقـول الناس وقـلوبهم ، وامتزاجها بدماء مهجهم ، وصـياغتها الاجيال تلو الاجيال على النمط الذى توحى به والطراز الذى تنشده ، مهما تعاقبت الايام وتغيرت الظـروف ·· لا تعترف بالعقبات ، ولا تكترث بالمعوقات ·· فهى ماضية فى طريقها كوكبا هاديا فى ظلمات ليل بهيم حتى ينبلج الفجر فتكون هى شمسه المشرقة التى ينعم الجميع بنورها ويستمتعون بدفئها وحيويتها ·

كان لابد للشعب ان يشهد ويقرأ ويسمع ـ بعد أن طال أمد تضليله ـ عن طريق ساحات القضاء ما حجب عنة من بطـولات أبنـائه وشجـاعتهم وفدائيتهم ، وأن يشهد ويقرأ ويسمع ما أخفى عنه ـ من مخازى تلك العهود وخياناتها وتواطئها مع المستعمر ـ ما يحرك شعور هذا الشـعب ويثـير حفيظته ، وما يعده اعدادا عقليا ونفسيا وعاطفيا لثورة عاصفة لا تبقى من هذه العهود على أثر ··

***

والمستعمرون وآلاتهم من حكام الشعوب المستضعفة لا يملون ولا ييأسون مهما فشلت خططهم ، ومهما حبطت مؤامراتهم ، فلقد لجأوا اخيرا والدعـوة

لا تزال فى طور ما بين الحياة والموت الى تطويقها عن طريق التشريعات والقوانين ... وهذا باب من أخطر الابواب الخبيثة الماكرة ، فهو أسلوب هادىء للاعدام بالسم الزعاف الذى لا يسمع له صوت ولا يحس له ضجيج .. هذا هو أسلوب الاحتواء الذى يقضى على شخصية الهيئات والافكار والدعوات دون أن تحس هى أو يحس غيرها ـ ولا يلجأ اليه عادة الا الحكام الماكرون المفتونون بغرور السلطة ، الذين يعميهم الغرور فينسون أنهم زائلون .. وقد عانت الدعوة أيضا هذا النوع من طرق الابادة ، وأفردنا له فصلا كاملا لما له من خطورة بالغة على حياة الدعوات وعلى حياة الامم نفسها.

***

وقد لا يعيب الاخوان المسلمين أن يعترفوا بأن اغتيال المرشد العام بالطريقة التى رتبت لاغتياله كان أشد أثرا فى تعريض الدعوة للتبدد والفناء من كل ما ووجهت به من اساليب القهر والكبت والعسف والتعذيب ـ ذلك أن دعوة بلا قيادة هى جسم بلا رأس .. ولا يعيبهم اذا قالوا انهم عانوا من هذا الموقف طويلا أشد المعاناة .

فلقد كان حال الاخوان فى ذلك الوقت حال سفينة غاصة بركابها ، عصفت بها الرياح الهوج وهى وسط بحر صاخب مائج موجه كالجبال . فاختطفت الرياح الهوج أول ما اختطفت ربانها الذى كان ساهرا على قيادتها وتوجيهها .. ثم اخذت الرياح تلعب بدفتها فترنحت السفينة يمينا وشمالاحتى القى بها على صخرة عاتية متشعبة فتحطمت،وصار ركابها حيارى لا يرون لانفسهم من الهلاك منجى ولا مهربا ..

كل ذلك والحشد الحاشد الواقفون على الشاطىء يرقبون السفينة منذ عصفت بها الرياح ومزقتها الامواج ، ويرون الركاب يغالبون الموت وهو محيط بهم من كل جانب .. ولم يعد من بريق امل فى نجاتهم .. وثبت المراقبون أنظارهم على السفينة المحطمة ليروها حين تهوى ويبتلعها اليم وتغوص بمن فيها الى العمق السحيق .

وبينما هم يترقبون هذه اللحظة الاخيرة ، اذا بهم يرون واحدا من هؤلاء المغالبين قد غالب الموج حتى غلبه ، وشق طريقه الى الدفة المترنحة فأمسك بها بيدين قويتين ، فأوقفه تذبذبها ، ووجه ما بقى من حطام السفينة بمن فيه الى بر الامان .

فما كان من الحشد الحاشد على الشاطىء الا ان تلقوهم بالعناق

والاحضان · وقد أقنعهم ما رأوا بأعينهم أن هذا الربان الذى أنقذ السفينة بمن فيها من الهلاك المحقق ، جدير أن يتخذوه فى البر قائدا ومرشدا وأميرا··

❋ ❋ ❋

وهكذا استطاع الاخوان أن يخرجوا من محنتهم ومن حيرتهم ، ومن ضياع كان محيطا بهم ، ومن تشتت كاد يأتى عليهم ــ بالتفافهم حول مرشد جديد رشحته لهم العناية الالهية فى أقسى الظروف وأحرج الاحوال ·

وهكذا خرج الاخوان من محنتهم ، لا ليستردوا حريتهم فحسب ، بل لينسلموا لواء القيادة فى السلوك ببلادهم الى طريق جديد ·· فلقد كان فى خروجهم من أتون المحنة سالمين ، فى أتم عافية ، ما أذهل الذين أوقدوا لهم هذا الاتون ·· فأسقط فى أيديهم ، ولم يملكوا الا أن يقفوا أمام هذه الآية خاشعين ·

ومع ذلك فان القيادة الجديدة لم تسلم من عقبات المعوقين من داخل البناء الاخوانى ، كمالم تسلم من مكر الكائدين من خارجه ·· ولكن هذه القيادة ــ بحكمة خطواتها ، وبصلابة عودها ، وباخلاص نياتها ، والتفاف الاخوان من حولها ــ استطاعت بفضل الله أن تتفادى هذه العقبات ، وأن تشق طريقها بهذه الامة الى الغاية التى كان الشعب يتمناها ، وهى تحريره من تاريخ طويل مظلم مستبد ، الى تاريخ مشرق جديد ·· وقد نجحت هذه القيادة فى تحقيق هذا الامل العظيم ، وزحفت بالشعب حتى بلغت به نهاية الشوط ، ووضعته على أول الطريق الجديد ·

محمود عبد الحليم

الاسكندرية فى { ٢٥ من صفر الخير سنة ١٤٠١
أول يناير سنة ١٩٨١ م }

الباب الأول

آخر ما كان في جعبة التآمر العالمي وهما: خطتا الإبادة

- الخطة الاولى : الحل
- الخطة الاخيرة : جريمة القرن العشرين

مقـدمة

وقفنا فى الفصل الاخير من الجزء الاول من هذه المذكرات فى استعراضنا لخطط التآمر العالمى على دعوة الاخوان المسلمين عند الخطة الثامنة ، وأرجأنا تناول الخطتين الاخيرتين من هذه الخطط الى هذا الجزء من المذكرات ٠٠٠

وما كان المتآمرون يعتقدون أنهم سيحتاجون الى اللجـوء الى هاتين الخطتـين فى يوم من الايام ، فالخطط الثمانى السابقة كانت كافيـة ــ فى نظرهم وحسب تجاربهم ــ لسحق أعظم هيئة تقف فى طريقهم ٠٠٠ ولكنهم فوجئوا بما لم يكونوا يحتسبون ، من فشل الخطط الثمانى فى النيل ــ ولو خدشا ــ من البناء الاخوانى المتين ٠

وجـدوا أنفسـهم ــ حينئذ ــ مضـطرين الى اللجـوء الى الخطتـين المدخرتين ، وهم يعلمون أنهما خطتا ابادة ومحـو من الوجـود ، لانهما من الفظاعـة والجـرأة والعنـف والتـوحش بحيث يرتاع العـالم لفـظاعتهما وتوحشهما ، وبحيث يغطى دويهما على أصداء الاحداث الجسام التى كانت تجرى على أرض مصر والبلاد العربية فى ذلك الوقت ٠

ولم يقدم المتآمرون على النزول بهاتين الخطتين الى ميدان المعركة الا بعد أن وثقوا من توفر جميع أسباب نجاحهما ٠٠ ومما يؤسف له ، ومما يدمى القلب أن أهم هذه الاسباب أن يكون تنفيذهما بأيد مصرية ٠٠٠ وقد اطمأنوا تمام الاطمئنان الى وجود هذه الايدى مستعدة متلهفة ٠

وقـد يختلـف المحللون للاحـداث فى تعليـل التوقيت الذى اختاره المتآمرون للاقدام على ارتكابهما ، فيعلل بعضهم الاقدام عليهما فى ذلك الوقت بأنه كان تغطية لفشـل الحكومة المصـرية فى تحقيق الاهـداف الوطنية ، ولعجـزها عن احـراز أى نجـاح فى الوصـول بالقضية المصرية الى أدنى ما يؤمله المصريون ٠

ويعلل آخرون هذا التوقيت بأنه كان لاسدال ستار على مهازل هـذه الحكومة فى قضية فلسطين ، ولصرف أنظار المصريين عن النهاية الاليمـة للجيش المصرى فيها نتيجة السياسة الخرقاء التى عالجت بها هذه الحكومة شئون هذه الحرب ، وتخبطها وتناقضها واستبدادها برأيهـا ، ورفضـها الاستماع الى نصائح الناصحين وتحذير الخبراء المخلصين ٠

واطـلاقا لضـباب كثيف يحجب الرؤية عما تخلل هـذه الحـرب من خيانات ، ظهر أثرها فى الاسلحة الفاسـدة التى امـد بها الجيش ، فكانت

الذخيرة الموجهة الى العدو ـ بدلا من أن تنفجـر فيه ـ تنفجـر فى جنـودنا وضباطنا فتفتك بهم وتقضى عليهم ·

ويرى بعض المحللين أن ثورة اليمن التى نشبت ضـــد الامام يحيى حميد الدين كانت الدافع الحقيقى الى هذا التوقيت · فقد نشبت هذه الثورة فىأوائل عام ١٩٤٨ وقرار الحل صدر فى أواخر العام نفسه ·

وهناك من يرى أن ظهور القوة المذهلة للروح الفدائية لمتطوعى الاخـوان المسلمين فى فلسطين هى التى حددت هذا التوقيت ، وحملت مدبرى المؤامرة العالمية على التعجيل بما كانوا يدخرون من خطط الابادة ·

على أننا نرى أن هذه التعليلات كلها مجتمعة هى التى تضافرت معا على تحديد هذا التوقيت ·

الخطة الأولى للإبادة

الحل

صدور أمر عسكري بالحل

- صدور أمر عسكري بالحل .
- من هو الآمر الحقيقي بالحل ؟
- تفنيد أسباب الحل .

الفصـــل الاول

صدور أمر عسكرى بالحل

صدور امر عسكرى بالحل كان هو الخطة التاسعة فى سلسلة خطط التآمر انعالمى على الدعوة ، الا انه كان خطة بعيدة المدى ، فادحة الآثار ، بالغة العنف ، لما اقترن بها من أساليب فاقت فى التوائها وغرابتها وتجافيها عن الذوق والعقل والقانون والمنطق والانسانية أساليب اللصوص والمجرمين وقطاع الطريق ·

ويبدو أن المتآمرين قد اختاروا لتنفيذ هذه الحلقة من السلسلة النقراشى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، لما يعلمون عنه من ضيق الافق وقصر انظر وبلادة التفكير · وهى مؤهلات تضمن لهم أن يكون التنفيذ بطريق الطاعة العمياء ··· ولا يصلح لهذه المهمة الا رجل اجتمعت فيه كل هذه الخصال ·· وقد وثقوا من ذلك بعد ان اثبتته مواقفه السياسية الداخلية والخارجية خلال سنوات ثلاث تولى خلالها رياسة الوزارة مرتين ·· فكان هو طلبتهم والشخصية التى يندر وجودها بل وقد يستحيل وجودها ·· فكل البلاد المتحضرة لا يصل الى رياسة الوزارة فيها الا الرجل الكفء القدير البعيد النظر الواسع الافق الذى يجمع بين الذكاء والمرونة التى هى محصلة كل صفات الكفاءة ·

أما فى مصر ، وفى تلك الحقبة من الزمان ، فان استهتار الملك بالشعب وانغماسه فى شهواته ، قد اقتضى ان يستدعى الى سدة الحكم ، ويحكم فى رقاب الشعب ، حزبا من الاحزاب المصطنعة ، ما كان له أن يصل الى الحكم فاذا استدعاه الملك ، ضمن هذا الملك أن يجد تحت قدميه حكاما يصدعون بأمره ، ويذعنون لصلفه ، ويلهجون بذكره ، ويسبحون بحمده ، ويتنافسون على اشباع نزواته ·

وقتل رئيس هذا الحزب(١) ـ المسمى حزب السعديين ـ فخلفه على كرسى الوزارة نائبه فى الحزب ·· وكثيرا ما يكون نائب الرئيس فى

---

(١) أحمد ماهر ·

التجمعات السياسية صالحا لممارسة كل الاعمال الا الرياسة ٠٠ وكان النقراشى باشا من هذا الطراز ٠٠ فتولى الوزارة مرتين جر خلالهما على البلاد نكبات لم تمن بمثلها من قبل ، ففى عهده هوجم الطلبة بالمدافع الرشاشة فحصدوا حصدا — اذ هو صاحب موقعة كوبرى عباس الثانية التى نوهنا عن فظاعتها فى الجزء الاول من هذا الكتاب ٠٠ وفى عهده ثبت الاحتلال البريطانى اقدامه فى ارض مصر ٠٠ وفى عهده فقدنا السودان وانقطعت آخر الروابط بيننا وبينه ٠٠ وفى عهده ضاعت فلسطين وسلمت الى اليهود وتأسست دولتهم على ارضها ، وجلل الجيش المصرى الباسل بالخزى والعار لهزائم لا دخل له فيها ، ولا ذنب عليه فيما حاق به منها ، ولكنها هزائم ورط فيها هذا الجيش نتيجة سوء تصرف هذا الحاكم وقصر نظره وفساد تقديره وتحجر عقله ، وارتضائه أن يكون ألعوبة فى يد المستعمر ٠

وظهرت براعة المتآمرين فى اختيارهم منفذ المؤامرة ٠ واقتصرت مهمتهم بعد ذلك على وضع هذا المنفذ على قمة المنحدر ، وارتضى هو لنفسه هذا الوضع واهما — لقصر نظره — أنه يقعد على ارض منبسطة ٠٠ وأخذ فى الانطلاق فاذا به يتدهور ، وكل تدهور يسلمه لما هو أنكى منه ، وهو لا يملك من أمر نفسه شيئا ، ولا يجد حاجزا يحجزه فيقف بتدهوره عند حد ٠٠٠ حتى تحطم وتحطمت معه البلاد ، والمتآمرون يتفرجون فرحين جذلين ٠

وكان الوهم الذى سلط على العقلية القاصرة للنقراشى باشا أنه — وقد أيد بسلطة الملك ، لا سيما ومستشار الملك ورئيس ديوانه هو ابراهيم عبد الهادى صنوا النقراشى ونائبه فى الحزب ٠٠ ومن ورائه مجلس نواب صنعه بيده واعضاؤه من صنائعه ٠٠ ثم انه مسلح بأمضى سلاح يشهره فى وجه من يشاء وكيفما شاء هو سلاح الاحكام العرفية — فقد ظن اذن انه فى مأمن من عوادى الدهر وكوارث الايام ، وفى حصن منيع تتقطع دونه الرقاب ، ويرجع عنه كل هجوم عليه وهو كسير حسير ٠

وهكذا يعمى هيلمان السلطة من يقع فى شركها من قصار النظر من الحكام عن رؤية الحقائق فى الوقت المناسب ، فيعيشون فى دائرة الوهم ، ويدورون معه حيث يدور ، ويندفعون فى تياره حيث يدفعهم ، حتى يرتطموا أخيرا بصخرة الواقع فيتحطمون ، وحينئذ يفيقون بعد فوات الاوان ٠٠٠ وخطورة هذا التحطم انه يجر معه الخراب والدمار على البلاد التى ابتليت بهذا النوع من الحكام ٠

ومما يضاعف من أضرار هذا النوع من الحكام أنهم لا يحيطون أنفسهم فى الحكم الا بأمثالهم من قصيرى النظر من هواة السلطة وعشاق المناصب ـ وقد قيل من قبل : شبيه الشىء منجذب اليه ـ فيكملون بذلك حلقة الظلام المطبقة حولهم ـ فترى الذين يصلون الى المناصب الحساسة المحيطة بهم أحد رجلين ، أما متسلق ميت الضمير ، واما من هو على شاكلتهم من ضيقى الافق وقاصرى الادارة وممن لا يتعدى مدى بصرهم أطراف أنوفهم ـ مع أن هذا النوع من الحكام هم أحوج أن يكون بجانبهم مساعدون على أعلى مستوى من الذكاء والمرونة وبعد النظر حتى يكملوا ما بهؤلاء الحكام من نقص ، وحتى يبصروهم بما لا يرون من عواقب الامور ، فتصدر القرارات بذلك مجانبة للخطأ قريبة من الصواب ٠

ولكن هكذا كان ٠٠٠ أن تولى النقراشى ـ قيادة البلاد فى أحرج ظروفها ـ وهو ما هو مما وصفنا ـ واستعان مع ذلك بمن هم شر منه من أمثال عبد الرحمن عمار الذى اختاره وكيلاً لوزارة الداخلية للامن العام ـ وسوف يرى القارىء فى صفحات قادمة ان شاء الله مدى ادراك هذا الرجل أيضا ونصيبه من الفهم والبصيرة والذكاء ٠

صورة تخطيطية لهيئة الاخوان فى ذلك الوقت :

وقبل أن ننقل للقارىء نص قرار الحل ومذكرته التفسيرية نضع بين يديه صورة تخطيطية مجملة لهيئة الاخوان المسلمين فى ذلك الوقت ، حتى يتصور القارىء عظم الجريمة التى أقدم عليها اللاعبون بالنار ممن أصدروا هذا القرار وهم عامدون ٠

كانت صورة هذه الهيئة تضم فيما تضم ما يأتى :

١ ـ المركز العام للاخوان المسلمين بالقاهرة ٠

٢ ـ اكثر من ٢٠٠٠ (ألفى) شعبة فى أنحاء القاهرة والاقاليم ٠

٣ ـ ما يقارب هذا العدد من جمعيات البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين فى انحاء القطر ، وبالكثير منها مستوصفات ومدارس ونواد رياضية ٠

٤ ـ جيش من الفدائيين يحارب فى فلسطين ، وكان فى تلك الفترة يحمى مؤخرة الجيش المصرى ، وكان القائد العام للجيش المصرى بفلسطين يطالب الحكومة المصرية فى نفس تلك الفترة بالانعام بأوسمة البطولة ونياشينها على ضباط هذا الجيش الفدائى وجنوده لما أظهروا من بطولات

فاقت كل تقـديـر ، ولـما قـدموا من خـدمات للجيش المصرى لا يستطيعها غيرهم •

٥ ـ شركة دار الاخوان للصحافة ، شركة مساهمـة مصرية مركزها القاهرة ، وتصدر جريدة يومية ومجلة أسبوعية عدا مجلتين شهريتين •

٦ ـ شركة دار الاخوان للطباعة ـ شركة مساهمة مصرية مركزها القـاهـرة •

٧ ـ دار الطباعة والنشر الاسلامية بالقاهرة ، وهى تصدر سيلا من الكتب الاسلامية القيمة والرسائل النافعة •

٨ ـ شركة المناجم والمحاجر العربية ـ شركة تضامن ، ومنضم اليها شركة المعاملات الأسلامية بالقاهرة •

٩ ـ شركة الاخوان للنسيج بشبرا •

١٠ـ شركة الأعلانات العربية بالقاهرة •

١١ـ شركة الاخوان للتجارة بميت غمر •

١٢ـ شركة لاصلاح الاراضى بنجـع حمـادى و ••• وغير ذلك من المؤسسات •

ثم ننقل فيما يلى نص الامر العسكرى الهمجى الذى أصدره النقراشى باشا للقضاء على أعظم هيئة نافعة فى تاريخ مصر • فكأن كالطفل الذى أوقد النار فى بيتهم وهو يلعب فأتت عليه وعلى أبيه وامه وأسرته •

نص الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨

بحـل الاخـوان المسلمين

الاربعاء ٧ صفر ١٣٦٨ ـ ٨ديسمبر ١٩٤٨

أمـــر عســكرى

بحل جمعية الاخـوان المسلمين وجميع شعبها

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى ٣١ مايو ١٩٤٨ باعلان الاحـكام العرفية •

وعلى المادة الثالثة (بند ٨) من القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الخاص بنظام الاحكام العرفية والقوانين المعدلة له •

وبمقتضى السلطات المخولة لنا بناء على المرسوم المتقدم ذكره تقرر ما هو آت :

مادة ١ ـ تحل فورا الجمعية المعروفة باسم جماعة الاخوان المسلمين

بشعبها فى جميع انحاء المملكة المصرية وتغلق الامكنة المخصصه لنشاطها ، وتضبط الاوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالغ والاموال ، وعلى العموم كافة الاشياء المملوكة للجمعية .

ويحظر على اعضاء مجلس ادارة الجمعية المذكورة وشعبها ومديريها وأعضائها والمنتمين اليها بأية صفة كانت مواصلة نشاط الجمعية ، وبوجه خاص عقد اجتماعات لها أو لاحدى شعبها او تنظيم مثل هذه الاجتماعات أو الدعوة اليها أو جمع الاعانات أو الاشتراكات أو الشروع فى شىء من ذلك . ويعد من الاجتماعات المحظورة فى تطبيق هذا الحكم اجتماع خمسة فأكثر من الاشخاص الذين كانوا أعضاء بالجمعية المذكورة .

كما يحظر على كل شخص طبيعى أو معنوى السماح باستعمال أى مكان تابع له لعقد مثل هذه الاجتماعات أو تقديم أية مساعدة مادية أو ادبية أخرى .

مادة ٢ – يحظر انشاء جمعية أو هيئة من اى نوع كانت أو تحويل طبيعة جمعية أو هيئة قائمة اذا كان الغرض من الانشاء أو التحويل القيام بطريق مباشر أو غير مباشر بالنشاط الذى كانت تتولاه الجمعية المنحلة أو احياء هذه الجمعية على أية صورة من الصور كما يحظر الاشتراك فى كل ذلك او الشروع فيه .

مادة ٣ – على كل شخص كان عضوا فى الجمعية المنحلة او منتميا اليها وكان مؤتمنا على أوراق او مستندات او دفاتر او سجلات او ادوات أو اشياء من اى نوع كانت متعلقة بالجمعية او باحدى شعبها ان يقدم تلك الاوراق والاشياء الى مركز البوليس المقيم فى دائرته فى خلال خمسة أيام من تاريخ نشر هذا الامر .

مادة ٤ – يعين بقرار من وزير الداخلية مندوب خاص تكون مهمته استلام جميع اموال الجمعية المنحلة وتصفية ما يرى تصفيته منها ، ويخصص الناتج من التصفية للاعمال الخيرية او الاجتماعية التى يحددها وزير الشئون الاجتماعية بقرار منه .

مادة ٥ – على كل شخص كان عضوا فى الجمعية المنحلة او منتميا اليها وكان مؤتمنا على اموال – أيا كان نوعها – تخص الجمعية او احدى شعبها ان يقدم عنها اقرارا للمندوب الخاص المشار اليه فى المادة السابقة فى خلال اسبوع من تاريخ نشر هذا الامر ، وعليه ان يسلمها الى ذلك المندوب فى الميعاد الذى يحدده لهذا الغرض او فى تاريخ استحقاقها على حسب الاحوال .

مادة ٦ - يجب على كل شخص طبيعى او معنوى كانت له معاملات مالية من اى نوع كانت أن يقدم عنها اقرارا مبينا به طبيعة هذه المعاملات والمستندات المؤيدة لها ، وما اذا كان مدينا او دائنا باى مبلغ وموعد الاستحقاق الى غير ذلك من البيانات التى تسمح بتعرف مع الجمعية أو احدى تلك المعاملات . ويقدم هذا الاقرار الى المندوب الخاص المعين طبقا للمادة الرابعة بكتاب موصى عليه فى خلال أسبوع من تاريخ نشر هذا الامر.

ويجوز دائما للمندوب الخاص الغاء جميع العقود التى كانت الجمعية المنحلة أو احدى شعبها مرتبطة بها ولم يبدأ او لم يتم تنفيذها دون أن يترتب على هذا الالغاء أى حق فى التعويض للمتعاقدين معها .

مادة ٧ - كل مخالفة لاحكام المواد ١ ، ٢ ، ٣ يعاقب مرتكبها بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد على سنتين وبغرامة لا تقل عن مائتى جنيه ولا تجاوز ألف جنيه أو باحدى هاتين العقوبتين ، وذلك مع عدم الاخلال بتطبيق اى عقوبة اشد ينص عليها قانون العقوبات أو أى قانون أو أمر آخر ، فضلا عن مصادرة الاموال موضوع الجريمة ، ويجوز لرجال البوليس أن يغلقوا بالطريق الادارى الامكنة التى وقعت فيها الجريمة .

مادة ٨ - كل مخالفة لاحكام المادة الخامسة يعاقب مرتكبها بالحبس وبغرامة قدرها خمسون جنيها ، فاذا كانت قيمة المبلغ الذى لم يقدم عنه الاقرار المشار اليه فى المادة الخامسة تزيد على خمسين جنيها كانت العقوبة الحبس وغرامة تعادل قيمة المبلغ المذكور بحيث لا تزيد على ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) جنيه .

مادة ٩ - اذا كان الشخص المحكوم عليه فى احدى الجرائم السابقة موظفا أو مستخدما عموميا أو بمجالس المديريات أو المجالس البلدية أو القروية او أية هيئة عامة أخرى أو كان عمدة أو شيخا تحكم المحكمة أيضا بفصله من وظيفته ، وإذا كان طالبا فى احدى معاهد التعليم الحكومية أو الواقعة تحت اشراف الحكومة تحكم أيضا بفصله منها وحرمانه من الالتحاق بها لمدة لا تقل عن سنة .

مادة ١٠ - يكون للمندوب الخاص المعين طبقا للمادة الرابعة صفة رجال الضبطية القضائية فى تنفيذ احكام المادتين ٣ ، ٥ وله فى هذا السبيل حق دخول المنازل وتفتيشها كما ان له تفويض من يندبه لهذا الغرض فى اجراء عمل معين من تلك الاعمال .

ويعفى المندوب المذكور والمفوضون عنه وكذلك رجال الضبطية

القضائية فى مباشرة تلك الاجراءات من التقيد بالاحكام الموضوعة لهذا الغرض فى قانونى تحقيق الجنايات ·

المذكرة التفسيرية

وفيما يلى نص المذكرة المرفوعة الى دولة رئيس الوزراء بطلب حل جمعية الاخوان المسلمين :

تألفت منذ سنوات جمعية اتخذت لنفسها اسم « الاخوان المسلمون » وأعلنت على الملأ أن لها أهدافا دينية واجتماعية دون أن تحدد لها هدفا سياسيا معينا ترمى اليه ، وعلى هذا الاساس نشطت الجمعية وبثت دعايتها ، ولكن ما كادت تجد لها أنصارا وتشعر بأنها اكتسبت شيئا من رضا بعض الناس عنها حتى أسفر القائمون على أمرها عن أغراضهم الحقيقية ، وهى اغراض سياسية ترمى الى وصولهم الى الحكم وقلب النظم المقررة فى البلاد ·

وقد اتخذت هذه الجماعة ـ فى سبيل الوصول الى اغراضها ـ طرقا شتى يسودها طابع العنف ، فدربت أفرادا من الشباب أطلقت عليهم اسم « الجوالة » وأنشأت مراكز رياضية تقوم بتدريبات عسكرية مستترة وراء الرياضة · كما أخذت تجمع الاسلحة والقنابل والمفرقعات وتخزنها لتستعملها فى الوقت الذى تتخيره ، وساعدها على ذلك ما كانت تقوم به بعض الهيئات من جمع الاسلحة والعتاد بمناسبة قضية فلسطين · وأنشأت مجلات أسبوعية وجريدة سياسية يومية تنطق باسمها سرعان ما انغمست فى تيار النضال السياسى متغافلة عن الاغراض الدينية والاجتماعية التى أعلنت الجماعة أنها قامت لتحقيقها ·

ولا أدل على هذا مما أثبته ممثل النيابة العسكرية العليا فى مذكرة له فى شأن ما أسفر عنه تحقيق قضية الجناية العسكرية رقم ٨٨٢ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرك ، اذ قال عن جمعية الاخوان المسلمين « وبفحص المكاتب الاخرى اتضح من الاطلاع على التقرير المرسل من بعض أعضاء الجماعة فى طنطا أنهم يعيبون على الجمعية سياستها الحالية التى تصطبغ بصبغة دينية بحتة ، ويطلبون أن تكشف الجمعية للجمهور عن حقيقة مراميها وعن الغرض الاساسى من تكوينها الذى ينصب بالذات على أن الجمعية ليست جمعية دينية بالمعنى الذى يفهمه الجمهور ، وانما هى جمعية سياسية دينية اجتماعية تنادى بتغيير القوانين وأساليب الحكم الحالية ، وأن الخطب الدينية لا تفيد فى توجيه الجمهور الى تفهم غرضها الحقيقى ، وأن الوسيلة لبلوغ هذا هو اثارة الجمهور بطريقة طرق مشاعره وحساسيته

لا عقله وتقديره ، اذ أن هذه الناحية الاخيرة هى ناحية ضامرة فيه .... الخ » وقد كتب الشيخ حسن البنا رئيس الجماعة بخط يده على هذا التقرير انه مؤمن بما ورد فيه موافق على ما تضمنه من مقترحات .

ومما يؤيد هذا الاتجاه ما حدث فى ٨ فبراير ١٩٤٦ باحدى قرى مركز اجا اذ قام طالب يخطب الناس حاثا اياهم على الانضمام لشعبة الاخوان المسلمين فى تلك القرية ، ومحرضا على مقاومة كل من يتعرض لهذه الجماعة من رجال الادارة وغيرهم ، ولو أدى ذلك الى استعمال السلاح .

وقد استمر قادة الجماعة ورؤساؤها يعالجون الامور السياسية فى خطبهم وأحاديثهم ونشراتهم جهرة متابعين الاحداث السياسية ، منتهزين كل فرصة تسنح لهم للوصول الى أغراضهم .

وكان بعض الموظفين قد استهوتهم الاهداف الاجتماعية والدينية التى اتخذتها الجماعة ستارا لاغراضها الحقيقية فأصبح موقفهم بالغ الحرج لان القانون لا يسمح بانتساب الموظفين لاحزاب سياسية .

كما امتدت دعوة الجماعة الى أوساط الطلبة ، واجتذبت فريقا منهم ، فأفسدت عليهم أمر تعليمهم وجعلت من بينهم من يجاهر بانتسابه اليها ويأتمر بأمرها فيحدث الشغب ، ويثير الاضطراب فى معاهد التعليم ، مما أخل بالنظام فيها اخلالا واضح الاثر .

ولقد تجاوزت الجماعة الاغراض السياسية المشروعة الى أغراض يجرمها الدستور وقوانين البلاد ، فهدفت الى تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب ، ولقد أمعنت فى نشاطها فاتخذت الاجرام وسيلة لتنفيذ مراميها — وفيما يلى بعض أمثلة قليلة لهذا النشاط الاجرامى كما سجلته التحقيقات الرسمية فى السنوات الاخيرة :—

أولا — أوضحت تحقيقات الجناية العسكرية العليا سنة ١٩٤٢ قسم الجمرك حقيقة اغراض هذه الجماعة ، وأنها تهدف الى قلب النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية متخذة طرقا ارهابية بواسطة فريق من أعضائها دربوا تدريبا عسكريا وأطلق عليهم اسم « فريق الجوالة » .

ثانيا — وبتاريخ ٦ يونيو ١٩٤٦ وقع اصطدام فى مدينة بور سعيد بين أعضاء هذه الجماعة وخصوم لهم استعملت فيه القنابل والاسلحة ، وأسفر عن قتل أحد خصومهم واصابة آخرين . وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ٦٧٩ لسنة ١٩٤٦ قسم ثان بور سعيد .

ثالثا – وبتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ ضبط بعض افراد هذه الجماعة بمدينة الاسماعيلية يقومون بتجارب لصنع القنابل والمفرقعات ٠

رابعا – كما وقعت بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ حوادث القاء قنابل انفجرت فى عدة أماكن بمدينة القاهرة وضبط من مرتكبيها اثنان من هذه الجماعة ، قدما لمحكمة الجنايات فقضت بادانة أحدهما (قضية الجناية رقم ٧٦٧ لسنة ١٩٤٦ قسم عابدين – ١١٧ سنة ١٩٤٦ كلى) ٠

خامسا – وقد تعددت حوادث اشتباك أفراد هذه الجماعة مع رجال البوليس ومقاومتهم لهم بل والاعتداء عليهم وهم يؤدون واجبهم فى سبيل حفظ الامن وصيانة النظام ، مثال ذلك ما حدث فى يوم ٢٩ يونيه ١٩٤٧ بدائرة قسم الخليفة من اعتداء فريق جوالة الاخوان المسلمين على مأمور هذا القسم ورجاله ٠

سادسا – وقد ثبت من تحقيق الجناية رقم ٤٧٢٦ لسنة ١٩٤٧ الاسماعيلية أن أحد أفراد هذه الجماعة ألقى قنبلة بفندق الملك جورج بتلك المدينة فانفجرت وأصيب من شظاياها عدة أشخاص ، كما أصيب ملقيها نفسه باصابات بالغة ٠

سابعا – وحدث فى ١٩ يناير ١٩٤٨ أن ضبط خمسة عشر شخصا من جماعة الاخوان المسلمين بمنطقة جبل المقطم يتدربون على استعمال الاسلحة النارية والمفرقعات والقنابل ، وكانوا يحرزون كميات كبيرة من هذه الانواع وغيرها من أدوات التدمير والقتل ٠

ثامنا – وفى ١٧ فبراير ١٩٤٨ اعتدى فريق من هذه الجماعة على خصوم لهم فى الرأى بأن أطلقوا عليهم أعيرة نارية قتلت أحدهم ، وكان ذلك بناحية كوم النور مركز ميت غمر وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ١٤٠٧ لسنة ١٩٤٨ ٠

تاسعا – كما عثر بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٤٨ بعزبة فرغلى رئيس شعبة الاخوان المسلمين بالاسماعيلية على صندوق يحتوى على قنابل ، مما استدعى تفتيش منزله ، فاذا بأرض احدى الغرف سردابان بهما كميات ضخمة من القنابل المختلفة والمفرقعات والمقذوفات النارية والبنادق والمسدسات وأحد عشر مدفعا ٠ كما عثر فى فجوة بأرض الغرفة على وثائق تقطع بأن هذه الجماعة تعد العدة للقيام بأعمال ارهابية واسعة النطاق ٠

عاشرا – وحرقت فى ١٨ يناير ١٩٤٧ احطاب لاحد الملاك بناحية كفر بدواى ، واتهم بوضع النار فيها فريق من شعبة الاخوان المسلمين بتلك

القرية . ولما قام البوليس بالفحص عن أحوال تلك الشعبة تبين أن أحد اعضائها مقدم لمحكمة الجنايات فى جريمة قتل شيخ خفراء البلدة .

حادى عشر – وبتاريخ ٣ فبراير ١٩٤٨ قام بعض أفراد شعبة الاخوان المسلمين بناحية البرامون بايهام الاهالى بأنهم سيعملون على زيادة أجورهم وارغام تفتيش أفيروف الذى يقع بزمام القرية على تأجير أراضيه مقسمة على الاهالى بايجار معتدل ، وقاموا بمظاهرات طافت بالقرية تردد هتافات مثيرة ، ولما أقبل رجال البوليس لقمع الفتنة اعتدوا عليهم باطلاق النار وقذف الاحجار .

وقد وقع شجار بعد ذلك بنفس القرية فى يوم ١٣ مارس ١٩٤٨ بين جماعة الاخوان المسلمين ومن اليهم وبين خصوم لهم فأسفر عن قتل أحد الاشخاص واصابة آخرين .

ثانى عشر – وفى يوم ٢٦ يونيه ١٩٤٨ حرض الاخوان المسلمون عمال تفتيش زراعة محلة موسى التابع لوزارة الزراعة على التوقف عن العمل مطالبين بتملك أراضى هذا التفتيش ، الامر الذى سجلته القضية رقم ٩٢١ لسنة ١٩٤٨ جنح كفر الشيخ .

ثالث عشر – من الاساليب التى لجأت اليها الجماعة ارسال خطابات تهديد لبعض الشركات والمحال التجارية لابتزاز أموال منها على زعم أنها مقابل الاشتراك فى جريدتهم ، واقتنصوا بالفعل أموالا بهذه الوسيلة . وقد تقدمت بعض هذه الشركات بالشكوى من هذا التهديد طالبة حمايتها من أذى هذه الجماعة .

ولم تقف شرور هذه الجماعة عند هذا الحد . بل عمدت الى افساد النشء ، فبذرت بذور الاجرام وسط الطلبة والتلاميذ ، فاذا بمعاهد التعليم وقد انقلبت مسرحا للشغب والاخلال بالامن وميدانا للمعارك والجرائم . ومن أمثلة ذلك الحوادث التالية :

أ – حدث ببندر دمنهور فى يوم ٢٥ مايو ١٩٤٧ بمدرسة الصنايع أن اعتدى تلاميذ الاخوان المسلمين على أحد المخالفين لهم فى الرأى وشرعوا فى قتله بطعنة سكين . وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ١٢٤٨ لسنة ١٩٤٧ ببندر دمنهور .

ب – وفى يوم ٣ فبراير ١٩٤٨ حرض بعض التلاميذ من اعضاء هذه الجماعة زملاءهم تلاميذ مدرسة الزقازيق الثانوية على الاضراب ، والقى

أحدهم قنبلة يدوية انفجرت وأصابت بعض رجال البوليس ، كما ضبط مع آخر منهم قنبلة يدوية قبل أن يتمكن من استخدامها فى الاعتداء .

جـ - ويوم ٢٤ يناير ١٩٤٨ تحرش بعض تلاميذ مدرسة شبين الكوم الثانوية من المنتمين الى الاخوان المسلمين بزملاء لهم ، الامر الذى أدى الى حادث قتل .

ولم تتورع هذه الجماعة عن أن يمتد اجرامها الى القضـاء الذى ظـل رجاله فى محراب العدل فخرا للمصريين ، وملاذا لهم ، ينعمون بثقة المتقاضين وطمأنينتهم - اذ قصدوا الى ارهاب القضاة عن طريق قتـل علم منهم هـو المغفور له أحمد الخازندار بك وكيل محـكمة استئناف مصـر ، الذى حـكم بادانة بعض أعضاء الجماعة لجرائم قارفـوها باستخـدام القنابل - وقـد ثبت أن أحد المجرمين القاتلين كان سكرتيرا خاصا للشيخ حسن البنا .

ولقد أدركت الحكومات المتعاقبة خطورة الاهداف والمقاصد التى تسعى هذه الجماعة لتحقيقها فحاولت - فى حدود القوانين القـائمة - أن تحـد من شرورها وساعدت الاحكام العرفية التى أعلنت خلال الحرب العالمية الاخيرة على اعتقال بعض قادة هذه الجماعة ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الجماعة سادرة فى جرائمها ، الامر الذى استوجب اصدار الامر العسكرى بحل شعبتي الاخوان المسلمين بالاسماعيلية وبور سعيد .

ولقد وقعت فى يوم ٤ ديسمبر ١٩٤٨ حوادث مؤلمة بجامعة فـؤاد الاول بالجيزة ، ألقى فيها الطلاب قنابل على رجال البوليس وأطلقوا عليهم الرصاص وقذفوهم بالاحجار فأصيب عدد منهم ، كما حدث فى نفس اليوم أن اعتصم بعض طلبة كلية الطب بأسطح مبنى الكلية ، وأشعلوا النار فى أماكن متفرقة وقذفوا رجال البوليس الذين كانوا يحـافظون على النظام ببعـض القنابل وكميات هائلة من الاحجار وقطع الاخشاب وزجاجات مملوءة بالاحماض ثم ألقوا على حكمدار بوليس العاصمة قنبلة أودت بحياته .

وحدث فى يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٨ أن تجمع طلبـة المـدرسة الخـديوية واندس بينهم بعض الغرباء وألقوا قنبلتين على رجال البوليس الذين كانوا خارج أسوار المدرسة ، فأصيب ضابط وسبعة من العساكر - وكان مقترفو هذه الحوادث المروعة من المنتمين لجماعة الاخوان المسلمين .

ولا تزال النيابة العامة ماضية فى تحقيق حادث ضبط سيارة بها مواد متفجرة وذخائر ومستندات خطيرة ، بدائرة قسـم الوايـلى يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ . وقد أدى التقصى عن ظروف هذا الحادث الى ضبط كميات

هائلة من القنابل والمفرقعات جاءت أضعافا مضاعفة لما ضبط فى تلك السيارة . وقد كشفت ملابسات هذا الحادث حتى الآن عن أن جماعة من الاخوان المسلمين يكونون عصابات اجرامية هى المسئولة عن حوادث الانفجارات الخطيرة التى حدثت فى مدينة القاهرة خلال الشهور الستة الاخيرة ، وكان آخرها حادث نسف شركة الاعلانات الشرقية يوم ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ وما نجم عنه من هدم وتخريب فى المبانى وقتل بعض الاهالى ورجال البوليس وجرح عدد غير قليل من الاشخاص .

وبما أنه يتبين بجلاء من استعراض هذه الحوادث ــ وهى قليل من كثير ــ ان هذه الجماعة قد أمعنت فى شرورها بخيث أصبح وجودها يهدد الامن العام والنظام تهديدا بالغ الخطر ، لذلك أرى أنه بات من الضرورى اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التى تروع أمن البلاد فى وقت هى أحوج ما تكون فيه الى هدوء كامل وأمن شامل ضمانا لسلامة أهلها فى الداخل وجيوشها فى الخارج .

وكيل الداخلية
عبد الرحمن عمار

اجراءات اشد شذوذا

بعد أن أوردنا نص قرار الحل ومذكرته التفسيرية نقول : ان قرار الحل فى ذاته ــ متسترا برداء الاحكام العرفية ــ أمر شاذ ، ومع ذلك فان مصدرى هذا الامر لم يكتفوا به بل أتبعوه باجراءات أشد شذوذا .

فالامر العسكرى ببنوده العشرة مع ما فيها من اعتداء صارخ على الحريات وحرمان من الحقوق ، قد تم تنفيذه دون ان يتعرض احد من أعضاء الجماعة للمنفذين .. فلم اذن تعدى مصدرو الامر حدود بنوده ؟ هل هو استمرار للظلم ؟ هل هو اشباع لغريزة الانتقام ؟ هل هو استهتار بالشعب ؟ هل هو تفان منهم فى محاولة ارضاء سادة لهم دفعوهم وهم من ورائهم يرقبون ؟ هل هو اثبات لهؤلاء السادة أن المنفذين يستحقون أن تضاعف لهم المكافأة بعد أن برهنوا على انهم ملكيون أكثر من الملك وانجليزيون أكثر من الانجليز ؟

لقد اتبعوا تنفيذ بنود الامر العسكرى بأساليب مبتكرة لم يكن لهذا الشعب بها عهد من قبل ، من اعتقالات هوجاء ، ومصادرات عمياء ، وبطش عنيف دون مبرر ...

على أن كل هذه الاجراءات الجائرة ــ مع كل ما فيها من شذوذ ــ فان هناك من يستطيع أن ينتحل لها مبررا مما سبق أن سقناه على سبيل الاستفهام ــ أما الاجراء الذى لا يمكن تبريره ، ومن أجل ذلك يمكن اعتباره أخطر اجراء اتخذوه فهو أنهم حالوا بين المرشد العام وبين الاخوان ، فلا هو مسموح له أن يتصل ولو بفرد واحد منهم ولا يستطيع أحد منهم أن يتصل به حتى بالتليفون الذى قطعوه عن منزله ، بل ان أى انسان يقترب من منزله كان يقبض عليه ولو كان من غير الاخوان ٠

خطورة هذا الاجراء :

وانى لاتعجب لاولئك الذين قرروا هذا الاجراء ، الذى أن دل على شيء فانما يدل على التناقض والتخبط وسوء التصرف وقصر الادراك ، فنصوص الامر العسكرى الذى أصدروه ، ونصوص مذكرته التفسيرية التى بنوه عليها، توحى الى القارىء بأن مصدرى هذا الامر ينظرون الى الاخوان المسلمين على أنهم مجموعة ضخمة من الشباب المتهور الذى لا يبالى بشىء ٠٠ وهم يعلمون أنهم ــ مهما بالغوا فى البطش والاعتقال ــ فان الاخوان المسلمين من الكثرة بحيث يكون الباقون منهم خارج أسوار المعتقلات والسجون أضعافا مضاعفة لمن هم فى داخلها ، والكثرة الغالبة منهم من الشباب المتحمس الثائر ٠٠ كما أنهم يفهمون أن الامر العسكرى الذى أصدروه هو تحد مباشر لمشاعر هذا الشباب واستفزاز له ، وأنه بمثابة اعلان للحرب عليهم ، وحكم صدر باعدامهم بل باعدام ما هو أعز عليهم من أنفسهم ٠٠

وفى الوقت نفسه يفهم هؤلاء المسئولون ويعلمون تمام العلم أن الانسان الوحيد الذى يستطيع أن يوجه هذا الشباب ، والذى بيده زمام هذا الشباب هو المرشد العام ٠٠٠

فما معنى الحيلولة بين المرشد العام وبين هذا الشباب اذن ؟ ٠٠٠ لقد شاع فى ذلك الوقت وعقب اذاعة الامر العسكرى بحل الاخوان مباشرة وحين أحس الناس بما تضمنه هذا الامر من عنف وضراوة لم يعهد مثلهما ــ من قبل ــ شاع على ألسنة الخاصة والعامة أن هذا التحدى البالغ العنف لابد أن تكون حياة النقراشى ثمنا له ٠

ولقد خبرت الحكومة المصرية على اختلاف ألوانها وأحزابها مقدرة المرشد العام الخارقة فى التأثير فى هذا الشباب ، واستطاعته أن يقنعهم برأيه مهما كان رأيه معارضا لاتجاههم ومصادما لعواطفهم ٠٠ خبروا ذلك فى موقفين خطيرين ٠ أحدهما حين قررت احدى الحكومات الحزبية نقله الى قنا، والآخر حين طلبت منه احدى الحكومات الوفدية التنازل عن ترشيح نفسه

لمجلس النواب ـ وقد تحدثنا عن هذين الموقفين بتفصيل فى الجزء الاول من هذا الكتاب ٠٠٠ المرشد العام وحده اذن هو القادر على كبح جماح هؤلاء الشباب اذا لم يحل بينه وبينهم ٠

فما معنى هذا الاجراء الغريب الموغل فى الغرابة ؟ والذى قد لا نجد له تعليلا ولا تحليلا ولا تبريرا الا أن يكون حقد أسود قد غشى على بصائر هؤلاء الناس وابصارهم فهم فى ضلالهم يعمهون ٠

وهناك رؤية قد يراها الحاذقون من المراقبين للاحداث الذين لايكتفون من الاحداث بظواهرها دون بواطنها ، يلخصها هؤلاء الحذاق فى أن مخططى المؤامرة من غير المصريين ـ وهم على اعلى مستوى فى الخبرة النفسية ـ خططوها بحيث يكون دورهم فيها مقتصرا على اشعال فتيلها ثم تركها بعد ذلك متاججة ياكل بعضها بعضا حتى تتحقق كل أهدافهم دون حاجة الى ظهورهم على المسرح فى أى دور من أدوارها ٠ وقد رأوا فى اختيار النقراشى بالذات ـ كما شرحنا ذلك من قبل ـ الضمان الكامل للوصول الى النهاية التى يأملون ٠

ومع ذلك فان المرشد العام لم يأل جهدا فى الاتصال بهم ، وأخذ يبصرهم بخطأ تصرفهم فى الحيلولة بينه وبين الاتصال بالاخوان ، وحذرهم مغبة هذا الاجراء الذى تدعو مصلحة البلاد الى العدول عنه ، ولكنه لم يتلق على الحاحه المستمر جوابا الا وعودا فى الهواء ٠

فكان من نتيجة تمسك الحكومة بهذا الاجراء الاخرق أن وجد هذا الشباب الثائر المجروح المضطهد المطارد نفسه بغير قيادة ، فتصرف من تلقاء نفسه وبدافع من عاطفته ٠٠ فكانت أحداث جسام بدأت بما كان يتوقعه الجميع من اغتيال النقراشى فى حصنه الحصين بوزارة الداخلية ثم تفاقمت بعد ذلك الاحداث تفاقما لم يخطر ببال احد اذ افلت الزمام ٠

اغتيال النقراشى باشا :

بعد عشرين يوما من صدور الامر العسكرى بحل الاخوان المسلمين ، وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ اغتيل النقراشى باشا فى وزارة الداخلية وهو محاط بحراسة مكثفة لا ينفذ من خلالها الهواء ٠٠ فكان هذا مصداق قوله تعالى « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ودليلا على ان الحاكم لا يحميه الا عدله وتجاوبه مع شعبه ٠

جاء فى مرافعة الاستاذ احمد حسين أمام المحكمة العسكرية العليا فى قضية اغتيال النقراشى فى ١٩٤٩/٩/٢٠ قوله : « نشرت جريدة أخبار

اليوم أن مصطفى أمين قابل النقراشى باشا وحذره من الاقـدام على حـل الاخوان لانه سيقتل ، فلما أصر ، خرج باكيا عليـه • فلما قتـل بعـد ذلك باسبوع لم يبك عليه فقد بكاه من قبل ـ وكل من كان حول النقراشى باشا كانوا يشعرون هذا الشعور ـ اذن كان هناك شبه اجماع وصـل الى حـد النشر على صفحات الجرائد ان حل الاخوان كان معناه قتـل النقـراشى • فما معنى هذا التلازم ومن أين جاء هذا الشعور ؟

هل جاء فقط من ناحية خطورة الاخوان المسلمين ؟ ولكن مهما بلغ خطر الاخوان فهل يمكن ان يقاس بقوة الدولة ؟ لقد كان النقراشى باشا حاكما عسكريا ، ولديه من السلطات مالا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •• ففيم كانت هذه العقيدة التى تكونت بأن القتل سيكون مصيره ؟!

اننى أخشى أن يكون ذلك هو مظهر الشعور بالاقـدام على أمـر غير طبيعى ، وأمر شاذ ، وأمر متناه فى القوة والعجلة ، فضلا عن أنه ضد القانون وضد الدستور وضد سلامة الشعب » •

هذا ما قاله الاستاذ أحمد حسين • ونحن نقول : ان هذا الرجل قـد ذهب ضحية صـلفه وحقده وضـيق أفقـه ، واستبداده برأيه واستسلامـه للغاصب المستعمر ، وتأليهه للملك الغارق فى شهواته • مما سوف نضعه ان شاء الله موضع المناقشة بعد قليل •

ابراهيم عبد الهادى باشا يخلف النقراشى باشا :

وفى اليوم التالى أسند الملك رياسة الوزراء الى ابراهيم عبد الهادى باشا • وهو مـن النقراشى بمثابة النقراشى مـن أحمـد ماهر ، يبوء بـاثم ميراث وبىء من التفريط فى حقوق البلاد ، والتواطؤ مع المستعمر ، والتهالك على منصب الحكم ، والتسابق الى أن يكون فى خدمة نزوات الملك وفى عبادته من دون الله •

جاء هذا الرجل الى الحكم كالذئب المتعطش للدماء • جاء ومعه تفويض الهى من الهه فاروق بأن يفعل ما يشاء ولن يسأل عما يفعل « يـذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم » بحيث يبيد هذه العصبة الوحيدة المتمردة على عبادة فاروق والسير فى ركابه •••

ولا بد أن ابراهيم عبد الهادى هذا كان يعتقد فى ذلك الوقت أن فاروقا قادر على كل شىء • وغاب عنه أن هناك الها آخر غير فاروق هو الاله الحـق الذى يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ••• ذلك أن ما فعله هـذا

الرجل ، وما ارتكبه من آثام لا يمكن أن يقدم عليه انسان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ٠٠٠

ففى عهد هذا الرجل بلغت الاحداث الجسام ذروتها ، وارتكبت أفظع جريمة فى هذا القرن بتدبير حكومته وهى اغتيال المرشد العام ٠

وقبل ان نشرع فى استعراض أيام هذا الرجل السوداء ، وما سجلته من مآثم يندى لها جبين الانسانية خجلا ، نتناول بالتمحيص موضوعا خطيرا ذا دلالات جوهرية فى تاريخ هذه البلاد ، لا ينبغى أن يسبقه فى صدد ما نحن فيه موضوع آخر ٠ وهو ما نفرد له الفصل الآتى ان شاء الله ٠

الفصل الثانى

مَن هو الآمر الحقيقي بالحل ؟

خرج الامر العسكرى بحل « جمعية الاخوان المسلمين » ـ فعلا ـ من دار رياسة مجلس الوزراء ، ممهورا بتوقيع النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء ... وعند انصراف دولته من دار الرياسة فى مساء يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ صرح للصحفيين قائلا : اننى أصدرت أمرا عسكريا بحل جماعة الاخوان المسلمين .

ويدعى النقراشى باشا ويصر على أنه هو الذى أصدر هذا الامر من تلقاء نفسه وأن أحدا غيره لم يتدخل فيه ولم يوعز به .

ولكن هناك ما يلقى ظلالا كثيفة من الشك على هذا الادعاء ، بل هناك ما يعارضه وينقضه ويظهر زيفه ... ونورد هنا ما جاء فى هذا الصدد فى مرافعة الاستاذ شمس الدين الشناوى فى قضية السيارة الجيب امام محكمة الجنايات بالقاهرة فى ٢١ـ١ـ١٩٥١ كما نشرته جريدة « المصرى » فى ذلك اليوم حيث قال :

« انهم أدخلوا الجيش المصرى فلسطين حتى يتذرعوا بذلك لاعلان الاحكام العرفية ، حتى يتمكنوا فى ظلها من ارتكاب جريمة حل الاخوان المسلمين .

وثيقة

وهنا رفع يده ملوحا وبها ورقة فى حجم الكارت البوستال وقال :
« هذه هى الفضيحة الكبرى ، وهذا هو الدليل المادى الذى ينطق بالحق .
هذه هى وثيقة مكتوبة باللغة الانجليزية » .. وسلمها للمحكمة ..

. وأخذ يتلو نص الوثيقة باللغة العربية . وهى عبارة عن رد من القيادة العليا للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط على اشارة وردت اليها من السفارة البريطانية . وتقول القيادة فى الوثيقة :

« لقد أخطرت هذه القيادة رسميا بأن خطوات دبلوماسية ستتخذ لاقناع السلطات المصرية بحل الاخوان المسلمين فى أقرب وقت ممكن » .

وقد ذيلت الوثيقة بامضاء رئيس ادارة قوات القيادة العليا الحربية البريطانية فى الشرق الاوسط ٠

وبعد ان تلا هذه الوثيقة أخذت المحكمة فى مناقشتها ٠ وهنا وقف الاستاذ محمد عبد السلام بك ممثل النيابة وتساءل عن المصدر الذى أتت عنه هذه الوثيقة ـ فرد الاستاذ الشناوى مداعبا وقال : ان جاسوسية الاخوان هى التى اتت بهذه الوثيقة ـ فقال ممثل النيابة : لا يمكن التمسك بمثل هذه الوثيقة الا اذا صح ما جاء فيها ٠

وهنا قال سعادة رئيس المحكمة : الى أن تقرر السفارة البريطانية بأن هذه الوثيقة مزورة وغير صحيحة ، فانها يجب أن نعد صحيحة ٠ (وقبل أن ينتهى الرئيس من كلامه سمع تصفيق هائل وتعالت الهتافات : يحيا القضاء العادل ٠ يحيا القضاء النزيه)

وفى جلسة المحكمة فى ١٠ـ٢ـ١٩٥١ قدم ممثل النيابة كتابا من السفارة البريطانية يكذب الوثيقة ونصه : عزيزى وحيد رأفت بك (مستشار الرأى لوزارتى الخارجية والعدل)

طلب الى سفير حضرة صاحب الجلالة بأن أقرر أن نظره قد استرعى أخيرًا الى خبر نشر بالصحف بشأن محاكمة قائمة أمام المحاكم جاء فيها أن محاميا يدعى ألاستاذ شمس الدين الشناوى حاضرا عن المتهم أحمد عادل كمال صرح بأن الحكومة البريطانية أوعزت الى الحكومة المصرية فى ١٩٤٨ بالغاء وحل الاخوان المسلمين ٠ وأن الاستاذ الشناوى دلل على ذلك بصورة كتاب مؤرخ فى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨ زعم أنه موقع عليه بمعرفة الكولونيل أ ٠ م ٠ ماك درموث نيابة عن السلطات العسكرية البريطانية ٠

وأرى من واجبى اخباركم بأن هذه الوثيقة ان وجدت تكون مصطنعة فضلا عن أن أمرحل الاخوان المسلمين أو ما شابه ذلك كما زعم الاستاذ الشناوى لم يثر ولم يكن محل حديث بين هذه السفارة والحكومة المصرية ٠ ولعلكم ترون أن من الضرورى لمصلحة العدالة احاطة المحكمة علما بما تقدم ٠

التوقيع

مورى جراهام

المستشار القانونى للسفارة البريطانية

وهنا قام الاستاذ الشناوى وقال : ان تكذيب السفارة لهذه الوثيقة لا يفيد من قريب أو من بعيد ، لان السفارة لم ترسل بهذه الوثيقة ، وانما هى صدرت من القيادة العليا للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط ، وهى

مذيلة بامضاء السير ماك درموث قائد القوات البريطانية ـ وأضاف قائلا بأن المهم هو معرفة حقيقة هذا الامضاء ـ وأمام هذا الامر لا يصدر التكذيب الا من صاحب التوقيع الفعلى ، وهو بنفسه الذى يحق له انكار الوثيقة ٠

وثائق اخـــرى

واستطرد قائلا : نحن واثقون من صحة الوثيقة التى تقـدمنا بهـا ، ولدينا من الادلة ما يؤيدها ويعززها ولسوف نقدمه لكم فى القريب ٠

يستنصر الانجليز

وأضــاف أن السبب فى تكذيب الســفارة لهـذه الوثيقـة هو ان دولة ابراهيم عبد الهادى باشا وجد السفارة لا تحرك ساكنا ، وقد مضت قـرابة العشرة الايام ، فطلب منهم أن ينصروه كما نصرهم أخ له من قبل ٠٠ وقـد طالعتنا جـريدة أخبار اليـوم بأن هناك اتصــالات حـــدثت وأن ابراهيم عبد الهـادى ألح فى مقابلة المستر أندروز وتمت مقابلته فى منزل عبد الهـادى باشا بالمعـادى ٠

وقال : انه ظاهر أن المستر أندروز طلب من عبد الهادى باشا أن يكذب الوثيقة بنفســه ، ولكن عبد الهـادى قال ان الوثيقة صـدرت من الانجليز فيجب أن يكون تكذيبها من جانبهم ٠٠ وأشــار الى أن عـدد « المصـور » أول أمس نشر أن عبد الهادى سئل عن سبب المقابلة الطـويلة فقرر أنها لم تتناول مسائل سياسية ولكنها كانت خاصة بتكذيب الوثيقة ٠

ممثل النيابة : ان الوضع الطبيعى هـو أن يكون عبء اثبات صـحة الوثيقة وصحة التوقيع عليها على عاتق الدفاع ٠ ومن القواعـد المقـررة أنه اذا أنكر المستند فان على الذى يتمســك به أن يثبت أن الكتابة والتـوقيـع صادران من خصمه ٠

المحكمة : الدفاع يقـول ان الجهـة التى أصدرت التكذيب ليست هى الجهة التى صدرت عنها الوثيقة ٠

النيابة : السفارة مختصة ٠ والتوقيع ولو أنه صادر عن غيرها الا أنى أرى أن المســتر ماك درمـوث وهو الموقـع على الوثيقـة يتكلم فيها باسـم السفارة البريطانية ٠

الدفاع : ان هذا الطعن غير منتج ٠ وهذا التكذيب ان هو الا مـؤامرة سياسية لا تجدى ولا تفيد ٠

المحكمة : يرجأ البحث فى الوثيقة حتى يطلع الدفاع على رد السفارة ويقدم المستندات التى يراها ·

وفى جلسة ١٥ــ٢ــ١٩٥١ وقف الاستاذ شمس الدين الشناوى وتكلم بشأن الخطاب الوارد من السفارة الانجليزية وقرر أن هـذه الوثيقة رسمية صادرة من موظف رسمى مختص بتحريرها وهو المستر ماك درموث ، وقال : ان الورقة الرسمية لا يطعن فيها الا بالتزوير ، وكذلك الصورة الفوتوغرافية المأخوذة لهذه الوثيقة ، بخلاف الورقة العرفية فان صورتها الفوتوغرافية تكون مجرد قرينة ، وذلك تطبيقا للمادة ٣٩٠ من القـانون المـدنى · ولذلك يكون الطريق الذى سلكته السفارة غير سليم ، ولا يمكن أن يؤثر فى صحة الورقة أو ينال منها ·

دليل على تدخـل الانجليز

وأشار بعد ذلك الى تدخل الانجليز فى شئون البـلاد الداخلية وقال : ان بيده الآن أحد أعداد جريدة الاساس (جريدة الحزب السعدى) وأخذ يتلو منه مقالا تحت عنوان : « لمـاذا يتلكأون ؟ » جاء فيه :

« **ان الحكومة السعدية تعجب لعدم تسليم الثلاثة من الاخوان الذين هربوا الى برقة ، فى حين أن السفارة الانجليزية هى التى كانت تطلب الى السلطات المصرية وضع حد لنشاطهم بمصر** · فلما اشـتدت وطأة البوليس المصرى على الارهابيين حمتهم السلطات البريطانية فى برقة · والسلطات المصرية فى انتظار تغير موقف السلطات البريطانية فى برقة حتى ينسجم مـع موقف السفارة البريطانية فى القاهرة ·

تدخـــل ســـافر

ثم قدم الاستاذ الشناوى هذا العدد الى المحكمة قائلا : ان هذا هـو اعتراف صريـح من السعديين بالتدخـل البريطانى السـافر لا فى شئوننا الخارجية فحسب ، وانما فى شئوننا الداخلية أيضا ·

قرائن تؤيد صحة الوثيقة :

هذا ما كان من أمر الوثيقة · وليس يعنينا بعد ايرادها وايراد مادار حولها من نقاش أن نقيم هذا النقاش ، وأن نتعقب ما كان من شأن الوثيقة بعد ذلك ، وهل تقدم موقعها السـير مـاك درموث بتكذيبهـا والطعـن فى توقيعه بالتزوير أم وقف الامر عند هذا الحد وهو تكذيب السفارة ــ واصدار

السفارات تكذيبا هو عرف متبع فى جميع السفارات حين يفتضح تدبيـــر دبره بلد ضد بلد آخر ، تقوم سفارة البلد المتهم باصدار تكذيب ... ومبلغ علمنا أن صاحب التوقيع لم يكذب الوثيقة ولم يطعن بالتزوير فى توقيعه.ولو كان قد فعل لوصل نبأه الى هيئة المحكمة .. على أن شيئا من ذلك لم يصـل اليها حتى انتهت من نظر القضـية ـ كما اننا لم نر ولم نسمع أن الموقـع تقدم الى اية جهة قضائية بمثل هذا الطعن .

وانما الذى يعنينا هو أن نحرس الظروف والقرائن التى تحيط بهـذا الاتهام ، وتتصل به من قريب أو من بعيد ، حتى يستطيع القارىء ان يركن فى هذه القضية الخطيرة الى قرار تطمئن اليه نفسه . وهأنذا اضع بين يدى القارىء بعض هذه الظروف والقرائن :

القرينة الاولى ـ ذكرنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، وفى الفصـل الاخير منـه ، كيـف أن اليهـود كانوا يستعدون علنـا حلفاءهم الاوربيين والامريكيين على الاخوان المسلمين ، مما كانت تسيل به أنهار الصحف فى أوربا وأمريكا فى ذلك الوقت . وأوردنا جزءا من مقال كتبته فتاه صهيونية تدعى « روث كاريف » ونشرته جريدة الصنداى ميرور فى مطلع عام ١٩٤٨. وقد يحسن بنا أن نعيد نقل بعض سطور منه الان حيث قالت بعد هجـوم عنيف على مفتى فلسطين وعلى المرشد العام للاخوان المسلمين : « واذا كان المدافعون عن فلسطين ـ أى اليهود ـ يطالبون الان مجلس الامن بارسال قوة دولية لتنفيذ مشروع التقسيم الذى أقرته هيئة الامم المتحدة ، فانهم لا يطالبون بذلك لان الدولة اليهودية فى حاجة الى الدفاع عن نفسها ،

ولكنهم يريـدون ارسـال هـذه القوة الدولية الى فلسطين لتـواجـه رجال الاخوان المسلمين وجها لوجه ، وبذلك يدرك العالم كله الخطر الحقيقى الذى تمثله هذه الحركة ... واذا لم يدرك العالم هـذه الحقيقـة فى وقت قريب فان اوربا ستشهد ما شهدته فى العقد الماضى من القرن الحالى اذ واجهتها حركة فاشية نازية ، فقد تواجهها فى العقـد الحـالى امبراطورية اسـلامية فاشـية تمتـد من شمال أفـريقيا الى البـاكستان ومن تركيـا الى المحيط الهندى » اه .

واذا عرف ان اليهود هم طليعة جيوش الحلفـاء وعيـونهم فى الشرق الاوسط ، فان ما يكتبونه فى هذا الشان لا يكون من قبيل الاستجـداء وطلب المعونة ، وانما بمثابة اعطاء مقدمة الجيش اشارة البدء للجيش كله ليقـوم بالهجـوم .

والا فكيف نعلل أن يكون استعداء اليهود الغرب ضد الاخوان بهـذا الاسلوب الذى ينم عن الفـزع والهلع منـذ مطلـع عام ١٩٤٨ حيث لم يكن مجهود الاخوان يتعدى مجرد تدريب بعض المنظمات العسكرية للمجاهـدين الفلسطينيين .. فلما انتصف ذلك العام كانت قوات الاخـوان قـد دخلت فلسطين وأذهلت العـالم كله بشجاعة منقطعة النظـير ، ودخلت الجيـوش العربية ، فكانت تلجأ الى قوات الاخوان فى أحرج المـواقف .. ثم لا ينتهى العام نفسه الا يصدر أمر حل الاخوان المسلمين وتطويق قواتهم فى فلسطين ونقلها الى المعتقلات فى مصر .

وهل كان من الممكن أن تفرض الاحكام العرفية لو أن الجيوش العربية لم تدخل فلسطين ؟ .. واذا علم أن هذه الجيوش قد دخلت فلسطين فجـأة ودون أدنى استعداد ـ وقد أثبتت التحقيقات ذلك فيما بعد ـ فمـا تعليـل دخولها وهى فى هذه الحالة الا أن يكون هنـاك ايحـاء خارجى بذلك ليكون دخولها مجرد تبرير لاجراءات معدة تبدأ باعـلان الاحـكام العرفية وتنتهى بحل الاخوان وابادتهم .

والدليل على ذلك أن أصحاب الامر ـ دول الغرب ـ حين رأوا جيش مصر ـ الذى كان مفروضا أن يهـزم من أول معركة ـ بتعاونه مـع قـوات الاخوان قد حقق انتصارات على اليهود ، عملوا على اتاحـة فرصـة لتزويد اليهود بعتاد كثيف ، فأوعـزوا بطلب الهـدنة .. وسرعان ما وافـق عليها النقراشى رغم تحذيرات الخبراء وابتهال الاخوان له أن لا يوافق عليها ...

ثم وجد أصحاب الامر أن هذه الهدنة لم تكن كافية لقلب ميزان المعركة فأوعزوا بهدنة ثانية لم يتوان النقراشى عن قبـولها ضـاربا بالتحـذيرات والابتهال عرض الحائط ، مما يدل على أنه كان ينفذ خطة متفقا عليها لامـع المصريين ـ فقد كانوا جميعا ضد فكرة الهدنتين ـ بل مع آخرين !!!

القرينة الثانية ـ على أن ائتمار حـكام مصر بأمـر الانجليز لم يكن شيئا غريبا ، فلقد أشرنا الى طرف من ذلك عند الكلام على ترشيح المرشـد العام لمجلس النواب فى عهدى النحاس وأحمد ماهر . فقـد صرح النحـاس للمرشد العام بما ذكرنا نصه من قبل ، كما أن احمد ماهر أطلع « على البرير » على تبليغ السفارة البريطانية للحكومة المصرية بوجوب منع المرشد العـام وعلى البرير من الترشيح .

كما أن المتهم باغتيال احمد ماهر أثبت أمام المحكمة أن اعلان أحمـد ماهر الحرب ضد المحور كان بناء على تدخـل الانجليز ، وأن أحمـد ماهـر

والنقراشى كانا عند السفير البريطانى فى يوم الحادث ، وهو اليوم الذى كان مزمعا اعلان الحرب فيه • وقد طلب المتهم الاستشهاد بالنقراشى على ذلك •

القرينة الثالثة – فى أثناء نظر قضية قنابل ٦ مايو – وهى قضية سياسية ليست من قضايا الاخوان –أمام محكمة الجنايات بالقاهرة دائرة حسن فهمى بسيونى بك وفى جلسة ٩–١١–١٩٤٨ نودى على صالح حرب باشا (رئيس جمعية الشبان المسلمين فى ذلك الوقت) باعتباره شاهدا •• وردا على سؤال من المحامى اسطفان باسيلى بك عما دار بينه وبين المتهم الاستاذ عبد السلام وفا باعتباره صحفيا فقال : اننى أعرف الاستاذ وفا لانه انضم الى جمعية الشبان المسلمين فى سنة ١٩٤١ ثم انقطع عنها بعد ابعادى الى أسوان • ثم قال : اذا كان المقصود ما دار بينى وبين دولة النقراشى باشا بشأن رياسة جمعية الشبان المسلمين فاننى أردت أن أقول له : ان الانجليز لم يحملوا النقراشى باشا وحده على طلب تنحيتى عن رياسة جمعية الشبان المسلمين بل ان هذا الطلب طلب أيضا من أحمد ماهر باشا ومن حكومة الوفد • وهذه المسألة تتصل بحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ •

ولما رات المحكمة عدم الخوض فى المسائل السياسية طلب المحامى أن يوضح صالح باشا الحديث الذى دار بينه وبين الاستاذ وفا – وقد نشر فى جريدة البلاغ – عن تصرفات النقراشى باشا حول رياسة صالح باشا لجمعية الشبان المسلمين فقال :

« اننى أذكر هذا الحديث ، وقد اطلعت عليه ، ولاحظت أنه يشمل أشياء لم أقلها • وان الذى حدث فعلا هو أننى كنت فى أسوان ، واتصل بى دولة النقراشى باشا بالتليفون ، وطلب عند حضورى الى القاهرة أن أقابله • فلما حضرت اتصلت به تليفونيا واتفقنا على موعد للمقابلة– وكان دولة النقراشى باشا فى ذلك الوقت رئيس الوزارة ووزير الداخلية – فلما ذهبت للقائه فى الموعد أخرج لى خطابا بالانجليزية من اللورد كليرن السفير البريطانى يقول فيه السفير انه طلب من الحكومات المتعاقبة أن تحمل صالح حرب باشا على الاستقالة من رياسة جمعية الشبان المسلمين ، ولم ينم شىء من ذلك ، وظل حسن رفعت باشا وكيل الداخلية يكتب له (أى للسفير) أن صالح حرب باشا قد انقطعت صلته بالجمعية ولا شأن له بادارتها • ويقول السفير : ان الذى ترامى الينا أنه لا يزال وثيق الصلة بالجمعية ولا يزال يديرها سواء كان قريبا منها أو بعيدا عنها •

واضاف السفير فى خطابه أنه هو أى السفير والقائد العام للجيوش

البريطانية فى مصر والقائد العام للطيران فى الشرق الاوسط يطلبون من النقراشى باشا أن يساعد على حمله على الاستقالة من الجمعية ·

وقال الشاهد : بعد أن اطلعت على الخطاب سألنى دولة النقراشى باشا عن رأيى · فقلت له : « اننى أعجب من أن تتدخل السفارة البريطانية فى شئوننا الداخلية حتى فى رياسة جمعية كجمعية الشبان المسلمين » فقال لى دولة النقراشى باشا : ان الحالة لا تزال حالة حرب وان كانت الحرب قد انتهت · فقلت له : اننى لن أستقيل · فقال دولة النقراشى باشا: انك ستسبب لنا مشاكل · فقلت له : أرجو من دولة الباشا أن يكون على الحياد وأن يترك الامر بينى وبين الانجليز لان بيننا خصومة ترجع الى عام ١٩١٥

يضع اصبعه

فقال دولة النقراشى باشا : أرجو أن لا يكون هذا آخر ما عندك · وأن تعيد النظر فى الامر ، والوقت فسيح أمامك ، فقلت له : ان هذا هو آخر ما عندى لان هذا الطلب طلب منى قبل اليوم ، وأنا لن أستقيل ولا توجد قوة فى الارض تحملنى على الاستقالة ···· **وهنا وضع النقراشى باشا اصبعه على كلمة « قائد قوة الطيران فى الشرق الاوسط » التى وردت فى الخطاب ورذد لقبه** · فقلت له : ان قوة بريطانيا كلها لا تستطيع حملى على الاستقالة ، وان الذى يحملنى على الاستقالة هو شىء واحد ، هو أن ترغب جمعية الشبان المسلمين نفسها فى ذلك ·

ثم سأل المحامى الشاهد : هل كذب دولة النقراشى باشا الحديث الذى نشر فى جريدة البلاغ حول هذه الواقعة ؟ فرد الشاهد : لا أذكر ، ا هـ ·

وقد أوردنا هذه الشهادة ليعلم القارىء أن حكام مصر عامة وأن السعديين منهم بوجه خاص ، وأن النقراشى باشا بوجه أخص ، كانوا يستوحون تصرفاتهم من وحى المستعمر ، ويتلمسون رضاه فى كل عمل يعملونه ، ويلتزمون أمره فى كل ما يأمرهم به حتى فى أتفه الامور ·

فرياسة جمعية الشبان المسلمين ، وهى جمعية بعيدة كل البعد عن السياسة ، ويكاد يقتصر عملها على النواحى الرياضية والثقافية ، تصر السفارة البريطانية والقائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط والقائد العام لقوة الطيران البريطانى بالشرق الاوسط على تنحية فرد عن رياستها ، وتلح فى اصرارها بعد أن حاول وكيل وزارة الداخلية ايهامها بأن هذا الفرد قد قطع صلته بها ·· دليلا على أن للسفارة عيونا ترصد ما يجرى فى مصر وتتتبعه ··· فما بالك بهيئة الاخوان المسلمين التى أقضت مضاجع

بريطانيا ، وهددت وجودها فى مصر ، والبت الشعب ضدها ، وكشفت له عن سوآتها وجرائمها ، وكادت تفسد المخطط البريطانى الامريكى فى فلسطين لولا تواطؤ الحكومات العربية ، وأيقظت الوعى الوطنى الاسلامى فى أنحاء البلاد العربية حتى أصبح عملاء الاستعمار فى كل مكان فى حرج من أمرهم ؟!

... هل تصبر حكومة بريطانيا هذه على هذا الخطر الداهم لمصالحها دون أن تستغل ولاء حاكم مصر لها فى القضاء على ألد أعدائها وأقوى خصومها ؟ وهى لم تطق الصبر على وجود فرد ما فى رياسة جمعية الشبان المسلمين ...

القرينة الرابعة - وفى ختام مانسوق من ظروف وقرائن ننقل كلمة قصيرة وردت فى سياق مرافعة الاستاذ فتحى رضوان أمام محكمة الجنايات فى احدى جلسات قضية السيارة الجيب ، وكان ذلك فى ٢٠-٢-١٩٥١ . ولهذه الكلمة أو الواقعة من الدلالات ما نترك للقارىء تصوره لحقيقة حكام مصر فى ذلك العهد ، ولحقيقة النقراشى باشا بالذات :

أشار الاستاذ فتحى رضوان الى أسباب دخول الجيش المصرى فى فلسطين فى ١٥ مايو بالذات فقال : انه أشيع فى ذلك الوقت أن « شرق الاردن » (المملكة الاردنية الآن) عازمة على دخول الحرب ولو منفردة اذا كانت مصر والبلاد العربية غير مستعدة ... ومن الغريب أن حافظ رمضان باشا سأل النقراشى باشا تليفونيا عما اذا كانت مصر مستعدة لدخول الحرب ، **فطلب اليه أن يتصل به عن طريق تليفون آخر لان تليفونه مراقب من الانجليز .**

وقال الاستاذ فتحى رضوان : ان النقراشى باشا لم يكن راغبا فى دخول الحرب ، وانما ضغط عليه الانجليز الذين أرادوا أن يؤدبونا لاننا رفضنا شروط المعاهدة التى أرادوا املاءها علينا ، مما أشعرهم أن هناك وعيا قوميا فى البلاد العربية لابد أن يموت ويقضى عليه ، وأن يموت حسن البنا زعيم أكبر هيئة اسلامية - وأن يموت النقراشى - وينكل بالاحرار ، وتدبر القضايا لينشغل الرأى العام بها عن مطالبه القومية .

الفصـــل الثـالث

تفنيد أسباب الحل

لم يكن ممكنا فى ظل الحرب المعلنة من الحكومة المصرية على الاخوان المسلمين ، أن يجد الاخوان فرصة للرد على اتهامات الحكومة ، التى سخرت لاذاعتها - باسم الاحكام العرفية - جميع وسائل النشر والاعلام ، وحرمت على الاخوان أن يسمع لهم صـوت أو تنشر لهم كلمة ... وكيـف لا وقـد أصـدر الحـاكم المفتون بغـرور السلطة حـكما باعـدامهم .. واذن فهم غير موجودين بحكم أمر الحـل ..

ولكن المرشـد العام لم يكن الرجـل الذى يستسلم مهما أحاط به عدوه من كل جانب ، ومهما جردوه من كل سلاح يمكن الدفاع به .. انهم جردوه فعلا من كل سلاح ، لكن سلاحا واحدا لم يستطيعوا أن يجردوه منه ، ذلك هو ايمانه العميق بدعوته ، وثقته الكاملة فى طهرها ونقائها ..

ومع أنه كان يعلم أن دفاعه عن دعـوته بالحجـة والبرهان سيحـول هؤلاء الحكام بينه وبين أن يصل الى الشعب .. الشعب المضلل الذى هـو فى أمس الحاجة الى من ينير له الطريق فى هذه القضية المصيرية ، وينتشله من وهدة الذهول والحيرة التى تردى فيها أمام ما فوجىء به من سيل جارف من اتهامات خطيرة قذفت بها هذه الحكومة فجأة فى وجه دعوة كانت حتى آخر لحظة مناط أمله ومعقد رجائه .

ثم انه - أى الشعب - لم تعد تقع عينه بعد ذلك ، ولا يقرع سمعه ليلا أو نهارا الا مقالات ضافية وأحاديث مسـتفيضة كلهـا تسـبح بحمـد الحكومة وتصب اللعنات على أم رأس الاخوان ...

كان المرشد العام يعـلم ذلك . ولكن ذلك لم يقعـد بهمتـه لحظة عن انتهاج كل سبيل يتاح له أن يكتب بقلمه أو ينطق بلسانه ما يستطيعه من دفاع عن دعوته بالحجة والبرهان ، تاركا ذلك للزمن الذى يعتبره جزءا مـن العلاج ... فاذا كان هذا الشعب قد ابتلى بهؤلاء الحكام ، فكانوا مرضه الذى غيبه عن رشده ، فان الزمن كفيل أن يكشف عنه هذا البلاء فيصحـو ويستعيد قدرته على النظر والادراك « وتلك الايام نداولها بين الناس » .
ولقد فعل الزمان فعله ، لم يمض وقت طويل حتى أتيح لهـذا الشعب

وللعالم كله أن يقرأ دفاع هذا الرجل المؤمن العظيم عن دعوته ، وذوده بأقوى سلاح من الحجة والبرهان عن حياضها ·· واستبيان للجميع – فى ضوء ما سلط فى ثنايا هذا الدفاع من أشعة كاشفة – حقيقة الدوافع التى دفعت هؤلاء الحكام الى ارتكاب جريمة اصدار هذا الامر ·

واليك الخطوات التى اتخذها الاستاذ المرشد العام فى هذا السبيل :

أولا – محاجة باللسان :

لما بلغه أن الحكومة مصممة على اصدار الامر العسكرى بحل الاخوان ، تناسى ما يعلمه من أن هذه الحكومة صنيعة المستعمر ، وأنها حكومة فاشلة حاقدة ، وطلب مقابلة النقراشى باشا · فلما حيل بينه وبين ذلك ذهب اليهم فى عقر دارهم بوزارة الداخلية فى الليلة التى يضعون فيها اللمسات الاخيرة لنصوص الامر العسكرى وجلس مع كبيرهم عبد الرحمن عمار · وقارعه الحجة بالحجة ، فاثبت له زيف ما بنوا عليه هذا الامر ، وشرح له ولمن معه ما سوف يحيق بالامة من أضرار بالغة من جراء هذا الامر اذا هم أقدموا عليه ، وناشدهم أن يجنبوا الامة هذه الاخطار بالعدول عن اصداره ·· وقد أبدى لهم استعداده أن يتعاون معهم بالوسائل المشروعة على ما يعود على هذه الامة بالخير ··· أسلوب رجل أكبر من الاحداث ، وأقوى من أن تجرفه العواطف ·· فهو يكره القوم ، ولكن كرهه اياهم لا يمنعه من أن يبذل جهده فى اقالتهم من عثرة ستودى بالبلاد وتحطم مستقبلها ·

انه يعلم أنهم يعدون قرارا بتجريمه ، ولكنه – لثقته فى نفسه وليقينه من براءة ساحته – يذهب اليهم ويمحضهم النصح ، ويعاملهم معاملة الوالد الذى استبد بأبنائه العقوق فجلسوا يدبرون أمرا يعلم هو أن فيه هلاكهم وهلاك أهليهم ، فأخذ يبصرهم بالعواقب ، ويمد لهم يده للتعاون معهم على انقاذهم وانقاذ أهليهم ··· ولكن العقوق كان قد بلغ بهم مبلغا لا يدع للنصح الى نفوسهم سبيلا ، وأصروا على مؤامرتهم ، وأخرجوها الى حيز التنفيذ ···

ثانيا – تفنيد مسجل بالكتابة :

لما لم تجد المحاجة باللسان ، وأصدروا الامر العسكرى والمذكرة التفسيرية التى بنى عليها هذا الامر ، لجأ الاستاذ المرشد الى اعداد مذكرة فند فيها كل ما نسبته المذكرة التفسيرية الى الاخوان من اتهامات ، وأثبت زيفها ، ووضح فيها دعوة الاخوان المسلمين ومواقفها من الاحداث ، وجهادها

الكريم فى مختلف الميادين ، وأشار بأصابع الاتهام الى جهات أجنبية معينة صدر عذا الامر لحسابها ٠٠ وتعد هذه المذكرة مرجعا شاملا ورائعا وتاريخيا يحرص كل منصف على الاطلاع عليه ـ واليـك نص هـذه المذكرة التى لم تنشر الا بعد عام من كتابتها فقد نشرت فى ١٢ـ١٢ـ١٩٤٩ تحت عنوان :

« رد حسن البنا على مذكرة عمار بك بحل الاخوان »

« عمار بك يقر بأن قرار الحل جاء نتيجة للضغط الاجنبى على النقراشى باشا »

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذى يقول الحق وهـو يهـدى السبيل ٠ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

وبعـــد :

فقد تقدم سعادة وكيل الداخلية عبد الرحمن عمار بك بمذكرة ضافية بتاريخ ٢٨ـ١٢ـ١٩٤٨ عن تاريخ الاخوان المسلمين وغايتهم ووسيلتهم ٠ وطلب فى نهايتها اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هـذه الجمـاعة التى تروع أمن البلاد فى وقت هى أحوج ما تكون فيه الى هدوء كامل وأمن شامل ضمانا لسلامة أهلها فى الداخل وجيوشها فى الخارج ٠

الامـــر العســـكرى

وقـد اتخذ دولة الحاكم العسكرى من هذه المذكرة سببا لاصدار الامر العسكرى بحل (جمعية الاخـوان المسلمين) ومصـادرة أنديتهم وأمـوالهم وأملاكهم ونشاطهم فى جميع أنحاء البلاد ، واعتقـال رؤسـائهم وكثـير من أعضاء هيئتهم بالجملة فى كل مـكان ، واعـلان حـرب عنيفة لم توجـه الى الصهيونيين الذين شرعت الاحكام العسكرية من أجلهم ، وأذن بها من أجل اتقاء شرهم ٠٠ واقرارا للحق فى نصابه أردت أن أناقش ما جاء فى هذه المذكرة ليرى الرأى العام المصرى والعربى والاسلامى تفاهة هذه الاسباب ، ومـدى العدوان الذى وقـع على أكبر مؤسسة اسـلامية شعبية نافعـة فى مصر أدت للوطن وللدين أجل الخدمات طوال عشرين عاما كاملة ٠

بطلان دعوى الاجـرام والارهاب

يقول وكيل الداخلية فى مذكرته « ولقد تجاوزت الجماعـة الاغـراض السياسية المشروعة الى اغراض يحرمها الدستور وقوانين البلاد ، فهدفت الى تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب ٠ ولقد أمعنت فى نشاطها فاتخذت الاجرام وسيلة لتنفيذ مراميها » وأخذ سعادته بعد ذلك يستشهد ببعض الحوادث ويورد « بعض أمثلة قليلة لهذا النشاط الاجرامى

كما سجلته التحقيقات الرسمية ، وذكر ثلاث عشرة حادثة كلها مردودة ، ولا توصل الى ما يريد سعادته من ادانة هيئة الاخوان المسلمين ووصف نشاطهم القانونى المثمر بأنه نشاط اجرامى ·

وهذا القول منقوض من اساسه ، فلم يكن الاجرام يوما من الايام من وسائل هيئة الاخوان المسلمين فان وسائلهم ظاهرة معروفة ، فهذه المحاضرات والدروس ، والرسائل والصحف ، والاندية والدور ، والمساجد والمنشآت ، ناطقة بأن وسائل هيئة الاخوان المسلمين لم تتعارض مع القانون فى يوم من الايام ·

حقيقة الحوادث

ويكفى للرد على سعادة الوكيل أن القانون حمى هذا النشاط عشرين سنة ولم يستطع أحد الاعتداء عليه الا فى غيبة القانون وفى ظل الحكم العرفى الاستثنائى الفردى البحت ـ والذى ينص الدستور فى المادة (١٥٥) بأنه اذا عطل الحريات فان ذلك لا يكون الا تعطيلا مؤقتا ينتهى هذا التعطيل بانتهاء الاحكام العرفية ··· أما ما عدد سعادته من الحوادث فها هى ذى حقيقتها فى وضعها الصحيح :

الجناية رقم ٨٨٣ :

أولا ـ الجناية العسكرية العليا رقم ٨٨٣ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرك ـ وقد كان موضوع الاتهام فيها الدعاية للمحور · وشاء ذوو الاغراض أن يقحموا فيها الاخوان المسلمين · وأدعى أحد المتهمين أنه عرض على الاستاذ البنا شخصيا انواعا من السلاح والعتاد الالمانى ، وأن الاستاذ البنا سر بذلك ، ورحب بالحصول على هذه الاسلحة ، وأن الوسيط فى ذلك أخوان من اخوان طنطا ، وقد قبض عليهما فى السجن ثمانية أشهر ·· وماذا كانت النتيجة بعد ذلك ؟

كانت النتيجة ان كذب هذا المدعى نفسه حين ضيق عليه المحقق الخناق وهدده بالمواجهة ـ وحكم ببراءة الاخوين براءة نقية واضحة كاملة ـ فهل تصلح مثل هذه النتيجة تكأة للاتهام أمام سعادة وكيل الداخلية وهو من رجال القانون ؟

ويتصل بهذه القضية ما ذكره سعادة الوكيل من موافقة الاستاذ حسن البنا على تقرير لاحد اخوان طنطا وكتابته بخطه أنه مؤمن بما ورد فيه ··· وعرض الموضوع على هذه الصورة فيه انتقاص للحقيقة · فلقد كان التقرير

مطولا ، وكانت اشارتى عليه بالموافقة على بعضه وتعديل بعضه • ولو كان فى هذا التقرير ما يؤاخذ عليه لحوكم صاحبه ولما صدر قرار المحكمة ببراءته فقد كان أحد المتهمين المقبوض عليهما فى الجناية السابقة •

الجناية رقم ٦٧٩ :

ثانيا ــ الجناية رقم ٦٧٩ لسنة ١٩٤٦ قسم ثان بور سعيد ــ ويعلم الخاص والعام أن الاخوان المسلمين كانوا معتدى عليهم فيها ولم يكونوا معتدين • فقد أخذوا على غرة ، وحوصرت دارهم ، وحرق ناديهم الرياضى ولم تثبت ادانة أحد منهم فى شىء • ولم يكن القتيل الذى قتل خصما من خصوم الاخوان ، ولكنه كان صبيا فى الطريق ــ جعله الله لاهله ذخرا ــ ولكن سعادة الوكيل يأبى الا أن يجعله خصما من خصوم الاخوان ليوهم الناس أنهم يعتدون على خصومهم بالسلاح •

فى ١٠ ديسمبر :

ثالثا ــ بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ ضبط بعض أفراد هذه الهيئة بمدينة الاسماعيلية يقومون بتجارب لصنع القنابل والمفرقعات ••• وهى واقعة لا أصل لها بتاتا فيما أذكر • وانى لاسأل سعادة الوكيل من هم هؤلاء الاشخاص ؟ وهل حوكموا ؟ وبماذا حكم عليهم ؟ لان الاخوان بالاسماعيلية معروفون كفلق الصبح ، ولا أذكر أن أحدا منهم وجه اليه مثل هذا الاتهام فى يوم من الايام •

الجناية رقم ٧٦٧ :

رابعا ــ والشخص الذى أدين فى قضية الجناية رقم ٧٦٧ لسنة ١٩٤٦ قسم عابدين بمناسبة حوادث ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ لم يثبت أنه أمر بهذا من قبل الاخوان أو اشترك معه فيه أحد منهم • وقد كانت هذه الحوادث شائعة فى ذلك الوقت بين الشباب بمناسبة الفورة الوطنية التى لازمت المفاوضات السابقة • ولقد حدث بالاسكندرية أكثر مما حدث بالقاهرة ، وضبط من الشباب عدد أكبر وصدرت ضدهم أحكام مناسبة ، ولم يقل أحد انهم من الاخوان المسلمين فتحمل الهيئة تبعة هذا التصرف لا حق فيه ولا مبرر له •

الجوالة ومأمور الخليفة :

خامسا ــ حادث اشتباك الجوالة بمأمور قسم الخليفة يوم ٢٩ يونيه ١٩٤٧ حادث عادى ولم يكن فيه اعتداء بالمعنى الذى صوره سعادة الوكيل ،

فقد اعترض المأمور ورجاله سير طابور نظامى من جوالة الاخوان المسلمين ، وأراد منعهم بالقوة واشتبك مع قائدهم · واشيع بينهم أن المأمور مزق المصحف الذى كان يحمله احدهم · فثارت نفوسهم ، ثم انتهى الامر بالتفاهم كما تنتهى عادة مثل هذه الاحتكاكات بين البوليس والجمهور فى أى اجتماع من الاجتماعات يتصرف فيه رجل البوليس بغير الكياسة واللباقة المناسبة للموقف ·

الجناية رقم ٤٧٢٦ :

سادسا ـ الجناية رقم ٤٧٢٦ لسنة ١٩٤٧ · ثبت أن الذى اتهم فيها غير مسئول عن عمله ، وسقط الاتهام ضده ، وما زال فى المستشفى الى الآن· فما وجه الاستشهاد بها فى مذكرة رسمية ؟ وهل تكون هيئة الاخوان المسلمين مسئولة عن عمل شخص يتبين انه هو نفسه غير مسئول عن عمله ؟!

فى ١٩ ينـاير :

سابعا ـ هؤلاء الخمسة عشر الذين ضبطوا فى ٩ يناير ١٩٤٨ بعضهم من الاخوان ومعظمهم لا صلة له بالاخوان أصلا · ولقد برروا عملهم بأنهم يستعدون للتطوع لانقاذ فلسطين حينما أبطأت الحكومة فى اعداد المتطوعين وحشد المجاهدين الشعبيين · وقد قبلت الحكومة منهم هذا التبرير وأفرجت عنهم النيابة فى الحال · فما وجه ادانة الاخوان فى عمل هؤلاء الافراد خصوصا وقد لوحظ انه نص فى قرار النيابة بأن الحفظ لنبل المقصد وشرف الغـاية ·

الجناية رقم ١٤٠٧ :

ثامنا ـ والجناية رقم ١٤٠٧ لسنة ١٩٤٨ كوم النور كان الاشتباك فى حادثتها لاسباب عائلية بحتة لا صلة لهـا بالرأى · وان كان كل فريق ينتمى الى هيئة من الهيئات · وكثيرا ما يقع مثل هذا الاشتباك فى القرى بين من لا صلة لهم بحزب أو هيئة ·

الشيخ محمـد فرغلى :

تاسعا ـ وما نسب الى الاستاذ الشيخ محمد فرغلى فى المذكرة ما زال رهن التحقيق · ومن الانصاف انتظار ما يسفر عنه · ولكن المعروف رسميا وعند الجميع أن الشيخ محمد فرغلى هو رئيس معسكر النصيرات ـ لا معسكر البريج ـ بجوار غزة ، وأنه تطوع للجهاد من فبراير ١٩٤٨ الا الآن ، ولازم متطوعى الاخوان فى هذه المنطقة طوال هذه الفترة وأسندت اليه قيادتهم ،

وأقرته قيادة الجيش المصرى على ذلك . كما أنه معروف أن فضيلة الشيخ محمد فرغلى كان من أنصار المجاهد الكريم الشهيد عبد القادر بك الحسينى وكان ممن يسهلون له مهمة الحصول على ما يريد . فالاتهام قبل التحقيق ظلم صارخ . وقد سألت النيابة الشيخ محمد فرغلى ثم أفرجت عنه ، وان كان الامر العسكرى قد صدر بعد ذلك باعتقاله .

حوادث كفر بدواي :-

عاشرا وحادى عشر – أما مايتصل بحوادث كفر بدواى ومنية البراموني فالثابت والمعروف أن أساس النزاع وأصل الاتهام فيها أن عمدة كل منهما يريد أن لا تقوم فى القرية أية جماعة يكون لها مظهر وكيان . وكلا العمدتين صهر للآخر ، وخطتهما فى ذلك واحدة . وقد كان الاخوان هدفا لاضطهادهما اضطهادا قاسيا لولا ما فى أنفسهم من ايمان لما ثبتوا له ساعة نهار .

تفتيش ميت موسى :

ثانى عشر – وحادثة تفتيش ميت موسى مأساة تستحق الدراسة والرثاء ، فقد كان الاخوان عامل تهدئة لنفوس هؤلاء المظلومين المحرومين الذين يستغيثون ولا مغيث . فاتهموا بالاثارة والتحريض وقبض على أربعة منهم من خيرة الشباب ، واستمروا فى الحبس أربعين يوما تحت التحقيق دون مبرر مكبلين بالحديد بين طنطا وكفر الشيخ . وماذا كانت النتيجة بعد ذلك ؟ .. أفرجت عنهم النيابة بلا ضمان – فهل هذه احدى الحجج التى يريد سعادة وكيل الداخلية ادانة الاخوان بها ووصفهم بالاجرام ؟

خطابات التهديد :

ثالث عشر – وخطابات التهديد التى ذكرها سعادة الوكيل تحدث فيها سعادته مع الاستاذ صالح عشماوى فرد عليه مدير الجريدة رسميا بخطاب مسجل نفى فيه بشدة هذا الاتهام ، ورجاه أن يقف موقفا حازما من هذه الشركات التى تتهم المصريين بالباطل . وانا لنرجو أن يتفضل سعادته ببيان مقدار هذه الاموال التى امتصها الاخوان بالفعل . وسعادته يعلم تمام العلم أن الاخوان ليسوا هم الذين يحسنون امتصاص أموال الشركات أو غير الشركات .

اثارة الشعب

وقد انتقل سعادته بعد ذلك الى اتهام الهيئة باثارة الشعب فى معاهد التعليم . وهى تهمة باطلة ، يشهدببطلانها الاساتذة أولا ورجال الامن بعد بعد ذلك لو خلوا الى أنفسهم واستنطقوا ضمائرهم غير متاثرين باتجاة

خاص • ولقد كان كثير من الناس يعيبون على طلبة الاخوان الاغراق فى الهدوء والمبالغة فى الانصراف الى الدرس ، فيجيبون بأن واجبهم الاول أن يكونوا طلابا • ولقد تخرج فى ظل الدعوة مئات الطلاب من مختلف المعاهد فكانوا من أوائل الناجحين فى شهاداتهم ، وكانوا من أفاضل الموظفين فى اعمالهم •

الحوادث لا تنتج ما اريد بها

والحوادث التى ذكرها سعادة الوكيل لا تنتج ابدا ما يريد، ولا تسأل عنها هيئة الاخوان المسلمين • فقد كان ولا يزال معلوما ان عنصرا جديدا طرا على المدارس والمعاهد بعد الحرب الماضية كان له أثر عميق فى توسيع هوة الخلاف وتعميقها بين الطلاب ، واستغلال التعصب للحزبية السياسية أسوأ استغلال ، ودفع المواقف الى العنف والاحتكاك • والله يشهد والمنصفون ان طلاب هيئة الاخوان المسلمين كانوا أكبر ملطف لحدة هذه الظاهرة وأول الناهضين والواقفين فى وجهها ـ وفى كل هذه الحوادث كان أعضاء هيئة الاخوان المسلمين فى موقف المدافع دائما ، وما زالت جميعا تحت التحقيق •• ومن الثابت أن الطالب الذى استشهد فى مدرسة شبين الكوم هو أحد طلاب الاخوان المسلمين • وقد أغفلت المذكرة عمدا هذه النقطة لتظهر الاخوان بمظهر المعتدى مع أنهم هم المعتدى عليهم •

وعرضت بعد ذلك الى حادث الخازندار بك • وكل ذنب الاخوان فيه أن أحد المتهمين شاع أنه سكرتير خاص للمرشد العام ، مع أن هذه الصلة لم تثبت فى التحقيق ، وان أصرت المذكرة على وصفها بالثبوت مع أنه على فرض ثبوتها لا يمكن أن تتخذ سببا لادانة هيئة الاخوان المسلمين •

تبعة حوادث ٤ ، ٦ ديسمبر

وقد حمل سعادة الوكيل فى مذكرته الاخوان المسلمين تبعة حوادث ٤ ديسمبر ١٩٤٨ فى الجامعة وكلية الطب وحوادث ٦ ديسمبر ١٩٤٨ بالمدرسة الخديوية • مع أن المعروف أن هذه الحوادث بدأت بمظاهرة سلمية بمناسبة موقف حاكم السودان العام من مصر والمصريين وبعثة المحامين ، ثم تطورت بعد الاحتكاك برجال البوليس الى تلك النتائج المؤسفة حقا •• ولم يكن دور الاخوان فيها أظهر من دور غيرهم من الطلاب • والمقبوض عليهم الآن معظمهم من غير الاخوان ، ولم يعلن بعد قرار الاتهام ، ولم يثبت أن لهيئة الاخوان يدا فى التحريض على هذا الذى حدث ـ فتحميل الاخوان هذه التبعة سبق لكلمة القضاء •

حادث سيارة الجيب

أما حادث سيارة الجيب فقد ضبط فيه عدد كبير من مختلف الهيئات ٠ وما زال التحقيق يدور فى تكتم شديد ٠ ويقول وكيل الداخلية « ان ملابسات هذا الحادث كشفت عن أن جماعة من الاخوان المسلمين يكونون عصابة اجرامية ٠٠٠ الخ » ومقتضى هذا القول لو أن الامور تسير فى حدودها الطبيعية أن تنتظر الحكومة نتيجة التحقيق فاذا ثبت على هؤلاء المقبوض عليهم أخذوا بجرمهم ٠ ومن غير المعقول أن تؤخذ الهيئة بتصرفات بعض أعضائها ٠٠٠ وتقول المذكرة نفسها انهم كونوا من أنفسهم عصابة أخرى تتنافى أغراضها ووسائلها مع أغراض الجماعة ووسائلها القانونية السليمة ٠

* * *

ومن هذه المناقشة الهادئة يتضح لكل منصف أن جميع هذه الحوادث العادية الفردية لا يمكن أن تلون دعوة الاخوان المسلمين بهذا اللون ، وقد مكثت عشرين عاما صافية نقية ٠ أو تنهض دليلا على أنهم عدلوا عن وسائلهم القانونية الى وسيلة اجرامية ٠ وبالتالى لا يمكن أن تكون بمفرداتها أو بمجموعها - وقد حشدتها المذكرة هذا الحشد المقصود - سببا فى هدم بناء اصلاحى ضخم جنت منه مصر والبلاد العربية والاسلامية أبرك الثمرات ٠ بل ان الدليل القاطع الدامغ ينادى ببراءة الاخوان من هذا الاتهام ، فهذه دورهم وشعبهم وأوراقهم وسجلاتهم ومنشآتهم قد وضعت كلها تحت يد البوليس فى جميع أنحاء المملكة المصرية فلم يعثر فى شىء منها على ورقة واحدة تصلح أن تكون دليلا أو شبه دليل على هذا الانحراف المزعوم - بل لم تجد الحكومة أمامها الا المدارس تقدمها للمعارف ، والمشافى والمستوصفات تقدمها لوزارة الصحة ، والمصانع والمعامل تقدمها لوزارة التجارة والصناعة٠٠ وكفى بهذا شرفا واشادة بجهود الاخوان الاصلاحية النافعة لهذا الوطن العزيز ٠

وبعد ٠٠٠ فمن تمام الفائدة بعد هذه المناقشة الهادئة أن نتناول بعض هذه النقاط التكميلية بشىء من البيان والتوضيح ٠

بين الدين والسياسة

اشارت مذكرة وكيل الداخلية الى ان الاخوان اتخذوا من الدين وسيلة لخوض غمار السياسة ، وانهم ارادوا بذلك الوصول الى الحكم وقلب النظم المقررة فى البلاد - وكل من اتصل بالاخوان ودرس نظمهم يعلم تمام العلم بطلان هذا الاتهام ٠ وكل ما هناك أن الاخوان كهيئة اسلامية جامعة مزجت

الوطنية بروح الدين ، واستمدت من روح الدين أسمى معانى الوطنية . ولم تبتدع ذلك ابتداعا ، ولم تخترعه اختراعا ؛ وانما هى طبيعة الاسلام الحنيف الذى جاء للناس دينا ودولة . وكل مواقف الاخوان فى ميدان السياسة مواقف وطنية خالصة بريئة كل البراءة عن حب الدنيا أو الرغبة فى الوصـول الى الحكم أو الغنيمة ـ تهدف الى اصلاح النظم المقررة فى البلاد حتى تتفق مع دينها وعقيدتها ونص دستورها الذى ينادى بأن دينها الرسمى هو الاسلام .

الاوراق ليست حجـة

وليست الاوراق التى توجد بأيدى الافراد وفى حيازتهم حجة على هيئة عاشت تعمل وتجاهد فى حدود ظاهرة عشرين عاما كاملة . ولكن الحجة هى قوانين هذه الهيئة ولوائحها ونشراتها التى اعتمدتها جهات الاختصاص .. ومنذ صدور القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ الخـاص بتنظيم جماعات البر والاعمال الخيرية حدد الاخوان نواحى نشـاطهم تحـديدا واضـحا دقيقا ، وفصلوا بين العمل للبر والخدمة الاجتماعية وبين العمـل للوطنية ونشر الدعوة الاسلامية . ووضعوا لكلتا الناحيتين نظاما دقيقا ولوائح مفصلة اعتمدتها وزارة الشئون الاجتماعية ، وفيها بيان غايتهم ووسيلتهم كاملة ـ وساروا فى حدود هذه الاوضاع يلتزمونها بكل دقة الى الآن ، وليس من هذه الوسائل الجريمة ولا الارهاب كما تريد المذكرة أن تقول .

الاخـــوان وفلســطين

ولعل الذى يسر للحكومة سبيل هذا الاتهام وسهله عليها وأوجد بين يديها بعض الشبهات ـ لا الادلة ـ عليه ، هو عمل الاخوان وجهادهم فى سبيل فلسطين ، وان كان هـذا العمل من أنصـع الصفحات وأمجـدها فى تاريـخ دعوتهم ـ فقد احتاجت فلسطين الشقيقة الى السلاح قبل التقسيم بأشهر ، ونشطت فى جمعه بعض الهيئات ، وأذنت الجهات المختصة من طرف خفى بهذا الجمع ، وشجعت الاخوان على التعاون مـع تلك الهيئات باعتبارهم أقـدر الناس على بذل هذه المعونة لانتشار شعبهم وامتداد دعوتهم الى كل مـكان فابلى الاخوان فى ذلك أحسن البلاء وكانوا عند حسن الظن .

جهـــاد الاخـــوان

واعلن التقسيم ونشبت الثورة فى فلسطين ، وانتحم العرب واليهود ومعارك شعبية ، وللاخوان فى فلســطين اكثر من عشـرين شعبة فى الشمال والوسط والجنوب . وتدفق سـيل الاهلين من الفلسـطينيين يريدون شراء الاسلحة من مصر ، وفتحت الحكومة المصرية لهم الباب . وعقدت الجامعة

العربية عدة اجتماعات ، وألفت لجنة لمساعدة هؤلاء الاهلين حتى يحصلوا على ما يريدون . وقبل الاخوان رسميا فى هـذه اللجنة وتطوع بعض شبابهم لهذه الغاية ، وتركوا مصالحهم وراءهم ظهريا ، وبذلوا فى ذلك غاية المجهود، وقدموا كل ما يستطيعون ، واحتملوا كثيرا من التضحيات المـالية فى هذه السبيل ، وبخاصة بعد أن عـدلت الحكومة عن خطتها وصـادرت كثيرا من المشتريات التى اشتريت لاهل فلسطين بمعرفتهم أو عن طريق الاخوان ... وكان جزاء هؤلاء الاخوان أخيرا السجن وسوء الحساب .. وأقرت الجامعة العربية فكرة التطوع ، فتقدم اليها الآلاف من شباب الاخوان يريدون الموت فى سبيل الله . وظلت الجامعة والحكومة مترددتين بين الاقدام والاحجام . والحماسة تشتد ، والنفوس تغلى . مما دعا المركز العام الى أن يبعث بمائة الى معسكر قطنة بسورية ، وعم كل ما استطاع أن يقنع المسئولين هناك بقبوله . ولكن ذلك لم يشف غلة الاخوان فاستأذنوا فى اقامة معسكر خاص بهم بالقرب من العريش ، يمارسون فيه التدريب استعدادا لدخول فلسطين، واذن لهم بذلك . وأقاموا معسـكرا كبيرا لعدد منهم يزيد على المـائتين . يمدهم فيه المركز العام بكل ما يحتاجون من أدوات وتموين وسـلاح وعتاد باذن الحكومة وعلمها ، حتى تم تدريبهم ، ودخلوا فلسطين فى مارس ١٩٤٨ أى قبل دخول القوات النظامية بأكثر من شهرين . واحتلوا هناك معسكرا النصيرات جنوبى غزة .. وكان لوجودهم هناك أحسن الاثر فى رد عـدوان اليهود وطمأنينة السكان .

وتحركت الحكومة وهيئة وادى النيل العليا لانقاذ فلسطين ، وأعدت معسكر هاكستيب لتدريب المتطوعين . تقدم اليه أكثر من ألف أخ ، انتخب منهم أكثر من ستمائة على دفعات . جهزتهم الحكومة ودخلوا مـع القوات النظامية . ووزعوا على مختلف الجهات . وظفروا بحمد الله بتقدير كل من عرفهم أو اتصـل بهم أو رأى حسن بلائهم واخـلاص جهادهم ، فقـد رابط الاخوان فى « صور باهر » وفى « بيت لحم » وعلى مشارف القدس » واقتحموا « رامات راحيل » فى جبهة الوسط ، واحتلوا معسـكر النصيرات ومعسـكر البريج ، ونسفوا مستعمـرة « ديروم » ، واشـتركوا فى معارك عسـلوج ، وحاصروا « السنة » وبيروت اسحق » ، وترددت نقطهم الثابتة والمتحركة فى كل مكان فى جبهة الجنوب ، واستشهد منهم قرابة المـائة وجرح نحو ذلك، وأسر بعضهم .. وكانوا مثال البسالة والبطولة والعفة والشرف والنزاهة وحب الاستشهاد .... فكان طبيعيا ان تحصل الحكومة على بعض عتاد لم ينقل ، وأن تجد فى بعض الاماكن بقايا من هذه المخلفات .. ولكن ليس معنى ذلك أبدا أن الاخوان المسلمين المؤمنين المجـاهدين المحسنين قـد أصبحوا

خطرا يهدد سلامة الاهلين فى الداخل وهم دعامتهم ، وسلامة الجيوش فى فى الخارج وهم زملاؤهم ·

الدوافع الحقيقية فى موقف الحكومة

مستحيل أن يكون الدافع الحقيقى لهذه الخطوة الجريئة من الحكومة مجرد الاشتباه فى مقاصد الاخوان أو اعتبارهم مصدر تهديد للامن والسلام ـ وهو مالم يقم عليه دليل ولا برهان ـ ولكن الدافع الحقيقى فيما نظن هو انتهاز الأجانب فرصة وقوع بعض الحوادث ، مع اضطرابات السياسة الدولية ، وقلق الموقف فى فلسطين ، وتردد سياسة مصر بين الاقدام والاحجام ـ فشددوا الضغط على الحكومة · وقد صرح بذلك عمار بك نفسه ، وأقر بأن سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا قد اجتمعوا فى فايد وكتبوا لدولة النقراشى باشا فى صراحة بأنه لابد من حل الاخوان المسلمين··وكان فى وسع دولته أن يزجرهم عن مثل هذا التدخل فى شأن داخلى بحت ، وأن ينظرهم حتى تظهر نتيجة التحقيقات ، وأن يتعاون مع المسئولين فى الاخوان على ازالة هذا الوهم من أنفسهم ·· ولكنه بدلا من ذلك استجاب لهذه الرغبة الاجنبية ، وأصدر قرار الحل فأشمت الاعداء وأحزن المؤمنين الاتقياء ·

وهكذا يقيم الشواهد كل يوم على أن مصر للاجانب قبل ان يكون لاهلها منها نصيب ، وأن خلاصة شعبها لا مانع من أن تقدم حرياتها قربانا لارضاء السفراء ورعايا الدول التى طالما ناصبتنا العداء ، وانزلت بنا البلاء، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ·

ويكون لما يشاع عن قرب الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية أصل فى هذه الخطوة أيضا · كما قد يكون للموقف الحزبى والتأهب للانتخابات القادمة دخل كذلك · ولا يعلم بالحقيقة غير الله · ولله عاقبة الامور ·

التعسف فى التنفيذ

ولقد كان الامر العسكرى غريبا فى نفسه وفى طريقة تنفيذه · فلا يمكن أن يقول انسان ان حل هيئة من الهيئات يستلزم اتهام كل ما يتصل بها أو حمل اسمها بالجرم والعدوان ومصادرته فى حريته وماله وعمله ومهاجمته فى كل مكان ·· ولئن جاز فى عرف الاحكام العسكرية أن تحل الهيئات فما بال الشركات التى لا صلة بينها وبينها الا مجرد الاسم مع تمام الفصل فى كل الاعمال ونواحى النشاط ·

شركات لا صلة لها بالهيئة

ان شركة المناجم والمحاجر العربية ، وشركة الاعلانات العربية ، وشركة الاخوان للنسيج ، وشركة دار الاخوان للصحافة ، وشركة دار الاخوان للطباعة ، وشركة مدارس الاخوان بالاسكندرية ... كلها شركات لا صلة لها بالهيئة . جمعت رءوس أموالها من أفراد بصفتهم الشخصية .. وكيف يصح فى ذهن أحد أن تصادر أموالها لا لشىء الا أنها تحمل اسم الاخوان .

وهذه العشرات من الاخوان من كرام الشباب .. لماذا يعتقلون بغير جريرة ولا سبب ، وتمنع عنهم أدواتهم الضرورية ، ويلقى بكثير منهم فى سجون الاقسام مع المجرمين أمثال « صبيحة وعنتر والششتاوى » وغيرهم من أرباب السوابق ومعتادى الاجرام ، ويتركون فريسة للبرد والجوع ولا يسمح بأن يقدم لهم الغذاء والغطاء .

والصحف أيضا

وهذه الصحف الشخصية التى ليس لها صلة بالهيئة ، ولا تدعو لفكرتها من قريب أو بعيد ، لماذا تصادر ويصادر أصحابها وعمالها فى أعمالهم وموارد رزقهم .

ولقد ضربت الرقابة الشديدة حول مسكن المرشد العام ، وأحيط بسياج من البوليس الملكى مزودين بموتوسيكل حتى اذا دخل داخل أو خرج خارج ادركوه فقبضوا عليه كائنا من كان ، وذهبوا به الى أحد الاقسام ، حيث يقضى ليلة أو ليلتين أو ما شاء له حضرات الضباط ، ثم يعمل له بعد ذلك تشبيه وتحر ويطلق سراحه أو يظل معتقلا الى ما شاء الله .

اسلوب الحرب

هذا الاسلوب من الحرب والتعسف لم تسلكه الحكومة مع الصهيونيين ولا مع أشد الاعداء عداوة للوطن والحرب على أشدها ، ولم يعمد اليه الانجليز ابان الحرب الماضية . ولكن لجأت اليه الحكومة مع الاخوان المسلمين فى هذا الوقت .

حكم هذا الحل فى فعله وآثاره

ان هذا القرار فيما نعلم باطل شكلا لانه ليست هناك جماعة الاخوان المسلمين وانما هناك جماعات اسمها أقسام البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين وهناك هيئة الاخوان المسلمين العامة .

وباطل موضوعا لانه تجاوز لحقوق الحاكم العسكرى الممنوحة له فى مرسوم الاحكام العرفية ، ومناف لروح الغاية التى فرضت من أجلها هذه الاحكام • ومحال أن تطبق الاحكام التى فرضت للصهيونيين على خصوم الصهيونية الالداء •

الحل أوقف نهضة كبرى

لقد أوقف هذا الحل نهضة اجتماعية كبرى تهيأ لها شعب هذا الجيل من أبناء الوطن وأفضل العقائد وترك فى النفوس أعمق الآثار •

وسيقول التاريخ كلمته ، ويظهر المستقبل القريب آيته ، ولن تستطيع القوة أن تمحو عقيدة أو تبدل فكرة « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » « والعاقبة للمتقين » • (انتهت بذلك مذكرة المرشد العام) (١) •

ثالثا ـ تفنيد فى صدد الاغتيالات :

لم ييأس الاستاذ المرشد ـ مع تفاقم الاحداث ـ فلم يقطع صلته برجال الحكومة ، آملا أن يفيئوا الي رشدهم ، ويرجعوا الى جادة الصواب ، ويتركوا له فرصة الاتصال برجال الاخوان ليعمل على تهدئة خواطر هذا الشباب الذى أثاروه باجراءاتهم الشاذة فوجد الشباب نفسه بغير قيادة فانطلق لا يلوى على شىء •••

وهنا وجد الاستاذ من وزراء الحكومة من يحضر الى دار الشبان المسلمين لمقابلته والتفاهم معه أو قل من يتظاهر بأنه جاء من قبل رئيس الوزراء للتفاهم معه ••• وتمخضت الاجتماعات بينه وبينهم عن أن يجاب لطلبه فى الافراج عن أعضاء مكتب الارشاد ليستطيع معهم تهدئة الامور اذا هو أصدر بيانا يستنكر فيه اغتيال النقراشى باشا •

وأصدر الاستاذ المرشد البيان ، ونشر فى الصحف تحت عنوان « **بيان للناس** » وان كان ممثلو الحكومة قد ألزموه باثبات عبارات معينة فى البيان لم يكن هو راضيا عنها • ولكنه ـ أملا فى تدارك الموقف المتفاقم ـ اجازها كارها ••• واليك هذا البيان الذى نشر فى ١١ـ١ـ١٩٤٩ :

ملحوظة : الجناية رقم ٨٨٣ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرك التى جاءت فى مذكرة وكيل الداخلية • وفى رد الاستاذ المرشد عليها فى البند « أولا » فى صفحة ٤٦ هى نفسها القضية العسكرية العليا التى تناولناها فى الجزء الاول من هذا الكتاب فى الفصل الاول من الباب الثالث تحت عنوان « أول محاكمة فى تاريخ الدعوة ـ اتهام بقلب نظام الحكم » •

« كان هدف دعوتنا حين نشأت (العمل لخير الطن واعزاز الدين ومقاومة دعوات الالحاد والاباحية والخروج على احكام الاسلام وفضائله) تلك الدعوات التى دوى بوقها ، وراجت سوقها فى تلك الايام ٠ واذ كان ذلك كذلك ، فما كانت الجريمة ولا الارهاب ولا العنف من وسائلها ، لانها تأخذ عن الاسلام ، وتنهج منهجه ، وتلتزم حدوده ٠ ووسيلة الاسلام فى الدعوة مسجلة فى كتاب الله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ـ والقرآن الكريم هو الكتاب الذى رفع من قدر الفكر ، واعلى من قيمة العقل ، وجعله مناط التكليف ، وفرض احترام الدليل والبرهان ، وحرم الاعتداء حتى فى القتال فقال (ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) ٠

والاسلام الحنيف هو دين السلام الشامل ، والطمأنينة الصافية ، والمثل الانسانية الرفيعة ٠ ومن واجب كل مسلم ينتسب اليه أن يكون مظهرا لهذه الحقيقة التى صورها النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) ٠

ولقد حدث أن وقعت أحداث نسبت الى بعض من دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا روحها أو يلتزموا نهجها ، مما ألقى عليها ظلا من الشبهة فصدر أمر عسكرى بحلها ، وتلا ذلك هذا الحادث المروع حادث اغتيال دولة رئيس الحكومة المصرية محمود فهمى النقراشى باشا الذى أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقده علما من أعلام نهضتها وقائدا من قادة حركتها ومثلا طيبا للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل أبنائها ، ولسنا أقل من غيرنا أسفا من أجله ، وتقديرا لجهاده وخلقه ٠

ولما كانت طبيعة دعوة الاسلام تتنافى مع العنف بل تنكره ، وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها ، وتسخط على من يرتكبها ، فنحن نبرأ الى الله من الجرائم ومرتكبيها ٠٠٠ ولما كانت بلادنا تجتاز الان مرحلة من أدق مراحل حياتها ، مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار ـ وكان جلالة الملك المعظم حفظه الله قد تفضل فوجه الحكومة القائمة ـ وفيها هذه الخلاصة من رجالات مصر ـ هذه الوجهة الصالحة ، وجهة العمل على جمع كلمة الامة وضم صفوفها ، وتوجيه جهودها وكفاياتها مجتمعة لا موزعة الى ما فيه خيرها وصلاح أمرها فى الداخل والخارج ٠ وقد أخذت الحكومة من أول لحظة تعمل على تحقيق هذا التوجيه الكريم فى اخلاص ودأب وصدق ٠ وكل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد ، ونستنفد كل وسع فى أن نعين

الحكومة فى مهمتها ، ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها والنهوض بعبئها الثقيل ، ولا يتسنى لها ذلك بحق الا اذا وثقت تماما من استتباب الامن واستقرار النظام ـ والعمل على استتباب الامن واستقرار النظام واجب كل مواطن فى الظروف العادية فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التى لا يستفيد فيها من بلبلة الخواطر وتصادم القوى وتشعب الجهود الا خصوم الوطن وأعداء نهضته ٠

٠٠٠لهذا أناشد اخوانى لله والمصلحة العامة أن يكون كل منهم عونا على تحقيق هذا المعنى ، وأن ينصرفوا الى اعمالهم ، ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الامن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله والوطن عنهم ٠ والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم ويكلأه بعين رعايته ويسدد خطى البلاد حكومة وشعبا فى عهده الموفق الى ما فيه الخير والفلاح آمين ٠ »

هذا هو البيان ٠٠٠ والهيئة التى ينشر قائدها هذا البيان ويوضح فيه أهداف دعوته ٠ وكلها أهداف اصلاحية نبيلة . ويصرح فيه بموقفها من الجريمة بوجه عام ومن اغتيال النقراشى لا شك فى أنها ليست الهيئة التى تلصق الحكومة بها الاتهامات التى كالتها بدون حساب ٠٠٠ فكان هذا البيان فى حد ذاته تفنيدا آخر لما ادعته الحكومة على الاخوان وأصدرت أمر الحل بناء عليه ٠٠

على أن الظروف التى أحاطت بصدور هذا البيان كانت ظروفا بالغة الحرج والخطورة ، وسنرجىء تناولها الى باب قادم ان شاء الله ٠

الخطة الأخيرة للإبادة

جريمة القرن العشرين

إغتيال المرشد العام

- التمهيد للجـريمـة
- التــدبير الاثيم
- شخصيات ومواقف كشفت عنها المحنة القاسية
- لوذات سـوار لطمتني ؟ مـن هم المسـعديون ؟
- هذه القضية ـ تطورها الاجرائي أمام القضاء ـ

مقـــــدمة

كانت اقامتى فى عام ١٩٤٨ فى مـدينة دمنهـور ، حيث نقلت اليهـا فى منتصف عام ١٩٤٧ • وكان مقر عملى فى أكبر محلـج للقطن فيها •• وكانت علاقات الاخوان مع حكومة السعديين برياسة النقراشى باشا فى خلال تلك الفترة لا تزداد كل يوم الا سوءا ، مع أننا كنا نحاول استرضاء هذه الحكومة – رغم أخطائها الجسيمة فى حق البلاد – من أجل قضية فلسطين التى طغت على جميع القضايا فى البلاد العربية والتى كانت تجتاز فى تلك الايام أحرج مواقفها •

وقد أتاح لى وجودى فى هذا المحلج فرصة التعرف على شخصية لم أكد أتعرف عليها حتى شعرت أنها تبادلنى حبا بحب وتقديرا بتقدير ، تلك هى شخصية الاستاذ (ع• عنان) مهندس ماكينات المحلج •

كان هـذا الرجـل يكبرنى سنا ، لكنه لم يكن منذ تعـرف على يأنس لانسان بالمحلج ولا بدمنهـور الا لى • وقـد صـارحنى بذلك •• وكان وقت فراغه كله يقضيه معى فى مكتبى بالمحلج •

ومع ما بينى وبين الاستاذ (ع) من توافق روحى من أول يوم ، فقد كنا على خلاف كبير فى وجهات النظـر الى كثير من المسـائل الجـوهرية فى الحياة السياسية لبلادنا • وكان الخلاف يشتد بيننا فى بعض الاحيان فى أوائل تعارفنا الى الحد الذى يخيل لمن يحضر نقاشنا أنه لابد أن يؤدى الى قطيعة ، غير أنه لم يوهن فى يوم من الايام من وشائج الود بيننا •

كان الاسـتاذ (ع) مـن الرجال الاتقيـاء الذين يعـتزون بكـرامتهم ولا يخافون فى الحق لومة لائم ، وكان على ذكاء وفطنة ، وعلى درجة واسعة من الثقافة العامة ، كما كان من أصل كريم من أسرة عنان وهى أسرة عريقة فى الدقهلية •• وكان ابراهيم عبد الهادى باشا يمت الى أسرتهم بصـلات نسب • ولذا فانه كان بحكم هذه الصلات سعديا • وكان مقتضى ذلك أن يكره ما سوى السعديين ، فيكره الوفـد ويمقت الاخـوان المسلمين •• ومـع أن الرجل قد عرف اننى من الاخوان المسلمين فانه كان يصارحنى برأيه هذا ، ويتعجب من أن يكون شاب مثلى من الاخوان المسلمين ••

وفى أثناء مناقشاتى معه تبين لى أن الرجل معذور فى كراهيته للاخوان المسلمين ، أولا لان الصورة التى وضع السعديون الاخوان فى اطارها صورة منفرة مخالفة للحقيقة والواقع ، ثم ان الظروف لم تسعف الرجـل من قبـل

بالتعرف على اشخاص من الاخوان يمثلون الدعوة الاسلامية فى اخلاقهم وتصرفاتهم وتعاملهم مع الناس ··· وكان الرجل مقتنعا بى كل الاقتناع ـ وأول شرط لنجاح الداعية الى اية فكرة أن يقتنع به من يخاطبه ـ ولذا فقد سهل على بعد عدة جلسات معه أن اصحح له صورة الاخوان بوضعها فى اطارها الصحيح ··· وكان قد أظلتنا الايام التى بلغ فيها التوتر بيننا وبين السعديين أشده ·· وكان الرجل على اتصال بأهله وذويه ومنهم ابراهيم عبد الهادى وأسرته ·

وأسر الى الرجل بأنه قد اقتنع بالاخوان المسلمين الا أنه يرى أن لا يجهر بذلك ، وأن يظل على ولائه للسعديين ، لانه علم أن أحداثا جساما على وشك الوقوع فى البلاد ، وأنه يريد أن يقف بجانبى فى خلالها ليدفع عنى ما يستطيع دفعه من شرورها ·· وكنت أعترض أن أكون بمنجى مما يتعرض له اخوانى ، فكان يقول لى : « اننى أعلم أنك لا تبالى فى سبيل دعوتك عذابا ولا تنكيلا ، لكنك بوصفك صديقا حللت فى قلبى محل الابناء أو الاخ الصغير، وأعلم فى نفس الوقت أنك على الحق وأن أعداءكم على الباطل ، فاننى أرى نفسى ملزما ـ رضيت أم كرهت ـ أن أؤدى واجبى نحوك ، وأن أخفف من المصائب القادمة ما أستطيع ·· ثم قال : ليتنى أستطيع دفع الويلات عن الاخوان جميعا ، اذن والله لفعلت ولكنه جهد المقل ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » ·

وتحقق الذى أسره الى ، فصدر أمر الحل ، وتبعه ما اشرت اليه من اعتقال الاخوان ، وعجبت أن أترك دون اعتقال ·· ولاحظت منذ اليوم الذى صدر فيه أمر الحل أن الاستاذ (ع) يلازمنى طول اليوم لا يكاد يفارقنى ، ولا يدعنى أبارح المحلج الى بيتى دون أن يرافقنى حتى أدخل باب البيت ·· وكنت أثور عليه فى بعض الاحيان فكان يقول لى : يا فلان أليس ايمانك بدعوتك كما هو لم يمس ؟ وما فائدة أن تعتقل اذا كان يمكنك أن لا تعتقل دون أن يمس ايمانك ودون أن يتعرض لك السفهاء بما تكره ؟ أليس النبى صلى الله عليه وسلم يقول « سلوا الله العافية » ؟

الفصـــل الاول

التمهيد للجريمة

ظهر للمحللين فيما بعد ان الاصابع الخفية التى نسجت خيوط المؤامرة العالمية للقضاء على الدعوة الاسلامية فى هذا القرن ، كانت قد نسجت هـذه الخيوط على ان يكون الخيط الحابك لها جميعا هـو اغتيال المرشـد العـام مؤسس الدعوة وقائدها وروحها ، والرجل الذى أعياهم الاقتحام اليه بـكل ما يملكون من وسائل الترغيب والترهيب ، والجدار الشاهق الصلب المتين الذى تستند اليه هذه الدعوة ·· فاذا امكن نسفه انهارت بانهيار الدعوة بين عشية وضحاها ·

ولقد عبر عن هذا المعنى الذى سيطر على أفكارهم الضابط محمد الجزار حين قال لاحد الاخوان المتهمين فى احدى القضـايا التى لفقوها : لقـد كنتم تستندون على وجود الجماعة وعلى وجود المرشد ، فالجماعة حللناها والمرشد قتلناه فأى سند لكم بعد ذلك ؟

وسأحاول ان شاء الله فى هذا الفصـل ابراز صـورة واضحة المعـالم للتخطيط الذى وضعه المتآمرون لاتمام هذه الجـريمة التـاريخية النكراء فى الخطوط العريضة التالية :

الخط الاول للتمهيد ـ حل الاخوان المسلمين :

ويندرج تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ ـ عدم الوقوف فى وجه العمل الفدائى للاخوان فى فلسطين ، باعتقاد أن ذلك يستنزف قـوتهم ويعين على سهولة القبـض عليهم بعد ذلك دفعـة واحدة

٢ ـ عن طريق جمع السلاح للفدائيين وللمجاهدين الفلسطينيين يمكن ضبط مخازن هذا السلاح فى مصر ليكون هذا الضبط مبررا للقبض على البقية الباقية من الفدائيين من الاخوان الذين لم يتمكنوا من السفر الى فلسطين وتلفيق قضايا لهم بمحاولة قلب نظام الحكم ·

٣ ـ ادخال الجيوش العربية الى فلسطين لتتحطم روحها المعنوية من جهة ـ نظرا لضعف تسليحها وعدم تدريبها ـ ومن جهة أخرى ليكون دخول هذه الجيوش مبررا لاعلان الاحكام العرفية ·

٤ ـ اختيار النقراشى باشا لاصدار أمر الحل لما يعلمون من شدة حقده على الاخوان ولصفاته التى أشرنا اليها من قبل ، حتى ينطبع فى بنود هذا الامر آثار هذا الحقد من الشراسة والتحدى والاستفزاز ، مما يدفع شباب الاخوان الى القيام بأعمال انتقامية ٠

٥ ـ توريط النقراشى فى اصدار أمر الحل سيدعوه الى حماية نفسه باصدار أوامر أخرى باعتقالات يتسع نطاقها يوما بعد يوم حتى يكون الاخوان جميعا تحت يد الحكومة فى يوم قريب ٠

الخط الثانى ـ عدم اعتقال المرشد العام :

ويندرج تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ ـ اظهار الحكومة أمام الرأى العام بمظهر الاعتدال اذ هى فى استطاعتها اعتقاله ومع ذلك فانها تقديرا لشخصيته لا تعتقله ـ فى حين أن عدم اعتقاله لا يجعل الحكومة مسئولة عما قد يتعرض له من اعتداء أو اغتيال ٠

٢ ـ وجود المرشد العام حرا ـ فيما يبدو للناس ـ يجعله مصيدة لاصطياد من يتصل به من الاخوان الذين قد لا تكون أسماؤهم مدونة فى السجلات التى صادروها ٠

٣ ـ وجوده حرا دون اعتقال يجعله دائب البحث عن وسيلة للتفاهم مع الحكومة لايجاد مخرج من الازمة التى أوجدها أمر الحل ، مما يدعوه الى الاتصال برجال الحكومة ، وعن هذا الطريق يمكن ضبط تحركاته اذ تكون تحت عيونهم ٠

الخط الثالث ـ قطع الصلة بينه وبين الاخوان :

ويتدرج تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ ـ أن يفقد الاخوان لا سيما الشباب منهم قيادتهم ، فيندفعوا بحكم حماسهم وبتأثير أعمال الاستفزاز التى تقوم بها الحكومة ضدهم الى ارتكاب أخطاء وأعمال انتقامية تدينهم أمام الرأى العام ، وتزيد من تمكن الحكومة منهم وتشديد قبضتها عليهم ٠

٢ ـ كان فى ذهنهم احتمال كبير لقيام هذا الشباب باغتيال النقراشى باشا ، مما يزيد نار العداء تأججا بين السعديين ومن ورائهم الملك وبين الاخوان ، مما يدفع السعديين الى الانتقام ٠

الخط الرابع ـ تجريده من الحماية الشخصية :

ويدخل تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ ـ اعتقال أشقائه جميعا لا سيما عبد الباسط ضابط البوليس .

٢ ـ تجريده من مسدسه الخاص وسحب رخصته .

٣ ـ الاستيلاء على سيارته الخاصة حتى يحد ذلك من حركته ، فيضطر الى استخدام وسائل المواصلات العامة مما يسهل لهم أن يكون تحركه تحت أعينهم .

٤ ـ عدم السماح له بمغادرة القاهرة الى أى مكان آخر فى داخل البلاد أو خارجها .

الخط الخامس ـ اغلاق جميع الطرق أمامه :

ويدخل تحت هذا الخط العريض الخطوط التالية :

١ ـ حاولوا أولا سد جميع الطرق أمامه ، ولكنه سارع من اول لحظة وتدم طلبا للعضوية بجمعية الشبان المسلمين . فلما لم يفلحوا فى اغلاق هذا الطريق جعلوه هو الطريق الوحيد أمامه ، ورسموا خطة على هذا الاساس .

٢ ـ استغلوا هذا الطريق الوحيد فى ايهامه باستعدادهم للتفاهم معه .

٣ ـ اختارت الحكومة لتمثيل دور الوسطاء بينها وبينه شخصيات حكومية معروفة بالخداع والمداهنة والالتواء .

٤ ـ استطاعت هذه الشخصيات أن تحصل منه على البيان الذى أذيع بعد مقتل النقراشى باشا تحت عنوان « بيان للناس » الذى أشرنا اليه من قبل ، وقد تأتى الاشارة فيما بعد الى الطريقة التى أخذوه بها .

٥ ـ استطاعوا بأسلوب الخداع والغدر والالتواء أن يحددوا له موعدا للقاء بدار الشبان المسلمين فى ساعة محددة من مساء يوم معين لاتمام التفاهم على حل نهائى للازمة ، مما جعله يسارع متلهفا الى الحضور فى الميعاد حرصا على مصلحة دعوته .. وعلى أساس من هذا التحديد للمكان والزمان وضعوا خطة الاغتيال .

مزيد من الاضواء على هذه التمهيدات

أولا ـ المرشد يطلب من الحكومة أن تعتقله :

ان الاستاذ المرشد حين وجد أن الاخوان معتقلون دونه ، شعر بأن هذا

الوضع مقدمة لمؤامرة تستهدفه شخصيا ، فطلب من الحكومة وألح فى طلبه اما أن تعتقله مع اخوانه واما أن تفرج عنهم ·· ولكن الحكومة أصرت على هذا الوضع الغريب ، فطلب منها أن تفرج عن أعضاء مكتب الارشاد وهم اثنا عشر شخصا لتتاح له الفرصة معهم فى العمل على تهدئة الخواطر حتى لا تتفاقم الامور ·· ولكن الحكومة أصرت على الوضع نفسه ·

ثانيا : الشعب كله داخله شعور بالارتياب :

ازداد ارتياب المرشد العام فى نية الحكومة من تركه دون اعتقال حيث سحبت منه سلاحه المرخص وسحبت رخصته ، واعتقلت شقيقه عبد الباسط فى الوقت الذى طوقت بيته بنطاق من البوليس الملكى ·· وقد شكا ذلك صراحة فى مذكرته التى رد بها على مذكرة عمار بك وكيل الداخلية ·· ويبدو أن شعور الارتياب هذا لم يداخل المرشد العام وحده بل داخل الشعب كله · لان الاجراءات غريبة كل الغرابة ولا تحتمل الا الارتياب ·· وقد يبدو هذا الارتياب فى اوضح صورة فى نقاش دار بين الدكتور عزيز فهمى المحامى وبين المرشد العام · وقد أوردت هذه الواقعة جريدة المصرى فى ٤ـ٥ـ١٩٥٢ تحت عنوان « بين الشهيدين حسن البنا وعزيز فهمى » قالت الجريدة :

« روى أمس بعض الذين قدموا للعزاء بدار عبد السلام فهمى باشا (والد الدكتور عزيز) القصة التالية وقد وقعت بين المرحومين الشيخ حسن البنا والدكتور عزيز فهمى · وتتلخص فى أن المغفور له الشيخ حسن البنا كان قد وكل المغفور له الدكتور عزيز فهمى فى قضايا الاخوان بعد حلها ·

وكان الشيخ حسن البنا فى مكتب الدكتور عزيز قبل اغتياله بيومين لمراجعات خاصة بالقضايا · وسأل الدكتور عزيز الشيخ حسن البنا : هل معك سلاح ؟

فرد رحمه الله بقوله : السلاح أخذوه ، والاخ سجنوه

فسأله الدكتور عزيز : وبماذا تدافع عن نفسك ؟

فقال رحمه الله :

أى يومى من الموت أفر   يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه   ومن المقدور لا ينجو الحذر

ثم قال رحمه الله للدكتور عزيز : انى اخشى عليك أن تموت صغيرا فعقلك اكبر من سنك بمراحل · ثم كان أن اغتيل الشيخ حسن البنا بعد يومين من هذه المقابلة ، وتوفى الدكتور عزيز بعد ثلاثةاعوام رحمهما الله ·

ثالثا ــ اللواء صالح حرب باشا يكشف عن خبث نيات الحكومة

كاد ارتياب المرشد العام فى نية الحكومة نحوه أن يكون يقينا ، فطلب من الحكومة السماح له بمغادرة القاهرة الى أى مكان اخر ، فلم تحر الحكومة على هذا الطلب جوابا ٠٠ واترك القاء الضوء على هذا الخط أو على هــذه الخطة الاثيمة من المؤامرة الدنيئة للرجل الذى كان ملابسا لظروفها ، ومحيطا بأبعادها ، والذى سجل له التاريخ موقف رجولة نادرة ، وبطولة انعدم مثلها فى تلك الايام المدلهمة ، ذلك هو اللواء صالح حرب باشا رئيس جمعيةالشبان المسلمين فى ذلك الوقت ٠ ونقتطف باقة من خطاب ألقاه فى عيد الجهاد الموافق ١٥ــ١١ــ١٩٤٩ حيث قال :

«فى مثل هذا اليوم من العام الماضى ، وقفت موقفى هذا أنعى فيه على الحكومة القائمة يومذاك موقفها السلبى من قضية البلاد وأهدافها الوطنية ، متسترة خلف ما أسمته تجاهل وجود الغاصبين ــ وما كان أسعد الغاصبين بهذا التجاهل ٠٠ وهل اذا سئلوا أن يتمنوا فهل كانوا يتمنون أكثر من ذلك التجاهل الذى ترجمته الواقعية هى التسليم لهم بلا قيد ولا شرط فى حقــوق البلاد ، وكانت نتيجته ما وصلت اليه الحالة اليوم فى السودان وبقاء جيش الاحتلال فى أرض الوطن ، ثم قتل الروح الوطنية ، وتعويد الشــعب على أن ينسى قضاياه القومية ، وصرفه عنها بشتى الوسائل ، وكان أفتكها سلاحا سيف الاحكام العرفية المصلت على الرقاب ، والارهاب الحكومى الذى صير كل مصرى مشغولا بنفسه ، لا يدرى ما مصيره ولا ما يأتى به الغد ٠ فعشش الخوف فى النفوس وأفرخ ٠٠ وفى غمرة هذه الاحداث وصــل الغاصبون الى غاياتهم وهم فى أمن وسلام ٠

أما الامن والسلام فلا رعى الله أمنا يمشى فيه المصرى ولا يــدرى ان كان سيصبح فى بيته أو فى معتقل ، ويصبح فلا يدرى أن كان سيمسى بيــن اهله أو بين المجرمين فى سجن ٠٠ أما نزاهة الحكم فيــا لسخرية القــدر ٠٠ أين هى ؟ دلونا عليها يازعماء البلاد وساســة الحكم ، فــان لم تســتطيعوا فاسألوا عنها سمعة مصر فى بلاد العالمين ، وسلوا عنها كساد الحال وركــود الاعمال وارتفاع الاسعار ، واثراء ذوى النعمة وقد كانوا من المفلسين ٠

لقاؤه بالاستاذ البنا بعد قرار الحل :

ثم قال : وارى من واجبى فى هذه المناسبة أن أميط اللثام عن موقــف المغفور له الشهيد الشيخ حسن البنا بعد صدور الامر بحل الاخوان ٠ وقــد زرته فى منزله ، وكان المنزل مراقبا عقب حل الجماعة فقال لى : لقــد سعيت عقب الحل مباشرة للاتصال بالنقراشى باشا فتعذر ذلك بل استحال ،وكتبت له عندما أمعنوا فى القبض على كبار الرجــال فى الجماعــة أننى مســتعد أن

أتعاون مع الحكومة تعاونا صادقا لتهدئة الحال واقرار الامن والسلام ٠٠ فلم يعبأ بما كتبت له ٠ ولجأت الى بعض الوزراء أستعين بهم لديه ولم يتم شيء ٠ وسعيت هنا وهناك حتى كدت أنتعل الدم فلم يبال أحد بسعيي ورجائي ٠٠٠ ولست أدري لماذا يتركونني اليوم طليقا وقد اعتقلوا جميع أصحابي ماداموا لايرغبون في اشراكي معهم لتهدئة الخواطر بل ولايرغبون في الاتصال بي ٠٠ لماذا اذن لا يعتقلونني كما اعتقلوا غيري ٠ والاعتقال خير لي من الحال التي أصبحت فيها بين توجع النساء ، ولوعة الشيوخ ، وبكاء الاطفال ، واحتياجهم جميعا لمن يعولهم ومن يعينهم ٠ ومن أين لي وقد جمدوا ووضعوا يدهم على كل مايملك الاخوان ؟

ثم قال اللواء صالح حرب : وقد قلت له : ثق يافضيلة المرشد أن دار الشبان المسلمين دارك ، وهي مفتوحة لك دائما ٠٠٠ وتردد الشيخ على الدار ، فامتعضت الجهات الرسمية وخاطبوا الجمعية في ذلك فكان الجواب أن هذه الدار دار المسلمين جميعا ، لن يوصد بابها في وجه مسلم ، ومن باب أولى لايوصد في وجه الاستاذ الشيخ حسن البنا ، وستظل هذه الدار داره مادام راغبا في زيارتها ٠

أساليب ملتوية كشفت نية الحكومة

وأخيرا بدت من الحكومة رغبة في الاتصال به ٠ وطلبوا اليه أن يذيع بيانا يدعو فيه الى الهدوء والسكينة حتى تعود الطمأنينة الى النفوس ٠ فكتب بيانه وعرضه على المسئولين ٠ فطلبوا اليه أن يستنكر بصراحة الاعتداء على النقراشي باشا ففعل ٠٠ وظل البيان بين المحو والاثبات حتى اقروه ونشر تحت عنوان « بيان للناس » والشيخ في كل هذه الايام لايشغله شاغل غير الرغبة الصادقة في التعاون مع الحكومة على اقرار السلام ، ولا يشترط غير اطلاق سراح كبار الاخوان ليعاونوه ٠

وكم كانت دهشتي عندما قرأت في أثناء محاكمة قاتل النقراشي باشا أن هذا البيان كان وسيلة من الوسائل التي استعملت في زلزلة معنويات القاتل واضعاف عقيدته ٠٠ فقلت عفاء على أخلاق عظماء الرجال في مصر ٠

واطمأن الشيخ على أنه بعد هذا البيان سوف يتغير الموقف ، ويسود التفاهم ، وتتوالى الخطوات في سبيل تهدئة الخواطر واقرار السلام ٠ ولكن لسوء الطالع لم يمض يومان على صدور البيان حتى وقع حادث الشروع في نسف محكمة الاستئناف ٠ فجاءني الشيخ في حالة من الجزع والفزع لم يسبق أن رأيته عليها ، وقد عقد لسانه ، وجف ريقه ، وملكه الم كاد يفقده

صوابه ·· وأنا اقسم بعد أن شاهدت الشيخ المرشد على تلك الحال انـه مستحيل على مثله أن يدعو الى الاجرام أو يأمر به أو يشارك فيه · وظللت وقتا طويلا اهدئ من روعه حتى سكن قليلا واستطاع الكلام فقال : أرأيت هذا المفتون ماذا كان ينوى أن يفعل ؟ والله ماهذا الشقى مسلما ولا مـن الاخوان ·· ولما خوطب الشيخ من الجهات الرسمية فى هذا الحادث تبرأمن هذا الشاب واستنكر بكل شدة فعلته ، وأظهر استعداده لان ينشر بيانا آخر يذيع فيه أن هذا المفتون وأمثاله ليسوا مسلمين ·

بعد هذا الحادث ظهر أن نيات الجهات الرسمية من ابتدائها لم تكـن مخلصة فى مفاوضاتها مع الشيخ · وبدأ القلق يساوره فقلت له : من الخير أن تطلب من الحكومة الرحيـل من القاهـرة الى جهة نائية تقيم فيها حتى تنقشع غياهب الاحـداث ·

فقال : انى خيرت المسئولين فى واحدة من أربع : اما أن يطلقوا سراح كبار الاخوان لنعمل معا جادين مخلصين حسب توجيه الحكومة حتى تطمئن ويزول ما فى النفوس وتهدأ الخواطر — واما ان يختاروا قرية ألجأ اليها ولو كانت فى مكان قفر — واما أن يسمحوا لى بمغادرة القطر الى أى بلد عربى أو اسلامى — واما أن يعتقلونى كما اعتقلـوا أصـحابى — ولكنهم الى الان لم يستجيبوا الى واحدة من هذه الاربع ·

فتبينت العبث ظاهرا فى هذه المعاملة ، وطلبت من الشيخ بالحـاح أن يغادر القاهرة من تلقاء نفسه الى أى قرية بعيدة يختارها ، ويخطر الحكومة بانتقاله اليها — وقمت الى أسوان متألما من الموقف بعد أن وثقت من أن الشيخ سيغادر القاهرة غداة سـفرى الى قـرية بها شـيخ كبير السن من الاخوان يعيش بجواره ·· ولست أدرى ما الذى أخر سفره ؟ ، ومرت الايام وأنا باسوان حتى سمعت بمقتله ··· وأين ؟ على باب الشبان المسلمين التى قدم طلبا بالانضمام الى عضويتها ·· فياللخيانة ويا للغدر ·· مات الشيخ حسن البنا فمات بموته خلق كثير » ·

شهادة محافظ القاهرة تلقى أضواء أكثر :

ويحسن فى هذا المقام زيادة فى الايضاح بعد هذا البيان الجامع للواء صالح حرب أن نورد ما يتصل بهذا الموضوع من شهادة الاستاذ فؤاد شيرين محافظ القاهرة فى ذلك الوقت أمام مستشار التحقيقات محمد على جمال الدين فى ١٩٥٣/٣/١٨ حيث وجه المحقق اليه سؤالا على الوجه الآتى :

س : هل تقدم الشيخ حسن البنا لحضرتك بطلب التصريح له بالسفر للخـارج ؟

ج : أذكر جيدا أنه وصلنى جواب من المرحـوم حسن البنا يقول فيه انه يريد السفر الى بلدة بتاندة قليوبية للاقامة عند قريب له ٠ وحدث بعـد ذلك أن قابلت الاستاذ ابراهيم عبد الهادى رئيس الحكومة فى مكتبه ، ووجدت انه على علم بهذا الخطاب وقال لى : لا ترد عليه ٠ فقلت له : انه يطلب الرد ٠ فقال لى : أليس هناك أشخاص يكتبون اليك ولا ترد عليهم ؟ فقلت : نعم ٠ فقال : اذن افعل ذلك معه ٠

وانتهى الحديث عند هذا الحد ، وأظن أن حضرة ابراهيم عبد الهادى يذكر ذلك ٠٠ وبناء على ذلك لم أتصل بالشيخ حسن البنا ، ولم يتصل هو بى لانه قتلَ بعد فترة قصيرة ٠

س : ألم تفهم من حديث ابراهيم عبد الهادى ما هو السبب أو الداعى فى عدم الرد وعدم التصريح للشيخ البنا فى السفر والاقامة مع قريبه فى بنها؟

ج : لا ٠٠ لم أفهم شيئا ، ولكنى تألمت لانى كنت أريد أن أرد عليه ٠

س : ألم تعلم باعتقال الشخص الذى كان البنا يريد الاقامة عنده ؟

ج : لا ٠٠ لان شئون الاخوان لم تكن تعرض على ولا أخطر بها ٠

الفصـــل الثـانى

التـدبير الآثيم

وقعت هذه الجريمة فى اليوم الذى اعتقد فيه المرشـد العـام ـ أمام الوثائق التى قدمتها اليه الحكومة عن طريق وسطائها ـ أنه اليوم الذى ثابت فيه الحكومة الى رشدها ، وأرادت أن تخرج بالبلاد من ورطتها ، وانقـاذها مما آل اليه حالها من تدهور فى الامن ، وفقد للطمأنينة والامان ، وتحول البلاد الى ميدان حرب بينها وبين الشعب ٠

وقد تلمح هذا المعنى فيما جاء بشهادة عبد الفتاح عشماوى أبو النصر حين استدعاه المحقق فى ١٩٥٣/٣/١٧ فقال : انه مـوظف بوزارة المعـارف وانه من الاخوان المسلمين ٠ وقد اتصل به البوليس السياسى ليعمل مرشدا فى خدمته فأبلغ ذلك للشـيخ حسن البنا الذى طاب منه مسـايرة البوليس لمعرفة اغراضه ٠ واستطرد يقول : فاشـتغلت بمكتب عبد المجيـد العشرى الضابط بالقـلم السـياسى ، وطلب منى أن أخـبره بكل اجتماعات مكتب الارشاد ٠ وكنت أطلع الشيخ البنا على كل أخبار البوليس السياسى ٠

وفى يوم الحادث كنت أنا والاستاذ أحمد سليمان المدرب بالسعيدية الثانوية ـ وهو من الاخوان وكان مرشدا أيضا بالبوليس السياسى ـ عند الاستاذ المرشد العام لتبليغه خبر اعتقال الشـيخ النبراوى ٠ فاخبرنا أنه سوف لا يخرج فى اليوم المذكور لان الحكومـة فى سـبيل السماح له بزيارة المعتقلين وتسوية المسائل ٠٠٠ وخرجنا على أن نعود اليه فى اليـوم التالى ولكنه اغتيل ٠٠ وقال لى الضابط عبد المجيد العشرى : احنا أخذنا بالثأر ٠

فسأله المحقق : لماذا لم تبلغ هذه الوقائع فى حينها ؟ فقال : كل واحد كان يتقدم للشهادة كان يعتقل ٠

وهكذا خدع المرشد العام ٠٠ وما كان له الا أن يخدع ، فهـو انسـان لم يعد يملك لنفسه شيئا أمام حكومة جردته من كل شىء : من اخوانه وأهله وسلاحه وسيارته وقلمه ، فى الوقت الذى تجردت هى فيه من جميع القيم ، ومن ابسط قواعد الاخلاق ، ومن ادنى صفات الانسانية ٠ وأباحت لنفسها مالا تبيحه عصابات السطو والاجرام ، فاستباحت أول ما استباحت الكذب والنفاق والخداع والختل والخيانة والغدر ٠

تطورات الاحداث حتى وصلت الى نهايتها

ولكى يتتبع القارىء تطور الاحداث حتى وصلت الى نهايتها نقول :

مسارعة المرشد لتدارك الامر :

١ ـ عقب صدور أمر الحل مباشرة سارع المرشد العام الى مقابلة ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى فى ذلك الوقت ، وسلمه بيانا أعده لاذاعته على الاخوان يناشدهم فيه التزام الهدوء والسكينة ، وأن يتركوا له أمر التفاهم مع الحكومة بما يتفق ومصلحة البلاد العليا ..

فلما تسلم النقراشى باشا هذا البيان رفض نشره بالصحف وأنكره على المرشد العام قائلا : ان اخلاد الاخوان الى الهدوء والسكينة من شأن الحكومة وليس من شأن حسن البنا .

على نفسها جنت براقش :

٢ ـ كان من أثر هذا الصلف والغرور والجهل الذى تسلط على عقلية ذلك الرجل النقراشى باشا فأعماه عن الحقائق ، وشرد به عن الواقع ، فصار يعتقد أن الشعب ليس الا قطيعا من الغنم متى رفع عليه العصا اتجه حيث يريد ... كان أول أثر أن راح صاحب هذه العقلية الضحية الاولى لصلفه وجهله وغبائه فاغتيل فى سويداء عرينه الذى لم يغن عنه شيئا .

الحكومة تدفع الشباب الى عمل أهوج :

٣ ـ قبض على قاتل النقراشى وعلى عدد معه من الاخوان ، واتبع فى التحقيق معهم أساليب لا يقرها القانون ، وانتزعت منهم اعترافات بوسائل دنيئة ، فى ظل نيابة عامة على رأسها النائب العام محمود منصور الذى تحدثنا عنه من قبل... وخيل الى شاب ممن ينتسبون الى الاخوان ـ الذين عزلتهم الحكومة الغاشمة عن قيادة ترشدهم وتحسن توجيههم ـ خيل اليه أن انقاذ اخوانه الذين سيموا العذاب فى هذا التحقيق لا يكون الا بنسف المحكمة التى أجرى فى حجراتها هذا التحقيق وحفظ فى خزاناتها أوراقه .

وناعيك بعقلية شاب فى العشرين ، فاقد الاعصاب لفظاعة ما تتبعه الحكومة من أساليب القهر والاستفزاز ، ويجد نفسه وحيدا ، حيث لا يبيح أمر الحل أن يجتمع مع أى آخر من اخوانه ليتبادل معه الرأى ، فضلا عن أن يتاح له لقاء مع المرشد العام .. فهو يفكر وحده ، ويفكر شاردا مطاردا .. فهل يتفتق ذهنه الا على افكار خاطئة ؟ !

الحكومة تخادع المرشد العام :

٤ ـ عقب اغتيال النقراشى باشا تم لرسل الحكومة الحصول من المرشد العام على « بيان للناس » الذى طلبوا اليه أن يستنكر فيه اغتيال النقراشى باشا ٠ ونشروا هذا البيان فى الصحف ٠٠ وتبين بعد ذلك أنهم انما طلبوا هذا البيان ليزلزلوا به عقيدة قاتل النقراشى كما جاء فى خطاب اللواء صالح حرب باشا الذى نشرناه آنفا ـ وكان فى هذا من معانى النذالة ما فيه ٠

وعقب محاولة نسف محكمة الاستئناف ـ وكان المرشد العام فى حالة من التأثر الشديد كما وصف اللواء صالح حرب ٠٠ جاء رسول الحكومة واستطاع الحصول من المرشد العام فى ظل هذه الحالة من التأثر على بيان آخر عنوانه « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ٠

وقد القى رسول الحكومة فى روع المرشد العام أن الحكومة فى أمس الحاجة الى بيان بهذا المعنى يهدد فيه المرشد العام الاخوان اذا تكرر منهم حادث آخر أن يقدم نفسه للقصاص ٠٠ وألح الرسول فى طلب البيان فى الحال لينشر فى الصحف مباشرة قبل أن يقدم الاخوان على حوادث أخرى ٠

تصرف مريب ازاء هذا البيان :

٥ ـ أخذت الحكومة هذا البيان ، وبدلا من أن تنشره فى الحال ، احتفظت به دون نشر نحو شهر ٠٠ ولم يكن مفهوما تعليل لهذه التصرفات المناقضة لنفسها ٠٠ حكومة تلح فى الحصول على البيان بحجة حاجتها الى سرعة نشره ليكون وازعا للاخوان عن الاقدام على أعمال أخرى ٠٠ حتى اذا أخذت البيان حجبته عن النشر لا يوما ولا اسبوعا بل شهرا كاملا ٠٠٠ ولكن الاحداث تكفلت فيما بعد بالتفسير الواضح والتفسير الوحيد لهذه التصرفات العجيبة مما نفصله فيما بعد ان شاء الله ٠

رئيس الحكومة يستدرج المرشد الى حيث يغتاله :

٦ ـ كان المرشد العام دائم الالحاح على الحكومة فى كل اجتماع يجتمع فيه برسلها ان تتيح له فرصة الالتقاء بالمسئولين من الاخوان ، اما بالافراج عنهم واما بالسماح له بزيارتهم فى المعتقل ليستعين بهم على تهدئة الحال وتنقية الجو ٠٠ وكانت الحكومة دائمة الرفض لهذا الطلب ٠٠ ولكنها فجأة ودون مقدمات وافقت وحددت موعدا يقوم فيه المرشد العام بزيارة الاخوان المعتقلين ٠٠٠ وكان هذا التغير الفجائى فى موقف الحكومة ـ دون مقدمات ودون ان يطرأ عنصر جديد يصلح ان يكون مبررا لهذا التغير ـ أمرا غير

مفهوم ، يقف العقل أمامه مشدوها متحيرا ٠٠٠ ولكن الاحداث أيضا تكفلت فيما بعد بالتفسير الواضح والتفسير الوحيد لهذه المفاجأة المذهلة ٠

ونورد فى هذا الصدد ما جاء فى شـهادة زكى على باشـا الوزير بوزارة عبد الهادى أمام المحكمة مما يلقى ضوءا باهرا على هذا التغير المفاجىء :

المحكمة ـ ما معلوماتك فيما يتعلق بحادث الشيخ البنا ؟

الشاهد ـ الشيخ البنا جانى أثناء كنت وزير دولة ٠ وكان بينى وبينه علاقة قديمة بصفتى وكيل جمعية الشبان المسلمين ، وقال لى : أنا جيت لك أحب أن تكلم رئيس الوزراء فيما يتعلـق بالاخــوان ٠ فقلت له : أنا مش مختص ٠ وسألته عن طلباته فقال : أنا مضطهد ، وكل مجلس الارشاد معتقل، ومافيش داعى لهذا الاعتقال ٠٠ فاتصلت برئيس الوزراء فقال : اذا كان هو حقيقة حسن النية يذكر لنـا أسماء الاشخاص اللى يشك فيهم أن عنـدهم أسلحة ، ومن جهة أخرى يرشدنا عن محطة الاذاعة السرية التى كانت تذيع كل يوم الساعة السابعة صـباحا ٠٠٠ فـرجعت للشـيخ البنا وقلت له عن المطلوب فقال : ان مسألة محطة الاذاعة لا أعرفها اطلاقا ، وان الاشخاص اللى بتقول عندهم اسلحة ما أعرفهمش ، واللى يعرف عن هذا مجلس الارشـاد ، كما قال لى : ان أمكننى الاتصال بالمعتقلين يمكن أعرف حاجة ٠٠

فأنا قابلت ابراهيم عبد الهادى باشا وقلت له رغبة الشيخ البنا ٠ فقال لى : المحطة تذيع أخبارا لايعرفها الا الشـيخ البنا ٠ واما من جهـة مسـألة الاخوان ومجلس الارشاد فانه لا يمكن اجابته لطلبه ٠٠ فقلت هذا للشـيخ البنا فقال لى : أنا مصر أن أقابل أعضـاء مجلس الارشـاد بالمعتقل ويمكن أعرف حاجة فقلت له طيب ٠٠ وقابلت رئيس الوزارة وقلت له ، فكان متشددا فى هذه المرة فخرجت ٠

وبعد بضعة ايام جه رئيس الوزارة وقال لى : تقدر تقول للشيخ البنا انه يقابل جماعة الارشاد يوم الاثنين التالى ٠

وهذا الكلام كان يوم الاربع أو الخميس أى قبل الحادث ٠ فأنا قلت أنا اروح له يوم الجمعة وابلغه ، وأنا كنت أعتقد ان هذا الكلام يسره ٠ ويوم الجمعة لم يحضر الشيخ البنا ، فاتصلت بالاستاذ الناغى سكرتير الجمعية وقلت له : إعمل معروف اتصل بالشيخ البنا وقل له انه يقدر يقابل الجماعة، واظن قلت له يوم الاثنين المقابلة ـ وبعد كده لم اعرف هل هو بلـغ الشـيخ البنا أم لا ، ولم أعرف الحادث الا ثانى يوم الصبح لما قرات الجرايد ٠

٧ ـ كان التغير الفجائى فى موقف الحكومة حيال السماح للمرشد العام بزيارة المعتقلين تطورا هاما جدا وملفتا للنظر ، ومثيرا للاهتمام ٠ لانه ذو دلالات بعيدة المدى بالنسبة للجريمة حتى ان المحكمة والنيابة استفسرتا من الشاهد عن هذا التغير على الوجه الآتى :

المحكمة ـ ما قالش لك الاستاذ البنا انه مراقب وانه مهدد ؟

الشاهد ـ قال لى انه مراقب وموش متمتع بحريته ، واذا كانوا عايزينه يترك البلد فهو على استعداد ٠

المحكمة ـ ما عرفتش من الناغى الاجراءات التى حدثت قبل الجريمة ؟

الشاهد ـ الناغى قال لى انه راح قابل رئيس الوزارة واتفق معه على زيارة الشيخ البنا للمعتقل وانه طلب الشيخ البنا فى الجمعية الساعة الخامسة يوم الحادث ، وبعدين خرج من الجمعية وانصرف ٠

المحكمة ـ هل كنت تعلم أن الاستاذ الناغى كان حلقة اتصال بين الشيخ البنا ورئيس الوزراء بصفته من أقربائه ؟

الشاهد ـ لا

النيابة ـ سيادتك بتقول انك اتصلت بابراهيم عبد الهادى وطرحت عليه انه يسمح للشيخ البنا بمقابلة المعتقلين كان يرفض ٠ وانه بعد كده سمح بذلك ٠ ما الذى جعله يغير رأيه ؟

الشاهد ـ اللى فهمته انه اتخذ احتياطه عند تنفيذ الفكرة ٠

٨ ـ ترتب على هذا التغيير الفجائى فى موقف الحكومة ادخال عنصر جديد فى الموقف بالنسبة للمرشد العام ـ عنصر فيه بالنسبة له رائحة الامن ، فقد شعر بأنه ظفر أخيرا بما كان يامله ويلح عليه منذ صدور أمر الحل ٠٠ وما كان لمثل الاستاذ المرشد أن يحمل هذا التصريح الا على محمل الجد ، فانه تصريح من رئيس الحكومة الى وزير من وزرائها ثم أكده لاحد أقربائه الذى يشغل منصبا كبيرا فى الحياة الاجتماعية للبلاد هو الاستاذ الناغى العضو المؤسس لجمعية الشبان المسلمين ٠٠ مما جعل هذا الاخير يرسل أقرب شخصيات جمعية الشبان المسلمين الى نفس المرشد العام وهو الاستاذ محمد يوسف الليثى رئيس قسم الشباب بالجمعية الى بيت المرشد العام ليلقى اليه بالنبأ السار ، الذى يؤمل المرشد من ورائه حل الازمة كلها ، ويطلب اليه الحضور الى دار الجمعية فى الساعة الخامسة من مساء ذلك

اليوم السبت الموافق ١٤ ربيع الثانى ١٣٦٨ - ١٢ فبراير ١٩٤٩ للتفاهم معه فى هذا الموضوع ٠

٩ - عنصر الامن هـذا الذى ولده التغير المفاجىء فى موقف رئيس الحكومة هو الذى جعل المرشد العام يغير من خططه ، ويعدل عن عزمه الذى اتفق عليه مع اللواء صالح حرب من مغادرة القاهرة الى مكان آخر من تلقاء نفسه - دون استئذان الحكومة - ثم يبلغها بمكانه الجديد ٠

حتى ان سروره بتلقى هذا النبأ وما يؤمله من ورائه من خير قد طغى على شعوره بعكس ذلك مما تؤيده الوقائع ، وما تبعثه فى النفس الظروف الغامضة المسيطرة ٠

فلقد كان شعور الريبة الذى أشرت اليه آنفا هو الشعور الذى تنطق به الظروف ، لافى نفس المرشد العام وحده ، بل فى نفس كل من كان يعايش هذه الظروف ٠٠ فقد جاء فى شهادة الاستاذ محمود محمد جبر شاعر الشبان المسلمين قوله :

« قبل الحادث بيوم ، رأيت رؤيا قصصتها على الاستاذ البنا : شفته بيصلى أمام بيتنا ، وبعد الانتهاء من الصلاة رحت أسلم عليه ٠ وأخذته وخرجنا من الجامع فقال : أنا عاوز أشرب ٠ فلقيت واحدة فى الحارة طلبت منها شوية ميه ٠ فأحضرت لى ميه فى كوز ٠ ولاحظت دماء على ذراع المرشد فبعد أن شرب مسحت له الدم من على ايده بالميه ومشيت » ٠

بل ان المرشد العام نفسه رأى فى تلك الليلة فيمايرى النائم أنه سيقتل فى اليوم التالى ٠ وأخبر أسرته وأولاده بما رأى ٠ فلما جاءه الاستاذ الليثى ونقل اليه ما أخبره به الاستاذ الناغى أخذ فى التاهب للخروج للموعد ، فتوسل اليه أولاده وبكوا أن لا يخرج فى ذلك اليوم ، ولكنه أصر على الخروج قائلا : كيف نهاب الموت والله تعالى يقول « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ٠

طغى شعوره بالامل فى اصلاح الامور عن طريق لقائه بالاخوان المعتقلين على ذلك كله ٠ حتى انه حين جاءه الاخوان اللذان وكل اليهما موافاته بأنباء البوليس السياسى وأخبراه بأن الحكومة اعتقلت الشيخ النبراوى الذى كان سيأوى اليه فى بنها لم يكترث بهذا معتقدا ان هذه المسألة الجديدة ستعالج ضمن معالجة الموضوع كله ، ورد عليهما الرد الذى اشرنا اليه فى مستهل هـذا الفصـــل ٠

١٠ ـ كان الذى أوصل النبأ الى الاستاذ المرشد هـو الاستاذ محمـد الليثى ، والذى كلفه بهذه المهمة هو الاستاذ الناغى · ويبدو أن توصيل النبأ عن طريق الاستاذ الليثى شخصيا كان أمرا مقصودا ، لما يعلمون من ثقـة الاستاذ المرشد فيه · وكان اهتمام الاستاذ الناغى واضـحا حتى انه قال لليثى : اننى قابلت ابراهيم عبد الهادى باشـا فى الصـباح وعنـدى أخبار سارة ، روح انده لى بالشيخ البنا وأنا لن أخلع ملابسى الا بعد أن تخبرنى بالنتيجة بعد الظهر · فقال له الليثى : تذهب أنت اليه فى البيت · فـرفض فذهب الليثى وألح على الاستاذ المرشد بناء على الحاح الاسـتاذ الناغى ·· ولابد أن الحاح الناغى كان بناء على الحاح قريبه ابراهيم عبد الهادى ·

والله وحده يعلم هل كان الناغى فى ذلك ساعيا فى الخير أم كان متواطئا مع قريبه · ولـكننا نستبعد ذلك ونقـدم حسن الظن ونقـول ان ابراهيم عبد الهادى على عادته فى استمـراء النذالة قـد استغل قريبه الناغى أسـوأ استغلال ·· وان كانت هناك أقوال فى شهادة الاستاذ الليثى تلقى ظلالا من الشك على حسن الظن فقد قال : ان الناغى نزل من الجمعية الساعة الثامنة الا عشر دقائق ، وبعدها قعدت مع الشيخ وقال لى « ان الحديث مكرر وليس هناك جديد » · ولـما سألته المحكمة : هل كان الناغى مستعجل عندما أرسلك فى طلب الشيخ البنا ؟ أجاب : كان مهتم جدا ومتضايق لتأخير الشيخ ·

ولكن غياهب الشك هذه تنقشع حين نسمع اجابة الاستاذ عبد الكريم منصور ـ المحامى وزوج شقيقة الاستاذ المرشد العام وكان مـرافقه فى تلك الليلة ـ على رئيس المحكمة حين سأله : وايه معلوماتك عن الاستاذ الناغى ؟ فيقول : أنا أعتقد بما أحسـه بقلبى أنه برىء ورجـل طيب ، ولكن هو كتم بعض الاقوال اللى قالها ابراهيم عبد الهادى وكان عايز الامام ييجى الجمعية· ولكن مظهره وتقواه وشكله باين انه لا يرتكب جريمة ·

مراقبة دائمة على منزل المرشد العام :

١١ ـ كانت هناك مراقبة دائمـة من البليس السـياسى على منزل المرشد العام سأل المحقق عنها الاستاذ فؤاد شيرين محافظ القاهرة فى ذلك الوقت فقال انه ليس لديه معـلومات عن الرقابة على الشـيخ البنا ، اذ كان ذلك من اختصاص القسم السياسى بالاتفاق مع رئيس الحكومة ووزارة الداخلية ·· فلما بدأ التحقيق فى هذا الموضوع انكر ضباط البوليس السياسى وجود هذه الرقابة · وقد سأل المحقق المخبر عبد المنعم ابراهيم الذى كان يراقب منزل الاستاذ البنا فأكد انه ظل يراقبه حتى ليلة اغتياله ـ فسئل :

س – هل تتبعت الشيخ البنا فى اليوم الذى وقع فيه الحادث ؟

ج – أيوه

س – من اصدر اليك أمر المراقبة ؟

ج – البوليس السياسى · وأنا كنت فى مكتب الصاغ محمد كمال عبد المنعم ومحمد على صالح ، والاخير هو الذى كلفنى شخصيا بذلك ·

س – هل كنت ترفع تقارير ؟

ج – نعم كنت أعمل تقارير توذع فى ملف خاص بالمكتب ·

س – الم يصدر لكم الامر فى ذلك اليوم بالكف عن المراقبة ؟

ج – أبدا ··· ابدا ·

س – هل قدمت تقريرا كالمتبع فى ذلك اليوم ؟

ج – لم يطلب منى أحد تقريرا ، وأنا ذهلت من حادث اغتياله ·

وقام المستشار المحقق بالاطلاع على تقارير مراقبة منزل الشيخ حسن البنا ، فتبين أنها كانت ترفع يوميا موقعة من المخبر السابق سؤاله وزميله، وأنه مؤشر عليها تارة من الصاغ توفيق السعيد أو الجزار أو محمد على صالح ، وأنه لا يوجد تقرير عن مراقبة يوم الحادث ·

مواجهة : واستدعى البكباشى محمد على صالح فنفى انه هو الذى كلف المخبر بمراقبة الشيخ حسن البنا ، وقال ان مسائل الاخوان كانت من اختصاص الجزار وتوفيق السعيد · فلما ووجه بامضائه على أحد التقارير أصر على كلامه ، كما أصر على تكذيب المخبر · نووجه به وتمسك المخبر بأن الضابط المذكور هو الذى كلفه بحراسة منزل الشيخ حسن البنا ·

ارتكاب الجريمة :

١٢ – بعد مقابلة المرشد العام للاستاذ الناغى ، غادر الناغى الجمعية فى الساعة الثامنة الا عشر دقائق من مساء ذلك اليوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ · وحوالى الساعة الثامنة والنصف خرج الاستاذ المرشد العام والاستاذ عبد الكريم منصور ومعهما الاستاذ الليثى الذى طلب من أحد سعاة الجمعية أن ينادى على سيارة أجرة · فجاءت السيارة وركب فيها الاستاذ المرشد وعلى يساره الاستاذ عبد الكريم منصور – ولم تكد السيارة تبدأ السير حتى انقض عليها الجناة ·· وخير وصف لما حدث ما جاء فى شهادة الاستاذ عبد الكريم منصور حيث طلبت منه المحكمة وصف ما حدث فقال :

« واحنا خارجين من الجمعية شفت ثلاثة أشخاص على ناصية الشارع الفاصل بين الجمعية ووابور المياه ، ولم اشك فى الامر · وركبنا السيارة ، وبعدين بدأ الضرب من الجانبين · وحاول أحد الجناة أن يفتح الباب من ناحيتى فأنا قاومته فتغلب على وفتح الباب وضربنى بالمسدس ، والرصاص جه فى الاول فى الزجاج وتهشم ولم يصب · ولما فتح وضربنى بالرصاص جت الرصاصة فى ساعدى ··· وفى هذه اللحظة لاحظت أن الجانى الثانى بيحاول فتح الباب وتمكن من فتح الباب اللى ناحية الامام الشهيد وضرب الامام بالرصاص فجرى الامام وراه · وتبين أنه أصيب · ولما رجع سألته هل مسكت الجانى فقال : لا دول ركبوا عربية نمرة ٩٩٧٩ ، فسألته هو أنت أخذتها فقال أيوه وبعدين رحنا الاسعاف ·

١٣ ـ يقول الاستاذ الليثى فى شهادته : لما دخلت الجمعية بعد وقوع الضرب لاطلب الاسعاف وجدت السماعة مرفوعة ، ونذكرت أن التليفون منتظرنى للمكالمة · وما ان رفعت السماعة حتى عرفت أن المتكلم هو الصاغ محمد الجزار · فقلت له ان الشيخ البنا قتل الآن · فقال بصوت هادىء : لا ياشيخ مات ولا لأ ؟ ـ وهنا لاحظت أن التاكسى تحرك فجريت خلفه حتى وصلت الاسعاف · وهناك وجدت شابا أسمر يلبس جلبابا وطربوشا وقال لى : أنا شفت نمرة العربية التى ارتكبت الحادث وذكر لى رقم ٩٩٧٩ فكتبت النمرة على ورقة ـ وأثناء ذلك أخرج الشيخ البنا على نقالة الى القصر العينى · وطلبت من هذا الشاب التوجه للجمعية لانتظارى هناك ·

عدت الى الجمعية لمقابلة الشاب الذى صرح لى برقم السيارة ، ولابلاغ النيابة بالامر ، فمنعت من دخول الجمعية حيث كانت محاصرة بقوات كبيرة من البوليس ، وأخيرا استطعت الدخول ·

بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » المدخر :

١٤ ـ البيان الذى عنوانه « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » الذى أخذوه من المرشد العام عقب محاولة نسف محكمة الاستئناف التى وقعت يوم ١٢ يناير ١٩٤٩ ، لم ينشروه الا بعد وقوع الجريمة فى ١٢ فبراير ١٩٤٩

أى بعد شهر · وكان حجبه هذه المدة ونشره بعد الحادث نوعا من أنواع الخداع والتمويه التى رتبوها لايهام الناس أن الاخوان هم الذين ارتكبوا هذا الحادث ـ ونكتفى الآن بهذه الاشارة ولنا تعليق على هذه النقطة فيما بعد ان شاء الله ·

طرف الخيط أو الدليل الوحيد :

١٥ ـ يقول العلماء المتخصصون : ان أية جريمة ترتكب مهما اتخذ مرتكبوها من وسائل الاحتياط والحذر ، ومهما أوتوا من ذكاء وبراعة ، فانهم لابد أن يتركوا أثرا يستدل منه عليهم ·· وهذه الجريمة قد توفر لمرتكبيها جميع أسباب الحذر والاحتياط ، فواضعو الخطة هم رئيس الحكومة ووزير الداخلية بتوجيه من الملك وحاشيته ووكيل الداخلية للامن العام الذى كان من قبل مديرا (محافظا) لجرجا ، وكان خبيرا فى معرفة من يكل اليه أمر تنفيذ مثل هذه الجريمة ، فاختار رجلا من كبار رجال الوزارة له تاريخ هو يعرفه · وهذا الرجل هو مدير المباحث الجنائية بالوزارة ـ وتداول الرجلان بما لهما من خبرة لاختيار مخبرين عريقين فى الاجرام ممن عملوا تحت رياستهما فى جرجا ، وقد وقع اختيارهما على ثلاثة مخبرين ·

وقد استقدما هؤلاء الثلاثة الى القاهرة منتدبين للعمل بالوزارة ـ دون اسناد أى عمل اليهم ـ وكان دور رئيس الحكومة ووكيل الداخلية فى الجريمة هو ما أسلفنا فى الفصل السابق من اخلاء جو البلاد من الاخوان بحلهم واعتقالهم وبتجريد المرشد العام من كل سلاح أو حراسة ·· وتكفل رئيس الحكومة وحده باحضار المرشد العام الى دار جمعية الشبان المسلمين فى يوم معين وفى ساعة معينة بحيث لا يغادرها الا ليلا ·

وكانت مهمة مخطط التنفيذ مدير المباحث الجنائية أن يخصص سيارته الحكومية لتوصيل الجناة الحكوميين الى مكان الجريمة ثم نقلهم ـ بعد ارتكابها بأسلحة وزارة الداخلية ـ بعيدا عن مسرح الحادث بآخر سرعة ·

وكل هذا يتم تحت رعاية السراى الملكية التى كان هؤلاء جميعا فى ذلك الوقت يعتبرونها المعبود القادر على كل شىء ·· ويتم هذا فى ظل الاحكام العرفية بعد تشبيع الجو مدة شهرين ـ عن طريق الصحف ووسائل الإعلام ـ بروح القهر الحكومى والارهاب الرسمى ، حتى ان احدا مهما رأى أو سمع لا يجرؤ أن يخاطر بنفسه فيتقدم للشهادة ·

ونورد هنا شهادة اليوزباشى عبد الباسط البنا شقيق الامام الشهيد حيث يقول امام المحقق :

« كنت ملازما لشقيقى حتى اعتقلونى عندما وجدونى أننى أتبعه بمسدسى لحراسته · وقال : اننى اعتقد أن ما تم حتى الآن فى القضية هو تحقيق مع فريق من ثلاث فرق أو عصابة من ثلاث عصابات تسمى عصابة التنفيذ · أما العصابتان الباقيتان فهما عصابة الآمرة وعصابة التمويه ·

أما عصابة المؤامرة فتتكون من الملك السابق وابراهيم عبد الهادى الذى اعتقل جميع الاخوان ولم يعتقل حسن البنا الذى كان يقول « أنتم تقتلونى بعدم اعتقالى » • واتخذ عبد الهادى مع الشهيد سياسة تنبىء بخبيث النوايا ، فكان يتظاهر بانه يريد ان يصل معه الى اتفاق لانهاء التوتر بين الحكومة والاخوان ، وكلف اثنين من الوزراء للمفاوضة معه ، بينما كان يمهد لتنفيذ ما بيت عليه العزم مع بقية العصابة ، ثم استدعاه بواسطة قريبه الاستاذ الناغى الى جمعية الشبان المسلمين حيث تم تنفيذ الخطة •

وقال : وكذلك اشترك فى الجريمة الاستاذ حامد جوده ، فعندما كان رئيسا لبعثة الحج سنة ١٩٤٨ كان الشهيد يؤدى فريضة الحج ، دبرت مؤامرة لاغتياله ، فطن اليها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فعين له حراسة قوية ، واعطاه سيارة مسلحة لحراسته مما انهى هذه المؤامرة بالفشل — وقد علمت من تحرياتى الخاصة أن حامد جوده استصحب معه افرادا من عصابة له من بلده « درنكة » ليقوموا بهذا العمل ، وأنه كان ينوى ان يموه بأن جناة من أقطار أخرى ارتكبوا الحادث • ولعل مما يؤيد ذلك ما جاء بأقوال عبد الرحمن عمار من أن القتلة من قبل امام اليمن •

وعبد الرحمن عمار هو الذى أعد للجريمة عدتها ، واستخدم سلطته لتنفيذها ، فقد أجرى نقل الجناة جميعا كما هو واضح ، وجمعهم حول رئيسهم محمود عبد المجيد • وقد اتضح من غير هذه القضية أن مهمة هؤلاء انما هى القتل • وآخر أفراد عصابة المؤامرة هو مندوب السراى وصفى الذى فضل أن ينتحر •

أما عصابة التمويه لابعاد التهمة عن الجناة فيشترك فيها عبد الرحمن عمار واللواء عبد الهادى الحكمدار وقتئذ واللواء احمد طلعت » أ هـ •

ويتضح من ذلك ان الظروف المواتية ، والوسائل المتاحة التى توفرت لمخططى هذه الجريمة ولمرتكبيها لم يتوفر مثلها لمرتكبى الجرائم من قبل ••• ولكنهم مع كل هذه الاحتياطات وكل هذا الحذر قد اغفلوا طرفا واحدا لخيط رفيع لم يخفوه حين اخفوا باتقان جميع أطراف الخيوط — وكان هذا الطرف هو رقم السيارة •

محنة الاستاذ الليثى برقم السيارة :

١٦ — لقد لقى هذا الشاب محمد يوسف الليثى من العنت والارهاق ، وعانى من فتنة الاغراء ورعب التهديد ، مالا يصبر عليه الا من تولاه الله وربط

على قلبه من أهل الايمان واليقين ·· وكان هذا كله من أجل عزمه على أداء الشهادة ، وابلاغ المحقق برقم السيارة الذى أخذه من الشاب الاسمر الذى قابله فى دار الاسعاف ·

جبهات البوليس الضالعة فى الجريمة :

كان هناك من جبهات البوليس ـ غير الجبهـة التى أسند اليهـا دور ارتكاب الجريمة ـ جبهتان أخريان دورهما حراسة هـذه الجبهة ، واتمـام اسدال الستار عليها · وهاتان الجبهتان هما :

١ ـ البوليس السياسى ·

٢ ـ الحرس الحديدى ·

أما البوليس السياسى فمعروف وتحدثنا عنه فى الجزء الاول من هـذا الكتاب حديثا موجزا وحديثه موصول باسهاب فى هذا الجزء ان شاء الله ·

وأما الحرس الحديدى فقد تبين أن الملك فاروقا كان قد الف عصابة من رجال البوليس ورجال الجيش مهمتها حراسته واغتيال من يعتقد أنه يقف فى طريق عبثه ومجونه · وكان على رأس هذه العصابة الضابط الاميرلاى محمد وصفى الذى كانت وظيفته الرسمية قائد حرس الوزارات ·

وهاتان الجبهتان تصدتا للشاب محمد الليثى حين علمتا أنه عرف رقم السيارة · واليك بعض الاساليب التى لجأت اليها العصابتان فى التصدى له ·· وهو بعض ماقصه هذا الشاب على المحكمة فيما بعد :

الضابط محمد الجزار :

أ ـ محاولاته فى التأثير بالاغراء :

يقول الاستاذ الليثى للمحكمة : وحوالى الساعة العاشرة والنصف من ليلة الحادث ، حضر القائمقام مصطفى حلمى الى الجمعية وسأل عنى وأخذنى الى حجرة السكرتيرية فوجدت السماعة مرفوعـة ، وطلب منى أن اتكلم فى التليفون ، وعرفت أن المتكلم هو الصاغ محمـد الجزار ، الـذى طلب منى أن أكلمه من تليفون اخر بعيد عن الناس ، وسألنى عـن معلوماتى ، وطلب منى عدم الادلاء بمعلومات أمام النيابة ، ونصحنى بعدم الشهادة خالص · وقال لى : سارسل لك عربة لتوصيلك الى منزلك حتى تكون مطمئنا وانشهادتك سوف تسبب لك متاعب كثيرة ·

وحوالى الساعة ١٢ مساء حضر مصطفى حلمى مرة أخرى وقال : شوف مين عاوزك على الباب · فوجدت الجزار نفسه · قال لى : الف مبروك لنجاتك ·· أنت مجنون تعرض نفسك لضرب الرصاص؟ وأناجاى مخصوص علشان انصحك بعدم الشهادة · فقلت لايمكن لان النيابة تعلم أنى شاهد ـ فقال : لا دى مسألة فى ايدينا ، والاخوان المسلمين مش حينفعوك ، واحنا تعلعنا راس التعبان والسم انتهى · فقلت له : أنا قلت للصحفيين على نمرة العربية ، وأنا اللى أحضرت الشيخ البنا من بيته والناس تقول على لابد شريك فى الجريمة · فقال : سأعين لك حراسة تمشى وراك ولاتخاف · والصحافة فى ايدينا ··· فشككت فى الامر فقلت له : أنا يمكن اختلف فى رقم واحد فأقول النمرة ٩٩٧٩ أو ٩٩٩٧ ـ فقال لى : لازم تغير الرقم كله · فرفضت وأخرجت الورقة التى بها رقم السيارة من جيبى فخطفها من يدى ومزقها وقال : هات ايدك واقرأ الفاتحة وأنا سأفرج لك عن توفيق بلال ومحمود شكرى اللى كلمتنى عنهم ·

وبعد ذلك حضرت مجموعة من الضباط من بينهم محمد وصفى ، وحضر المحقق · وكنت كلما استرسلت فى الحديث عن نمرة العربية واحد يضربنى بالكرسى من الخلف ، فقلت النمرة ٩٩٧٩ أو ٩٩٩٧ والسيارة سوداء على العموم ، فلقيت وصفى قال : لا النمرة ماهش كده ·ولما نزلت حضر لى الضابط ماهر رشدى وهددنى وقال لى : انت ارهابى كبير من الاخوان ·

والحق أنى كنت فى أشد ضيق بعد أن غيرت رقم العربة ، حتى أنى كنت أشاهد صورة الشيخ البنا أمامى أينما ذهبت ، كأنما يعتب على لتغيير شهادتى · وبعد ذلك انتظرنا حتى حضر النائب العمومى محمود منصور (أشرنا اليه من قبل) وقال لى : شرفت ياحضرة شاهد الاثبات · وبعدذلك حضر عبد العزيز حلمى المحقق فقلت له : أنى غيرت النمرة تحت ضغط الجزار والنمرة الحقيقية هى ٩٩٧٩ فأثبت ذلك ·

وبعد نصف ساعة اتصل بى الجزار وقال : مبروك أفرجنا عن أصحابك وطلب منى أن أقابله فى محل نيوزبار خلف الجمعية · ولما تقابلنا هناك قال لى : أنت أعصابك تعبانة وهيا نشرب كاسين ويسكى ونفرفش ·· وطلب من الجرسون احضار عشاء وكاسين ويسكى ؤ[illegible] ورفضت الشرب ·· وأخذ يسب فى الشيخ البنا ويقول انه راجل ساحر ، وهو الذى قتل الخازندار والنقراشى وسليم زكى ، وسيبك من الجماعة دول ، ومحدش حينفعك ، وخليك تعيش لاولادك ، ويلا نقضى ليلة كويسة ··· ولازم تروح قسم

عابدين وتغير أقوالك ، وتطلع من جيبك ورقة مكتوب فيها النمرة غلط وتصر عليها ٠٠ فرفضت ٠

وأثناء الحديث التفت الجزار الى فتاة كانت تجلس بجوارنا وابتسم لها وبادلته الابتسام وقال لى : اضحك لها فرفضت وقلت أنا متزوج فقال لى ولا يهمك انامتجوز كمان ٠٠ وأخرج من جيبه رزمة فلوس وقال لى دى هدية لك من الحكومة مبلغ ٥٠٠ جنيه (خمسمائة جنيه) علشان تروح القسم ، ولو أردت أى مبلغ آخر لما تروح النيابة أنا مستعد ٠٠ فاعتبرت ذلك جرحا لشعورى ورفضت ٠ وبعدين عرض على الفلوس ثانى للذهاب للقسم ساعتها فرفضت ٠ وقبل ما أقوم أخرج ورقة وقال لى ٠ اكتب رقم العربية ٧٩٩٩ احسن تنساها ، فأنا قلت له : لا أنا فاكرها واحنا على العموم حنتقابل بكره وروحت ٠

وفى هذا اليوم نمت خارج البيت ٠ وخفت منه لانه ضابط بوليس ، وتذكرت حديثه معى وتهديده لى ـ ونزلت الصبح بدرى ، وقعدت على القهوة، وطلبت حرم اللواء صالح حرب فى التليفون ، وقلت لها : أنا عاوز أقابلك فى أمر هام نظرا لسفر اللواء صالح فى أسوان ٠ ورحت لها البيت وسألتنى عن الحادث فذكرت لها ما حدث بينى وبين الجزار ٠ فقالت لى : اتصل بالاستاذ مصطفى الشربجى فاتصلت به فقال : انت تروح للاستاذ فتحى رضوان وتفهمه الموضوع لانه هو اللى ماسك قضايا الاخوان وتقول له الشوربجى هو اللى قال لى اروح لك ويروح معك النيابة ٠

وبعد كده رحت الجمعية وقابلت السكرتير والمراقب بها ، وقلت لهما القصة ٠ فاتصلوا بزكى على وكيل الجمعية فرحت له الوزارة لانه كان وزير فى وزارة عبد الهادى وقصيت له القصة فقال لى ٠ مافيش مانع تقول الحقيقة٠

واتصلت بالاستاذ فتحى رضوان فقال لى ٠ تعال عندى المنزل بمصر الجديدة ٠٠ لما ذهبت اليه اعتذر عن الذهاب معى للنيابة لعدم جواز حضور المحامى مع شاهد ٠ فاتصلت بعد ذلك بالاستاذ أبو الخير نجيب وكان محررا بجريدة الاهرام ، فاقترح على الاتصال بعمر عمر نقيب المحامين لاخذ رأيه فى الموضوع فاتصلت به فلم اجده ٠

فذهبت الى النيابة وأدليت لها باقوالى ، وذكرت لهم كل التفاصيل التى دارت بينى وبين الجزار سواء بالتليفون أو أثناء مقابلاتى له ٠٠ ولقد دهشت باحضرات المستشارين عندما علمت على لسان الجزار ان شاهدا هو الاستاذ حسنى عباس المدرس بكلية التجارة قد ذكر رقما للسيارة التى

ارتكبت الحادث يخالف الرقم الحقيقى الذى تأكدت منه ، وطلب منى الجزار أن أتوجه لقسم عابدين لاؤيد رواية هذا الشاهد فاعتقدت أن هذا الكلام غير صحيح والمقصود هو تغيير رأيى بأى وجه من الوجوه ·

ولقد أرسلت تلغرافا الى النيابة أطلب منها حمايتى نظرا لما أدليت به فى حق البوليس السياسى ·

ب - أسلوب فاجر لوصم الشرفاء :

كان ضباط البوليس السياسى يختارون من بين ضباط البوليس الذين لا ضمير لهم ولا حياء عندهم ولا خلق ولا دين · ولذا فانهم كانوا يستبيحون كل منكر ، ويرون اللجوء الى الكذب والافتراء والصاق التهم بالبرءاء وسائل مشروعة لا يؤنبهم عليها الضمير لانهم خلو من الضمير ···

ومن هذه الوسائل أنهم اذا حاولوا تجنيد انسان لخدمة أهدافهم الدنيئة ففشلوا فى تجنيده ·· يرمونه بأنه كان عميلا لهم ، وأنه كان يأخذ من الاموال السرية ·· وهذه التهمة من السهل عليهم رمى أى انسان بها لانه كان من حق أى ضابط فى البوليس السياسى أن يطلب من الاموال السرية ما يشاء وينفقها كما يشاء ، دون أن يطالب بتسجيل طريقة انفاقها فى سجل معين ·· فاذا رمى ضابط منهم انسانا بأنه كان عميلا له ، لم يجد هذا المتهم وثيقة يرجع اليها فى دفع هذا الاتهام ·

وقد حاول الضابط الجزار - من قبل حل الاخوان بزمن طويل - تجنيد الليثى لينقل اليه أخبار جمعية الشبان المسلمين وأسرارها فلم يفلح · وكان الليثى يخبر اللواء صالح حرب أولا بأول بمحاولات الجزار معه ·· فلما لم يفلح وجاء حل الاخوان ، وفتحت جمعية الشبان المسلمين دارها للمرشد العام ، ووضعت الحكومة خطة لاغتياله ، وارتكبت الجريمة ، وحصل الليثى على رقم السيارة ·· أعاد الجزار محاولاته مع الليثى بالاسلوب الذى رواه امام المحكمة · ولما انتهت محاولاته بالفشل أيضا وأسقط فى يده · لجا الى الاسلوب الذى أشرنا اليه ، وهو الاسلوب الوضيع من رمى الليثى بالعمالة للبوليس السياسى ·· ولكن الليثى استطاع أن يثبت زيفه ، ويبين كذب ادعائه وتناقضه مع نفسه اذ قال فى شهادته :

« وفى النيابة فوجئت بأنهم يعتبروننى من رجال البوليس السياسى · وكان المحقق ليس من رجال النيابة بل هو توفيق السعيد زميل الجزار · ودهشت حين قال لى السعيد : ان الجزار استغنى عن خدماتك لانك لا تقدم تقارير عن الجمعية فانا استغربت لانه لو كنت من البوليس السياسى حقيقة

لما أمكن للجزار الاستغناء عنى وخصوصا فى هذه الفترة التى كان يتردد فيها الشيخ البنا على الجمعية وكان فى حاجة الى من يمده بالمعلومات ٠

الاميرلاى محمد وصفى ممثل الملك فى الجريمة :

حتى بعد أن تم ارتكاب الجريمة ، ارادت الجبهتان الاطمئنان الى ما تحقق مما هدفوا اليه من خطتهم وهو ازهاق روح حسن البنا لا مجرد الاعتداء عليه ٠ يقول الاستاذ الليثى فى شهادته : « ذهبت الى القصر العينى ورأيت الاستاذ الامام حين ادخل حجرة العمليات ، وكانت حالته فى نظرى غير خطيرة ، بدليل أنه حينما طلب الدكتور من التومرجى خلع ملابس الشيخ البنا هب الشيخ وجلس وخلع ملابسه بنفسه ، كما انهم لما طلبوا أخذ عنوان الاستاذ عبد الكريم منصور رد الشيخ البنا وقال : اتركوا عبد الكريم لان حالته خطيرة وأعطاهم هو العنوان ٠

وبعد ذلك وجدت شخصا يقول للدكتور : انا جاى من قبل الحكمدار لاعرف حالة الشيخ البنا ٠ فرد الدكتور بأن حالته ليست خطيرة ٠٠ فانتهزت الفرصة وقلت لذلك الشخص انى أعرف نمرة السيارة ، فنظر الى بسخرية دون أن يتكلم ٠ وعرفت بعد ذلك أنه الاميرلاى محمد وصفى » ٠

هذه الجبهات كانت تعد للجريمة منذ زمن طويل :

ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر الى أمرين من الاهمية بمكان :

أولهما : أن هذه الجبهات كانت تمهد للجريمة من قبل وقوعها بزمن طويل ، فبعد صدور أمر الحل وما تبعه من اعتقال ومن عزل الاستاذ المرشد العام عن الاخوان وتجريده من كل سلاح يدافع به عن نفسه ، صور لهم الوهم انه قد يكون مرتديا تحت ملابسه درعا يحميه من وصول الرصاص الى جسمه اذا ما هو ضرب بالرصاص ٠

يقول الاستاذ عبد الكريم منصور فى شهادته :

« بعد صدور قرار الحل ، قرر الاستاذ الامام رفع دعوى أمام مجلس الدولة يطالب فيها بالغاء امر الحل ٠ وعند دخولى انا والاستاذ مجلس الدولة فتشنا ، وجاء شخص فتش الاستاذ الامام تفتيشا عجيبا كانه يبحث هل هو يلبس درعا ٠ ولما سالت عن هذا الشخص قيل لى : انه شخص غريب وانه مرسل من قبل الاستاذ الدماطى مدير مكتب رئيس الوزراء ٠

وثانيهما : تبين من وصف الاستاذ الليثى لحالة الاستاذ الامام وهو

فى حجرة العمليات بالقصـر العينى ومن رد الدكتـور الذى كشف على جسم الاستاذ الامام ـ على استفسار محمد وصفى عن حالته « ان حالته ليست خطـيرة » ۰۰۰ ومعنى ذلك أن عـلاجه ممكن وميسور ۰۰ فى حـين أن حالة الاستاذ عبد الكريم منصـور هى التى كانت خطيرة بدليـل أنه لم يستطع الاجابة عن عنوانه حين سأله الطبيب عنه وتولى الامام الاجابة عنه ۰۰۰ فكيف يستقيم هذا مع النتيجة التى انتهت اليها حالة هذين المصابين ۰۰۰؟

بعد ساعات تعلن وفاة الاسـتاذ الامام وشـفاء الاستاذ عبـد الكريم منصور ۰۰ما هذه المفارقات المذهلة ؟ ۰۰۰ ان التعليل الذى يسيغه العقل ، والذى تناقله النّاس فى ذلك الوقت عن شهود عيان من موظفين وعمال كانوا يباشرون عملهم بالقصر العينى فى تلك الليلة أن أمرا عاليا صدر ـ بعد تبليغ تلك الجهة العالية بحالة الاستاذ الامام عن طريق محمد وصفى ـ بأن يترك الاستاذ البنا بالقصر العينى تنزف جراحه حتى يموت ۰

١٧ ـ الدرك الاسفل من النذالة والخسة :

بلغ من خسة هذه الحكومة بعد أن ارتكبت الجريمة النكراء أن أدخلت جثمان الامام الشهيد الى منزله وسط مظاهـرة من رجال البوليس شـاهرة المدسات والبنادق فى وجه سيدات أسرته العزل من كل سلاح ۰ وأرغمت السيدات على حمل الجثمان الى النعش ۰ ولم يسمح لواحد من رجال هـذه الاسرة بالاقتراب من الجثة ۰۰۰ حتى القرآن حرم عليهم تلاوته ۰

ثم نقل النعش وسط هذه المظاهرة المسلحة الى مسجد قيسون القريب من المنزل ، ولم يسمح لاحد بالصلاة عليه ولا بالدخول الى المسجد الا لوالده۰ ثم نقل الجثمان الى المقابر ، ولم يسمح لاحد بتشييعه ، حتى ان البوليس كان اذا رأى أحد المـارة يقرأ الفاتحة باعتباره يرى ميتا أى ميت ، كانوا يلقون القبض عليه ۰۰ وقـد خاطر بعض النـاس بزيارة قبره فاعتقلوا ۰۰۰ ولم يستطع أحد من تقديم العزاء فيه الا مكرم عبيد باشا ۰۰۰ وظلت الحراسة المسلحة قائمة على القبر حتى تغير العهد ۰

عنصر الزمن :

١٨ ـ قلنا فى البند الخامس عشر أن مخططى الجريمة ـ بالرغم من توفر جميع وسائل الحذر والحيطة والذكاء لهم قد اغفلوا شيئا واحـدا هـو طرف خيط رفيع تمثل فى رقم السيارة التى ارتكب بها الحادث ۰۰ ونقول الآن ان اغفالهم هذا الطرف لم يكن وحده كافيا لكشف جريمتهم ولا لفضح مؤامرتهم

٠٠ ولكن العنصر الذى أغفلوه حقا وكان كافيا لكشف جريمتهم وتعرية سوءاتهم هو عنصر الزمن ٠

وهذا العنصر مع بالغ أهميته ، وخطير اثره يغفله أكثر مخططى الجرائم ويتعامون عنه مع انه ظاهر ملموس ٠ وكلما كانت امكانات المخططين اعظم كان اغفالهم لهذا العنصر أكثر ٠٠ فاذا كان المخططون أصحاب السلطة كان اغفالهم له اغفالا تاما ، لانهم فى هذه الحالة يكون قد سيطر عليهم الشعور الذى صورته الآية الكريمة « حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت **وظن أهلها أنهم قادرون عليها** » ٠

فالسلطة التى كانت تتمتع بها حكومة السعديين فى ذلك الوقت كانت سلطة مطلقة ، فهى تباشر الحكم وهى تحس أنها ربيبة واهبى السلطات جميعا ابتداء من الملك وانتهاء بالدول العظمى فى العالم ، ويتخلل ذلك برلمان مصنوع يدين لها بالولاء ٠٠ ذلك أنها تنفذ الخطة التى اجمعت عليها كل هذه السلطات ٠٠ ولقد كانت هذه السلطات دائبة البحث عن منفذ مصرى فاجر لخطتها ٠٠ فاذ وجدوه فى هذه الوزارة ، فلم لا يمنحونها السلطة المطلقة والتأييد الابدى ؟ !

ولو اطلع مطلع على مخيلة ابراهيم عبد الهادى فى ذلك الوقت ، لما وجد فيها أثارة باحتمال فقده للسلطة المطلقة التى كان يتمتع بها أو حتى الانتقاص منها ٠٠ وكيف تفقد أو تنتقص وهو على الولاء التام الكامل لواهبى السلطات وتحت يده برلمان لا يعصى له أمرا ؟ !

ولهذا ، فحين أوشكت فترة الاحكام العرفية على الانتهاء ، طلب من هذا البرلمان مدها لمدة سنة أخرى ، فاستجاب له مجلس النواب بما يشبه الاجماع ، كما استجاب له مجلس الشيوخ ولم يعارض فيه الا ثلاثة عشر عضوا ٠

ومن العجيب أن هؤلاء الذين لا يعترفون بعنصر الزمن هم أولى الناس بالاعتراف به ٠٠ فحسبهم أن ينظروا الى أنفسهم ويسائلوها : كيف آل الينا الحكم ؟ الم يؤل الينا على أنقاض آخرين سبقونا ؟ واذن فلابد أننا تاركو هذا الحكم لغيرنا راضين أو كارهين ٠٠ وهذا هو الذى قرعت به الآيات المحكمات آذان هؤلاء الغافلين فى قول الله تبارك وتعالى « أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال؟وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم،وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الامثال ٠ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ٠ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام » ٠

وهكذا شهد الاستاذ محمد الليثى أمام المحقق برقم السيارة ، وأبلغ

جريدة « المصرى » بالرقم فنشرته ·· وكان هذا هو كل ما فعله طرف الخيط الرفيع الذى أغفلوه ··· فهل أجدى وحده ؟

لم يستطع وحده أن يغنى فتيلا ·· فقد صودرت جريدة « المصرى » · وقد سأل المحقق الاستاذ محمود يوسف الموظف بدار الكتب والذى كان رقيبا للنشر بجريدة « المصرى » فى ذلك الوقت فقال انه حذف ما حذف عن مقتل الاستاذ حسن البنا ورقم السيارة بناء على تعليمات تليفونية من الاستاذ توفيق صليب مدير الرقابة · وسئل الاستاذ أنور حبيب فى ذلك فأحضر الملف الخاص بالرقابة على « المصرى » يوم الحادث - وقد قام المستشار المحقق بالاطلاع على مجلد الرقابة المذكور فتبين فيما يختص بيوم الحادث انه يحوى البيانات الآتية :

« تعليمات لحضرات الرقباء الساعة الحادية عشرة والنصف مساء ١٢ فبراير ١٩٤٩ · حادث اطلاق الرصاص أمام جمعية الشبان المسلمين ، ينشر الحادث كما وقع أى مجرد وقائع مجردة عن المقدمات والتعليقات والعنوانات الكثيرة ولا تنشر صور فوتوغرافية بتاتا ، ولا شىء عن جماعة الاخوان المسلمين المنحلة · وكل ما يراد نشره بعد تنفيذ هذه التعليمات يعرض قبل التوقيع باجازة النشر · وكل ما هو معروف الى الآن « أن الشيخ حسن البنا كان خارجا من جمعية الشبان المسلمين ومعه آخر فاطلق مجهول الرصاص عليهما ونقلا الى القصر العينى » · وقد أرفق بها بروفات « المصرى » التى أشر عليها الرقيب بالحذف ·

هذا هو ما كان من أمر رقم السيارة ونشره بجريدة «المصرى» - كما أن النائب العام فى ذلك الوقت كان صنيعة العهد محمود منصور وقد أمر بحفظ التحقيق وتقييد الجناية ضد مجهول · ولم يستطع احد - تحت سيف الارهاب الحكومى الفاجر - أن يدلى بشهادة أو أن ينبس ببنت شفة ··· وقتل حسن البنا وووري التراب وووري معه قضيته ، واعتقد الجناة انهم قد دفنوا هذه القضية فى أعماق الاعماق وتحت أطباق الثرى يوم دفنوا جثة فريستهم دون أن يراها احد أو يشيعها أحد ·

وهنا صفا لهم الجو « **وظنوا أنهم قادرون عليها** » وأخذوا فى مكافأة كبير المنفذين للجريمة صاحب السيارة التى نشر رقمها فى جريدة « المصرى » وشهد به الشاب المخاطر الاستاذ الليثى ·· فقد ظهر فى الصحف علنا فى يوم ١٩٤٩/٧/٤ ما يأتى :

« تفضل جلالة الملك فانعم برتبة البكوية من الدرجة الثانية على حضرة الاميرالاى محمود بك عبد المجيد مدير المباحث الجنائية بوزارة

الداخلية ـ وقد قوبل الانعام السامى بالاغتباط لمايبديه حضرته من جهود فى خدمة الامن » ٠

طغيـان مسـعور :

١٩ ـ هذا الشعور الذى استولى على تفكير هـذه الحـكومة ، والذى أشرنا اليه بقوله تعـالى « **وظنوا انهم قادرون عليها** » دفـع بهم الى طغيان مسعور ، فملأوا السجون والمعتقلات ٠٠ وقد فتح ابراهيم عبد الهادى خزانة الدولة على مصراعيها لرجال البوليس ، يـكافأ الواحـد منهم بقدر ما يورد للمعتقلات من أفراد الشعب ٠ حتى ان الصـحف نشرت فى ١٩٤٩/٥/٤ أن شابا كان ماشيا فى حى السيدة زينب بالقاهـرة فاعترضـه رجال البوليس وسألوه عن اسمـه فارتبـك ـ كشأن أى شاب صـغير يفـاجأ بمثل ذلك ـ وبتفتيشه وجدوا فى جيبه ورقة بهـا أبيات من الشـعر تذم رئيس الوزراء ، فاعتقلوه واعتقلوا الطالب الذى قال الشعر ٠ والطالبان هما عبد الله المنياوى وزميله الشاعر مهدى محمد يوسف الطالبان بمدرسة المنيرة الثانوية ٠

ومع دلالة هذه الحادثة الصغيرة على مدى تشوف رجال البوليس فى تلك الحقبة من الزمن الى الاغتراف من خزينة الدولة المفتوحة لهم ، والمشروط الاغتراف منها بمدى التهجم على الشعب ، فانها تدل أيضا على مقدار ما يكنه الشعب لهذه الحكومة من كراهية ومقت وما تحسه هى نحوه من شـكوك وفزع ٠

وبدافع من هـذا التشـوف ، قام البـوليس ـ تحت قيادة البوليس السياسى ـ بحملات مكثفة على بيوت الاخوان لاعتقالهم بغير مبرر ٠ وقد أدى هذا الاعتداء وهذا التحدى الى ترك كثير من الاخوان بيوت أهليهم الى بيوت أخرى استأجـروها ، هربا من الاعتقال واشفاقا على أهليهم من غارات البوليس ـ ولكن البوليس مع ذلك تتبعهم وطاردهمفقتل بعضهم وقبض على بعض آخر ، ناسبا اليهم تدبير مؤامرات لقلب نظام الحكم ، مدعيا عليهم حيازتهم لاسلحة ومتفجرات ، وسمى المنازل التى اختفوا فيهـا هـربا من الاعتقال سماها أوكارا ٠

ولـما رأى شباب الاخوان المطارد أن الحكومة قد فعلت بالاستاذ المرشد ما فعلت ، وأنها تواطأت ودبرت مؤامرة اغتياله ، ثم انها بعـد ذلك حفظت التحقيق وقيدت القضية جناية ضد مجهول ـ اثار ذلك بعض هـذا الشباب فأرادوا أن يقتصـوا بأنفسهم من القاتـل الحقيقى ابراهيم عبد الهـادى ٠ فتربص عدد منهم له فى طريق عودته الى منزله ـ مع علمهم بأنه لا يتحرك

الا وسط جيش لجب من الحراس ٠٠ ولكن تبين ان الذى مر فى ذلك الوقت كان حامد جود مرئيس مجلس النواب وقبض على هؤلاء الشباب ٠

وسنفرد ان شاء الله لهذه القضايا وما تم فيها من محاكمات وتحقيقات وتلفيقات وأساليب وحشية تكشف عن حقيقة هذا العهد ومخازيه فضلا خاصا ٠

وقد جاء وصف لهذا الطغيان المسعور فى الكلمة التي أوردناها فى الفصل السابق للواء صالح حرب ، ونورد وصفا آخر لهذا الطغيان جاء فى بيان نشره فى ١٩٤٩/٧/٥ بجريدة « المصرى » الاستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة بعد رجوعه من لندن قال فيه :

« وفى وسط هذا الجو الذى عشته فى انجلترا ، تلقيت من الوطن انباء تجديد الاحكام العرفية التى يعتبر العالم مجرد اسمها يرمز الى طراز من الحكم قد انقضت ايامه الى غير رجعة ٠٠ فوقع على هذا النبأ موقع الصاعقة٠ ولم يزدنى السبب الذى أعلن تبريرا لهذا الاجراء الشاذ الا فزعا واستنكارا، فقد قيل ان الاحكام العرفية جددت بسبب حوادث الارهاب ٠

ان الجميع يعلمون أن هذه الحوادث الارهابية لم تنشأ الا فى ظل الاحكام العرفية وما تخوله للحكام العسكريين من سلطة مطلقة من شأن مزاولتها ايغار الصدور ٠ فهل سنظل ندور فى دائرة مفرغة ، بمعنى ان يشتد القمع فيولد الارهاب ، فنبقى محكومين بالاحكام العرفية الى ما شاء الله دون عباد الله اجمعين ؟ !

وعدت الى مصر فوجدت آلافا من الشباب لا تزال المعتقلات تغص بهم ٠ ولا يكاد الانسان يفتح اليوم صحيفة من الصحف الا ويطالع فيها نبأ الهجوم على أوكار ارهابية جديدة أو خلايا شيوعية ، والقبض على الناس بالجملة، وتفتيش البيوت بالعشرات والمئات ٠٠ وليست هذه البيوت التى تفتش فى نهاية الامر الا بيوتا مصرية ، وليس هؤلاء الذين يقبض عليهم سوى نفر من ابناء الامة المتعلمين ٠٠ والتسليم بان هؤلاء جميعا ارهابيون أو شيوعيون معناه انّ شباب مصر كله قد تحول الى شيوعى او ارهابى ، ويكون هذا فى حد ذاته قضاء على الحكم الحاضر بالافلاس ٠

وتوضع الآن قوانين تجعل مجرد حيازة كتاب من الكتب جريمة ، وتفرض عشر سنوات من الاشغال الشاقة لا على المشتغلين بالشيوعية والتى حددها القضاء المصرى تحديدا فنيا ممتازا فانها صورة من العمل على قلب نظام الحكم بالقوة ، ولكن هذه العقوبة تشمل عبارات واقوالا ما فتئنا ننادى

بها جميعا منذ سنوات لا فرق فينا بين حزب وحزب أو بين جماعة وجماعة ، دون أن يعتبر هذا اثما أو أمرا غير مشروع ·

أى أن الامر قد تحول كله الى سد الثغرات والمنافذ التى يمكن للناس أن يتكلموا من خلالها أو أن يعبروا عن أفكارهم فى حرية واطمئنان · والامر كله هو قمع وبطش على كافة الصور والاشكال فى سائر الاتجاهات يمينا وشمالا ·

واننى أرى أن ذلك كله دليل على أننا نعيش فى أوضاع خاطئة ، وأن الاستمرار فى هذه الاوضاع لا يعود على أحد بالخير أو الفائدة ، بما فى ذلك الذين يظنون اليوم أنهم يستفيدون بهذه الاوضاع ·

وحسبى الى أن أشير الى ما قاله ممثل اسرائيل فى هيئة الامم المتحدة، وسط تصفيق دول العالم عندما قبلت دولة اسرائيل عضوا بالهيئة حيث قال : اننا لم نذهب الى فلسطين لتأليف دولة يهودية فحسب ، ولكننا ذهبنا لنحمل الى الشرق الاوسط الحرية والديمقراطية التى لم يستمتع بها أهله منذ أجيال وقرون ، ونرفع مستوى حياتهم الى مصاف الامم الراقية ·

ثم قال الاستاذ أحمد حسين : ولما كنت لا أملك من الامر شيئا الا ايمانى واخلاصى لبلادى ، فلم يبق أمامى الا الاعتكاف فى الريف ، والابتعاد عن الحياة السياسية فى الوقت الحاضر ، حتى يقتنع الجميع بأن استمرار هذه الحالة الحاضرة وتجاهل ارادة الشعب ، بل ومناوأته بهذه الاساليب من شأنه أن يمعن فى العودة بمصر القهقرى » ·

ولعل قد استبان للقارىء من الاشارات التى وردت فى هذه الكلمة صورة الحالة التى آلت اليها البلاد فى تلك الايام السوداء ·· حتى لقد بلغ الهلع بهذه الحكومة ازاء ما تشعر به من معاداتها للشعب ومقت الشعب لها ان صارت تشتبه فى كل مصرى وفى كل مواطن حتى ان رئيس الوزارة أصدر أمرا فى ١٩٤٩/٧/٦ بتفتيش السفن فى ميناء الاسكندرية للقبض على المشتبه فيهم ··· ويجدر بنا هنا أن نشير الى أن الاستاذ أحمد حسين قد تمكن من اصدار هذا البيان وأن جريدة « المصرى » قد تمكنت من نشره ، لان الاحكام العرفية كان ينتهى العمل بها فى منتصف شهر مايو ١٩٤٩ وتعمل الحكومة على مد العمل بها لسنة أخرى · وتحت ضغط المعارضة فى مجلس الشيوخ تقرر تخفيف هذه الاحكام فى أثناء فترة اجراء الانتخابات التى كان قد حان ميعادها ، وقد تناول التخفيف فى خلال هذه الفترة موضوع الرقابة على الصحف ·

اطمئنان الى الخلود فى الحكم :

٢٠ – مع أن البرلمان بمجلسيه كان العوبة فى يد هذه الحكومة ، تستصدر منه ما تشاء من قوانين استثنائية شاذة ، فان أقلية ضئيلة فى مجلس النواب من أعضاء أحرار يمثلون الحزب الوطنى والمستقلين ، واقلية أخرى من أعضاء حزب الوفد فى مجلس الشيوخ ، بدأت تثير غبارا فى وجه هذه الحكومة ٠

ففى مجلس الشيوخ قدم استجواب عن استغلال الاحكام العرفية فى التضييق على حرية النشر والصحافة ، وفى مجلس النواب قدم استجواب بهذا المعنى ٠ كما قدم طلب مناقشة فى موضوع الحكم العرفى ومبرراته بعد عقد الهدنة الدائمة فى فلسطين واتفاق رودس والموقف العسكرى والسياسى فى فلسطين ٠

ومع أن رئيس الحكومة قد استطاع باغلبيته العددية الساحقة فى المجلسين أن يتفادى تاثير ذلك كله على حكومته ، فانه راى ان تكرار مثل هذا الهجوم قد يحرجه فى يوم من الايام ، لا سيما وهو – وان كان يعتقد انه مخلد فى الحكم – فانه لا يستطيع مع ذلك ان يبقى على الاحكام العرفية الى الابد ٠٠٠واذن فلابد من حل ماكر يواجه به هذا التحدى ويضمن له الاطمئنان الى أن هذه السلطة المطلقة التى يتمتع بها ستظل فى يده فى المستقبل ٠

وتلخص الحل الذى اهتدى اليه فى وسيلتين احداهما مؤقتة والاخرى دائمـــة :

أما الوسيلة المؤقتة فهى أن يطلب مد الاحكام العرفية مدة عام ٠ وسيحل موعد الانتخابات فى خلال ذلك العام ، وسيجريها بنفسه ،وسيحصل طبعا على الاغلبية الساحقة ويظل فى الحكم ٠٠ وقد يستطيع بمجلسه الجديد – الذى قد لا يدع لغير أتباعه فرصة دخوله – أن يمد الاحكام العرفية سنة اخرى او سنتين ٠

واما الوسيلة الدائمة ، فهى أن يسن تشريعا يسميه « تشريع تنظيم الجمعيات » يودعه كل مافى الاحكام العرفية من قيود ، بحيث يكون تكوين الجمعيات فى مصر مستحيلا الا ان تكون فرعا من فروع الحزب الحاكم تحت اسم مغاير لاسم الحزب ٠ وسنفرد لهذا التشريع فصلا مستقلا لبالغ أهميته ان شاء الله ٠

وتقدم الى برلمانه الحالى يطلب مد الاحكام العرفية لمدة سنة أخرى فوافق البرلمان فى الحال • وتقدم اليه أيضا بمشروع قانون لتنظيم الجمعيات فأحيل الى اللجنة التشريعية بمجلس النواب لاعداد تقريرها عنه •• ولم تطلب الحكومة الى برلمانها نظر هذا التشريع على وجه الاستعجال ، حيث لا داعى فى نظرها لذلك اذ أمامها عام كامل ستحكم البلاد خلاله بالاحكام العرفية •

فى انتظار المكافأة :

٢١ ـ صفا الجو لحكومة ابراهيم عبد الهادى بعد أن أدت المهمة الكبرى التى كان عليها انجازها ، فقد أزالت العقبة الكئود من طريق أولياء نعمتها ، بالتنكيل بالاخوان المسلمين واعتقالهم ، واغتيالهم المرشد انعام فى جنح الظلام ، والقاء ستار كثيف من الضباب حول هذه الجريمة مما حجب الرؤية حجبا كاملا •• ثم أمنت بعد ذلك ظهرها للمستقبل ، فمدت الاحكام العرفية سنة جديدة ، وبدأت فى وضع مشروع لتنظيم الجمعيات ••• ثم جلست بعد ذلك تنتظر من أولياء نعمتها المكافأة •

ولم يخطر ببال عبد الهادى أن تكون مكافأة تجديد فترة حكمه لخمس سنوات أخرى • فهذا كان فى نظره وفى نظر الناس المعاصرين أمرا مفروغا منه ، كما أنه لم يفكر فى أن تكون المكافأة توسيع رقعة أملاكه من الارض الزراعية ، فهذا أمر فى يده هو باعتباره رئيس الحكومة وقد زاد الرقعة التى يملكها حتى صارت عشرة أضعاف ما كان يملك •

أما ما كان ينتظره مكافأة له ، فهو أن تاتيه المكافأة فى صورة انعام ملكى سام بالرتبة التى طالما حلم بها لتضعه فى البروتوكول وفى التاريخ فى مصاف النحاس باشا وعلى ماهر وحسين سرى باشا ، رتبة « حضرة صاحب المقام الرفيع » •

ولا يعجب القارىء لهذا النوع من الآمال • فلكل عهد سماته وأوضاعه وآماله • وكان من سمات هذا العهد التهالك على الرتب والالقاب ، وماتضفيه هذه الالقاب على صاحبها من أبهة وانتفاخ فى المجتمع الذى يعيش فيه ، مما يذكرنا بقول الشاعر الاندلسى :

مما يزهدنى فى ارض أندلس   ألقاب معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة فى غيرموضعها   كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

أما الشعب المسكين المغلوب على أمره ، المنكوب بزعمائه ورؤسائه ، فلم يكن أمله الذى يحلم به يتعدى أن يرى هذه الحكومة ـ حكومة الملك ـ قد خففت من وطأة ظلمها ، ورفعت عن ظهور المواطنين سياط جلاديها ... أما تغيير الحكومة فأمر لا يخطر بخيال أحد ، لانها حكومة الملك ، جاء بها لتوطد أقدامه ، وقد وطدتها بتحقيق ما كان يأمله ، فأمنته من خوف كان يقض مضجعه ومضجع سادته الانجليز .

ولكن فريقا واحدا من هذا الشعب كانت آماله أوسع من ذلك مدى ، وأرحب أفقا ، وأبعد طموحا .. وكان هذا الفريق هو « الاخوان المسلمون » ، الذين كانوا يتربصون بهذه الحكومة وأولياء نعمتها عنصر الزمن ، فكانت آمالهم معقودة بخالق الزمن والمتصرف فيه .. ولو أن الاخوان المسلمين غفلوا لحظة عن ايمانهم بخالق الزمن الذى « يخلق مالا تعلمون » لما ثبتوا فى موقفهم لحظة ، ولما واصلوا كفاحهم للطغيان عزن عوادة ساعة من نهار ...وهل يستطيع من ملأ اليأس قلبه أن يثبت على قدميه ؟ ...

وسوف يرى القارىء فى فصل قادم ان شاء الله أن الاخوان المسلمين قد تحملوا فى خلال هذا العهد الاسود المنكود ما نعزء بحملة الجبال ، « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » ... وكما بهروا العالم بشجاعتهم المنقطعة النظير فى حرب فلسطين ، فقد أخذوا بلبه بثباتهم على مبدئهم واستمساكهم بعقيدتهم وهم فى أتون التعذيب والقهر والاهانة والتنكيل .

وعلى حين غرة من الجميع فعل عنصر الزمن فعله . فوقف الشعب كله مشدوها فاغرا فاه شاخصة أبصاره لهول ما رأى وما سمع ... لقد تخفف مصرف الزمن وخالق كل شىء بمفاجأة خيبت ظنون الظالمين ، وقضت على أحلامهم ، وشتتت النوم من عيونهم ، فقد جاءهم الشر من حيث انتظروا الخير ، وأتارهم العذاب من حيث كانوا يترقبون المكافأة .. فاذا الخير الذى ينتظرون ، والغيث الذى يترقبون .. ريحا صرصرا عاتية ، اقتلعتهم من مقاعدهم وألقت بهم بعيدا فى عالم النسيان فكان حالهم كما قال الشاعر الحكيم :

اذا كان غير الله للمرء عـدة   اتته الرزايا من وجوه الفوائد

وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون

ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى

٢٢ ـ كان الاخوان فى ذلك الوقت فى معتقلاتهم وفى سجونهم وكنت أنا

فى منفاى الذى اختاروه لى — مما يأتى بيانه بعد قليل ان شاء الله — وكنا نتلقى فى كل يوم من الحكومة مطارق جديدة على رءوسنا ، ففى كل يوم مطاردة ، وفى كل يوم قبض ، وفى كل يوم مؤامرة ، وفى كل يوم تهم جديدة ومحاكمة ، وفى كل يوم أوامر متلاحقة بالتضييق والتهديد والتنكيل ٠٠ وقد وطنا أنفسنا على ذلك نستقبله استقبال الامر المتوقع ٠٠ ولكننا مع ذلك ، ومع انغلاق جميع المنافذ أمامنا لم يخامرنا اليأس من رحمة الله ٠٠ ولكن كيف تنفذ الينا هذه الرحمة والمنافذ كلها محكمة الاغلاق ؟ هذا ما كنا نتركه لقدرة الله وارادته ٠

رؤيا لى نادرة : وقد كنت انسانا قليل الرؤى بل أكاد أكون عديمها ٠٠ وطالما شكوت ذلك الى الاستاذ الامام فكان يطمئننى بأن هذا ليس عيبا بعيب المؤمن ٠٠ وقد مكثت الفترة الاولى التى مكثتها فى منفاى — أكثر من خمسة أشهر — لم أر خلالها رؤيا واحدة ٠٠ ولكننى فى احدى ليالى الثلث الاخير من شهر يوليو ١٩٤٩ وكان ذلك موافقا لاحدى ليالى العشر الاواخر من شهر رمضان رأيت رؤيا طويلة زاخرة أذهلتنى وأطارت لبى وأثارت وجدانى وأرسلت دموعى ٠

وحين أحاول الآن — بعد ثلاثين عاما — أن أتذكر تفاصيل هذه الرؤيا أجد أكثر هذه التفاصيل قد بهتت فى خاطرى حتى لا أكاد أراها ٠٠ ولكن الذى لا يزال ماثلا أمامى منها حتى الآن هو منظر الاستاذ الامام واقفا على منصة عالية ٠ ونحن — عددا غير قليل من الاخوان — بين يديه يحدثنا ويوجهنا ويوصينا وكأنه يريد أن يشعرنا بأنه مغادرنا ٠ ووصاياه كلها فى الحرص على الاخوة والترابط والحث على الصبر ٠٠ وكان شعورى بما يعتزمه من مفارقتنا قد جعل دموعى تنهمر لا أقوى على مدافعتها ٠٠ وقد أكثرت انا وزملائى من الاستفسار منه عن أمور كثيرة ، وكنا فى عجلة فى توجيه الاسئلة اليه قبل أن يغادرنا المغادرة التى نشعر أن لا لقاء بعدها ٠٠٠ وكنت حريصا على أن ألتزمه وأعانقه عناقا حارا طويلا ثم أمسك به حتى لا يفارقنا ٠٠ ولكنه كان يشعر بهذا الشعور منا فيمهلنا حتى يتم وصاياه الينا ٠٠ وكان ارتفاع المنصة ارتفاعا لا يتيح لاحد منا أن نصعد اليه الا أن ينزل هو الينا ٠

وكان مما لفت نظرى واسترعى انتباهى فى هذه الرؤيا أن الاستاذ المرشد كان خلالها حليق اللحية ، وهو منظر لم نره فيه من قبل ٠ كما أنه كان حين يتكلم ويوجه نصحه الينا ويسدى وصاياه كان يفتح فمه ويحرك شفتيه ولسانه كالمتكلم تماما ولكنه لا يصدر صوتا ، ومع ذلك كنا نفهم كل ما يقول ٠٠٠ وفجاة التفتنا فاذا بنا لا نراه ٠

وفى مساء اليوم التالى ، اتاحت لى فرصة عجيبة ـ وسط اجتماع اخوى حبيب ـ أن التقى بضيف طارىء لم أره من قبل ، وكان شيخا وقورا ذا لحية ضخمة وفى سن يناهز السبعين ـ وقد انسيت اسمه ـ وقد علمت انه عالم أديب ومن المجاهدين غير المصريين المطاردين ... فلما قصصت رؤياى على اخوانى فى هذا الاجتماع ابتسم هذا الشيخ ابتسامة عريضة وقال لى ولمن حولى من الاخوان : أبشروا فان الله سيغير الاوضاع ، وهذه رؤيا صادقة ودليل صحتها وصدقها أمران ، أولهما رؤيتك الاستاذ المرشد بغير لحية مما لفت نظرك ، والثانى كلامه المفهوم بغير صوت ، فالاستاذ الآن فى حياة البرزخ ، وهى الحياة التى بين الحياتين الدنيا والآخرة ، ومن مميزاتها أن يكون الناس فيها فى سن واحدة وبدون لحى .

وقد يكون من القول المعاد أن أقول أن الفترة التى رأيت فيها هذه الرؤيا لم يكن يخطر ببال أحد فيها فى مصر لا سيما فى بال رئيس الوزراء أن تتغير الوزارة ، وكان أى محال يبدو ممكنا الا أن يخلع ابراهيم عبدالهادى من الوزارة وهو أقرب المقربين الى الملك ، ويؤيده مجلسا البرلمان بلا تحفظ وهو الخادم المطيع للحضرة الملكية التى كانت معبودا لهم من دون الله .

وبعد أيام من هذه الرؤيا وقع النبأ الذى لم يكن متوقعا . واهتزت البلاد من أقصاها الى أقصاها ، لان الحدث كان أبعد الاحداث عن الاحتمال . وأعلن سقوط وزارة عبد الهادى وتأليف وزارة سميت « محايدة » وأعلن فى خطاب تأليفها أن مهمتها النظر فى الافراج عن المعتقلين .

وتدل مجريات الاحوال على أن اسقاط وزارة عبد الهادى وتأليف وزارة محايدة لم يكن من بنات أفكار الملك وحاشيته ، كما لا يمكن أن يكون من تفكير عبد الهادى وحزبه ، وانما كان من تفكير الانجليز وسعة دهائهم ،وأنهم أمروا الملك بذلك لانهم خشوا لو طال بقاء عبد الهادى أكثر من ذلك لادى الى انفجار الموقف انفجارا قد لاتسهل السيطرة عليه .

وقد يتطلع القارىء الى معرفة الصورة الرسمية التى تم هذا التغيير فى اطارها فنقول ـ نقلا عن الصحف فى ذلك الوقت ـ أن الملك أوفد حيدرباشا ـ وكان قائدا عاما للقوات المسلحة ومن المقربين الى الملك ـ الى ابراهيم عبد الهادى لابلاغه رغبة الملك فى استقالته ، كما أوفد حيدر باشا الى حسين سرى لابلاغه بتكليف الملك اياه لتأليف الوزارة الجديدة .

ولما كان ابراهيم عبد الهادى لايملك ازاء هذه الصفعة القاتلة الا الخضوع والإذعان ، فقد قدم استقالته ونصها :

« مولاى ـ تفضلتم فعهدتم الى بالحكم فى ظروف دقيقة . وقد استطعنا بفضل سامى توجيهكم ، وكريم ارشادكم ورعايتكم أن ننهض

بالامانة وأن نؤديها على خير ما نرجو ـ والان وقد أوشكت الدورة البرلمانية على النهاية فان الحكومة تضع استقالتها بين يدى جلالتكم ، لتوجهوا البلاد وفق ما نرجونه لها من خير » .

وقبل أن يكتب هذه الاستقالة رد على حيدر باشا بقوله : اننى أتلقى هذا التوجيه الملكى بالاحترام والاجلال وسأبلغه الى زملائى وننزل على هذه الرغبة الكريمة .

وقد رد الملك فى نفس اليوم على عبد الهادى بقبول استقالته وجاء فى الرد : وانا اذ نجيبكم الى ملتمسكم لنذكر بالتقدير تلك الهمة العالية والوطنية الصادقة التى سستم بها امور البلاد ، فى حرص على طمأنينتها وسعى لتوطيد الامن فى ربوعها .

هدية الملك الى الشعب : ولما كانت أقالة هذه الوزارة قد تمت فى ٣٠ رمضان ١٣٦٨ ، فقد أصدر الملك نطقا ملكيا بأن الملك قد جعل هذه الاقالة هدية الملك الى شعبه بمناسبة عيد الفطر المبارك .

وفى أول جلسة لمجلس النواب حضرها حسين سرى باشا رئيس الوزارة الجديدة ألقى حسين سرى بيانا مقتضبا لم يشر فيه الى المعتقلين ، فقام مكرم عبيد باشا عضو المجلس وطالب بالغاء الاحكام العرفية والافراج عن جميع المعتقلين فى الحال ، فصاح النائب السعدى نحنى المسلمى قائلا : اذا أفرج عن المعتقلين فستكون أنت أول ضحاياهم .

وكان الدليل المادى على كذب هذا النائب السعدى وحزبه هو أن رئيس الوزراء الجديد فى الوقت الذى قرر فيه أن تبقى الحراسة حول دار ابراهيم عبد الهادى كما كانت بدون تغيير ، لم يصحب هو بعد تكليفه بتشكيل الوزارة سوى ياور رئيس الوزراء وترك الحرس الكبير الذى كان يحرس رئيس الوزراء السابق ـ ورفع بوليس حرس الوزارات الذى كان قائما حول مبنى ديوان الرئاسة وديوان المالية ولم يبق سوى ثلاثة جنود موزعين فى أماكن متباعدة .

ولما قدم له عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية للامن العام بعد عشرة أيام من تشكيل الوزارة كشوفا بأسماء من تمنحهم ادارة الامن العام مكافآت شهرية من المصاريف السرية أعاد اليه الكشوف مؤشرا عليها بعدم الصرف والغاء هذا النوع من المكافآت ـ ونقله هو شخصيا من وزارة الداخلية وكيلا لوزارة المواصلات ... ومع ذلك لم تحدث حادثة واحدة تعكر صفو الامن .

تنفس الناس الصعداء ، وأخذت التحقيقات فى القضية المراد طمرها تشق طريقها من جديد **ولكن على استحياء** .

الفصـــل الثالث

شخصيات ومواقف كشفت عنها المحنة القاسية

مقـــدمة

كنت — منذ بدأت مؤامرة الحل — فى دمنهور تحت الحراسة الاخـوية النبيلة من الرجل الكريم الاستاذ (ع) — فلما ارتكبت الجريمة الشنعاء كاد الحزن يقتلنى ٠٠ ومع أنه كان فيما أسر الى به الاستاذ (ع) من قبل اشارة الى احتمال وقوع هذه الجريمة ، فان ذلك لم يخفف من أثر وقوعها فعلا فى نفسى ٠٠ ولم افهم الحديث الذى كنت أقرأه ومعناه أن النبى صلى الله عليه سلم يقول : « اذا عظمت مصيبة أحدكم فى عزيز فليذكر مصيبته لى فتهون عليه مصيبته » الا حين وقعت هذه المصيبة ووجدتنى عاجزا عن احتمالها ، فقدرت مدى مصيبة المسلمين بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانهـا حقا أعظم مصيبة يصاب بها مسلم الى يوم القيامة ٠

لقد كانت مصيبتى باستشهاد حسن البنا اعظم مما يتحمله قلب ، لقد صار المـوت أحب الى من الحياة ، ولقـد بدأت أفهم معنى قـول الله تعـالى « النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم » وقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم « لا يؤمن أحـدكم حتى أكون أحب اليه من ابيـه وامـه ومن نفسه التى بين جنبيه » ٠٠ وبدأت أفهم معنى قول الصحابى الجليل : كنا اذا احمر الحرق ، وحمى الوطيس احتمينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب الدعوة ، تلقاها بالوحى عن ربه ٠ وقـد قرر القرآن له حقا على المـؤمنين أنه أولى بهم من انفسهم ٠ وحين قرر القرآن هذا الحق لم يكن مقررا الا أمرا واقعا ، وشعورا متملـكا قلب كل مؤمن نحو هـذا الرسول الكريم ٠٠ وبعـد أن أدى مهمته ، وبلـغ رسالته ، اختار الرفيق الاعلى ، فكانت المصيبة التى أذهلت أثبت المؤمنين جنانا ، وأصلبهم عودا ، وأقواهم شكيمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠

ثم كان على مر الزمن ، بين الفينة والفينة ، دعاة يقومون على اثر محمد صلى الله عليه وسلم ، يجددون دعوته ، ويجمعون الناس على لب رسالته ٠٠ وهؤلاء الدعاة قلة على طول الزمن ٠٠ لا يكاد الزمن يجود بواحد منهم الا بعد مرور اجيال واجيال ، يكون الدين فى خـلالها قـد درست معـالمه ، وطمست

قسماته ، وذهبت نضارته ، وغابت تحت أكداس الزيف والترهات حقيقته ٠٠ حتى صار أصحاب العقول يتلمسون من ينقذ الدين مما ألم به ، ومن يأخذ بيد الامة الاسلامية الضالة الحائرة فيقفها على اول الطريق ٠٠ فيمن الله الرءوف الرحيم بواحد من هؤلاء الدعاة،فيتسابق أصحاب العقول الى مبايعته، ثم يستجيب له الناس طوائف طوائف ، فيسير فيهم سيرة النبى الكريم فى صحابته فيحبهم يحبونه،ويؤثرهم على نفسه ويؤثرونه ، ويعرفون له فضلهفى هدايتهم الى الحق ، ويحسون السعادة فى عمق تأثيره فى نفوسهم باعراضه عن متاع الدنيا ، ويتعلمون بين يديه التضحية فى سبيل الحق حين يرونه يخوض الغمرات فى سبيله ، يتعلمون بين يديه صناعة الموت ٠٠ وما أعظم الفرق بين الموت وبين صناعة الموت ، فكل الناس يموتون ٠٠ ولكن الذين تعلموا صناعة الموت لا يموتون الا اذا رغبوا لموتهم ثمنا غاليا وربحا كبيرا يموتون فى المواقف التى يحيى موتهم فيها أممهم وعشائرهم حيث يرجون لانفسهم فى الآخرة مكانا عليا ٠

هؤلاء الدعاة ، تكون المصيبة فى فقدهم قريبة فى فداحتها على المؤمنين من مصيبة المؤمنين فى فقد رسل الله صلى الله عليه وسلم ــ وكأنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد هؤلاء الدعاة والمستجيبين لهم حين قال لاصحابه « ما أشوقنى الى اخوانى ٠ فقال الحاضرون : السنا اخوانك ؟ قال : لا ٠٠ بل انتم اصحابى ٠ اخوانى قوم يأتون بعدكم ، أجر الواحد منهم كأجر أربعين ٠ قالوا : وكيف استحقوا هذا الاجر ؟ قال : انكم تجدون على الخير أعوانا ، أما هم فلا يجدون على الخير أعوانا » او كما قال صلى الله عليه سلم ٠

أدرت الحديث حول الدعوة والدعاة لاقرب الى خيال القارىء مدى فداحة الرزء الذى ينزل بالمؤمنين حين يفقدون مرشدهم وقائدهم ٠٠ ولم يكن هذا شعورى وحدى ، وانما كان شعور مئات الالوف من الناس ، لافى مصر وحدها، بل فى العام الاسلامى كله ٠٠ لقد اذهلنى المصاب عن اهلى وعن أولادى وعن بيتى وعن عملى وعمن حولى وعن نفسى ٠٠٠ واذا كانت الخنساء تقول حين فقدت اخاها صخرا وهو رجل كسائر الرجال :

ولولا كثرة الباكين حولى   على اخوانهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل اخى ولكن   اعزى النفس منهم بالتأسى

فانى لنا ان نجد عزاء فى فقد حسن البنا الذى قلما تجود الايام بمثله؟!

لم اجد بجانبى فى ذلك الوقت العصيب الا الرجل الطيب الدمث

الاخلاق الكريم المحتد الاستاذ (ع) ، قضيت معه بعد المصاب أياما لا تعدو الاربعة ، لم يكن يفارقنى فيها الا وقت النـوم - ان كان هناك نوم - ثم وصلنى أمر بالنقل فورا الى « أبو تيج » • وقد تبين لى أنه ليس نقلا بالمعنى المألوف بل هو تحديد اقامة ، فقد طلب الى أن أسافر وحدى دون أسرتى وأولادى ، فلما وصلت الى هناك علمت أننى ممنوع من مغادرة ذلك البلد الى أى مكان آخر ••• وقد ودعنى الرجل الكريم الاستاذ (ع) والدموع تترقرق فى عينيه ، وهو يقول لى معتذرا : لا تؤاخذنى يافلان فان هذا النقل هو أخف أجراء استطعت أن أصل اليه معهم فيما يختص بك •

أولا - شخصيات ومواقف خاصة

لما حملنى القطار الى « أبو تيج » وكنا فى المساء نزلت فى فندق بها ووجدتنى مضطرا لقضاء هزيع من الليل فى مكان آخر حتى يغلبنى النوم حيث حالة الفندق تقتضى ذلك ، فاتخذت لى مجلسا فى مقهى أمام الفندق - ولما كنت وجها غريبا فقد تقدم نحوى شابان ظريفان كانا يجلسان معا فى المقهى قريبا منى وتم التعارف بينى وبينهما • ولما علما بأننى نزلت بالفندق - وكانا يعرفان حالة الفنادق فى هذا البلد - أصرا على استضافتى فى شقتهما ذات الحجرتين الواسعتين القريبة من الفندق •

والحق ان الشابين - سعد وحسن - الموظفين بالمحكمة وأولهما من الفيوم والآخر من بنها ، كانا معى غاية فى الكرم ، فلقد حضر الاخ الكريم الحاج هاشم محمد خليل صبيحة اليوم التالى - حين علم بحضورى - وحاول انتزاعى منهما فرفضا بكل شهامة ، فأمدنى الحاج هاشم - أكرمه الله - بكل ما يلزمنى من الفراش ، وشاركتهما السكن •• وكانت حجرة حسن أوسع فشاركته فيها •

ومعذرة الى القارىء فى هذا الاستطراد فسأقص طرفا من قصتى مع هذين الشابين ومع غيرهما ممن صادفنى فى تلك الفترة من حياتى بهذا البلد الطيب، فلقد تعلمت على يد هذين الشابين أمورا فى حياة بلادنا الاجتماعية من الخير أن يلم بها القارىء • وكأننا نحن - الاخوان المسلمين - أراد الله أن يطلعنا على خبايا من الحياة الاجتماعية للجمهور الذى هو منا ونحن منه حتى اذا تحدثنا اليه تحدثنا الى من نعرف عنه الكثير •

خطورة القمار :

لاحظت أن « حسنا » قد كرر اقتراضه منى حتى اقترض منى أربع

مرات فى خلال أسبوعين • فسألت « سعدا » عن ظروفه التى دعته الى هـذا الاقـتراض ففـاجأنى بأن « حسنا » يلعب القمار • فلما واجهـت « حسنا » بذلك أنكر •

وكان من عادتى أن أستسلم للنوم بعد العشاء • فلفت « سعد » نظرى الى أن « حسنا » يسهر معظم الليل فى لعب القمار ، وحدد سعد المكان الذى يباشر فيه هذا اللعب • فلما سألت « حسنا » عن ذلك أنكر • فلما علم سعد بهـذا الانكار طلب الى أن أخالف عادتى وأسهر الليلة القادمـة • وصحبنى نحو منتصف الليل الى مكان ناء خارج المدينة وأشار الى حجرة مغلقة الباب والنوافذ فى الدور الارضى • وكنا اذ ذاك فى ليالى الشتاء الباردة • وقال هذه هى الحجرة •

وطرقنا باب الغرفة • وفتحوا لنا الباب بعد أن اطمأنوا الى أننا لسنا من رجال البوليس ، فاندفع نحونا من الباب هبة نتنة من هواء ساخن فاسد، مما حملنا على التراجع قليلا منحرفين عن الباب حتى خفت حدة هذه الهبة ، ودخلنا فاذا هى غرفة صغيرة تتوسطها منضدة ، والغرفة مكتظة بالاشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين الشباب والكهولة ، ورأيته بينهم صديقنا «حسنا» الذى بدا على وجهه الخجل ـ ولا أقول احمـر وجهـه خجـلا ، لان اكتظاظ الغرفة بهذا العدد مع الانفعال المستمر أثناء اللعب جعـل الدم منـدفعا الى وجوههم فهى حمراء دائما • وبعد أن صافحنا حسنا انسحبنا من الغرفة •

ولـما التقيت بحسن بعد ذلك اعتذر الى من هذه « الهفوة » التى حاول أن يقنعنى بأنها غلطة لن تتكرر •• وقد انتهـزت الفرصـة وشرحت لحسن خطورة مجرد وجوده داخل مثل هذه الحجـرة وتنفس هـذا الهـواء النتن ، وحذرته من أن خروجه من هذا الهواء الساخن ومقابلة الجو البارد قد يعرضه لمرض خطير •• فأقسم لى أن هذا لن يتكرر •

ولكن سعدا لفت نظرى الى أن حسنا مستمر فى خطته ، وأنه فى أكثر الليالى لا يأوى الى المنزل لينام الا بعد منتصف الليل ، وفى بعض الليالى لا يأتى الا قبيل الفجر ، وأنه حريص حين يدخل الشقة أن لا يحس به أحـد فهو يمشى على أطراف أصابعه •• أما أنا فكنت أصحو من النوم لاصلى الفجر فأراه نائما فى سريره •• ومع ذلك فقد كنت حريصا على أن اسدى اليه النصح من الناحية العامة المرة بعد المرة ، وهو يقنعنى فى كل مرة بأنه امتنع منـذ الليلة التى رأيناه فيها فى معمعان اللعب •• وكان حـريصا على أن يصـلى صلاة الصبح امامى كل يوم •

وفى صباح أحد الايام حين استيقظت لصلاة الفجر رأيت سرير حسن خاليا ، فخشيت أن يكون قد أصابه مكروه ، ولكننى بعد أن صليت الفجر واتخذت مضجعى فى السرير ثانية ، وكادت الشمس تشرق ، أحسست أن أحدا قد فتح باب الشقة بخفة ، فتظاهرت بالنوم ورأيت صاحبنا قد دلف الى الحجرة فى هدوء وأوى الى فراشه ٠

ولما حان الموعد الذى نتأهب فيه للذهاب لاعمالنا ، استيقظ حسن وهو معتقد أننى لم أشعر بدخوله ولكننى أفهمته أننى أحسست به فانتحل بعض الاعذار ٠٠ وشددت عليه النصح حتى بكى ووعد بالحضور مبكرا ٠٠ وما هى الا أيام حتى عاد الى ما كان عليه ، ووصل الحال آخر الامر الى أنه لا يحضر الى المنزل ويستغرقه اللعب فى الحجرة الملعونة طول الليل حتى يحين موعد الذهاب الى عمله فى الصباح فيهرول ولا يصل الى عمله الا متأخرا ٠٠ ويخبرنى سعد بذلك ولا أراه أياما متتالية ٠٠ ثم يتفاقم الامر ويخبرنى سعد بأنه قد اكتشف عجز فى خزينة المحكمة وأن حسنا يواجه تحقيقا قد يؤدى الى فصله (كان حسن امين خزينة المحكمة) ولكن زملاءه من موظفى المحكمة تعاونوا معا وانقذوا الموقف ٠

وهنا طلبت من سعد أن يحضر لى حسنا الى المنزل بعد صلاة العشاء مباشرة حيث جلست معه جلسة طالت الى جوف الليل ٠٠ واجهته فيها بكل ماقى نفسى وشرحت له خطورة ما هو منغمس فيه من ضلال وكذب ، وما هو مقبل عليه من دمار وتحطم ٠٠ وبينت له أن لاداعى للكذب أمام انسان يتمنى الخير لك وهو لا يملك لك ضررا ولا نفعا ٠٠ ويبدو أن حالة من الانفعال فى النصح لبستنى وكانما لمست أخيرا موضع الاحساس من قلبه ، فتغيرت لهجته فجأة واتجه الى بقلبه لاول مرة وقال : يافلان ٠٠ أنت الآن أعز عندى من أبى ودعنى أصارحك لاول مرة بما لم أصارح به أحدا من قبل : كان والدى مدرسا فى ثانوية بنها وكنت طفلا مدللا ، فكنت ألعب « البلى » مع الاطفال فى الشارع فلم ينهنى والدى ، والبلى ليس الا نوعا من القمار فانغرس فى نفسى منذ ذلك العهد حب القمار ، فلما كبرت باشرت أنواعا اخرى من القمار دون أن أجد من ينهانى فصار الشغف بالقمار مختلطا بدمى ـ واحب أن أقرر بين يديك أن المقامر مهما اقسم لك أنه امتنع عن القمار فهو كاذب لان القمار داء من تمكن منه استعبده واستولى على قلبه ومشاعره بحيث لا يستطيع التخلص منه طواعية فقد يستدين ويبيع ما يملك ويسرق الا أن يجد من يحبسه عنه بالقوة ولمدة طويلة ٠

فقلت له يا حسن ليتنى املك ان احبسك ولكنك تعرف الظروف التى تحيط بى انا الآن ابكى لاننى اعرف النهاية التى تقترب منها كل يوم ٠ وليتنى استطيع ان ادفع عنك ٠

وتطورت الايام بعد ذلك ، وغادرت « ابو تيج » الى بلاد أخرى ، وبعد سنوات التقيت بسعد صدفة فسألته عن « حسن » فقال لى : ان « حسنا » قد اغتاله « السل » والعياذ بالله ومات به ٠٠ فكان ما توقعته وحذرته منه ، اسال الله تعالى أن يتغمده برحمته ٠

من اضرار الحشيش :

أما « سعد » فلم يكن يلعب القمار ، وكان يبدو لى شابا مستقيما ، بل انه كان يلفت نظرى الى انغماس « حسن » فى القمار رجاء اصلاحه ٠ وقد ظللت على ظنى هذا حتى كانت ليلة أيقظنى على غير عادتى فى منتصف الليل حصر بول ، فقمت من سريرى متجها الى دورة المياه التى كان بابها قبالة باب حجرة سعد ٠٠ وقد استوقفنى عندما استيقظت أصوات منبعثة من حجرة سعد الملاصقة لحجرتنا ، ولاحظت أن الاصوات لاكثر من شخص وأكثر من شخصين ، كما لاحظت أن الالفاظ التى تبينتها من هذه الاصوات ألفاظ غير مهذبة ٠٠ فتريثت لحظات ثم أرغمنى البول على مغادرة الحجرة الى الصالة حتى اذا وصلت الى باب دورة المياه وجدت حجرة سعد مضاءة ووجدت بابها مفتوحا ورأيت منظرا مهينا ٠٠ رأيت هؤلاء الاشخاص بعد أن لعب الحشيش – الذى فاحت رائحة دخانه – بعقولهم وقفوا جميعا كل أمام الآخر وقد رفعوا ثيابهم وكشفوا عن عوراتهم وكل منهم يتبول على الآخر متفوها بألفاظ مزرية ٠

وفى الصباح قررت أن أنقل سريرى الى مسكن آخر مع صديق ٠ وقد عارض سعد فى ذلك أشد المعارضة ، لكنه أحس من شدة اصرارى أننى اطلعت على مالم يحب أن أطلع عليه من أمره مع أصدقائه المنحرفين – ويعلم الله اننى ما قصدت الى الاطلاع – فاضطر آسفا أن ينزل على رغبتى ٠٠ ولعله بعد ذلك قد اقلع وتاب ٠

هذا ولعلى بهذه الكلمات القصار قد ألقيت بعض الضوء على مرضين خطيرين من أمراضنا الاجتماعية ما كنت قبل تجربتى هذه أقدر خطورتهما هذا القدر ٠

فى النار ولا يحترق :

قدمت من قبل اننى كنت أثق كل الثقة فى مقدرة الاستاذ الامام على اختيار الرجال ٠ كان الاخ الحاج هاشم محمد خليل من أوائل من وقع اختيار الاستاذ عليهم لعضوية الهيئة التاسيسية ، ولم تكن معرفتى به تتعدى فترات اللقاء فى اجتماعات الهيئة القليلة العدد ٠٠ فلما اختارت وزارة

السعديين « أبو تيج » لتكون لى منفى ، كان هذا المنفى الذى أرادوه هو أحب مكان الى بفضل تعرفى عن قرب على شخصية الاخ الحاج هاشم ٠

كان الحاج هاشم تاجرا وعالما وأديبا ، وكان أكبر تاجر للدخان فى الوجه القبلى ، يستورد أوراقه الشجرية من الخارج ويوزعه على التجار والمصانع ، وعلمت أنه ورث هذه التجارة عن أهله كابرا عن كابر ٠ وكانت شركات السجاير الكبيرة عندما تفكر فى انتاج توليفة لسيجارة جديدة ترسل اليه مندوبا يعرض عليه التوليفة ليبدى رأيه فيها ٠٠ ومع هذا كله فهو لا يدخن مطلقا حتى انه حين يختبر التوليفة المقترحة كان يتذوقها بأن يدخن منها عدة أنفاس دون أن يبتلع أى دخان منها ٠٠ وقد سألته فى هذه المفارقة العجيبة ؟ كيف يكون أكبر تاجر للدخان وفى الوقت نفسه لا يدخن ٠٠ فكانت اجابته كالآتى :

تناول نوعا من السجاير كان يعد فى ذلك الوقت أغلى وأرقى أنواع السجاير ويسمى « سيجار التوسكانى » والسجارة عبارة عن ورق شجر الدخان بحالته الطبيعية ملتف بعضه على بعض ولا يغلفه ورق عادى كالذى يغلف جميع أنواع السجاير ٠ تناول واحدة منها وأشعلها وسحب منها عدة أنفاس وتركها حتى انطفأت (طبيعة هذا النوع أنه ينطفى من تلقاء نفسه عدة مرات ويعيد مدخنه اشعال السيجار فى كل مرة) فلما انطفأت كسر السيجارة نصفين وقربهما من أنفى فشممت رائحة نتنة لم أطقها ــ فقال لى: لهذا أنا لا أدخن ٠٠٠ هذه شجرة نتنة ، ولولا أننى ورثت هذه التجارة عن أهلى وآبائى ما زاولتها ٠

قلوب تلطف عسف القوانين :

لما طال غيابى عن أولادى المقيمين فى رشيد عدة أشهر ، وتولانى القلق عليهم ،. فكرت فى زيارتهم ٠ فتحدثت فى هذا الشأن مع رئيسى المقيم فى أسيوط وكان زميلا لى مسيحيا ، وطلبت منه اجازة لمدة أسبوع ٠ فتلعثم وبدا عليه الحرج ٠ ثم كاشفنى بأن هذا النقل هو بأمر وزارة الداخلية ، وأطلعنى على الخطاب السرى الخاص بذلك ٠

ولما كان هذا الرئيس زميلا كما قدمت ، فقد أخذ يفكر معى فى وسيلة للخروج من هذا المازق ، وانتهى التفكير الى ان السفر اذا امكن فلا يكون باجازة رسمية ، وأبدى استعداده للقيام بعملى فى غيبتى ، لكنه لفت نظرى الى أن رقابة من وزارة الداخلية مفروضة على ٠

وكنت اعلم ان مامور المركز رجل كريم ومن اسرة عريقة ٠ فى العلم

والدين ، فذهبت الى المركز وقابلت ضابط المباحث ، وكان شابا دمث الاخلاق ذا سيرة طيبة • فكاشفته بالموضوع بصراحة تامة • فقال لى ان الرقابة المحلية هنا مقدرة لظروفكم ونستطيع التهاون فيها ، ولكن هناك رقابة أخرى من وزارة الداخلية بالقاهرة •• واتفق معى على أن أسافر فى جنح الظلام ، وأترك رقم تليفون فى رشيد ، وأن لا أشعر الناس فى رشيد بوجودى •• فاذا جد فى الامر شىء اتصلنا بك تليفونيا للحضور فى أول قطار •

ونفذت الخطة • وبعد يومين من وصولى الى رشيد جاءنى التليفون فاستقللت أول قطار وذهبت الىعملى فى أبو تيج حيث اتصل بى فيه تليفونيا مأمور المركز وطلبنى لمقابلته •• فأطلعنى على الاشارة التليفونية المرسلة اليه من وزارة الداخلية يسألونه عما اذا كنت قد غادرت أبو تيج طالبين منه سرعة الرد — ورد الرجل — أكرمه الله — عليهم ردا كريما ، دافع فيه عنى قرر أنه كان يتصل بى يوميا فى عملى وأننى لم أغادره مطلقا • وهكذا يقوم الرجال الصالحون بتلطيف القوانين مهما بلغت هذه القوانين من الجور والظلم والعدوان •

وعى فج مقلوب :

فى البلاد الصغيرة التى يعرف الناس فيها بعضهم بعضا لا يكاد الناس يتأثرن بدعايات الحكومة ولا بما تذيعه أجهزة اعلامها من زور وافتراء، حيث يسمعون ويقرأون عن الاخوان المسلمين أوصافا يجدون عكسها فيمن ينتسب الى الاخوان من أهل بلدهم •

ولهذا كان محل الاخ الحاج هاشم — بالرغم من التضييق الحكومى — ملاذا للمثقفين من أهل « أبو تيج » ومن الطارئين عليها على اختلاف مبادئهم واتجاهاتهم وآرائهم •

وفى احدى جلساتنا بمحل الحاج هاشم انطلق أحد الجالسين — وكان شابا حقوقيا يشغل منصبا اداريا مرموقا بالمدينة — يقول : لقد أثبت النحاس باشا أنه رجل طيب حقا لانه ضرب بالنار ولكنه لم يصب ، أما حسن البنا فيبدو أنه كان رجلا شريرا بدليل أنه لما ضرب بالنار أصيب وقتل •

فقلت له : مهلا يا أخى ولا تتسرع بالحكم •• فلو أننا أخذنا بمقياسك هذا لخرجنا بنتائج عجيبة •• فبهذا المقياس يكون عمر بن الخطاب رجلا شريرا ، ويكون عثمان بن عفان رجلا شريرا ، ويكون على بن أبى طالب رجلا شريرا ، ويكون الحسين بن على رجلا شريرا وهكذا ••• فبهت الشاب وأسقط فى يده •

وقد سقت هذه الواقعة ليقف القارىء على مدى سذاجة الناس فى نظرتهم الى الاحداث ، وفى تقديرهم للرجال ، ومدى فقدانهم للوعى السليم،وافتقارهم الى ميزان دقيق يزنون به الامور ٠

بعثة الازهر للتوعية :

ان كل ما نزل بالاخوان فى ذلك العهد من مصائب ، وما انصب على رءوسهم من ويلات ، لم يجرح قلوبهم ، ولم يدم أفئدتهم ٠٠ ولكن الذى جرح قلوبهم وأدمى أفئدتهم هو ما سمى « بحملات التوعية الازهرية » ٠

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

وينبغى أن لا يتطرق الى ذهن القارىء أن الازهر كان عدوا للدعوة الاسلامية المتمثلة فى الاخوان المسلمين ، فان شباب الازهر كانوا هم عماد دعوة الاخوان ، وكانوا فى مقدمة من صب على رءوسهم البلاء ٠٠ ولكن الذين أقصدهم هم فئة قليلة من كبار الشيوخ عبدوا المناصب ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ٠

فى خلال فترة وجودى فى « ابو تيج » كان الاخ الكريم الشيخ احمد شريت مفتش الوعظ فى محافظة اسيوط ٠ ولم تكن الحكومة قد تيقظت بعد الى انه من الاخوان المسلمين ، فكان لذلك حر الحركة ٠ وكنا حريصين على أن لا يكون اتصاله بنا اتصالا مباشرا حتى يمكننا الابقاء على حريته ، فكان يتصل بنا عن طريق أشخاص معينين ٠

وفى يوم من الايام جاء رسول الشيخ احمد ينقل الينا الخبر التالى :

وصلت الى اسيوط بالامس « حملة الازهر للتوعية » مكونة من عدد من العلماء برياسة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز (مدير الوعظ والارشاد بالازهر ووكيل الازهر فيما بعد) ٠ ولما كنت المسئول عن الوعظ فى المحافظة فقد كنت فى استقبالهم ، وطلبوا الى أن ارافقهم لمقابلة المحافظ ـ كمال الديب باشا ـ ليستأذنوه فى المرور ببلاد المحافظة فرافقتهم ٠

ولما دخلنا مكتب المحافظ استقبلنا الرجل واخذنا مجالسنا ٠ وشرع الشيخ دراز ـ باعتباره رئيس الحملة ـ يتحدث عن الاخوان المسلمين حديثا يطعن فى ايمانهم ٠٠ فلما احس أن الحديث بهذا الاسلوب لا يلقى قبولا لدى المحافظ اختصر الشيخ الكلام ولجأ الى أسلوب آخر فقال : ان الاخوان **المسلمين هم السبب فى ان فقدت البلاد رجلين من رجالها ٠ فسأله المحافظ : ومن هما الرجلان ؟ فقال الشيخ : النقراشى باشا وحسن البنا ٠ فاذا**

بالمحافظ ينطلق قائلا : ولكن يافضيلة الشيخ « حسن البنا » لا يعوض ·

وكأنما كانت كلمة المحافظ هذه سهما أطلقه على الشيخ فأصاب منه مقتلا ، اذ سكت الشيخ وأرتج عليه ولم يتكلم حتى استأذن وانسحب برجاله ·

ولا داعى من ناحيتنا نحن للتعليق على كلمة هذا الرجل الكبير الذى نطق بما نطق به وهو فى منصبه الرسمى ممثلا للحكومة السعدية فى وجه شيخ كبير من شيوخ الازهر معروف بميوله لحزب الحكومة ـ كما لا أرى داعيا للتشاية التى ما قامت به حملة التوعية هذه من جوب البلاد تنشر الاكاذيب ، وتشيع البهتان ، وتثير الفتن ، مشيعين من أهل الريف الطيب فى كل مكان نزلوا فيه بالاحتقار والازدراء ·

ثانيا ـ شخصيات ومواقف عامة

فى الاسطر القليلة السابقة اشرت الى شخصيات ومواقف لابستها فى الموضع الذى قضيت فيه أحرج أوقات المحنة · وكانت هناك فى نفس الوقت أحداث تجرى ، وشخصيات تتكشف ، ومواقف تتحدد ، على مستوى القطر كله ·· فى القاهرة ، حيث حيكت المؤامرة ، وحيث المسرح الذى تتصارع على خشبته القوى المتآمرة والقوى المتحالفة ، والقوى المتزلفة ، والقوى المؤمنة ، والقوى الشريفة ذات الضمير وذات المبدأ ···

وأحاول هنا ان شاء الله أن أضع بين يدى القارىء نماذج من هذه الشخصيات ، وعينات من هذه المواقف ، ليتبين له دورها فيحكم على كل منها الحكم الذى هى جديرة به ·

الاول :

الهيئات الدينية

وهذه الهيئات اما رسمية ويمثلها الازهر · واما شعبية وهى الهيئات التى تناولنا تفصيلها فى الجزء الاول من هذا الكتاب ·· أما الازهر فانه كان يستغل فى بعض المواقف أسوأ استغلال ، وتجد الحكومات فى ضعاف النفوس من بعض شيوخه من يضع نفسه فى خدمتها ، وحسبنا ما ذكرناه آنفا ·

واما الهيئات الشعبية فكانت فى تلك الايام تغط فى نوم عميق ، وترى

دورها قاصرا على تكفير بعضها بعضا لزيارة ضريح أو لتفسيرات مختلف عليها لآيات معينة . وموقفها بعد ذلك ازاء ما يجرى على أرض هذه البلاد موقف سلبى حيث تعتقد أنها اذ فعلت ما فعلت مما أشرنا اليه فقد ادت حق الله والاسلام والوطن والمروءة .

ولكن الهيئة الاسلامية الشعبية الوحيدة التى لم ترض لنفسها هذا الموقف هى جمعية الشبان المسلمين ، وذلك بفضل رئيسها الرجل الشجاع المؤمن المناضل صاحب التاريخ المجيد اللواء صالح حرب ـ وقد المحنا الى بعض مواقفه المجيدة فى مختلف المناسبات ـ وبفضل رجال حوله أوفياء مثل عبد القادر بك مختار والدكتور يحيى الدرديرى .. وان كان يؤسفنا ان نذكر أن من أعضاء مجلس ادارة هذه الجمعية من لم يكونوا على مستوى رئيسهم شجاعة ومروءة ونجدة ووفاء فى خلال تلك الايام الملتهبة التى كشفت عن معادن الناس . وقد يأتى توضيح ذلك فى سطور قادمة ان شاء الله .

الثانى :

الملك

كان يكفى دليلا على تجريم فاروق فى هذه المؤامرة الدنيئة انه هو الذى كان محتضنا حزب السعديين منذ حكومة احمد ماهر الى اخر أيام ابراهيم عبد الهادى .. ومعروف أن السعديين حزب لا قاعدة له من الشعب ، فهو يستمد سلطته وقوته بل ووجوده من الملك .. وما كان هذا الحزب ليجرؤ على الانقضاض على ما انقض عليه من مقدرات الشعب وحرياته لولا ثقته المطلقة فى تاييد السراى له ، ومباركتها اتجاهه الاثيم ... ولكننا لن نكتفى بهذا الدليل الدامغ وسوف نلجأ ان شاء الله فى اثبات الادانة الى ما جاء فى التحقيقات التى اجراها القضاء فى القضية :

من شهادة الاستاذ فؤاد شيرين :

فى ١٨ـ٣ـ١٩٥٣ طلب الاستاذ فؤاد شيرين الذى كان محافظا للقاهرة ايام وزارة عبد الهادى للشهادة أمام المستشار محمد على جمال الدين الذى انتدب لاجراء التحقيق ، فسأله المحقق :

س ـ الم تعلم باعتقال الشخص الذى كان الشيخ البنا يريد الاقامة عنده ؟
ج ـ لا ... لان شئون الاخوان لم تكن تعرض على ولا اخطر بها . والسبب فى ذلك اننى كنت اخالف فى رايى السراى والحكومة فى موضوع الاخوان . وهذا الخلاف كان ينصب على حل هذه الجماعة . وقد أوضحت للاستاذ حسنيوسف

وكيل الديوان الملكى فى ذلك الوقت ـ وكانت السراى تؤيد الحكومة فى موقفها من ضرورة حل الاخوان ـ فأوضحت له أن ذلك قد يكون له نتائج سيئة ، اذان للاخوان هيئة يرجعون اليها فى تصرفاتهم ويخشونها ، فاذا حلت الهيئة لم يعد أفرادها يخشون أحدا ٠٠ ولكن لم يؤخذ برأيى ٠

وبعد حل الاخوان ببضعة أيام قابلت الاستاذ حسن يوسف فقال لى : ان جلالة الملك يقول لك « اننا حلينا الاخوان ولم يحدث شىء » ٠٠٠ وقال المحافظ فى التحقيق أيضا انه ليس لديه معلومات عن الرقابة على الشيخ البنا اذ كان ذلك من اختصاص القسم السياسى بالاتفاق مع رئيس الحكومة ووزارة الداخلية ٠

(ليلاحظ القارىء أن الاستاذ فؤاد شيرين صاحب هذا الرأى المخالف للحكومة والملك ، كان المفروض أن تعزله الحكومه ـ جريا على سياستها ـ أو تنقلة الى عمل اخر ، لكنها لم تفعل ولم تجرؤ على ذلك حيث كانت تربطة بالسراى صلة قرابة ونسب ٠٠ وبهذا نجا الرجل الصالح من بطش الحكومة الغاشمة ٠ وقد يذكرنا موقفه هذا بموقف مؤمن ال فرعون الذى حكى لنا القرآن عنه فقال « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ـ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض ، فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ؟قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد) ٠

من شهادة الاستاذ حسن يوسف وكيل الديوان الملكى

ثم استدعى المحقق الاستاذ حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ودار التحقيق معه على الوجه التالى :

س ـ ألم يدر بينك وبين الاستاذ فؤاد شيرين اى حديث بخصوص جماعة الاخوان ؟

ج ـ أذكر أن الاستاذ شيرين زارنى وأفهمنى ان من المصلحة تعاون القصر مع الاخوان ، وأنه ـ بحكم صلته بهم ـ مستعد لتلقى أى توجيه من الملك ٠٠ فأخبرته بان هذه المهمة تعتبر من المسائل السياسية وأحلته على رئيس الديوان ٠٠ وأذكر اننى بلغت رغباته واقتراحه للملك فقال لى فيمايتعلق باقتراحه الخاص بالاخوان : ان ردك عليه فى محله ٠

س ــ هل لديك معلومات عن حادث اغتيال الشيخ حسن البنا ؟

ج ــ أذكر ان الملك اتصل بى تليفونيا فى مساء يوم الحادث ، وكنت فى منزلى • وأظن اننى كنت نائما • وقال لى : هل سمعت الحادث ؟ فقلت له : أى حادث ؟ فقال : الشيخ حسن البنا ضربوه بالرصاص •• واذكر اننى قلت لا حول ولا قوة الا بالله وارجو ان لايكون قد أصيب وأن يكون الجناة قد قبض عليهم • فقال : لسه ما فيش تفاصيل •

س ــ هل تعلم ممن تلقى الملك هذا الخبر ؟

ج ــ أنا ليس لى معلومات بهذا الشان ، وفيه بوليس سراى لذلك •• واذكر انه كان من عادة الملك أن يكون هو البادىء باخبار رجال الديوان بالحوادث الهامه على سبيل الزهو •

من شهادة محمد حسن الامين الخاص للملك :

ثم طلب المحقق محمد حسن الامين الخاص وكان التحقيق على الوجه الآتى :

س ــ أما كان الملك السابق يبدى تخوفه من الاخوان المسلمين قبل حصول الحادث ؟

ج ــ مافيش شك •• انه كان يبدى تخوفه من الاخوان من ناحية ان الجماعة دول راح يقلبوا نظام الحكم •

س ــ الم يبد منه مايدل على رغبته فى التخلص من هذا الحزب ومن رئيسه ؟

ج ــ كان متخوفا منهم ، ولكنه لم يبد أمامى رغبة فى التخلص منه • وكل ما لاحظته بعد وقوع الحادث انه لم يكن ممتعضا من وقوعه ، بخلاف مالاحظته عندما قتل النقراشى حيث كان متاثرا جدا فى حين انه وقت مقتل الشيخ حسن البنا لم يظهر اى تأثر بتاتا •

س ــ ذكرت فى أقوالك فى قضية مقتل الضابط عبد القادر طه ان الضابط محمد وصفى قال انه سينفذ الجريمة أى قتل عبد القادر طه بواسطة ضابط وعسكريين ، فهل ذكر اسم هذا الضابط والعسكريين ؟

ج ــ لم يذكرهم وانما أورد هذا فى سياق حديثه لاحمد كامل قومندان بوليس السراى ، وسمعت وصفى يقول لاحمد كامل ان دول هم اللى قتلوا الشيخ حسن البنا •

س ـ الم تسأله عن أسمائهم ؟

ج ـ انا لم أسأله . وما أعرفش اذا كان أحمد كامل يسأله أم لا .. ووصفى كان بيقول هذا الكلام اعتدادا بنفسه ، وبيقول أنا عندى رجالة وفيه عسكريين رايح أنقلهم من الصعيد ، وقال ان دول أولاد قتالين قتله ، ويقتلوا ولا يهمهم . وقال لنا أهم دول اللى قتلوا حسن البنا عينى عينك ولم يذكر اسماءهم ... ووصفى قال كمان انه بعد ما أصيب حسن البنا هو راح المستشفى بقصد انه اذا كان حيا يخلص عليه .

من شهادة أحمد كامل :

ثم استدعى المحقق أحمد كامل قومندان بوليس السراى وسأله عن شعور الملك السابق نحو الاخوان فقال : كان الملك متخوفا من الاخوان كثيرا ، لدرجة انه كلفنى فى ذلك الوقت ان أشدد الحراسة عليه فى تنقلاته ، وعمل حواجز حديدية على الابواب الرئيسية لسراى القبة وعابدين لاجبار السيارات الداخلة اليها على الوقوف والتحقق ممن فيها ـ كما طلب منى اخراج المستخدمين والموظفين الذين ينتمون الى جماعة الاخوان من السرايات والتفاتيش الملكية ـ واعتقادى الشخصى ان هذا الحادث ارتكب لحساب الملك السابق والحكومة .

الثالث :

الاحزاب

[أ] مصر الفتاة :

كان موقف مصر الفتاة موقفا كريما ، وقد وضح للقارىء ذلك من مرافعات الاستاذ أحمد حسين فى قضايا الاخوان ، كما وضح فى كلمته التى نشرها فى جريدة المصرى حين رجع الى مصر من زيارة قام بها الى انجلترا .

[ب] اللجنة العليا للحزب الوطنى :

ونحب ان نذكر القارىء بان هذه اللجنه هى شىء آخر غير الحزب الوطنى . وهى مجموعة من شباب الحزب الوطنى ارادت أن تحمل الحزب على الاحتفاظ بمبادئه التى وضعها مؤسسه مصطفى كامل فلما يئست من استجابة كبار رجال الحزب انفصلت عنه وحملت هى مبادىء مصطفى كامل ورأسها الاستاذ فتحى رضوان .

وهذه اللجنة لم تأل جهدا فى الدفاع عن الاخوان حتى فى عنفوان المحنة مخاطرة فى ذلك بمستقبلها ، فلقد كانت الهيئة الوطنية الوحيدة التى احتجت

لدى حكومة النقراشى باشا على حل الاخوان المسلمين عندما صدر هذا الامر ، فقد نشرت جريدة « المصرى » فى ٨ـ٢ـ١٩٥٠ تحت عنوان « اللجنة العليا للحزب الوطنى تعترض على أمر حل الاخوان المسلمين » ما يلى :

تلقينا من الاستاذ فتحى رضوان البيان التالى باسم اللجنة العليا للحزب الوطنى :

« حينما نشر الامر العسكرى رقم ٦٣ فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ قاضيا بحل جمعية الاخوان المسلمين ، أذاعت اللجنة العليا للحزب الوطنى بيانا تعترض فيه على هذا الامر على أسس من الدستور • ثم قال : ولم يفت اللجنة أن تقول فى بيانها ــ الذى لم تاذن الرقابة وقتذاك بنشره ــ انها لا تحتج على حل هيئة الاخوان المسلمين تشيعا لها ولا تشيعا ضد خصومها ، وانها تصدر فى ذلك الاحتجاج عن حرص على نص الدستور وروحه •• وقد كفل الدستور فى المادة ٢١ للمصريين حق تكوين الجمعيات •• ثم قال :

ونحن نذكر اليوم ما ذكرناه بالامس من أنه لا توجد هيئة سياسية لم ينسب الى أفراد أو جماعات من التابعين لها ارتكاب الجريمة أو الجرائم• وقد صدرت أحكام ضد البارزين فى كل هيئة سياسية فى مصر ــ ومع ذلك لم يقل احد ان هذه الهيئات تتحمل وزر عشرة أو عشرين من أعضائها •

ولعل من أبلغ الامثلة على أن ما يلقيه التطاحن السياسى على الاحزاب والجماعات السياسية من ظلال الجريمة يكون ظالما أو على الاقل يكون عارضا يزول مع الزمن أن غاندى وهو الداعى الى المسالمة قضت عليه محكمة الهند اكثر من مرة على اساس مسئوليته عن جرائم التخريب والشغب والقتل • ونحن لا نزال نذكر ان المرحومين ماهر والنقراشى اتهما بالقتل ولم ترتض بريطانيا الحكم الصادر ببراءتهما » •

[جـ] حزب الاحرار الدستوريين :

اما حزب الاحرار الدستوريين ومعه السنوزرون وهم الذين كانوا يسمون بالمستقلين ، فقد سجلوا على أنفسهم الخزى والضعة ، لقد كانوا يتهربون من لقاء الاستاذ المرشد العام ، فاذا زار احدهم أمضى الجلسة يتلفت يمينا وشمالا خوفا من أن يراه أحد مع الاستاذ المرشد فيبلغ رئيس الوزارة فيغضب عليه • ولقد عبر الاستاذ محمد يوسف الليثى ــ وقد كان اكثر شخص اتصالا بالاستاذ المرشد فى تلك الحقبة ــ عن ذلك فقال : ان الاستاذ المرشد كان يحس بمرارة من خسة هؤلاء الناس وجبنهم حين كان يزور بعضهم على أمل ان يجد منهم من يكون وسيط خير بينه وبين الحكومة • ولقد كان يزور واحدا منهم ومعه شقيقه عبد الباسط فاذا بالرجل يفزع ويسال : من هذا الذى يرافقك ؟ فهدأ الاستاذ من روعه وقال له لا تفزع انه شقيقى عبد الباسط البنا •

أما موقف حزب الوفد فنرى أن نؤجله حتى توضحه فصول قادمة ان شاء الله ٠

[د] الحزب الوطنى :

٠٠٠ والحزب الوطنى ـ كما سبق لنا الحديث عنه ـ هو بحكم نشأته ، وبمقتضى دستوره الذى وضعه مؤسسه مصطفى كامل رحمه الله ، وارتضاه صحبه وأنصاره ٠ هو أقرب صورة من الاحزاب السياسية ـ الى هيئة الاخوان المسلمين ـ فهو يؤمن بما يؤمن به الاخوان من الرابطة الاسلامية والامتداد التاريخى الاسلامى والتربية الاسلامية ٠٠ ولا أزال أذكر حتى الساعة اننى كنت وانا صغير اسمع والدى وأعمامى ـ وكانوا يمثلون قيادة الحزب الوطنى فى رشيد فى ابانه ـ يتحدثون عن المسرحية التى كلفهم الحزب بتمثيلها أمام الجمهور ، وقاموا هم بتمثيل الادوار الرئيسية فيها ، وهى تشرح للمشاهدين المعانى الاسلامية العليا والروابط الاخوية بين المسلمين فى بقاع الارض والتى قامت على أساسها الدولة الاسلامية الجامعة الممثلة فى « الخلافة » ٠

ولقد تعاقب على زعامة هذا الحزب بعد مؤسسه رجلان ، اولهما محمد فريد ، وقد سار على نهج زعيمه مصطفى كامل حتى مات مشردا غريبا ـ ميتة المجاهدين ـ وخلفه من بعده حافظ رمضان فتابع سيرة سابقيه فى أول الامر محترزا من فتنة الحكم ، فكان الحزب ـ مع انحسار عدد مؤيديه ـ رمزا للثبات على المبدأ ، وللكفاح الحر الشريف العازف عن المغانم الرخيصة التى كان الكل فى ذلك الوقت يلهثون وراءها مدعين أنهم يجاهدون ٠

ومما تجدر الاشارة اليه انه فى خلال هذه الفترة التى نتكلم عنها قد ظهرت فى أفق السياسة المصرية بدعة المفاوضة فى حقوق البلاد ، فى حين كانت النغمة التى ضرب على وترها مؤسس الحزب الوطنى وطرب لها الشعب كله هى « أن لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ٠ واقتضى هذا المبدأ أن يقاطع الحزب مناصب الحكم ما دام الغاصب يحتل البلاد ٠

فلما ظهر الزعماء الجدد وعلى رأسهم سعد زغلول فتنوا الشعب بنغمتهم الجديدة ، فتبعوهم مولين ظهورهم للحزب الوطنى آملين أن تتحقق آمال البلاد بالاسلوب الهين اللين الجديد ٠٠ ومع توالى الايام صار الوصول الى كراسى الحكم هو الهدف الاصيل للزعماء الجدد ، وتميعت قضية حقوق البلاد ٠

على أن الحزب الوطنى لم يقف موقفا سلبيا من الاوضاع الجديدة ، بل كان له اعضاء فى مجلس النواب من امثال محمد محمود جلال ، ومحمد فكرى أباظه ، وعبد اللطيف الصوفانى ، والدكتور عبد الحميد سعيد وعدد آخر من

اضرابهم ، كانوا يزلزلون بمساجلاتهم ومناقشاتهم واستجواباتهم ارجاء هذا المجلس · وكان الناس يترقبون نصوص ما يصدر عنهم فى المجلس ليقرأوه بامعان ، حيث مستقر فى نفوس الناس أن هذا هو الموقف الجاد والرأى الاصوب والتوجيه السليم ·· لانه صادر عن أشخاص عزفوا عن مناصب الحكم وما يلازمها من ضغوط واغراءات - وكان هؤلاء النواب فوق كل هذا موئل كل مظلوم ، وملتجأ لكل من حافت عليه السلطة ·

ولكن يبدو أن المسئولين فى هذا الحزب قد طال عليهم الامد ، وخيل اليهم أنهم اذا هم أدخلوا بعض التعديل على خطتهم فانهم قد يحققون من أهدافهم الوطنية مالم يحققوه طيلة عهودهم الماضية - وكان هذا التعديل الذى أدخلوه هو استعدادهم للمشاركة فى الحكم مع وجود جيوش المستعمر جاثمة على صدر البلاد · وكان فى هذا التعديل خروج سافر على شعارهم العتيد ، وتجاوز لمبدئهم القويم ··· أدخلوا هذا التعديل الكبير على خطتهم فانظر ماذا حققوا من وراء هذا التعديل ·

ماذا حقق الحزب الوطنى بخروجه على مبدئه الاصيل ؟

١ - كان من أوائل الوزارات التى اشترك فيها الحزب الوطنى وزارة احمد ماهر باشا فى ١٩٤٤/١٠/٩ · اشترك فيها رئيس الحزب حافظ رمضان باشا وزيرا للعدل - وكان منحه رتبة الباشوية دليلا على رضا السراى عنه - ·· وهذه الوزارة هى الوزارة التى باءت باثمين كبيرين : احدهما داخلى وهو التضامن مع جيش الاحتلال فى اسقاط المرشد العام حين رشح نفسه لمجلس النواب فى دائرة الاسماعيلية - مما أتينا على تفصيله فى الجزء الاول من هذا الكتاب(١) ·

والاثم الخارجى الذى باءت به هو استجابتها للمستعمر فى اعلانها الحرب على المحور ، فكانت بهذا الاعلان قد خرجت على اجماع الامة بجميع احزابها وهيئاتها وطوائفها فى وجوب أن تقف بلادنا على الحياد ·· وقد راح رئيس هذه الوزارة ضحية هذا الخروج على اجماع الامة ·

فماذا فعل اشتراك رئيس الحزب الوطنى فى هذه الوزارة ؟ هل استطاع ان يحول بينها وبين التواطؤ مع المستعمر ؟ واذا فرضنا انه حاول ذلك ففشل ، فهل استقال احتجاجا على خطة لا يرضاها ؟ ··· لم يفعل من ذلك شيئا ·

٢ - وبعد مقتل أحمد ماهر خليفة النقراشى فتولى الرياسة والداخلية والخارجية ، وأبقى على الوزارة بتكوينها الذى كانت عليه · ومعنى هذا أن

---

(١) صفحة ٢٩٤ ·

الحزب الوطنى ظل ممثلا فى هذه الوزارة برئيسه ٠٠٠ فماذا فعلت هذه الوزارة التى تولت الحكم فى اواخر فبراير ١٩٤٥ وماذا سجل التاريخ لها ؟

لم يسجل لها شيئا وانما سجل عليها المذكرة الزريه المتخاذلة التى تقدمت بها الى المستعمر للمطالبة بحقوق البلاد بعد نحو عام ضيعته فى اعدادها ، فكانت على حد قول القائل « سكت دهرا ونطق كفرا » مما أطمع المستعمر ، وقوى مركزه ، وجعل مصر فى موقف المستجدى لافى موقف المطالب بحق مغتصب ـ وقد دمغت جميع الهيئات والاحزاب هذه المذكرة بالخزى والعار ٠

٣ ـ ثم ختمت هذه الوزارة النكدة أيامها البغيضة بعار لا يمحى على الزمن ٠٠ تلك هى مذبحة كوبرى عباس الثانية التى نوهنا عنها فى الجزء الاول من هذا الكتاب(٢) ، وأصيب فيها ١٦٠ طالبا فقد منهم ثمانية وعشرون ٠٠٠ والفرق بين هذه المذبحة وبين سابقتها فى نفس المكان عام ١٩٣٦ أن الذى أمر بالضرب فى الاولى ضابط انجليزى ، ولكن الذى أمر بالضرب فى هذه مصرى هو عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية المصرى الذى تتبرأ « المصرية» منه ومن وزيره الذى فوضه فى ذلك ٠٠٠٠ فماذا فعل رئيس الحزب الوطنى المشترك فى هذه الوزارة ؟

٣ ـ ثم جاءت بعد ذلك وزارتان أولاهما برياسة اسماعيل صدقى والاخرى برياسة النقراشى مرة أخرى ٠ ولم يشترك الحزب الوطنى فى هاتين الوزارتين وان اشترك رئيسه فى وزارة النقراشى ثم استقال ـ وقد أحسنا الظن آنذاك وقلنا لعل الحزب رأى انه مخطىء فى العدول عن خطته الاصيلة بعد أن جرب فعاد عليه الاشتراك فى الحكم بخسران مبين ٠٠ ولكن هذا الظن قد اصطدم بتصرف عجيب من الحزب نفسه ٠٠ فبعد أن أصدر حزب السعديين الامر العسكرى بحل الاخوان واغتيل النقراشى على أثره وأسندت الوزارة الى ابراهيم عبد الهادى رأينا الحزب الوطنى يشترك فى هذه الحكومة بوزيرين هما عبد العزيز الصوفانى سكرتير الحزب ومحمد زكى على أحد كبار أعضائه ٠

ولا داعى هذه المرة للسؤال الذى نسأله فى كل مرة اشترك فيها الحزب عما فعل اشتراكه للبلاد من خير ، فان مجرد اشتراكه فى وزارة يعلم الجميع سمتها والظروف المحيطة بها يثير الفزع ويبعث على الريبة والاشمئزاز ، ثم ان هذا الاشتراك قد استمر حتى بعد ارتكاب هذه الوزارة جريمة إغتيال المرشد العام !!!

٤ ـ ومع كل هذا الذى جنح اليه الحزب من الانغماس فى حمأة

---

(٢) صفحة ٣٦١ ٠

السياسة المشبوهة فان الاستاذ المرشد العام - بما طبع عليه من مرونة ورحابة صدر ، وتقديم لحسن الظن دائما ، والتماس العذر لكل من بدا منه انحراف أو تقصير - لم يسيء الظن بهذا الحزب ، ولم يفقد الامل فيه . بل ظل يعتبره في مقام الاقربين الاولى بالمعروف ، والاحق بأن يتشاور معهم .. فلما صدر امر الحل كان أول من فكر في التشاور معه حافظ رمضان باشا ، بحثا عن وسيلة لتسوية الامور بين الاخوان والحكومة .

وقبل ان اترك مجال الحديث للاستاذ فتحى رضوان ، الذى كان أشد أعضاء هذا الحزب اتصالا بأحداث هذه الفترة ، والصقهم بأشخاصها ، وأكثرهم معاناة لتناقضها - أرانى مطالبا أن أحيط القارئ علما بما للوزارة عبد الهادى من وزارات حتى أصل إلى الظروف التى اضطر الاستاذ فتحى رضوان أمامها الى أن يكشف عن حقائق كان يجهلها اكثر الناس فيما يتعلق بقصة الحزب الوطنى مع الاخوان وقصته هو ومجموعة من زملائه أعضاء الحزب مع الحزب نفسه .

فقد اسند الحكم بعد سقوط عبد الهادى الى وزارة ائتلافيه اشتركت فيها جميع الاحزاب ومنها الحزب الوطنى ، كما اشترك فيها مصطفى مرعى ممثلا للمستقلين ، وكانت برياسة حسين سرى . ثم استقالت هذه الوزارة وألف حسين سرى وزارة كل أعضائها محايدون أجرت الانتخابات التى أسفرت عن فوز حزب الوفد ، فألفت وزارة وفدية برياسة مصطفى النحاس وكان فؤاد سراج الدين وزير الداخلية بها ...

وعلى غير ما هو معهود فى وزارات الوفد ، ولاسباب لا يعلمها الا الوفد نفسه ، غيرت هذه الوزارة أسلوبها ، وأخذت تصانع الملك وتلاينه مما قضى على السبب الوحيد الذى كان يجعل الملك دائما فى ضيق من وزارات الوفد حيث كان يتلمس لها الاخطاء ، ويتصيد الفرص لاقالتها والتخلص منها .

ولعل هذا الشعور الجديد بين الوفد والملك قد ألقى فى نفوس السعديين وأحزاب الاقلية الاخرى اليأس من أن تتاح لهم فرصة فى المستقبل للاستمتاع بمناصب الحكم ، فقد سد الوفد المنفذ الذى كانوا ينفذون اليها منه ... فماذا هم فاعلون ؟

اجتمعوا جميعا وقرروا رفع عريضة موقعة منهم الى الملك .. يتباكون غيرة على البلاد لما انتشر فيها من فساد فى جميع مرافقها ، ويطالبون باصلاحات فى كل ناحية ... ويومئون فى خلال فقراتها من طرف خفى الى مواطن ضعف تمس الملك شخصيا .. وكانت هذه الايماءات التى بثها السعديون بالذات بين سطورها هى بيت القصيد والامل الوحيد - كأنهم يهددون الملك قائلين : اذا لم تنتبه الينا وتعرنا التفاتا فسنجهر بها الى

الشعب ـ ونحن أعرف الناس بأسرارها لاننا نحن الذين يسرنا لك أمرها يوم كنا نعمل لحسابك ٠٠

واستطاعت حكومة الوفد ان تحول دون وصول العريضة الى الملك ٠ فأخذوا فى سلوك الطريق الآخر باستجواب قدمه مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ ـ وهو المستقبل الذى حشر نفسه وسط أصحاب العريضة ولكنه كان مستوزرا ٠٠ وقد كشفه هذا الاستجواب حقيقته ، فقد ثبت منذ تلك اللحظة أنه حليف ابراهيم عبد الهادى ومولاه ويده التى يبطش بها وعقله الذى يدبر به ويحيك المؤامرات ٠

وكان الاخوان فى ذلك الوقت قد خرجوا من المعتقلات ، ورأت الاحزاب التى نفذت خطة الابادة بعينيها كما رأى غيرهم أن هذه الخطة قد فشلت كل الفشل ٠ فالاخوان عادوا كما كانوا من قبل قوة وعزما وثباتا وحيوية ٠٠ فأخذ كل حزب يتزلف اليهم ، ويتملص مما هو منسوب اليه من مساهمة فى خطة الابادة أو اعانة عليها ٠

والآن اترك المجال للاستاذ فتحى رضوان ليروى قصة الحزب الوطنى مع الاخوان فى خلال الفترة العصيبة التى انصهرت فى حر نارها المعادن فمازت الخبيث من الطيب :

قصة الحزب الوطنى مع الاخوان

● مساجلة حزبية بين الوفد والحزب الوطنى بصدد الاخوان :

فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٠ ـ فى عهد وزارة الوفد ـ نشرت جريدة الاهرام تصريحا لفؤاد سراج الدين وزير الداخلية قال فيه : **ان الاخوان سيباشرون** نشاطهم قبل مايو المقبل ٠

وقد سأل مندوب « الاهرام » حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى فى ذلك فجاء فى رده : « وقد حاولت جهدى أن أقنع زملائى ممن وقعوا على « العريضة » المرفوعة الى جلالة الملك بالنص فيها على وجوب الغاء قرار حل الاخوان ولكنهم لم يوافقوا ـ ماعدا مكرم باشا ـ لانهم كانوا فى الحكم عندما صدر قرار الحل ٠

ولما قلنا لسعادته انه كان عضوا فى الوزارة التى اصدرت قرار الحل اجاب بانه استقال قبل صدور القرار لاسباب سياسية معروفة ٠٠ وأخذ يهاجم قرار الحل ٠

وفى ٢٧ اكتوبر قالت « الاهرام » : تلقينا من الاستاذ عبد العزيز الصوفانى سكرتير الحزب الوطنى الكلمة التالية « قرات فى أهرام اليوم

تصريحا لفؤاد سراج الدين باشا نسب فيه الى من يقولون بعودة الاخوان المسلمين الى العمل والغاء أمر حلهم ، أنهم يتملقون هذه الجماعة باعتبارها طائفة من الجماهير ـ ويسألهم أين كانوا عندما صدر قرار الحل ٠

ولما كان حضرة صاحب السعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى هو صاحب وجهة النظر بادية الذكر ، فيكون هو المعنى من فؤاد سراج الدين باشا بما قال ٠ ولما كنت سكرتير الحزب الوطنى ، وبحكم هذا المركز كنت أطلع على ما يدور مع رئيس الحزب ، كما كان سعادته يخبرنى أولا بأول بما يجد عنده ٠٠ اقرر الآتى :

بعد ان صدر أمر حل جماعة الاخوان المسلمين زار المغفور له الاستاذ حسن البنا المرشد العام سعادة رئيس الحزب الوطنى ليتبادل معه الرأى فيما يجب عمله ، وطلب اليه أن يبذل جهده لدى السلطات العليا لصالح الاخوان ، ويعمل على رفع الحيف الذى وقع عليهم بأمر حلهم ٠٠ فقام بهذا فعلا ٠٠ ورئى أن اللجوء الى الهيئات النيابية قد يضر ضررا بليغا اذا ما وافقت تلك الهيئات على اجراء السلطة التنفيذية فى حل هذه الجماعة ٠

ان الناس جميعا ومنهم فؤاد سراج الدين باشا يعرفون ان رئيس الحزب الوطنى ليس بالرجل الذى يعمل دون عقيدة حبا فى التملق للجماهير لكسب عطفهم ، لان ما يعمله دائما يصدر عن عقيدة سليمة لوجه الله والمصلحة العامة ،كما يعرف فؤاد سراج الدين باشا بل هو أعرف الناس بهؤلاء الذين يلجاون الى تملق الجماهير والعمل على كسب عطفهم بالطرق الخداعة الملتوية » ٠

● **الاستاذ فتحى رضوان يتصدى لكشف حقيقة موقف الحزب الوطنى من الاخوان فى محنتهم :**

وفى ٢٩ أكتوبر جاء بالاهرام ما يلى :

لمناسبة مانشرته « الاهرام » عن الاخوان المسلمين لمعالى فؤاد سراج الدين باشا وسعادتى حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى والاستاذ الصوفانى سكرتير الحزب ـ كتب الينا الاستاذ فتحى رضوان المحامى ورئيس اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى مقالا روى فيه قصة الحزب الوطنى مع الاخوان كما عاصرها ٠ وفيما يلى هذا المقال :

« لما كنت قد اتصلت بالحوادث السابقة على حل الاخوان ، والمعاصرة للامر العسكرى الذى قضى بتصفية نشاطهم ومصادرة اموالهم ، وما تفرع عن ذلك كله من اضطراب بلغ غايته بمقتل المرحومين النقراشى باشا

والاستاذ حسن البنا ، فقد رأيت أن أضع تحت نظر الناس بعض ما يعين على تاريخ هذه الحقيقة المضطربة حتى يتبين الاخوان المسلمون على ضوئه طريقهم ·

فى شتاء ١٩٤٨ كنت دائم الاتصال بالمرحوم الاستاذ البنا ـ وقد أسفر هذا الاتصال عن تفكيره رحمه الله ـ جديا فى أن يكل نشاط الاخوان المسلمين السياسى الى الحزب الوطنى ، وأن يقتصر عمله هو ودعوته على الناحية الدينية البحتة ·

ثم وقع الحل فاتخذ المرحوم الاستاذ حسن البنا من مكتبى مكانا يلقى فيه بعض أنصاره ويتصل عن طريقه برجال السياسة والحكومة ـ وفى احد الايام أفضى الى أنه يود أن يكل الى هيئة من رجال السياسة المصريين ، حزبين ومستقلين وبعض المشتغلين بالشئون العربية والاسلامية بأمر الوساطة بين الاخوان وحكومة النقراشى باشا · وكان يؤمل أن تنجح وساطة هؤلاء الكبار فى أن تخفف الحكومة من شدة اجراءات الاعتقال ، وأن تدع نشاط الاخوان الخيرى والدينى وأن تعفى من المصادرة والحل الشركات التى تمارس نشاطا اقتصاديا ـ وعلم الاستاذ الصوفانى بان الاستاذ البنا عندى بالمكتب ، وأننا نتداول فيما نشأ عن أمر الحل ، فحضر البنا واشترك فى الحديث الى ساعة متأخرة ·

وأحطناه علما بما كنا فيه من التفكير فى دعوة لجنة من الكبار تبسط للحكومة رأى الاخوان ، وتسعى بينهما بالخير والتوفيق · وأضاف الاستاذ البنا أنه كان يطمع فى أن يقوم حافظ رمضان باشا بدعوة هذه اللجنة بداره، وأن يوجه هو الى أعضائها الدعوة ·· وأخذ الاستاذ الصوفانى كشفا بأسماء أعضاء اللجنة ووضعه فى جيبه ··· وفى اليوم التالى ذهب الى حافظ رمضان باشا وعرض عليه الفكرة والكشف · فنصحه حافظ باشا بان يصرف النظر عن المشروع كله ـ وكان هذا آخر عهد المرحوم الاستاذ البنا بالاستاذ الصوفانى ورئيسه حافظ باشا ·

وكان رحمه الله يتفضل بزيارتى كل ليلة بالمكتب · وكانت بداية الحديث بيننا قوله لى مداعبا « ماذا فعل الباشا لنا وبنا ·· نسينا أم غضب علينا ؟ » وكنا نضحك · وكنت أقول له : أما قلت لك ان الخلاف بينك وبين الحكومة خلاف مبدئى لا تنفع فيه وساطة الوسطاء · وكنت تقول : هذا باب مفتوح يجب أن نطرقه حتى لا نكون فى نظر الناس قد قصرنا فى شىء ·

وعين الاستاذ الصوفانى وزيرا بعد مقتل النقراشى باشا ، واشتدت وطأة الحكومة على الاخوان ، وضاق صدرها بمن يتصلون بهم أو يدافعون

عنهم • فرأيت من جانبى ان ارجو معالى مصطفى مرعى بك ان يلقى الاستاذ البنا ويستمع اليه • وتوسطت فى تحديد ميعاد لهما • وكان مكان لقائهما فى منزل مصطفى بك •• وذهب المرحوم الاستاذ البنا الى الميعاد ومعه شقيقه الاستاذ عبد الباسط • وكان الاستاذ البنا يحمل معه مسدسه المرخص ، فتجمل باعطاء المسدس لاخيه حتى لا يلقى الوزير مسلحا ، وخصوصا فى تلك الايام الحرجة • وتحدث هو ومصطفى بك طويلا ، واستمع اليه مصطفى بك ونزلا معا • فاذا بهما يجدان العسكرى الحارس على دار مصطفى بك قد القى القبض على الاستاذ عبد الباسط فامر مصطفى بك العسكرى باطلاق سراح عبد الباسط •• ووصل نبأ كل هذا الى السلطات فاحنق بعضها على مصطفى بك واحنق الجميع على •

وعين الاستاذ الصوفانى وزيرا • وهو كما مر بك كان يلقى الاستاذ البنا ، وكان لا يكره ان يتوسط للاخوان عند رئيسه حافظ باشا • وكان يعرف ان ما بينى وبين الاخوان ومرشدهم قبل وفاته هو الدفاع عن الحرية كمبدأ ، ومشايعة الاخوان كفكرة وطنية تدفع الاستعمار ••• فكم كان غريبا ان اسمع ان « معاليه » ذهب الى مكتب دولة رئيس الوزراء ينقل اليه ما اتصل بعلمه من انباء تعاونى مع الارهابيين من الاخوان ••

ولما كانت الاقدار قد ساقت الاستاذ مصطفى مرعى بك فقد استمع الى هذا الحديث ، وادهشه أن يكون للاستاذ الصوفانى من مصادر الاخبار مالم يتوافر لرئيس الوزراء نفسه ووزير الداخلية بالذات ، ورأى ان خير ما يصرف به هذا الحديث « الخطر » هو ان يسأل عن رأى الاستاذ الصوفانى فى بيان اللجنة العليا – التى اتشرف برياستها – فى الاحكام العرفية ومحاولة مدها •• وأدرك رئيس الوزراء ان بين رأى اللجنة العليا فى الاحكام العرفية والاخبار التى وصلت الى علم الوزير الصوفانى بك صلة لا تخفى على لبيب •

وعرض أمر الاحكام العرفية على مجلس الوزراء • وانقسم المجلس الى فريقين : فريق يرى مدها ستة أشهر ، وفريق يرى اطالة عمرها عاما •• وكان من رأى وزيرى اللجنة الادارية التى يرأسها حافظ باشا رمضان أن يطول عمر الاحكام العرفية عاما •• وكان معنى ذلك ان تطول مدة اعتقال المعتقلين عاما على الاقل •

ولا يفوتنك ان المبرر الوحيد عند الحكومة فى ذلك الحين لابقاء الحكومة على الاحكام العرفية هو جهادها ضد الاخوان المسلمين ودعوى اضطراب الامن • ولم يكن ثمة سبب لاضطراب الامن عند الوزارة الابراهيمية الا الاخوان ونشاطهم « اللعين » •

فاذا أضفت الى هذا كله ان القبض والاعتقال والتفتيش العسكرى والتشريد العرفى استمر فى عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى كله ولم ينقطع يوما، وأن وزيرى اللجنة الادارية المشرفة برياسة حافظ باشا فى وزارة ابراهيم باشا بقيا الى آخر عهدها ـ أمكن لك أن تعرف مدى عطف الاستاذ الصوفانى ورئيسه على الاخوان ، ومدى اعتقادهما فى صحة المثل الاعلى الذى تدافع عنه هيئة الاخوان وتؤمن به » ٠

● **ملاحظات على بعض ما جاء فى حديث الاستاذ فتحى :**

أولا ـ تفكير الاستاذ المرشد العام فى أن يكل نشاط الاخوان السياسى الى الحزب الوطنى ، واقتصاره هو على الناحية الدينية البحتة ، أمر لم يكن لى به سابق علم حيث كنت فى ذلك الوقت بعيدا عن القاهرة ، ولكننى لا أستبعده ، فالاستاذ رحمه الله كان رجلا لبيبا مرنا ، واسع الحيلة ألمعيا ، وكان قد رأى غيوم المؤامرات ـ التى أومأنا اليها ـ تتجمع فى الافق حتى أوشكت على سده ٠٠ فأراد بهذا الاسلوب أن يشق لدعوته منفذا تنفذ منه مؤقتا ، قبل أن تطبق عليها هذه الغيوم اطباقا كاملا فلا تجد منفذا ٠٠ حتى اذا أفلتت من هذا الاطباق عملت بعد ذلك على تفتيت هذه الغيوم واسترداد ما وزعته من مسئولياتها الثقال فى أثناء تفادى الاطباق ٠

والا فهو ـ رحمه الله ـ كان خير من يعلم أن فصل ما يسمونه « السياسة » عن الدين أمر لا يمكن تصوره بالنسبة للاسلام ولا فى الخيال ، كما كان يعلم أيضا أن الحزب الوطنى بتركيبه الذى كان عليه فى تلك الايام لا يصلح لحمل مثل هذه المسئولية ٠٠ ولعله ـ رحمه الله ـ كان يهدف من وراء ذلك أن يدخل الطمأنينة الى نفس الملك الذى كان أحد الاصابع المحركة فى جهاز المؤامرات المتربصة بالاخوان خوفا منهم ـ ويعلم أيضا ـ رحمه الله ـ أن الحزب الوطنى فى أسلوبه المستوزر الجديد اصبح من الاحزاب المرضى عنها من الملك ٠٠ ولكنه أى هذا الحزب لا زال على كل حال أقلها سوءا ٠

ثانيا ـ جاء بصدد الوزير مصطفى مرعى فى حديث الاستاذ فتحى ذكر واقعة تعرض لها الاستاذ محمد الليثى فى حديث له نشر « بالاهرام » بعد حديث الاستاذ فتحى ٠٠ وربما نقلنا بعض هذا الحديث وشيكا ان شاء الله لما فيه من أضواء ألقاها الاستاذ الليثى على شخصية الاستاذ مرعى وما لعبته من أدوار فى قضية اغتيال المرشد العام ٠٠ واستطيع أن أقول ان الواقعة التى أوردها الاستاذ فتحى فى حديثه عن الاستاذ مرعى ٠٠ ربما كانت واقعة بذاتها تمت عن طريق الاستاذ فتحى دون علم الاستاذ الليثى ، وانها وقعت قبل أن تبدأ اللقاءات الرسمية التى كلف بها الاستاذ مرعى من رئيس الوزراء والتى تمت فى منزل اللواء صالح حرب ٠

ثالثا ــ بمناسبة ما ذكره الاستاذ فتحى عن رأى وزيرى الحزب الوطنى فى وزارة عبد الهادى بصدد مد الاحكام العرفية ٠٠ نضيف أن أحد هذين الوزيرين وهو محمد زكى على باشا كان وزيرا أيضا فى وزارة حسين سرى باشا التى خلفت وزارة عبد الهادى ٠ وأعلنت هذه الوزارة انها ستعود بالبلد الى حالتها الطبيعية ٠ وكان مفهوما أن الحالة الطبيعية هى رفع الاحكام العرفية ، غير أنها توانت فى ذلك ٠ فشنت جريدة المصرى حملة ضد ابقاء الاحكام العرفية ٠٠ وكانت هذه الحملة فى صورة استفتاء للرأى العام فى هذه القضية ٠ وقد وجهت السؤال فى هذا الشأن الى عدد كبير من رجال يمثلون قطاعات الرأى العام ٠ وقد استمر الاستفتاء نحو أسبوعين ٠

وفى نهاية المدة كتبت « المصرى » تلخص نتيجة الاستفتاء فقالت ــ وكان ذلك فى ٢٥ــ١٠ــ١٩٤٩ ــ :

« الآن بقى ان نذكر من امتنع عن الاجابة على سؤالنا : معالى محمود غالب باشا (سعدى) ــ معالى على أيوب بك (سعدى) معالى محمد زكى على باشا (وطنى) ــ الدكتور نجيب محفوظ (طبيب) ٠٠٠

وعلقت الجريدة على اجابة محمد زكى على باشا حين رد على سؤال الجريدة بصدد الاحكام العرفية بقوله : « ليس لى رأى » ٠٠٠ فقالت الجريدة: كم كنا نتمنى أن يكون لمعاليه ــ وهو الوزير المسئول ــ رأى فى هذه المسألة ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ٠

وهذا الوزير كان فى ذلك الوقت وكيلا لجمعية الشبان المسلمين ٠ فلما مثل للشهادة أمام المحكمة فى ١٩٥٣/١١/١٨ ــ بعد طرد معبودهم فاروق ــ وأخذت المحكمة فى توجيه الاسئلة اليه بشأن الاستاذ حسن البنا ، كان هو الشاهد الوحيد الذى أخرج منديله ليمسح دموعه التى ذرفها حزنا على فقده ، وحين سئل فى المحكمة عن أخلاقه قال : أخلاقه ٠٠ هو حد يشك فى أخلاقه ؟٠٠

وكانت مفاجأة أن سمحت المحكمة لشاهد آخر هو الاستاذ محمد الليثى بمواجهة هذا الشاهد ٠ فقال الليثى : « أنا لم أذهب الى الاستاذ محمد زكى على بمكتبه بالوزارة الا بناء على توجيه من الاستاذ عبد القادر مختار والدكتور يحيى الدرديرى ، لانى أعلم أن الاستاذ زكى على كان غير موافق على حضور الشيخ البنا الى الجمعية بعد حل الاخوان ٠ واننى لم اذهب اليه لاستشيره بل ذهبت اليه لاستعين به بوصفه وزيرا لكى يمكننى من الادلاء باقوالى فى النيابة ٠٠ ولكنه قال لى انه لا يستطيع أن يفعل ذلك لانه وزير ٠ وانه لم يقل لى كل الحقيقة ، بل قال لى انهم يقولون ان هذا رجل مجرم ويقصد بذلك الشيخ البنا ــ ولكن مافيش مانع انك تقول الحقيقة ٠

ولما استدعته النيابة لسماع اقواله فى هذه الواقعة غضب على وأبدى

استنياءه لانى ذكرت اسمه فى التحقيق ، وأعرب عن هذا الشعور عندما طلب منه اللواء صالح حرب فى احدى المناسبات أن يجلس فى مكتبى فلم يقبل وقال: خذالله ما بينى وبينه .. وذلك بعد ان سمع شهادتى أمام المحقق . وأنا لما نشرت بيانات عن الحادث فى جريدة المصرى احتج الاستاذ زكى على فى مجلس الادارة وطلب فصلى فلم يوافقه الاعضاء .

وأما عن زعل الاستاذ زكى منى فلم يكن لاجل تغيير النمرة ، وانما لانني عرضته لغضب الاستاذ ابراهيم عبد الهادى عندما كان رئيسا للوزارة .

وهنا رد الاستاذ زكى على قائلا : اننى لم اكن أكره الشيخ البنا بل اننى كنت أعلم أن الشيخ البنا يريد أن يدمج الاخوان والشبان فى جمعية واحدة ، وأنا كنت ضد هذا الرأى لان مبادئنا تختلف عن مبادئهم .

[م] الاستاذ مصطفى مرعى :

أما وقد أفردنا فصلا لتقييم أشخاص وابراز مواقف فى صدد ما نعالج من أحداث تلك الفترة ، فما ينبغى لنا أن نغفل شخصية هذا الرجل الذى رضى لنفسه أن ينصب الدور الذى أترك الحكم عليه للقارىء بعد أن أضع بين يديه الوقائع التى لن تكون من الوفرة والوضوح كما كان ينبغى أن تكون ، لان الدور الذى أتم تمثيله وقع أكثره فى الظلام الدامس الذى غطى رداؤه الاسود سماء البلاد أكثر من عام .

والاستاذ مصطفى مرعى محام كبير اختاره ابراهيم عبد الهادى فى وزارته المشئومة وزير دولة ... ولم يكن هو وحده وزير الدولة فى هذه الوزارة . ولكنه كان من بين وزراء الدولة فى هذه الوزارة الوزير الوحيد الذى اختير لذاته ، فقد كان زملاؤه مرشحين من احزابهم أما هو فلم يكن منتسبا لحزب .. واذا اختار ابراهيم عبد الهادى فى وزارته تلك التى يعلم فى قرارة نفسه المهمة المنوط بها انجازها - والتى عرفها الناس فيما بعد - اذا اختار عبد الهادى لهذه الوزارة وزير دولة لذاته - فى ظل تلك الظروف - فانما ينتقيه على أساس من صفات معينة ، ومقدرة خاصة تتلاءم والمهمة الموكول الى الوزارة القيام بأعبائها .

ومهمة هذه الوزارة معروفة .. واذا كان هناك من خامره شك فى معرفتها ، فقد سجل التاريخ وسجل القضاء نوعها ومدى ارتباطها بما تم فى أيامها من جرائم .

● كيف اختار عبد الهادى مرعى وزيرا ؟

اختار عبد الهادى هذا الوزير اختيارا شخصيا بحتا ، لما يعلم من

كفاءته الفائقة لما رشحه للنهوض به من اعمال خطيرة ، يتوقف على انجازها مستقبل هذه الوزارة ومستقبل رئيسها .. وقد اجتباه لنفسه وائتمنه على اخص خصائصه ، فكان هو رئيس الوزراء والحاكم العسكري العام ووزير الداخلية ، وكان عبد الرحمن عمار - بطل مذبحة كوبرى عباس الثانية - هو وكيل الداخلية للامن العام ، وكان انوزير المختار وزير دوله منوطا به الاشراف على الامن العام ... وقد أثبت القضاء أن فى ديوان هذه الوزارة - وزارة الداخلية - وفى مكاتب ادارات الامن العام بها ، قد حيكت المؤامرة الدنيئة لاغتيال المرشد العام .

وربما لم يكن فى وثائق تاليف وزارة عبد الهادى ما ينص على تمييز مرعى وزير دوله لشئون الأمن العام . ولكن الاحداث ومجريات الامور هى التى وضحت مهمته هذه من بين زملائه وزراء الدولة بالحكومة ، فقد جاء فى شهادة الاستاذ محمد زكى على وزير الدولة بهذه الحكومة أمام المحكمة قوله : « الشيخ البنا جانى أثناء كنت وزير دولة ، وقال لى : احب أن تكلم رئيس الوزراء فيما يتعلق بالاخوان فقلت له : انا مش مختص ، وفيه وزير مختص» . فساله رئيس المحكمة : أمال مين المختص ؟ فأجاب : الاستاذ مصطفى مرعى .

ومعنى أن وزير دولة بوزارة عبد الهادى هو المختص بشئون الاخوان . معنى ذلك انه هو المختص بشئون الامن العام لانهما فى عهد هذه الوزارة كانا مترادفين ..

● حكومة الوفد مكنت الخبثاء من دسع قضية الامام :

وقد توالت على الحكم بعد سقوط عبد الهادى وزارتان برياسة حسين سرى . ثم جاءت وزارة الوفد فوجدت نفسها أمام عاملين شديدى الضغط عليها ولكنهما متعارضان : ضغط شعبى جارف يطالبها بفتح باب التحقيق من جديد فى قضية اغتيال المرشد العام .. هذا من ناحية . ومن الناحيه الاخرى وجود الموضوم الاول بهذه الجريمة - الملك - على راس الدولة وهو المسيطر على شئون البلاد ... وكان خروج هذه الوزارة من المازق ارضاء لمشاعر الناس ومصانعة للملك ان أمرت النيابة باستئناف التحقيق وأوعزت اليها فاصدرت فى نفس الوقت أمرا بحظر نشر اى شىء عن هذا التحقيق .. فكان أمر الحظر هذا بمثابة إفقاد هذا التحقيق قيمته ، فاذا كان هذا التحقيق قد أتاح لبعض الشهود البرءاء من كل عرض كالأستاذ الليثى ان يقول ما عنده كما رأى وسمع ، فانه كان مجالا فسيحا فى نفس الوقت للمغرضين ان يزيفوا الحقائق ويزوروا الوقائع بالطريقة التى تحقق أغراضهم وتطمس المعالم ، بحيث يهيىء للمجرمين فرص الافلات . ويلقى بظلال الجريمة على البرءاء ..

كان امر الحظر الذى اصدرته النيابة حماية لهؤلاء المزيفين ، فقد كانوا فى مأمن من أن يفتضح زيفهم فأنى للنـاس أن يكشفوا هذا الزيـف مادام محجـوبا عنهم ؟ !

ولكن عاملا جديدا لم يكن بحسبان رجال الحكم قد طرأ على الموقف ، ذلك ان القضايا التى لفقها المسئولون فى عهد عبد الهادى ضد بعض الاخوان قد حل ميعاد نظرها أمام القضاء العادى — بعد أن زالت الاحكام العرفية — وقد طالبت هيئات الدفاع فى هذه القضايا بضم ملف التحقيقات التى أجـريت فى قضية اغتيال المرشد العام • وأمرت احدى هذه المحاكم بضم هذا الملف مع طبعه وتوزيعه على أفراد هيئة الدفاع • وعن هذا الطريق افتضح السر الذى كان المتسترون على الجريمة يريدون أن يظل دفينا •

● المراحل التى مر بها التحقيق فى القضية :

ونحب بهذه المناسبة أن نلفت النظر الى ان التحقيق فى هذه القضية قد تم على ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : فى عهد وزارة عبد الهادى وحين كان محمـود منصـور نائبا عاما ، وقد طوى التحقيق بعد أيام قلائل حيث لم يجـرؤ أحـد — أمام الارهاب الحكومى — على التقدم للشهادة • وقيد الحادث جناية ضد مجهول •

المرحلة الثانية : فى عهد وزارة الوفد • وقد تم التحقيق بالطريقة التى ذكرتها آنفا ، وقد استحق أن يقال عنه انه كان تحقيقا يجرى على استحياء ، فقد تستر صانعو الجريمة وراء قرار النيابة بحظر النشر وراحوا يختلقون قصصا كلها تزوير وكذب وافتراء •

المرحلة الثالثة : بعـد أن قامت الثورة وطـرد الملك فاروق • وقـد تم التحقيق فيها ، ولكن طول المدة التى مرت بين ارتكاب الجريمة وبدء التحقيق فى هذه المرحلة لم يتمكن التحقيق معها أن يصل الى أغوار القضية ، وان كان كشف الكثير من ظروفها •• وهو التحقيق المعول عليه ، والذى ننقل عنه فى بحثنا هذا من أقوال وشهادات •

● ادعاءات للاستاذ مرعى داحضة ومريبة :

وقبل أن نورد من أقوال الشهود وأقوال الاستاذ مرعى نفسه ما يلقى ضوءا على حقيقة دوره ، نوجز فى النقاط التالية بعض ادعاءاته التى أدعاها وتبين مخالفتها للحقيقة :

١ — أدعى امام المحقق وامام المحكمة انه لم يكن له سابق معرفة بالمرشد العام الا ما كان ينشر عن نشاطه •••

وثابت ثبوتا قطعيا أن شقيقه المرحوم الاسـتاذ امين مرعى المحـامى

بالاسكندرية كان رئيسا للاخوان بها فى فترة خلال الاربعينيات ، وانه ـ رحمه الله ـ دعا المرشد العام لزيارة موطن أسرتهم وهى قرية من أعمال مركز فوه فى البر المقابل لرشيد من النيل ، وكان والدهما رحمه الله عمدة هذه القرية . وقد حضر هذا الحفل جميع آل مرغى كما حضره عدد كبير من اخوان رشيد .

فهل مثل مصطفى مرعى شقيق المرحوم امين مرعى يجوز له ان يدعى أنه لا يعرف المرشد العام ولا يعرف عنه الا ما يقراه فى الصحف ؟ ... نعم ان شقيقه قد فصل من منصبه فى الاخوان بعد ذلك ، ولكن ليس معنى هذا أن الفصل من منصب يمحو حقائق التاريخ .

٢ ـ ادعى أمام المحققين أن الاستاذ المرشد هو الذى رغب فى مقابلته فوسط اللواء صالح حرب فى ذلك .. وقد كذبه فى ذلك الادعاء الاستاذ محمد الليثى كما كذبه اللواء صالح حرب نفسه ، اذ قرر أن الاستاذ مرعى هو الذى رجاه أن يهيىء له مقابلة المرشد العام فى بيته ، وقد تمت المقابلة فعلا فى بيت اللواء وتكررت ، وكل مرة كانت تتم بناء على طلب الاستاذ مرعى .

٣ ـ ادعى أمام المحكمة أنه لم يأخذ من المرشد العام بيانا عنوانه « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ثم أدعى أنه لا يعرف شيئا عن هذا البيان ولم يسمع عنه .. وقد كذبه فى ذلك الاستاذ محمد الليثى واللواء صالح حرب .

٤ ـ لما أنكر أنه لم يسمع عن هذا البيان قالت له المحكمة انه نشر فى الصحف ، فادعى أنه لا يقرأ الصحف ... ولعل القارىء يرى معى أن هذا ادعاء لا يستحق صاحبه حتى أن يكذب (بتشديد الذال المفتوحة) .

٥ ـ أدعى أمام المحكمة انه انما كان مجرد وزير دولة فى وزارة عبد الهادى لا يعرف شيئا عن أعمال الوزارة . وقد كذبه فى ذلك الاستاذ الليثى بعبارات صدرت منه تفيد أنه كان الوزير المسئول عن الامن العام ، وبشهادة زميله الاستاذ محمد زكى على بانه كان مختصا بشئون الاخوان .

● **أضواء كاشفة على دور مرعى من شهادة الشهود ومن شهادته نفسه :**

والآن نورد من اقوال الشهود ومن اقوال الاستاذ مرعى نفسه ما يؤيد ما جاء فى هذه البنود الخمسة :

☐ **من شهادة الاستاذ عبد الكريم منصور :**

« ان المرشد رغب فى السفر الى مكان آخر غير القاهرة ، ولكن الحكومة عملت على ابقائه فيها ليسهل اغتياله ، واتخذت مصطفى مرعى كأداء صيد

لقد أخذه مرعى بأساليب ملتوية ممقوتة للعمل على ابقائه فى القاهرة ، موهما أياه بأن الحكومة ستلغى أمر الحل وتعيد الامر الى ما كان عليه معهم .

فسألته المحكمة : يعنى ايه الطرق الملتوية ؟

فأجاب : كان يوهمه بأنهم جادون فى اعادة الاخوان ويقول له : بس لو سمحت تكتب بيانا صغيرا لاظهار حسن نية الاخوان . وكان يملى عليه بعض الالفاظ ويعارض فيها الشهيد ، وكان يحاول اقناعه بمختلف الاساليب لكتابة هذا البيان . وبمجرد ما كتب أخذه مرعى وأعطاه لرئيس الحكومة فعدلوا فيه وأحضره للشهيد وأقنعه بالتعديل ووقعه الشهيد . ثم أخذوه وأعطوه لقاتل النقراشى وقالوا له . شوف الشيخ حسن البنا بيقول ايه حتى يزلزلوا عقيدته .

ثم قال : ودليل خبث سريرة مصطفى مرعى وسوء نيته أنه كان غير كريم فى موقفه ، فقد افترى على الشهيد أقوالا لم تحدث اطلاقا ذكرها فى التحقيقات (فى المرحلة الثانية) . والشهود الذين استشهد بهم مصطفى مرعى مثل صالح حرب كذبوه فى أقواله .. مما يدل على أن هناك مسألة مبيتة وأن الامور لم يكن المقصود منها مفاوضات » .

□ ومن شهادة الاستاذ محمد الليثى :

« بناء على تكليف اللواء صالح حرب لى ، اتصلت تليفونيا فى أوائل الامر قبل محاولة نسف المحكمة ـ بالرموز المتفق عليها ـ بالاستاذ البنا وقلت له . ان الباشا (صالح حرب باشا) يطلبك . فحضر وقابل صالح باشا الذى أفهمه أن مصطفى مرعى اتصل به ويريد مقابلته فى منزل اللواء الساعة الخامسة مساء .. فلما تم هذا الاجتماع علمت أن مرعى طلب من الشيخ البنا اصدار بيان يستنكر فيه قتل النقراشى ، ووافق الشيخ بشرط أن تتقف حركة الاعتقالات . فردت الحكومة البيان طالبة منه التبرؤ من الاخوان .. وأخيرا صدر البيان لكن الحكومة اعتبرته ناقصا لايفى بالغرض المطلوب ... وبعد وقوع حادث محاولة نسف المحكمة تكررت اتصالات مصطفى مرعى باللواء صالح حرب للتفاهم على الاوضاع وامر المعتقلين ... وتبرم الشيخ من هذه الاتصالات غير المجدية ورفض مقابلة مرعى خصوصا بعد حادث المحكمة .. واقترح مرعى أن يقابله فى منزله ... وأخيرا اجتمع به وأصدر الاستاذ البنا ارعى بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ـ ورغم ذلك كله زادت حركة الاعتقالات .. وتضايق الشيخ من مرعى لانه احس بأنه يكلمه بلهجة الامر لموظف لديه ، وشعر الشيخ بأن الامور تزداد سوءا » .

□ **ومن مقال للاستاذ الليثى بجريدة الاهرام :**

وقد نشر بتاريخ ١٩٥٠/١١/٣ قال الاستاذ الليثى :

« وقد لعب سعادة مرعى بك فى قضية الاخوان دورا خطيرا اكتنفه الغموض التام ، على الرغم من أنه لم يكن له اى اتصال سابق بالاخوان الا ما عرف من أنه شقيق الاستاذ امين مرعى رئيس جمعية الاخوان بالاسكندرية والذى اصدر فضيلة الاستاذ البنا قرارا بفصله من رياسته لهذه الجمعية فى عام ١٩٤٧ ٠

ولقد ترتبت على اتصالات مرعى بك بالاستاذ البنا نتائج خطيرة ، مما جعل الامور تسير من سيء الى أسوأ ٠ ونقل الى الاستاذ البنا أن مرعى ينقل عنه أقوالا لم ترد على لسانه ، مما زاد موقف الاخوان سوءا على سوء ٠ وقد ايد ذلك ما جاء على لسان مرعى فى اثناء تحقيق قضية مصرع الشيخ البنا، اذ قال مرعى فى ذلك التحقيق أقوالا يمنع حظر النشر فى هذه القضية من اذاعتها هنا (نشر هذا المقال فى الوقت الذى كان لا يزال ساريا حظر النشر لما يدور فى اثناء التحقيق) ولكنها تسيء بغير شك الى ذكرى الاستاذ البناء، وتهدف الى اهدار دمه ، فقد اراد ان يدخل فى روع المحقق أن الاخوان هم الذين قتلوا الاستاذ البنا » ٠

□ **ومن مقال آخر للاستاذ الليثى :**

وقد نشر هذا المقال ايضا فى جريدة الاهرام فى ١٩٥٠/١١/٧ ولكنه تميز بتفصيل ومعالجة امور خطيرة بالغة الاهمية جاء فيه ما يلى :

« وبعد ان وقع حادث محاولة نسف محكمة الاستئناف المؤسف ، والذى كان له أسوأ الاثر فى نفس فضيلة المرشد ، طلب مرعى من فضيلته أن يصدر بيانا آخر لنشره بالصحف يقول فيه بصراحة (انه يعتبر اى حادث من هذه الحوادث يقع من اى فرد سبق له الاتصال بجماعة الاخوان موجها الى شخصه ولا يسعه ـ اى الاستاذ البنا ـ الا ان يقدم نفسه للقصاص ، او يطلب الى جهات الاختصاص تجريده من جنسيته المصرية التى لا يستحقها الا الشرفاء الابرياء) ٠

ولقد اوجد حادث محاولة نسف المحكمة جوا صالحا مكن مرعى من الوصول الى ما يريد من بيانات يود الحصول عليها ٠٠ وقد صدر البيان موقعا عليه من فضيلته بعنوان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ٠

البيان لا ينشر فى موعده

وتسلمت الحكومة البيان ، ولكنها بدلا من ان تنشره فى اليوم التالى لحادث نسف المحكمة نشرته فى اليوم التالى لحادث اغتيال الشيخ البنا ٠٠

ثم قدمته لجهات التحقيق زاعمة أن الاخوان المسلمين هم الذين قتلوا شيخهم لاصداره هذا البيان ٠

ولعل هناك حكمة لا يعلمها الا علام الغيوب ثم مرعى بك فى أن يظل هذا البيان حبيسا شهرا كاملا ، وأن لا يفرج عنه الا لكى تنشره احدى الصحف (« الاساس » صحيفة السعديين) بالزنكوغراف تحت عنوان « النار بدأت تأكل بعضها ـ الارهابيون ينقلبون على شيخهم » ٠

خطاب مفترى بشأن تسليم الاسلحة

ونشرت هذه الصحيفة أيضا قصة خطاب آخر قالت ان فضيلته ارسله قبل مصرعه بيومين الى الحكومة ، وأعلن فيه استعداده لتسليم محطة الاذاعة السرية التى تتحدث باسم الجماعة واستعداده لتسليم الذخائر والاسلحة الباقية لدى بعض اخوانه ولم تقع تحت يد البوليس حتى الآن ٠

وانى لاعلن هنا أن قصة هذا الخطاب غير صحيحة ٠ وأؤكد أن فضيلته لم يرسل مثل هذا الخطاب ، وأنه قد صرح لى بأنه أبان لمن تحدثوا اليه من ممثلى الحكومة فى هذا الشأن بأنه لا يعلم شيئا مطلقا عما يسمى أسلحة وذخائر أو محطة سرية ٠

لماذا لم ينشر الخطاب المزعوم ؟

وكان من الطبيعى أن تهتم الصحيفة المشار اليها بنشر صورة زنكوغرافية للخطاب الذى أدعت فيه أن فضيلته أبدى استعداده لتسليم الاسلحة ومحطة الاذاعة ان كان لهذا الخطاب وجود ـ ولكنها لم تفعل ٠

واذا كان فضيلته قد أرسل هذا الخطاب فما الذى كان يدعو رئيس الحكومة فى ذلك الوقت الى أن يرسل فى يوم ١٢ فبراير ـ وهو يوم مصرع فضيلته ـ مندوبا من قبله ليتباحث مع الشيخ فى مسألة ضرورة تسليم الاسلحة والذخائر والمحطة ؟ ٠

تهديد الشبان المسلمين

ويقول الاستاذ الليثى : عقب صدور قرار الحل ذهب اللواء صالح حرب وعبد القادر بك مختار والدكتور يحيى الدرديرى الى الاستاذ البنا فى منزله وقالوا له : اعتبر دار الشبان هى دار الاخوان ٠ وفى اليوم التالى حضر الاستاذ البنا الى دار الشبان ٠ فلما علمت الحكومة بذلك اتصلوا بصالح حرب وقالوا له : ان هذا تحد لامر الحل ٠ واذا لم تمنعوه من دخول الدار فسنطبق عليكم بنود هذا الامر ٠ فاصر صالح حرب وقال لى : أخل حجرة

مكتبك للاستاذ البنا ، ولكن حاول أن لا يجتمع معه فى المكتب اكثر من ثلاثة أشخاص حتى لا يجتمع اكثر من خمسة فيطبق عليه قرار الحل • وقال لى : لا تدع الاستاذ البنا يعلم بشىء ممـا دار بيننا وبين الحكومة بشـانه •• وقد اشترك الاستاذ البنا فى الجمعية ودفع اشتراك خمس سنوات ماضية حيث انه من مؤسسى الجمعية » (انتهى مقال الليثى) •

● **ومن شهادة الاستاذ مصطفى مرعى أمام المحكمة :**

وكان الاستاذ مرعى قد بدأ شهادته بقوله « كنت فى وزارة عبد الهادى وزير دولة فقط • وعلى هذا لم يكن لى علم بنشاط الحكومة بخصوص القبض على الاخوان أو غيرهم ، لان هـذا هـو شأن وزارة الداخلية وحدها ـ وفى الاسبوع الاول من وزارة عبد الهادى اتصل بى السيد صالح حرب وافهمنى أن الشيخ البنا يطلب أن يجتمع بى فقلت له لـماذا ؟ قال : لاشياء يريد أن يصارحك بها حين يلقاك •• فانا لم أعرف عن الشيخ البنا الا ما اسمعـه عن نشاطه **ولم أكن أعرفه شخصيا** ، ومع ذلك استجبت لطلب صالح حرب • ثم أنهى الاستاذ مرعى شهادته بأن أدعى أن الاستاذ البنا هو الذى طلب من تلقاء نفسه أن يكتب بيانا ••• وجاء فى مناقشة الدفاع له : ألم تقرأ جريدة المصرى بعد حادث الشيخ البنا ؟

مرعى ـ لا أذكر •

الدفاع ـ ازاى دى أكبر جريدة •• أو لا تذكر واقعة مصادرتها ؟

مرعى ـ لا •• انما أذكر أن جماعة من نقابة الصحفيين شكوا الى من شـدة الرقابة •

المحكمة ـ ماذا تعرف عن البيان الثانى الذى أذاعـه المرشـد بعنوان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ؟

مرعى ـ لا أعرف عنه شيئا •

المحكمة ـ ألم تنشر الصحف هذا البيان بعد مقتل البنا ؟

مرعى ـ أنا مش غاوى قراءة جرايد ، ولا أعرف الا البيان الاول •

المحكمة دا البيان نشر فى جريدة « الاساس » بالذات •

مرعى ـ هو انا غاوى « اساس » أنا لم إقرأ « الاسـاس » فى حيـاتى الا مرتين • وانا مندهش كيف يسمح لهـذا الانسان المدعـو الليثى بنقـل التحقيق حرفيا ونشره فى الجرايد فى حين أن التحقيق كان سريا • .

(وهنا وقف الاستاذ الليثى وطلب من المحكمة السماح له بتوضيح هذه النقطة فرفضت المحكمة) •

مرعى ـ أقول لكم كيف تمكنت من نشر مقالى فى « الاهرام » ردا على أكاذيب الليثى ‏٠٠‏ اتصلت بالاستاذ زكى عبد القادر فرحب بنشر المقال ٠ وفى الساعة الواحدة والنصف بعد نصف الليل اتصل بى زكى عبد القادر وأخبرنى أن الرقيب منع المقال بأمر سراج الدين ٠ فاتصلت بسراج الدين فقال لى : النشر محظور فى قضية الشيخ البنا ٠ فسألته كيف يكون محظورا على ومباحا لليثى ؟ فقال : ما هو شأنك ٠ فقلت له : ما هش عيب ؟ ‏٠٠‏ وذكرته بخدماتى فى أيامه السود ٠ وتمكنت من استدرار عطفه فوافق على النشر وأدلى بنفسه بحديث « للاهرام » بأنى كنت من أشد المتحمسين للافراج عن الاخوان ٠

● **عضو اليسار ـ ايه صلة الموضوع ده بالشهادة ؟**

مرعى ـ أنا بأقول انى نجحت فى اثارة النخوة فى سراج الدين ٠ ومضى يقول : انه مما ساعد على اثارة الغبار حول أحد أولياء الدم اسمه عبد الكريم منصور وهو كان موظف حكومة ، فرفع دعوى تعويض والمحكمة قررت ضم ملف الموظف ٠ وأنا كنت فى ادارة قضايا الحكومة فى ذلك الوقت فغاب الدوسيه واجلت القضية ، وفوجئت بعبد الكريم منصور يرفع على دعوى لانى ساهمت بفعلى فى الضرر الواقع عليه ٠

المحكمة ـ هل كنت فى الوزارة عند مقتل البنا ؟

مرعى ـ نعم

المحكمة ـ ألم تصل لكم معلومات بخصوص السيارة التى استعملت فى مقتل البنا ؟

مرعى ـ لا شأن لى بذلك ٠ وأنا قدمت استقالتى ثلاث مرات من وزارة عبد الهادى ٠

المحكمة ـ لهذه الاسباب ؟

مرعى ـ لا ‏٠٠‏ لخلاف بينى وبينهم ٠ وعلشان كده كنت بعيد عن هذه المعلومات ٠

المحكمة ـ يبدو غريبا أنك اطلعت على بيان الليثى سنة ١٩٥٠ ولم تطلع على الصحف التى كتبت بعد مقتل الشيخ البنا ٠

مرعى ـ ابدا ‏٠٠‏ أبدا ‏٠٠‏ لان هذا البيان كان يهمنى وله ظروف خاصة ٠

المحكمة ـ ألم تذكر يوم قتل الشيخ البنا ؟

مرعى ـ ما اعرفش ٠

(وهنا طلبت المحكمة الاستاذ الليثى ليقول ما عنده) فقال :

ان البيانات التى نشرتها فى جريدة الاهرام كان الغرض منها الوصول الى معرفة الحقيقة فى قضية الشيخ حسن البنا ٠٠ ونظرا لانى كنت قد قابلت الاستاذ فؤاد سراج الدين قبل توليه الوزارة ووعدنى فى هذه المقابلة باثارة قضية الشهيد حسن البنا عند عودة الوفد الى الحكم ، فانتهزت فرصة تولى الوفد الحكم ، وكان الاستاذ فتحى رضوان نشر فى ذاك الوقت بيانا أشاد فيه بموقف الاستاذ مصطفى مرعى من الاخوان والمعتقلين ٠٠ ونظرا لانى أعرف حقيقة موقف مصطفى مرعى من الاخوان والمعتقلين من الاستاذ البنا ، **فضلا عما جاء على لسان الاستاذ مرعى نفسه فى تحقيقات قضية الشهيد من أنه قال للاستاذ البنا بأننى بحثت حالة جميع المعتقلين فوجدت أن اعتقالهم له ما يبرره** ٠٠٠ كل هـذه الامـور هى التى دفعتنى الى الكتابة فى موضـوع القضية ، ولم يكن الاستاذ مرعى هو المقصود بل انه جاء فى الطريق لانه له دور فى القضية ٠

ولقد طلبت صراحة فى بياناتى التى يدعى الشاهد بأننى نشرتها بناء على ايحاء من الحكومة الوفدية من الاستاذ فؤاد سراج الدين وزير الداخلية أن يفى بوعده ويثير القضية ، خاصة وأن مرتكبيها من رجال وزارة الداخلية التى يتولاها ٠ وقد نشر الاستاذ مرعى بيانا ضدى فى الاهرام ، ولما طلبت من الجريدة أنْ تنشر ردى عليه ابلغتنى بأن وزير الداخلية أمر بعدم نشر أى بيان لك ٠ ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان الوزير نشر بيانا باسمه أشاد فيه بموقف الاستاذ مرعى من المعتقلين ٠

وانى أطمئنك (الكلام موجه الى مرعى) وأقول لك بان محكمة الجنايات التى تنظر قضية الاعتداء على حامد جودة قررت ضم أوراق قضية الشيخ البنا اسـتجابة لطلب الدفاع ، ووزعت ملفات هـده القضـية على أكثر من عشرين محاميا ، وكان بينهم الاستاذ طاهر الخشاب عضو مكتب الارشاد بالاخـوان المسلمين ، فاطلعنى على أقـوالك التى سـجلتها على نفسـك فى التحقيق ٠ فنشرتها لتاييد أقوالى التى نشرتها عنك ٠ وأظن أن ذلك يبين لك أننى كنت أستقى معلوماتى من الاخوان وليس من الوفد كما كنت تتخيل٠

● شهادة أحد الرقباء على الصحف فى أيام عبد الهادى :

وقد يكون مناسبا قبل أن أختم الحـديث عن مـوقف الشخصية التى نعالج الحديث عن موقفها أن نثبت هنا شهادة للاستاذ بكر درويش الذى كان رقيبا فى عهد وزارة عبد الهـادى ٠ وقد أدلى بها أمام المحـكمة بعـد أن أنكر الاستاذ مرعى بطريقة مثيرة علمه بهذا البيان بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » وقد وصل به التنصل من هذا البيان الى حـد قوله انه لا يقـرأ الجرائد ٠٠٠

المحكمة ـ ما هى معلوماتك عن الحادث ؟

الشاهد ـ الذى أعرفه قد يكون متصلا بسر العمل ، ولكن العدالة ...

المحكمة ـ العدالة لازم تاخذ مجراها .

الشاهد ـ اثير اليوم موضوع البيان الذى كتبه المرحوم الشيخ حسن البنا . ونشر بعد وفاته ...

المحكمة ـ بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ؟

الشاهد ـ أيوه .. وأنا كنت فى ذلك الوقت رقيبا بمراقبة النشر بوزارة الداخلية . وكنت أقوم بمراقبة جريدة « صوت الامة » ـ وبعد الحادث بيوم أو يومين على ما أذكر طلب منا اعطاء البيان للصحف لنشره على أساس أن يلقى فى الاذهان أن الحادث كان مرجعه الى تذمر بعض الاخوان المسلمين تذمرا أدى الى ارتكابهم الحادث .

المحكمة ـ هل طلب منك الايحاء بهذا لجريدة « صوت الامة » ؟

الشاهد ـ الذى أذكره انه طلب منا هذا .

المحكمة ـ من كان الرقيب العام ؟

الشاهد ـ كان الاستاذ عبد الرحمن عمار ، وكان مدير الرقابة هو الاستاذ توفيق صليب .

المحكمة ـ وممن كنتم تتلقون التعليمات ؟

الشاهد ـ كان اتصالنا بمدير الرقابة . وكان هو يتلقى التعليمات من الجهات التى يتلقى منها . ولكن كان اتصال الرقباء بمدير الرقابة دائما .

المحكمة ـ وهل أوصيت أنت الى « صوت الامة » بذلك ؟

الشاهد ـ الذى أذكره أننى نفذت التعليمات . وأذكر أنى أعطيت البيان للجريدة ونشرته . ولكننى أظن أنها لم تنشر تعليقا عليه .

[و] جريدة « المصرى » :

من حق هذه الجريدة ـ ونحن بصدد ما نعالج من قضية ـ أن تذكر وأن يشاد بذكرها .. ومع أن هذه الجريدة كانت جريدة حزبية ، فانها كانت طيلة حياتها الصحفية تتلمس طريق الحق وتنتهجه لنفسها طريقا حتى مع حزبها الذى تنتسب اليه وتنطق باسمه .. رايناها فى مواقفه هامة تشغب عليه ، وتقف فى وجهه تريد أن تسدده لانها ترى الحق فى غير موقفه . ولا زلنا حتى اليوم نذكر بالدهشة والاعجاب المقالات الضافية الصارخة التى دبجها يراع الاستاذ احمد ابو الفتح على صفحات جريدته الايام تلو الايام ، رافعا لواء العصيان حين اعلنت حكومة الوفد فى عام ١٩٥٠ عزمها على اصدار

تشريع يقيد حرية الصحافة ·· وظل الاستاذ أحمد ابو الفتح يوالى مقالاته النارية حتى أحبط المشروع ·

ولقد كانت هذه الجريدة تكن نحو الاخوان عاطفة من الود ـ لاسيما بعد أن برزت دعوة الاخوان فى أفق الحياة المصرية ، فكانت تنتهز الفرص السانحة للتعبير عن هذه العاطفة بنشر منجزات الاخوان فى مختلف المناسبات والتنويه بها ·· كما أنها كانت تمتنع عن أن يسطر على صفحاتها ما يعد نيلا من الاخوان اذا ما اقتضت الشهوة الحزبية ذلك ·

ولو لم تخاطر هذه الجريدة ، ويغش مندوبها ميدان المعركة الخبيثة التى وقعت أمام باب جمعية الشبان المسلمين فى الليلة السوداء ، ويلتقط رقم السيارة ممن رآها ·· ولولا مسارعة هذه الجريدة الى طبع كمية من هذا العدد الذى به رقم السيارة وتسريب بعضها قبل أن تنتبه الرقابة ·· لو لم تقدم هذه الجريدة على هذه المخاطرة لاستطاع المجرمون أن يطمسوا معالم الجريمة الى الابد ·

● **شهادة مدير ومحرر « للمصرى » أمام المحكمة :**

ونورد بهذه المناسبة الشهادة التى ادلى بها الى المحكمة الاستاذان محيى الدين فكرى المحرر « بالمصرى » ومرسى الشافعى مدير تحريرها :

قال الاول : كنا موجودين فى « المصرى » الساعة الثامنة مساء فبلغنا الحادث ، فنزلت واخذت معى المصور · فوجدنا عربة الاسعاف ووراءها سيارة بوليس ـ ووصلنا الجمعية وجمعنا معلومات · وبعد خمس دقائق أخرجنا البوليس ، ثم عرفنا نمرة السيارة التى هرب بها الجناة من كونستابلين لابسين ملكى وقالا انهما اخذا النمرة من الاستاذ الليثى ، مع أننا لم نكن نعرف الليثى فى ذلك الوقت ·

وقال الاستاذ الشافعى : كان فيه رقابة على الصحف · فافهمت الرقيب المعلومات التى عندى · فاتصل برؤسائه وكان البوليس مهتم ليلتها « بالمصرى » على غير العادة وبينزلوا المطبعة ، وكنا ابتدينا نطبع العدد وفيه صورة للشيخ حسن البنا ورقم السيارة · وبعدين صودر العدد وتسرب منه بعض النسخ وحصل معنا تحقيق بعد ذلك ·

الرئيس ـ ما تعرفش النسخ اللى تسربت قد ايه ؟

الشاهد ـ حوالى ستة آلاف نسخة ·· مش متاكد ·

الرئيس ـ والنسخ الثانية صدرت من غير النمرة ؟

الشاهد ــ أيوه ·· نفذنا تعليمات البوليس فشيلنا النمرة والصور لانها تثير الشعور ·

الرئيس ــ طيب وماعرفتش ليه منع نشر الرقم بتاع السيارة ؟ · عرفنا ان الصورة انشالت علشان تثير الشعور ·· طيب والنمرة ؟!

الشاهد ــ فى الوقت ده ماكانش يمكننا مناقشة الرقيب ·· واحنـ فوجئنا بالبوليس داخل الجريدة · (انتهت الشهادة) ·

أقول : ثم تابعت « المصرى » بالرغم من وجود الاحكام العرفية جهودم فى نفس الاتجاه ·· وقد طالع القارىء فى فصل سابق من هذا الجزء من الكتاب حديث الاستاذ المرشد العام الذى كتبه مفندا أسانيد مذكرة الحل ·· وقـ نقلناها عن « المصرى » وسيقرأ القارىء حديثا آخر بعـد قليل ان شـاء الله نقلناه أيضا عن « المصرى » ·

فلما زالت الغمة عن البلاد بسقوط عبد الهادى · أخذت « المصرى » تدعو الى رفـع الاحـكام العرفية ·· حتى اذا خفت وطأتها ــ أى وطأة الاحـكام العرفية ــ وقفت بجانب الاخوان فى موضوع بالغ الاهمية يتصل بهذه الاحكام وبكيان الاخوان بعد رفعها مما نفرد له فصلا خاصا ان شاء الله تعالى ·

وقد تابعت قضايا الاخوان منذ عرضت على القضاء فكانت حريصة على نشر ما يجرى خلالها ، مبرزة ما يتصـل من مناقشاتها بالتعـذيب وانتزا الاعترافات بالارهاب أو بالاغراء ·

● « المصرى » تحاول كشف دور مرعى :

وكان مما حرصت « المصرى » على التنبيه اليه واماطة اللثام عنه الدو الخطير الذى مثله الوزير مصطفى مرعى الذى كان موضع سر عبد الهادى فيما يتصل بما تم فى أيامه من اجرام ·· وقد بدأت « المصرى » فى ذلك فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٠ بجعلها « كلمة المصرى » فى ذلك اليوم بعنوان « الاخوان المسلمون » وكتبت تحته ما يلى :

« كان الاخوان المسلمون أصحاب صيحة دينية عالية ، استطاعوا بها أن يشغلوا الاذهان فترة غير قصيرة ، وأن ينقذوا كثـيرا من الشـباب من براثن الفراغ المقيت ، ومن ممـارسة حياة اجتماعية فاسدة قد تدفـع اليها ضرورات شباب متعطل ·

ولا ينكر منكر انهم استطاعوا ــ على هدى من ايمانهم ــ أن يكونوا أولى الطلائع المصرية بل والعربية جمعاء فى الذهاب الى أرض فلسطين عن

طواعية لاحدى الحسنيين : استخلاص فلسطين أو الاستشهاد فى سبيل استخلاصها من أيدى الصهيونيين ··· وأنهت « المصرى » كلمتها بالمطالبة باعادة حقوقهم اليهم ·

وفى ٢ نوفمبر كتبت تحت عنوان « مصطفى مرعى بك وعد الاخوان المسلمين بالدفاع عنهم ثم أعد مذكرة كانت سبب تشريدهم » قالت « كان مصطفى مرعى بك فى وزارة النقراشى باشا رئيسا لاقلام قضايا الحكومة ، واتصل به المرشد العام فتظاهر بانه معارض للاجراءات التى اتخذتها الحكومة ضد الاخوان ، ووعد باعداد مذكرة فى ذلك · فتبين أنه حتى بعد أن صار وزيرا فى وزارة عبد الهادى كتب مذكرة معاكسة لذلك · ولما صار وزيرا فى وزارة حسين سرى باشا كان هو معارضا فى الافراج عن المعتقلين · ثم اوردت حديثا لزميل له فى الوزراة هو عبد العزيز الصوفانى بك يقرر هذا المعنى بالنسبة له وبانه كان معارضا حتى فى رفع الاحكام العرفية » ·

ثم نشرت « المصرى » ردا من مصطفى مرعى تحت عنوان « مصطفى مرعى يقول : لم أهاجم الاخوان المسلمين ولم اكن ضدهم ـ كنت لهم السفير الداعى الى الهوادة والرفق والمطالب بحريتهم » · وفى رده هذا حاول أن ينفى عن نفسه ما نشر عنه من موقف معاد للاخوان ·

ولكن « المصرى » نشرت فى نفس الصفحة ردا على رده تحت عنوان « كيف اصدر الشهيد حسن البنا « بيان للناس » منع تلاوة القرآن الكريم عند دفن المرشد العام » وقالت :

هذا هو رد مصطفى مرعى بك على ما نشرناه بالامس · وكنا نود ان يتضمن هذا الرد اجابة او ايضاحا على ما اثاره عبد العزيز الصوفانى بك عن موقف سعادته من الاحكام العرفية ومن جمعيه الاخوان المسلمين ·· ولا شك فى أن الصوفانى بك عندما تكلم فى هذه المسائل انما كان يتكلم عن معرفة حقيقية بحكم زمالته لمرعى بك فى وزارة عبد الهادى » ·

ثم نشرت بعد ذلك تحت عنوان « معلومات الاستاذ الليثى » ما يلى :

جاءنا من الأستاذ محمد الليثى رئيس قسم الشباب بجمعية الشبان المسلمين ، والذى اتيح له أن يرافق الشيخ حسن البنا فى أيامه الاخيرة منذ حلت جمعية الاخوان حتى يوم مصرعه · وقد اطلع بحكم هذا الاتصال على جميع ما دار فى الاتصالات التى تمت بين المغفور له الشيخ حسن البنا والمسئولين فى ذلك الوقت ومن بينهم مصطفى مرعى بك ـ يقول الاستاذ الليثى عن رايه فى حقيقة موقف مصطفى مرعى من الاخوان المسلمين والشيخ حسن البنا عندما كان وزيرا للدولة فى وزارة عبد الهادى :

رغبة مرعى بك نفسه

« أحب أن أؤكد أن اتصال مرعى بك بالشيخ حسن البنا لم يتم بناء على رغبة من الشيخ حسن البنا ، بل تم هذا الاتصال بناء على رغبة من مرعى بك ، وكان في اتصاله هذا ممثلا للحكومة ومتكلما باسمها ، ولذا وسط سعادة صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ليساعده على الاجتماع بالشيخ البنا ٠

وكان مفهوما في أول الامر أن مرعى بك بوصفه وزير الدولة المشرف على شئون الامن في ذاك الوقت - كما ذكر هو بنفسه - انما أراد الاتصال بالشيخ البنا ليتفاهم معه على انهاء حالة التوتر التى كانت قائمة بين الاخوان والحكومة ٠٠٠ ولكن اتضح بعد ذلك من المناقشات التى دارت في اجتماعاتهما أن غرض سعادته كان ينحصر في الرغبة في الحصول على بيان من الشيخ يستنكر فيه مقتل النقراشى ويندد بحركة الارهاب ومرتكبيها ٠

ولكى يحصل على هذا البيان بسط وعودا طمأنت الشيخ البنا، اذ صرح له بأنه وهو الوزير المسئول سيوقف بمجرد اصدار البيان حركة الاعتقال والتنكيل بالاخوان ، بل ذهب الى أبعد من هذا ووعد بأنه سيبحث من جديد مع ابراهيم عبد الهادى مسألة الامر العسكرى الصادر بحل الجمعية ، وسيعمل أيضا على الافراج عن المنقلين على دفعات ٠ وطلب من الشيخ البنا كشفا بمن يرى الاسراع في الافراج عنهم لظروفهم الخاصة ٠

ولما كان الشيخ موافقا من ناحية المبدأ على اصدار البيان اذ انه رحمه الله كان لا يقر الحركات العنيفة ، علاوة على أن الوعود التى تقدم بها مرعى بك كانت ستؤدى كما فهم الشيخ الى الكف عن حركات الاعتقال بل والافراج عن المعتقلين ، فانه أقر فكرةاصدار بيان رغم ما جاء في بعض فقراته من نصوص لم تكن ترضيه ٠٠ وصدر البيان بعد ثلاثة اجتماعات متوالية عقدت بمنزل صالح حرب باشا ونشر تحت عنوان « بيان للناس » ٠

وما ان صدر البيان حتى تعذر على الشيخ البنا مقابلة مرعى بك الذى كان يعتذر دائما عن المقابلة بانشغاله في العمل ٠

المعتقلون

أما عن المعتقلين الذين وعد سعادته بالافراج عنهم فقد نقلوا من معسكر هاكستيب بالقاهرة الى معتقل الطور ٠٠ وكانت أول دفعة تصل الى الطور تضم - بين من رحلوا فيها - جميع من طلب الشيخ الافراج عنهم لظروفهم الخاصة ٠٠ وفتح معتقل الهاكستب لاستقبال معتقلين جدد ٠

كيف دخل الجثمان منزله ؟

وأين كان سعادته عندما ادخل جثمان الشيخ البنا منزله وسط مظاهرة مسلحة من رجال البوليس شاهرة المسدسات والبنادق فى وجه سيدات اسرته العزل من كل سلاح ·· وأرغمت السيدات على حمل الجثمان الى النعش ، ولم يسمح لواحد من رجال هذه الاسرة بالاقتراب من الجثة ·· حتى القرآن حرمت عليهم تلاوته ، كما حرم على أسرته وأقاربه زيارة قبره ، بل اعتقل بعض محبيه ممن زاروا قبره ···

وأين كان سعادته يوم كانت الحرية تهدد بهذا الشكل الخطير ؟ وما له ينسى كل هذا ويتقدم اليوم الصفوف محاولا أن يظهر بمظهر المدافع عن الحرية ؟ (انتهى) ·

هذا ·· ولعل القارىء قد لاحظ أننا فى تناولنا تجلية موقف جريدة « المصرى » فى قضيتنا قد جاءت هذه التجلية فى معظمها امتدادا لتجلية موقف الوزير مصطفى مرعى ··

وارجو بعد هذه العجالة الخاطفة أن أكون قد وفقت الى جمع شتات ما تناثر هنا وهناك من « فتافيت » هذه الصورة التى أراد صاحبها أن يمزقها عن قصد الى « فتافيت » صغيرة ويرسلها مع الرياح فى كل جانب ، حتى لا يقوى أحد على جمعها ·· فتظل بذلك صورته الحقيقية مجهولة المعالم ، ليظهر هو بالصورة التى تروقه مما يناسب كل وقت ، ويتلاءم مع كل مقام ···وانى لادع للقارىء بعد ذلك أن يصدر حكمه على هذه الصورة بما يوحى به اليه ضميره ·

الفصــــل الرابــع

لوذات سوار لطمتنى ؟.. من هم السعديون ؟

قد يكون فيا اسلفنا فى هذه المذكرات من سرد لتاريخ القضية الوطنية وقضية فلسطين ما يكفى لدمغ حكومات السعديين بالخزى والخيانة والعار، ولكن رأينا مع ذلك أن نختم هذه الفصــول التى استأسـدوا فيها على بنى جلدتهم من أبناء هذا الوطن بنبذة تكشف عما كان تحت جلود الاسود التى تطاولوا بها على مواطنيهم من قلوب الذئاب واحلام العصافير .

ومن حق القارىء أن يعرف الحقائق المجردة عن الشخصيات التى لعبت فى تاريخه أدوارا خطيرة لا زال الشعب يعانى من آثارها ويكتوى بنارها .. ومما يؤسى له أن الظروف السياسية لم تتح الى اليوم ان يتصدى للكتابة عن هذه الشخصيات الا للكتاب الذين تمرغوا فيما كان هؤلاء الحكام يعتصرونه من أقوات الشعب ليشتروا به الضمائر والاقلام .. فكان هم هؤلاء الكتاب حتى اليوم أن يحجبوا عن الشعب ما يعرفونه من آثامهم وجر ئم ... وبات الشعب بعد ذلك مضللا تائها ، لا يميز بين المحسن والمسىء ، ويتقلب فى المصائب يصطلى بنارها ، ويحترق فى لهيبها وهو يسبح بحمد من اشعلوا منذ ثلاثين عاما فتيلها ...

فكان حقا علينا أن نميط الالثمة عن الوجوه حتى تبدو على حقيقتها دون زيف أو تمويه أو تزوير ... وحين نحاول هـذه المحاولة لن نلجـا الى أسلوب القدح والقذف بجارح اللفظ ، فهذا ليس أسلوب المؤمنين ، ولكننا سننقل الحقائق المـادية من سطور التاريخ المجمع عليه دون تحوير ولا تنميق ولا زيادة ولا نقصان ... ونترك الحكم بعد ذلك للقارىء حينئذ على بينة من الامر .

والتاريخ الذى ننقل عنه قد سطر ما سطر فى فترتين مختلفتين : أولاهما كتب فيها ما كُتب فى عهد السلطة الملكية ، وهـو عهـد كان يحتضن هـؤلاء السعديين ويحميهم حتى بعد أن أبعدهم عن الحكم ، فقد يسمح بنشر بعض أخطائهم وفضح بعض جرائمهم ، ولكنه مع ذلك لا يسمح بمؤاخذتهم ولا حتى بمساءلتهم ، لانه يعتبرهم من جملة خدمـه ، وقـد يحتاج اليهم فى يوم من الايام ..

والفترة الاخرى من التاريخ هى تلك التى انقشع فيها ستار الحماية الملكية عن السياسيين المحترفين عامة بزوال الطاغوت الذى كان يحتضنهم

وهى مستهل أيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وهى فترة زالت فيها الحوائل التى كانت تحول دون أخذ المجرمين بجرائمهم ٠

أولا ـ فترة ما قبل الثورة :

كانت وزارة ابراهيم عبد الهادى قد سقطت ، وتنفس الناس الصعداء ، وأخذوا يتنفسون فى شوق أنفاسا عميقة ـ بعد أن كتمت انفاسهم ردحا طويلا ـ وان كان الهواء الذى يتنفسونه ليس الهواء النقى الذى تهفو اليه نفوسهم ، بل هو هواء مشوب بأذى وكدر ، ولكنه على كل حال هواء مسموح بتنفسه ، يزيل بعض مافى الصدور من حرج ٠٠٠ بدأت بعض الاوراق المحجوبة تتكشف وبعض الالسنة تفصح وتتكلم ٠٠٠ واليك بعضا مما تكشف :

(١) سفير يشرح كيف جنى الجهل والانانية على قضية البلاد :

كان محمود حسن باشا سفيرا لمصر فى الولايات المتحدة الامريكية فى خلال الفترة التى كان النقراشى باشا رئيسا لوزارته الثانية التى قررت عرض قضية مصر على مجلس الامن ، وقد استقال هذا السفير فى عهد الوزارة نفسها بعد الانتهاء من عرض القضية على المجلس ٠٠٠ والآن أترك له الحديث الذى نشره « المصرى » يوم ١٣ـ١٢ـ١٩٤٩ وهو يعالج موضوعا سبق لنا أن عالجناه ، ولكنه يعالجه باسهاب معالجة الاخصائى المتمرس ، وباعتباره أحد المحاور التى كان يدور عليها الموضوع الذى يعالجه فيقول :

« ان من حق مواطنى أن يطالبونى بما أعرفه فى صدد قضيتنا ، ولكنى رأيت أن الوقت لم يكن مناسبا وتتئذ لتلبيتهم ، لان الجمهور عند عودتى لم يكن قد هدأ من أثر الصدمة التى أصابته بسبب فشلنا فى مجلس الامن ، حتى جاءت حوادث فلسطين ومأساتها فى جمعية الامم المتحدة ، واندفاعنا بسببها الى حرب أكدت الحكومة ـ رغم ملاحظاتى المتكررة ـ انها على أتم الاستعداد لها ، وهى فى تأكيدها هذا لم تكن الا منخدعة أو مخدوعة ٠

ثم أعلنت الاحكام العرفية فقيدت الحريات ، وفرضت الرقابة على الصحف ، وفلت أقلام الكتاب ، فحال ذلك بينى وبين سرد تفاصيل القضية المصرية ، رغم ما كنت أشعر به من حق الخاصة والعامة على ولا سيما والقضية ما زالت معلقة فى مهب الرياح ٠٠٠ وقد يكون لذكر تفاصيلها نفع لمن يريد مخلصا أن يختط خطة سليمة ناجحة او محتملة النجاح لحل هذه المسألة التى ما عقدتها الا النزاعات الحزبية ، والمآرب الشخصية ، والرغبة فى الاعلان عن النفس ، واكتساب المجد الكاذب ٠

ثم ذكر كيف افادت سورية ولبنان وايران من عرض قضاياها على مجلس الامن ، منتهزة الفرص المناسبة ، منتفعة من اختلاف الدول الكبرى فيما بينها ، مكتسبة الدول الى جانبها ٠٠ أما مصر فقد أهملت كل ذلك ، وركزت كل جهدها فى مفاوضات طال أمدها كما لو كانت تعيش فى عام ١٩٣٦ ٠٠ وكان خليقا بها أن تعرف أن انتحاءها زاوية وحدها مع انجلترا فى عزلة عن الدول الاخرى لن تفترق بعدها الا ونحن من الخاسرين ٠

ولعل فيما جاء على لسان وزارة الخارجية الانجليزية فى ختام فترة المفاوضات الاخيرة « أن هذا هو أقصى ما تستطيع أن تعطيه انجلترا لمصر » ما يفيد أن انجلترا تنظر الينا نظرها الى المستجدى لاصحاب الحق ٠

لكننا وبكل أسف لم نلجأ الى مجلس الامن الا بعد أن أمضت (وقعت) الحكومة - بالاحرف الاولى - مشروع اتفاقية مع الحكومة الانجليزية ٠ فاصبحنا فى وضع شاذ ٠٠ وأكثر منه شذوذا أن يتولى الدفاع عن قضيتنا رجال قبلوا هذا المشروع ودعوا اليه ودافعوا عنه بل وخاصموا غيرهم من أجله ٠

ان الحكومة القائمة فى ذلك الوقت لم تكن جادة فى الالتجاء الى الهيئة الدولية ، بل هى اضطرت الى ذلك تحت ضغط المعارضة والرأى العام الذى اشعرها بانها لن تستطيع البقاء فى الحكم وهى واقفة ذلك الموقف السلبى الذى كانت تقفه بعد المفاوضات ٠

وليس ادل على ذلك من انها أخذت تسوف وتؤجل - تارة تحت ستار السعى فى اختيار اشخاص ممثليها أو اختيار الهيئة المختصة - وأخرى فى انتظار انتهاء الدورة البرلمانية - حتى كان صيف سنة ١٩٤٧ رات أن تتحرك بعد أن ضيعت الفرصة تلو الفرصة ، فلا هى نجحت فى ضم الصفوف فى الداخل ، ولا هى طرحت القضية فى الوقت المناسب ، بل لعل الوقت الذى اتت فيه الى نيويورك كان ابعد الظروف ملاءمة ٠

وبعد ان اثبت سيادته نصوص الخطابات التى ارسلها الى النقراشى باشا برأيه فى عرض القضية من ناحية الشروط والظروف المناسبة قال : وكان آخر خطاب منى بعد ما وصلت الى شبه اليأس وتغيرت الظروف ، حيث عرضت قضية فلسطين على هيئة الامم ، وصاحب عرضها دعاية واسعة لصالح اليهود ضد العرب وضد مصر ، والتجاء الامير عبد الكريم لمصر وما فى ذلك من اثارة خواطر الفرنسيين ، ثم الانقلاب الذى حدث فى المجر وما صحبه من شعور متزايد بضرورة التضامن والتكاتف بين الولايات المتحدة وبريطانيا ازاء الخطر الروسى المتفاقم ٠

يقول : ومع ذلك اصر النقراشى باشا على المجىء الى نيويورك ، وتمسك ببقائى فى منصبى مع ما طلبته من اعفائى ٠٠٠ فرحت أستشير ذوى الرأى فيما يجب اتخاذه من التدابير ، واقترحت استشارة محام ذى خبرة دولية فوافقت الوزارة على هذا الطلب ٠ فرأيت أن ألجا الى أكبر مكتب فى العاصمة ، وهو المكتب الذى تولى مسألتى ايران واليونان عند عرضهما على مجلس الامن ٠ وكان هذا المحامى يعرفنى حيث كنت ممثل مصر فى مجلس الامن عند عرض هاتين القضيتين ، فرحب بى وطلب الى أن أزوده بالمعلومات اللازمة عن قضيتنا ووعدنى بالرد فى أقرب فرصة ٠٠ وراح بدوره يدرس القضية وظروفها وملابساتها ، ثم اتصل بى ليبدى جوابه ، فأحاطنى علما بأن مكتبهم يرى بعد الاتصالات العديدة ، وبعد جس نبض الرأى العام بالعاصمة ونيويورك بأن عرض القضية فى القريب العاجل هو أسوأ الاوقات اختيارا ، وأن قضيتنا يجب لتوافر نجاحها أن يكون بجانبها الرأى العام الامريكى ، ولكن الوقت الحاضر غير مناسب لذلك ، اذ كل البيئات متخوفة من الاتحاد السوفييتى واتجاهه نحو المجر وبلغاريا الخ ٠٠ فعرض القضية ليس فقط بعيدا عن المصلحة فحسب بل هو مضر لمصر ٠ وان مكتب المحامى على كل حال لا يقبل التوكيل فى هذه القضية فى الوقت الحاضر ٠٠ ومع كل هذا فقد أصر النقراشى باشا على عرض القضية فى ذلك الوقت وأن يكون هو وحده المتقدم بها الى المجلس ٠

ملحوظة : كان من بين المقترحات التى اقترحها السفير على النقراشى باشا لما رآه مصرا على عرض القضية فى ذلك الوقت غير المناسب ، أن تقوم بعرضها على المجلس هيئة تضم ممثلين عن جميع الجبهات السياسية فى مصر ، لعل ذلك يكسب القضية شيئا من القوة ويبطل حجة الانجليز فى أن الذى يتقدم بالقضية شخص سبق أن وافق ووقع على معاهدة بينه وبينهم وهو ملزم بتوقيعه ٠٠٠ وقد حدث هذا فعلا وكان من أهم الاسباب التى اعتمد عليها المجلس فى رفض القضية ٠ وان كان المجلس قد سمى هذا الرفض تعليقا ٠

(٢) التستر على خيانة الجيش :

لعل القارىء الكريم يذكر ان من اهم اسباب هزيمة الجيش المصرى فى فلسطين انه امد باسلحة وذخيرة فاسدة ٠٠ وقد قامت احدى الوزارات التى تولت الحكم بعد ابراهيم عبد الهادى باجراء تحقيقات فى هذا الشأن كانت على جانب كبير من الاهمية باشرتها النيابة العامة ٠٠ وقد كشفت هذه التحقيقات عن وقائع خطيرة وجنايات جسيمة ٠٠ ولكن السراى الملكية تدخلت فى التحقيقات لصالح المتهمين حيث تبين أن بعضهم كان يعمل

لحسابها ‥ فأخفيت الحقائق حتى انها لما عرضت على القضاء لم يجد بين يديه من الادلة ما يكفى لادانة المتهمين ، فحكمت المحكمة ببراءة جميع المتهمين ما عدا اثنين حكمت بتغريم كل منهما مائة جنيه ‥ وقد جاء فى حيثيات هذه القضية التى جاءت فى مائتى صفحة وحكم فيها فى ٥ـ٧ـ١٩٥٣ ما يلى :

« ثبت أن فاروق هو الجانى الاول ، جعل لنفسه حسابا خاصا باسم ادمون جهلان ـ أحد سماسرة الاسلحة ـ وأوفد ناظر خاصته أثناء تفتيش خزانة جهلان يفرض على سلطة التحقيق اخذ أوراقه من الخزانة ‥‥ »

وفى ١٨ أكتوبر ١٩٥٠ وتحت عنوان « النقراشى باشا وعبد الهادى باشا تسترا على جرائم الجيش » كتبت جريدة « المصرى » ما يلى :

« فى الوقت الذى تعددت فيه الاجتماعات من بعض أفراد المعارضة وبعض المستقلين لوضع العريضة التى قرروا رفعها الى جلالة الملك ‥ وفى الوقت الذى يريد فيه موقعو هذه العريضة أن يوهموا الناس بالحرص على مصالح البلاد وتطهيرها من الفساد ‥ الى آخر ما جاء فى عريضتهم ‥ تسلم سعادة الاستاذ محمد عزمى بك النائب العام ملفا رسميا من الملفات التى تحتفظ بها وزارة الداخلية منذ عام ١٩٤٨ ، احتوى على مستندات على جانب كبير من الاهمية والخطورة ، تشير الى أن النقراشى باشا وخليفته عبد الهادى باشا تسترا واحدا بعد الآخر فى منصبيهما كرئيسين للوزارة ووزيرين للداخلية وحاكمين عسكريين على كثير من الجرائم التى ارتكبت فى حق الجيش ويدور بشأنها التحقيق الآن .

● **تفاصيل التستر :**

وترجع تفاصيل هذا التستر من جانبهما واحدا بعد الآخر الى عام ١٩٤٨ ، فقد أعلنت الاحكام العرفية فى صبيحة دخول قوات الجيش المصرى الى فلسطين ، وكان من نتائج اعلانها أن فرضت الرقابة الدقيقة على المراسلات والمخابرات التليفونية والبرقية الداخلة الى مصر والخارجة منها .

وقد حدث فى خلال أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ١٩٤٨ ويناير وفبراير ومارس وابريل ويونيه ١٩٤٩ ـ حدث خلال هذه الشهور على وجه التحديد أن ضبطت وسجلت فى محاضر رسمية مخاطبات تليفونية ورسائل تبودلت فى الداخل ومع الخارج بين ضباط من المتهمين فى التحقيقات الدائرة وعملاء وسماسرة لتوريد الاسلحة . وقد تضمنت هذه المخاطبات والمراسلات المسجلة فى احد ملفات وزارة الداخلية الرسمية اعترافات صريحة بعدد من الجرائم التى يحقق فيها الآن ـ كما ضبطت مراسلات هى عبارة عن خطابات بأيدى بعض المتهمين تتضمن هى الاخرى عبارات تثبت الجريمة ، وضعت كلها فى

ملف المضبوطات التى تعرض على وزير الداخلية والحاكم العسكرى للبت فيهـا ٠

وكان النقراشى باشا وعبـد الهادى باشـا من بعـده يطلعان بحـكم منصبيهما كوزيرين للداخلية وحاكمين عسكريين على كل هذه المضبوطات٠٠ ومع ذلك بقيت هذه المستندات الخطيرة فى الملف الذى احتواها دون أن يفكر أحد منهما فى كشف ما انطوت عليه ٠

(٣) حالة الجيش المصرى عند ادخاله فلسطين :

فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٠ نشرت المصرى هذا التحقيق البالغ الخطورة فى صفحتها الاولى فقالت :

« وفى الحقائق التى سنوردها هنا تفاصيل جديدة على جانب كبير من الخطورة تكشف كيف كانت حكومة السعديين تهزل فى معـالجتها لمصـائر البـلاد :

قبل بدء حملة فلسطين ببضعة أيام سافر سعادة اللواء المواوى بك الى الحدود للاشراف على القوات المصرية هناك التى كان قد بدىء فى ترحيلها الى مراكزها بالتدريج ٠

وقد عكف سعادته بعد وصوله الى الحدود على تفقد القوات المصرية والاطلاع على ما تملكه من أسلحة وعتاد ٠٠٠ وهال سعادته ان تكشف له أن هذه القوات ليست مستعدة بالمرة لاى احتمال بالاشتراك فى الحرب ٠ ولمـا كانت الانباء تتحدث فى ذلك الوقت بصراحة عن استعـداد الدول العربيـة ومشاوراتها لشن حملة تأديبية على فلسطين ، فقد رأى سعادته أن الواجب يحتم عليه أن يصارح المسئولين بحقيقة الاحوال بالنسبة للقوات المصرية التى تستعد على الحدود ، فوضع سعادته ما يسميه العسكريون « أمر تقدير » أشار فيه بصراحة تامة الى أن حالة القوات من حيث العتاد والاسلحة سيئة جدا ، ولا سيما اذا كانت الحكومة تفـكر فى الاعتماد عليهـا فى حمـلة ضـد الصهيونيين فى فلسطين ٠

وعـــود

وسارعت الحكومة السعدية القائمة تطمئن قـواد الجيش المسئولـين عند الحدود ٠ وتؤكد لهم أنه اذا تطور الامر وأصبح من اللازم ان تشتبك القوات المصرية فى حرب ضد الصهيونيين فستنهال الاسلحة الثقيلة والخفيفة على الميدان ، وستمتلىء سماء المعركة بطائرات القتال المصرية التى ستكون كثيرة الى حد « يحجب الشمس عن العيون » ٠

السيارات

وكان مما أشار به القواد فى ذلك الوقت وجوب مد القوات المرابطة عند الحدود بالسيارات ، وقبل أن تصدر الاوامر الى القوات المصرية بدخول فلسطين بليلة واحدة وصلت الى القوات المصرية فى الميدان ١٧ سيارة فقط من أكثر من ١٥٠ سيارة تعطلت فى رمال الصحراء أثناء اتجاهها الى الحدود. فاذا تصورنا أن هذا العدد الضخم من السيارات لم يتحمل عبء السفر من القاهرة الى الحدود لادركنا تفاهة الرجاء فى أن تعتمد القوات المصرية على السيارات التى تيسر لها الوصول ٠

بدء القتال

وبينما القوات المصرية على هذه الحال من العجز والحاجة الماسة الى العتاد والسلاح والسيارات ، صدرت الاوامر من القاهرة ببدء الزحف لتأديب الصهيونيين فى فلسطين ٠

روح معنوية عالية

ولم يسع قواد الجيش الا اطاعة الاوامر ، وبدأ الجيش المصرى الحرب وكل اعتماد قواته على الروح المعنوية وحدها التى كانت مرتفعة الى أقصى حد بين رجال الجيش ضباطه وجنوده ، وعلى أمل ان تبر الحكومة بوعدها فتمطر الميدان بما وعدت به من أسلحة ٠

أول هدف

وكان من أول أهداف الجيش المصرى الزحف نحو مستعمرة يهودية ٠ وقد قدرت المسافة بينها وبين العريش بأربعة كيلو مترات ٠ وكان العجز فى السيارات واضحا ٠ ولكن الروح المعنوية المرتفعة بتت فى الموقف فتقرر أن يكون اتجاه الجيش الى المستعمرة مشيا على الاقدام ٠

وسار الجنود البواسل يجرون ما تيسر لهم من مدافع وراءهم ٠ وكان عليهم ان يشقوا طريقهم فى حذر حتى لا تقع عليهم عيون العدو ، فاضطروا الى أن يسلكوا مناطق صحراوية وجداول نضبت فيها المياه ، وهكذا حتى طالت المسافة بينهم وبين الهدف ٠٠ وشعر الجنود بالعطش بعد أن فرغ ما يحملونه من ماء ، وانهكهم المشى على الاقدام حتى ان بعض الجنود قد اضطر الى التخفيف من حملهم ، كما اضطر بعضهم الآخر الى ترك بعض المدافع التى يجرونها وراءهم ٠

العودة

ووصل الجنود الى المستعمرة فعلا بعد ان قطعوا عشرة كيلو مترات ، ولكنهم كانوا فى حالة من التعب والاجهاد لم يسعهم معها الا العودة من حيث

اتوا .. وكانت هذه البداية بمثابة صدمة عنيفة لم يخفف من حدتها الا ايمان الجميع بسمو الرسالة التى وكل اليهم أمر أدائها .

العـــدو يشهـــد

واستمرت المعارك التى يشترك فيها الجيش المصرى ، واثبت الجيش خلالها جميعا أنه قوة فعالة جعلت الخصـوم أنفسهم يخشـونها ، حتى ان بعض الصهيونيين فى هذا الوقت طبعوا منشورا يقع فى ٣١ صفحة يتحدثون فيه عن بسالة ضباط الجيش المصرى وجنوده . ووقعت بعض النسخ من هذا المنشور فى أيدى القوات المصرية فى ذلك الحين ، وكان لها أثر كبير فى مضاعفة الروح المعنوية وتحبيب الجنود فى التضحية والاقدام .

٢٥ ٪

وبقى قواد الجيش المصرى ينتظرون أن تبر الحكومة بوعودها ، ولم يترددوا مع هذا فى مواصلة الحرب بما يملكون من عتاد كان فى مجموعه لايزيد على ٢٥ ٪ مما تحتاج اليه القوات فعلا .

معركة دير سنيد

وجاءت معركة دير سنيد . وقد اشتركت فيها القوات المصرية بروح معنوية عالية يمكن وصفها بأنها كانت رقما قياسيا من ارتفاع المعنوية . وكان سبب هذا هو فرح الضباط والجنود وسعادتهم البالغة بتلك الدبابة التى تسير وهم يسـيرون خلفها ، فـكانت اول دبابة تطأ « جنـازيرها » أرض المعركة فى فلسطين من جانب القوات المصرية .

الدبـابـة

وهكذا كان حال الضباط والجنود يوم معركة « دير سنيد » . أما حال الدبابة نفسها فكان مصيبة بل مهزلة مبكية . كانت دبابة ايطالية قديمة تركتها فلول الجيش الايطالى المنهزم أمام البريطانيين فى الصحراء الغربية . وكانت خالية من كل ما تزود به الدبابات من مدافع وسلاح ، ولم يكن فيها غير « الموتور » الذى يجعلها تتحرك .. ولا يعلم الا الله وحده كيف نقلت هذه هذه الدبابة من مكانها فى الصحراء الغربية الى القوات المصرية المحاربة فى فلسطين .

ومع هذا كانت هذه الدبابة ـ بحالها هذا ـ مصدر فزع ورعب كبيرين للصهيونيين المدافعين عن « دير سنيد » ومعنى هـذا انه لو كانت الحـكومة القائمة فى ذلك الوقت ساهرة بجـد على حاجات الجيش فى الميدان لـكان فى

وسعها أن ندرك أن شيئا من عدا الاهتمام باعداد عدد غير كبير من الدبابات المزودة فعلا بالسلاح كان من شانه أن يمكن الجيش المصرى من القضاء على عدوه فى الايام الاولى من المعركة ، وقبل أن يتمكن من الاستعداد والتزود بالاسلحة التى مكنته فيما بعد من الوقوف فى وجه الجيش المصرى ٠

وكانت نتيجة « معركة الدبابة الواحدة » عده أن انتصرت القوات المصرية وتمكنت من أسر ١١٢ صهيونيا كان من بينهم طبيب اعتمدت عليه القوات المصرية بعد دخولها « دير سنيد » ٠

خطر جديد

وبعد أن استتب الامر للقوات المصرية فى دير سنيد بدا الضباط والجنود يتفقدون الحصن وما حوله ٠ وهنا تقدم الطبيب الصهيونى الاسير قائلا : هل احميكم من الموت مقابل تمكينى من انقاذ ابنتى الجريحة ؟ فقيل له : لك هذا اذا صدقت الوعد ٠ فاصطحب بعض الضباط والجنود المصريين وأرشدهم الى حقول الالغام التى ثبتت بالقرب من الحصن فى طرق كانت القوات المصرية لا شك ستطرقها فى تقدمها وتجوالها فى هذه المنطقة ٠

عجز فى مجسات الالغام

ولولا هذا الطبيب الصهيونى الاسير وابنته الجريحة لتعرضت القوات المصرية لخطر داهم نتيجة لهذه الالغام ، فقد كانت القوات المصرية فى ذلك الوقت لا تملك حتى مجسات الالغام اللازمة للكشف عن حقوله التى بثها العدو ٠

الذخيرة الفاسدة

وحديث الذخيرة الفاسدة حديث طويل ٠ ويكفى أن نذكر منه الآن طلقات المدافع زنة ٢٥ رطلا ٠ وكانت هذه المدافع بالذات هى أثمن ما يملكه الجيش فى الميدان ٠

ولقد سببت الطلقات الفاسدة التى تلقتها القوات فى الميدان لهذا النوع من المدافع أن شرخ عدد كبير منها ، بل ان حادثا معينا وقع – وعلمته الحكومة فى حينه فى تقرير مفصل – يتلخص فى ان أحد تلك المدافع قد انفجر اثناء اطلاق قذيفة فاسدة فيه فأودى بحياة كل من كانوا حوله يسرعون على اطلاقه ٠

وبقى القواد مع هذا ينتظرون ان تبر الحكومة بوعدها املا فى تسلمهم اسلحة وذخائر غير فاسدة،ولكن الحكومة مضت فى تصرفاتها فراحت ترسل الى

الميدان ذخيرة فاسدة تفتك بأرواح الابطال من أبناء البلاد ٠

(٤) موادة اعداء البلاد :

لما تولت الحكم فى عام ١٩٥٠ وزارة حزب الوفد برياسة مصطفى النحاس باشا أخذت تعالج القضية الوطنية بالاساليب المعتادة التى تعتمد على التفاوض مع المستعمر واستجدائه ٠ فلما يئست من جدوى هذه الاساليب استجابت أخيرا لصوت الشعب وأقدمت على خطوة جريئة باعلانها بطلان معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ وحملت لواء مقاطعة الانجليز ، والتف حولها الشعب ، واستجاب لدعوتها جميع الزعماء على اختلاف ألوانهم ونزعاتهم ٠٠ وكان اجماعا رائعا قلما تحقق مثله فى يوم من الايام ٠

ولكن مصريا واحدا خرج على هذا الاجماع ، وشذ عن الشعب الثائر على المستعمر ، وذهب يتقرب الى هذا المستعمر متحديا ارادة الشعب واجماع الامة ، ذلك هو ابراهيم عبد الهادى باشا الذى انتهز فرصة عيد الميلاد فى تلك السنة وأرسل الى السفير البريطانى برقية يهنئه فيها بالعيد ويبعث اليه بأحسن التمنيات ٠

ويبدو أن عبد الهادى أراد أن يمثل الدور الذى تضمنه المثل العربى الذى يقول « رمتنى بدائها وانسلت » فأوعز الى جريدة « أخبار اليوم » ان تنشر خبرا مؤداه أن النحاس باشا أبرق الى المستر تشرشل يهنئه ٠٠ فلم يكتف النحاس باشا بتكذيب هذا الخبر بل استطاع أن يحصل من الجهات المختصة على أصول البرقيات التى أرسلت الى الخارج فى خلال تلك الفترة واستخرج منها السر الدفين ، فقد نشرت جريدة « المصرى » فى ٣٠ ديسمبر ١٩٥١ ما يلى : أدعت « أخبار اليوم » أن النحاس باشا أرسل برقية يهنىء فيها تشرشل رئيس وزراء بريطانيا بمناسبة عيد الميلاد ــ ولكن النحاس باشا كذبها وقال ان الذى أرسل البرقية هو ابراهيم عبد الهادى وهذا نصها:

سير رونالد كامبل

أدمبره ــ موراى بليس

عيد سعيد وأحسن التمنيات بالعام الجديد

امضاء

ابراهيم عبد الهادى

العنوان ــ ابراهيم عبد الهادى باشا بالقاهرة المعادى

٥ ــ الخروج على اجماع الامة وتحدى شعورها :

فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقع حريق القاهرة ٠ وهو حدث تاريخى كبير سيأتى الحديث عنه فى حينه ان شاء الله ، ولكن حسب القارىء الآن أن يعلم

أن هذا الحريق قد قوض الجهود العظيمة التى كتلت الامة جمعاء خلف الحكومة ضد الانجليز ٠٠ والفاعل الحقيقى لهذا الحريق هم الانجليز ٠٠٠

وقد زاد هذا الحدث الخطير المصريين على اختلاف نزعاتهم حقدا على الانجليز ومقتا لهم حتى انهم قاطعوهم ورفضوا التعامل معهم ٠٠٠ ولا عجب فى ذلك فلا زالت دماء المصريين الذين قتلوا برصاص الجيش البريطانى تخضب شوارع الاسماعيلية ومدن القناة ٠٠٠ فانظر ماذا كان موقف ابراهيم عبد الهادى وسط هذه المقاطعة الاجماعية ؟ !

فى ٢٠-٢-١٩٥٢ تحت عنوان « شكر بريطانى لعبد الهادى باشا » نشرت جريدة « المصرى » صورة لعبد الهادى باشا وهو فى الكنيسة الانجليزية بالقاهرة وكتبت تحتها ما يلى :

« نشرنا منذ بضعة أيام نبأ مبادرة ابراهيم عبد الهادى باشا الى الاشتراك فى الصلاة على روح جلالة الملك جورج السادس ملك بريطانيا ٠ وأشرنا الى التعليقات التى أثارتها تلك المبادرة من جانب دولته فى الوقت الذى امتنع فيه عن الاشتراك فى اية مظاهرة قومية ، كما أدى الى ثورة أحد أعضاء الهيئة السعدية وتهديده بالاعتكاف ٠

وقد أعادت مجلة « الدعوة » التى يصدرها الاستاذ صالح عشماوى وفريق كبير من كبار الاخوان المسلمين نشر ما جاء « بالمصرى » أول أمس فى هذا الصدد ٠ وقد علقت عليه المجلة بقولها : « ليس هذا غريبا على ابراهيم عبد الهادى باشا ، ولكن الغريب أن يبقى هذا الرجل على رأس حزب ولو من الوجهة الرسمية ٠

ونضيف الى ذلك أن دولته قد تلقى من السفير البريطانى كتابا رقيقا يشكر فيه دولته على اشتراكه فى الصلاة » ٠

وفى ٢٥-٢-١٩٥٢ نشرت « المصرى » تحت عنوان « عبد الهادى باشا يستضيف الانجليز » ونشرت صورة له وكتبت ما يلى :

« عندما علم دولة ابراهيم عبد الهادى باشا بأن كثيرا من أصحاب المبانى فى القاهرة رفضوا تاجير محال أو غرف لمكتبة « سميث » التى احترق محلها يوم ٢٦ يناير ، وأن أصحاب المبانى بنوا رفضهم على أساس أن مكتبة « سميث » يملكها انجليز - عندما علم دولته بذلك بادر فاصدر أمرا باخلاء ثلاث غرف من الدور الثالث الذى تشغله جريدة « الاساس » - جريدة حزب السعديين - واستضاف المكتبة فى هذه الغرف ٠

وقد كان لهذا التصرف أعظم الاثر فى نفس الجالية الانجليزية فى مصر

•• وقد اتصل كثير من الانجليز بدولته وعبروا له عن عظيم امتنانهم لدولته لعواطفه نحوهم فى كل مناسبة •

هذا وقد اقترح بعض أفراد الجالية اقامة حفل تكريم لدولته ولكن رؤى أن الوقت غير مناسب لذلك » •

أما أنا فتعليقا على هذا أقول : صدق الله العظيم اذ يقول :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » •

ثانيا ـ بعد قيام الثورة :

مع عدم اقرارنا للمحاكمات العسكرية والمحاكمات الخاصة باعتبارها وسيلة من وسائل التقاضى ، فان النصوص التى نستشهد بها مما جرى على ألسنة رجال النيابة والشهود فيها هى نصوص من صميم الواقع التاريخى • لا علاقة لها باجراءات التقاضى •

وكل الذى فعلته الثورة ـ فى ابانها ـ هى أنها أزالت السلطة المتحكمة فى البلاد ، التى كانت تحمى اللصوص والخونة والسفاحين من رجال الحكم باعتبارهم من أدوات تحكمها ولا تسمح لسلطة القانون أن تمتد اليهم ـ وبازالتها وجد هؤلاء المجرمون من الحكام أنفسهم فجأة أمام سلطة المساءلة وجها لوجه •

وقد نجد أكثر التهم الموجهة الى حكام السعديين بعد قيام الثورة هى نفس التهم التى وجهها اليهم من قبل حكام الوفد ، ولكنهم وقفوا بها عند حد الاتهام دون أن يجرؤا على محاكمتهم عليها •• وحتى تلك التى جرؤا على محاكمتهم عليها ـ خوفا من ثورة الجيش ـ تدخلت القوة المسيطرة وقتئذ وعلى رأسها الملك فسلبت التحقيقات فاعليتها ـ كما أشرنا آنفا ـ حتى لم يعد الاتهام حين قدم الى القضاء يقوم على قوائم من القانون •

أما عند قيام الثورة فان الجو كان خاليا من العوائق ، فوجهت الاتهامات مدعومة باسانيدها ، وانطلقت ألسنة الشهود التى كان ملجمة من قبل بلجام من الخوف ، وأدلى كل انسان بما عنده •

واليك بعض الحقائق التاريخية التى تكشفت خلال هذه المحاكمة حيث كان ابراهيم عبد الهادى هو أول سياسى قدم للمحاكمة وحكم عليه بالاعدام ثم خفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة • وكانت محاكمته فى حقيقتها هى محاكمة عهد حزبه قبل ان تكون محاكمة شخصية له •• ولو أن سلفه النقراشى كان على قيد الحياة وقتئذ لقدم معه فى نفس المحاكمة :

١ ـ تضاعف ثروة عبد الهادى عشرة اضعاف :

جاء فى مرافعة النيابة أن ثروة ابراهيم عبد الهادى ـ مستقاة من المصادر الرسمية ـ تضاعفت احدى عشرة مرة فى ظل المناصب الحكومية التى تولاها ، فقد صارت ٩٩٠ (تسعمائة وتسعين) فدانا وثلاثين ألف جنيه وكانت فى الاصل تسعين فدانا ·

٢ ـ الزج بالجيش فى الحرب دون أدنى استعداد :

قرر الفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة فى أيام حرب فلسطين وأيده فى ذلك اللواء موسى لطفى مدير العمليات الحربية آنذاك « أن موقف القوات المصرية بالعريش لا يسمح لها بالدخول فى المعركة بالنسبة للنقص الكبير فى العربات ، ولان الموجود منها وان كان صالحا للسير الا انه غير صالح للقتال ـ والاسلحة والذخائر الموجود منها لا يكفى للبدء فى العمليات ويجب التأكد من وجود مورد ثابت مضمون لاستعاضة المستهلك منها ولتسليم الوحدات التى ستستدعى من الاحتياط للخدمة العاملة ·

وقرر اللواء احمد المواوى ـ القائد العام للجيش المصرى بفلسطين ـ حين سئل فى اللجنة التى جمعت الضباط يوم ١٠ـ٥ـ١٩٤٨ بصراحة تامة عما يفتقر اليه الجيش وما كان يعانيه من نقص فقال :

« لاتوجد وحدة ما فى الجيش كاملة المعدات والتسليح ، وأذكر أننى فتشت على الوحدات بمجرد وصولى للعريش وقدمت لرياسة الجيش كشوفا بالنقص وهى مريعة وتجعل الوحدات عاجزة تماما عن الدخول لاية معركة » ·

ويقول الفريق محمد حيدر فى التحقيق وفى لجنة الجيش « بينت للنقراشى الحالة ـ وعلى الرغم من أنى عارضته صمم على دخول الحرب · وكان فى ذلك تحقيق رغبة الملك بدليل حضور رئيس الديوان ، اى أن الامر كان من السراى ، وكان فاروق يريد تزعم الدول العربية ، وهو الذى دعا رؤساء هذه الدول الى انشاص ولم تعلم الحكومة بامر هذه الدعوة · **وأول من اشتهى دخول الحرب هو فاروق والمسئولون عن تحقيق هذه الشهوة اثنان هما رئيس الديوان ابراهيم عبد الهادى ورئيس الحكومة النقراشى** ·· ولو سمعا كلام اللجنة المختصة وعملا به لاقنعا فاروق بوجهة النظر الصحيحة ، ولما دخل الجيش الحرب ، ولكنهما عملا على تحقيق شهوته ـ كما أيد هذا اللواء احمد المواوى فى شهادته الموجودة بهذا الملف وكذلك اللواء موسى لطفى ·

ومما يجب ان لا ينسى أن اللواء موسى لطفى بعد أن قرر امام النقراشى

الامر الواقع للجيش قال له النقراشى « لا تتهيب » ثم قال له « أنتم تحت أوامرنا » ٠

٣ ـ تضليل البرلمان :

قرر شاهد النفى الدكتور نجيب اسكندر ـ عضو حزب السعديين واحد وزرائهم ـ أن رئيس الحكومة النقراشى لم يكن من رأيه دخول الحرب بعد ما رأى فى مؤتمر بلودان ٠٠ ومع ذلك أعلن فى جلسات مجلس الشيوخ والنواب يوم ١٢ مايو ١٩٤٨ ما جاء بالحرف الواحد فى المضبطة السرية لمجلس النواب يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ : « ان فى الجيش المصرى كفاية كاملة ، وأسلحة وافية ، وذخيرة متوفرة ، وان الذى يقدم على مثل هذا الامر يتخذ له عدته » ٠

٤ ـ اغفال المؤسسات المختصة :

قرر مجلس الجهاد الاعلى أن موضوع الدخول فى حرب فلسطين لم يعرض على المجلس ٠٠٠ كما قرر المحققون فى هذه القضية انه بالبحث عن قرار مجلس الوزراء فى شأن دخول هذه الحرب تبين أن مجلس الوزراء لم يصدر قرارا فى هذا الشأن ، ولم يرد ذكر لهذا الموضوع فى محاضر جلسات المجلس أى أن الامر تقرر شفويا ٠

٥ ـ نماذج من طريقتهم فى الحكم :

[أ] يؤلمه أن يسمع « ان واحد ماشى بالقانون » :

فى أثناء محاكمة ابراهيم عبد الهادى طلب شاهدى نفى هما الاستاذ حسين رأفت واللواء أحمد عبد الهادى ٠ وقد استدعى الاستاذ حسين رأفت وجرت شهادته على النحو التالى وكان السائل هو المدعى :

س ـ فى أى عهد كنت مديرا (محافظا) للدقهلية ؟

ج ـ نقلت اليها ومكثت مديرا لها ثلاث سنوات فى عهد النقراشى وعبد الهادى ٠

س ـ لماذا نقلت ومتى من الدقهلية ؟

ج ـ نقلت فى مايو ١٩٤٩ الى مدير عام اللوائح والرخص ، وانا حاولت معرفة السبب الحقيقى فلم أعرفه ٠ ولكن الظروف التى كنت فيها جايز تنير الطريق ـ حصل بينى وبين النواب والشيوخ فى الحزب السعدى سوء تفاهم ووصل لرئيس الحزب وكان رئيسا للحكومة وهو السيد ابراهيم عبد الهادى وكان سببه قرب موعد الانتخابات ، فكان لهم بعض طلبات كنت أؤخرها ،

فمثلا كانوا عاوزين نقل رؤساء المدارس الاولية والمدرسين في دائرة المديرية (المحافظة) ، فأنا قلت لهم فاضل ثلاثة أو أربعة أشهر • وفيه طلبات أخرى بالعمد والمشايخ وبعض الموظفين •• وكانوا بيقولوا احنا عاوزين نهيء أنفسنا ، وقلت لهم لسه بدري ولازم أعرف سبب كل شيء – وقمت باجازتي السنوية ، وبعدها طلبني رئيس الوزارة وقال لي انه طلب منه كشف بتعديل الدوائر فقلت له : لماذا عملت هذا التعديل قبل حضوري ؟ فقال : انت حر في تعديلها • وعلمت انه أرسل صورة منها لرئيس الديوان ، ويظهر أن ذلك كان بناء على طلب النواب والشيوخ •• فقلت له : ما دامت أرسلت لرئيس الديوان حراجع ايه ؟

والسبب الثاني في نقلي أن ابراهيم عبد الهادي كان بيطلب مني طلبات ما اقدرش أجيبها •• وأنا كنت أسمع انه بيقول اني عامل قانوني •• وكان بيؤلمه أن يسمع ان واحد ماشي بالقانون •• وهو اتصل بي مرة وقال: انت اعتقلت أد ايه من الاخوان ؟ فقلت له • سبعة • فقال : سبعة ولا سبعين •• انت منتظر لما ييجو يقتلوني ؟ •• وبعد كده قال لي : انت بتطبطب على المعتقلين وتوديهم المعتقل كده ؟

فقلت له : أمال أعمل ايه ؟ فقال : يا أخي اسأل اخوانك •

فقلت له : اسأل اخواني ليه •• أنا أتلقى أوامري منك بس تكون في حدود القانون •

فقال لي : يا اخي انت دايما تقول لي •• قانون قانون •• ؟! •••

س – هل نقلت وحدك أم في حركة ؟

ج – وحدي • وكان ذلك في عيد الجلوس •

س – وهل المركز الذي نقلت اليه كان يساوي مركزك ؟

ج – مركز المدير (المحافظ) أكبر من الناحية الادارية •

[ب] عبد الهادي يتصل مباشرة بالضابط السنباطي متجاهلا المحافظ :

كان سعد الدين السنباطي أحد الضباط العريقين في الاجرام في عهد ابراهيم عبد الهادي •• وجاء دوره في المحاكمة بعد قيام الثورة عما اقترفه من جرائم التعذيب •• وقد طلب هذا المتهم الاستاذ أحمد راغب الدكروري شاهد نفي ، فاستدعته المحكمة وجرت شهادته على النحو التالي :

س – متى كنت مديرا (محافظا) للغربية ؟

ج – في نوفمبر ١٩٤٧ الى سبتمبر ١٩٤٩ حيث نقلت الى الداخلية •

س ـ ما هى الوظيفة التى كان يشغلها سعد الدين السنباطى فى عام ١٩٤٩ ؟

ج ـ كان فى وظيفة رئيس القسم المخصوص بمديرية (محافظة) الغربية ٠

س ـ هل حصلت اعتقالات فى هذا العهد ؟

ج ـ أحب ان أوجه النظر الى أن السنباطى عندما نقلت للغربية كان من الموظفين الذين وثقت فيهم كل الثقة ، لانى لمست فيه الكفاية والاخلاص والجد والاجتهاد ، فقربته منى ٠ حتى ان كثيرا من اخوانه حقدوا عليه هذه المنزلة وحذرونى منه كثيرا ، وقالولى انه رجل خطر ٠٠ ولكنى حملت هذا على أنه حقد ٠٠ وظل على هذا وانا واثق فيه آلى أن قتل المرحوم النقراشى وظفر ابراهيم عبد الهادى بالحكم ٠ وصحب هذا كله موجة من الارهاب والطغيان أرسلها ابراهيم عبد الهادى فى القطر كله ٠٠ وليس هناك من يجهل هذه الموجة ٠٠ وكان الغرض من هذه الحملات الارهابية الانتقام من الاخوان المسلمين لقتل النقراشى ٠

فى هذا الوقت تغير السنباطى ومشى فى ركاب الطغيان والارهاب ، وخرج عن وفائه لى ، لانه كان أدنى الى ابراهيم عبد الهادى منه لى ، لانه صنيعته فى الاصل ٠٠ وكما علمت منه فيما بعد أنه من أخلص المخلصين له ، وأنه يضحى بنفسه وماله وأولاده فى سبيل ارضائه ٠

فكنت الس أن ابراهيم عبد الهادى كان يتصل مباشرة بسعد الدين السنباطى فى كل ما يتصل بالاخوان المسلمين والاعتقالات والحبس وغير ذلك ، ويتجاهلنى تماما ٠٠ وكلنا فى هذا الوقت كنا نرهب هذا العهد لا لشىء الا لانه كان عهدا لا عقل له ، ويجوز انه كان ينال من الابرياء ٠

فكان السنباطى ـ بصفته رئيس القسم المخصوص ، وبحكم اتصاله بابراهيم عبد الهادى ـ يتصرف كيفما يشاء ، ويعتقل كيفما يشاء ، ولا معقب لتصرفاته ، فكان يعتقل ويقبض كما يريد ، وما عليه الا ان يقدم مذكرة بمعلوماته ـ وفيها الكفاية ـ على أن هؤلاء الناس من اخطر الناس على الامن وكان يحصل بهذا على أوامر الاعتقال ٠

وقد لاحظت أن الحملة الارهابية كان يصاحبها دائما تفتيشات وضبط اسلحة ومهمات كثيرة مثل الاجهزة اللاسلكية ٠ فلما تكررت العملية بدأت انتشكك فى انها صحيحة ، ولكن تشككى لم يذهب الى حد اليقين ٠ وكنت غير مرتاح لهذا ٠٠ ولهذه اللحظة ما اقدرش اقول انى متيقن من أن هذه الاشياء كانت تضبط فعلا ام انها كانت للفتنة ٠

وفيما يختص باتصال سعد الدين انسنباطى بابراهيم عبـد الهادى واستسلام عبد الهادى لطلباته ٠٠ وكان سعد الدين صاغا (رائدا) فى ذلك الوقت ٠٠ فيه حادثة أقول لكم عليها :

سعد الدين فى موجة الارهاب أدعى أن هناك مؤامرة على قتله من الاخوان المسلمين ٠ ليه ؟ لانه داير يقبض عليهم ٠٠ بلغنى هذا ٠ واتخذ هو بنفسه اجراءات فيها فكان محقق ومجنى عليه ٠٠ فانا أشرت ان المسألة لازم تروح النيابة ٠٠ وبدأ التحقيق فيها رئيس النيابة ٠٠ ولان القضية فيها مؤامرة على قتل موظف كبير ، حبيت أشوف التحقيـق ماشى ازاى ٠ فـذهبت الى البندر ووجدت رئيس النيابة أمامه أحد المتهمين وكان يسأله عن نقطة معينة انكرها المتهم ٠ فرئيس النيابة قال له : ان زميلك اعترف بها ٠ فأجابه بأنه بمكن اعترف لانهم عذبوه كما عذبونى ٠ فأراد رئيس النيابة أن يسأله عن وقائع تعذيبه ٠ فهاج سعد الدين السنباطى وثار وترك التحقيق وانصرف قائـلا لرئيس النيابة : انت بتسيب التحقيـق الاصـلى وعاوز تحقـق فى التعـذيب ؟ ٠٠

أنا الحقيقة ذهلت ٠٠ ماذا أستطيع أن أفعله ؟٠ بعد ما سابنا ومشى حاولنا أن نعيده مارضيش الا بعد نصف ساعة محايله ٠٠ وأنا وجدت انى أحسن ما أقعدش فخرجت ورحت قعدت فى النادى ٠٠ ثم قابلت سعد الدين فقال لى : هذا ليس بتحقيق لان رئيس النيابة يترك الموضوع الاصلى ويحقق ضدنا فى التعذيب ٠٠٠ ومع ذلك هو مش رايح يحقق القضية ، أنا اتصلت بابراهيم عبد الهادى ووعدنى ان النائب العمومى سيصـل باكـر صـباحا لسحب التحقيق منه ٠٠

لم أستغرب ولكنى برضه استكترتها ٠٠ فقعدت أفكر وأنا زعلان منه لانه أسائنى ومس كرامتى وجت الحكاية دى ٠٠ ولو تم ما قاله سعد الدين تبقى هذه الجريمة – جريمة سحب التحقيق من رئيس النيابة – لانى أعتبرها جريمة – تقع على عاتق مين ؟ سعد الدين السنباطى ولا ابراهيم عبد الهادى ولا النائب العـام ؟

انتظرت للصبح فسمعت ان النائب العام وصل للاسف ٠٠ رحت أشوف النائب العام فوجدت النائب العام بنفسه ومعه ثلاثة من مفتشى النيابة – سلمت عليه ثم فهمت منه بأنه جاى يفتش فوجد أن رئيس النيابة مشغول بقضية كبيرة وفيه شغل تانى كتير ، وأنه راى من صالح العدالة انه يسحب التحقيق منه ويعطيه لمفتش النيابات ليتفرغ هو الى الشغل العادى ٠٠ وقد كان وبكل أسف وسحبت القضية من رئيس النيابة ٠

رئيس المحكمة ــ من هو النائب العام فى ذلك الوقت ؟

ج ــ الاستاذ محمود منصور ٠

بعد كده دلنى هذا على شيء هو أن فيه تعـذيب ٠٠ ولو لم يكن فيـه تعذيب ماكانش سعد الدين ثار واتصل برئيس الحكومة ، ولا كانش رئيس الحكومة يسـوغ له العبث بالعدالة ٠ لكن من المسئول ؟ ٠٠٠ هـذه مسـألة اتركها لـكم ٠

س ــ ألم يصل الى علمك ان رئيس الحكومة نكل برئيس النيابة وعطل ترقيته ؟

ج ــ سمعت فيما بعد من رئيس النيابة أنه كان مدرجا ضمن المرشحين للترقية ، ولـما عرض على ابراهيم عبد الهـادى شطبه وأخـر ترقيته ٠ وأنا قلت لرئيس النيابة ــ ولم يكن يعرف السبب الحقيقى ــ لا يا أستاذ حصل كذا وكذا وحكيت له حقيقة اللى حصل ٠

[ج] البوليس السياسى فى عهدهم :

وجاء دور اللواء أحمد عبد الهادى حكمدار القاهرة (مدير أمن القاهرة) فى عهد عبد الهادى لاداء الشهادة فسئل عن البوليس السياسى (وكان يسمى أيضا بالقسم المخصوص) فأجاب :

« ضباط البوليس السياسى لم يكونوا خاضعين للحكمدار ، وانهم يكتبون تقاريرهم من ثلاث صور : احداها ترسـل للسـفارة البريطانيـة والثانية للسراى والثالثة للوزارة » ٠

❊ ❊ ❊

وبعـــد

فهؤلاء هم الذين كانوا يحكمون البلاد فى تلك الايام ٠٠٠

ومن هؤلاء ٠٠٠٠٠ جاءت مذمتنا ٠٠٠

ورحم الله ابا الطيب اذ يقول :

واذا اتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى كامل ٠

الفصـــل الخامس

هذه القضية .. تطورها الاجرائي أمام القضاء

فى سجلات النيابة العامة والقضاء نقرا أطوار هذه القضية فى الخطوط الرئيسية التالية :

أولا ـ وقعت الجريمة فى الســاعة الثامنـــة والنصـفـه من مســاء يوم السبت المـوافق ١٢ فبراير ١٩٤٩ أمام مبـنى جمعيــة الشـبان المسلمين بالقاهرة ٠

ثانيا ـ أجريت تحريات وتحقيقات وقتئذ لم تسفر عن معرفة الجناة ، وانتهى الامر بحفظ التحقيق مؤقتا ، وكان ذلك فى عهد النائب العام محمـود منصور ٠

ثالثا ـ استأنفت النيابة التحقيق فى عهـد وزارة حســين سرى ثم فى عهد وزارة الوفد ، وأصدرت النيابة أمرا بحظر النشر عن هذا التحقيق فلم تسفر هذه التحقيقات عن الوصول الى الجناة ٠

رابعا ـ لما قامت الثـورة ، أمـرت القيادة بالقبـض على الاميرالاى (العميد) محمود عبد المجيد وكان مديرا (محافظا) لجرجا فى ذلك الوقت وذلك فى ٢٩ يوليو ١٩٥٢ ، كما أمرت بالقبض على المتهمين الآخرين ، وأودعوا السجن الحربى ، حيث تولى التحقيق معهم نائب الاحكام البكباشى (المقدم) ابراهيم سامى جاد الحق ٠

خامسا ـ احالة القضية الى غرفة الاتهام :

ثم أحيل التحقيق الى القضاء ، وندب الاستاذ حسن داود المستشار بمحكمة الاستئناف للقيام به ٠ وأحيلت القضية الى غرفة الاتهام برياسة الاستاذ مرسى فرحات رئيس محكمة الاستئناف وعضوية الاستاذين محمد على جمال الدين وعبد الرحمن جنينه ٠ ومثل النيابة الاستاذ فؤاد سرى ـ فقررت الغرفة الافراج عن اليوزباشى عبده ارمانيوس والبكباشى حسين كامل والامباشى حسن محمدين رضـوان والجـاويش محمـد سـعيد اسماعيـل والبكباشى محمد الجزار ـ واستمرار حبس الاومباشى احمد حسين جاد ومصطفى محمد ابو الليل غـريب والباشجـاويش محمـد محفـوظ السائـق والاميرالاى محمود عبد المجيد ٠ كما قررت احالة جميع المتهمين الى محكمة

الجنايات ـ وقررت أن لا محل لاقامة الدعوى على ابراهيم عبـد الهـادى وعبد الرحمن عمار ٠

سادسا ـ أول دائرة جنايات تنظر القضية :

ثم تولت دائرة الجنايات برياسة الدكتور كامل ثابت نظر القضية فى ١٠ نوفمبر ١٩٥٣ ، فبدأت بسماع شهود (الاثبات) فاستمعت الى الاستاذ محمد يوسف الليثى وهو الشاهد الرئيسى فى القضية ، وقد أوردنا نتفا من شهادته ٠

شهادة عبد الله خليل فواز : ـ

ثم استمعت الى شهادة عبد الله خليل فواز من أعيان جرجا ، وكان على صلة وثيقة بالمتهم الاميرالاى محمود عبد المجيد ـ وجاء فى شهادته : أنه حضر الى القاهرة فى شهر فبراير ١٩٤٩ لزيارة المعرض ، وفى يوم ١٢ فبراير دعا مدير الشرقية السابق ومعه محمود عبد المجيد للغداء فى مطعم ٠٠ وفى الساعة التاسعة مساء دخل عليهم محمد محفوظ سائق محمـود عبد المجيـد وتحدث معه حديثا خاصا نحو عشر دقائق ثم خرجا معا ٠

وفى اليوم التالى قابله محمود عبد المجيد وأخبره بمقتل الشيخ البنا فقال له : اننى سمعت هذه الاشاعة بعد ما تركتمونى أمس بربع ساعة ـ وقال: ان محمود عبد المجيد قال لى : ان البعض أعطى نمرة سيارتى على أنهم رأوها عند الحادث ٠٠ وحدثت مناقشة بيننا حاول خلالها أن يحملنى على أن أعترف بأن سيارته كانت تقف أمام اللوكاندة وقت الحادث ٠ الا انى نظرا لانى لم أرها قلت له : والله أنا لا أعرف حاجة ، ورفضت أن أشهد بذلك ٠٠ وطلب منى عدم السفر حتى أدلى بأقوالى التى يريدها ٠

وفى اليوم التالى قابلته بالوزارة وسألته عما تم فقال : مافيش داعى ٠٠ سافر أنت ٠٠٠

● اعتراف السائق محمد محفوظ بارتكاب الجريمة :

وبعد أسبوع رجعت الى القاهرة مرة أخرى وركبت سيارة محمود عبد المجيد مع السائق محمد محفـوظ ٠٠ واثنـاء الطريق طلب منى محفـوظ أن أتوسط لدى محمود عبد المجيد لترقيته فرفضت ٠٠٠ وفوجئت به يقول : ٣٠٠ جنيه ايه ٠٠ دى حاجة ليس لها قيمة ـ وانا كنت خالى الذهن من هذا الموضوع ٠٠ الا أنه لاعتقاده بصلتى بمحمود عبد المجيد ظن اننى اعرف كل شىء ، فبدأ يصارحنى واعترف بكل شىء وقال : أنا ركبته السيارة ومعى أرمانيوس ومحمدين واشخاص آخرون لا أذكـر أسماءهم ، وتوجهنـا الى

جمعية الشبان المسلمين ، ووقفنا فى مكان مقابل لها ، ونزل احمد حسين ـ المتهم الاول ـ ومعه شخص لا اذكر اسمه وراحوا الجمعية وارتكبوا حادث مقتل الشيخ البنا ، وعادوا وركبوا السيارة ·· والجماعة اللى كانوا معاهم كانوا حاميين ظهورهم ـ وبعد الحادث ركبوا معى وأمرونى بالاتجاه لوزارة الداخلية ··· وهناك غيروا ملابسهم ·· وعاد محمد محفوظ الى اللوكاندة حيث قابل الاميرالاى محمود عبد المجيـد ··· فانا دهشت وقلت له : هـذه مسائل خطيرة وتضرك كثيرا ·

● شهادة محمد حسنين عضو جمعية الشبان :

وسمعت الحكومة ايضا الشاهد محمد حسنين وجاء فى شهادته انه كان المتهم (واشار الى أحمد حسين جاد) يتردد كثيرا على الجمعية · كما انه شاهد المتهم محمدين يجلس القرفصاء على الرصيف أمام الدار ، وذلك قبل مصرع الشهيد بأيام ـ وقد أمرت المحكمة المتهمين بالوقوف فتعرف عليهما الشاهد واصر على اقواله ·

● حرم النقراشى تعطى القاتل بقشيشا :

ثم سمعت المحكمة الشاهد سعد الله مصطفى السيد من أهالى أبو دومه بسوهاج وجاء فى شهادته ما يلى :

كنت موجودا بسوهاج بعد الحادث بشهر · وقابلنى أحمد حسين جاد ـ واشار الى المتهم الاول ـ فعرض على قطعتين من الصوف لبيعهما ·· واحنا فى سياق الحديث سألناه عن مصدر الصوف فقال : « ده هديه من ناس كبار ·· من حرم النقراشى باشا ، لانى أخذت لها تار زوجها ·· ومحمود عبد المجيد وعبد الرحمن عمار أخذونا فى التهمة وقتلنا البنا ·· واخذونا عابدين » ثم أخذنى ابراهيم عبد الهادى لحرم النقراشى باشا فاعطتنى الهدية ، واعطونى بقشيش ٦٠٠ جنيه » ·

فقلت له : مادام صاحب القماش قتل أنا لا آخذه · وتركته ·

وسألته المحكمة : هل رايت شيئا آخر مع المتهم ؟

فقال : ورانى صورة النقراشى مكتوب عليها « هـدية لبطـل الصعيد وجرجا » وموقع عليها من حرم النقراشى باشا ·

ثم سمعت المحكمة الشاهد على محمـد يونس تاجـر وترزى بطما ·· شهد بان سعد الله مصطفى اخذه الى القهوة وحضر الخبر أحمد حسن ومعه القماش وصورة النقراشى ، وايد شهادة سعد الله ·

● **اعتراف السائق محمد محفوظ مرة أخرى :**

وسمعت المحكمة أيضا شهادة الباشجاويش محمد فرج على الوجه الآتى :

المحكمة : هل حدث حديث بينك وبين محمد محفوظ ؟

الشاهد ـ بعد الحادث بثلاثة أو أربعة أيام الاميرالاى محمود عبد المجيد كان عاوز يركب ويروح مجلس الوزراء فلم يجد سيارته ، فركب فى سيارتى الحكومية ووصلته وانتظرته هناك . وفى هذه اللحظة جه محمد محفوظ . وأنا قلت له ان الشيخ البنا قتلوه أول امبارح ومحدش عمل حاجه وان واحد سفرجى ضربه . فرد على وقال : الحكاية ماهيش كده .. أقول لك الحكاية وماتقولش لحد ؟ فحلفت له انى لا أقول ولكن لم يصدقنى الا بعد أن حلفت يمين الطلاق .

فقال لى : احنا كنا فى الحادث وضربناه احنا والعيال المخبرين اللى جايين من جرجا ، وكان ويانا سعادة محمود بك عبد المجيد وقت ما ضربوه . وقال لى : ان محمود عبد المجيد كان يلبس الجلابية ولافف تلفيعة على دماغه وقالوا عليه سفرجى وهو اللى ضرب أول طلقة ، وأحمد حسين هو اللى ضرب الطلقات الثانية .

وقلت له : **ازاى تعمل كده ؟ فقال : احنا نعمل ايه ؟ رغبة الحكومة كده والسراى راضية لان الاخوان قتلوا النقراشى .**

وقال كمان ان عبده أرمانيوس وحسين كامل والمخبر محمد السعيد كانوا موجودين معانا ، وكان محمد سعيد يلبس بدلة ، وكان واقف بالشارع وكانوا دول حارسين .

وقال الشاهد : ان هذه المعلومات لم أقلها الا فى القيادة بعد أن قامت حركة الجيش وعلمت أن محمد محفوظ جابوه من جرجا .

المحكمة ـ محمد محفوظ ماقالش لك انه أخذ فلوس ؟

الشاهد ـ بعد اعترافه لى بعشرين يوم تقابلنا بالوزارة . وأخذت أشتكى له الضيق وكثرة المصاريف ، فأخرج محفظة من جيبه وبها ثلاث ورقات ، ورقة بمائة جنيه والاثنين التانيين كل واحدة بمبلغ خمسين جنيه ـ فقلت له : ليه شايل المبالغ دى كلها ؟ قال لى : لو كان معايا فكة كنت أعطيتك اللى انت عاوزه .

كما سمعت المحكمة شهادة آخرين منهم الاستاذ مصطفى مرعى والاستاذ

محمد زكى على واللواء صالح حرب ومطلقته والاستاذ مصطفى الشوربجى ..
وقد عرضنا فى الفصول السابقة لبعض ما جاء فى شهادتهم .

سابعا ـ رد هيئة المحكمة التى تنظر القضية :

فى نهاية جلسة ١٩ـ١١ـ١٩٥٣ وفى أثناء اداء اللواء صالح حرب لشهادته طلب المتهم محمد محمد الجزار عقد الجلسة سرية لانه يريد أن يقول أشياء تتصل بالليثى والشاهد وزوجته لا يجوز ذكرها فى جلسة علنية . فأصر الشاهد على أن يقول الجزار ما يشاء علنا . ولكن محامى الجزار قال للمحكمة ان موكله عدل عن طلبه ... فاذا برئيس المحكمة يقول للمحامى : هل رجعت الى موكلك فى شأن العدول عن السرية ؟

وهنا ثار الاستاذ عبد القادر عوده من المحامين المطالبين بالحق المدنى وقال :

ان المطالبين بالحق المدنى يرون فى تصرف رئيس المحكمة فى قوله للمحامى عن الجزار : هل رجعت الى موكلك بعد أن قرر العدول عن الجلسة السرية وموكله بجانبه ، يرون فى ذلك نوعا من التحيز ، لا سيما وقد سمح رئيس المحكمة للدفاع بمناقشة الشهود قبل المطالبين بالحق المدنى ، مع أن القانون يجعل للمطالبين بالحق المدنى الاولوية فى توجيه الاسئلة الى الشهود ـ وقال : ان رئيس المحكمة تربطه بابراهيم عبد الهادى روابط معينة ، كما أننى حين كنت قاضيا كنت لا أشعر فى ثقة من ناحيته وأشعر بحرج .. وأساس القضاء ليس هو العدالة ولكن الثقة فى نفوس المتقاضين ـ وطلب تنحيه .

وقررت المحكمة ـ بعد المداولة ـ احالة الاستاذ عبد القادر عوده لقاضى التحقيق على أن يتخذ هو من جانبه اجراءات الرد .

واستغرقت اجراءات رد المحكمة زمنا طويلا ، فقد عرض طلب الرد أولا على دائرة برياسة محكمة الاستئناف ، فطلب الاستاذ عبد القادر رد هذه الهيئة . فعرض بعد ذلك على هيئة برياسة اكبر مستشارى محكمة الاستئناف سنا فرفضت طلب الرد .

فاستأنفه الاستاذ عبد القادر القرار أمام محكمة النقض ـ الدائرة المدنية ـ ثم الدائرة الجنائية فقررت كلتاهما عدم الاختصاص .

فظل قرار رفض طلب الرد قائما .. وحينئذ تنحت هيئة المحكمة من تلقاء نفسها عن نظر القضية .

ثامنا ـ هيئة جنايات أخرى تعيد نظر القضية :

انعقدت الجمعية العمومية للمستشارين وعهدت الى دائرة الاستاذ محمود عبد الرازق وعضوية الاستاذين محمد شفيع الصيرفى ومحمد متولى عتلم بنظر القضية ، ومثل النيابة الإستاذ على نور الدين . وبدأت أولى جلساتها يوم ١٦ـ٤ـ١٩٥٤ .

وحضر عن المدعين بالحق المدنى الاساتذة عبد القادر عوده ومحمد عزمى وعبد الكريم منصور والدكتور عبد الله رشوان وعلى طمان وأحمد كامل . وطلبوا ٣٠ الف جنيه لزوجة الشيخ البنا وأولاده . ٣٠ ألف جنيه للاستاذ عبد الكريم منصور . كما طلب والدا المجنى عليه قرشا صاغا من المتهمين والحكومة .

وحضر عن الحكومة الاستاذ احمد محمد اغا المستشار بقسم قضايا الحكومة وطلب رفض الدعوى المدنية وبراءة المتهمين وتألفت هيئة الدفاع عن المتهمين من الاساتذة فريد أبو شادى وأحمد الحضرى وشوكت التونى ومحمد على رشدى وعبد الجليل العمرى وسيد مصطفى وحماده الناحل وعبد الحميد رستم وحسن ادريس وعبده أبو شقة وعبد المجيد الشرقاوى والظاهر حسن ومختار قطب .

تاسعا : شهود جدد استمعت اليهم الهيئة الجديدة :

● **موظف بالداخلية يقرر أن المخبرين جاءوا من جرجا لمهمة سرية :**

بعد أن استمعت المحكمة الى الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم أمام الهيئة السابقة ، أخذت فى الاستماع الى شهود آخرين لم يكونوا قد أدلوا بعد بشهاداتهم .. ومنهم الاستاذ زكى عبد التواب الموظف بوزارة الداخلية وعضو جمعية الشبان المسلمين . وجاء فى شهادته ما يلى :

قال : انه كان فى جمعية الشبان المسلمين لانه سكرتير القسم الاجتماعى بها فسمع فرقعة ، ونظر من نافذة الدور الثانى فرأى رجلا شكله شاذ يلبس جلابية وعلى رأسه تلفيحة كان واقفا عند محطة الترام .. وشهد بأنه رأى غلاما أسمر يقول انه أخذ نمرة السيارة . ثم قال : وكان واحد اسمه محمد عثمان عندنا فى الجمعية نادانى قائلا : يا زكى يا زكى .. فرحت وقال لى : ان الولد ده معاه نمرة السيارة . فسألت الولد فذكر لى النمرة وواحد من الواقفين كتبها ومش متذكره .. وبعدين الولد ركب على رفرف العربية وراح معاهم الاسعاف .. وأنا قلت للعسكرى هناك : بقى ترتكب امامكم جريمة ولا تمسكوش الجانى واحنا نمسكه .. روح يا شيخ ما هو انتو اللى قتلتوه

••• ورحت أنا ومحمد مصطفى ومجموعة كبيرة الاسعاف وماوجدناش الشيخ البنا لانه كان راح القصر العينى •

وفى اليوم التالى رحت الوزارة – وزارة الداخلية – وسمعت مخبرين بيقولوا ما حدش ارتكب الحادث ده الا المخبرين دول • وانا تذكرت شكل الشخص اللى شفته عند التراماواى • ولما شفتهم فى الوزارة عرفتهم وسألت عنهم فقيل لى انهم من جرجا والمدير جايبهم علشان مهمة سرية • فقلت لازم هم اللى عملوا الحادث ، فنزلت علشان اتأكد من الشخص اللى شفته فلم أجدهم لانهم كانوا مشيوا • وربطت بين الحوادث دى كلها • وبعد كده بدا محمد محفوظ يتكلم مع مخبرى الوزارة •

وفيه واحد اسمه فهمى مصطفى سأل المخبر أحمد حسين قائلا : هو الشيخ البنا فين النهارده ؟ فقال له : انت بتسألنى ليه •• هو انت بتجسس على ؟ •• والمخبرين اللى فى الادارة قالوا ان محمد محفوظ بيقول لهم : احنا رحنا واستنتهم بالعربية وارتكبنا الحادث ، وأنا بيتهالى كل ما أروح الحتة دى أشوف شبح الشيخ البنا •

الرئيس – مين اللى قال كده من المخبرين ؟

الشاهد – واحد اسمه محمدين •• ومرة حصل ان محمد محفوظ كان مدين لفهمى هذا فى خمسة قروش صاغ فطلع له محفوظ ورقة بمائة جنيه •

ومضى الشاهد يقول انه حذر الليثى أكثر من مرة نظرا لاهتمامه بالحادث وقال له : يجب أن تكون حذرا لان هؤلاء الناس خطرين وان المجهودات التى يقوم بها ستضيع هباء •

الرئيس – وده اذن اللى خلاك امتنعت عن الشهادة ؟

الشاهد – ايوه •• أنا شخصيا كنت خايف ، وعارف ان السعديين خطرين ، وهم حاولوا نقل خمسة مخبرين مرة واحدة وظهر على شان كانوا بيتكلموا كتير فى الموضوع – ومرة طلب منى الليثى أن أتقدم للشهادة فقلت له : مش ممكن لانه مافيش ضمان للواحد • وأنا كان ضميرى يؤنبنى لانى عايز اقول الحاجة اللى شفتها فكتبت جواب من غير امضاء وبعته لليثى وذكرت فيه المعلومات اللى أعرفها •

الرئيس – واشمعنى بتبعته لليثى ؟

الشاهد – انا خفت ارسله للنيابة يخطفوه فبعته لليثى لانه متحمس

الرئيس – من هو الشخص الذى اشتبهت فى وقوفه أمام محطة الترام ؟

الشاهد ـ (أشار الى أحمد حسين) وقال : هو ده ٨٠ ٪ هو ده ٠ وبعدين شفته فى الداخلية مع المخبرين الثلاثة ٠

الرئيس ـ ما شفتش حد غيره من المخبرين اللى شفتهم فى الداخلية بعد الحادث عند باب الجمعية ؟

الشاهد ـ أيوه شفت وهم دول (وأشار الى محمد اسماعيل وحسين محمدين) ٠

الرئيس ـ هل بينك وبين الاميرالاى محمود عبد المجيد حزازات ؟

الشاهد ابدا ٠٠ أبدا وأنا احترمه ٠

الرئيس ـ لما سمعت انهم جابوا مخبرين من جرجا ماعرفتش مين جايبهم ؟

الشاهد ـ اللى سمعته ان عبد الرحمن عمار هو صاحب الفكرة والموعز باحضارهم لانه كان مدير جرجا وعارفهم من زمان ٠

الرئيس ـ عرفت منين كده ؟

الشاهد ـ من الوزارة ٠٠ كان الموظفين بيتكلموا وقالوا ان عبد الرحمن عمار خايف على نفسه بعد حل الجمعية ٠

الرئيس ـ ايه اللى خلاك فاكر نمرة السيارة ؟

الشاهد ـ لانه رقم سهل جدا ٩٩٧٩ ٠

● **شاهد آخر سمع اعتراف محمد محفوظ :**

ثم سمعت المحكمة محمد حسن ندا صاحب محل حلوى قال :

أنا فى محلى فوجدت عربية الاميرالاى محمود عبد المجيد وقفت أمام بيت أحمد سليم جابر اللى جنب المحل ، ونزل الاميرالاى عبد المجيد وفضل السواق محمد محفوظ والمخبرين ثلاثة لا أعرفهم ٠ ومحمد محفوظ دخل جوه المحل عندى فقلت له : انتم جايين منين كده ؟ فقال : جايين من حاجة جامده ٠٠اجنا قتلنا الشيخ حسن البنا ٠ فقلت له : ازاى ؟ فحكى لى عن الدور وانهم ضربوه بالمسدس وانكسر الزجاج والسواق لتزمى على الارض ، وواحد فتح الباب من اليمين والتانى فتح الباب من الشمال ـ وكان الكلام ده يوم الحادث الساعة تسعة تسعة ونصف تقريبا ٠

الرئيس ـ هل كان محمد محفوظ يتردد عليك قبل كده ، وشفت المخبرين قبل كده ؟

الشاهد ـ انا شفت محمد محفوظ كتير قبل كده ، لكن المخبرين ما شفتهومش ٠

الرئيس ـ ما شفتش حد يتردد على بيت سليم جابر غير محمود عبد المجيد ؟

الشاهد ـ كان بيجيله على حسنين المتهم فى قضية عبد القادر طه ٠

● **ومن شهادة الصول محمد البهى شرف :**

وهو موظف بادارة المباحث الجنائية يقول :

فى خلال شهر يناير ١٩٤٩ وجدت الثلاثة المخبرين دول فى بوفيه الوزارة تحت ، وكنت لاحظت أنهم بيترددوا على الصاغ حسين كامل فسألتهم أنتم مين ؟ فقالوا : احنا مخبرين وجايين نشتغل فى الوزارة هنا ٠ فدخلت أبحث عن أوراق عن كيفية نقلهم فلم أجد ، فسألت الصاغ حسين كامل عنهم فقال : أيوه ٠٠ ثم عاد وطلب منى أن أنتظر حتى يسأل الاميرالاى محمود عبد المجيد ثم دخل لمحمود عبد المجيد وخرج بعد شوية وقال لى : دول جايين فى مأمورية خاصة ومالكش دعوة بيهم ٠

الرئيس ـ ألم تثبت اسم أحد من المخبرين دول فى الدفاتر ؟

الشاهد ـ أظن أثبت اسم أحمد حسين جاد فى الوقت اللى سألت فيه الصاغ حسين كامل وما أثبتش الباقى علشان الامر اللى صدر لى ٠

● **جاكتة الصول للسائق محمد محفوظ :**

وجاء فى شهادة القائمقام طه زغلول أن السائق محمدى الحركى أطلعه على جاكتة صول فصلها محمد محفوظ مقدما ، حيث وعدوه بالترقية مكافأة له ٠ فأخذه طه زغلول فأوصله الى القيادة بالسجن الحربى وسلم الجاكتة للقيادة ٠

فطلبت المحكمة احضار السائق محمدى الحركى فى الحال فأحضر وبسؤاله قرر ما قاله طه زغلول ٠ فلما ووجه بمحمد محفوظ وحاول محفوظ على الانكار ، قال محمدى للمحكمة : اذا اصر على الانكار فسأذكر اسم الترزى الذى فصلها ٠٠ وقد اعتبرت المحكمة موضوع الجاكتة هذا من أهم نقط القضية ٠

عاشرا ـ من مرافعة النيابة فى القضية :

بدأت النيابة مرافعتها بالسطور التالية :

« الجريمة المقدمة اليوم تعد من اخطر الجرائم التى نكبت بها البلاد فى العهد الاخير ٠ وتتمثل خطورتها فى ناحيتين : أولا ـ انها جريمة اغتيال رجل من اكبر رجال الدين فى العصر الحديث هو المغفور له الشيخ حسن البنا

المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين ـ وثانيا ـ انها جريمة فتل دبرتها واشرفت عليها ونفذتها الدولة فى سبيل القضاء على فكرة معينة أو دعوة معينة كان ينادى بها الفقيد ، وكانت تلقى التأييد من عدد من المواطنين ٠

وكانت الدولة ترى فى هذه الدعوة ما يهدد كيانها ، فأرادت أن تقضى عليها بالتخلص من صاحبها ، وذلك باغتياله ٠٠ وهكذا سخرت الدولة قوتها وسلطاتها فى ارتكاب جريمة قتل رجل أعزل مجرد من القوة والحماية ، لا لشىء الا للرغبة فى ارضاء الحاكمين الذين رأوا أن بقاء هذا الرجل الاعزل يهدد نظام دولتهم وحكمهم ، فدبرت هذه الجريمة بوساطة رجال الامن المفروض فيهم المحافظة على أرواح المواطنين وحمايتهم ٠

وهكذا عادت بنا هذه الحكومة الى عصور البربرية الاولى ، حين كانت شريعة الغاب هى القانون الوحيد وحيث كان السيف هو اللغة الوحيدة لمناقشة رأى معارض أو فكرة لا تروق الحاكم ـ كيف لا وقد أهدرت هذه الحكومة كل القوانين السماوية والوضعية ، ونسيت وظيفتها الاولى فى حماية الناس وتمكينهم من التعبير عن آرائهم وأفكارهم » ٠

الحادى عشر ـ نص الحكم الذى أصدرته المحكمة :

بدأت هذه الدائرة فى نظر القضية يوم ١٦ من ابريل ١٩٥٤ ، وانتهت من نظرها يوم ٧ يوليو ١٩٥٤ ، وتقررت تأجيل النطق بالحكم الى جلسة ٢ من أغسطس ١٩٥٤ ٠

وبلغ عدد الجلسات التى عقدتها المحكمة ٣٤ جلسة سمعت خلالها ٣٣ شاهدا ٠ وبلغ عدد صفحات محاضر الجلسات ١١٠٠ ألف ومائة صفحة عدا أوراق القضية وتبلغ نحو أربعة آلاف صفحة ٠

وقد عقدت الجلسة يوم ٢ من أغسطس وأصدرت الاحكام التالية :

حكمت المحكمة حضوريا :

أولا ـ بمعاقبة أحمد حسين جاد بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وكل من الباشجاويش محمد محفوظ والاميرالاى محمود عبد المجيد بالاشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة ، وبالزامهم بطريق التضامن والتكافل مع الحكومة المسئولة عن الحقوق المدنية :

أ ـ بان يدفعوا عشرة آلاف جنيه على سبيل التعويض للسيدة لطيفة حسين الصولى زوجة المرحوم الشيخ حسن البنا واولاده القصر منها وفاء

وأحمد سيف الاسلام وثناء ورجاء وهالة واستشهاد الشموليين بولاية جدهم الشيخ احمد عبد الرحمن البنا .

ب ـ وبأن يدفعوا للشيخ احمد عبد الرحمن البنا والسيدة أم السعد ابراهيم صقر والدى القتيل مبلغ قرش صاغ واحـد على سبيل التعـويض المؤقت .

ج ـ وبان يدفعوا للاستاذ عبد الكريم محمد أحمد منصور مبلغ الفى جنيه على سبيل التعويض .

وألزمت المتهمين المذكورين بالمصروفات المدنية وثلاثين جنيها مقابـل أتعاب المحاماة للفريقين الاول والثانى المدعين بالحق المدنى و ٢٠ جنيها للثالث .

ثانيا ـ بمعاقبة البكباشى محمد محمد الجزار بالحبس مع الشغل لمدة سنة ، ورفض الدعاوى المدنية قبله .

ثالثا ـ ببراءة كل من : مصـطفى محمـد أبو الليل واليوزباشى عبده أرمانيـوس والبكباشى حسين كامـل والجاويش محمـد سعيد اسماعيـل والاومباشى حسين محمدين رضوان مما أسند اليهم مع رفض الدعوى المدنية الموجهة لهم .

رابعا ـ وقدرت المحكمة ٢٠ جنيها لكل من المحـامين المنتـدبين وهم الاساتذة احمد الحصرى وحماده الناحل وعبد الحميـد رستم وعبـد الفتاح لطفى تصرف لهم من الخزانة العامة .

* * *

وكانت المحـكمة خـلال هذه الجلسـة فى حـراسـة شديدة . وحضر المراسلون لوكالات الانباء والصحفيون وقد ازدحمت قاعة الجلسة بعدد كبير من رجال القانون والضباط وأقارب المتهمين والسيدات . ومنع الدخول الا بتذاكر ـ وسأل الصحفيون رئيس المحكمة عن حيثيات الحكم فقال انها قد تم انجازها وهى تقع فى نـحو خمسمائة صفحة .

وقد امرت النيابة بالقبض على البكباشى محمد الجزار المحكوم عليه بسنة حيث قضى منها فى السجن ثلاثة اشهر فقط .

* * *

وهكذا كان من حق القارىء علينا ان يكون على تصور كامل واضـح

امالم المحاكمة واجراءاتها الرسمية التى انعقدت جلساتها فى خلال عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ فى قاعة الجنايات بمحكمة القاهرة ، وما دار خلالها وما أسفرت عنه من نصوص الاحكام ٠٠٠ فهذا بلا شك جزء لا غنى عن الالمام به لمن يريد أن يلقى على القضية نظرة شاملة ٠

والواقع أن هذه المحاكمة وما جرى فيها وما أسفرت عنه لم تكن فى حقيقة أمرها الا مجرد مؤشر ذى دلالة ناطقة أشار بأسلوب رمزى الى الجناة الحقيقيين من بعيد ٠٠ وأومأ من طرف خفى بنداء صامت الى أصحاب الحق أن استرداد حقوقهم من غاصبيها هو أمر فوق طاقة القضاء ٠

ذلك أن القضية ليست نزعا بين أفراد ، بل هى صراع بين أمم ، ونضال مرير بين مبادىء وأفكار ، وأن هذا الخلاف متأصل فى النفوس ، واصل الى أعماقها ، وأن الزمن وحده هو الذى يقضى فيه ٠٠ وهو نزاع قديم متجدد ٠٠ انه الصراع بين الحق والباطل ٠٠ هو الصراع الذى بدأت آخر حلقاته برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ٠٠ ولا زالت الحرب منذ ذلك الحين قائمة على قدم وساق ، وان تشكلت فى كل مرحلة من مراحلها بشكل معين ، وتزيت بزى مختلف ٠

ولعل هذا هو ما نحا بنا فى معالجة هذه القضية هذا النحو الذى جعلنا نوغل فيما أحاط بها من مؤامرات عالمية ، ومؤشرات سياسية بعيدة الغور ، حللنا فى خلالها كثيرا من مواقف الاشخاص والاحزاب والحكومات والدول ٠

وقد يرى القارىء فيما وقع بعد ذلك من أحداث جسام أن الحكم الحقيقى فى هذه القضية لم يصدر بعد ٠ لان الزمن حين يصدر حكمه لا يصدره داخل جدران محكمة ، ولكن يصدره فى ميادين تراق فيها الدماء ، وترخص فيها النفوس ، وتزهق فيها الارواح ، وتقوض فيها العروش ، وتدال فيها الدول ، ويتغير معها وجه الدنيا ٠٠ وسيظل الصراع قائما هكذا حتى يتمخض آخر الامر عن انتصار الافكار التى اغتيل حسن البنا من أجلها فتحتل مكانها فى القلوب والعقول ، وتكون هى الفيصل بين الناس فى جميع شئون حياتهم ، بعد أن يثبت لهم زيف أفكار المتآمرين وافلاس أساليبهم « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ٠ انهم لهم المنصورون ٠ وان جندنا لهم الغالبون » ٠ « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » ٠

الباب الثانى

محاولات أخيرة للإجهاز على الجريح

- قانون الجمعيات
- المحاكمات
- معالم فى هذه القضايا
- البوليس السياسى والتعذيب

الفصـــل الاول

قانون الجمعيات

مقـــدمة

اعتقد الاخوان ، واعتقد أكثر الناس بأن معاناتهم ومعاناة الاخوان قد آن لها أن تنتهى بعد أن عملوا بكل جهودهم على اسقاط السعديين وتم ذلك بنجاح « الوفد » فى الانتخابات ، وتقديمه ليتسلم زمام الحكم غير منازع ، بالاغلبية الساحقة التى أولوه اياها ، وهى أغلبية تكاد تكون اجماعا .. لاسيما وأن حصـوله على هـذه الاغلبية قد جاءه على يأس ، وكانت قد سدت أمامه السبل .

ولم يأل المسئولون فى الوفد جهـدا فى قطع العهـود على أنفسهم وعلى حكومتهم المستقبلة أن لا يبقوا من عهد السعديين على أثر ، وأن يردوا الى الشعب والى الاخوان المسلمين كل ما سـلب من حقوقهم ، وأن يعوضـوهم عمـا أصابهم .

وكان الجميع يعرفون أن الورقة الرابحة الوحيدة التى لعب بها الوفد فى هذه الانتخابات ضد خصومه انما هى ورقة الاخوان المسلمين ، وهى التى جعلته يكتسح اكتساحا ، وجعلت مرشحى خصومه يتوارون من الناس خجلا، وجعلتهم سخرية للناخبين .

وتسلم الوفد بكل جدارة أزمة الحـكم . واخـذ النـاس يتطلعون أن توافيهم الاذاعة وتطالعهم الصحف فى صـبيحة اليوم التالى بالنبأ المرتقب الذى ترتقبه كل نفس فى البلاد وهو الغاء الاحكام العرفية بكل ما نجم عنها وما ترتب عليها ... ولكن طال أمد الانتظار ، ومـرت الايام تتبـاعا دون أن يتحقق للناس ما يأملون ..

فكثر القيل والقال ، واستبد بالناس القلق . واخذوا يتساءلون فيما بينهم ، ويوجهون الاسئلة المشوبة بالغضب الى ممثليهم فى مجلس النواب.. ووجد سكرتير الوفد ووزير الداخلية الاستاذ فؤاد سراج الدين ان لابد من اجابة على هذه الاسئلة الملحة ، فصرح سيادته فى ١٨ يناير ١٩٥٠ بالتصريح التالى :

« ان الوزارة قبل ان تقدم على رفع الاحكام العرفية ستنتظر حتى تسن

قوانين لحماية البلاد ولحماية الامن ، ومن ضمنها تشريع خاص بالجمعيات ينظمها ويجعلها لا تحيد عن الطريق الذى أنشئت من أجله ، ومن بينها الجمعيات التى تنشأ لاغراض دينية بحتة » ٠

تصريح فاجأ الناس ودهمهم وصدمهم وخيب آمالهم ، وزعزع ثقتهم فى هذا الحزب لنقضه عهوده أثناء الانتخابات ٠

وهذا التصريح المخيب للآمال يضطرنا الى أن نرجع بالقارىء قليلا الى الوراء ٠٠ الى عهد السعديين لنفتش عن أواصر القربى التى ربطت بين حزب الوفد وبينهم ، والتى تدلنا على أنهما ـ وان اختلفا فى المظهر فانهما يستقيان من معين آسن واحد ٠

قدمنا من قبل أن ابراهيم عبد الهادى حين آذنت الدورة الاخيرة لبرلمانه بانتهاء ، واستقر فى علمه أنه مهما طال الزمن وهو على راس الوزارة فلابد أنه مواجه يوما من الايام ترفع فيه الاحكام العرفية ٠٠ ولما كانت الاجراءات الشاذة المعلنة على الاخوان المسلمين مرتبطة بوجود هذه الاحكام ـ لانها مستمدة منها ـ فلابد لتأييد هذه الاجراءات من تشريع يسن بالطريق « الديمقراطى » يتضمن كل هذه الاجراءات والقيود ٠٠ ومثل هذا التشريع « الديمقراطى » يتطلب أن تضع الحكومة مشروع هذا القانون ، وتضمنه ما تشاء من قيود وشروط ، ثم تعرضه على مجلس النواب فمجلس الشيوخ ٠٠ فاذا وافقا عليه وقعه الملك وصار قانونا نافذ المفعول يلتزم به الشعب وتحكم به المحاكم ٠

ولما كان التشريع لا يكون تشريعا حتى تكون له صفة العموم ، فلا يجوز أن يسن تشريع لفئة خاصة من الشعب أو لطائفة معينة منه ، فكان لابد من البحث عن صيغة يكون المقصود منها تقييد نشاط الاخوان المسلمين ووضع العقبات فى طريقهم وتأخذ فى نفس الوقت صفة العموم ٠٠٠ وكان أن تمخض تفكير مستشاريه القانونيين عن سن تشريع للجمعيات عامة ٠

وطلب عبد الهادى من حكومته وضع المشروع ٠ فوضعته فى الاطار الذى يرونه ويستوفى كل ما انطوت عليه جوانحه من ظلام وحقد ٠٠ واحيل المشروع الى مجلس النواب ، الذى أحاله بدوره ـ كالمعتاد ـ الى هيئة تضم لجنتى الشئون الداخلية والشئون الاجتماعية والعمل ٠٠ وكانت هذه الهيئة تفهم أن مهمتها تقتصر على تبرير ما تضمنه المشروع من أحكام جائرة ، واستحداث مواد جديدة تضيفها الى المشروع تزيده جورا وظلما وخروجا على العرف والدستور والقانون ٠٠ وان سمت ذلك تأكيدا للحريات وحفاظا على الدستور ٠

ولم يتعجل عبد الهادى برلمانه فى نظر المشروع واقراره ــ ولو شاء لتم له ذلك فى يوم وليلة ــ بل تمهل ــ كما قلنا من قبــل ــ لانه كان واثقــا من ان خمس سنوات طوالا هى فى انتظاره ليقضيها على رأس الحكومــة القادمــة ببرلــانه الجديد •

واتمت هذه الهيئة البرلمانية تقريرها عن هذا المشروع فى النصف الاول من شهر يوليو ١٩٤٩ ، وتوطئة لعرضه على مجلس النواب فمجلس الشيوخ ••وقد رأينا أن نطلع القارىء على ملخص لهذا التقرير حتى يرى بنفسه ماكان بعده هذا العهد البغيض للاخوان المسلمين خاصة وللشعب عامة من اغــلال تشل يديه ورجليه ، وتكمم انفاسه ، وتقتل انسانيته ، وتلغى شخصيته :

مشروع قانون الجمعيات
فى عهد عبد الهادى وتعديلات لجنة النواب عليه

« انتهت الهيئة المكونة من لجنــة الشئون الداخلية ولجنــة الشئون الاجتماعية والعمل فى مجلس النواب من نظر القانون الخاص بالجمعيات ، وادخلت عليه بعض التعديلات • وفيما يلى نص تقرير اللجنة :

دعا منطق الحــوادث الى وجــوب تلافى النقص فى التشريــع لتنظيم الجمعيات • فلا يظل أمر تكوينها فوضى ، تنــدس فيهــا العناصر الخطرة فتنحرف بها عن الطريق السوى ، وتطوح بهــا الى هوة الجــريمة السحيقة فتقوض أركان الامن والنظام • فالتحرز فى أمر تكوينها ، والتأكد من أنها أمينة على الغرض الذى قامت من أجله أمر لا جدال فيه ، لتأمن الجرائم التى تدبر فى الخفاء ، والتى لو تركت لاستشرى خطرها ، وهزت كيان الامة هزا ، فتعوقها من اللحاق بركب التقدم والازدهار الذى أخذت نفسها به •

وهذا التشريع انما هو استكمال حق مقرر بمقتضى الدستور ، والذى مؤداه : « أن للمصريين حق تكوين الجمعيات • وكيفية استعمــال هــذا الحق يبينها القانون » •

لم يتعرض هــذا المشروع للجمعيات الا بالقــدر الــلازم لوقاية الامن والنظام ، لذا نراه لا يتعرض للجمعيات التى ترمى للربح المــادى لاعضائها ، ولا للجمعيات والمؤسسات المنظمة بقوانين أخــرى ، ولا للهيئات المركــزية للاحزاب السياسية الحالية لوضوح أغراض تلك الاحزاب ، ولقيامها منذ فجر الحركة الوطنية ــ وان كان يجدر وضع تشريع خاص بها اسوة بما هو متبع فى اكثر البلاد الاجنبية ، لما لها من أكبر الاثر فى حياة البلاد البرلــانية والاجتماعية •

● **استصدار اذن :**

وقد نص على اشتراط استصدار اذن فى حالة انضمام الموظفين والطلبة للجمعيات يكون من رئيس المصلحة بالنسبة للاولين ومن دور التعليم بالنسبة للآخرين ، حتى لا يكون التحاق الموظف بجمعية مدعاة لاضرار أهونها عدم قيامه بعمله على خير وجه ، وللطالب انصرافه عن الدرس والتحصيل ، فتنضب ثروة الامة المرتقبة من جهود شبابها المدخر الذين ينعقد عليهم مستقبلها ومجدها ٠

● **مقر ثابت :**

وقد فرض المشروع على الجمعيات اخطار المحافظة أو المديرية عند انشائها وموافاتها بالبيانات التى يهم السلطات العلم بها ، فاذا لم تعترض المحافظة أو المديرية فى المدة المقررة كان للجمعية الحق أن تباشر عملها ٠ كما نص على ان يكون لتلك الجمعية مقر ثابت توجد فيه جميع أوراقها ، وأن تنشىء سجلات تدون فيها جميع قراراتها وكل ما يتعلق بنشاطها لتكون واضحة الغرض ، بينة المرمى ، وليسهل على رجال الامن أمر الاشراف على تلك الاغراض ووسائل تحقيقها ٠

● **قرار الحل :**

والجمعية التى لا تلتزم أحكام هذا المشروع ، أو التى ترتكب مخالفة جسيمة ، أو تحيد عن هدفها ، تستهدف لقرار الحل من مجلس الوزراء ٠ كذلك اذا قامت الجمعية بتدوين بيانات غير مطابقة للحقيقة فى الابلاغ أو الاخطار ، أو اذا قامت بما يخالف الآداب والنظام العام ، أو تعدت أغراضها الاساسية ٠ ولا يعفى هذا من تطبيق العقوبات الاشد المنصوص عليها فى القوانين الاخرى ٠

وقد رأت الهيئة فى المادة (٣) اشراك رئيس الجمعية فى المسئولية عن الاحكام المنوه عنها فى المادة الثالثة امعانا فى الحيطة والحذر ، فقد لا يكون الرئيس من الداعين الى تأسيس الجمعية أو المؤسسين لها أو عضوا فى مجلس ادارتها فيفلت من المسئولية المقررة فى تلك المادة ٠

كما أضافت الهيئة فقرة أخيرة الى المادة (١٤) هذا نصها :

« اذا كان مرتكب هذه الجرائم كلها أو بعضها من الداعين لتأسيس الجمعية أو المؤسسين لها أو رئيسا لها أو عضوا فى مجلس ادارتها حسب الاحوال ، وجب أن لا تقل عقوبة الحبس عن ستة اشهر والغرامة عن مائة

جنيه ،وذلك بفرض حد أدنى لعضوية من يرتكب جريمة من الجرائم المشار اليها فى تلك المـادة ، اذ أن مسئوليتهم فى الواقع اشد ، وجريرتهم أنكى من باقى الاعضاء ، فلا إقل من أن ينص على اخذهم بالشـدة لضمان حـد أدنى لعقوبتهم فيكونون عبرة لغيرهم » ٠

ولنفس السبب المتقدم أضافت الهيئة فقرة أخيرة للمادة (١٥) هى :

« فاذا كان مرتكب الجريمة من المنصوص عليهم فى الفقرة الاخيرة من المادة السابقة وجب أن لا تقل عقوبة الحبس عن شهر والغرامة عن عشـرين جنيها » ٠

● **رجال الضبط :**

ورأت اللجنة بشأن المـادة (١٦) الاكتفاء برجال الضبط القضائى فى انقيام باثبات الجرائم التى ترتكب مخالفة لاحكام هذا القانون تمشيا مـع نصوص مشروع قانون الاجراءات الجنائية ٠

● **القضـاء العـادى :**

ولاحظت اللجنة انه قد يرد على الخاطر لاول وهلة أن تقدير ركن العمد ى تلك الجرائم وحق الحل كان يحسن اخضاعه للقضـاء العادى أو الادارى تحقيقا للعدالة ، وتوكيدا للطمأنينة ، ودفعا لمظنتى الشطط والاضطهاد ، ولكن هذا الحق المعطى لمجلس الوزراء روعى فيه اتصاله بسياسة البلاد ومصيرها فوق اتصاله بأمنها ونظامها ٠ فهو اذن مقرر لعلاج أمر يستدعى سرعة البت وقوة الحزم ٠٠ وهذا الحق لا يتأتى الا لمجلس الوزراء المنـوط به مصـالح البلاد العليا ، ولا شك أنه فى حكمه على تلك الامور سيكون مستهدفا الصالح العام وحده ٠

● **قطـع السبيل :**

وقد رأى التشريع قطع السبيل على الجمعيات التى يصدر قرار بحلها من ان تعود بصورة من الصور ، وتحرز فى ذلك بشتى الوسائل ٠ كما اعطى مهلة شهرين للجمعيات التى يسرى عليها احكام هذا المشـروع ومن انضم مـن الموظفين والطلبة الى جمعية من الجمعيات لمـراعاة تلك الاحكـام ، واستيفاء البيانات والاجراءات التى أوجبها ٠

وفى هذا المشروع دعم للامن ، فينتشر علم الصفاء على ربوع الوادى ، وتتضافر جهود الجمعيات لاقامة بناء مجده شامخا عزيز الجانب » ٠

هذا ما اعـده عبد الهادى لتقييد الحـريات

فما الذى فعله الوفد ؟

كان هذا هو تقرير الهيئة البرلمانية فى عهد السعديين عن مشروع قانون الجمعيات الذى قدمه عبد الهـادى الى مجلس نوابه ٠٠ وكان مفروضـا أن يعرض على المجلس الذى كان سيسارع بكل قوة الى اقراره ٠٠ ولكن ارادة الله وقضاءه الذى لا يرد داهم عبد الهادى فجأة فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٤٩ بما لم يكن يحتسب ، فاقصى عن الحكم هو وجهازه الحـكومى ، وهـو فى أوج سلطانه ، وعنفوان تمكنه « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شـديد » ٠

وجاءت وزارة انتقالية برياسة حسين سرى كانت مهمتها تجميد أعمال برلمان عبد الهادى حتى أصدرت مرسوما فى ٥ نوفمبر بحله وحددت ٢ يناير ١٩٥٠ لاجراء انتخابات جديدة ، وأجريت الانتخابات التى تمخضت عـن فوز حزب الوفد الفوز المكتسح الذى أشرنا اليه ٠

وجاءت وزارة الوفد ٠٠ فانظر ماذا فعلت ، وماذا اتخذت من موقف ٠٠ موقف مثير للالم ، ازاء هذا الموضـوع الخطـير الذى كاد النـاس يتهمـون أسماعهم وأبصارهم حين رأوا تصرفات هذه الحـكومة وسمعوا تصريحات المسئولين فيها ٠٠ ونحاول ان شاء الله فى السطور التالية احاطة القـارىء علما بهذه التصريـحات :

أولا : تصريح مذهـل :

أصدرت الوزارة بلسان وزير داخليتها وسكرتير حزب الوفد التصريح الذى أشرنا اليه من قبل والذى صدم مشاعر الناس وأذهلهم ٠

ثانيا : الوفد يحمى ظهر عبد الهادى ويتحدى الشعب :

فى ٢٠ فبراير ١٩٥٠ تقدمت حكومة الوفد الى مجلس النواب بمشروع قانون لالغاء الاحكام العرفية ، وكانت المادة الثانية منه تنص على :

« عدم سماع أى دعوى أو طلب أو دفـع يكون الغـرض منه الطعن فى تصرفات الحاكم أو السلطة القائمة على اجراء الاحكام العرفية » ٠

ومعنى هـذا النص أن تهـدر حقوق جميـع الذين أضيروا وعـذبوا واضطهدوا وشردوا واعتدى عليهم وعلى ابنائهم وزوجاتهم واهليهم ، فلا يكون لواحد من هؤلاء الحق فى مقاضاة هذا الحاكم الظالم المعتدى حيث يحميه هذا النص ، ويجعله فى حصانة من أن يطلب للمثول امام القضاء ٠

ولسنا ندرى ما هى مصلحة حزب الوفد فى حماية اجرام السعديين وتحصينهم ضد القضاء وضد من أضيروا من هذا الشعب الذى بوأهم مناصب الحكومة ليستردوا له حقوقه التى اغتصبها السعديون وداسوها بالنعال ؟

ولقد كان تضمين الحكومة مشروع القانون هذا النص صدمة للنواب الوفديين أنفسهم ، حتى ان أكثر من نائب منهم طالب بالغاء هذه المادة • ولكن سراج الدين أصر عليها • فلما رأى الضغط شديدا من جانب النواب اقترح ابدالها بنص آخر تضمن نفس المعنى بل انه كان أشد ابرازا للمعنى المرذول وهو :

« أنه لا تسمع شكوى الشاكين أمام الجهة القضائية ضد أى عمل تولته السلطة القائمة على اجراء الاحكام العرفية أو مندوبوها عملا بالسلطة المخولة لهم بمقتضى نظام الاحكام العرفية وفى حدود تلك الاحكام » •

وتكلم عدة نواب فعارضوا ذلك ، حتى ان العضو الدكتور محمد مندور ـ رحمه الله ـ استحلفه النواب أن يؤيدوه فى اعطاء الحق فى مقاضاة الحاكم العسكرى وعماله اذا ثبت أنهم أساءوا استعمال السلطة التى خولت لهم •

ولكن مصيبتنا فى مصر هى أن مجالسنا النيابية التى كان مفروضا ـ كدأب البرلمانات ـ أن تكون رقيبة على الحكومة ، لا يعرف أعضاؤها مهمة لهم ألا الولاء للحكومة ، والخضوع لها ، والتزلف اليها ، وخدمة أغراضها ، والتفانى فى ارضائها مهما تعارض ارضاؤها مع مصلحة البلاد ومع حريات الشعب •• ولذا فقد نسى اعضاء هذا المجلس تعهداتهم لاهل دوائرهم الانتخابية ، ونسوا حق بلادهم ، واعرضوا عن استحلاف زميلهم لهم ، وانطلقوا مؤيدين سيدهم وزير الداخلية •

● **الوفد يستبقى الامر العسكرى بحل الاخوان :**

اما المادة الثامنة من مشروع قانون الغاء الاحكام العرفية ، فانها تستبقى او تنص على استبقا عدد من الاوامر العسكرية منها الامر العسكرى بحل الاخوان المسلمين ••

وقد نوقشت هذه المادة طويلا فى مجلس النواب ، نظرا لما فيها من تحد ظاهر لمشاعر الناخبين ، ومن حرج بالتالى لنواب هذا المجلس ••وطالب كثير من أعضاء المجلس بالغاء هذا الامر بالذات مباشرة ومن الآن•ولكن سراج الدين وزير الداخلية وعبد الفتاح الطويل وزير العدل قررا ان هذا الامر العسكرى سيستمر حتى يصدر قانون الجمعيات ـ ومما قاله سراج الدين :

« لقد كانت هذه الجماعة على صلة طيبة بنا ، ولكنا لا ندرى من الذى زج بها فى ميدان السياسة ؟ » ٠

ثم طلب سراج الدين اقفال باب المناقشة فى هذا الموضوع ٠ فصدع المجلس بالامر ٠

ولما نظر مشروع قانون الغاء الاحكام العرفية أمام اللجنة التشريعية بمجلس الشيوخ عدلت المادة الثامنة على الوجه التالى . « استبقاء الامر العسكرى بحل الاخوان المسلمين لمدة سنة ، أو حتى يتم سن قانون الجمعيات أيهما تقدم ٠ فاذا لم يصدر قانون الجمعيات فى خلال هذه السنة ألغى الامر العسكرى تلقائيا » ٠

ثالثا ـ حادث تافه ولكن ذو دلالة :

فى ٢٩ـ٣ـ١٩٥٠ وقع حادث هو فى ذاته تافه الا أن له دلالات كبيرة ، ذلك انه أمام مسجد المنيرة بالقاهرة ـ وهو مسجد كان يؤمه كثير من الاخوان فى صلاة الجمعة ـ فبعد صلاة الجمعة فى ذلك اليوم وزعت شارات الاخوان٠٠٠ وقد قامت الحكومة لهذا الحادث التافه كانه جريمة نكراء ، وأمرت الحكومة باجراء تحقيق ، واعتبرت هذا التصرف مقصودا به احراج حكومة الوفد مع الاخوان ٠٠ ولا ندرى ما وجه الاحراج فى هذا مع حكومة تعهدت من قبل أنها سترد للاخوان جميع حقوقهم حين تلى مناصب الحكم ؟ !

رابعا : الاخوان يبدون استياءهم من مشروع القانون :

حين وجد الاخوان أن الحكومة مصممة على سن قانون للجمعيات طلبوا اليها فى ١٦ـ٤ـ١٩٥٠ أن تتمهل فى اصداره ، وتعرضه أولا على الهيئات والجمعيات لابداء ملاحظاتها عليه قبل عرضه على مجلس الوزراء والبرلمان ٠ وختم الاخوان مذكرتهم التى تقدموا بها الى الحكومة بقولهم :

« وكيفما كان الامر فلن يتزحزح الاخوان عن أداء رسالتهم الكبرى كأصحاب دعوة تعمل لخير الوطن والاسلام ،» ٠

لم تستجب الحكومة لاقتراح الاخوان ، فتصدى أحد جهابذة القانون لمناقشة هذا المشروع على صفحات الجرائد فنشرت « الاهرام » مقالا ضافيا للاستاذ محمد حسن العشماوى باشا ، وهو وزير معارف سابق ومن كبار رجال القانون فى مصر ، وكان عنوان المقال « حول تشريع الجمعيات » اثبت فيه أن القانون المزمع اصداره يتنافى مع الدستور ، وان التشريع المصرى فى وضعه الحالى كفيل بضمان الامن والنظام وعدم الانحراف عن النشاط المشروع ، وانه كفل بذلك الحرية كما كفل الجزاء على سوء استعمالها ٠

وبعد نشر هذا المقال بيومين نشر « الاهرام » الكلمة التاليه :
تلقينا كلمة من الاستاذين أحمد حسن انباقورى وكيل جمعية الاخوان المسلمين ومحمد طاهر الخشاب المحامى وعضو مكتب الارشاد بالجمعية جاء فيها مايلى :

« اذا كنا لا نملك حق الحديث عن الاخوان المسلمين لان رئيس اية هيئة هو الذى يملك الحديث عنها ، لكن هناك أمورا تدخل فى لب التفصيلات والخطط الجزئية ، وهى أشبه بالمبادىء العامة ، ويجوز لكل منتم الى تلك الهيئة أن يتناولها بالحديث ٠ ومن هذا الجانب نستطيع أن نقول : ان عودة الاخوان المسلمين حق لهم وليس منحة من أحد الناس ٠ والأخوان المسلمون موجودون فعلا ، وهم يؤدون رسالتهم الخالصة فى حدود ما يعتقدون أن فيه مصلحة لوطنهم — أداء كاملا لا ينقص منه عدم الاعتراف بهم من الناحية الرسمية ٠

أما قانون الجمعيات الذى تزمع الحكومة — كما قال معالى وزير الداخلية — اصداره فقد قال أحد كبار رجال القانون قوله فيه ٠ ولعل الحكومة تنصف نفسها فتعيد الى الاخوان حقهم المسلوب كاملا » ٠

خامسا : تواطؤ الاحزاب التقليدية :

كان هناك اتفاق بل تواطؤ بين جميع الاحزاب التقليدية بما فيها الحزب الوطنى على اصدار هذا التشريع القاتل للحريات ٠ فتصدت حكومة الوفد — ناكثة عهودها — لمهمة اصداره ، ووقفت الاحزاب الاخرى موقف الشيطان الاخرس لا تتكلم ولا تعترض بل تؤيد من صميم قلبها كل خطوة تخطوها الحكومة ٠ ٠ ٠

● اللجنة العليا للحزب الوطنى تشجب المشروع :

ولم يبق بعد ذلك الا القلة القليلة من الاحرار من الشباب الذى يمثله حزب مصر الفتاة والمجموعة التى يرأسها فتحى رضوان وتضم محمد زهير جرانه ومصطفى المنزلاوى والدكتور نور الدين طراف والتى اعتبرها الحزب الوطنى شاغبة عليه واصدر هذا الحزب فى ٢٩ يناير ١٩٥٠ قرارا بفصلها ، فأعلنت عن نفسها أنها « اللجنة العليا للحزب الوطنى » وانها صاحبة الحق فى الكلام باسم الحزب الوطنى ٠٠٠ وقد أصدرت هذه اللجنة بمناسبة تصميم الحكومة على اصدار هذا التشريع بيانا فى ٨-٢-١٩٥٠ جاء فيه :

« ولذلك ترى اللجنة أن التشريع الذى تنوى الحكومة اصداره لتحويل الامر العسكرى الرقيم ٦٣ من اجراء اقتضته ضرورات النزاع القائم بين الحكومة السابقة وجماعة الاخوان المسلمين الى قانون دائم ، هو تشريع مخالف لروح الدستور ، وان الاحكام العرفية تعتبر باقية طالما أن هذا القانون لم يلغ ، لان المصريين لم يحسوا بوطأة الحكم العرفى فيما يخص

حملة فلسطين ، وانما احسوا بوطاته فى حملة الحكومة ضد الاخوان المسلمين وانصارهم ومن أخذ بشبهة الاتصال بهم أو معاونتهم ٠

ولا يفوت اللجنة ان تشير الى ان التشريع المزمع اصداره قد نص على منح وزير الداخلية حق مراقبة الاشخاص الذن كانوا معتقلين فى ظل الاحكام العرفية الملغاة ، وان من حق هؤلاء أن يعارضوا فى قرار المراقبة أمام لجنة مكونة من رئيس محكمة ورئيس نيابة ومندوب عن قسم الرأى فى مجلس الدولة ٠

واللجنة ـ اللجنة العليا للحزب الوطنى ـ ترى أن مراقبة السياسيين هى ابتكار جديد تسبق به الدولة المصرية جميع الدول ٠ ولعل ذلك مما يصمنا فى وقت تعلو فيه الصيحة للحرية فى كل مكان ٠ وترى اللجنة أن الحكومة قد أخطأها التوفيق حتى فى اختيار الهيئة التى يعارض امامها هؤلاء التعساء الذين اعتقلوا لشبهات وظنون ، والذين يراد استمرار تعذيبهم لنفس هذه الشبهات والظنون ، فقد كان ممكنا ان يلجأوا بشكاياتهم وظلاماتهم للمحاكم العادية على اختلاف درجاتها ٠٠ فالحد من حقهم القانونى وخلق محاكم مصرية خصوصية يعيد الى الذهن ذكريات الاحتلال البريطانى القديمة ، التى لا نظن أن الحكومة تود احياءها ٠

لقد عاهدنا أنفسنا أن نخلص النصح للحكومة فى هوادة ورفق ٠ وها نحن أولاء نناشدها مناشدة المواطن لاخيه أن تعدل عن اصدار هذا التشريع ، لتلتئم جروح الماضى ، ولتسدل على مآسيه وآلامه ستارا كثيفا ، عسانا نستطيع ان نقف فى وجه ما تدبره لنا الايام من مخاطر صفا واحدا ، ملء قلوبنا الثقة بالوطن ، وبرحمة وعدل ابنائه » ٠

هذه هى مذكرة اللجنة العليا للحزب الوطنى ٠٠ أما موقف مصر الفتاة فلعل سطورا تالية ان شاء الله تجليه ٠

سادسا : مجلس الوزراء يصر ويقر مشروع القانون :

لم تعر الحكومة اقتراح الاخوان ولا نصيحة الناصحين اهتماما ٠ وفوجىء الشعب باقرار مجلس الوزراء لمشروع القانون واحالته الى مجلس النواب ٠٠ وقبل أن نعرض لما قوبل به هذا المشروع من مختلف الجهات ، نرى أن نقتطف منه البنود الهامة حتى يوازن بين هذا المشروع وبين مشروع السعديين ، وربما خرج القارىء من الموازنة بالنتيجة الاولى ، وهى أن المشروعين مشروع واحد ، كانت ستتقدمه يد أثيمة ملطخة بالدماء والعار ، وارتضت لنفسها أن تنوب عنها فى تقديمه يد كنا نعتقد أنها تربأ بنفسها ان

تنوب عنها فى تقديمه يد كنا نعتقد أنها تربأ بنفسها أن ترضى بذلك ٠٠ واليك أهم بنود هذا المشروع ثم نتبعها بالمذكرة الايضاحية له :

من مواد مشروع قانون الجمعيات لحكومة الوفد

المادة الاولى ـ يسرى هـذا القانون على الجمعيات التى تسـعى الى تحقيق أغراض اجتماعية أو دينية أو علمية أو أدبية اذا كان عدد اعضائها يزيد على عشرين شخصا طبيعيا ٠

المادة الثالثة ـ لا يجوز أن يشترك فى تاسيس الجمعية او ينضم الى عضويتها :

(أ) المحكوم عليهم بعقوبة جنائية (ب)المشتبه فيهم (ج)القصر ٠

المادة الخامسة ـ يجوز للمحافظ بقرار مسبب أن يعـارض فى انشـاء الجمعية أو فروعها خلال الثلاثين يوما التالية لوصول اخطارها الى المحافظة٠

المادة السادسة ـ يجب على من يناط بهم ادارة الجمعية ان يخطـروا المحافظ خلال ثلاثين يوما بكل تعديل فى النظام وبالقرار الذى يصـدر بحـل الجمعية وأسبابه ـ وفى حالة عدم توفر حكم من أحكام هذا القانون يجـوز للمحافظ أن يعارض فى التعديل بقرار مسبب خـلال ثلاثين يوما من تاريـخ الاخطار ٠

المادة السابعة ـ على الجمعية ان تحتفظ فى مركزها بالوثائق والاوراق والسجلات الخاصة بها والصور الفوتوغرافية للاعضاء وبمعلومات كاملة عن كل عضو ، وتدون محاضرها وحساباتها فى دفاتر مفصلة ٠

المادة الثامنة ـ يحظر على غير اعضاء الجمعية المقيـدة أسماؤهم فى سجلاتها ان يشتركوا فى ادارتها او فى مداولات الجمعية العمومية ٠

المادة التاسعة ـ لا يجوز للجمعية ان تجاوز فى نشـاطها الغرض الذى انشئت من أجله ٠

المادة العاشرة ـ يحظر على الجمعية ان يكون لها تشـكيلات عسكرية او شبه عسـكرية ٠

المادة الحادية عشرة ـ مع عدم الاخلال بأحكام المـادة ٦٦ من القانون المدنى يجوز لوزير الداخلية عند مخالفة أحكام المواد ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ان يطلب حل الجمعية أو فروعها او ابطال الاجراء المخالف ٠ ويقدم الطلب الى المحكمة الابتدائية التابع لها مركز الجمعية أو الفرع ويكون الحكم الصـادر منها نهائيا ٠

المادة الثالثة عشرة ـ عقوبات بالحبس والغرامة ٦ شهور ومائة جنيه لمن يخالف هذا القانون ٠

المادة السادسة عشرة ـ يكون لرجال الضبط القضائى فى سبيل اثبات الجرائم التى تقع بالمخالفة لاحكام هذا القانون أو القرارات المنفذة له حق الاطلاع على دفاتر الجمعية وحساباتها وأوراقها ٠

المذكرة الايضاحية للمشروع

نصت المادة ٢١ من الدستور على أن للمصريين حق تكوين الجمعيات وأن كيفية استعمال هذا الحق يبينها القانون ٠ وبناء على هذا النص فان حق المصريين فى تكوين الجمعيات أصبح مقررا فى الدستور بحيث لا يجوز المساس به ٠ وانما تكون مهمة المشرع مقصورة على تنظيم استعمال هذا الحق ومراقبة السلطة التنفيذية لاستعماله ، ضمانا لعدم تجاوز الجمعيات فى نشاطها الحد المشروع ٠

ثم قالت المذكرة : انه يبدو أن القانون المدنى بما تضمنه من أحكام خاصة بالجمعيات فى المواد من ٥٤ الى ٦٨ وفى المادة ٧٩ قد سد فراغا فى هذه الناحية ، وانما الواقع أن هذا القانون لم يعن وما كان له أن يعنى بأكثر من تنظيم الجمعيات عموما من الناحية المدنية وحقوق الاعضاء قبلها ، وكيفية التصرف فى أموالها عند حلها ، وتقييد حق ملكيتها فى العقارات ، وتمتعها بالشخصية الاعتبارية بمجرد انشائها وشهرها ، وما يترتب على عدم الشهر ، وجواز ابطال القرارات التى تصدرها بالمخالفة للقانون أو لنظام الجمعية ، والجهة التى تصدر حكمها بابطال هذه القرارات ، وكذلك جواز ابطال التصرفات التى يقوم بها مديرو الجمعية متجاوزين حدود اختصاصاتهم ٠

وليس فى هذه الاحكام أى غناء عن اصدار تشريع آخر بتنظيم هذه الجمعيات من حيث خضوعها لمراقبة السلطة التنفيذيه ، ضمانا لعدم خروجها فى نشاطها عن الحد المشروع ، والاتيان بما ينطوى على اخلال بالنظام العام أو الامن العام أو الآداب العامة مما يدخل فى نطاق القانون العام ٠

وتحقيقا لهذه الغاية قامت الحكومة بما وعدت به البرلمان فى دور انعقاده السابق بوضع مشروع القانون المرافق ، وضمنته أحكاما تسرى على الجمعيات التى تنظم بقوانين خاصة ٠ ويجرى العمل بمقتضاه جنبا الى جنب مع تلك القوانين الخاصة ٠

وختمت المذكرة بالقول انه من المفهوم ان احكام القانون المدنى فى شأن

الجمعيات تسرى على الجمعيات المنظمة بهذا المشروع باعتبارها احكام القانون العام فى هذا الشأن . ولتاكيد ذلك المعنى بوضوح رؤى النص فى المادة (١٧) على أنه (فيما عدا الاحكام الخاصة الواردة فى هذا القانون تسرى على الجمعيات المنصوص عليها فيه أحكام القانون المدنى) .

ومن المفهوم كذلك ان هذا المشروع لا يسرى على الجمعيات السياسية أو بعبارة أخرى الاحزاب السياسية وذلك لان هذه الاحزاب لها من الاهمية والخواص ما يجعلها محلا لتنظيم خاص بتشريع يصدر مستقبلا فى المستقبل اذا رؤى لزوم ذلك ـ وهذا فضلا عن أن المصريين يمارسون حقوقهم السياسية التى خولها لهم الدستور فى حدود القوانين القائمة ، وحسبنا أن نذكر انهم يشتركون بمالهم من تشكيلات سياسية فى حكم البلاد ، وفى توجيه سياستها عن طريق الاشتراك فى الانتخابات العامة وفى البرلمان .

سابعا : قانون الجمعيات أمام لجنتى الشئون التشريعية والداخلية بمجلس النواب

فى ١٧ـ٤ـ١٩٥٠ عرضت الحكومة مشروع هذا القانون على مجلس النواب فاحيل الى لجنتى الشئون التشريعية والداخلية .. وطلبت الحكومة مناقشته فى اليوم التالى .. فعارض بعض النواب فى هذا التعجل الذى لا داعى له .

وفى يوم ١٨ منه بدأت اللجنة فى مناقشته . وكان المفروض أن لا تستغرق مناقشة مواد القانون السبع عشرة وقتا طويلا ، غير أن المعارضة التى قوبل بها القانون من فريق من الاعضاء أدت الى أن تستغرق مناقشته سبع ساعات كاملة .. وقد عقدت اللجنة اجتماعين احدهما فى الصباح والآخر فى المساء .

● الحكومة تهدد أعضاء اللجنتين :

ولما كانت المعارضة من الشدة حتى انها دفعت ممثل الحكومة عبد الفتاح حسن بك وكيل وزارة الداخلية البرلمانى الى التهديد بان الحكومة ستضطر الى سحب مشروع القانون فى حالة رفض اللجنة له ، وتستعيض عن ذلك بحل الجمعيات بقرارات من مجلس الوزراء .

● معارضة فى المبدأ :

وقد حمل لواء المعارضة ثلاثة من أعضاء اللجنة هم الاساتذة فريد زعلوك وعوض الجندى بك ومحمود كمال ابو النصر . فقد أعلنوا فى بدء الاجتماع

أنهم يرفضون فكرة القانون من مبدئها ولا يقرونه على الاطلاق لانه يتنافى والحريات العامة · والدليل على ذلك ان القانون المدنى حدد طرق انشاء الجمعيات المختلفة وكيفية التصرف فى مواردها المالية ، كما أن قانون العقوبات نظم طرق المعاقبة على ارتكاب الجرائم ·· فلا محل اذن لاستصدار تشريع جديد خاص بالجمعيات والتخوف من انشائها · وطلبوا من اللجنة أن تقرهم على طلبهم الخاص برفض نظر هذا القانون ·· غير أن بقية الاعضاء لم يوافقوا على هذا الرأى ·

● **شروط العضوية :**

واخذت اللجنة فى مناقشة مواد القانون مادة مادة · وتوقفت طويلا عند المادة الثالثة الخاصة بشروط العضوية · واستغرقت المناقشة فيها أكثر من ساعتين كاملتين ، اذ طلب الاستاذ عوض الجندى استثناء المحكوم عليهم فى جرائم الرأى من عدم جواز اشتراكهم فى الجمعيات · غير أن الحكومة رفضت الاخذ بهذا الرأى ، وقالت ان عقوبة جريمة الرأى لا تعتبر جناية ، أما العقوبات المشددة التى تنزل بالجرائم التى يرتكبها الهدامون كالشيوعيين وأمثالهم فلا يجوز التغاضى عنها والسماح لمن صدرت ضدهم أحكام لمثل هذه الاسباب بالاشتراك فى الجمعيات ·

● **القصر وعدم جواز اشتراكهم :**

وعارض الاستاذ فريد زعلوك فى حرمان القصر والمشتبه فيهم من الاشتراك فى الجمعيات · غير أن الحكومة خالفت هذا الرأى · وأشار ممثلها الى أن المجال متسع أمام القصر للاشتراك فى الجمعيات المدرسية وما يشابهها · وأخيرا وافقت أغلبية اللجنة على هذه المادة دون تعديل ·

● **حكم الحل غير نهائى :**

وتمت الموافقة بعد ذلك على بقية المواد دون ادخال اى تعديل عليها ما عدا المادة الحادية عشرة التى كانت تنص على أن يكون حكم المحكمة الخاص بحل الجمعيات نافذا ونهائيا ، اذ رأت اللجنة تعديلها فنصت على أن يكون الحكم الذى تصدره المحكمة على اى جمعية حكما غير نهائى وقابلا للاستئناف ·

● **حق الالتجاء لمجلس الدولة :**

وقررت اللجنة أيضا اضافة مادة جديدة بعد المادة السادسة نص فيها على أن اعتراض المحافظ أو المدير على انشاء الجمعية ، وكذلك اعتراضه على كل تعديل فى نظامها يمكن التظلم منه أمام مجلس الدولة ·

● الاحـزاب السياسية :

هذا وقد اعترض الاستاذ فؤاد زعلوك على عبارة وردت فى نهاية المذكرة الايضاحية للقانون يفهم منها أن الاحـزاب السياسية ستكون محـل تنظيم خاص بتشريع سصيدر مستقبلا فى المستقبل اذا رؤى لزوم ذلك ، وطلب حذف هذه الفقرة من المذكرة فوافقت الحكومة وأقرت اللجنة على ذلك ٠

● تسجيل راى الاقلية :

هذا وستقوم اللجنة بوضع تقرير برأيها فى مشروع القانون اليوم فى الصباح ليعرض فى الجلسة الخاصة التى سيعقدها مجلس النواب فى مســاء اليوم لهذا الغرض ٠

وقد اختارت اللجنة الاستاذ محمود فهمى جندية بك مقررا لرأى الاغلبية التىوافقت على المشروع ، والاستاذ فريد زعلوك ليشرح راى الاقليةا لتى رفضته ٠

وكانت الحكومة ــ بعد أن حظيت من هذه اللجنة البرلمانية على ما تبتغى مستغلة فى سبيل ذلك كل ما كان متاحا لها من وســائل ـ كانت حريصــة على عرض المشروع فى نفس اليوم على المجلس كله ٠

ثامنا : موقف الاخوان من القانون :

لم يقف الاخوان مكتوفى الايدى أمام هذا التدبير الذى قصد به قتلهم ووأد الحرية فى البلاد ٠ فقد عقدوا اجتماعا طويلا مساء ذلك اليوم ونظروا فيه فى مشروع القانون الذى يناقشه البرلمان فى الغد على وجه الاستعجال ٠

● رفض العودة واعداد مذكرة :

وانتهى اجتماعهم الى قرار أعلنوا فيه رفضهم العودة فى ظل هذا القانون وأنهم يكتفــون بالـتزام مـوقفهم الحـالى ، بمعــنى أنهم مكونون فعــلا ، ولا يضيرهم أن يحرم الشعب من امتداد دعوتهم للاستفادة بخيرها ــ كما أقر الاجتماع مذكرة ناقشوا فيها المشروع وضمنوها رأيهم فيه ، وقرروا ابلاغها الى المسئولين وتوزيعها على أعضاء مجلس النواب قبل نظرهم المشروع ٠

● نص مـذكرة الاخـوان :

ان الاخــوان حين يبدون رايهم فى مشروع قانون الجمعيات لا يرمـون من وراء ذلك حماية مصالحهم التى لا صلة لها بهذا القانون ٠٠ وانما يريدون

ن ينبهوا الشعب المصرى الى ما يحمله هذا المشروع من قيود فرضها على حقوق الافراد التى كفلها الدستور للمصريين فى تكوين الجمعيات ، ومن حد من نشاط هذه الجمعيات ذات الاغراض السامية ، ومن وضع لها تحت سلطان الادارة وتقلباتها الى أبعد الحدود ٠

ونريد ان يذكر نواب الامة وشيوخها الذين سيتولون مناقشة هذا القانون موقفهم المجيد فى أول الجلسة الماضية حين أريد أن يعبر القانون المجلس دون دراسة أو تمحيص ٠

وليذكروا دائما ان كل قانون رجعى لن يقتصر ضرره على جماعة من الامة دون جماعة ، بل ان مساوئه ستمتد الى جميع المصريين بما فيهم حضرات الشيوخ والنواب أنفسهم ، فان سلطان الحكم اذا كان يعفى من كثير من المتاعب مؤقتا فانه سلطان زائل ٠ أما القانون الرجعى فباق أثره السىء فى تعويق الامة عن نهضتها ٠

وانا لنتساءل أولا ٠٠ ما الداعى الى اصدار هذا القانون ؟ والقانون المدنى وما حوى من مواد تنظم الجمعيات وتراقب نشاطها كفيل بأن يحفظ لها حريتها فى حدود القانون ٠ وما نظنها بحاجة الى اضافة قيود جديدة فى صورة هذا المشروع المقدم من الحكومة أخيرا ٠

ثم نتساءل ثانيا عن المقصود بعبارة « أغراض دينية » الواردة فى المادة الاولى من المشروع ؟ ٠٠ فانها على هذا النحو لا تتفق مع الاسلام وهو دين الدولة الرسمى ، لان الاسلام من العموم فى معناه وشموله لكافة نواحى النشاط ، بحيث لا يتفق اطلاقا مع الفكرة السائدة فى الغرب من التفريق بين الدين والتربية والسياسة ٠ فان كان قصد القانون من هذه العبارة — وهو مالا يتصور غيره — هى تلك التى تدعو الى مكارم الاخلاق ، والتمسك بالفضائل فليحدد الشارع اذن هذا الغرض على أساس « الاغراض الخلقية » مثلا فيزيل اللبس ويتجنب ما قد يثور من اعتراض ٠

ونظرة خاصة الى نصوص هذا القانون تكشف عن العجلة التى صاحبت اعداده ، والرغبة فى اصداره على اى وضع ، حتى جاء مجافيا لاولويات المبادىء التشريعية ، منافيا لابسط أسس العدالة ، مهدرا للكثير من حريات الافراد وحقوقهم :

أ : الشباب احوج الى التربية :

تنص المادة الثالثة من المشروع على حرمان القصر اى الشبان من

الانضمام الى عضوية الجمعيات ذات الغرض الاجتماعى أو الخلقى أو الادبى أو العلمى ٠

وهذا التحريم أمر غير مفهوم وغير مقبول ، اذ أن الشباب أحوج الناس الى الانضمام لجمعيات تلك اغراضها : تربيهم وتنشر بينهم العلم ٠ وكيف تستسيغ أن يحرم على الشباب الانضمام لجمعيات تربوية وثقافية بينما يجوز لهم قانوننا الانضمام الى الاحزاب السياسية ، التى تعرضهم للفساد ، وتزج بهم فى مضمار الحزبية التى تضربهم دون أن تعود عليهم منها أية فائدة خلقية او تربوية أو علمية ٠٠ هـذا أمر غير مستساغ الا اذا كان المقصود حماية مصالح الاحزاب دون الشباب

ولا يمكن أن يقبل الاحتجاج بأن القاصر غير مكتمل الاهلية ٠ فهـذه حجة لا صلة لها بالتربية والتثقيف عن طريق الجمعيات ، بل هو ادعى لاباحة انضمام القصر للجمعيات ٠ فضلا عن أن تشريعاتنا تحمل القصر ــ واهليتهم غير مكتملة ــ أمانة الوظائف العامة حتى الخطير منها مثل النيابة العامة ٠

ب : ما شأن وزير الداخلية ؟

يقضى المشروع بأن وزير الداخلية هو صاحب الاشراف على الجمعيات، اذ يطلب حلها ويصدر اللوائح التنفيذية للقانون الخاص بها ٠ ولا ندرى صلة الاغراض التى تسعى اليها هذه الجمعيات بوزارة الداخلية ٠٠ فكلها أغراض اجتماعية وخلقية وعلمية وأدبية يعم نفعها المجموع ٠٠ فكان من الطبيعى ان يكون الاشراف على القانون الخاص بها لوزارة تشجعها وترعى مصالحها وتتفق واغراضها كوزارة الشئون الاجتماعية ووزارة المعارف العمومية ٠

ج : البوليس :

اذا كان القانون قد نظم الجمعيات فى بضع مواد فقد قضى عليها فى مادة واحدة ، ألا وهى المادة السادسة عشرة ، التى تجعل لرجال البوليس حق الاطلاع على سجلات الجمعية وكافة أوراقها لاثبات المخالفات القانونية ٠٠ فهل يمكن أن تدلنا الحكومة على الصلة بين البوليس وهذه الجمعيات ذات الاغراض السامية التى تتبع فى تحقيق اغراضها أسسا علمية ؟ ٠٠ أما كان المنطق يقضى بترك هذا الاطلاع لفنيين متخصصين ؟ أم ترى أريد أن يترك لرجال البوليس الذين يخدمون أغراضا حزبية وسياسية ؟

د :اسباب طلب حلال :

يبدو ان الغرض الاساسى من هذا المشروع هو منح الحكومات أوسع

سلطة ممكنة فى قتل الجمعيات بواسطة طلب حلها ــ ولا أدل على ذلك من أن المادة الحادية عشرة أعطت وزير الداخلية الحق المطلق فى طلب حل الجمعيات عند وقوع أى مخالفة للمواد ٣،٦،٧،٨،٩،١٠ من القانون ــ أى أغلب نصوصه ٠٠ مع أن طلب حل الجمعية يجب أن يراعى فيه انه طلب خطير واستثنائى يعادل طلب الاعدام للشخص الطبيعى ٠

والمنطقى من الامر أن يقصر طلب هذا الجزاء على المخالفات الخطيرة الجوهرية لأحكام القانون والتى تنسب الى الجمعية ذاتها ٠٠ أما المخالفات القانونية أو العرضية والتى ترجع الى الاشخاص فيكفى فيها الحكم بابطال الاجراء وتصحيح الوضع ٠

هـ : الحل بحكم نهائى :

واريد أن أسأل أخيرا عن الداعى لجعل الحكم الذى يصدر من المحكمة الابتدائية بحل الجمعية بناء على طلب وزير الداخلية حكما نهائيا لا يجوز الطعن فيه بأى طريق من طرق الطعن فى الاحكام ٠٠ فى حين أن العقوبات الاخرى التى نص عليها القانون فى مادته الثالثة عشرة مثلا تسرى عليها القواعد فيجوز الطعن فيها بالاستئناف حتى لو لم تكن العقوبة الا بغرامة قروش معدودة ٠

فهل يرى واضع المشروع أن حل جمعية أى الحكم باعدامها أمر أهون من حكم الغرامة ٠٠ فلا يترك الباب مفتوحا أمام الجمعية للطعن فى الحكم بطرق الطعن التى قصد بها فى التشريع التأمين لسلامة الاحكام ؟

و : لا حاجة بنا للقانون اطلاقا :

ان الاخوان المسلمين وان كانوا قد درسوا مشروع قانون الجمعيات وأدلوا برأيهم القانونى فيه ، فانهم لا يزالون عند رأيهم من أن أوضاعنا التشريعية ليست بحاجة اطلاقا لصدور أى قانون يضيف جديدا الى ما ضم القانون المدنى من نصوص كاملة لا تحتاج الى مزيد ٠

تاسعا : محاولة أخيرة للانقاذ :

فى ١٩ــ٤ــ١٩٥٠ نشرت الصحف بيانا عما تم فى مجلس النواب بالامس تحت العنوان التالى :

« ثلاثة آلاف متظاهر من الاخوان المسلمين أمام مجلس النواب امس »

« فؤاد سراج الدين باشا يفند أقوال المعارضين للمشروع ــ المجلس يقر القانون » ٠

وكانت المظاهرة الاخوانية تهتف « الاسلام دين ودنيا » « الاسلام نظام لا يحتاج الى نظام » « الاسلام قانون لا يحتاج الى قانون » وهم يحملون المصاحف ـ وخطب الجموع صالح عشماوى ثم فريد عبد الخالق · ثم سمح لوفد منهم بمقابلة رئيس المجلس وتقديم مذكرة اليه ، وكان الوفد من صالح عشماوى وسعد الوليلى وفريد عبد الخالق وأمين اسماعيل ·

● مناقشة فى المجلس بين أحرار قلائل وحكومة مستبدة :

وأهم ما دار فى المجلس من مناقشات فى هذا اليوم هو الآتى :

قال الاستاذ فريد زعلوك : لا حاجة قط الى هذا القانون المعروض علينا الآن ما دام القانون المدنى قد نص فيه على تنظيم الجمعيات من الناحية المدنية ، كما أن القانون الجنائى قد نص فيه على تنظيم الجمعيات من الناحية الجنائية · أما الجرائم السياسية فشأنها كشأن الاحزاب السياسية التى لا تخضع لاى نوع من أنواع التنظيم أو الرقابة ـ وقال : ان الضمانات التى وردت فى مشروع القانون ومنها رفع الامر الى مجلس الدولة ، تشبه رجلا نسرق نقوده ثم يقال له : اذهب الى المحكمة ـ فى حين أن الاصل أن لا تسرق نقوده ·

وتكلم الاستاذ عبد الحميد السنوسى فقال :

ان الهيئة التى بحثت مشروع القانون قالت فى تقريرها ان هذا المشروع مماثل لارقى التشريعات فى العالم · وقد رجعت الى القانون الانجليزى والى القانون البلجيكى وبعض القوانين الاجنبية فلم أجد فيها قانونا مماثلا أو شبيها بهذا القانون ·· وقال : **ان مجلس الدولة قد انحرف عن طريق الدستور باقراره هذا التشريع ·**

فقال عبد الفتاح حسن الوكيل البرلمانى : لا أذيع سرا اذا قلت ان سعادة رئيس مجلس الدولة وواضع القانون المدنى العام قد شارك فى وضع نصوص مشروع القانون المعروض عليكم ·

وتكلم الاستاذ ابراهيم شكرى ـ مصر الفتاة ـ فقال :

ان هذا الاستعجال فى نظر مشروع القانون ، والظروف التى تحتم أن يصدر فى وقت معين ، قبل أن ينتهى تاريخ الامر العسكرى الذى حل جمعية الاخوان المسلمين ·· **يؤيد أنه تشريع خاص أريد به حالة خاصة ، وهى حالة « الاخوان المسلمين » ـ وان هذا القانون يخالف روح الدستور لانه قصد به تنظيم بوليسى للاشراف على الجمعيات ·**

وقال : ان معالى وزير الداخلية واثق من أن هـذا المجلس يرى ما يراه معاليه .

وثار المجلس ــ كالمعتاد ــ وعد هذا الـكلام اهانة له فاعتـذر ابراهيم تسـكرى .

وانتهى الامر بموافقة البرلمان بمجلسيه على القـانون .. واستغـرق الموضوع كله منذ بدء تقديم المشروع الى مجلس النواب حتى التصديق عليه من المجلسين الفترة من ١٨ــ٤ حتى ٢٥ــ٤

● تعقيب على هذا التشريع :

أوردنا هذا القانون ، وأوليناه اهتماما خاصا ، وفصلناه تفصيلا . مع أنه ــ وقد أراد الذين أوحوا به وأراد الذين تحملوا اصر تمـريره بالخطوات التى جعلته قانونا ، أن يجعلوه غلا دائما فى عنق الشعب ــ أراد الله الذى بيده الامر كله أن يئده حيا ، وأن يجعل الجهد الذى بذلوه فى انجـازه كما قال فى كتابه : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

بعد انجاز هذا القانون ، واستوائه تشريعا فعـالا كما يقـولون ، لم يستمتع الذين أنجزوه ولا الذين أوحوا به بيوم واحد ذاقوا فيه لذة ما كانوا يأملون من لذع ظهور الشعب بسياطه ... فلقد تعاظمت الامـور وتفـاقمت ووجدت الحـكومة نفسها فى أمس الحـاجة الى سند يسـندها من الشعب ، فتناست عزلها الذى كانت تهزله ، وراحت تلتمس من الشعب العون والتأييد والحماية والتسديد .

فلم اذن كان اهتمامنا هذا الشديد بقانون لم يعمل به ، واندثر فيما اندثر من مئات القوانين ؟ ... لقد كان اهتمامنا لدواع منها :

أولا : الالمام بالتاريخ : وهى فترة مرت بها الدعوة ، وكانت من أعصب فتراتها ، فكان لابد من الكتابة عنها والابانة عما أحاط بها .. وهو أمر لا غنى عنه .

ثانيا : لفت النظر الى صفحات مطوية : فمن أخطـر الامـور أن يهمل أصحاب الدعوات النظر فى صفحات التاريخ المطوية ، وأن لا يولوا اهتمامهم الا للصفحات المنشورة .. ظنا منهم أن صفحة ما كادت تفتح حتى طويت هى صفحة عقيم ، بدليل أنها كانت عديمة الاثر فى أيامها ، فهى فى غير أيامها أشد عدما .. فى حين أن مثل هذه الصفحات لم تطو لان أحداثا أكبر منها فى أيامها طغت عليها وحجبتها ، ولكنها لا تلبث ــ وهى مستكنة ــ حين تجد

البيئة المناسبة لنموها أن تنطلق من سباتها وتكشف عن أنيابها .

ثالثا : أن يتنبه أصحاب الدعوات الى أن لمناصب الحكم سحرها الذى لا يقاوم ، فقد يكون الرجل كريما نبيلا ، يتدفق رقة ووطنية واخلاصا .. فاذا احتل منصة الحكم صار شيئا آخر ، ونسى ما كان دعو اليه من قبل .

رابعا : أن يعرف دعاة الدعوة الاسلامية أن جميع القوى العاملة فى ميدان السياسة والاجتماع - مهما اختلفت وجهاتها ، وتباينت مناهجها ، وناصب كل منها الآخر العداء - تتفق جميعا وتنسى خلافاتها فى مواجهة الدعوة الاسلامية .

خامسا : انها لحقيقة ثابتة ، جديرة بالاعتبار والتدبر .. تلك هى « أن التاريخ يعيد نفسه » . وعلى المؤمنين الكيسين الفطنين أن ينتفعوا بهذه الحقيقة .

وتوضيحا لهذه الدواعى الخمسة نقول :

● الجولة الاولى لمحاولة فرض هذا التشريع الخانق :

ليست هذه هى المرة الاولى أو بالتعبير الادق ليست هذه هى المحاولة الاولى التى حاولت فيها حكومة مصرية انشاء القيود ، وخلق العقبات أمام تكوين الجمعيات .. فلقد بدأت هذه المحاولات وزارة الوفد التى تولت أمام الحكم فى فبراير ١٩٤٢ .. اذ وضعت هذه الحكومة مشروع قانون سمته « قانون تنظيم الجمعيات الخيرية » وعرضته على مجلس وزرائها ثم على مجلس نوابها . وناقشه هذا المجلس . وفى ٢٠-٦-١٩٤٤ اعتمد هذا المجلس من هذا المشروع النص التالى .

« تعد جمعية خيرية كل جماعة من الافراد تسعى الى تحقيق غرض من اغراض البر ، سواء أكان ذلك عن طريق المعاونة المادية أو المعنوية . وتعد مؤسسة اجتماعية كل مؤسسة تنشأ بتخصيص مال لمدة غير معينة سواء أكانت هذه المؤسسة تقوم بأداء خدمة انسانية أو دينية أو علمية أو فنية أو زراعية أو رياضية أو أى غرض آخر من اغراض النفع العام دون قصد الى تحقيق ربح مادى لاعضائها - ويشترط فى جميع الاحوال أن لا تكون الجمعية أو المؤسسة ووسائلها فى تحقيق هذه الاغراض مخالفة للنظام أو الامن العام أو الآداب العامة » .

واقيلت حكومة الوفد فى ٩-١٠-١٩٤٤ قبل أن يستكمل مشروع القانون خطوات إصداره . وجاءت حكومة السعديين برياسة احمد ماهر الذى اغتيل فجاء من بعده النقراشى ..

ومعروف أن وزاراتنا الحزبية فى مصر تأتى كل وزارة منها الى الحكم وهمها الاول أن تنقض ما بنته سابقتها ان خيرا وان شرا ٠٠ ولكن وزارة السعديين نقضت ما بناه الوفد فى وزارته الا « قانون تنظيم الجمعيات الخيرية » فانها أبقت عليه ، وتبنته ، وأخذت فى استكمال خطواته ، حتى أصدرته على نفس الاسس ، وبنفس الصياغة التى تركته بها الوزارة الوفدية وكل الذى فعلته وزارة السعديين أن عرضت على البرلمان بقية المواد التى لم تكن قد عرضت بعد ٠

ووافق برلمان السعديين على التشريع وصدر قانونا فى أبريل ١٩٤٥ ٠٠ **وكانت احدى مواده تجعل للحكومة حق حل الجمعية اذا اشتغلت بالسياسة ٠٠ وهو بيت القصيد ٠٠**

ولا شك فى أن القارىء الكريم مدرك من مجرد ما أشرنا اليه من بنود هذا القانون أنه انما كان المقصود به هيئة واحدة وجمعية معينة ٠٠ أرادوا أن يقذفوا بها بعيدا عن ميدان السياسة ، ويضعوا كل أنشطتها تحت رقابتهم ، حتى يظل ميدان السياسة دولة بينهم ، محتكرا لهم ، خاليا الا منهم ٠

ان دخول عنصر الاخوان المسلمين ميدان السياسة فى مصر كان حدثا تاريخيا ٠٠ وكان مثار غضب وفزع لدى محتكرى السياسة فى مصر من رجال الاحزاب ، وخدام المستعمر ، وعباد القصر الملكى ٠٠٠ ذلك أن هذا العنصر الجديد أراد أن يجعل للسياسة مقاييس جديدة ، وأهدافا جديدة ، ووسائل جديدة ، لا يتقبلها هؤلاء المحتكرون ولا يستطيعونها ٠٠ فهو يطالب الساسة بالشجاعة فى مواجهة الغاصب ، وبالتضحية بالمال والجهد والدم فضلا عن المناصب ٠٠ وهذه أمور لا قبل لهم بها ، وفيها قضاء على آمالهم ، ومصادرة لشهواتهم ٠

ولهذا قرر هؤلاء المحتكرون أن يتعاونوا – والحكم فى أيديهم – على حصر هذه الهيئة الناشئة فى أضيق نطاق ، وضربها ضربة تبدد شملها ، وتشغلها بنفسها ، وتقضى على أحلامها ٠٠ وانتهى تفكيرهم الى سن هذا القانون ٠

ولا يعنينا ان نعترف بان هذا القانون الذى بدأه الوفديون ، واكمل اصداره السعديون ، كان تحديا صارخا لبناء دعوة الاخوان المسلمين ٠٠ ولقد شغلنا بأنفسنا فعلا عدة أشهر ٠ فلقد واجهتنا به حكومة السعديين بعد انجازه مباشرة سنة ١٩٤٥ ، وخيرتنا بمقتضاه بين ان تكون جمعية خيرية تحت اشراف وزارة الشئون الاجتماعية أو أن تكون حزبا سياسيا ٠

ووقف الاستاذ المرشد العام امام هذه المواجهة حائرا فترة من الزمن وعقدت الهيئة التاسيسية أكثر من اجتماع لاتخاذ قرار فى هذه المواجهة

الخطيرة . وكان القرار الوحيد الذى اتخذته الهيئة بعد أول دراسة للقانون هو رفض فكرة الحزب السياسي ، وفوضت الهيئة الاستاذ المرشد العام فى اتخاذ ما يراه من قرار بعد ذلك ... واجتمع مكتب الارشاد العام عشرات المرات ، وتباحث المتخصصون فى القانون من الاخوان ، واستعان المرشد العام بالمتخصصين من غير الاخوان .. ومع ذلك ، وبعد كل هذه البحوث والاجتماعات ظل القرار الوحيد الذى أمكن اتخاذه هو قرار رفض الحزبية دون الوصول الى صيغة تخرجنا من الحيرة والحرج ..

واخيرا تفرغ الاستاذ المرشد الى نفسه ، مسترشدا بما قدم اليه من بحوث ، مستعينا بما عوده ربه من هداية وبما يسكبه فى نفسه من الهام .. وخرج علينا بعد ذلك بمشروع انتشلنا به من وهدة الحيرة ، وقادنا به الى بر الامان .. وعرض المشروع على مكتب الارشاد ثم عرض على الهيئة التأسيسية فنال الثقة الكاملة . وحمد الجميع ربهم أن وفق مرشدهم الى هذا القرار الملهم المنقذ .

● **الخطوط العريضة للقرار المنقذ :**

وينبغى للقارىء الكريم ان يعلم أن هذا القرار كان من أخطر القرارات التى اتخذها الاخوان المسلمون فى حياتهم العملية ، فكان فاصلا بين عهدين فى تاريخهم ، وكان بمثابة تجربة قاسية كان على الدعوة أن تخوضها وهى راغمة لتستبقى لنفسها حق مواصلة الحياة .. ولذا فان القرار لم يقف عند حد تعديل فى بعض مواد قانون الاخوان المسلمين ، بل تناول القانون الاساسى كله بالتغيير ، بحيث اتخذ صورة جديدة . وكان ذلك على الوجه الآتى :

١ ـ تعريف الاسلام بأنه نظام شامل لجميع شئون الحياة ، وأهدافه النهوض بكل هذه الشئون .

٢ ـ ما اختص من اهداف الاسلام بالشئون الاجتماعية تؤسس له هيئة مستقلة مركزها القاهرة تسمى « المركز العام لجمعيات البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين » لها أعضاؤها الذين يكونون جمعيتها العمومية ولها اشتراكاتها وماليتها الخاصة بها . ولها دفاترها وحساباتها التى تخصها ـ ويقوم أعضاء جمعيتها العمومية بانتخاب مجلس الادارة الخاص بها . وتكون مسجلة فى وزارة الشئون الاجتماعية ، وتحت اشراف مندوبيها فى جميع أعمالها وتصرفاتها ـ ولهذا المركز العام أن ينشىء فروعا تابعة له فى مختلف الاحياء والبلاد ، وتكون فروعه مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية وتحت اشراف مندوبيها .

٣ ـ اغراض الاسلام الاخرى التى لا تدخل فى نطاق اعمال البر والخدمة الاجتماعية كنشر الدعوة الاسلامية ، وبث الروح الوطنية ، والقيام بالاعمال الاقتصادية .. تقوم بها « هيئة الاخوان المسلمين العامة » .

وبذلك تفادى الاخوان الشراك الذى نصبته الدولة لاصطيادهم ٠٠٠ وقد ذهل رجال القانون الحكوميون حين تلقوا رد الاخوان ٠٠ وكانوا يعتقدون أن الاخوان سيعجزون عن الجواب الا أن يأتوا مذعنين ، فلقد أحكموا الخناق القانونى حول عنقهم فاما الاستسلام واما الاختناق وكلاهما فناء ٠

وكانت هذه احدى عبقريات حسن البنا التى أيأست أعداءه أن يستطيعوا النيل منه مهما أحكموا من خطط اصطياده ٠٠ ما دامت هذه الخطط فى حدود العرف والقانون ، فما كانت مشكلة يستعصى عليه حلها مهما تعاظم أمرها وتفاقم خطرها وتعقدت خيوطها وما ذلك الا بتوفيق الله تعالى له ٠

وكان هذا القانون محنة اجتازها الاخوان بسلام ، وتفادوا بمعونة الله وتوفيقه ما اعد لهم من مزالق ومهالك ٠ ومنذ ذلك اليوم كنت تدخل المركز العام بالحلمية الجديدة فتجد على يمينك فى فنائه مبنى صغيرا مستقلا ، عليه لافتة كتب عليها « المركز العام لجمعيات البر والخدمة الاجتماعية للاخوان المسلمين » ولهذا المركز مجلس ادارة مستقل على رأسه الاخ الكريم الاستاذ عبد الرحمن البنا ــ شقيق الاستاذ المرشد العام ــ وتجد القانون الخاص بهذا المركز مطبوعا فى كتيب صغير مستقل ٠٠٠ كما أنك واجد فى كل شعبة من شعب الاخوان تقريبا فى مختلف البلاد فروعا للبر والخدمة الاجتماعية على نسق هذا المركز وتابعة له ٠

ولا أعتقد ان وزارة الشئون الاجتماعية تبعها فى يوم من الايام جمعيات لها عشر معشار ما كان لهذا المركز وفروعه من نشاط فى ميادين البر والخدمة الاجتماعية من انشطة صحية وثقافية ورياضية واجتماعية واصلاحية وبر واحسان ٠

● **الجولة الثانية :**

كانت هذه هى الجولة الاولى من جولات هذا النوع من الصراع ٠ وقد راى القارىء أنها لم تكن صراعا بين حزب معين وبين الاخوان ، بل كانت بين الباطل الحزبى كله على اختلاف أحزابه وألوانه وبين الاخوان وحدهم ، فلقد اشترك فى وضع هذا القانون حزب الوفد وحزب السعديين ومن معه من الاحزاب الاخرى ٠٠٠

ثم كانت الجولة الثانية ٠٠ وكانت بتدبير نفس المدبرين الا أنها كانت نابعة هذه المرة من احط ما فى نفوسهم من خسة ونذالة ٠٠٠ فاذا قلنا ــ تجاوزا ــ ان الجولة الاولى كانت اشبه بالمواجهة بين خصمين ، فماذا نقول فى جولة كانت اجهازا على جريح ؟ ٠٠٠ هاجموا الاخوان هذه المرة وهم

يترنحون من شدة طعنات حكومة غادرة متواطئة غاشمة ، ودماؤهم تتفجر من كل جانب ، ولا يجدون من يضمد لهم الجراح ٠٠٠

ان الاعداء الشرفاء يترفعون عن شهر السلاح على عدوهم اذا وقع مثخنا بالجراح ، ولكن الاخساء يهتبلونها فرصة فيتكالبون عليه وهو فى الرمق الاخير لا يدفع عن نفسه ٠

وكانت الجولة الثانية من هذا النوع الخسيس الذى تأباه النفوس الشريفة ٠٠ أخذوا فى سن هذا القانون والاخوان ممزقون كل ممزق ، بين معتقل ومسجون ومطارد ومعذب ، وبعد أن امتدت يد الغدر والخيانة الى مرشدهم العام ٠

● **هل هناك جولات أخرى ؟**

وقد رأيت أن أتناول بشىء من الاسهاب الحديث عن هذا القانون بجولتيه ، لتتضح أمام أعين هذا الجيل والاجيال القادمة صورة حقيقية غير مزيفة لطبيعة الرجال ، وطبيعة الزعماء ، وطبيعة المجتمعات فى بلادنا ٠٠ حتى لا يتمادى بهم حسن الظن فيؤخذوا على غرة ، وحتى لا ينخدعوا بالمظاهر المصطنعة ، والخطب الرنانة ، والاحاديث المنمقة ٠٠ ألا فليعلموا أن من ورائها نفوسا لا تنطوى الا على الانانية والاثرة والغدر ٠٠ ولا هدف لها الا التسلق على أكتاف المخدوعين حتى يتسنموا قمة السلطة فيخلفوا وعودهم ويستنكروا لماضيهم ولشعبهم ولوطنهم ٠٠ وينحصر همهم بعد ذلك فى العمل على تثبيت أقدامهم فى مراكز السلطة ٠٠ ويتحول معنى الاخلاص فى نظرهم حينئذ الى مظاهر الخضوع لهم والاذعان لامرهم،ومعنى الوطنية الى التفانى فى خدمتهم والاشادة بفضلهم ، ومعنى الشجاعة الى الدفاع عن باطلهم وتبرير أخطائهم ٠٠ أما من خرج على هذا الخط الذى حددوا به معانى الاخلاص والوطنية والشجاعة ، واستنكف أن يعبد أحدا من دون الله ، فانه يعد خارجا وخائنا وارهابيا ، وتزرع أمامه الطرق بالعقبات ، وتكال له التهم ، وتلفق له العيوب ، ويلاحق بأساليب القهر والمطاردة ٠

وهذا الذى تسنم قمة السلطة ، وذاق حلاوتها ، فتشبث بأسبابها لا يريد لها فراقا ٠٠٠ أول ما يلجأ اليه فى محاربة من ارتفع على اكتافهم - ويعلم أنهم لا يقبلون بآماله الجديدة - هو أن يستغل ما تتيحه له هذه السلطة من وسائل ٠٠ وأول هذه الوسائل هى التشريعات والقوانين ، التى تجعل الحلال حراما والحرام حلالا ٠٠ وهكذا تأتى جولات وجولات ٠٠ « والله من من ورائهم محيط » ٠

الفصـــل الثـــانى

المحاكمات

مقـــدمة

كانت ثمرة السياسة الحاقدة الخرقاء التى انتهجتها الطغمة الحـاكمة التى كانت واجهتها هى وزارات السعديين ، أن اضطربت أحـوال البلاد ، وخيم عليها ظلام دامس ، لا يأمن فيه مـواطن على نفسـه ٠٠ وكيـف يأمن والحكومة التى وظيفتها أن تحميه وتوفر له أسباب الامن رأى أنها صارت هى التى تدبر المؤامرات بل وترتكب الجرائم ٠ ٠ ٠

وأخطر من هذا وأدهى وأمر أن هذه الحكومة ـ وقد تلوثت يداها بدماء أفراد الشعب ٠٠ أضحت فريسة للوساوس والهواجس والاوهام ، فقد صور لها شعورها بجريمتها أن كل فرد يمشى فى الشارع أو يأوى الى بيت أو يدرس فى معهد أو يلهو فى مقهى أو يتكلم مع أصدقائه ، خيـل لها أن هـؤلاء جميعا يعملون على فضح جريمتها والكشف عن مؤامرتها ٠٠ فبثت عيونها فى كل مكان يتتبعون السائرين ، ويتصنتون على المتحـدثين ، ويهاجمـون الآمنين ٠٠ وتفرغت بكل مقوماتها وامكاناتها لهذا الاسلوب المثير ٠

وتحولت صورة الموقف فى مصر من حكومة ترعى مصالح الشعب الى حكومة تتحدى شعبا وتقف له بالمرصـاد ، تبتـدع كل يوم أسـلوبا جـديدا لاستفزازه واثارته ٠٠ مـدعية ـ زورا وبهتانا ـ أنهـا تحميه من الاخـوان المسلمين ٠٠٠ فهل شكا اليها الشعب يوما من الاخوان المسلمين ؟ ٠٠٠ وهل الاخوان المسلمون الا أبناء هذا الشعب واخـوته وأخواته وآباؤه وامهـاته وأعمامه واخواله ؟ لم يكن الاخوان المسلمون فئة محدودة تعد على الاصابع كما هو الحال فى حزب السعديين وامثالهم حتى يقال انها عصابة تفزع الناس فى قرية من القرى أو فى حى من الاحياء ، فتقوم الحكومة بمحاصرتها حتى تقضى عليها وتوفر لهذه الجهات الامن والامان ٠

وانما الامر شىء آخر تماما ٠٠٠ الاخوان المسلمون فكرة وعقيدة سرت فى قلوب الشعب من أقصاه الى أقصاه ٠٠ دخلت كل بيت ، واستقرت فى كل نفس ، لانها فطرة الله التى فطر الناس عليها ٠ وما من مكان دخلته هذه الفكرة الا ولمس اهله والمقيمون فيه من آثارها ما سرهم وأسعدهم ، من تقريب بين

النفوس ، وتثقيف للعقول ، وتصحيح للابدان ، وتطهير للقلوب ، وأخذ بيد الضعيف ٠٠٠ فكيف يشكو الناس من هذا الفيض الربانى الذى غمرهم فنقلهم من الظلمات الى النور ؟

لم يشك أحد من هذا الشعب المفترى عليه ٠٠ ولكن الذين شكوا هم سكان القصور فى القبة وعابدين ، ومرضى النفوس من الساسة المحترفين ، الذين رأوا فى هذه الفكرة تدمير آمالهم ، وتحطيم رفاهيتهم القائمة على استعباد الشعب ، واستغلال جهوده لانفسهم ٠٠٠

لم يكن بد أمام هذا الشعب المغلوب على أمره ــ ممثلا فى شبابه الطاهر ــ الا أن تثور نفسه ازاء الاستفزاز المستمر ، فيقدم على أعمال يعلم أنها مهالك ، ولكنه يقدم عليها أملا فى أن تضع حدا لهذا الاستفزاز المتوقح ، والظلم الجائر ، والاستبداد الفاجر ٠

هى طبيعة النفوس البشرية ٠٠ لها طاقة محدودة من التحمل والصبر ، فاذا زاد الضغط على حد التحمل انفجرت غير عابئة بشىء « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ، وكان الله سميعا عليما » ٠

وقعت أحداث خطيرة ٠٠ كانت تعبيرا نرد الفعل لا ردا للفعل ، فان رد الفعل الذى كان يجب أن يقع ــ وهو كما تقول القوانين يضاد الفعل ويساويه ــ أن تندلع فى البلاد ثورة عاتية تقتلع الظلم والظالمين ٠٠٠ ولكن يبدو أن ارادة الله قدرت أن تؤجلها ــ كما يتضح ذلك فى ثنايا الحديث عن المحاكمات ــ أو لعل هذه الثورة لم تكن قد استكملت بعد كل عناصر اندلاعها ، فكانت هذه الاحداث مقدمة لها ، ونذيرا بها ، وارهاصا بقدومها ٠٠

واذا أردنا أن نحصى هذه الاحداث ، عالتنا كثرة عددها ، ولذا فاننا نختار منها ما استطاعت أن تصل به تلك العصابة الحاكمة الى الحد الذى صورته للشعب فى صورة الاعداد للثورة عليها ، والعمل على قلب نظام الحكم ، وشكلته فى هيئة قضايا خطيرة ، أمضى القضاء الجنائى فى نظرها بضع سنين ، وقامت الدنيا لها وقعدت لما أثير فيها من أسرار ومفاجآت ٠

ولما كنا بصدد الحديث عن المحاكمات ، فنرى علينا أولا وقبل الخوض فيها أن نعرض لقضية نسبت الى الاخوان كهيئة زورا وبهتانا ، لانها لم تكن الا عملا فرديا ، وتصرفا شخصيا ، ووحى انفعال ذاتى ، كما ينفعل اى فرد من الناس على آخر فى الطريق او فى العمل أو فى البيت نتيجة كلمة نابية أو تصرف يمس كرامته ٠٠ فهل اذا أسفر هذا الانفعال عن ضرر يكون كل الجهة المنتسب اليها هذا الفرد مؤاخذ بآثار انفعاله ؟ ٠٠ كان هذا الانفعال

الفردى ، وما نجم عنه من تصرف شخصى بحت هو ما سمى « قضية اغتيال الخازندار » .

● **قضية اغتيال الخازندار :**

وقعت هـذه الجريمة فى ٢٢ فبراير ١٩٤٨ . واتهم فيهـا طالبـان من المنتسبين الى الاخوان المسلمين من بين عشرات الآلاف من الطلبة المنتسبين الى الاخوان ... ولا أزال أذكر كيفه وقـع نبأ هـذه الجـريمة على الاستاذ الامام وعلينا جميعا موقع الصاعقة .. حتى ان الاستاذ ـ رحمه الله ـ تنهد طويلا وأخذ يشكو الى الله من هذا التصرف الاحمق والحمـاس الاعمى الذى شبهه باخلاص الدب لصاحبه ، اذ أراد أن يخلصـه من مضـايقة ذبابة على وجهه وهو نائم ، فأتى بحجر ضخم وألقـاه على الذبابة فلم يصبها ولـكنه قتل صاحبه .

تبين فيما بعد أن هذين الشابين ـ وكانا بعد فى الدراسة الثانوية ـ كانا صديقين لشابين فى مثل سنهما من الاخوان هما حسين محمد عبد السميع ومحمود نفيس حمدى ، اتهما ـ فى معمعان ثورة الشعب على طغيان العسكريين الانجليز وتعديهم على أفراد الشعب ـ بالقاء قنبلة يدوية على نادى الضباط الانجليز بالقاهرة فى ليلة عيد الميلاد من عام ١٩٤٧ ولم يصب أحد من هـذه القنبلة ، ولم يقبض عليهما فى مكان الحادث بل ضبطا فى أثنـاء سـيرهما . وبتفتيشهما وجـد فى جيب الاول قنبـلة لمـا سـئل عنها قال انه وجـدها فى الطريق . ولمـا عرضت هذه القنبلة على ضابط استكشاف القنابل قدم تقريرا بأنها ليست من النوع الذى ألقى فى تلك الليلة .. وقد قـدم هذان الشـابان الى محكمة الجنايات برياسة المستشار أحمد الخازندار بك فأصدرت حكمها فى ١٨ يناير ١٩٤٨ بحبس حسين عبد السميع ثلاث سـنوات مـع الشـغل وغرامة مائة جنيه ـ وقد سبق أن أشرنا الى هذه الحادثة فى موضعها فى الجزء الاول من هذا الكتاب .

وفى خلال ذلك العام نفسه عام ١٩٤٧ كانت هناك أمام القضاء قضية هامة لجريمة بشعة مروعة وقعت فى الاسكندرية وقد هزت أرجاء البلاد ،سميت بجريمة سفاح الاسكندرية وكان يدعى حسن قناوى . وقد راح ضحية هـذه الجريمة أكثر من قتيل . وكانت دوافع ارتكاب جرائم القتل هـذه دوافـع جنسية قذرة .. وكانت تفاصيل هذه القضية وما دار فى جلساتها من شهادات مما يزكم الانوف ، ويؤذى المشاعر ، من بهيمية منحطة ووحشية مرعبة .. وكان ما تنقله الصحف ممـا يدور فى جلسـات هـذه القضـية يثير الذعـر والاشمئزاز فى نفس كل مصرى ومصرية .. وتمنى الشعب كله ان لو استطاع

القضاء أن يخلص الانسانية من هذا الوحش الكاسر الدنىء ٠٠ وطالب الاستاذ أنور حبيب وكيل النيابة فى مرافعته برقبة المتهم فجاء طلبه مترجما لشعور الناس جميعا فى أنحاء البلاد ٠

ولكن الحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات برياسة أحمد الخازندار بك كان صدمة لمشاعر الناس ، فقد أصدرت المحكمة فى ١٢ مارس ١٩٤٧ حكمها على سفاح الاسكندرية بسبع سنوات من الاشغال الشاقة ، تلقاها المتهم ـ كما جاء بالصحف فى ذلك الوقت ـ بالابتسام بعد أن كان واجما ٠

تبين أن هذين الشابين حتقا على رئيس المحكمة أن لا يراعى فى حكمه الدوافع الوطنية النبيلة فى القضية الاولى ، وأن يساوى بينها وبين الدوافع القذرة الاثيمة فى القضية الثانية ، فأقدما على ما أقدما عليه ٠

كانت هذه الجريمة فى ذاتها ـ مع كل ما قيل فيها من اعتبارات وظروف ـ جريمة شائنة ، ولكنها بالنسبة للاخوان المسلمين ـ وهم متقيدون بالمثل الاسلامية العليا ـ كانت صدمة قاسية ، وكارثة اليمة ٠٠٠ وما كان الاخوان فى ذلك الوقت يملكون ازاءها أكثر من أن يعلنوا استنكارهم أشد استنكار ، وتبرؤهم منها ومن مرتكبيها ٠

ومع أن محاكمة الشابين أثبتت أنهما لم يستوحيا اقدامهما على الجريمة من أية جهة غير تصورهما الشخصى ، ومع أن الفحص الطبى أثبت أن بهما لوثة من الجنون ، وأصدرت المحكمة بناء على ذلك حكمها عليهما بالاشغال الشاقة المؤبدة دون الاعدام ٠٠٠ مع كل هذا فان هذه الجريمة تركت أثرها فى نفوس الرأى العام بأن كل ذلك لم يكن كافيا لابراء ذمة دعوة هى فى نظر الناس أطهر من ماء السماء ٠٠٠ وليس معنى هذا أن الرأى العام قد وصم الاخوان بهذه الجريمة ، أو اعتقد أن لهم فيها يدا ، وانما كان يتمنى أن لا يكون مرتكبا هذه الجريمة قد انتسبا الى هذه الدعوة فى يوم من الايام٠٠ وكما أن هذا الشعور كان شعور الرأى العام فانه أيضا كان شعور الاخوان انفسهم لا سيما الاستاذ الامام ، الذى دفعه هذا الشعور الى اعداد العدة لاعادة النظر فى صفوف المنتسبين الى الدعوة ٠٠٠ ولولا معاجلة الاحداث له لنفذ الخطة التى أعدها لذلك ، وان كان المسئولون عن الدعوة من بعده قد وضعوا خطته هذه موضع التنفيذ ٠٠ مما يأتى بيانه فى فصول قادمة ان شاء الله ٠

هذا بيان موجز غاية الايجاز عن هذه القضية كان لابد من تقديمه قبل الحديث عن موضوع هذا الفصل ـ فان هذه القضية ـ وان لم تكن من قضايا

الاخوان ـ الا أنها كانت من ابعد القضايا اثرا فى دعوة الاخوان المسلمين بحيث انجهت بها اتجاها خاصا ، وشكلتها بتشكيل معين ٠

● أهم القضايا المسماة بقضايا الاخوان :

ثم نرجع الى ما كنا بصدده مما تمخضت عنه جهود حكومة عبد الهادى، اذ تمخضت عن عدد وافر من القضايا أهمها هذه الخمس :

١ ـ قضية اغتيال النقراشى ٠

٢ ـ قضية محاولة نسف محكمة الاستئناف ٠

٣ ـ قضية السيارة الجيب ٠

٤ ـ قضية محاولة اغتيال حامد جوده (رئيس مجلس النواب) ٠

٥ ـ قضية الاوكار ٠

وكل هذه القضايا وقعت أحداثها فى عهد عبد الهادى ماعدا قضية السيارة الجيب فقد وقعت أحداثها فى عهد النقراشى ٠٠ وقد تعارف الناس كما تعارفت الصحافة على تسمية هذه القضايا الخمس بقضايا الاخوان ٠٠ وقد استغرق نظر هذه القضايا الفترة الزمنية ما بين أيام عبد الهادى سنة ١٩٤٩ حتى بعد قيام الثورة الى عام ١٩٥٤ حيث لم يكن القضاء قد أنهى بعد نظر قضيتى حامد جوده والاوكار ـ أما القضايا الثلاث الاخرى فقد صدر حكم قضائى عسكرى فى اثنين منها وهما قضية اغتيال النقراشى وقضية محاولة نسف محكمة الاستئناف فى عهد وزارة عبد الهادى ٠٠ أما القضية الباقية وهى قضية السيارة الجيب فقد نقلت من القضاء العسكرى بعد أن نظرها حينا الى القضاء العادى حيث ألغيت الاحكام العرفية ، وأصدر القضاء حكمه فيها فى عهد وزارة الوفد سنة ١٩٥١ ٠

وفى معالجتنا لموضوع المحاكمات لن نقصد الى تناول هذه القضايا تناولا موضوعيا مفصلا ، وانما سوف نقتصر فى هذا التناول على النواحى الشكلية منها ٠٠ تلك النواحى التى جعلت من هذه القضايا بدلا من أن تكون محاكمة لافراد على تهم وجهت اليهم ٠٠ جعلت منها محاكمة تاريخية لعهد ، ولاسلوب حكم ، ولفترة مظلمة من حياة هذه البلاد ٠

ولهذا فقد حشدت حكومات ذلك العهد كل ما تملك من قوة ومال وسلطة وبطش ، وفرغت المسئولين فيها فى جميع المواقع لجمع العناصر التى لا بد من جمعها لخلق هذه القضايا وتكوينها ٠٠ وكانت غايتها من وراء ذلك أن تجد بين

يديها آخر الامر من أحكام القضاء ما يدفع الاخوان المسلمين بالجريمة ، فيكون هذا الدفع القضائى مبررا لما اتخذته ضدهم من اجراءات انتقامية شاذة فاجرة ٠٠ ويكون فى هذا الاجهاز التام على الجريح المثخن بالجراح ولكنه لا يزال يغالب الموت ٠

ومع أن معالجتنا لهذه المحاكمات هى على النحو الذى بيناه ، فاننا مطالبون مع ذلك بأن نضع بين يدى القارىء فكرة موجزة عن كل واحدة من هذه القضايا حتى يساير الحديث الذى نسوقه بعد ذلك فيما يتصل بها ان شاء الله ٠

نبذة موجزة عن هذه القضايا

١ ـ قضية اغتيال النقراشى :

وقعت هذه الجريمة فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، وقبض فيها على الجانى عبد المجيد أحمد حسن الطالب بكلية الطب البيطرى ٠٠٠ وحسب هذه القضية ما كتبناه فى الفصول الاولى من هذا الجزء من الكتاب ، فقد أطلنا الحديث فيها عن ظروف هذه الجريمة وأسبابها ودواعيها وعن المسئول الحقيقى عن وقوعها ـ كما أشرنا الى « بيان للناس » الذى أخذوه من الاستاذ الامام بدعوى أنه وسيلة لتحسين العلاقات بين الاخوان والحكومة ، ولكنهم استعملوه لزلزلة عقيدة المتهم فى هذه القضية ٠٠ وقد تزلزلت عقيدته فعلا فبعد أن اعترف بأنه أقدم على هذه الجريمة من تلقاء نفسه تراجع وأخذ يتهم آخرين بالتأثير عليه ٠

● قرار الاتهام :

وكان محمود منصور بك فى ذلك الوقت هو النائب العام ، وكان من المتفانين فى خدمة أغراض الطغمة الحاكمة ، حتى انه كان يريد ضم جميع قضايا الاخوان فى قضية واحدة ، وتقديمها الى القضاء العسكرى ٠٠ ولكن نظرا لطول التحقيق وكثرة عدد المتهمين ، مما يحتاج الى وقت طويل فى النسخ والاطلاع والاستعداد ، فقد رأوا أن الوقت لا يتسع لنظر هذه القضية فى العام القضائى الحالى الذى ينتهى فى منتصف يونيه ـ وان كان هذا لا يمنع من نظرها خلال العطلة ، على اعتبار أن القضايا العسكرية من القضايا التى تنظر على وجه الاستعجال ، فلا تحول العطلة القضائية دون نظرها ـ ولكن رئى اخيرا ـ لتعذر تنفيذ هذه الخطة ـ العدول عنها ٠

واكتفى النائب العام بعد ذلك بضم بعض المتهمين فى قضية السيارة الجيب وقضية حامد جوده الى المتهمين فى قضية اغتيال النقراشى ، ووضع تقرير الاتهام فى هذه القضـية فى ٨ مايو ١٩٤٩ ، وجعـل المتهمين فيها ٢٤ متهما ، منهم خمسة متهمون بالاشتراك فى قتل النقراشى ، والتسعة عشر الباقون متهمون بالاتفاق الجنائى مع الخمسة للاستيلاء على الحكم بالقوة .
وأصدر قرار الاتهام على الصورة الآتية :

١ ـ عبد المجيد أحمد حسن سن ٢٢ سنة
طالب بكلية الطب البيطرى بسجن الاجانب

٢ ـ السيد فايز عبد المطلب سن ٢٩ سنة
مهندس ومقاول مبانى بسجن مصر

٣ ـ محمد مالك يوسف محمد مالك ـ موظف بمطار القاهرة هارب

٤ ـ عاطف عطية حلمى سن ٢٥ سنة
طالب بكلية الطب بسجن مصر

٥ ـ سيد سابق محمد التهامى سن ٢٤ سنة
مقرىء دلائل بسجن مصر

٦ ـ أحمد عادل كمال سن ٢٣ سنة
موظف بالبنك الاهلى بسجن مصر

٧ ـ طاهر عماد الدين سن ٢٥ سنة
مهندس بشركة كوكينوس بسجن مصر

٨ ـ ابراهيم محمود على سن ٣٠ سنة ترزى بسجن مصر

٩ ـ مصطفى كمال عبد المجيد أيوب سن ٢٦ سنة
ميكانيكى بسجن الاجانب

١٠ـ مصطفى مشهور مشهور سن ٢٧ سنة
مهندس بالارصاد الجوية بسجن مصر

١١ـ محمود السيد خليل الصباغ سن ٢٨ سنة
مهندس بالارصاد الجوية بسجن مصر

١٢ـ أحمد زكى حسن . سن ٢٥ سنة
مدرس بمدرسة الجيزة الابتدائية بسجن مصر

١٣ـ أحمد محمد حسنين ٢٨ سنة
مراقب حسابات شركة المعادن بسجن مصر

١٤ـ محمد فرغلى النخيلى سن ٢٩ سنة
تاجـر معادن بسجن مصر

١٥ـ عبد الرحمن على فراج السندى سن ٣٢ سنة
موظف بوزارة الزراعة بسجن مصر
١٦ـ محمد حسنى أحمد عبد الباقى سن ٣٣ سنة
عضو مجلس مديرية الجيزة بسجن مصر
١٧ـ أحمد قدرى البهى الحارتى سن ٢١ سنة
مهندس بمصلحة الطيران المدنى بسجن مصر
١٨ـ محمد بكر سليمان سن ٢٦ سنة
نساج بشركة النيل للمنسوجات بسجن مصر
١٩ـ أسعد السيد أحمد سن ٢٦ سنة
ميكانيكى بسجن مصر
٢٠ـ محمد سعد الدين السنانيرى سن ٢٨ سنة
مقاول نقل بسجن مصر
٢١ـ على محمد حسنين سن ٢٧ سنة
قوموسيونجى بسجن مصر
٢٢ـ سعد محمد جبر سن ٢٨ سنة
مهندس لاسلكى بسجن مصر
٢٣ـ محمد محمد فرغلى سن ٤٢ سنة
واعظ الاسماعيلية بسجن مصر
٢٤ـ محمد ابراهيم سويلم سن ٢٢ سنة
فلاح بسجن مصر

الاول متهم بقتل النقراشى باشا والاربعة التالون اشتركوا معه بطريق الاتفاق والتحريض والمساعدة ، والجميع حتى ٢٤ متهمون بالاشتراك فى اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب الجنايات والجنح المذكورة بعد ، واتخاذها وسائل للوصول الى الاستيلاء على الحكم بالقوة ٠ واتحدت ارادتهم على الاعمال المسهلة والمجهزة لارتكابها ٠٠ وهذه الجرائم هى :

١ ـ قلب وتغيير دستور الدولة وشكل الحكومة بواسطة عصابات مسلحة ٠٠ المادتين ٨٧ ، ٨٨ عقوبات ٠

٢ ـ اتلاف سيارات وأسلحة الجيش المصرى المعدة للدفاع عن البلاد ، الامر المنطبق عليه المادة ٨١ عقوبات ٠

٣ ـ تخريب المنشآت الحكومية وأقسام ومراكز البوليس ومحطات الاضاءة والمياه وغيرها ـ المادة ٩٠ عقوبات ٠

٤ — قتل عدد كبير من المصريين والاجانب المبينة اسماؤهم بالكشف المرفق عمدا مع سبق الاصرار والترصد ، مما ينطبق عليه المواد ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ عقوبات ·

٥ — تعريض أموال الناس وحياتهم عمدا للخطر باستعمال القنابل والمفرقعات في عدد من السفارات والقنصليات الاجنبية وغيرها من الاماكن العامة والخاصة المأهولة بالسكان والمبينة بالكشف — المادة ٢٥٨ عقوبات

٦ — تعطيل وسائل النقل العامه بنسف قطارات السكة الحديديه وجسورها وخطوطها ونسف الطرق والكبارى العامة وسيارات الاوتوبيس، وتعطيل القوى الكهربائية المولدة لحركة الترام — المادة ١٦٧ عقوبات ·

٧ — اتلاف الخطوط التلغرافية والتليفونية الحكومية عمدا في زمن فتنة ، بقطع أسلاكها وقوائمها ونسف أدواتها — المادتين ١٦٥ ، ١٦٦ عقوبات ·

٨ — سرقة البنك الاهلى وبعض المحال التجارية بطريق الاكراه ، باقتحامها بأشخاص مسلحين ·

٩ — اتلاف مبانى شركة قنال السويس ·

١٠ — قتل خيول البوليس عمدا ·

١١ — اقامة واستعمال محطات اذاعة سرية ·

ثم طلبت النيابة بناء على مواد الاحكام العرفية احالة القضية الى المحكمة العسكرية ·

● **قائمة الشهود :**

طائفة للشهادة في حادث قتل النقراشى باشا ، والطائفة الثانية عن حادث ضبط السيارة الجيب · والثالثة عن ضبط حافظة جلدية مع المتهم مصطفى مشهور وبها باقى اوراق الجماعة ، والرابعة عن ضبط محطة الاذاعة ، والخامسة عن ضبط اسلحة ومفرقعات في دكان السنانيرى بمصر القديمة ، والسادسة عن ضبط اسلحة ومفرقعات وأوراق الجماعة الارهابية في مزرعة الشيخ محمد محمد فرغلى بالاسماعيلية ·

كما وجدت اوراق لتكوين جماعة لغرض التجسس على جميع الاحزاب السياسية وغيرها من الهيئات كالبوليس السياسى ونقابات العمال وحزب العمال الاشتراكى ·

وقد بلغت ملفات التحقيق الفى صفحة • وتولى التحقيق فيها محمود منصور باشا – الذى استحق أن ينعم عليه بالباشوية – ومعه كبار رجال النيابة – وتنظر القضية فى دورة يوليو ويترافع فيها محمود منصور باشا بنفسه •

ومعذرة الى القارىء ، فقد أتعبت نفسى بنقل كل هذه البنود ، ولابد أنه قد أرهق أيضا بقراءتها ، ولكنى تحملت واياه هذه المشقة مرة واحدة ، لاعفيه من قراءتها مرات بعدد القضايا • فان هذه البنود التى تفتق عنها ذهن موظف النيابة الذى وكل اليه أمر اختراعها هى التى تضمنتها قرارات الاتهام فى جميع القضايا •• ولقد كان مؤسفا ، وسنة سيئة ، اقتفت أثرها الحكومات التى جاءت بعد ذلك حين أرادت أن تنكل بخصومها السياسيين•

وأحيلت هذه القضية الى القضاء العسكرى أمام دائرة عسكرية عليا برياسة محمد مختار عبد الله بك وعضوية غالب عطية بك ومحمد عبد العزيز كامل بك واثنين من العسكريين ، ومثل النيابة الاستاذ محمد عبد السلام•

طلب رد رئيس المحكمة :

وقد تقدم المتهمان السابع السيد فايز والخامس عشر محمد نـايل طالبين رد رئيس المحكمة •• فتنحى مؤقتا ونظر أسباب الرد العضوان الاخران فى حجرة المداولة • وبعد ساعتين نطقت الهيئة برفض طلب الرد •

وأخذ الدفاع على رئيس المحكمة أنه قام بدور قاضى التحقيق فى هذه القضية مما يبطل هذا التحقيق ، ولكنه رفض رأى الدفاع وأصر على مواصلة نظر القضية •• وكان لهذا الرجل مواقف غريبة فى أثناء نظر هذه القضية سنشير اليها فى موضعها ان شاء الله •

وقد استمعت المحكمة فيمن استمعت اليهم من الشهود الى عبد الرحمن عمار •• وقد ناقشة الدفاع فى مذكرة الحل التى كان قد أعدها •• والقى مرافعة النيابة محمد عزمى بك النائب العام فى ذلك الوقت ، حيث سقطت فى خلال هذه الفترة فجاة وزارة عبد الهادى ، فلم يعد لمحمود منصور مكان فى الحكومة الجديدة التى أرادت أن تظهر للشعب بمظهر المطهر •

وبدأت جلسات هذه القضية فى ٢٧–٨–١٩٤٩ وكانت آخر جلساتها فى ٢٥–٩–١٩٤٩ • ومعنى هذا أنها لم تستغرق الا اقل من شهر • وصدر الحكم فيها فى ٩–١٠–١٩٤٩ باعدام المتهم الاول وبأحكام دون ذلك لبقية المتهمين ومنها البراءة لبعضهم •

٢ ـ قضية محاولة نسف محكمة الاستئناف :

وهى تعتبر ملحقة بالقضية السابقة لانها مرتبطة بها فى ظروفها ودواعيها التى وضحناها من قبل • وقد وقعت هذه المحاولة فى ١٢ـ١ـ١٩٤٩ والمتهم فيها هو شفيق ابراهيم أنس سنه ٢٢ سنة يعمل موظفا فى ارشيف وزارة الزراعة •• وقد أراد أن ينسف المحكمة انتقاما لما كان يجرى بين جدرانها من تزييف وتلفيق واكراه وتعذيب لاخوانه •• على أن احدا لم يصب والحمد لله •

وقد نظرت هذه القضية امام نفس المحكمة التى نظرت قضية اغتيال النقراشى • وكان ممثل الاتهام فيها هو محمد كامل القاويش •• ولم تستغرق المحاكمة الا اياما قليلة صدر بعدها الحكم على المتهم بالاشغال الشاقة المؤبدة •

٣ ـ قضية السيارة الجيب :

فى يوم ٢١ـ١١ـ١٩٤٨ نشرت الصحف نبأ اذاعته وزارة الداخلية يقول : انه قد تم ضبط سيارة جيب بها كميات كبيرة جدا من المتفجرات الخطرة والاوراق فى دائرة قسم الوايلى أمام أحد المنازل • وتبين أن راكبى السيارة الذين جروا وقبض عليهم من جماعة الاخوان المسلمين •

وفى ٢٥ـ٩ـ١٩٤٩ وضع النائب العام محمد عزمى بك تقرير الاتهام فى هذه القضية ، فقدم ٣٢ متهما بتهمة الاتفاق الجنائى على قلب نظام الحكم ـ ولا داعى لإعادة اثبات البنود الاحد عشر التى دابت النيابة على رصها رصا فى هذه القضايا أمام القضاء ـ أما المتهمون فهم :

١ ـ عبد الرحمن على السندى	٣٢ سنة	موظف بوزارة الزراعة
٢ ـ مصطفى مشهور	٢٧ سنة	مهندس بالارصاد الجوية
٣ ـ محمود الصباغ	٢٨ سنة	مهندس بالارصاد الجوية
٤ ـ احمد زكى حسن	٢٥ سنة	مدرس ابتدائى
٥ ـ أحمد محمد حسنين	٢٨ سنة	مراقب حسابات شركة المعادن
٦ ـ محمد فرغلى النخيلى	٢٩ سنة	تاجر معادن
٧ ـ أحمد قدرى الحارتى	٢١ سنة	مهندس بالطيران المدنى
ـ محمد حسنى عبد الباقى	٣٣ سنة	عضو مجلس مديرية الجيزة
٩ ـ احمد متولى حجازى	٢٩ سنة	تاجر راديو
١٠ـ السيد فايز عبد المطلب	٢٩ سنة	مهندس ومقاول مبانى

١١- احمد عادل كمال	٢٣ سنة	موظف بالبنك الاهلى
١٢- طاهر عماد الدين	٢٥ سنة	مهندس
١٣- ابراهيم محمود على	٣٠ سنة	ترزى
١٤- دكتور أحمد الملط	٣٢ سنة	طبيب بوزارة الصحة
١٥- جمال الدين فوزى	٣٩ سنة	موظف بالبريد
١٦- محمود حلمى فرغلى	٢٧ سنة	موظف بالداخلية
١٧- محمد أحمد على	٢٥ سنة	موظف بالاشغال
١٨- عبد الرحمن عثمان	٢٢ سنة	طالب حقوق
١٩- السيد اسماعيل شلبى	٤٤ سنة	تاجر
٢٠- أسعد السيد أحمد	٢٦ سنة	ميكانيكى
٢١- محمد بكر سليمان	٢٦ سنة	نساج
٢٢- صلاح الدين عبد المتعال	١٨ سنة	طالب ثانوى
٢٣ - جمال الدين الشامى	٢٦ سنة	مهندس رى
٢٤- جلال الدين ياسين	٢٤ سنة	موظف وطالب بالتجارة
٢٥- محمد الطاهر حجازى	٢٤ سنة	طالب بالزراعة
٢٦- عبد العزيز البقلى	٢٤ سنة	ترزى
٢٧- كمال القزاز	٢٧ سنة	نجار
٢٨ محمد سعد الدين الستانيرى	٢٧ سنة	مقاول نقل
٢٩- على حسنين الحريرى	٢٧ سنة	قومومسيونجى
٣٠- محمد محمد فرغلى	٤٢ سنة	واعظ بالاسماعيلية
٣١- محمد ابراهيم سويلم	٢٢ سنة	فلاح بالاسماعيلية
٣٢- سليمان مصطفى عيسى	٢٣ سنة	فلاح بالاسماعيلية

وجاء فى ملاحظات النيابة على هذه القضية وجود رسم حارة اليهود ورسم للسفارتين الامريكية والبريطانية وتقرير عن حسن رفعت باشا (يبدو أنه كان الاستاذ الاعظم للماسونية فى ذلك الوقت) ومحل اقامته والاشخاص الذين يترددون عليه والامكنة التى يتردد هو عليها ، وتقرير عن نسف مصنع النيل للمنسوجات بشبرا ٠٠ وقد قرر المتهم محمد بكر سليمان أنه حرر هذه الاوراق بخطه ، وزعم أنه حررها من نسج الخيال لتحسين خطه ٠

والملحوظة الاخيرة هى انه ضبط فى دار المركز العام للاخوان المسلمين مشروع اعترف المتهم سليمان مصطفى عيسى بانه حرره ، وجاء فيه انه يقترح أن يكون هذا النظام جمهوريا اشتراكيا ، وأن ينتخب رئيس الجمهورية لمدى الحياة ٠

وقد احيلت القضية الى دائرة جنائية عسكرية عليا ٠ ولما رفعت الاحكام العرفية أحيلت الى دائرة جنايات عادية برياسة أحمد كامل بك وعضوية محمد عبد اللطيف بك وزكى شرف بك ٠ ومثل النيابة محمد عبد السلام بك ٠٠ وعقدت هذه المحكمة لنظر هذه القضية جلسات متوالية ٠ وكانت أول جلسة لنظرها فى هذه الدائرة يوم ٢-١٢-١٩٥٠ ٠

وقد استدعت المحكمة بناء على طلب الدفاع فى هذه القضية ابراهيم عبد الهادى واستجوبته باعتباره شاهدا ، كما استدعت كثيرين من كبار رجال الدولة وقواد الجيش ومن كبار رجالات العرب ٠

وفى أثناء نظر هذه القضية قام الاستاذ شمس الدين الشناوى - أحد أفراد هيئة الدفاع - بتقديم الوثيقة التى أشرنا اليها فى فصل سابق ، فكانت مفاجأة اهتزت لها الاوساط البريطانية والدوائر السياسية ٠٠٠ وفى أثناء نظر هذه القضية تكشفت أسرار كثيرة داخلية وخارجية ٠

وكانت آخر جلسة لهذه القضية فى ٢٦-٢-١٩٥١ ٠ وتقرر النطق بالحكم يوم ١٧ مارس ١٩٥١ ، وبذلك يكون نظر هذه القضية قد استغرق أمام هذه الدائرة نحو ثلاثة أشهر ونصف شهر ٠

وكان للحكم الذى أصدرته هذه المحكمة فى هذه القضية ، ولحيثيات هذا الحكم ، دوى كبير فى الاوساط القانونية والاوساط السياسية فى مصر وفى خارج مصر ٠

٤ - قضية محاولة الاعتداء على حامد جوده :

رؤى فى أول الامر نظر هذه القضية وحدها ٠ ونظرت عدة جلسات منها فعلا امام محكمة عسكرية عليا - ولم يكن المقصود من هذا الحادث الذى وقع فى ٦ مايو ١٩٤٩ هو حامد جودة ، بل كان المقصود هو ابراهيم عبد الهادى ، ولكن هذا تخلف عن موعده ، ومر حامد جوده فالقيت على سيارته قنبلة وهو يمر عند جامع عمرو ، ولكنها لم تصبه ٠

وقدمت النيابة عشرة متهمين فى هذه القضية الى القضاء العسكرى وهم:

١ - مصطفى كمال عبد المجيد (ميكانيكى)

٢ ـ محمد نجيب جويفل (طالب)
٣ ـ عبد الفتاح ثروت (راصد جوى)
٤ ـ فتحى محمد علام (طالب)
٥ ـ سمير جلال شهبندر
٦ ـ مصطفى محمد الجابرى
٧ ـ عبد الكريم محمد السيد (عامل)
٨ ـ محمد شحاته عبد الجواد (طباع)
٩ ـ سعيد جلال شهبندر (طالب)
١٠ـ على صديق السيد فراج (طالب)

والمحكمة العسكرية العليا التى نظرت هذه القضية فى أول الامر كانت برياسة رياض رزق الله بك وعضوية عبده المليجى بك وقطب عمر بك واثنين من العسكريين ٠٠ ثم أحيلت الى دائرة عسكريه أخرى برياسة مرسى فرحات بك وعضوية محمود صبرى بك وعبد الرحمن جنينة بك واثنين من العسكريين ٠

وقد ظلت هذه القضية تنظر أمام هذه الهيئة حتى جاءت وزارة الوفد وأسندت وزارة التموين الى مرسى فرحات بك فاجلت جلساتها ٠ ولما رفعت الاحكام العرفية أحيلت الى دائرة جنائية غير عسكرية برياسة حسين طنطاوى بك ٠٠ وفى الجلسة الرابعة لهذه الدائرة وافقت المحكمة على ضم هذه القضية الى قضية الاوكار واعتبارهما قضية واحدة ٠٠ وسمعت هذه الدائرة الاستاذ حامد جوده باعتباره شاهدا ٠

وفى أثناء نظر هذه القضية أمام المحكمة العسكرية الثانيه وافقت المحكمة على طلب للدفاع بضم ملف قضية اغتيال الاستاذ الامام حسن البناء فكان هذا هو أول تحريك لهذه القضية ٠

٥ ـ قضية الاوكار :

هى قضية حشروا فيها كل من أرادوا حشره من الاخوان ـ الخطرين فى نظرهم ـ وأسندوا اليهم تهما باتخاذهم أوكارا جمعوا فيها أسلحة وذخائر ومحطات اذاعة لقلب نظام الحكم ٠٠ وقد ضمت هذه القضية أكبر عدد من المتهمين حيث بلغ عددهم خمسين متهما وهم العشرة المتهمون فى قضية حامد جوده ، مضافا اليهم من يأتى :

١١ ـ حلمى محمد الفيومى

١٢ ـ حسين حامد عوده

١٣ ـ محمد محمود دعبس

١٤ ـ فؤاد أحمد الصادق

١٥ ـ عبد الفتاح اسماعيل علم الدين

١٦ ـ دسوقى ابراهيم ضيف

١٧ ـ محمد عبد الحكيم عبد العليم

١٨ ـ صلاح الدين أحمد على ٠

١٩ ـ ابراهيم عامر محمد

٢٠ ـ محمد حلمى الكاشف

٢١ ـ اسماعيل على السيد

٢٢ ـ جمال الدين عطية محمد

٢٣ ـ وائل محمد زكى شاهين

٢٤ ـ مختار حسين ابراهيم

٢٥ ـ محمود على حطيبة

٢٦ ـ حسن أحمد يوسف

٢٧ ـ يوسف عبد المعطى شرك

٢٨ ـ ابراهيم أحمد محرم

٢٩ ـ محمد طه عبد النبى

٣٠ ـ عبد الفتاح محمد شوقى

٣١ ـ أحمد على يوسف

٣٢ ـ كمال عبد المجيد مرسى

٣٣ ـ حسن يوسف طويلة

٣٤ ـ مصطفى أمين البطاوى

٣٥ ـ محمد جلال ابراهيم سعده

٣٦ ـ صالح محمد محمد انجبايى

٣٧ ـ يحيى أمين البطاوى

٣٨ ـ مصطفى محمد محمود البساطى

٣٩ ـ سعد محمد جبر التميمى

٤٠ ـ محمد عبد العزيز على خالد

٤١ ـ محمد عبد المتعال محمد مدنى

٤٢ ـ محمد نايل محمود ابراهيم

٤٣ ـ محمود يونس الشربينى

٤٤ ـ عز الدين ابراهيم

٤٥ ـ عصام الدين حامد الشربينى

٤٦ ـ يوسف على يوسف

٤٧ ـ أحمد محمد البساطى

٤٨ ـ أحمد نجيب الفوال

٤٩ ـ بيومى مرسى جعفر

٥٠ ـ على أحمد رياض

وجاء فى تقرير النيابة أن هؤلاء المتهمين قد قبض عليهم فى أوكار : وكر روض الفرج ووكر شبرا ووكر شارع السنحوبى ووكر آخر بروض الفرج ووكر الجيزة · وعثروا فى هذه الاوكار على محطة اذاعة واسلحة وذخيرة · واتهمتهم النيابة باتفاق جنائى لمحاولة قتل ابراهيم عبد الهادى ·

ومن هؤلاء الخمسين متهما أربعة افلتوا من أيدى البوليس السياسى وتمكنوا من الهرب الى ليبيا وهم : محمود يونس الشربينى وعز الدين ابراهيم ويوسف على وسف ومحمد جلال سعده ···

وقد قبض البوليس بعد نحو شهر فى الاسكندرية على أحدهم وهو يوسف على يوسف ـ أما الثلاثة الآخرون فقد تمكنوا من الفرار الى ليبيا قبل القبض عليهم · وقد نشرت الصحف صورهم بامر الطغمة الحاكمة ، وطالبت الطغمة حكومة ليبيا بتسليمهم مهددة بقطع العلاقات اذا لم يسلموا، ولكن عاهل ليبيا الملك ادريس السنوسى رفض تسليمهم ، فكان موقفا اسلاميا بطوليا لهذا الرجل العظيم ·

وهذه القضية ـ قضية الاوكار ـ هى التى اغتال البوليس السياسى فى أثناء تتبع الاخوان فيها الاخ الشهيد أحمد شرف الدين باحد منازل حى روض الفرج ·

ولما ضمت هذه القضية وقضية محاولة اغتيال حامد جودة فى قضية

واحدة أمام الدائرة التى يرأسها حسين طنطاوى بك ، وافقت هذه الدائرة ـ بناء على الحاح الدفاع ـ على تحقيق التعذيب ٠٠٠ وجاء ذكر « العسكرى الاسود » فى سياق ما ذكره المتهمون من ألوان التعذيب التى كانوا يسامونها مما نبسط الحديث عنه فى صفحات قادمة ان شاء الله ٠٠٠ وقد افتضحت أساليب التعذيب فى أثناء نظر هذه القضية بحيث صارت جريمة ثابتة بالادلة المادية ٠

وهنا وفى جلسة يوم ٩ـ٦ـ١٩٥١ طالب الدفاع بالاجماع المحكمة بأن تفصل أولا فى بطلان الاجراءات نظرا لما سمعته من شهادات قاطعة بحدوث التعذيب واشتراك النيابة فى تزوير القضية ٠ وأصر الدفاع باجماع أعضائه على هذا الطلب ٠٠ ثم عقدت الجلسة وقام رئيس المحكمة وهو فى حالة نفسية تستدعى النظر وقرر تأجيل القضية لدور مقبل ، بعد ان اتهم الدفاع بوضع العراقيل أمام المحكمة ٠

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩٥١ عقدت المحكمة جلسة قررت فيها الافراج عن ٢٥ منهما وهم : سمير جلال شهبندر ومصطفى الجابرى وسعيد شاهبندر وعلى صديق والمتهمين أرقام ١٢ و١٣ و١٩ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٦ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٥ و٤٧ ـ وكان قد أفرج من قبل عن ستة من المتهمين ٠ واستمر حبس ١٩ متهما هم الباقون ٠ وأجلت القضية الى دور مقبل ٠٠ وظلت القضية معلقة حتى اول أكتوبر ١٩٥٤ حيث تقرر اعادة عرضها من جديد على محكمة الجنايات ٠

وكان هذا هو السبب فى ان هذه القضية لم تتم جلساتها ولم يصدر فيها حكم حتى قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

هيئات الدفاع

فى قضية السيارة الجيب : المحامون الاساتذة : (مرتبون حسب ترتيب المتهمين) :

محمود كامل   احمد رشدى بك   عبده ابو شقة   حسن الجداوى
على منصور   ابراهيم رياض   فتحى رضوان   الدكتور عزيز فهمى
زكى عريبى   يوسف حلمى   فهمى ابو غدير   عبد المجيد نافع
فهمى القلعاوى   مختار عبد العليم   على حسين بك   على بدوى بك
شمس الدين الشناوى   الدكتور مصطفى القللى بك   صلاح توفيق
جمال عبد الفتاح   طاهر الخشاب   محمد السمارى   اسماعيل وهبى
حسن العشماوى   حنفى عبود   هنرى فارس

فى قضية الاوكار وجودة : المحامون الاساتذة : (بحسب ترتيب المتهمين أيضا)

عبد المجيد نافع عبد الفتاح حسن أحمد حسين مختار عبد العليم
عمر التلمسانى طاهر الخشاب عبد الرحمن الوكيل الدكتور عزيزفهمى
جلال شاهين فتحى رضوان سامى عازر جبران زكى البهنيهى بك
شمس الدين الشناوى أحمد السادة سمير حيدر

أما القضيتان الاخريان فكانت هيئة الدفاع فيهما بعض أفراد هاتين الهيئتين مضافا اليهم فى قضية النقراشى محامون آخرون منهم الاساتذة محمود سليمان غنام وحنا أنطون وعطية البقلى ٠

علما بأن هيئات الدفاع فى هذه القضايا قد ضمت أعظم المحامين واكبر رجال القانون فى مصر فى تلك الايام ٠

الفصل الثالث

معالم فى هذه القضايا

ان القضايا التى استغرق نظرها امام القضاء زهاء أربعة أعوام ، وملأت محاضرها عشرات الآلاف من الصفحات ، وتشعبت فى كل اتجاه .. ليس من اليسير الاحاطة بكل ما دار فيها ، ولا الالمام بكل ما تشعب منها ، ولكننا نحاول فى هذا الفصل ان شاء الله التقاط عدة صور لابرز المواقف فى هذه القضايا ، بحيث يستطيع القارىء اذا هو أنعم النظر فى هذه الصور أن تكون له رؤية واضحة لهذه القضايا .

ولا يخفى على القارىء ان هذه المحاكمات قد بدأت والمسئولون فى الدولة ينظرون الى الافكار التى حاكموا عليها هذه المجموعة من الشباب على انها هى الكفر بعينه ، وهى الخبل والعته والجنون . وتعاقبت على هذه النظرة فى هذه المحاكمات خمس حكومات مصرية .. وتابع الشعب هؤلاء المسئولين فى نظرتهم ردحا من الزمن ، ولكن المحاكمات نفسها - بما دار فيها وبما تكشف فى أثنائها - أخذت كل يوم تغير من نظرة الشعب .. فما كادت تنتهى المحاكمات حتى كان الشعب قد اقتنع تمام الاقتناع بانه كان مضللا .. وحينئذ قام مع الجيش يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتحقيق الافكار التى حوكم من اجلها هؤلاء المتهمون ، والتى طالما تهكم عليها حكام البلاد.. وهكذا كانت هذه القضايا وما تكشف عنها من أفكار وبطولات وفدائية ووعى جديد نتيجة تكوين وتربية استمرت عشرين عاما .. كانت تمهيدا لا بد منه لاعداد الشعب للقيام بالثورة وتغيير الاوضاع .

أولا - فى قضية النقراشى :

● رأى رئيس المحكمة فى القضية :

فى جلسة ٢٩-٨-١٩٤٩ جاء على لسان بعض المحامين أن هذه القضية قضية سياسية ، فاعترض رئيس المحكمة على ذلك وقال : ان هذه القضية ليست سياسية . فتصدى له الاستاذ أحمد حسين وقال : ان هذه القضية سياسية مائة فى المائة ، وانا اطلب سماع اقوال ابراهيم عبد الهادى وحامد جوده وعبد الرحمن عزام لكى ابرهن على أننى لست متعسفا ، وأقرر

اننى أريد أن أصل الى أكثر من أن شخصا قتل شخصا • وانى احمل ابراهيم عبد الهادى والآخرين نتيجة هذه الجريمة •

● تبجح عمار وانحياز رئيس المحكمة له :

فجلسة ٤-٩-١٩٤٩ استمعت المحكمة لشهود النفى ومنهم عبد الرحمن عمار • ومن أسئلة الدفاع له :

الدفاع – هل زارك الاستاذ البنا قبيل صدور أمر الحل بساعات ، وتحدث معك فى شأن اجتماع سفراء انجلترا وأمريكا وفرنسا فى ٦ ديسمبر الماضى ، وتقديمهم مذكرة بحل الاخوان ، وكان اجتماعهم فى فايد ؟

الرئيس – هل سفراء يجتمعون فى وسط الصحراء ؟ بلاش يا عمار بك الاجابة •

عمار – هذه المسألة فى مذكرة سرية طبعها الاخوان بعد الحل لكى يظهروا النقراشى بأنه خاضع للتأثير الاجنبى ، وهى واقعة لا ظل لها من الحقيقة •

الدفاع – لقد أوردت فى مذكرتك كثيرا من الحوادث منسوبة للاخوان ، مع حفظ التحقيق فيها أو صدور البراءة •• فكيف تفسر ذلك ؟

عمار – لم أكن مقيدا بالتصرفات القضائية التى تصدر فى القضايا سواء بالبراءة أو الادانة ، وانما كنت اذكر الوقائع التى تنطق بها التحقيقات ، لان لها دلالتها ومراميها ، فانا أتصرف فى هذا تصرف رجل الامن •

ولما واجهه الدفاع بأنه كان يحضر فى أثناء اجراء تحقيقات النيابة قال انه حضر بعض التحقيقات لينفذ ما تشير به النيابة العمومية من اجراءات • ونفى أنه شهد أو سمع أو اشترك فى حوادث تعذيب للمتهمين •

ولما واجهه الدفاع بأنه اورد فى مذكرته حادث مقتل طالب شبين الكوم رغم أن هذا الطالب هو القتيل وهو من الاخوان المسلمين ، فرد على ذلك بأنه أورد هذا الحادث فى مذكرته لان الاشتباك الذى نجم عنه الحادث كان الاخوان طرفا فيه •

وناقشه الاستاذ عبد الكريم منصور المحامى فيما أورده فى مذكرته من حادث اشتباك البوليس مع الجوالة وساله : الم تسمح ادارة الامن العام للاخوان باقامة حفلة فى نفس المكان الذى حدث فيه صدام الجوالة ترضية

لهم ؟ فقال عمار : لم يحصل .. ولو عرض على لرفضته . فقال الاستاذ عبد الكريم منصور : ولكن الحفل أقيم فعلا وأنا حضرته .

وتعليقا على شهادة عمار جاء فى مرافعة الاستاذ على منصور فى جلسة ١٤-٩-١٩٤٩ ما يلى :

« وما وقعت الجريمة حتى احتدمت النيران التى كانت تاكل صدور معظم رجال الادارة بالنسبة لهذه الجماعة . وظهر منها أمام المحكمة الروح التى ما استطاع كبير رجال الامن فى ذلك العهد وهو عبد الرحمن عمار أن يخفيها ، فقد اندفع ملكيا أكثر من الملك ، ممثلا حقدا هو بعض ما كان فى صدور أعوانه وأتباعه . ثم قال :

« ان النيابة صورت الاخوان فى الصورة التى ارتأتها فى نظرها ، وهى ادخال كل من مت لهذه الجماعة بصلة الى داخل نطاق هذه الصورة .. وفى امكان الدفاع أن يقارع قول النيابة فى تكييف الاطار الخاص بالاخوان بأن يستشهد بأقوال ذات كبراء البلد ووزرائها يوما فى الجماعة المكونة لهذا الاطار .. ولكنه (الدفاع) لا يقر مبدأ الجمع بين هذه القضية كقضية قتل مستقلة وبين غيرها حتى لا ينحدر الى مبدأ اخذ هؤلاء المتهمين كجماعة .

وهاجم على منصور قرار الحل فقال : نبتت الجريمة فى جو تمهيد الطعن فى جماعة الاخوان ، وجنى على رئيس الوزراء فى خلال ذلك سياسته ومريدوه . وأعقب الحادث تشريد وتشديد ، ثم تلت ذلك سلسلة من الوقائع والاجراءات التى تدور بين الترغيب والترهيب .

فلا يضار المتهمون بما يعزى اليهم من انتمائهم لجماعة الاخوان . ولا تثريب على هذه الحفنة من الشباب فى انضوائها تحت لواء جمعية آزرتها يوما الطبقات المختلفة فى البلد ، واحتضنها لفيف من الكبراء ذوى الرأى فينا .

حتى ان مذكرة الحل التى بنى عليها القرار الذى انهى شكل الجماعة استندت الى أمور كانت مبررة فى نظر ولاة الامور يوما ما ، وانتهت هذه الامور رسميا وقانونا بما يؤخذ للجماعة لا عليها ، وهو اكثر حجية مما لهذه المذكرة من حجية » .

● اين قتلة حسن البنا ؟

طالب الاستاذ احمد حسين بالتحقيق وكشف قتلة حسن البنا . والذين حاولوا قتل النحاس . وقال اننى اتهم السلطات بالتعصب الحزبى مقارنا

بين تتبعها قتلة النقراشى واغفالها ذلك فى النحاس وحسن البنا · وطالب باحضار عبد الهادى ومصطفى مرعى للشهادة لسؤالهما عن الظروف التى صدر فيها بيان الشيخ حسن البنا فى وقت كان كل من ينطق بكلمة يشتم منها رائحة النشاط للاخوان يرتكب جريمة · وقد كان البيان ثمرة مفاوضات طويلة متصلة بين الشيخ البنا وبين معالى مرعى بك وزير الدولة ، وكان أساسها أن يذيع الشيخ البنا هذا النداء تمهيدا للنظر فى اعادة الاخوان بعد ادخال اصلاحات على نظمهم ·

ولقد دهش الناس وقتئذ لصدور هذا البيان الذى يدل على قرب عودة المياه الى مجاريها بين البنا والحكومة ·· فلما سألت واحدا من كبار السعديين العاملين عن تفسير هذا البيان وهل هو مقدمة لعودة الاخوان ؟ اذا به يقهقه ساخرا ويقول : لقد غررنا بحسن البنا لنحصل منه على هذا البيان للتأثير به على عبد المجيد من ناحية وليكون مقدمة لما سيحل بعد ذلك بحسن البنا » ·

● شخصية حسن البنا :

وكان مسك الختام فى هذه القضية كلمة ختم بها الدكتور عزيز فهمى درافعته حيث قال :

« ولقد افترى على الشيخ حسن البنا كثيرون فى حياته ، وظلمه كثيرون بعد قتله · ولكنه كان مؤمنا برسالته الاسلامية ، ولم يكن له مطمع سوى تحقيقها · لذلك لم يحقد رحمه الله يوما على خصومه ، بل كان يتمثل بقول الرسول عليه الصلاة والسلام « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » ·

واغتاله المجرمون · وليس فى مصر من يجهلهم بعد أيام فى أكبر شارع من شوارع العاصمة ، ·· وخطف مشيعوه وأرسلوا الى الطور ·· وقيد الحادث ضد مجهول ·· وأصبح الصباح وليس فى بيته كسرة من الخبز يتزود بها أهله ـ ذلك هو الرجل وهذه رسالته · ولئن قتل فى سبيلها فان رسالته لم تمت بموته ، فهى خالدة لانها رسالة الاسلام · وانها لابقى على الزمن الباقى من الزمن » ·

ثانيا ـ فى قضية السيارة الجيب :

طلب الدفاع من المحكمة ان تأمر بتوزيع ملف القضية على هيئة الدفاع مجانا نظرا لفداحة ثمنه ، وأكثر المتهمين لا يتحملون هذا الثمن · وأجابت المحكمة الطلب ·

● علاقة هذه القضية بحرب فلسطين :

قال الاستاذ طاهر الخشاب المحامى : حيث ان السيارة ضبطت فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ أى بعد دخول حرب فلسطين ، فاننا نطلب شهودا كثيرين ليشهدوا بأن هذه الاسلحة كانت تجمع لحساب فلسطين • وممن طلبهم للشهادة اللواءات أحمد المواوى وفؤاد صادق وسيد طه ، والصاغات كمال الدين حسين وصلاح سالم وحسن فهمى واليوزباشيات معروف الحضرى وخالد فوزى وصلاح متولى ، كما طلب مفتى فلسطين ومأمور مركز الحمام •

وطلب ابراهيم عبد الهادى ليشهد على أن البوليس السياسى أخذ المتهم عبد الرحمن عثمان المعترف لمقابلة عبد الهادى فى صالونه الخاص بالقطار بمحطة القاهرة ، فقابله وركب معه حتى الاسكندرية •

(أ) من شهادة الشهود

١ — مصر جمهورية اسلامية :

فى الجلسة الثانية فى ٤-١٢-١٩٥٠ سمعت المحكمة أقوال الصاغ(١) محمد الجزار والصاغ توفيق السعيد اللذين قالا انهما وجدا فى اوراق المركز العام مذكرة على هيئة دستور مادته الاولى أن مصر جمهورية اسلامية •

٢ — شهادة ابراهيم عبد الهادى :

وفى الجلسة الرابعة فى ١٩-١٢-١٩٥٠ سمعت شهادة ابراهيم عبد الهادى — ولما كانت هذه الشهادة من أهم ما أدى من شهادات فى هذه القضية بالرغم من كل ما فيها من اعتصام بالانكار وحذق فى المراوغة فاننا نثبتها بنصها لبالغ اهميتها :

المحكمة — عبد الرحمن عثمان أحد المتهمين فى القضية يقول انه أخذ من السجن الى محطة القاهرة ، وانه سافر معك الى الاسكندرية ، واختليت به فى صالونك الخاص • فايه الحكاية ؟

الشاهد — قبل سفرى الى الاسكندرية بيوم ، وكان ذلك فى شهر يوليه ١٩٤٩ كنت اسأل عن مجريات التحقيق فى القضية • فقيل لى ان احد المتهمين له اعتراف جديد • فطلبت اللواء احمد طلعت بك وسألته عن هذا الاعتراف ، فقال ان هذا المتهم يعترف على ابن خالته وهو نجل محمود يوسف باشا وكيل الخاصة الملكية وكان وقتئذ طالبا فى الكلية الحربية او البوليس ، فأحببت أن أسمع هذا الاعتراف من المتهم نفسه ، فطلبت الى طلعت بك ان يحضره لى لاسمع أقواله •

(١) الرتب العسكرية عميد وعقيد ومقدم ورائد ونقيب كانت مسمياتها أميرالاى وقائمقام وبكباشى وصاغ ويوزباشى •

وفى اليوم التالى جد أمر استوجب سفرى للاسكندرية ، فنزلت من مكتبى وقصدت الى المحطة لاستقل قطار الظهر ، فلحق بى طلعت بك وذكرنى برغبتى فى مقابلة هذا المتهم • وقال انه جاء به الى المحطة فطلبت اليه أن يحضره الى فى القطار • وفعلا ركب المتهم القطار واستمعت لاعترافه • ولا أدرى ماذا حدث بعد ذلك ، هل استمر فى القطار مع الضابط المرافق له الى الاسكندرية أم غادره فى الطريق ؟

المحكمة ـ لماذا طلبتم سماع أقوال هذا المتهم ؟

الشاهد ـ لكى أوجه التعليمات اللازمة • فمثلا طلب الى اعتقال الشخص الذى ذكره هذا المتهم فلم أوافق على ذلك ، وأحببت أن أعرف الحكاية ايه •

محمود كامل المحامى ـ من الذى يعرض على دولة الشاهد نتائج التحقيق وتطوراته ؟

الشاهد ـ (يجيب فى حدة) لم يعرض على أحد نتائج تحقيق ولا خلافه• ولا يعرض على شىء الا حين أسأل أنا عن شىء • فلم يعرض الحكمدار على حلقات التحقيق • وكل ما فى الامر لما يكون فيه حاجة مهمة أسأل أنا عنها أو يطلعونى عليها •

ونفى دولته اختلاءه بالمتهم فى القطار ، وقال ان أحمد طلعت بك كان حاضرا الاجتماع • وكذلك نفى أنه تحدث مع المتهم فى أى شىء آخر غير موضوع اعترافه • وقال انه لا يعرف الاستاذ عبد الحكيم عابدين •

وأجاب دولته على سؤال خاص بتمويل جماعة الاخوان بانه لا يذكر أنه سأل المتهم عبد الرحمن عثمان عن مصدر هذا التمويل ، وانه لم يتحدث اليه بشأن حل الجماعة ، ولم يعرض عليه بعض المرطبات ، وان كان قد قدم طعاما الى متهم آخر فى قضية أخرى •

وسئل الشاهد هل علم أن هناك تعذيبا وقع على المتهمين فأجاب بالنفى وقال ان هذه مجرد اشاعات • وهنا ذكر الاستاذ محمود كامل أن المتهم عبد الرحمن عثمان قال انه فى يوم ١٠ يوليو ١٩٤٩ اثناء تولى دولتك الحكم جىء به الى المحافظة وعذبه الضابط محمود طلعت والضابط محمد الجزار بوضع ساقيه فى فلكة وضربه بالسياط • وان الطبيب الشرعى أثبت الاصابات الاصابات التى فى جسمه • فهل سمعت دولتك بذلك ؟

فاجاب دولته ــ لم اسمع ٠

وذكر الدفاع واقعة تعذيب أخرى حدثت لهذا المتهم ، فنفى دولته حدوث اى تعذيب بعلمه ، وأنه لم يكن يحضر الى المحافظة فى أثناء التحقيق ٠

وسئل دولته هل رأى مصطفى كمال عبد المجيد ؟

فقال : انه فى ليلة وقوع حادث محاولة الاعتداء على الاستاذ حامد جودة قصد الى قسم مصر القديمة ، فوجد هناك مصطفى كمال عبد المجيد ٠ وبمجرد ان رأى دولته صاح مستغيثا به ٠ فسأله دولته لماذا فعل ذلك فأجابه انه فعل ذلك تحت تأثير العقيدة وانه سيعترف بكل شيء ٠ ثم صعد الى الطابق العلوى وظل فى القسم حتى حضر المحققون وباشروا التحقيق ٠

وأقسم ابراهيم عبد الهادى بشرفه ان مصطفى كمال عبد المجيد لم يعذب أمامه ٠ وقال دولته ردا على سؤال انه ذهب الى المحافظة بضع مرات أثناء تحقيق قضية حامد جوده ٠ والليلة الوحيدة التى سهر فيها بالمحافظة الى الخامسة صباحا هى ليلة اعتقال محمد مالك ٠

وهنا اراد عبد الرحمن عثمان أن يوجه أسئلة الى دولة الشاهد ، فاعترضت المحكمة قائلة ان لكل متهم محاميا يسأل عنه ما يشاء ــ فتدخل سعادة محمد هاشم باشا المحامى ورجا المحكمة أن تفسح صدرها للمتهمين فهم أولى بالسؤال من المحامين ــ وبعد مناقشة سمحت المحكمة للمتهم بالقاء اسئلته عليها اولا ٠٠ وتبين من القائها أن دولة الشاهد سبق أن سئل عنها واجاب عليها وأكثر هذه الاسئلة كانت خاصة بتعذيب هذا المتهم ٠

ثم سأله المتهم : ألم تقل لى دولتك ان الشيخ حسن البنا قتل واسترحنا منه وأنت تدرس القانون ومن مصلحتك أن تنجو بنفسك وهذه قضية عسكرية ؟

الشاهد ــ ماكانش فيه موجب لكل هذا ٠

وسأل الاستاذ زكى عريبى دولة الشاهد : تؤكد لنا دولتك ان النيابة لم تكن تتلقى وحيا ؟

الشاهد ــ نعم ٠٠ ثم قال انه يامر باعتقال شخص أو الافراج عن شخص بحكم كونه حاكما عسكريا لا يعرف ان كان القبض نتيجة تحريات البوليس أو تحقيق النيابة ، انما تعرض عليه أسماء مطلوب اعتقال اصحابها ، كان لا بد أن يسأل عن سبب اعتقاله ، فالمسألة ليست مسألة توجيه النيابة ولكنها مسألة حفظ أمن البلاد ٠

وسأل الاستاذ مختار عبد العليم دولة الشاهد عن سبب استغاثة مصطفى كمال عبد المجيد حين رآه فى القسم ٠

الشاهد ـ كان يستغيث أنا عطشان ٠ عايز أشرب (ضحك) ٠

وأجاب على سؤال بأنه لا يعرف جمال فوزى ـ وهو أحد المتهمين فى القضية ـ ولا يذكر هذا الاسم ٠ ولا يعرف ان كان أحمد طلعت بك استأذن النيابة فى خروج عبد الرحمن عثمان من السجن أم لا ٠

ونفى دولته أنه تحدث الى الشيخ حسن البنا فى شأن جمع الاسلحة فى أثناء توليه رياسة الديوان الملكى ٠ وقال ان كل ما حدث أن الشيخ حسن البنا كان يريد السفر الى اليمن أثناء الثورة اليمنية فنصحه بالعدول عن ذلك

وهنا انتهت شهادة ابراهيم عبد الهادى ٠ وحدث أثناء خروجه من القاعة أن أخذ المتهمون يهتفون : « رحم الله شهيدا أعزل » و « يحيا الشعب ويسقط الظلم » ٠ وقد غضبت المحكمة لهذا الهتاف وأنبت المتهمين عليه ، واعتذر الدكتور هاشم باشا بالنيابة عن المتهمين فصفحت المحكمة ٠

● طلب ممثل الاتهام للشهادة :

وطلب الاستاذ زكى عريبى المحامى الاستشهاد بالاستاذ محمد عبد السلام بك ممثل النيابة فى القضية عن واقعة خروج عبد الرحمن عثمان من السجن لمقابلة عبد الهادى ، اذ أنه ثابت فى دفتر أحوال السجن أنه خرج للنيابة للتحقيق ٠ وعبثا حاول الاستاذ محمد عبد السلام ثنيه عن طلبه قائلا انه سيعرض لهذه النقطة فى مرافعته ـ كما طلب أعضاء من الدفاع آخرون سماع ممثل النيابة كشاهد ، والسؤال الذى سيوجه اليه هو :

« بعد أن قابل المتهم عبد الهادى قال له الاستاذ محمد عبد السلام فى اليوم التالى « هل قابلت الباشا ووعدك خيرا ؟ » كما أنه قال له « ان الباشا قابل مصطفى كمال عبد المجيد ووعده خيرا وان شاء الله يعدك أنت الآخر خيرا» ٠٠ فطلبت المحكمة أن يجتمع الدفاع لاعداد الاسئلة المراد توجيهها الى النيابة وتعرض على المحكمة للنظر فيها ٠

٠٠٠٠ وفى الجلسة التالية قررت المحكمة عدم الموافقة على ادخال رئيس النيابة شاهدا فى القضية ٠

٣ ـ شهادة الصاغ محمود لبيب :

قرر ان التطوع لفلسطين يرجع الى سنة ١٩٤٧ عندما عينته الهيئة

العربية للعليا قائدا عاما لمنظمة الشباب الفلسطيني · وأراد الانجليز اخراجه من فلسطين فرفض لانه عربي في أرض عربية · وفي عودته اتصل بالمفتي وبصالح حرب ·· وانتهى تشاورهم الى أن العرب لا ينقصهم العدد وانما ينقصهم العدة ·· فأخذت الهيئات العربية ومنها الاخوان في الحصول على تصاريح بجمع السلاح ·

وقد بدأ المتطوعون أعمالهم في فلسطين تحت قيادته بمهاجمة قوافل اليهود ومستعمراتهم ونسف أنابيب المياه ، وهاجموا دير البلح لعجم قوة اليهود ·

الاستاذ زكي عريبي (محام مصري يهودي) ـ بلاش تسمية اليهود · قل الصهيونيين ·

الشاهد ـ صحيح الصهيونيين استغفر الله ·

وقال ان المتطوعين وزعوا أنفسهم على المستعمرات الصهيونية ، فكان دخول الجيش المصري من رفح الى غزة بدون اطلاق رصاصة واحدة · كما تمكن الفدائيون بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز من غزو هذه المستعمرات ، لدرجة انهم دخلوا حدود القدس الجديدة بثلاثة كيلو مترات ·· كل ذلك في ١٣ يوما ·

وروى كيف تمكن المتطوعون ببسالتهم قبل دخول الجيوش النظامية بثلاثة ايام من تدمير ثماني مصفحات يهودية ، وغنم اربع مصفحات ، كما غنموا كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة والمؤن ·

● **كيف سقطت رامات راحيل ؟**

وقال انه في خلال معركة القدس رؤى وجوب الاستيلاء على مستعمرة رامات راحيل التي كانت تمون القدس باللبن والدواجن · فتسلل الاخوان المتطوعون اليها واحتلوها · ولكنهم فوجئوا بجيش الملك عبد الله (ملك الاردن) يحضر اليها ومعه فرقة اسمها (النهاده) جعلوا ينهبون ويتشاجرون مع بعضهم ويثيرون الفوضى ، فانسحب الاخوان من المستعمرة وتمكن الاعداء من استردادها من جيش الملك عبد الله ·

وعاد الاخوان واحتلوها للمرة الثانية ، رفوجئوا بجيش الملك عبد الله والنهاده الذين كانوا يقتتلون على بقر المستعمرة ، وهو من النوع الهولاندي الكبير · فترك الاخوان المزرعة مخلفين النهاده يقتل بعضهم بعضا للفوز ببقرة هولاندية · وعاد الاخوان للمرة الثالثة واحتلوا المستعمرة ، ولكنهم

ثم يفاجأوا هذه المرة بظهور جنود الملك عبد الله لانهم يمكن « اختشوا على دمهم » ٠

● محاولة لفك حصار الفالوجه :

وقال انه حدث فى نوفمبر ١٩٤٨ أن أرسل اليه عزام باشا (الامين العام للجامعة العربية) وقابله باللواء أحمد منصور بك ضابط الاتصال ، وأخبره بان اشارة وردت للجامعة العربية بضرورة ارسال كتيبتين من الاخوان بالذات لفك حصار الفالوجة ٠ وتوجه به الى صلاح صبرى مدير مكتب وزير الحربية ، وتم الاتفاق على اعداد الكتيبتين ٠ وأعد هو ١٦٠٠ (ألف وستمائة متطوع) واحدا من كل شعبة اخوانية فى القطر ... ثم اذا به يفاجأ بأن النقراشى باشا رفض هذا الرأى ٠

وقرر الشاهد أن الجيش المصرى فى فلسطين حدث أن طلب من الاخوان امداده ببعض المتفجرات لان الجيش لم يكن لديه سوى أسلحة انجليزية ، فى حين أن المتطوعين كانوا يملكون أسلحة وذخائر ألمانية وايطالية ٠ وقرر أن هيئة الاخوان المسلمين وزعت منشورات على المتطوعين بالحث على القتال والجهاد ٠

● قطار اللاجئين :

وقال الشاهد ان المتطوعين كانوا يقتسمون مئونتهم مع اللاجئين ٠ ولقد رأوا أن يطلب من أهل الخير فى جميع أنحاء القطر التبرع بما يفيض عن حاجتهم من مؤن وغيرها ٠ واعد لذلك قطار يدعى قطار اللاجئين ٠ واستطاعوا أن يجمعوا من القاهرة فى ليلة واحدة ما حمولته ألف عربة يد وعشرات السيارات ولكنهم فوجئوا بأن وزارة الداخلية منعت ذلك ٠ فكانت صدمة حيث حظروا عملا انسانيا خيريا ٠

ملحوظة : اللاجئون هم ضعاف الاسر الفلسطينية التى أخرجهم اليهود من ديارهم ففروا بأبنائهم ونسائهم وأطفالهم الى القرى والمدن الفلسطينية التى يسيطر عليها الجيوش العربية وقوات المتطوعين ٠

● وسائل خاصة :

واجاب الشاهد بناء على أسئلة من النيابة انه بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين كان الجيش يمد المتطوعين بالمؤن ٠ اما الاسلحة فكانت ترسل الى المتطوعين بوسائلهم الخاصة عن طريق الهيئة العربية العليا وغيرها لا عن طريق الحكومة ٠

٤ - شهادة اللواء احمد المواوى بك :

كان اللواء أحمد المواوى أول قائد للجيش المصرى فى فلسطين . وجاء فى شهادته ما يلى :

● جيش بلا معدات :

قرر الشاهد أن هؤلاء المتطوعين كانت روحهم المعنوية قوية ، واشتركوا فى معارك كثيرة ، وقاموا بانتزاع الالغام من النطاق الخارجى للمستعمرات اليهودية . واستعملوا هذه الالغام ضد اليهود الذين تكبدوا بسببها الخسائر حتى انهم تقدموا الى مراقبى الهدنة الاولى شاكين . وكان هذا العمل من الاخوان له أهميته اذ لم يكن لدى الجيوش النظامية ألغام .

الرئيس - هذا شىء عجيب . كيف لا يكون لدى جيش ألغام ؟

الشاهد - من المعروف أن الجيش دخل الحرب بدون معدات .

ثم ذكر الشاهد كيف استمات الاخوان حتى استردوا العسلوج بعد أن فقدها الجيش ، وكانت رياسة الجيش قد أرسلت أمرا باستردادها مهما كان الثمن لخطورة موقعها .

وأجاب على سؤال عن الشروط التى يجب توفرها فى رجل العصابات « الكوماندوز » فقال انه يجب أن يكون مثل هؤلاء الرجال الاذكياء الذين يمتازون بالجراة وحسن التصرف بسرعة ، ولا يعتمد الواحد منهم الا على نفسه .. هذا الى المهارة فى استعمال السلاح والتسلل والتخفى وتسلق الاشجار ، فضلا عن اعتياده على اعمال الكشافة . وقال ان نظام الفرق الفدائية قد استحدث فى الحرب الاخيرة وأصبح لا غنى عنه .

المحكمة - هل فى جيشنا هذه الفرق ؟

الشاهد - لا .. ولكن الفكرة موجودة .

● عشرة آلاف متطوع :

وقرر الشاهد أن عدد المتطوعين كان حوالى عشرة آلاف شخص من مختلف البلدان والاديان ومعظمهم من الاخوان . وكانت الجامعة العربية هى التى تتولى مدهم بالسلاح ، وقد حدث مرة أن أعطيتهم بعض الذخيرة .

● متطوع فى المائة من عمره !

واستطرد قائلا : كان فيه مشايخ متطوعين عمر الواحد مائة سنة .

الرئيس - مائة سنة ويحارب .. ده تطوع لدخول الجنة بسرعة .

الشاهد ـ ان الروح المعنوية كانت عظيمة جدا حقا ٠

وقال ان أسلحة المتطوعين كانت مدافع خفيفة ورشاشة وتومى وقنابل يدوية ايطالية ٠

ثم سمعت المحكمة شهادة اللواء فؤاد صادق باشا ثانى قائد للجيش المصرى فى فلسطين فكانت شهادته مطابقة لشهادة اللواء المواوى ٠ وكانت شهادتهما قد أدليا بها فى جلسة ٢٠ـ١٢ـ١٩٥٠ ٠

٥ ـ شهادة الحاج عبد الرحمن على :

وهو مقاول فلسطينى ٠ وجاء فى شهادته التى أدلى بها فى جلسة ٢١ـ١٢ـ١٩٥٠ أنه كلف من الهيئة العربية العليا بجمع الاسلحة من الصحراء الغربية من ابريل ١٩٤٧ ، واستعان على ذلك ببعض الاخوان ، ومنهم الصباغ المتهم ، حتى منعه رجال الحدود من دخول الصحراء على أثر مصادرة حكومة النقراشى باشا لمخازن الاسلحة ٠

فما كان من سماحة مفتى فلسطين الا أن راجع النقراشى باشا فى هذه التصرفات ، فلم يبد النقراشى باشا استعداده لتسليمها الا على الحدود وحتى ذلك اليوم لم يتم ٠ فرؤى أن يكون ارسال السلاح من مرسى مطروح عن طريق اللاذقية بدلا من العريش ٠

وسأله الاستاذ مختار عبد العليم المحامى عن أسماء الاشخاص الذين كانوا يساعدونه فتفرس الشاهد فى وجه المحامى وقال : أنت نفسك كنت منهم٠

وقرر أن الشهيد عبد القادر الحسينى كان يدرب المتطوعين فى جهات عديدة بالقطر المصرى كحلوان والهرم ٠

٦ ـ شهادة السيد أمين الحسينى مفتى فلسطين :

سأله الاستاذ حسن العشماوى المحامى عن دور الاخوان فى حرب فلسطين فأجاب بأن الاخوان كان لهم دور كبير منذ البداية ، فقاموا بالدعاية للقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٣٦ ٠ وأثناء الجهاد جمعوا أسلحة وذخيرة واستمروا على خدمة القضية بأقصى جهدهم ٠

وقال : كانوا يعاونون المرحوم عبد القادر بك الحسينى فى جمع الذخائر ويساهمون فى دفع ثمنها ٠ ومنهم الصباغ (المتهم) فقد اشترى بثلاثة آلاف جنيه أسلحة وقام بتسليمها للهيئة العربية العليا ، كما استشهد فريق منهم فى معركة القسطل ٠

ولقد استمروا على ذلك بعد دخول الجيوش النظامية ، كما استمرت الهيئة العربية فى جمع الاسلحة ، فبعد دخول الجيوش العربية فلسطين زارنى المرحوم الشيخ حسن البنا وقال لى ما ينم عن قلقه من موقف التخاذل الذى اتخذته جيوش بعض الدول العربية ، وما لمسه من دسائس تحاك فى الظلام ، لتودى بقضية فلسطين بسبب الدسائس والتخاذل من « البعض » •

وابتسم سعادة رئيس المحكمة لكلمة « البعض » فابتسم سماحة الشاهد بدوره •

● عشرة آلاف متطوع :

ومضى سماحته يقول : ان الشيخ البنا قال انه لابد من عمل حاسم ، وانه سيقوم على الفور باعداد عشرة آلاف متطوع من الاخوان ليشتركوا مع المجاهدين فى الميدان ، وانه سيعرض الامر على الحكومة حتى تمدهم بالسلاح ، فاذا تعذر ذلك فانه سيصدر أوامر الى كل شعبة للاخوان بان تتولى تسليح متطوعيها بسلاح تشتريه •

● لم يمكن ارسالهم :

وتابع كلامه بقوله : انه متأكد من ان الشيخ البنا كان مصمما على تنفيذ هذه الفكرة ، وانه فى سبيل تنفيذها اتصل بكافة الشعب لتجمع الاسلحة ولتدريب المتطوعين • ويبدو ان العقبة كانت فى انه لم يكن من المستطاع ارسالهم •

وقال : ان الاخوان عملوا على شراء الاسلحة حتى بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين ، وذلك بسبب خيبة الآمال فى بعض الجيوش العربية لتخاذلها •

● لا تتوسل بالعنف :

وسأله الاستاذ مختار عبد العليم عن رايه فى هيئة الاخوان المسلمين وأهدافها ووسائلها وعما اذا كان من بين وسائلها العنف والارهاب ؟ فقال : أعتقد أن الاخوان المسلمين هيئة اسلامية تعتنق المبادىء الاسلامية وتحمل دعوتها ، وتعمل على انشاء جيل على مبادىء الاسلام وأخلاقه ، وذلك لصالح المسلمين وغير المسلمين ، ولا اعتقد انها تتوسل بأى عمل يخالف الشرع كاستعمال العنف •

● كيف يمكن انقاذ فلسطين ؟

ووجه اليه الاستاذ مختار عبد العليم السؤال الآتى :

بوصفكم المسئول الاول عن القضية الفلسطينية هل يمكن ان تشرحوا لنا الطريقة المثلى لانقاذ فلسطين ؟

عضو اليمين – يعنى الجهاد الشعبى هو الافضل ام المجهود الحكومى ؟

الشاهد – ان ذاللجنة العسكرية المختصة قررت سنة ١٩٤٧ الخطة المثلى ، وذلك فى اجتماع الجامعة العربية فى عالية بلبنان • واسس هذه الخطة هى التعويل على عرب فلسطين انفسهم فى الدفاع عنها ، على أن تعاونهم الدول العربية بتسليحهم وتدريبهم وتحصين قراهم • أى تضعهم فى نفس الوضع الموضوع فيه اليهود فى فلسطين •

ولقد وافق مجلس الجامعة على تقرير هذه الخطة بالتعويل على عرب فلسطين ثم المتطوعين ، أما الجيوش العربية فتقف على الحدود مترقبة •

لماذا عدل عن هذه الخطة ؟

كانت هذه هى الخطة المثلى المتفق عليها •• ولكن حدث بعد ذلك أنقدمت احدى الدول الاجنبية مذكرة تحتج فيها على هذه الخطة • وبذلك أوقف تسليح عرب فلسطين وتدريبهم وتحصينهم ، وترتب على ذلك العدول عن الخطة المثلى •

ومضى سماحته فقال : ان كفاح فلسطين بين عقيدتين متعارضتين ، العقيدة العربية والعقيدة الصهيونية ، فالسلاح الاول فى هذه المعركة انما هو الايمان والعقيدة •

ولقد فطن الاعداء الى هذه الحقيقة ، فوجهوا كل همهم الى ابعاد العناصر المؤمنة عن ميدان المعركة • ثم ثنوا بالسعى لابعاد الفريق الثانى فى الاهمية وهم المتطوعون من العرب كالاخوان وغيرهم ، وذلك حتى يخلو الميدان فلا يبقى فيه الا الجنود النظامية • وبذلك استطاعوا أن يأمنوا •• اذ ابعدوا العناصر المصممة تصميما أبديا على الكفاح •

ثم اجاب سماحته بناء على مناقشة الدفاع انه لم يفهم من النقراشى باشا حقيقة الدافع الى مصادرة السلاح ، وان النقراشى باشا لم يخبره أنه يخشى من تسرب جانب من اسلحة مخازن الهيئة العربية لاستعمالها فى حوادث داخلية •

٧ ـ شهادة صلاح أمين الحسينى :

وهو نجل سماحة مفتى فلسطين وطالب بكلية الحقوق • وقد قرر أن بعض الاخوان كانوا يقومون فعلا بجمع السلاح للهيئة العربية العليا ، وأن الهيئة تراقب استلامها حتى لا تتسرب الى جهة أخرى ، وأنه اشترك فى مشترى محطة كهربائية للهيئة •

٨ ـ تقرير خبير الخطوط :

وهو الاستاذ محمد وهبى • انتدبته المحكمة خبيرا استشاريا لمضاهاة الاوراق المضبوطة بسيارة الجيب بخطوط المتهمين عبد الرحمن عثمان وابراهيم سويلم ومحمد أحمد على • فقدم تقريره الى المحكمة ويقول فيه ان هذه الاوراق المضبوطة ليست بخطهم •

* * *

(ب) من المرافعات

جاء فى مرافعة النيابة تهجم على هيئة الاخوان المسلمين فى نقطتين :

الاولى ـ فى موضوع اغتيال الخازندار بك والثانية فى شعار الهيئة السيفان والمصحف والآية •

وجاء فى مرافعة الاستاذ عبد المجيد نافع وكانت هى المرافعة الاولى رد على النيابة فى هذين التهجمين كما تعرضت المرافعة لنقاط اخرى لها أهميتها • ونورد فيما يلى نتفا من هذه المرافعة •

١ ـ من مرافعة الاستاذ عبد المجيد نافع :

كان أول المترافعين من هيئة الدفاع فى هذه القضية واستغرقت مرافعته عدة جلسات • وقد بدأ مرافعته فى جلسة ١٦ـ١ـ١٩٥١ وجاء فيها :

● **حسن قناوى والبواعث الوطنية :**

واذا كان عبد الحافظ قد قتل الخازندار بك ، فما كان ذلك الا لان المتهم أخطأ النظر فى الامور • وفى ذلك الحين كانت تدور مفاوضات بين مصر وانجلترا فى سبيل تحقيق الاهداف الوطنية وهى الجلاء الناجز ووحدة وادى النيل تحت التاج المصرى •• واعتقد الشبان أنهم يستطيعون تقوية مركز المفاوض المصرى حين يجلس على المائدة الخضراء وجها لوجه مع المفاوض البريطانى ، فالقوا القنابل التى القوها (هذه قضية أخرى غير التى أشرنا اليها قبلا وكانت فى القاهرة) ••

ونظرت قضايا هذه القنابل أمام الخازندار بك وأصدر فيها أحكاما قاسية بلغت عشر سنوات فى جريمة سياسية يحدوها باعث شريف هو تخليص مصر من الاستعمار ٠٠ وذلك فى نفس الوقت الذى حكم فيه على سفاح الاسكندرية حسن قناوى بالاشغال الشاقة سبع سنوات ٠

ولا شك أن لهذه الاحكام ما يبررها من وجهة النظر القانونيه تماما ولكن الشبان الصغار الذين تختل لديهم الموازين لا يدركون ذلك ٠٠ ومع ذلك فانه لا يوجد منطق فى عدالة السماء والارض يحمل الاخوان المسلمين مسئولية هذه الجرائم ٠

● **عهـــد ملوث :**

انه فى الوقت الذى تسند فيه النيابة الى الاخوان الجرائم التى عددتها ، يتوافد الى الذهن مصرع الشهيد حسن البنا ، ينادى بأعلى الصوت وملء الفم : ان الدماء عالقة بهذا العهد ، وان يده مخضبة بدم الشهيد وغيره من الشهداء ٠

● **الموت لحسن البنـا :**

ولقد هدد بذلك فى جنازة النقراشى باشا على ملأ من الناس فى هتافات مدوية ٠ فكان الشبان يصيحون من حناجرهم فى هتافات تدوى فتبلغ عنان السماء ، ويتوعدون بالويل والثبور وعظائم الامور جماعة الاخوان المسلمين بل لقد كانوا يملأون أفواههم بهتافات « الموت لحسن البنا » ٠

● **تنفيذ الوعيـد :**

وكان هذا فى ختام عام ١٩٤٨ وبالتحديد فى يوم وفاة المغفور له فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ٠ وبعد ذلك فى مستهل عام ١٩٤٩ وبالتحديد يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ استشهد حسن البنا الزعيم السياسى والروحى لجماعة الاخوان المسلمين على باب جمعية الشبان المسلمين ، فى ظروف غامضة تثير الشكوك والشبهات ، وتوحى الى أية جهة أو أية جهات تتجه الشكوك وهذه الشبهات ٠

● **السيفان والمصحف :**

تقول النيابة : إن حسن البنا جعل شعار الجماعة سيفين بينهما مصحف وزود الشعار بهذه الآية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ٠٠ ولا يمكن أن يكون السيف رمزا للعنف وعنوانا للجريمة ، ولكنه رمز للقوة ٠ لان الامم الإسلامية لا ينبغى أن تكون مستضعفة امام الاستعمار الاجنبى ٠

والسيف رمز للحرب المعلنة . أما الجريمة فترتكب فى الظلام وفى غفلة من الناس .

● الحمد لرب مقتدر :

ثم تلا ما استشهدت به النيابة من قول حسن البنا « انتم لستم جمعية خيرية محدودة المقاصد » فقال : انه يقول لهم أنتم لستم جمعية خيرية .. وهذا صحيح فهم ليسوا جمعية مكارم الاخلاق ولا جمعية مواساة ولا جمعية عروة وثقى ولا جماعة الحمد لرب مقتدر ..

● لن تقتلوا دعـوته :

واستطرد فقال : انهم قتلوا حسن البنا . ولكنهم لم ولن يستطيعوا أن يقتلوا دعوته فى سبيل انتشال الاسلام مما وصل اليه من ذلة وخضوع وهو دين عزة وقوة .

● الشيخ المراغى يقرظه :

يقول الشيخ المراغى عن حسن البنا « ان الاستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه ، يفهم الوسط الذى يعيش فيه ، ويعرف مواضع الداء فى جسم الامة الاسلامية » .

● شهادة مكرم عبيد باشا :

وقال مكرم باشا « انى لا أدرى لماذا ثار جدل عنيف حول اشتراك الاخوان فى السياسة وهم فى ذلك على دينهم ، والدين هو المظهر الاول للسياسة الوطنية » .

● رئيس المحكمة يطلب قانون الاخوان :

وبعد أن تحدث الاستاذ نافع طويلا عن نظم الاخوان وقوانينها طلب الرئيس قانون الجماعة ، فقدمه اليه الاستاذ طاهر الخشاب ـ واستطرد الاستاذ نافع فى مرافعته فقال : ان حسن البنا لم يبغ الى قلب نظام الحكم ، وانما كان يقصد الى اصلاح الحكم فحسب .. وهذا ما دل عليه فى جميع خطبه ومقالاته ونصحه لاخوانه ، فقد قال : « لقد نادينا بدعوة الحكومات الى عمل الاصلاح ، لان الهوة بين الغنى الفاحش والفقر المدقع اتسعت حتى كاد الشعب المصرى يخرج عن طوره ، وقد عصرته تلك المظاهر الصاخبة التى يظهر بها الاغنياء واغلب الشعب يتضور جوعا وعريا . وانى لاقولها بأعلى

صوتى وملء فمى : ارحموا الشعب يرحمكم خالقه ، فالشعب من حقه أن يعيش ولا أقل من أن يعيش » ٠

● الاسلام دين ودولة :

وخلص من ذلك الى قوله : ان الاسلام دين ودولة يجمع بين سلطتين ، سلطة دينية وسلطة زمنية ، وهو قسمان : معاملات وعبادات ٠ وهو يضم الاصول والكليات ، ويترك الجزئيات والتفاصيل تتطور مع تطور الازمان - وان الفصل بين الدين والدولة ضلالة ٠ وقد وضع القرآن أسس الحكم ، وتنظيم الحكومات والشعوب ٠

● الانجليز طلبوا حل الاخوان :

واستهل مرافعته فى يومها الثالث بالكلام عن العوامل التى دعت الى حل الاخوان المسلمين فقال : ان السلطات البريطانية طلبت من الحكومة المصرية صراحة حل الاخوان ٠ وقد طلبت ذلك من رفعة النحاس باشا فى سنة ١٩٤٢ وقوات المحور على مشارف مصر ، ولكن النحاس باشا لم يذهب الى المدى الذى ذهب اليه النقراشى باشا فاكتفى تحت ضغط ظروف الحرب باغلاق الشعب وأبقى على المركز العام ٠

● ضحك الاقــدار :

وقال : وفى عهد الظلم والظلام سنة ١٩٤٩ عندما كان ابراهيم عبد الهادى باشا يعتقد أنه سيجرى الانتخابات فيسوم البلاد الخسف والهوان خمس سنوات أخرى ، عمل جاهدا للتخلص من الاخوان لانه عرف أن قوتهم اشتدت ، وأنهم سوف يكتسحونه فى الانتخابات ٠ ولذلك امعن فى تشريدهم وتعذيبهم حتى يذهب ريحهم ٠٠٠ ويقدرون وتضحك الاقدار ٠

ثم ختم مرافعته بالحديث عن حقد السعديين حتى منعوا أحدا من تشييع جنازة حسن البنا ٠

٢ - من مرافعة الاستاذ هنرى فارس :

اتهم النيابة بالتحريف فقال : انها حين نقلت كلام الاستاذ البنا اغفلت كلمة « وسلام » فى قوله « نحن دعاة حق » كما انها غيرت ميعاد ضبط السيارة الجيب بدلا من الساعة الثانية ظهرا جعلته الساعة الثالثة ٠

٣ - من مرافعة الاستاذ شمس الدين الشناوى :

سبق لنا الاشارة اليها فى فصل سابق ، وذكرنا فيه موضوع الوثيقة

التى قدمها الى المحكمة والتى تثبت أن القيادة البريطانية للجيش البريطانى فى الشرق الاوسط طلبت الى حكومة النقراشى حل الاخوان ·

٤ ــ من مرافعة الاستاذ حنفى عبود :

قال : ان حسن البنا قد نجح الى حد بعيد فى وضع المسمار الاول فى نعش الاستعمار بأن ربى جيلا جديدا ·

● الانجليز يخـافون :

وقال : وكان آية هذه الرسالة القوية ما سمعوه عن بلاء الاخوان فى حرب فلسطين مما لفت نظر العالم المستعمر وبخاصة الانجليز فملأ الخوف قلوبهم ، واتجهت لذلك نيتهم الى التخلص من هذه الجماعة عن طريق مخالب القط من رجالنا الرسميين ·

● وثائق التاريـخ :

وقال : اننا اذا قلنا الانجليز فلا نحتاج الى وثائق لاثبات ما نقول لان بيدنا الوثيقة الكبرى التى لا يستطيعون الطعن فيها الا وهى التاريخ ·· وان هذا التاريخ يحدثنا عن تدخلهم فى فجر الحركة الوطنية لاقالة شيخ الازهر لانه أفتى بأن الدين يهدر دم كل كافر من أهل الكتاب اذا دخل ديارنا بدون أمان من الامام ·

وقال : ان التجارب قـد علمت الانجلـيز أن الروح الدينية خطـر على كيانهم ، فاذا ما رأوا هذه الروح من جديد فى حركة الاخوان فـلا غرابة فى أن يطالبوا بالحل والتشتيت ·

● عهد وصم نفسه بالفوضى :

واستطرد فقال : اننا كنا فى عهد عجيب وصم نفسه من أول يوم بأنه عهد الفوضى ·· وان من يرجع بذاكرته الى يوم ٩ من اكتوبر سنة ١٩٤٤ ويذكر ما نشرته الصحف عقب اسناد الحكم الى رجال ذلك العهد من أنهم ركبوا الى دور الوزارات ولم ينتظروا حتى تفتح لهم الابواب بل حطموها·· فسجلوا بأنفسهم على انفسهم ومن اللحظة الاولى بعدهم عن ادراك أصـول الحكم الصالح وما يتطلبه من نظام ووقار ورزانة ، وكشفوا عن خفايا النفس وما انطوت عليه من فتنة وشهـوة متعطشـة الى الكراسى · (يقصـد أول وزارة للسعديين برياسة احمد ماهر) ·

٥ – من مرافعة الاستاذ طاهر الخشاب :

جاء فى مرافعته أن الاخوان اشتروا ٨٠٠ فدان فى نجع حمادى من الاراضى غير الصالحة للزراعة وحولوها الى جنة

٦ – من مرافعة الاستاذ فتحى رضوان :

قال : ان الاستاذ البنا بعد أن صدر قرار الحل زاره اكثر من مرة ، فكان يرحب به · وكان الاستاذ البنا يشكو اليه ، ويكرر الشكوى ، فلا يسعنى الا أن أبتسم فى وجهه ، لاننى أعلم أن الخلف بين الاخوان والسعديين لا يمكن أن يفلح فيه صلح أو مفاوضة ·

واشار الى الحقد الذى كانت تكنه حكومة ذلك العهد على كل من يناصر جماعة الاخوان ·· وقال : انه ذهب ذات يوم الى قنا للمرافعة فى احدى القضايا ، فقابله أحد أصدقائه وقال له : أصحيح ما نسب اليك من أن الشيخ البنا قد زارك فى ليلة مقتل النقراشى باشا وقال لك : لقد انتهى الامر وورد الينا اعتبارنا ؟ لقد أشيع هذا الكلام ووصل الى مسامع رئيس الوزراء ، وقال انه دهش لهذا الحديث ···· قال : ونفيت هذا الحديث لمحدثى ولم أعلق على الامر أهمية ، حتى حدثنى أحد الوزراء بعد ذلك بنفس هذه المعانى قائلا انه لا يستطيع أن يدافع عنى لدى الحكومة بعد ذلك لان رئيس الوزراء غاضب عليك لما نقل اليه من أمر هذا الحديث الذى أكد له أنك ممن يناصرون دعوة الاخوان ·

● وطنية صادقة :

وقال : ان التاريخ يشهد على صدق وطنية المصريين · وانه لم يحدث أن حوكم مصرى لانه خان وطنه ، وانما للاسف الشديد يقدم المصريون للمحاكمة لانهم ارادوا أن يقفوا فى وجه الانجليز مطالبين بحقوقهم ·

***

ثالثا – فى قضية جودة والاوكار :

لم تكن فى هذه القضية معالم ذات بال فيما يتصل بالسياسة العامة والافكار الوطنية والاجتماعية بخلاف القضية السابقة ولكن هذه القضية كانت ذات معلمين بارزين هما تحريك بل احياء التحقيق فى قضية اغتيال الاستاذ الامام حسن البنا ثم فضح أساليب التعذيب ·· وقد أفردنا لفضح أساليب التعذيب فصلا مستقلا ··· ولذلك نقتصر فى هذا المقام على الاشارة الى نقاط فى هذه القضية أكثرها يتصل بقضية الاستاذ الامام ·:

● طلب ضم قضية اغتيال الامام :

الاستاذ نافع — (فى جلسة ٦—١١—١٩٤٩) أطلب ضم أوراق التحقيق فى مصرع الشيخ حسن البنا .

رئيس المحكمة — ما هى الحكمة فى ضم أوراق هذا التحقيق ؟

الاستاذ نافع — لقد اغتيل الشيخ البنا فى ١١ فبراير الماضى ، والحادث المنظور أمامنا وقع فى ٥ مايو . ومن الطبيعى أننى سأتعرض فى دفاعى للباعث على الجريمة . ولقد كان الشيخ البنا مرشدا عاما للاخوان . ولقيام الشكوك حول موقف الحكومة من مصرعه وزنه فى تقدير الباعث فى قضيتنا وأنا لا أطلب ضم أوراق حادث مصرع الشيخ البنا فحسب بل أطلب نسخه وتوزيعه .. والشهود قد أدلوا بأن الهدف من الاعتداء لم يكن حامد جوده بل كان ابراهيم عبد الهادى .

ان الشيخ البنا قد قتل فى ظروف غامضة للغاية ، ومثيرة للريبة . وهناك شاهد فى حادث مصرعه هو محمد الليثى أفنـدى (رئيس القسم الرياضى بجمعية الشبان المسلمين) فقد قرر عند سؤاله انه عقب اغتيال الشيخ البنا أخبره على الفور شخص برقم السيارة التى ارتكبت بها الجريمة . وان المساعى بل الجهود قد بذلت من جانب البوليس السياسى بالوعد والوعيد والتهديد بأنه اذا لم ينزل عن هذا القول الخاص برقم السيارة فانه سيكون فريسة للاعتقال .. وبرغم ذلك فقد أرشد الليثى أفندى عن رقم السيارة .. وتبين انها خاصة برئيس القلم الجنائى بوزارة الداخلية وهو الضابط محمود عبد المجيد بك — وفجأة طويت أوراق التحقيق .. فالامانة لموكلي على تتقاضاني ن الحف فى ضم هذه التحقيقات .

الدكتور عزيز فهمى — أؤيد طلب ضم أوراق مصرع المرحوم الشيخ حسن البنا . وأن ما ذكره الاستاذ عبد المجيد نافع عن محمد الليثى أفندى جعل الليثى فى خطر محقق ومن المحتمل قتله — وأنا أحمل فى حالة وقوع اعتداء على حياة الليثى أفندى المسئولية للصاغ الجزار وكذلك مدير المباحث الجنائية الذى استخدمت سيارته فى قتل المرحوم الشيخ حسن البنا .. وحبذا لو رأت النيابة من جانبها أن تعمل على حماية الليثى افندى .

(وأحنى الاستاذ فتحى مرسى ممثل النيابة رأسه بما معناه « حاضر » .

● طلب ضم نسخة من جريدة « المصرى » الصادرة :

الاستاذ طاهر الخشاب — أطلب ضم نسخة جريدة « المصرى » التى

صدرت صباح يوم مقتل الشيخ البنا وصودرت الطبعة الاولى منها • وهذه النسخة موجودة الآن بادارة المطبوعات • ولها أهميتها الكبرى لان فيها مفتاح الجريمة • وأؤكد أن هذه النسخة كان بها رقم السيارة التى ارتكبت بها الحادث مصودرت لذلك ، وظهرت الطبعة الاخرى وليس فيها رقم السيارة •

الرئيس – ما هى العلاقة بين ما تذكر والقضية •

الاستاذ طاهر الخشاب – ان جرائم القتل – وانتم ائمة القانون – يبحث فيها عن الباعث • فاذا كان صحيحا ما قيل من ان الحكومة هى التى دبرت اغتيال الشيخ البنا ، وأنها أهملت التحقيق ، وأنها تسترت على المجرم بمصادرة « المصرى » مع أن فيه الدليل المادى الذى كان يمكن ان تسير وراءه النيابة •• فان موقف الحكومة هذا يكشف لنا عن الباعث فى هذه القضية • وأنا مصر على طلب هذه النسخة •

ثم قال : ان النيابة تقول عن حادث سيم زكى باشا ان شخصا ابلغ عن نفسه فحقق معه ، ولكنى كنت فى المعتقل ، وقد مر على فيه جميع المتهمين وذكروا لى أن هذا الشخص أدلى باعترافات وبأسماء أشخاص خارجة عن المحضر الذى اثبت فيه أقواله ، واتى بسلسلة من الشخصيات نتيجة تعذيبه •

الاستاذ البيطاش (ممثل النيابة ايضا) – لا لا •• لقد ذكر فى أول بلاغه أنه ارتكب الحادث مع آخرين ذكر أسماءهم •

الاستاذ الخشاب – اصر على أنه اعترف على أشخاص غير الواردين فى بلاغه ، فبدأت الاعترافات تنتزع من هؤلاء الاشخاص •

● **قضية الاستاذ الامام تصور الجو الذى صدرت فيه الاعترافات :**

الاستاذ عبد الفتاح حسن – ان الدفاع يرجو على الاخص ضم قضية مقتل الشيخ حسن البنا لانها ليست متعلقة بالباعث فى قضيتنا فحسب ، بل انها تصور الجو الذى صدرت فيه الاعترافات • وما دام المحققون فى قضية مقتل الشيخ البنا حاولوا أن يلتوى شاهد عن السبيل القويم ، فلا يكون هناك عجب اذا قيل ان هناك اجراءات قصد بها ابعاد التهمة عن الهيئة الحاكمة وقتئذ •

ولقد فوجئنا باعترافات قال فيها كل معترف « ألقيت قنبلة انفجرت وقصدت بها الاصابة » وهذا الاسلوب لا يعرفه متهم ، وانما يعرفه الذين

يكيفون الواقعة ويصفون التهمة ·· وتلك هى وظيفة النيابة العمومية ، فهذه الاعترافات لم يكن للمتهمين بها شأن سوى تحريك ألسنتهم ·

الاستاذ نافع – ان هذه القضية ليست قضية هؤلاء المتهمين ، بل هى قضية حكومة متمدينة أو غير متمدينة لم نر لها مثيلا فى عصور الهمجية والوحشية – ان الذى قيل ان الهدف من هذه الجريمة التى نحن بصددها هو ابراهيم عبد الهادى ، لان يده انغمست فى جريمة مقتل الشيخ حسن البنا · ويجب أن اقرأ القضية وابحثها بعناية لكى أرتب دفاعى كما ينبغى ، ويجوز ان اطلب ابراهيم عبد الهادى للشهادة ، وقد يوفى التحقيق بسماع شهادة امثال محمد زكى على ومصطفى مرعى وصالح حرب ومحمد الناغى ومصطفى الشوربجى ·

الاستاذ سامى عازر – أطلب التصريح باعلان شهود نفى وهم الواردة أسماؤهم فى عريضة مصطفى الجابرى السابق تقديمها قبل الجلسة ، ويضاف اليهم والد الشيخ حسن البنا ومعالى مكرم باشا لسماع شهادتهما عن الطريقة التى شيعت بها الجنازة ودفن بها القتيل · (استجابت المحكمة لهذا الطلب)·

● **تليفونات جمعية الشبان المسلمين كانت مراقبة بأمر :**

الاستاذ طاهر الخشاب – (فى جلسة ٥–١٢–١٩٤٩) ان تليفونات جمعية الشبان المسلمين كانت موضوعة تحت المراقبة ، واطلب ضم التقرير الذى أرسل الى المراقبة فى هذا الشأن فى الفترة ما بين الساعة الخامسة مساء يوم اغتيال الشيخ حسن البنا الى الساعة العاشرة من مساء اليوم التالى :

الرئيس – وما علاقة ذلك بالقضية ؟

الخشاب – ان قضية اغتيال الشيخ البنا ضمت الى قضيتنا ·

الرئيس – ذلك لما قد يتناوله الدفاع عن الباعث ·

الخشاب – ولكن الاهم أن اقدم مثلا على تصرفات الحكومة فى ذلك العهد – تلك الحكومة المفروض فيها المحافظة على الامن – والثابت فى تحقيقات مقتل الشيخ البنا أنه وقت مصرعه كانت تليفونات جمعية الشبان المسلمين تدوى بأصوات رجال القلم السياسى تسأل عما اذا كان الشيخ البنا قضى نحبه أم لا يزال فيه نفس يتردد ·

● **الحاكم العسكرى استغل الاحكام العرفية لمحاربة خصومه السياسيين:**

الاستاذ فتحى رضوان – ; دفع بعدم اختصاص المحكمة العسكرية

بنظر الدعوى وأفاض فى البحث القانونى) وجاء فى دفعـه : ان الدفاع يتهم الحاكم العسكرى ـ ولا داعى لذكر اسمه) ـ بأنه خرج عن سلطته التى منحها، ومسخ النص الذى أقامه ، فبدلا من أن يصـدر أوامـر حربية للاطمئنان على الجيش المصرى أصدر أوامره لمحاربة خصومه السياسيين ٠

ولقد أغنانا ذلك الحاكم العسكرى عن البرهنة على صحة هذا الاتهام ٠ فقد أذاع عن طريق مكتبه ردا على النحاس باشا رئيس الوفد ، فجعل يتكلم فى بيانه عن عصابات الاخوان المسلمين لا عن عصابات الصهيونيين ، وعن الاسلحة والقنابل فى أوكار الاخوان لا عن ذخائر وأسلحة الجيش المصرى ٠ فهو فى صراحة يعلن أن الدافع لهذه الاحكام العرفية لأ أنه يريد حماية ظهر الجيش المصرى ، ولا لانه مشغول البال بحركات جيشنا فى الميدان ، وانما ليحارب الاخوان المسلمين وغيرهم من خصومه السياسيين ٠

ولا يصح اطلاقا أن يأتى رئيس وزراء على خلافات سياسية مع غيره وهو فى هذه الخلافات لا يريد أن يترك مقاعد الحكم ٠٠ حتى انتهى الأمر به الى ما يشبه الاقالة ـ لا يصح أن يسخر الاحكام العرفية فى مآربه الشخصية ٠

ان الشعب جميعه كان يعلم ، وكان مقتنعا بأن الاحكام العرفية لم تكن لسلامة الجيش ٠ بل ان هيكل باشا ـ وهو رئيس حزب مشارك بحق النصف فى هذه الوزارة ، وهو أيضا رئيس مجلس الشيوخ أى رئيس الهيئة التشريعية ـ هذا المسئول الكبير قال قولا له قيمته القانونية لنا ـ فقد قال :

« انه يعلن أنه دائما كان ضد الاحكام العرفية والرقابة على الصحف ٠ وضرب سعادته مثلا بأن الحكم فى مسألة اعلان الاحكام العـرفية انمـا كان قائما على المعلومات التى رأى رئيس مجلس الوزراء وقتئذ شخصيا أن يلقيها على زملائه الوزراء » ٠

وعلق الاستاذ فتحى على حديث هيكل باشا قائلا : ان سـعادته يعلن ويعنى أن الحاكم العسكرى قال كلاما للوزراء فهموا منه أن الحالة فى فلسطين تستدعى مد الاحكام العرفية ، وأنه استطاع بعد ذلك هيكل باشا أن يعـرف أنهم كانوا مخدوعين ، وأن الحاكم العسكرى أعطى لهم بيانات غير صحيحة ٠

وقال الاستاذ فتحى : ان الحاكم العسكرى فى هذه الفترة (الانتخابات) فى اجازة ٠ ولا يجوز أن تنظر محكمة عسكرية دعوى فى خلال هذه الاجازة ٠

وقد قررت المحكمة ضم الدفـع الى الموضوع مـع التصريـح بتقديم مذكرات ٠

● من شهادة الاستاذ حامد جودة :

حضر فى جلسة ١٨-١٢-١٩٤٩ وقرر فى شهادته أن المقصود بالاعتداء لم يكن هو بل كان ابراهيم عبد الهادى . وقال انه لما وصل منزله اتصل بعبد الهادى ليحذره فوجده قد سبقه .

الاستاذ مختار عبد العليم - هل تتولى حضرتك الاشراف على جريدة « الاساس » ؟

الشاهد - تقريبا .

الاستاذ مختار - هل تذكر انه نشر بها مقال عقب مقتل النقراشى باشا بانه يجب مقاومة العناصر الارهابية بالطرق المشروعة وغير المشروعة ؟

الشاهد - مش متذكر .

الاستاذ مختار - ما السبب فى اعتقادك أن المقصود بالحادث هو ابراهيم عبد الهادى ؟

الشاهد - لانه هو الذى يقاوم الاخوان المسلمين .

المحكمة - من الذى تعتقد انه يقوم بهذه الحوادث ؟

الشاهد - الحوادث التى وقعت كانت من فعل خليط من الشيوعيين والصهيونيين والاخوان . وأن الثلاثة امتزجوا ببعض .

الخشاب - ما الدليل على ذلك ؟

الشاهد - لان جمعية الاخوان كانت تصرفه مبالغ كبيرة .

ثم سأله المحامون عما اذا كان قد اتهم فى حوادث قتل او أوى مجرما فقال : انا الذى سلمت الخط .

الفصل الرابع

البوليس السياسي والتعذيب

مقدمة

أنشىء البوليس السياسى فى مصر ليكون أداة لتثبيت اقدام الاحتلال البريطانى فيها ، فهو من ناحية الشكل جهاز من أجهزة وزارة الداخلية المصرية ، وأعضاؤه ضباط وجنود وموظفون مصريون جنسية ، ولكن أعمالهم وجهودهم وأهواءهم وولاءهم للمستعمر ، الذى يعتقدون فيه ما يعتقد المؤمن فى ربه ٠

وكانت الرياسة الرسمية لهذا الجهاز فى أول الامر لغير المصريين ، فلما ابدت شخصيات من العاملين فى هذا الجهاز من المصريين نضوجا فى خيانة بلادهم وتفانيا فى الاخلاص للقائم فى السفارة البريطانية اسندت الرياسة الرسمية للمصريين ، فبذ هؤلاء الرؤساء المصريون أسلافهم الاجانب فى التسلط الاجرامى على الشرفاء من مواطنيهم تسلطا اذهل سادتهم الانجليز أنفسهم ٠

والعجيب هو أن الحكومات المصرية المتعاقبة كانت تعلم عن هذا الجهاز هذه المعلومات ، ومع ذلك لمتجرؤ واحدة منها على المساس به أو حتى على الاحتجاج عليه ، بل ان بعضها كان يُستخدمه فى الكيد لمنافسيه على كراسى الحكم ٠٠ ولم تكن السفارة البريطانية - صاحبة الجهاز الحقيقية - تعارض فى ذلك ، لان هذا كان لحسابها اذ هو فى نطاق اللعبة التى اخترعتها لتلهى بها الزعماء عن المطالبة بحقوق بلادهم ٠٠ ولكن الاساليب التى كان يتبعها الجهاز فى هذه الحالة بالذات لم تكن تتعدى فض اجتماع أو التصنت عليه ، أو مصادرة عدد من صحيفة أو منشور ، أو مضايقة سياسى فى تنقلاته ٠

وأعمال البوليس السياسى الآثمة - ومجرد وجوده اثم - كانت موضع سخط الشعب باعتباره اداة للتجسس عليه ، ونقل أخباره وتحركاته بل وهمساته الى المستعمر ٠٠ ومع ذلك فان هذا الجهاز كان يعتبر هذه الاعمال ان هى الا مداعبات اذا قيست بما خول من سلطات لا حدود لها ٠٠ ولكن

سادته الانجليز كانوا يرون أن ما بقى فى هذا الشعب من رمق لا تستدعى مكافحته بأكثر من هذه الداعيات ..

فلما فوجىء المستعمر بحيوية مفاجئة فى هذا الشعب ، نمت وترعرعت فى غفلة منه نموا لم تعد الاساليب المعتادة كافية لمكافحته ، فان وجود المستعمر نفسه اصبح مهددا أمام هذا النمو الفارع المباغت .. اخذ فى استجماع قواته المصرية شكلا ليقابل بها السيل الجارف الجديد من الحيوية المتدفقة .. فأشار الى حكومة عميلة حاقدة ، فأتته طائعة جاثية ، ووضع فى خدمتها وتحت امرتها رجاله الخلصاء من البوليس السياسى ، على أن يهيىء رئيس هذه الحكومة لهم الجو المغلق باعلان الاحكام العرفية ، وعلى ان تكون ابواب خزانة الدولة مفتوحة لهم على مصاريعها .. لان هذين معا ـ الجو المغلق والخزانة المفتوحة ـ هما الوقود الدافع لهم ، والمحرك لاحط الغرائز فيهم ، حتى يحققوا الغاية التى من اجلها أنشىء جهازهم،وهو ازالة كل ما من شأنه أن يهدد وجود المستعمر أو يعكر صفوه .

فاندفعوا بأحط غرائزهم اندفاع الذئاب الجائعة ، ففعلوا بالشباب الطاهر من الوطنيين المؤمنين الشرفاء ما يعجز الخيال عن تصوره من اساليب الاجرام ، وضروب الوحشية ، غير عابئين بشرف ولا مكترثين بعرف ولا قانون .

وقد رأيت حين أفردت هذا الفصل لعرض هذه الاساليب الوحشية أن لا أتدخل فى وصفها بكلمات من عندى أو بعبارات من قلمى حتى لا أتزيد فى الوصف ولا أقصر عنه .. ورأيت أن أدع هذا الوصف لاولئك الذين عانوا من هذه الوحشية ، وكانوا فرائس لهذه الوحوش الآدمية الضارية ..

وليس معنى ذلك أننى آتى فى هذا الفصل على كل من عانوا ولا على كل ما عانوا ـ فهذا مالا يتسع له الكتاب بجميع صفحاته ـ لكننى اجتزىء بقليل من كثير على سبيل الامثلة والنماذج التى يهتدى القارىء بها الى ما وراءها .

أولا ـ فى قضية النقراشى :

● **المتهم محمد مالك :**

فى جلسة ٢٩ـ٨ـ١٩٤٩ طلب المتهم محمد مالك من رئيس المحكمة السماح له بالكلام فقال : انه لما اعتقل فى الاسكندرية جاءوا به موثق اليدين والرجلين الى المحافظة فقال له الاستاذ عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية « أنا عمار عدو الاخوان » ثم امر رجال البوليس بتعذيبه . فانهالوا عليه بالضرب المبرح ـ ولما جىء به الى القاهرة اجتمع عليه ضباط القسم

السياسى ورفعوا رجليه بعد ربطهما وانهـالوا عليـه ضربا فى كل جسـده ، وكانوا يدوسون على وجهه بأحذيتهم ، ثم شفعوا ذلك بلفحات من الكرابيج، وكان يغمى عليه ويود أن لايخرج من اغمائه حتى لا يشعر بهذا العذاب ٠

وخيروه بين تأييد رواية عبد المجيد وبين التعذيب ، وأعدوا له حجرة تعذيب ٠٠ ولمـا أدركوا أنه لم يعد يستطيع المشى اجبروه على أن يجرى ، ولمـا لم يستطع الوقوف أرغموه أن يقف ساعات ، وكان يترك الاسابيع دون ان يغتسل أو يبدل ملابسه ٠

وهنا وقفت والدة مالك وفى يدها رباط شاش وقالت ان ابنها كان كل جسده جروحا ٠ فأسكتها رئيس المحكمة ٠

وكان مالك يروى بتأثر وحنق ويقول انه عاجز عن تصور ما كان يعانيه من عذاب حتى تلفت أعصابه وكان يضرب بالحديد نعله ينطق ، وكان البوليس يوجه اليه كلمات مقذعة خبيثة ، واستعانوا بصـغار اخـوته ليرغمـوه على الاعتراف ٠

فسأله الرئيس : ولمـاذا لم تخطر النيابة وقد حقق معك أكثر من مرة ؟

مالك ـ بلغت اسماعيل عوض بك رئيس النيابة بلا جدوى كما بلغت محمد عبد السلام بك ٠

محمد عبد السلام ـ عندما بلغنى المتهم أحلته على الكشف الطبى ٠

دكتور عزيز فهمى لقد عذب أيضا بعد الكشف ٠

وقال مالك انه لم ينـج من التعـذيب حـتى فى الشـوارع أثناء ذهابه للتحقيق ٠

الرئيس ـ وكيف ذلك ؟

الاستاذ احمد حسـين ـ ثابت أن المتهم كان يقاد الى التحقيق وهـو يرتدى جلبابا وحافى القدمين ٠

● المتهم محمـد نايـل :

وفى نفس الجلسة قال المتهم محمد نايل أمام المحكمة انه كان يضرب على قفاه من ضباط القلم السياسى وهو جالس فى الغرفة المجاورة للمحقق ، وانه اخذ بحجة التحقيق معـه فى النيابة واقتيد الى قسـم عابدين ، حيث هدده رجال القلم السياسى بتشريح جسمه اذا لم يعترف ٠

وقال انه بعد أن نال ضربا مبرحا أخذ مكبلا الى غرفة الحكمدار ، فوجد فيها ابراهيم عبد الهادى باشا ، فدهش لوجوده ·· ويظهر أن رئيس الوزراء لاحظ تلك النظرة فقال له « بتبص لى كده ليه ؟ انت عندك حاجة يا واد ؟ » ثم أمر باخراجه حيث ضرب بالفلقه ·

وقال المتهم ان لديه شاهدا على هذا التعذيب وهو أمان الله خان ·

الرئيس - من ملوك أفغانستان ؟

نايل - فعلا من الاسرة المالكة الافغانية ، وكانت له قضية يعرفها القلم السياسى ·

□ عدم اثبات الاصابات :

وقال نايل انه لما توجه الى سجن مصر ، رفض الطبيب أن يثبت اصاباته · فلما الح عليه اكتفى بوصفها « قراحات » · وقال ان هذه المعاملة الهمجية الظاهرة جعلته يطمع فى حمى النيابة - وهو يعتقد أنها ستنصفه - ولكن لما استدعاه اسماعيل عوض بك رفض أن يسجل اصاباته بناء على طلب القلم السياسى ·

□ عمليات تعرف مزيفة :

وقال ان عمليات التعرف عليه كانت مزيفة ، فان الشخصين اللذين تعرفا عليه كانا قد اجلسا قبلا بجواره طيلة ساعة كاملة ·

□ صمت مخجل :

وقال ان هناك أشياء أخرى يخجل من ذكرها أمام الناس ·

وفى الجلسة التالية المنعقدة يوم ٣-٩-١٩٤٩ بدأ الحديث الدكتور عزيز فهمى المحامى فقال : ان المحكمة تفضلت فى الجلسة السابقة بالاستماع الى أقوال المتهمين مالك ونايل · وقد اتضح من هذه الاقوال أن بعض المتهمين كان هدفا للتعذيب لحملهم على الافضاء باعترافات معينة · وقد رأت المحكمة آثار هذا التعذيب على أجسامهم ، ووصف الرئيس هذه الآثار بأنها لا تزول مع الزمن - واستطرد الدكتور عزيز فقال : ولم يكن التعذيب جسمانيا فحسب ، بل كان البعض هدفا لجرائم من نوع آخر يمس اعراض المتهمين وأعراض اخواتهم وامهاتهم وزوجاتهم ، كما اشار الى ذلك كل من مالك ونايل وامسكا اللسان عنها استحياء · ثم طلب الدكتور عزيز من المحكمة أن تسمع

أقوال المتهمين فيما وقع عليهم من اعتداءات تمس الاعراض وتحقيقها لمحاكمة مرتكبيها طبقا للقانون • (ودارت مناقشة بين الدكتور عزيز فى ذلك وبين رئيس المحكمة رفض فى نهايتها رئيس المحكمة طلبه بالتحقيق فى التعذيب)

□ **لا حياء فى القانون :**

وقال الدكتور عزيز : ان المتهمين يريدان الادلاء بأقوال للمحكمة ، ومن حقهما أن يطلبا الاستماع الى هذه الاقوال • ولقد منعتهما المحكمة فى الجلسة الماضية من سرد ما ارتكب ضدهما ويمس الاعراض بحجة أنه يتضمن عبارات نابية ، مع أنه لا حياء فى القانون كما أنه لا حياء فى الدين •• واصر الرئيس على عدم سماع المتهمين • فتساءل الدكتور عزيز عما اذا كانت المحكمة ترفض سماع متهم ولا تريد ان تستنير •• وقال ان الجرائم التى أشار اليها المتهمان تحمل مرتكبيها مسئولية جنائية عقوبتها الاشغال الشاقة أو السجن ••• ومع ذلك أصر الرئيس •

● **المتهم عبد الفتاح ثروت شاهدا :**

وفى خلال جلسة ٣ـ٩ هذه استمعت المحكمة الى ثلاثة من المتهمين فى قضية اسيرة الجيب ــ بناء على رأى رئيس المحكمة ــ كشهود فى هذه القضية ، ومن هؤلاء الشهود عبد الفتاح ثروت الذى قرر انه راصد جوى • وما ان سألته المحكمة عن معلوماته فى القضية حتى اندفع يروى قصة تعذيبه •

وقد استهل كلامه قائلا انهم عذبوه ــ وكشف للمحكمة عن آثار التعذيب فى قدميه ــ ثم قال انه ارتكبت معه أعمال منافية للاداب •

الرئيس ــ بس •• بس •

الدكتور عزيز ــ نريد أن نسمع الشاهد •

الرئيس ــ ستسمعون ولكن ليس فى جلسة علنية •

واستانف الشاهد كلامه فقال انه كان يعذب بالضرب فى سجن الاجانب والمحافظة • وكانوا يجبرونه فى حجرة التعذيب على الوقوف من الصباح الى المساء حتى لا ينام • كما قبضوا على أقاربه ونكلوا بهم •

□ **اصبحت محطما :**

واستطرد يقول : لا يمكن ان أصور الآلام التى قاسيتها •• لقد كنت فى عملى الحكومى نشيطا ، أما الآن فقد تحطمت أعصابى ، وأصبحت فريسة

للنوبات والاضطرابات ، ولم يعمل لى طبيب السجن شيئا ٠٠ وأنا أتناول أدوية من الخارج ٠

□ تعذيب أمام النائب العام :

وقال : لقد كان رجال البوليس السياسى يحضرون التحقيق ويهددوننى بعد تعذيبى ، وذلك أمام سعادة محمود منصور باشا النائب العام السابق ، وقد شكوت له فقال لى :

« لا تتعب نفسك بالشكوى فنحن نعرف والحكومة تعرف وسوف نشرحك » ٠

□ وامام ابراهيم عبد الهادى :

واستأنف يقول : وقاموا بضربى يوما ثلاث مرات فى المحافظة ومرة فى النيابة ، واخذونى لابراهيم عبد الهادى باشا فقال لى « تكنم أحسن لك علشان تطلع كما طلع غيرك » ـ وقال الشاهد : انه لانهيار أعصابه وقع على أوراق لا يدرى ما فيها ٠

وأجاب الشاهد على سؤال لغنام بك المحامى بأنه دخل على ابراهيم عبد الهادى باشا وملابسه ملوثة بالدماء فقال له « يا ولد انت عارف حتتكلم ازاى ولازم تقول كل حاجة » ثم أخرج بعدها الى غرفة التعذيب ٠ وقال : انهم كانوا ينصحون له بانهم يعرفون كل شىء عن عائلته فقالوا له ان أخته مريضة بالسكر وانهم شردوا والده ٠٠ وقال ان البوليس طلب منه أن يذكر كلاما عن مالك وأن يتهمه بالاشتراك فى الحادث ٠

وأجاب على سؤال آخر لغنام بك بأنه قابل ابراهيم عبد الهادى باشا ثلاث مرات ٠ وكان البوليس يهمس فى أذنه قبل المقابلة أن الباشا فى يده كل شىء ٠ وكان الباشا يلح عليه فى أن يتكلم ٠

وقد وافقت المحكمة على احالة الشاهد الى الكشف الطبى ٠

□ الاستاذ على منصور يطالب المحكمة بتحقيق التعذيب أو ايقاف المحاكمة

وقد طالب الاستاذ على منصور المحكمة بتحقيق التعذيب أو ايقاف المحاكمة حتى تقوم النيابة بهذه المهمة حتى ترى المحكمة ما يلقيه هذا التحقيق من ظل ـ وعقب على النيابة ان التعذيب تم بحضورها ٠٠ كما هاجم تقرير الكشف الطبى على « مالك » حيث قرر أنها مجرد تسلخات بسيطة من

اثر القيد الحديدى وأنها لا تحتاج الى عــلاج بل تزول من نفسها على مرور الايام ٠

وقال الاستاذ على منصور : لقد جانب هذا التقـرير الحقيقة مجـانبة سـافرة ، اذ أن الآثار التى يكشـف عنهـا « مالك » أمام المحـكمة ليست بالتسلخات البسيطة ، ومنها ما هو بالفخذ مما لا يعقل أن يكون من القيد الحـديدى ٠

وقال انه يتمسك بتحقيق التعـذيب اثـابت من الآثار المـادية التى شاهدها الجميع فى قاعة الجلسة ، كما ان لدى « مالك » شهـودا على وقائـع تعذيبه هم الدكتور جمال عامر والشيخ محمد جبر وسيد أفندى شامه ومحمد أفندى أمين حنفى ٠

☐ **يتهم البوليس السياسى بأنهم قتلوا متهما ودفنـوه :**

ثم قال الاستاذ على منصور : والدليل على ذلك أيضا انه قد توفى بين أيدى الجلادين أحد الشقيقين احمد عبد النبى أو محمد عبد النبى ، وذلك بدار محافظة الاسكندرية حيث تولت الادارة دفنه فى مكان مجهول ثم أخطرت أهله ٠

واستطرد يقول : هى حقائق مقتطفة من كثير مما ثبت لدى ولا استطيع بيانه خوفا على مراكز من يعرفنى بها ٠ وفى هذا الكفايه اضعه أمام الضمائر الحية لحضرات المستشارين والضباط العظام لتقديرها ٠

☐ **الدكتور عزيز فهمى يقول «هذا التعذيب لم يقع مثله فى القرون الوسطى»**

فى جلسة ٢٦ــ٩ــ١٩٤٩ جاء فى مرافعة الدكتور عزيز فهمى عن التعذيب قــوله :

« ان هذه الجرائم التى يتحدث عنها الناس فى الاندية العامة والخاصة، لم نسمع لها مثيلا من قبل ، فلقد كان عهد فلبيدس وبدر الدين ومن اليهما من الطغاة والمستبدين ــ الذين وصفت محكمة النقض والابرام عهدهم بانه كان اجراما فى اجرام ــ عهدا انسانيا بالنسبة لهذا العهد الاخير ٠

ولقد كان فلبيدس وبدر الدين ومن اليهما ملائكة رحمـة اذا قـورنت جرائمهم بهذه الجرائم ــ ان هذه الجرائم لا يمكن ان يرتكب مثلها فى بـلاد الهمج ، ويستحيل أن يكون مثلها قد وقع فى القرون الوسطى او فى المجتمعات البدائية دون ان ينال مرتكبوها جزاءهم الصارم ٠

ثانيا ــ فى قضية السيارة الجيب :

فى جلسة ١٩ــ١٢ــ١٩٥٠ استمعت المحكمة الى ثلاثة من المتهمين فى

قضية الاوكار وجودة باعتبارهم شهود نفى فى هذه القضية وهم سعد جبر التميمى ومصطفى كمال عبد المجيد وعبد الفتاح ثروت ٠

● **سعد جبر ـ ضربونى بالحذاء فى وجهى :**

قال انه استأجر فيلا الزيتون ، ولم تكن الاجهزة التى بها هى لمحطة اذاعة كما أذيع وانما هى أدوات لمشروع تجارى خاص بتسجيل اسطوانات المطربين فى مصر بدلا من الخارج ٠ وقال انه اعتدى عليه بالضرب حتى منتصف الليل على يد الصاغين (الرائدين) توفيق السعيد وعبد المجيد العشرى والجاويش مصطفى التركى الذى كان يضربه بالحذاء فى وجهه ٠

● **مصطفى كمال ـ علقت كالذبيحة وشوونى بالسجاير أمام عبدالهادى:**

قرر أن كل ما نسب اليه فى التحقيقات هو من املاء اللواء طلعت بك بعد تعذيبه ـ وقال : علقونى فى شباك القسم زى الذبيحة ، ولما صرخت شوونى بالسجاير الولعة ـ وجاء ابراهيم عبد الهادى باشا ماستغثت به ولكنه لم يعبأ بى وأشار على ضابط ضخم معه لمواصلة تعذيبى قائلا : شرحوه ٠

كما انهم لم يسمحوا لى بالنوم ابدا ٠ وقد حاصرنى ضابطان كانا يبادرانى بصفعى كلما هممت عينى بالنوم وكانوا يجعلونى أوقع على أوراق وأنا كالجثة الهامدة ـ وقد استغثت بحضرة المحقق محمد عبد السلام بك فلم يعبأ بى وتخلى عنى ٠

● **عبد الفتاح ثروت مرة أخرى :**

ولما كانت حالته لاتمكنه من اداء الشهادة واقفا فقد سمحت له المحكمة بالجلوس على مقعد ٠ وقد قرر أنه لم يعترف بأى شىء فى التحقيق وان التعذيب جعله فاقد الشعور ٠

□ **جردونى من ملابسى :**

وروى بصوت مرتعش ضعيف صنوف التعذيب فقال : ان اللواء طلعت بك هدده بالتشريح اذا لم يعترف قائلا : ان البلد فى أحكام عسكرية ـ ثم قال : واخذونى الى غرفة انضباطين العشرى وفاروق كمال وجردونى من ملاسى ونزلوا فى ضرب من تسعة مساء الى أربعة صباحا ٠

□ **الفلكة انكسرت :**

ولقد قسموا أنفسهم أربع مجموعات ، كل مجموعة من ١٢ عسكرى

ضابط ، ووضعوا رجلى فى الفلكة واستمر الضرب حتى ان الفلكة انكسرت. ثم استعملوا كرابيج الهجانة ·· ولما أفقت من اغمائى قال لى طلعت بك : هذه هى الجولة الاولى والبقية تأتى ·

☐ **أمر بالموت :**

وأخذونى الى ابراهيم عبد الهادى باشا فقال لى : انا عندى أمر انى أموتك ·· ثم أمر بموالاة تعذيبى · وكان التعذيب على أربع درجات : بالضرب بالعصى والكرابيج ثم الكى بالنيران ، وأحضروا سيخ حديد محمى ولكن الضابط محمود طلعت طلب من الضباط أن يكفوا عنى قائلا : ده صاحبى وسيعترف بكل شىء ··· ثم نمت على الاسفلت فكانوا يطرقون الباب حتى يهرب النوم من عينى · وما كانوا فى حاجة الى ذاك لاننى لم أكن أستطيع الرقاد على أى جزء من جسمى المشوى كله ·

☐ **اعتداء منكر :**

ثم طالبونى بالاعتراف وهددونى ان لم أفعل أن يعتدوا على اعتداء منكرا · وفعلا تقدم واحد يريد الاعتداء على ·· فقلت له : انا أعرف اننى لا أستطيع مقاومتك · وانت يمكنك أن تفعل معى هذه الجريمة · ويمكنك أن تنجو من عقاب القانون ·· ولكنى أريد أن أقول لك قبل أن تبدأ : ان الله لن يترك هذه الجريمة بلا حساب ··· فابتعد عنى ·

☐ **هاتوه اخرس :** وظل تعذيبى ·· وتلفت أعصابى ·· وكنت لما أذهب الى اسماعيل عوض رئيس النيابة واشكو له يضرب الجرس ويأتى الحرس فيقول لهم هاتوه لى اخرس خالص ·

☐ **أنا الحاكم العسكرى :**

وجاءنى ابراهيم عبدالهادى باشا ٤ مرات وقالى: انا أبهدلك وابهدل اهلك. وأنا الحاكم العسكرى · كما جاء النائب العام محمود منصور باشا فلما تقدمت له شاكيا قال : انا عارف كل حاجة · وتركنى ·

☐ **حفظة الامن :**

وقال: ان من الغريب حقا اننى حينما حضرت اليوم لاداء الشهادة وجدت بعض رجال البوليس السياسى معهودا اليهم المحافظة على الامن · وكنت أعتقد أنهم الآن أمام المحاكمة لماقبتهم على ما ارتكبوه من آثام ·

الرئيس ـ هل طلبوا منك أقوالا معينة ؟

الشاهد ـ نعم ·· أن أقول اننى أعرف مالك وعاطف واننى مشترك فى الاعتداء على حامد جوده ·

□ نوبة عصبية :

وما كاد المتهم ينتهى من هـذه العبارة حتى ارتجـف بدنه وحملـق فى الهواء وأصيب بنوبة اغمائية ، وجعل يرسل شهيقا عصبيا مؤلما ابكى معظم الحاضرين فى القاعة ـ وبادر رجال البوليس برش المـاء على وجهه ، كما خف اليه طبيب من الموجودين وحملوه الى الخارج ·

وقد وافقت المحكمة على اثبات ذلك فى المحضر ·

● عبد المجيد نافع يقول : أقسم ان عبد الهادى كان يحضر التعذيب :

تحدث الاستاذ عبد لمجيد نافع فى مـرافعته عن الاعترافات والتعـذيب فقال : ان التواتر يعتبر حجة · والذى تواتر على الالسنة أن حوادث تعذيب مروعة كانت تقع على كثير من المتهمين · بل كان الناس يتناقلون فى مجالسهم الخاصة والعامة أن هذا التعذيب كان يقع بأوامر من ابراهيم عبد الهـادى باشا أو على الاقل بمعرفة منه أو على أقل القليل كان يصادف هوى فى نفسه ·

ولقد مثل ابراهيم عبد الهادى باشا بين أيديـكم ، واعتصم بالانـكار البات فيما تعلق بوقائع التعذيب ، ولكن عبد الهادى باشا انسان ، وقد كان رئيس حكومة ووزير الداخلية فلا يعقل ان يعترف امام الرأى العام بأنه كان يأمر بالتعذيب ·

لقد أقسم عبد الهادى باشا بشرفه انه لم يشهد التعـذيب · والدفاع يقول « لقد قال لكم « بروتس » ذلك ، « وبروتس » رجل شريف وكفى » ·

□ يمين على اقوال ضابط :

ثم عاد الاستاذ نافع فقال : اننى اقسـم يمينا ، ويمينا حقـا بأننى سمعت من احد كبار الضباط أن ابراهيم عبد الهادى باشا كان يحضر بنفسه عمليات التعذيب ·

□ الى متى هذا البوليس السياسى :

ثم قال : : ان البوليس السياسى قد استعمل من صـنوف التعـذيب للمتهمين مالم يتصـوره أحد · حتى ان هيئة الدفاع التى شـكلت للدفاع فى

قضية قنابل ٦ مايو (ليست من قضايا الاخوان) كانوا يصرخون ظلما من تصرفات رجال البوليس السياسى ومنهم عبد الفتاح الطويل باشا ومحمود سليمان غنام بك وعمر عمر بك وعبد الفتاح الشنقانى بك (منهم من تولوا منصب الوزارة بعد هذه القضية التى ترافعوا فيها) ونرجو أن يعملوا شيئا لاصلاح هذه الحالة ٠

ثالثا – فى قضية جودة والاوكار :

فى ٦–١١–١٩٤٩ أثبت الطبيب أن أحد المتهمين نزعت أظافره ٠

☐ أمر عسكرى باخضاع سجن الاستئناف للبوليس السياسى :

الاستاذ فتحى رضوان المحامى – أطلب من المحكمة أن تأذن لى بأن يسلمنى المتهم الثانى التقرير الذى كتبه عن وقائع تعذيبه ومعذبيه وشهود التعذيب ، على أن يكون ذلك مباشرة دون أن تطلع النيابة على هذا التقرير ٠

وقد فهمت عند مقابلة المتهم فى السجن أن أمرا عسكريا صدر لمدير مصلحة السجون يخرج سجن الاستئناف من سلطة مصلحة السجون ، ويخضعه للحاكم العسكرى ، بمعنى أن الحاكم رأى أن يدخل ضباط القسم السياسى سجن الاستئناف وكما يشاءون ، مع أن لائحة السجون تمنع دخول أحد الا باذن من النيابة ٠ واطلب ضم هذا الامر العسكرى فان صدوره يعنى أن الحاكم العسكرى رأى أن الاجراءات العادية لا تمكنه من سير التحقيق على النحو الذى يرتضيه ٠

الرئيس – ماذا يهم الدفاع من ذلك ؟

فتحى رضوان – صدور هذا الامر يدل على أن المحقق ضاق ذرعا بالنظام العادى المتبع فى كل قضية وان الاعترافات صدرت فى ظل اجراءات شاذة مخالفة للقوانين ٠

الرئيس – ما هو رقم هذا الامر ؟

فتحى رضوان – لم أمكن من معرفة ذلك ٠

الرئيس – ألا تكون المسالة وهمية ؟

عبد الفتاح حسن المحامى – ان الدفاع مصدق ٠ وفتحى بك يذكر واقعة محددة فى فترة معينة ، ومن حق المحكمة أن تستجليها ، كما أن من حق الدفاع أن يبرز الظروف التى شابت هذه القضية ، ومن بينها العمل على الوصل بين ضباط القلم السياسى وبين المتهمين فى سجن الاستئناف ٠

فتحي رضوان – ان واقعة هـذا الامر العسـكرى ليست مستنتجة أو مدعاة بل سمعتها من نفس موظفى السجن. وأطلب ضم قضية مقتل سليم زكى باشا حيث نسبت فيها لبعض المتهمين اعترافات ثم رأت النيابة حفظ القضية مع وجود هذه الاعترافات . والدفاع يستفيد حين يقدم نموذجا من تحقيقات القضـايا فى ذلك العهـد وظـروف الاعـترافات وحفظ القضـايا رغم وجـود اعترافات فيها .

عمر التلمسانى المحامى – أطلب ضم ملف قضية مقتل النقراشى باشا لان موكلى (الثالث) كان شاهد نفى أثناء التحقيق فيها ، وقد احيل وقتئذ على الطبيب الشرعى فأثبت وجـود آثار تعـذيب به ، كما أطلب ضم ملـف خدمة المتهم بالارصاد الجوية ، حيث ان البوليس السـياسى استطاع أن ينتزع صورة المتهم من ملفه خدمته وأن يعرضها على الذين تعـرفوا عليه . وقد ناقشه الرئيس فى هذا الطلب فتدخـل فى المنـاقشة الاستاذ عبـد الفتاح حسن .

عبد الفتاح حسن – ان من مصلحة الدفاع ان يضم ملف خدمة المتهم حتى يتبين للمحكمة الموقرة مدى تزيد هؤلاء الاشخاص الذين عاونوا المحقق . وذلك رصيد نقدمه لان دفاعنا سيستقى من هذا المعين ، وسنقدمه للتدليل على الاكاذيب التى اكتنفت التحقيق .

الاستاذ مختار عبد العليم – أطلب احالة موكلى (الرابع) الى طبيب اخصائى فى أمراض الاذن لانه فقد سمعه وأصبح (أطرش) نتيجة تعذيبه .
الرئيس – لقد أحيل على الكشف ولم يثبت به شيء .

مختار – الطبيب الشرعى فحص فقط الاصابات الظاهرة ، ولقد مضى على احداثها عدة شهور فامحت ، أما آثارها فباقية ومنها فقد المتهم سمعه .

عبد الفتاح حسن – ان الذى قام بالتحقيق فى قضيتنا هذه هو المحامى العام – ولا أسميه – حقق أيضا القضية المحدد لنظرها ١٥ الجارى بالاسكندرية « قضية اخفاء يوسف على يوسف » وفى القضية المذكورة تقـرير من الطبيب الشرعى بأن أحد المتهمين قد انتزعت اظافره انتزاعا ، وعلى الرغم من ذلك لم يثبت المحقق هذا فى محاضر تحقيقه .

ومن حق الدفاع ان يحصل على صورة من هـذا التقـرير الطبى حتى يشعر المحكمة بالدليل المـادى بأن التحقيق الذى باشره شـخص معين كان كان يغفل الوقائع الخاصة بالتعذيب حتى الاظافر المنتزعة لا يمكن أن يكون تحقيقا أمينا . فأرجو أن تاذن لى المحكمة بصورة من هذا التقرير .

(وكان الدفاع قد طلب تقارير استشارية عن بعض المتهمين وقررت المحكمة اجابة جميع طلبات الدفاع).

□ مكافأة المتواطئين :

فى جلسة ٥-٣-١٩٥١ استمعت المحكمة الى اقوال مصطفى كمال عبد المجيد ونجيب جويفل وبقية المتهمين . وكان من أقوال عبد الفتاح ثروت أن التعذيب يبتدىء بالفلقة والكرباج وينتهى بالقتل ، وأن ارهاب البوليس السياسى له بلغ حد استعداده لان يعترف بأنه قتل النقراشى رغم اعتراف قاتله - واعترف شهود الاثبات وأكثرهم من جنود البوليس بأنهم قبضوا مكافآت سخية من ابراهيم عبد الهادى باشا .

□ رئيس النيابة زور التحقيق :

وذكر أحد المتهمين فى سياق أقواله بأن اسماعيل عوض بك رئيس النيابة والمحقق فى قضية حامد جودة كان متخصصا فى التزوير وقلب الحقائق، فكان لا يثبت فى محاضر التحقيق الا ما يمليه عليه رجال القلم السياسى .

وهنا وقف الاستاذ صادق المهدى بك ممثل النيابة وقال انه يحتج على هذه الالفاظ التى يتفوه بها المتهمون . وقال ان المحقق وهو مستشار الآن ينزه عن ذلك الكلام .

وعلى أثر ذلك وقف الاستاذ عبد المجيد نافع المحامى وقال : ان للمتهم أن يحرج المحقق ، وله أن يهدم أدلة الاتهام بما يشاء .. ثم التفت الى ممثل النيابة وقال : انى سوف أكون على استعداد لتجريح حضرة ممثل الاتهام بالذات ، وانى سأهاجم ما استطعت المحقق فى قضية حامد جودة بالذات ، بل انى سأهاجمكم أنتم . وانى اعتبر ذلك انذارا لكم . وان الدفاع يعرف واجبه حق المعرفة وسوف يؤديه على أكمل وجه .

□ وزير الزراعة مع متهم :

فى جلسة ١٢-٣-١٩٥١ قال المتهم محمود محمد دعبس انه بعد تعذيبه ادخلوه حجرة أخرى وقالوا له : ستقابل الباشا .. فرأى عبد الهادى وبجواره شخص لا يعرفه ، فأشار عبد الهادى الى هذا الشخص وقال له : هل تعرف هذا الشخص ؟ فقالا لا . فقال انه معالى وزير الزراعة احمد عبد الغفار باشا - فتقدم نحوى وزير الزراعة وقال : نحن بلديات وانا اعمل لصلحتك ، والاجدر بك أن تعترف حتى تنقذ من هذا العذاب . ثم قال المتهم : ومن هذه الفترة وقف التعذيب لانى قريب الباشا .

□ البوليس يقيم في مسكنه مع أمه وأخته :

وقال المتهم يوسف عبد المعطى ان ثلاثة من رجال البوليس السياسى أقاموا في مسكنه مع أمه وأخته لمدة أسبوعين بعد اعتقاله واعتقال والده وقد أرسلت أخته (سن ١٢ سنة) برقية الى النائب العام تطالب باخراج البوليس من الشقة ولكن عهد الارهاب لم يستجب ·

□ النائب العام يأمر بعدم اثبات الاصابات :

وقال المتهم محمد نايل الطالب بالهندسة انه لما عاد الى سجن مصر ـ الذى كان يثبت وقتئذ اصابات كل من يرد اليه ـ حدثت أزمة استدعت حضور النائب العام السابق محمود منصور باشا الذى أصدر أمرا بأن لايثبت السجن اصابات أى متهم ·

□ عبد الهادى يكذب على مجلس الشيوخ :

وقال المتهم عصام الدين الشربينى وهو من طنطا : ان الضابط سعد الدين السنباطى رئيس القلم السياسى بطنطا اعتقله وعذبه ونقله الى القاهرة وهدده بأن والده وفدى · وقال المتهم : بعد أن عذبت فى القاهرة حملنى الجنود وعرضونى على ابراهيم عبد الهادى باشا وأنا محمول · وقد ذكرنى هذا المنظر بالمناظر التى نراها فى السينما عن رئيس العصابة وهو ينظر مزهوا الى الضحية بين يدى أعوانه ·

ثم قال المتهم : ان فؤاد سراج الدين باشا حين وصلته أنباء اعتقالنا قدم استجوابا فى مجلس الشيوخ ، فأجاب عن الاستجواب ابراهيم عبد الهادى باشا معلنا فى كذب جرئ صريح أنه لا أنا ولا أى واحد من أسرتنا فى الاعتقال ·· وقال المتهم ان ذلك ثابت فى مضبطة مجلس الشيوخ ، وانى أطالب بضمها لتروا كيف أن رئيس وزراء بلد وحاكمها العسكرى ودكتاتورها قد كذب على مجلس الشيوخ المحترمين · فهل يستبعد عليه ان يلفق لنا التهم؟

□ هذا هو الطبيب الشرعى :

ثم قال : لما أدخلت على اسماعيل عوض بك رئيس النيابة حافى القدمين التمست منه أن يحيلنى على الطبيب الشرعى · فأظهر سعادته استجابة سريعة لهذا الطلب · واذا به يستدعى الضابط أحمد طلعت بك ويقول : هذا هو الطبيب الشرعى · داويه يا أحمد بك ـ ومنذ تلك اللحظة (حرمت) أن أطالب بالطبيب الشرعى ·

● **المطالبة بتحقيق التعذيب :**

فى جلسة ٩-٤-١٩٥١ طلب المحامون أن تبدأ المحكمة بتحقيق التعذيب، وعارضتهم النيابة • وقررت المحكمة النظر فى طلب الدفاع بعد سماع الشهود•

□ **تهافت البوليس على المكافأة الحكومية :**

وفى جلسة ١٠-٤-١٩٥١ استمعت المحكمة الى شاهد هو على محمد على الطالب بكلية الحقوق قال : انه كان يسكن هو وبعض زملائه فيلا بمنطقة الهرم ثم نقلوا منها الى فيلا مجاورة •

وفى اول فبراير ١٩٤٩ حضر شخص ومعه سمسار لاستئجار الفيلا فارشده الى صاحبها وتم العقد • وبعد مضى شهرين لاحظ الشاهد تغيب السكان ، فذهب ومعه بعض رفقائه للسؤال عنهم ، ولكنهم فوجئوا بوجود باب السكن مفتوحا • فلما دخلوا لاستطلاع الامر وجدوا فى احدى الحجرات أجهزة لاسلكية وأدوات أخرى •

واستطرد الشاهد يقول انهم ارتابوا فى الامر وتوجهوا فورا الى بندر الجيزة وابلغوا المامور فأحالهم الى ضابط المباحث الذى شكرهم على هذا البلاغ ونصحهم أن لا يذكروا شيئا عنه ، وأنه سوف يجرى التحقيق ويبعدهم عن الشبهات اذا ما قرروا أنهم لم يبلغوا شيئا ، وذكرهم بأن مكافأة الحكومة لا قيمة لها - ومع ذلك فقد اعتقل هو ومن معه واستمروا فى السجن خمسة عشر يوما •

فاستدعت المحكمة ضابط المباحث وهو الملازم أول حسن أبو باشا فادعى انه كلف بتفتيش المساكن المتطرفة وأنه هو الذى عثر على هذه الفيلا •

وهنا واجهت المحكمة هذا الضابط بالشاهد فأصر كل منهما على أقواله• ولكن الشاهد لم يقنع بهذا وطلب من المحكمة أن يحلف الشاهد على المصحف على صحة اقواله • وأيده الدفاع ولكن النيابة اعترضت بأن هذا القسم لم يرد فى القانون •

□ **والدة متهم تربط بقيد واحد مع احدى العاهرات :**

وقبل ان ينصرف هذا الضابط وقف المتهم صالح الجناينى وأشار اليه قائلا : ان هذا الضابط احضرنى الى بندر الجيزة فى ٢٠ مايو ١٩٤٩ وهددنى بوجود مظروف سيؤدى بى الى حبل المشنقة اذا لم اعترف • فلما اخبرته بأنى لا اعرف شيئا ، امر الجنود باحضار والدتى - وكان قد استحضرها من بلدتى

بمحافظة الشرقية ووضعت فى الحجز ـ ولكنى لم أصدق هذا حتى تبينت لى الحقيقة المرة ووجدت العسكرى يدخلها علينا وهى مربوطة بقيد حديدى واحد مع احدى العاهرات ، وكانت العاهرة عارية الثياب • فأشار اليها الضابط

وقال لى : شوف نجعل والدتك كهذه العاهرة اذا لم تتكلم •

واستطرد المتهم يقول : ثم أحضروا أخى الصغير ـ وهو كفيف البصر ـ ومعه ابن عمى ـ وهو مريض بالصرع ـ والدم ينزف منهما • وقال لى الضابط : انظر بعينيك لتعرف مصيرك ومصير أهلك • ثم أخرجونى ودخلت على المحقق الذى أعرض عنى وانشغل بمكالمة تليفونية • ثم دخل هذا الضابط وأخرجنى حيث نصبت لى فلقة من نوع جديد ابتكروه لى وتوالى التعذيب •

وسئل الضابط عن صحة هذه الوقائع فأنكرها •

● **الدفاع يطلب سماع شهادة محققين فى هذه القضية :**

وعلى أثر افتتاح الجلسة التالية للمحكمة فى ١٣ـ٤ـ١٩٥١ طلب أحمد حسين المحامى اعفاءه من الانتداب وتنازله عن التوكيل عن المتهمين لانه لا يستطيع الاستمرار فى القضية مالم تاخذ المحكمة بما طلبه من اجراء تحقيق فيما تم من تعذيب ـ فرد عليه رئيس المحكمة بأن المحكمة وافقت على طلبات المحامين • وزملاؤه تقدموا بحوالى خمسين شاهدا للتحقيق فى وقائع التعذيب وطلبت منه تقديم ما عنده فى هذا الشأن ـ فشكر المحكمة وطلب منها سماع أقوال الاستاذين عصام الدين حسونه وعدلى بغدادى وكيلى النيابة لانهما اشتركا فى تحقيق هذه القضية • فاجابته المحكمة الى هذا الطلب •

● **هل هناك أدلة قانونية على التعذيب ؟**

فى جلسة ١٦ـ٤ـ١٩٥١ قال رئيس المحكمة ان المحكمة قررت تحقيق هذه الوقائع بالفعل • وكل متهم يقدم دليلا على تعذيبه فنحن على استعداد لتحقيقه •

البهنيهى بك المحامى ـ المتهمون لا يستطيعون أن يقدموا أدلة ، لان التعذيب كان يحصل بين أربعة جدران • وهم لا يستطيعون الاستشهاد باحد خصوصا وأن المحيطين بهم كنهم من رجال البوليس • وكان الاطباء يدعون للكشف عليهم بعد عدة شهور من وقوع التعذيب ، مما يجعل الاطباء يثبتون آثار الاصابات وان كانوا لايستطيعون الجزم بها •

الرئيس ـ ان المحكمة ستقدر كل ذلك •

□ كلهم خطرون :

سألت المحكمة الضابط محمد الجزار عن وظيفتهم فى هذه القضية ، فاجاب بأننا نبحث عن جميع الخطرين ونضبطهم ٠

الرئيس ـ من من هؤلاء كان خطرا ؟

الجزار ـ اتضح انهم كلهم كانوا خطرين ٠ ولكن لا اذكر احدا بالذات٠

الرئيس ـ هل يعد من الخطرين فى الكشوف الشيخ عبد اللطيف الشعشاعى وهو ضرير والشيخ جبر التميمى وسنه ٧٠ سنة والشيخ احمد الشناوى القاضى الشرعى والشيخ ابراهيم على سعده المدرس فى كلية الشريعة ؟

الجزار ـ ما أنا الا ضابط ٠ فلو صدر أمر لى بضبط أحد فأنا أضبطه ٠

□ اغتيال البوليس السياسى أحمد شرف الدين :

ادعى البوليس السياسى أن أحمد شرف الدين كان فى وكر بشبرا وكان يحمل مدفعا رشاشا وجهه الى القوة التى هاجمت الوكر ـ ودفاعا عن النفس ضربوه بالنار فقتلوه ولم يصب منم أحد ٠٠ وقد دار النقاش حول هذا الحادث بين زكى البهنيهى بك وبين الجزار على الوجه الآتى :

البهنيهى ـ هل كان أحمد شرف الدين يستعمل المدفع الرشاش فى منزل روض الفرج ويوجهه الى القوة فى نفس الوقت ؟

الجزار ـ نعم ٠

البهنيهى ـ وكيف لم يصب أحد من القوة ؟

الجزار ـ هذه ارادة الله ٠ (ضحك)

البهنيهى ـ بل هى بركة الاخوان تخلت عن الاخوان وحلت على رجال البوليس ـ الواقع يا حضرة الصاغ أن المسألة غير معقولة ٠ وقد فهمت أن استعمال المدفع الرشاش لا يحتاج تصويبه الى أى مجهود فنى اطلاقا ٠ فكيف وشرف الدين كان ضابطا فى الاحتياطى متمرنا على استعمال هذا المدفع وغيره ؟

● خداع البوليس السياسى للشيخ جبر التميمى وعبد الرحمن عثمان:

فى جلسة ٢٢ـ٤ـ١٩٥١ استمعت المحكمة الى شهادة أحمد طلعت

الضابط بالبوليس السياسى ٠٠ فقدم للمحكمة ورقتين ، احداهما مكتوب فيها شهادة من الشيخ محمد جبر التميمى أنه يثنى على حسن معاملة البوليس السياسى له ـ فأحضرته المحكمة وسألته فاعترف بأنه كتب هذه الورقة ولكنه قال :

ظللت فى القسم حوالى عشرين يوما لم أطلب فيها ، وكانوا يعرضون على بين الفترة والاخرى المعذبين أمثال مالك وأحمد فؤاد الصادق ٠ وكان فى القسم معتقل من الاخوان اسمه على ابراهيم كان يتولى تضميد جراح الاخوان ٠

وقال الشيخ اجابة على سؤال من المحكمة : ان الاخوان كانوا يؤخذون بغير سؤال ولا جواب ٠ وأنا شخصيا كرهت كلمة « الله أكبر ولله الحمد » لأنها كانت تجر الى جحيم لا نهاية له ٠ وقال اننى لم أكتب هذه الشهادة الا بعد أن طلبوها منى ٠

● **عبد الرحمن عثمان شاهدا :**

أما الورقة الاخرى فكانت عبارة عن خطاب موجه من المتهم عبد الرحمن عثمان الى أهله مكتوب فيه : « اننى مرتاح وفى حالة جيدة وأطلب ارسال ملابس » فأحضرته المحكمة كشاهد فى هذه القضية ، فاعترف بكتابة الورقة وقال :

ان الصاغ توفيق السعيد كان يستدعينى ليلا ، ومهمته تحطيم أعصابى ٠ وبدعوى الاشفاق على وقد رأى ملابسى قد تمزقت أن اكتب خطابة لعائلتى بخصوص الملابس ، وكتبت الخطاب ٠٠ ومهما كان الانسان فى ضيق فلابد أن يخبر اهله أنه مرتاح ـ ولما كنت أعرف عن رجال القلم السياسى المكر والخداع طلبت من المحقق أن يسمح لى بارسال خطاب ٠٠ اذ كنت على يقين بأن الخطاب السابق لن يرسل ٠ وفعلا هذا هو الذى حصل ، وظل توفيق السعيد محتفظا بالخطاب حتى قدم للمحكمة ليكون دليلا على أننا كنا مرتاحين فى السجن ٠

□ **جريمة خلقية :**

وقال المتهم عبد الرحمن عثمان : اننى اذكر يوم ١١ يوليو ذهبت برفقة الملازم أول فاروق كامل وظللت ست ساعات فى المحافظة ، واعتدى على الصاغ العشرى بالضرب ومعه عسكرى أظن أنه رقى لدرجة الصول ويدعى حسب الله ٠٠ وما كان الضرب والتعذيب يحملانى على الاعتراف وانما التهديد بجريمة خلقية ٠ وقد لمست فى ذلك الوقت أن مبادىء القانون قد ديست ٠

وفى ١٣ يوليو استدعانى المحقق محمد عبد السلام بك فظننته حصنا لى ، ولكنى وجدته عونا لرجال السلطة التنفيذية على ٠

□ اتهامه عبد الهادى بقتل حسن البنا :

وفى يوم ١٤ يوليو حضر الملازم كمال الرازى وأخرجنى من السجن لتوصيلى الى نيابة الاستئناف ٠ ولكننى فوجئت بالصاغ محمد على صالح والملازم فاروق كامل يصحبانى الى محطة القاهرة ٠ وصعدت الى القطار الذاهب الى الاسكندرية ٠ وبمجرد تحرك القطار ادخلنى صالونا وجدت به ابراهيم عبد الهادى باشا - وأحب ان أسجل ان هذه المقابلة لم تكن كما زعم دولة الباشا بخصوص أحمد محمود يوسف ابن خالى ، وانما كانت بخصوص التحقيقات نفسها وكان مع عبد الهادى باشا محاضر التحقيقات ٠

واخذ الباشا يسالنى عدة اسئلة حتى يئس منى لانى لم اجبه على شىء - فقال لى : ما رايك فى شعور الاخوان بعد قتل مرشدهم ؟ فقلت : ان شعورهم ينحصر فى أن دولتك قاتل حسن البنا ٠ فذهل الباشا ، وكان لهذا الرد وقع اليم فى نفسه ، وطلب منى الافصاح عن هذا القول فقلت له :

اننا نعلم جميعا أن الانوار أمام جمعية الشبان المسلمين اطفئت ، وارتكب الحادث بسيارة محمود بك عبد المجيد رئيس المباحث الجنائية ٠٠٠ فأطرق الباشا مليا ، وطلب لى مشروبا « ساقع » ولكننى رفضت لانى كنت صائما فى رمضان فأذن لى بالخروج فخرجت ٠

● دماء على الحائط :

ثم قال : وقد فاتنى أن أذكر انى حينما دخلت الحجرة رقم (١٢) فى سجن الاجانب ، وجدت على الحائط آثار دماء مشارا اليها بقوس ومكتوب تحتها عبارات « لقد مزقونى اربا اربا ، وسعادتى فى ايمانى ، وايمانى فى قلبى ، ولا سلطان لاحد على قلبى » ومذيلة بامضاء اسماعيل على - واظن ان آثار هذه الدماء موجودة حتى الآن ٠

□ النيابة تنتقل :

وهنا طلب الدفاع أن تامر المحكمة بتحقيق هذه الواقعة ٠ فكلفت المحكمة الاستاذ صادق المهدى ممثل النيابة بالانتقال مع الشاهد وبصحبته الاستاذ أحمد السادة من هيئة الدفاع الى السجن ومعاينة المكان واثبات حالته ٠

ثم طلبت المحكمة المتهم اسماعيل على وواجهته بالشاهد ، فقرر انه كان

بهذه الحجرة وظل بها حوالى شهر ثم رحل بعد ذلك الى سجن مصر . وقال انه كتب كلاما كثيرا وآيات قرآنية ومنها نفس الكلام الذى ذكره الشاهد . وقرر أنه كتب هذا الكلام بواسطة قطعة من زر جرس كان بالحجرة وحفر به هذا الكلام على الحائط تحت الدم الذى كان يمسحه على الحائط من آثار الضرب والتعذيب والجروح الموجودة بجسمه .

وأضاف الشاهد قوله : انى أتذكر أن هذا الكلام مكتوب على الحائط على يسار الداخل على ارتفاع حوالى متر . وانى أنا شخصيا حفرت على الحائط عبارة « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

□ نتيجة المعاينة :

وجد أن كل ما قرره المتهم والشاهد صحيح ، حيث وجدت على الحائط عبارة « أيتها العصبة الطاغية ، لكم الجسد البالى فمزقوه ان شئتم اربا اربا ، فان ذلك لن يشقينى أبدا أبدا ، لان سعادتى فى ايمانى ، وايمانى فى قلبى ، وقلبى لا سلطان لاحد عليه الا الله » وقد وقع على ذلك بامضاء اسماعيل على .

ووجد بجوار هذه العبارة كلمات « ايذاء زائد صبر زائد بلاء زائد صبر زائد تعذيب زائد صبر يساوى نصر » . ووجدت آثار الدماء على الحائط فى خطوط سوداء قاتمة اللون . ووجد أن مفتاح الجرس الذى أشار المتهم الى أنه استخدمه فى الحفر على الحائط مخلوع من مكانه وقد ركب بدله جرس آخر ـ وقد حرر محضر بكل ذلك وختم على الغرفة بالشمع الاحمر .

● العسكرى الاسود :

هو أحد معالم ذلك العهد الدنس . وهو عار لا يمحى مهما طال الزمن . وهو الشخص الدنىء الذى رضى لنفسه أن يكون آلة فى يد البوليس السياسى فى تهديد المتهمين بهتك عرضهم لحملهم على الاعتراف بما يريدون .

وقد ذكره المتهمون أمام المحاكم التى حاكمتهم . ولكن الادلة القانونية ، واسمه الحقيقى ، ومكان وجوده وقت المحاكمات ، لم يكن متوفرا ... ولكن جريدة أسبوعية كانت تصدر فى ذلك الوقت وكانت ذات نشاط صحفى مبتكر تسمى جريدة « الجمهور المصرى » تبنت هذا الموضوع ، وحملت على عاتقها كشف سر هذا الشخص الدنىء .. وجازف اثنان من محرريها هما الاستاذان ابراهيم البعثى وسعد زغلول وقاما برحلة يكتنفها الخطر ، بعد أن اثبتت تحرياتهما أن هذا العسكرى قد سرح من البوليس وأنه مقيم فى بلدته الاصلية « ادفو » .

واستطاع هذان الصحفيان - بطريقتهم الخاصة - ان يلتقيا بالعسكرى الاسود فى بلدته ، ونشرت جريدة « الجمهور المصرى » اسم هذا الشخص ومحل اقامته ٠٠ وبناء على ما نشر فى هذه الجريدة أمرت المحكمة النيابة باحضاره لسماع أقواله باعتباره شاهدا ٠

وفى جلسة ١٠-٥-١٩٥١ حضر هذا الشخص واسمه « أمين محمد محمود مرسى النقيب » » فى سن دون الثلاثين ، وتمسك بالانكار التام المطلق ٠٠ ولكن الدفاع كان قد علم بأن طريقة احضاره من بلدته وحضوره الى النيابة قد تخللها مناورات خطيرة قام بها البوليس السياسى فى القاهرة ٠

وقد واجهه الدفاع بما أحرجه فى كيفية تسفيره من بلدته الى القاهرة ، وفى نزوله أول ما حضر عند ضابط من ضباط القلم السياسى اسمه مرتضى٠٠ مع أنه كان يجب أن يسلم نفسه مباشرة الى النيابة ٠

وطلب الدفاع من المحكمة أن تسمع أقوال سعد زغلول الصحفى فى جريدة « الجمهور المصرى » فكان الموجود زميله بالجريدة الاستاذ البعثى فسمعت المحكمة أقواله على سبيل الاستدلال فقال :

« ان زميلى سعد زغلول محاصر الآن بمنزل صديق له هو عبد الرحيم صدقى شقيق اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ٠ وقد عمد رجال البوليس الى محاصرة زميلى حتى لا يحضر الجلسة ، ومنعوه من الخروج من المنزل بحجة أن اخوة العسكرى الاسود ينوون قتله ٠ ولا زال اربعة من رجال البوليس السياسى يحاصرون المنزل حتى الآن ٠

وكانت المحكمة قد سألت العسكرى الاسود عن تاريخه فى البوليس وعن كيفية لقائه بالاستاذين البعثى وسعد زغلول وعن كيفية حضوره وأجاب اجابات كان البوليس السياسى قد لقنها له قبل مثوله أمام المحكمة ٠

المحكمة - هل ما ذكره الشاهد الآن هو ما حصل فى لدفو ؟

البعثى - لا ٠٠ هناك اختلافات كثيرة فى أقواله ٠ اولا ان هذا العسكرى قد ظل فى المحافظة سنة كاملة لا ستة أشهر كما يقول - ثم انه لم يكن يعرف شيئا عن القضية لدرجة أن أهالى بلدته جميعا لا يعرفون أن اسمه هو ما نشر فى الجرائد لانه مشهور باسم أمين النقيب ٠

□ حيدر باشا عاوز راجل صعيدى :

وقد اهتديت فى البلدة على الشيخ يوسف ناظر المدرسة لعلاقة سابقة بيننا ، ولما سألته عن أمين قال عندنا أمين الخطيب ٠ فكلفته باحضاره فى

منزل أحد أقارب الشيخ • ولما حضر كنت متحيرا كيف أبدأ الكلام معه • وفجأة انطلق زميلى سعد زغلول وقال له : يا أمين ان حيدر باشا فى حاجة إليك لانك رجل شهم وهو فى حاجة الى رجل صعيدى زيك •

□ **اعترف بالتعذيب :**

... ثم تحول الكلام الى رجال القلم السياسى ، ووجدت منه أنه يميل الى ضباط القلم السياسى ويعرف عنهم الكثير ، حتى انه يعرف أن الصناغ العشرى نقل الى البحيرة • ولما سألته عمن كان معه أثناء تعذيب الاخوان ذكر اسم مصطفى التركى وعسكرى آخر بالفيوم ، وأنه هو وذلك العسكرى كانا مكلفين بارتكاب جرائم تعذيب الاخوان •

ولما توغلنا فى الحديث ارتعش وبدت عليه علامات الاضطراب والتفت الى وقال : أنا عارفك مش كده ؟ فقلت له أيوه أنا كنت أتردد على المحافظة أحيانا ــ ومن هذا الوقت بدأ يتخوف ويتهرب من الحديث •

وهنا ارتفع صوت العسكرى ونظر الى الاستاذ البعثى وقال : أنا خفت منك ؟ أنت يا سلام •• امال كيف وصلتك المحطة وأنا خايف منك ؟

واستأنف الاستاذ البعثى كلامه فقال : أنا سألت شخصا فى البلد عن أمين فقال لى : ان أمين هذا عفريت •• ده يتط على النبيوت • وأى واحدة تعجبه فى البلد ينط عليها بالليل الساعة ١٢ فى منتصف الليل •

واستطرد يقول : انى فهمت أثناء حديثى مع العسكرى فى بلدته أنه يكره الاخوان جدا وحاقد عليهم لاقصى حدود الحقد • وكان يسألنى اثناء الحديث هل أحد من الاخوان يتهمنى فى القضية ، أنا على كل حال كنت عبد المأمور ، وأنا مالى واحنا فى الاول خالص لم نفعل شىء مع الاخوان وانما فى الآخر الحقيقة نفذنا الاوامر ، وعملنا فيهم كتير خالص •

وبعد قضاء هذه الفترة معه فى البلدة طلب منا بالحاح أن ننام عنده ليلة فى البلدة ، ولكنا تخوفنا جدا وآثرنا السفر • وودعنا هو حتى مغادرة القطار • وعند قيام القطار من المحطة نظر الى وقال : اذا جرى لى حاجة أنت تكون المسئول •• وقد نفذنا بعمرنا •

□ **شبكة ••• وشبكة :**

وقد فاتتنى نقطة وهى أن هناك محاميا سعديا اتصل بمامور المركز لتهريب العسكرى • ووصل العسكرى الساعة ١٢ ظهر يوم الخميس ، فعملنا عليه شبكة • كما عمل البوليس السياسى عليه شبكة هو الآخر • وكان

البوليس على اتصال به دائما · وقد عقـد البوليس اجتماعا حضره الصـاغ العشرى قرر فيه قتل البعثى وسعد زغلول ·

□ جهاز لكشف الكذب :

ولما وجد الدفاع أن الشاهد معتصم بالانـكار المستمر وقـف الاستاذ عبد الرحمن الوكيل المحامى وقال : انى أود أن أقدم للمحكمة الآن موضوعا هو الفريد من نوعه ، ولم يعرض على القضـاء المصرى من قبـل ··· واستطرد يقول : ان هذه القضية من أخطر القضايا ، وانها ترتكز على نقطة وهى : هل هناك تعذيب أم لا · وهذا لا يثبت الا من أقوال هذا الشاهد ·

وهناك من رجال القانون من كرسوا حياتهم وجهودهم لمعرفـة حقيقـة أقوال الشهود ومطابقتها للحقيقة · فنرى الدكتور كيلر من شيكاغو ظل ٤٥ عاما يبحث هذه المسألة حتى وصل الى صنع جهاز يوضع عليه المتهم المراد أخذ أقواله ، ويبدأ فى استجوابه ، فيعمل الجهاز على تسجيل كل حركاته من ضغط الدم وحركات قلبه وأعصـابه · وهنـاك شـريط بالجهـاز يسجل كل ما يدور من مناقشة ·

ومن حسن حظنا أن هذا الجهاز الفريد الذى اعتمد عليه القضاء فى امريكا وقد وجد فى مصر عند احد المشتغلين بالمسائل النفسية ، وممكن أن تامر المحكمة بوضع هذا الشاهد على هذا الكرسى ·

□ شهادة الضابط مصطفى كمال صدقى برؤيته التعذيب :

وكان ضابطا بالجيش وحكم عليه بخمس سنوات بتهمة الاتفاق الجنائى وصدر عنه عفـو ملكى · وقد قرر فى جلسـة ١٥ـ٥ـ١٩٥١ أنه رأى المتهمـين الاخوان وحدد أسماءهم يأتون محمولين والدماء تنزف من جروحهم وكان هو يضمـدها ·

● شهادة جار لقسم مصر القديمة كشف لكل ما جرى بداخله :

وهى من أهم ما أدلى به من شهادات ، فقد استمعت المحـكمة فى نفس الجلسة الى الاستاذ عبد العزيز الشيرى المـوظف بوزارة الحـربية وفى سن الستين ، يسكن بجوار قسم مصر القديمة ، بينه وبين القسم ستة أمتار ·

المحكمة ــ هل كنت موجودا بالمنزل يوم حادث رئيس النواب السابق ؟

الشاهد ــ نعم ·· رجعت من مصر حوالى الساعة التاسعة مساء فوجدت سيارات كثيرة تقف على جانبى الطريق وزعيق وهيصة · ولما دخلت المنزل سمعت صراخ ينبعث من حجرة سجن القسم الواقعة بجوار منزلى · فصعدت

الى سطح المنزل فى الظلام لاتبين الامر · فاذا بى الاحظ أن الحجرة المنبعث منها الصوت مضاءة بنور قوى ، وفيها يقف ابراهيم عبد الهادى باشا وبجواره أفندى يمسك ورقة وقلما ، وكثير من الضباط والعساكر ومعهم حزم عصى وكرابيج ، بعضهم يتناوب ضرب شخص لم اتبينه لانه كان تحت الشباك ·

جهنم الحمراء ـ وكان هذا الشخص المضروب يصيح بأعلى صوته ويستغيث ، فلم اتمالك أعصابى فنزلت وخرجت من المنزل ولم أعد اليه الا الساعة الثانية عشرة فى منتصف الليل · وعندما صعدت الى سطح المنزل مرة أخرى وجدت منظر جهنم الحمراء فى الحجرة ، وظل هذا المنظر المؤلم حتى الفجر ·

المحكمة ـ الثابت أن الحادثة كانت الساعة التاسعة وابراهيم عبد الهادى باشا لم يكن موجودا فى ذلك الوقت ·

الشاهد ـ أنا كنت الساعة دى مأخوذا برهبة الموقف فلم أفكر فى أن أنظر فى ساعتى حتى أعرف الساعة كام بالضبط ، وعلى كل حال أنا انتابتنى نوبة ولا زالت مؤثرة على أعصابى حتى الآن ـ وفى صبيحة اليوم التالى منعت أولادى من الخروج لصلاة الجمعة ·

وقد فوجئت بعد ذلك بهجوم رجال البوليس وتفتيش منزلى والقبض على وعلى أولادى وهم طبيب ومحام وطالب بالهندسة وأودعنا جميعا القسم بالحجرة نفسها التى كان يجرى بها التعذيب ، وكانت كلها ملطخة بالدماء ، ثم أخرجونا منها وأعادونا مرة أخرى ، ومكثنا بها عشرة ايام ·

النيابة ـ كيف تبينت الحجرة ومن فيها ؟

الشاهد ـ بمنظار مكبر كان معى ، وسمعت عبد الهادى باشا باذنى وهو يتفوه بألفاظ بذيئة أتنزه عن ذكرها الآن بل يتنزه عن ذكرها كل آدمى ، وكنت اسمعه يقول للشخص المطروح تحت الشباك : اخلع اللـ ·· يا ··· يا ···

شهود آخرون ـ وقد شهد شهود آخرون فى هذه الجلسة بانهم راوا التعذيب وهم السادة : عمر السيد غانم وعبد الفتاح محمد وحسنى الشافعى وفايد عبد المنعم ·

● **البوليس السياسى يمنع اسعاف المعذبين :**

اما الدكتور عبد الحميد زاغو حكيمباشى بوليس مصر والدكتور محمد كمال قاسم طبيب الامراض العصبية والعقلية لمصلحة السجون فقد شهدا فى

هذه الجلسة برؤيتهم المتهمين فى حالات تستدعى الاسعاف ، وكان البوليس السياسى يمنعهما من اسعافهم ٠

● شهادة اليوزباشى كمال صقر برؤيته التعذيب :

المحكمة ـ هل عاصرت فترة تحقيق قضايا الاخوان ؟

الشاهد ـ عاصرت معظمها ثم طلبت نقلى من القلم السياسى وانا الآن بسوارى بوليس مصر ٠

المحكمة ـ ما الداعى الى طلب نقلك ؟

الشاهد ـ لانى لم أوضع فى الوضع اللائق بى والذى كنت اطمع فيه حيث كانت وظيفتى هى نقل المتهمين من مكان لآخر ٠

المحكمة ـ هل شاهدت وقائع تعذيب ؟

الشاهد ـ رايت بعض المتهمين معذبين ومضروبين ولكنى لا اذكرهم بالضبط ، واذا ذكرنى احدهم باى واقعة فربما اتذكر كل شىء ٠

(وهنا طلبت المحكمة من المتهمين الوقوف ، واستعرضهم الشاهد) ثم اشار الى مصطفى كمال عبد المجيد وقال ان هذا المتهم عندما كان يراد نقله الى دورة المياه كان يحمل على الاكتاف لانه لم يكن يقوى على الوقوف على قدميه من آثار الضرب ـ ثم اشار الى على رياض وقال : ان هذا المتهم رأيته مستلقيا على كنبة بحجرة احد الضباط ورجليه مبتورة خالص ـ واشار الى نجيب جويفل وقال : رايته ملقى على الارض بحجرة الصاغ العشرى حوالى الساعة الرابعة مساء والدم ينزف من جسمه ٠

المحكمة ـ الا تعرف من كان يشترك فى التعذيب ؟

الشاهد ـ ثلاثة ارباع الضباط كانوا يشتركون فى التعذيب ، بل كان يجرى التعذيب من المخبرين على مرأى منهم ٠ وانا على كل حال كنت من الضباط ولكن الحمد لله (ورفع يديه الى اعلى وسكت عن الكلام) ٠

* شهادة رجال القضاء والنيابة *

نظرا لما لشهادة رجال القضاء ورجال النيابة من اهمية خاصة ، ولما لها من دلالات خطيرة ، فقد راينا ان نلفت نظر القارىء اليها بافرادها بعنوان خاص ٠

● شهادة القاضى محمد اسعد محمود :

سئل عن معلوماته عن التعذيب حين كان يعمل وكيلا للنائب العام سنة ١٩٤٩ فقال :

بعد ان اثبت اصابات يوسف عبد المعطى ، تحادث معي الصاغ توفيق السعيد تليفونيا وأخبرنى بأن القلم السياسى يتعجب لانى أثبت اصـابات يوسف عبد المعطى ، وانه بسبيل الذهاب الى النائب العام ليشكونى اليه ٠٠ فاحسست وقتها كما قلت أن ضميرى كمحقق قد مس مسا عنيفا ، وأن عوامل خارجية تريد ان تتسلل للتاثير على فى عملى ، فلم أتمالك نفسى من الغضب وقلت : ليشك من يشاء ٠

وحضر بعد قليل صلاح مرتجى بك وكيل النائب العام وقتئذ وأخبرته بما حدث فقال لى : لاتهتم بذلك ٠ وانتظرت لان يحادثنى النائب العام فى ذلك ولكنه لم يفعل ٠

والذى أستطيع الجـزم به اننى بدأت فى التحقيق فى قضـية السيارة الجيب ، وحيل بينى وبين الاستمرار فيها فى ٤ يناير ٠

وسئل : هل تذكر اسم جمال الدين عطية كاتب التحقيق ؟

فقال : ايوه ٠٠ ارضاء لضميرى أقول : فى الفترة الاخيرة من عمـلى فى قضية السيارة الجيب حرر معى التحقيق ٠ وأذكر أننى دهشت عندما علمت بعد ذلك انه ضبط فى منزل من منازل الاوكار ، لانه كان فى استطاعته والمستندات فى يده أن يتلفها أو أن يفعل ما يشاء ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك ٠

● **شهادة الاستاذ عصام الدين حسونة :**

س ــ هل كنت وكيلا للنائب العام فى سنة ١٩٤٩ ؟

جـ ــ نعم كنت اعاون النيابة فى قضايا الأخوان ٠

س ــ هل تذكر أنك رأيت بعض المتهمين ممن لم تحقق معهم حضرتك ؟

جـ ــ كنت اعمـل فى نفس الجناح الذى يعمـل به حضرات المحققين فى القضية ٠ وكنت بحكم مكانى وعملى وثيق الصلة بالضباط الذين عهد اليهم بنقل المتهمين ، وبكتبة النيابة ، وبكل من يتصل بهذه القضية ٠ وكنت أسمع من هؤلاء جميعا يروون ما يقع على المتهمين من تعذيب واعتداء ، وكنت أيضا اشهد بعينى بعض المتهمين مصابين باصابات ظاهرة ٠

□ **قصة وكيل النيابة عدلى بك بغدادى :**

ثم قال الاستاذ عصام : والذى اذكره من وقائع معينة حتى أغنى الدفاع عن الاسئلة ، انه فى صباح ذات يوم سمعت من زملائى أن خـلافا قام بين عدلى بك بغدادى وبين اسماعيل بك عوض الافوكاتو العمومى ، لان الاستاذ عدلى وكيل النيابة شاهد فى بعض المتهمين اصابات فأثبتها وطلب احالتهم

الى الطبيب الشرعى ، فلم يوافق الافوكاتو على ذلك واخذ عليه هذا العمل ، ونعل هذا الحديث وصل الى جميع أعضاء الهيئة لانه أذيع وقتئذ أن حضرة وكيل النيابة كان محل غضب وأنه نقل بسبب هذا ٠

□ الافوكاتو العمومى يرفض اثبات الاصابات :

(الافاكاتو العمومى أى المحامى العام) وواصل الاستاذ عصام شهادته فقال : والواقعة الاخيرة التى أعلمها ـ ولعلها كانت فى نفسى لجسامتها ولانى علمتها من مصدر ليس محل شك فى اعتقادى ـ هى أن أحد المتهمين واسمه البساطى حمل الى غرفة المحقق حملا لشدة اعيائه بسبب اصاباته ، وأن المحقق لم يصف حالته وكان المحقق هو الافوكاتو العمومى اسماعيل بك عـوض ٠

□ مفـاجأة :

وقد سألت المحكمة الاستاذ عصام عن المصدر الذى وصلت اليه منه هذه المعلومات فأجاب بقوله « فى سبيل تحقيق العدالة والمصلحة العامة أستبيح لنفسى أن أقول انه حضرة الاستاذ فتحى مرسى ممثل النيابة فى هذه القضية٠

ممثل النيابة ـ أنا ؟ ! يظهر أن الذاكرة خانتك يا عصام بك ٠

□ كان يسب المتهمين :

وسئل الاستاذ عصام ألم يسمع بأن اسماعيل بك عـوض كان يسب المتهمين ؟ فأجاب بقوله « لم أسمع هذه الواقعة بالتحديد ، وانما كان الحديث المتبادل بين كتبة النيابة ومن يتصل بالتحقيق أن مثل هذه الواقعة تقع أحيانا من هذا المحقق ٠

□ معاملة الجـواميس :

وسئل هل يذكر بعد ضبط محمد مالك انه سمع من احد رجال البوليس ان تعذيبا غير طبيعى فى بشاعته وقع عليه ؟

فأجاب بقوله « نعم سمعت من احد كبار رجال البوليس أن هذا المتهم ضربوه بما لو أصيبت به جاموسة لنفقت ٠

صـدام بين الدفاع والمحكمة

عند هذا الحد من الشهادات المثيرة التى تقطع بأن هناك تعذيبا بشعا قد وقع على المتهمين فى هذه القضية ، لم تستطع هيئة الدفاع أن تسير فى

القضية السير العادى ، واضعة موضوع التعذيب على الرف فى صورة دفوع كما تريد المحكمة ٠

ففى جلسة ٢٤ـ٥ـ١٩٥١ ـ وكان الدفاع من قبل قد طلب سماع اقوال محمود اسماعيل بك الذى كان يحقق القضية ثم نزعت منه وأسندت تحقيقاتها الى اسماعيل عوض بك ، كما طلبوا سماع اسماعيل عوض بك أيضا ـ فى هذه الجلسة قام الدكتور عزيز فهمى المحامى وقال : اننى مصر على سماع شهادة محمود اسماعيل بك ولكننى لا أوافق على سماع شهادة اسماعيل عوض بك لان المتهم لا يسمع شاهدا ، وان اسماعيل عوض بك ومحمود منصور باشا النائب العام السابق قد ارتكبا جرائم ومخالفات توقفهما موقف الاتهام ٠ ونحن نترك للمتهمين الرأى بعد الانتهاء من القضية فى رفع الدعوى العمومية ضد هذين الشخصين ٠

ومضى الدكتور عزيز يقول : ان هذه القضية قد اساءت الى سمعة مصر فى الخارج اساءة بالغة ، وما زالت الصحف الاجنبية تتحدث عن العسكرى الاسود وعن وقائع التعذيب ، وتصف التحقيقات بأوصاف لا تليق بالقضاء المصرى ، اذ ذكرت احدى الصحف الاوربيــة أن التحقيقات التى أجريت فى القضية لا تقارن اطلاقا بما كان يحدث فى العصور الوسطى ٠

ولما رفضت المحكمة طلبات كان قد طلبها قرر الانسحاب من الدفاع ٠

الجلسة الاخيرة والحاسمة ـ تاجيل القضية لدور مقبل :

وبعد ان سمعت المحكمة مرافعة النيابة وفى جلسة ١٠ـ٦ـ١٩٥١ قام الاستاذ عبد المجيد نافع ، وقبل ان يبدأ دفاعه ، طالب بان تفصل المحكمة فى بطلان الاجراءات نظرا لما سمعته من شهادات قاطعة بحدوث التعذيب واشتراك النيابة فى تزوير القضية ، وسمى اسماعيل عوض بك « اسماعيل ميكيافيللى » وأبرز شهادة القاضى محمد اسعد محمود وعضوى النيابة على بغدادى وعصام الدين هحسونة وتمسك بذلك ٠

وقد ايده فى ذلك الاستاذان احمد حسين وفتحى رضــوان ٠ وقال أحمد حســـين :

« ان الدفاع قبل أن تكون المحكمة رايها فى هذه القضية يسجل ان هذه القضية تحولت من اعتداء على حامد جودة الى قضية اعتــداء على الحــريات العامة فى شخص المتهمين ٠ ونحن نقول ان هذا التحقيق مبنى على الجريمة ، وان التعذيب وعدم اثباته فى التحقيق هو جريمة التزوير بعينها ، وهو تزوير

وجرائم يقال عنها انها تحقيق ـ فلم يكن هدف التحقيق الوصول الى الحق وانما هدفه هو تزييف الحق للوصول الى هدف خاص » •

وانضم اليه جميع هيئة الدفاع ـ وقال الاستاذان شمس الدين الشناوى واحمد السادة :

« لن يتكلم محام فى موضوع القضية حتى يفصل فى هذا الدفع الذى تقوم عليه القضية • وان الدفاع فى هذا الطلب ليس متعسفا » •

وقال الاستاذ سمير حيدر : ان المحكمة كانت قد وعدت فى جلسة ٨ من ابريل الماضى بالاخذ بما طالب به الدفاع من حق التصدى للتهم الموجهة الى المحققين • وقررت ارجاء الفصل فى هذا الطلب لحين سماع شهادة شهود الاثبات ، وانها ستقوم فى خلال سماع هؤلاء الشهود بتنفيذ قرارها فيما يتبع مع هؤلاء الشهود المتهمين •• واصبح الموقف معلقا مبتورا •

ووقف الاستاذ طاهر الخشاب فايد مطالبة المحكمة بحق التصدى والا فان الدفاع سيستعمل حقه فى رد أحد أعضاء المحكمة لقرابته بأحد الشهود الذين اتهموا بارتكاب التعذيب •

وهنا فطن عضو اليسار الى انه هو المقصود • فقررت المحكمة رفع الجلسة للنظر فى هذه الطلبات •• ثم عقدت الجلسة وقام رئيس المحكمة وهو فى حالة نفسية تستدعى النظر وقرر تأجيل القضية لدور مقبل •

ونحب أن نحيط القارىء علما بأن هذه القضية حين جاء ميعاد انعقاد جلسة للنظر فيها فى دور مقبل •

وكانت هناك مفاوضات تدور فى خلال ذلك بين هيئة الدفاع وبين رياسة محكمة استئناف القاهرة ـ انعقدت جلستها لتقرر الافراج عن عدد من المتهمين •• أما الحكم فى القضية فلم يصدر الا فى سنة ١٩٥٤ •

● عود الى البوليس السياسى :

بدأنا هذا الفصل بالاشارة الى البوليس السياسى ونوهنا بدوره فى التلفيق والتعذيب •• ثم كانت وقائع هذه القضايا برهانا ساطعا على ان هذا البوليس هو دولة داخل الدولة ، وانه يتعالى على القانون ، ويرى من حقه أن يسخر اجهزة الدولة لتنفيذ اغراضه ، لا يستثنى منها اجهزة النيابة العامة والتحقيق •• وانه فى تعامله مع المواطنين لا يعترف بحقوق المواطنة ولا الانسانية ولا الآدمية •

ولم يكن الاخوان المسلمون أول من عانى من ارهاب هـذا الجهاز ومن تسلطه واجرامه ، بل عانى منه جميع من عملوا فى حقل السياسة المصرية . وان كان معاناة الاخوان هى أشد أنواع المعاناة ٠٠٠ غير أن هيئة من هـذه الهيئات السياسية حين أتيح لها أن تتصدر منصة الحكم لم تجرؤ كما سبق القول على مس هذا الجهاز أدنى مساس ٠

وشاءت الاقدار أن يكون عرض هذه القضايا على القضاء فى أيام حكم حزب الوفد ، الذى كان أكبر عامل مهد له الطريق الى الحـكم هـو ما ارتكبه البوليس السياسى من مآثم ضج لها الشعب وكفر بالقائمين على الحـكم فى أيامها ٠٠ فلما جاءت حكومة الوفد انتظر الناس منها عملا حاسما ازاء هـذا الجهاز الاجرامى ٠٠٠ وطال انتظار الناس وهم يقرأون فى الصحف كل يوم من وقائع قضايا الاخوان ما يفضح جرائمه ويكشف عن خفاياه ومآثمه ٠

● الدفاع يطالب حكومة الوفد بالغاء البوليس السياسى :

وقد تردد هذا الشعور فى ثنايا ما كان يدور فى جلسات هذه المحاكم من مناقشات وما يلقى فيها من مرافعات ، ومن ذلك ما أشرنا اليه من قبل وما جاء على لسان الاستاذ عبد المجيد نافع المحـامى فى جلسـة ٢٧ مارس ١٩٥٠ فى قضية الاوكار حيث قال « إن البوليس السياسى فى مصر هو منظمة انجليزية اسما ولحما ودما وعظاما ونخاعا ٠ فالانجليز هم الذين أوجدوه ٠ ولن تغب عن الذاكرة تلك المآسى التى مثلت على المسرح السياسى منذ عصر فنبيدس الى اليوم ٠ ثم قال : فى قضية قنابل ٦ مايو ترافع فيها أصحاب المعالى والعزة عبد الفتاح الطويل باشا وسليمان غنام بك وعبد اللطيف محمود بك الوزراء ، وعبد الفتاح حسن بك الوكيل البرلمانى وكامل يوسف صـالح بك وكيل مجلس النواب ، والاستاذ مصطفى موسى عضـو مجلس النواب كان متهما ٠٠ وكل هؤلاء يجأرون بالشكوى من البوليس السـياسى ، وحـدثت مشادات فى الجلسة حامية الوطيس ٠٠ وها هم الآن قد أصبحوا فى الحكم . وبيدهم السلطات التشريعية والتنفيذية ٠٠ فلماذا لا يلغون القلم السياسى؟!

سؤال فى مجلس النواب :

وفى ١٦-٤-١٩٥١ تقدم الاستاذ فوزى البرادعى عضو مجلس النواب الى وزير الداخلية بالسؤال التالى :

« ما هى الاجراءات التى اتخذتها الوزارة حيال الجرائم التى ارتكبها رجال البوليس السياسى فى القضايا التى نظرت أمام محاكم الجنايات والتى تنظر الآن ، واعترافات مالك السجين ٠ وما هى الاجراءات التى تتخذها الوزارة لوقف هذا السيل من الجرائم مستقبلا ؟ » ٠

ولكن حكومة الوفد كانت فى ذلك الوقت منهمكة فى اعداد تشريع يقيد حق تكوين الجمعيات الذى بسطنا الحديث فيه فى فصل سابق ـ ومثل هـذا التشريع يكون تنفيذه بطبيعة كونه قيدا على الحرية موكولا الى هذا الجهاز ... ولذا فان الحكومة لم تعر سؤال النائب أدنى اهتمام ·

● استجواب لوزير الداخلية :

ولكن النواب الذين قطعوا العهـود لناخبيهم على ان يكون اول عمـل لحكومتهم أن تستجيب لشعور الشعب وتطهر الاداة الحكومية من هذا الجهاز وجدوا أنفسهم فى موقف لا يحسـدون عليه ، بـين شـعب متلهف وحـكومة معرضة ، أنستها مناصبها ما قطعت للشعب من وعود ·

فلمـا رفعناهم الى غاية العـلا ... باكتافنا حيث الامور بهم تجرى

لووا رأسهم عنـا وعن كل مبـدأ ... اليه دعوا اذ هم يعيشون فى فقر

وأخيرا تقدم عضو آخر من أعضاء مجلس النواب هو الاستاذ سليمان عبـد الفتـاح باسـتجواب لوزير الداخليـة نوقش فى جلسـة المجلس يـوم ١٤ـ٥ـ١٩٥١ وهاك نص الاستجواب :

« ان تلم البوليس السياسى هو اثر من آثار الانجليز ، فقد انشىء فى عهد اللورد كرومر ليكون عونا للانجليز ، وسوط عذاب على الوطنيين ·· وفى الميزانيـة حـوالى مائتى ألف جنيه تنفـق على هـذا البوليس السيـاسى كل عام · وقال النائب : ان البوليس السياسى أصبح نقمة على هذه البلاد ، ويجب قبل أن نبدأ بجلاء الانجليز عن القنال أن نبدأ بجلاء البوليس السياسى عن مصر ·

ثم قال : انه يودع مكتب المجلس كشوفا باسماء الموظفين الذين تولوا تعذيب المتهمين فى القضايا السياسية · وأشـار الى حادث كوبرى عباس · فذكر ان طلبة الجامعة خرجوا يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ لاعلان غضبهم على تهاون الحكومة فى حقوق البلاد وفى تحقيق اهدافها الوطنية ، فصدرت الاوامر من موظف كبير مسئول مازال يشغل منصب وكيل وزارة (وهنا سئل من هو فقال : عبد الرحمن عمار بك) بفتح الكوبرى والهجوم على الطلبة بالمدافع الرشاشـة والبنادق والعصى ، وراح الطلبة يتساقطـون فى النيل كاوراق الشجر فى ايام الخريف ، واسـفر الحادث عن اصـابة ١٦٠ طالبا بعـاهات مستديمة وفقد ٢٨ طالبا لم يعرف مقرهم حتى الآن ·

وتلا حضرته بيانا أصدره النحاس باشا حينذاك طالب فيـه بضرورة معاقبة الموظفين الذين تسببوا فى هذا الحادث وارتكبوا هذه الجرائم · ثم

قرأ حيثيات حكم صادر فى قضية تعويض أقامها طالب ضد الحكومة بسبب اصابته فى المظاهرة ٠

وتكلم عن محاولة اغتيال النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا وعن اغتيال الشيخ حسن البنا وعن حوادث التعذيب فى قضايا مقتل النقراشى باشا وسيارة الجيب ـ وقال :

« انه اذا عجز مصطفى النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا فى ذلك الوقت عن اثبات الجرائم ، فليس مستحيلا عليهما الآن ٠٠٠ ولكن الامور ظلت كما هى ، ولم تحرك الحكومة ساكنا » ٠

وتكلم عن خطاب وصله من متهم يصف فيه كيف عذبوه ، ثم جاءوا له بالعسكرى الاسود فاضطر أن يعترف بما أملوه عليه ٠

وروى النائب أن أحد رؤساء النيابة اثبت فى محضره بعض حوادث التعذيب فكان جزاؤه النقل الى جهة نائية بعد أن سحبوا منه التحقيق ٠ وأن أحد وكلاء النيابة علم أن بعض المتهمين قد أوحى اليهم أن يقحموا اسم النحاس باشا فى التحقيق حتى يستدعيه المحقق لسماع أقواله ، وعندئذ ترتكب جريمة ضده ، وعلى أثر ذلك اتصل وكيل النيابة بالنحاس باشا وحذره من الحضور ، فكان جزاؤه النقل الى جهة نائية أيضا ٠

□ الحكومة تمالىء البوليس السياسى :

وقال النائب : ان الحكومة تتعمد ممالأة هؤلاء الموظفين الذين ارتكبوا هذه الجرائم ـ ثم اقترح تأليف لجنة برلمانية لتحقيق هذه الجرائم وعرض تقريرها على المجلس ، وطالب الحكومة من الآن بحل البوليس السياسى وبالتحقيق فى جرائم التعذيب والقتل ٠

□ نتيجة الاستجواب :

تكلم عبد الفتاح حسن بك مدافعا عن الحكومة وقال ان وزارة الداخلية قررت تأليف لجنة يكون واجبها الاطلاع على جميع القضايا المحفوظة والتى ينطبق عليها وصف هذا الاستجواب ، لتحديد مسئولية الموظفين المشار اليهم

على أن رد عبد الفتاح حسن هذا لم يكن اكثر من مسكن ، فان أى اجراء ايجابى لم يتخذ حيال هذا الجهاز ٠

الباب الثالث

أخيرا
المؤامرة تتحطم على صخرة صلدة من نزاهة القضاء المصرى

- مكانة القضاء فى الامم وموضعه فى الاسلام
- من الاحكام الخالدة
- تعقيب وتحليل لهذه الاحكام

الفصل الاول

مكانة القضاء فى الأمم وموضعه فى الاسلام

القضاء الصالح النزيه هو فى حياة الامم قلبها النابض ، ومركز الاحساس فيها ، الذى يتوقف بقاء حياتها عليه ... واذا تطرق الفساد الى مؤسسات دولة من الدول ، وبقى قضاؤها سليما نظيفا ، كان هذا القضاء حصنا لها دون الموت والفناء .. إذ أن قضاءها النظيف قمين أن يبعث الحياة والنظافة والنقاء فى أعصاب بقية المؤسسات .. ذلك أنه هو صمام الامان ، فلا تنفجر الدولة من داخلها مهما اختلت أجهزتها ما دام صمام الامان صالحا وعاملا ..

وعند فساد أجهزة الدولة يكون أفراد الامة هم ضحية هذا الفساد . فاذا وجد هؤلاء الافراد من يلجأون إليه من ظالمهم ، فان انصاف القضاء اياهم يكون بمثابة انذار لمغتصبي الحقوق بأن فوقهم سلطة تلزم كل فرد - مهما عظم شأنه - حدوده ، وترده الى حجمه ، وتخضعه راغما لطائلة الحق والقانون ... فلا يجد هؤلاء المتطاولون بمناصبهم على عباد الله بين أيديهم من سبيل الا أن يرعووا عن غيهم ، ويكفوا من غرب غطرستهم ، ويفيئوا الى الحق والصواب .. ومن هنا تجد العدالة طريقها الى كل أجهزة الدولة .

والمقصود بصلاح القضاء صلاح رجاله ، فان القانون وحده لا يردع مالم يقم على اعماله انسان . فاذا كان هذا الانسان صالحا أخرج للناس من القانون أداة فعالة وخلقا سويا ، واذا كان غير ذلك أخرج من القانون مسخا متنفرا وخلقا مشوها ، وصار القانون فى نظر الناس أضحوكة يتندرون عليها ، وألعوبة يشكلونها حسب أهوائهم ، ووفق شهواتهم .

والقوانين المتحضرة - مهما اختلفت تفاصيلها - كلها تتوخى تحقيق العدالة بين الناس ، وكلها تعتبر المتهم بريئا حتى تثبت ادانته ، وكلها تعطى المتهم الفرص الكاملة للدفاع عن نفسه ، وكلها ترفض الاغراء والاكراه وسيلة للحصول على اعتراف المتهم ، وكلها تعتبر المواطنين جميعا سواء أمام القانون .

وهكذا فأصول القوانين واحدة ·· ولكن القوانين على كل حال أجساد هامدة حتى ينفخ القاضى فيها روح الحياة فتنبض وتعمل وتؤثر وتوجه ··· ولذا كان اهتمام المصلحين ومنشىء الدول منصبا جله على شخصية القاضى وتفكيره وخلقه وأسلوبه ومسلكه ·

وأعظم دليل على ما لشخصية القاضى من مكانة فى الحياة هو أن الله سبحانه وتعالى جعل القاضى خليفة له فى الارض فقال جل شأنه معقبا على حكم أصدره داود عليه السلام فى قضية عرضت عليه « ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » ·· ولم يكن هذا التعقيب الالهى والتحذير الشديد الا لان داود ترك لعواطفه ـ وان كانت عواطف نبيلة ـ أن تتدخل فى صياغة الحكم ·· فما بالك اذا كانت العواطف التى ينبعث حكم القاضى منها غير نبيلة ؟ !·· انها تكون البلاء والدمار والخراب ·· أليس القاضى يحكم فى دماء الناس وأعراضهم وأموالهم ·

واذا عرف القاضى مكانته هذه فى المجتمع فان عليه اذا جلس مجلس القضاء أن يتجرد من نوازع نفسه ، ومن أهوائه وعواطفه التى كان عليها قبل أن يجلس هذا المجلس ·· وعليه أن يرى نفسه فى هذا المكان أعلى مكانة وأرفع قدرا من كل انسان فى المجتمع لانه صار خليفة الله فى هذا المجتمع ·

ولقد بلغ تقديس القضاء فى الدولة الاسلامية مبلغا لم يبلغه فى دولة أخرى على مدى التاريخ ، فلم يكن فى هذه الدولة المترامية الاطراف انسان يرى نفسه أكبر من أن يمثل بين يدى القاضى ولو كان هذا الانسان هو أمير المؤمنين ··· روى الامام الشعبى أنه كان بين عمر بن الخطاب وأبى بن كعب خصومة · فتقاضيا الى زيد بن ثابت · فلما دخلا عليه أشار لعمر الى وسادته (أى قدم اليه وسادته ليجلس عليها) فقال عمر : هذا أول جورك ·· أجلسنى وإياه مجلسا واحدا · فجلسا بين يديه ·

وكما اشتد الاسلام فى كتابه الكريم وحديث رسوله العظيم فى تحذير القضاة من الميل مع الهوى ، فقد عنى أيضا بالخصوم فوجه اليهم تحذيرا عنيفا ، حتى تكتمل بذلك العدالة ، التى هى هدف الاسلام وغايته الكبرى · فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما انا بشر ، وانكم تختصمون الى · ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، فأقضى له بنحو ما أسمع · فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار » ·

واللحن بالحجة لا ينتهى مدلوله عند حد البراعة فى الالقاء ، والافتنان

فى تزويق الكلام ، والبلاغة فى الاسلوب ـ كما قد يتبادر الى الخاطر ـ بل انه يذهب الى أبعد من ذلك بكثير . فقد يكون اللحن بالحجة تعبيرا عن خصمين أحدهما حاكم والآخر محكوم ، ولدى الحاكم من وسائل القهر وأساليب التخويف والاغراء ما يلجم به لسان المحكوم فلا يجرؤ على بسط مظلمته والكشف عما يلقاه من قهر خصمه ، رهبة منه وتوجسا وخوفا .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين يتحدث فى الشئون العامة لايكون هدفه من الحديث مقتصرا على ما يعالج من مشكلة بذاتها فى أيامه ، وانما هو يصوغ الحديث بحيث يتسع لما قد يجد فى الامة الاسلامية على مر الزمن .

قال الامام ابن العربى ـ فيما أورده القرطبى ـ فى معنى قوله تعالى « وعزنى فى الخطاب » التى ختمت بها الآية « ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب » قال : يعنى غلبنى فى شرح الحجة . واختلف فى سبب الغلبة فقيل معناه غلبنى ببيانه ، وقيل غلبنى بسلطانه لانه لما سأله لم يستطع خلافه .

ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة حكام المسلمين من بعده أنهم كانوا لا يختارون للقضاء بين الناس الا أعظم العلماء ممن اشتهروا بالذكاء ، واتصفوا بالورع ، وتنزهوا عن الشبهات . ولذا فان احكامهم كانت مضرب الامثال .. قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : لا يستقضى (أى لا يختار قاضيا) الا من كان عالما بآثار من مضى ، مستشيرا لذوى الراى ، حليما نزيها ورعا ـ وقال الامام مالك بن انس رضى الله عنه : ينبغى للقضاة مشاورة العلماء ، وينبغى أن يكون القاضى متيقظا كثير التحذر من الحيل ـ وقال الامام القرطبى فى تفسيره : دل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق ، وأن لا يميل الى أحد الخصمين لقرابة أو رجاء نفع أو سبب يقتضى الميل من صحبة أو صداقة أو غيرهما .

روى الامام الليث قال : تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان . فأقامهما (صرفهما) ثم عادا فأقامهما ، ثم عادا ففصل بينهما . فقيل له فى ذلك فقال : تقدما الى فوجدت لاحدهما مالم أجد لصاحبه ، فكرهت أن أفصل بينهما على ذلك ، ثم عادا فوجدت بعض ذلك ، ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما .

وكان أمير المؤمنين نفسه لا يرى لنفسه الحق فى الجلوس مجلس القاضى ليحكم فى قضية يعلم هو علم اليقين من هو صاحب الحق فيها ، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه « لو رأيت رجلا على حد من حدود الله ما أخذته حتى يشهد على ذلك غيرى ـ وروى أن امرأة جاءت الى عمر رضى الله عنه

فقالت له : احكم لي على فلان بكذا فانت تعلم مالي عنده فقال لها : ان أردت أن أشهد لك فنعم وأما الحكم فلا ٠

وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أعظم من أوتي مواهب القضاء٠ شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « أقضاكم علي » ٠ وكانت أحكامه التي يصدرها فيما يعرض عليه من قضايا يحار ذوو العقول الكبيرة في فهمها حتى يشرحها لهم ، ويبين لهم كيف استنبط حكمها من كتاب الله وسنة رسوله ٠٠ وهي أحكام رائعة لولا ضيق المقام لاثبتنا هنا طرفا منها ، ولكننا هنا نكتفي – مناسبة للمقام – بنقل فقرات من كتاب له رضي الله عنه في كيفية إختيار القضاة وكيفية معاملتهم ٠

● من كتاب علي رضي الله عنه الى مالك بن الحارث الاشتر :

وهذا الكتاب هو الذي عهد فيه الى مالك بن الحارث الاشتر بالولاية على مصر – ويعد هذا الكتاب احدى الوثائق التاريخية ، بل احدى الذخائر النادرة ، التي لم يجد الدهر بمثلها ، ولا تفتقت أذهان علماء الادارة المتخصصين حتى اليوم عن شيء يقارنها أو يدانيها ٠

فكتابه – كرم الله وجهه – هذا جمع فيه طرائق الحكم ، وأساليب الادارة ٠٠ هو دستور كامل جامع مفصل ، فيه كل ما يحتاجه حاكم ليرسي دعائم حكم صالح ، يسعد الناس في كل نواحي حياتهم ٠٠ ويقع هذا الكتاب في اثنتي عشرة صفحة ٠ وجدير بكل حاكم من حكام المسلمين اليوم أن يطلب هذا الكتاب ويرجع اليه ويطالعه بنظره وعقله وقلبه ، ويتخذه دستورا لحكمه ليسعد ويسعد ، ويسير في حكمه على هدى ونور – وهاك فقرة من هذا الكتاب مما يتصل بكيفية إختيار الحاكم للقضاة وكيف يعاملهم :

« واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال الله تعالى لقوم احب ارشادهم « يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ٠

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه (لا يضيق صدره من الرجوع الى الحق) ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بادنى فهم دون أقصاه ٠٠ أوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، واصبرهم على كشف الامور ٠

وأصرمهم عند اتضاح الحكم • ممن لا يزدهيه اطراء ، ولا يستميله اغراء •• وأولئك قليل •• ثم أكثر من تعاهد قضائه •

وأفسح له فى البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس • واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك •

فانظر فى ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان أسيرا فى أيدى الاشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا » •

● القضـــاء المصرى :

لا يستطيع أحد أن ينكر أن الفســاد كان مستشريا فى جميــع مــرافق البلاد ، وأن جهازا واحدا من أجهــزة الدولة لم يكن يخـلو من فســاد ، حتى السلطة التشريعية الممثلة فى مجلس النواب والشيوخ كشفت بعض الظروف انها لم تكن اقل فسادا •

أما الجهاز الذى يحق لمصر أن تفخر به وتعتز ، والذى لم يستطع أن يتطرق اليه الفساد مع انه ينحدر من أعلى رأس فى الدولة ــ فهو جهاز القضاء ••• هذا الجهاز قد صان نفسه مع تقلب العهود عن أن يكون مطية لعهد ، او حليفا لحكومة ، أو مشايعا لنظام ، أو مجاملا لكبير •• بـل كان يرى نفسه اكبر من كل عهد ، واعظم من كل حكومة ، وارفع شأنا ومقاما من كل كبير •

وينبغى أن يكون مفهوما أن التزام القضاء لحدود مهمته ، وترفعه عن مستوى من حوله ، ليس معناه أن يسلخ نفسه من الوطنية التى ينتمى اليها، أو أن يتعامى عما يدور فى بلاده من أحداث •••• فالفرق شاسع بين الوطنية عامة وبين الحزبية ، كما أن الفرق شاسـع بين من يرتكب جـريمة دفاعا عن النفس وبين من يرتكبها اعتداء على الآمنين •• ويقاس على ذلك من يرتكبون جريمة للتخلص من مستعمر غاصب وبين من يرتكبون الجريمة ضد السالمين الشرفاء من أبناء وطنه •• ان مراعاة القضاء لاهداف الجريمة وللدوافع اليها لا يقدح فى عدالة القضاء ، ولا ينال من حياده ، ولا يغض من ترفعه •

ولم يكن القضــاء المصرى فى يوم من الايام متعاميا عن هـذه المعـانى الانسانية والوطنية العامة،بل كان بصيرا مرهف الحس ــ لا نحو الاشخاص ــ ولكن نحو المعانى السامية •• فكانت أحكامه دائما مثلجه لصدور الوطنيين المعتدى عليهم من الظلمة والطغاة والمستعمرين •• لم يساووا فى أحكامهم بين الدوافع الوطنية النبيلة وبين الدوافع الشخصية الوضيعة •• كان القضاة المصريون دائما مكملين لنقص القانون ، سادين لثغراته •

واذا لم يكن القاضى كذلك فلا خير فيه ، لانه يكون عديم الشخصية . واذا كان القاضى مجرد لسان ينطق بنص قانونى على أنه الحكم أو القرار . فانه يكون بلاء على نفسه وعلى الناس .. وكيف لا والمتقاضون ينتظرون أن يكون حكم القاضى نتيجة تفاعل بين القانون وظروف القضية وعقل القاضى؟ .. وقد يتصل بهذا المجال ما قضى به عمر بن الخطاب حين جاءه الرجل بأجير عنده سرق ، فلما أحاط عمر بظروف القضية ، وعلم أن الرجل يظلم أجيره ويقتر عليه فى الاجر تقتيرا لا يجد معه الاجير ما يسد حاجاته الضرورية .. لم يقض عمر بالنص القانونى الذى يقضى بقطع يد السارق ، بل كان قضاؤه أن أعفى السارق من العقوبة ووجه انذارا الى صاحب العمل بأن يزيد من اجر أجيره ، والا فاذا عاد الاجير الى السرقة مدفوعا اليها بالحاجة فانه سيقطع يد صاحب العمل .

والامثلة كثيرة للقضاة الذين تجاوزوا النص أمام ظروف القضايا .. جاء فى تفسير الامام القرطبى لقوله تعالى « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » قوله : قال القاضى أبو بكر بن العربى « فأما علم القضاء فلعمر الهك(١) انه لنوع من العلم مجرد ، وفصل منه مؤكد ، غير معرفة الاحكام ، والتبصر بالحلال والحرام ، ففى الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقضاكم على وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » ، وقد يكون الرجل بصيرا بأحكام الافعال ، عارفا بالحلال والحرام ، ولا يقوم بفصل القضاء » .

وعلى هذا سار القضاء المصرى الذى استمد أصالته من تاريخه الاسلامى الحافل ، ومن الذكاء المصرى الفطرى . واذا شذ عن هذا الاجماع قاض أو عدد قليل من القضاة ، فان ذلك لا يطعن فى الحكم العام على القضاء المصرى . كما أن هذا الشذوذ لا يحملنا على افتراض سوء النية فيمن شذوا ملتزمين بحرفية النصوص فان هذا مبلغ علمهم ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وفى درجات التقاضى متسع لتدارك أخطاء هؤلاء الشاذين .

● صفحة مجيدة للقضاء مع الاخوان :

أما القضاء بالنسبة للاخوان المسلمين فان له معهم صفحة مجيدة رائعة تسجل للقضاء المصرى بحروف من نور : فلقد محص القضاء قضاياهم تمحيصا كشف خباياها ، وأوضح ما طمس من معالمها ، واقتحم من خلالها الى معاقل الظلم والقهر والعدوان . وبين للرأى العام المصرى والعالمى من هو البرىء ومن هو المعتدى .

---

(١) قسم (بفتح العين وتسكين الميم) .

ولقد كان التخطيط مؤسسا على أن يقدم هؤلاء المتهمون الى القضاء ف ظل الارهاب الحكومى الذى كان على رأسه ابراهيم عبد الهادى ، والذى سيكون سبحه ماثلا أمام كل متهم فلا يجرؤ على الافضاء بما سيم من سوء العذاب ٠ ولذا فقد رأينا النائب العام محمود منصور باشا ـ خادم ذلك العهد ـ قد أجهد نفسه فى ضم جميع قضايا الاخوان مع قضية مقتل النقراشى باشا فى قضية واحدة ، تقدم للقضاء فى أقرب فرصة ليصدر حكمه فيها مرة واحدة قبل أن ينقشع ظلام الارهاب الحكومى ٠ ولكن أعوانه من رجال النيابة عجزوا عن تلبية طلبه لكثرة عدد المتهمين ، ولما سيكون عليه ملف هذه القضية من ضخامة تعجز من يطلع عليه أن يحيط بكل ما فيه ٠

فلما أراد الله أن يزلزل أقدام الطاغية ٠٠ وزال الشبح ٠٠ تكلم المتهمون ووجدوا من يستمع انيهم ، فكشفوا عما كان يقترف من جرائم التعذيب واهدار الكرامة ـ لا تحت سمع الحكومة وبصرها فحسب ـ بل وبأمر من رئيس حكومتها وتوجيهه ٠٠٠ ولقد هز الكشف عن هذه الجرائم البلاد من اقصاها الى أقصاها ، لان هذه البلاد بالرغم من شدة وطأة الاستعمار عليها فانها كانت لا تزال تحتفظ بقسط من الشعور والحيوية ٠

ولقد كانت هذه القضايا فرصة أتيحت ٠ كشف الدفاع ـ الذى كان الكثير من أعضائه متطوعا ـ عن حقيقة الاخوان المسلمين وعن جهادهم وتضحياتهم ، مما كان الاخوان حريصين على اخفائه ايثاراً لما عند الله ٠ فعرف المصريون والعرب لاول مرة ان لهم فى تاريخهم الحديث مفاخر تذكر بمفاخرهم فى عصورهم الاولى من الدعوة الاسلامية الباكرة ، واستقر فى أذهانهم أن هذا الطراز من الرجال هو الذى يرجى على يديه اجلاء اليهود عن البلاد المقدسة التى مكنهم الاستعمار من اغتصابها ٠

ولقد كان للشهادات التى أدلى بها أمام القضاء القائدان العامان للقوات المصرية فى فلسطين اللواءان أحمد المواوى وفؤاد صادق صدى مدو فى أسماع العالم كله ، لاسيما فى أسماع المصريين ـ المجنى عليهم دائما ـ والذين لم يكونوا يسمعون من أبواق الحكومة السعدية الا ذما وافتراء وتحقيرا لهذه الفئة الطاهرة المجاهدة ٠

ولم يكتف القضاء باصدار احكام تبرىء ساحة هؤلاء المجاهدين بل كانت الروعة فى حيثيات هذه الاحكام التى أشادت بهم ودمغت ذلك العهد بالاستبداد والتعنت والارهاب ٠

وينبغى ان يكون ماثلا فى ذهن القارىء انه ليس معنى ان هذه الاحكام وقد صدرت بعد سقوط وزارة السعديين أن العهد الذى تلا هذه الوزارة كان

عهدا جديدا ٠٠ لا بل ان العهد كان ممتدا ، لم يتغير فيه شيء الا الاشخاص الدين اتى بهم على المسرح ٠٠ أتى بهم المسيطر على المسرح ٠٠ المحرك من المصريين كان هو الملك وكان مؤلف المسرحية هم الانجليز ٠٠ وكان هذان موجودين ، وكانا هما المسيطرين على مقادير البلاد ٠٠ ولكنهما مع ما كان لهما من رهبة فى صدور الناس ، وقد استطاعا التدخل فى كل شيء واستطاعا افساد كل شيء فانهما عجزا غن أن يقتحما الى ساحة القضاء التى كانت حيالهما أمنع من عقاب الجو ٠

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ونحن بصدد الابانة عن مناعة مقام القضاء حتى ذلك العهد ، أرانى مذكرا بمشكلة من هذا القبيل كثر حولها الجدل فى خلال عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٢ حين وليت الحكم وزارة الوفد مؤيدة بأغلبية شعبية ساحقة ، ومشمولة بتأييد الملك لاول مرة ٠٠ ومعنى هذا أنها كانت وزارة وطيدة الاركان راسخة الاقدام نافذة الكلمة مما لم يتوفر لوزارة على الصعيد المصرى من قبل ٠

وكان الدكتور عبد الرزاق السنهورى فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس الدولة ــ وهو العالم القانونى المشهود له من الجميع ــ غير أن الدكتور السنهورى كانت له صفة أخرى هى أنه كان من قبل عضوا فى حزب السعديين وتولى منصب الوزارة فى بعض وزاراتهم ٠

فلما جاءت وزارة الوفد أراد النحاس باشا رئيس الوزراء ــ بهذه السلطة المطلقة التى يملكها ــ أن يقتلع السنهورى من منصبه القضائى بدعوى أنه رجل حزبى ٠ وأرسل اليه من يطلب اليه الاستقالة من منصبه ، فكان أن أعلن السنهورى على صفحات الجرائد انه يوم تولى منصبه فى القضاء تخلى عن حزبيته وقطع صلته بها ، وأنه لن يتخلى عن منصبه القضائى الا أن ينحيه مجلس القضاء الاعلى ٠٠ ولما كان السنهورى كفاءة قانونية نادرة فقد تمسك به مجلس القضاء ٠

وبذلت حكومة الوفد جهودا جبارة بجهازيها التنفيذى والتشريعى وبنفوذها الصحفى والاعلامى ، طيلة عام كامل ٠٠ دون أن تتمكن أقوى حكومة تولت الحكم فى مصر فى عهد الملكية من زحزحة السنهورى عن منصبه ٠٠٠ وسقطت الحكومة فى عام ١٩٥٢ وظل القاضى فى منصبه ٠

الفصـل الثانى

من الأحكام الخالدة

أولا – الحكم فى قضية السيارة الجيب :

مقـــدمة

لعل قد استبان للقارىء من الصفحات السابقة الصورة التى كانت التحقيقات تجرى فى اطارها ، والمجزرة البشرية التى كانت ترتكب جريمتها باسم هذه التحقيقات بين جدران السجون ومكاتب البوليس ، والاعترافات التى كانت تملى على المتهمين ، ويوقعونها وهم فى شبه غيبوبة من إثر الضرب والتعذيب .

وظن المزورون أنهم استطاعوا أن يذللوا كل عقبة اعترضت طريقهم بازاحة كل رجل بوليس فيه بقية من شرف أو مسكه من ضمير عن طريقهم .. وحتى رجال النيابة .. انتقوا منهم قلة شاذة باعت نفسها للشيطان ، وشردوا الاخرين الذين رفضوا الخضوع لمشيئتهم .

وكانوا يعتقدون أنهم بذلك قد أتموا المشوار الى آخره ، وأكملوا طبخ الطبخة ومهكوا عناصرها بعضها ببعض حتى فقدت هذه العناصر معالمها فلم تعد تميز عنصرا فيها عن آخر ، ثم مزجوا بها السم الزعاف فسرى فى كل ذرة من ذراتها وأعادوا مهكها مرة بعد مرة ، حتى خرجت من تحت أيديهم عنصرا واحدا يشهد بمهارة الطابخين ... طبخوها فى عزلة وفى تان وهدوء ، فقد كان الوقت فى أيديهم يتصرفون فيه كما يشاءون .. ولم يقدموها للقضاء الا بعد أن استكملت تجانسها وصارت مهيأة للالتهام .

فالقضاء واجد أمامه اعترافات صريحة مذيلة بتوقيعات المتهمين . وان كان اكراه أو تعذيب فقد كان يجرى بين أربعة جدران ، ما من شاهد عليه ولا دليل ، وقد مضى عليه شهور طويلة كادت تذهب بآثاره .. فماذا يفعل القضاء امام هذه الظروف الا أن يصدر الاحكام التى رتب الظالمون هذه القضايا لتصدر فيها ؟! .

ولا عجب فى هذا ، فقد رأينا فى قضية الاوكار حين قررت المحكمة سماع

أقوال الشهود فى موضوع التعذيب ، رأينا أحد كبار المحامين فى القضية وهو الاستاذ زكى البهنيهى يقرر للمحكمة أن استجلاء هذا الموضوع بهذا الاسلوب غير مجد لان التعذيب كان يجرى بين أربعة جدران ، ولم يكن يحضره الا المتهم والقائمون بتعذيبه ٠

لم يكن القضاء ــ كما رأى القارىء ــ هو القضاء الساذج المتسرع الذى يؤخذ بالظواهر والمناظر فيلتهم الطبخة الناضجة الفائحة الرائحة التى قدمت اليه ٠٠ بل انه سد أنفه وأخذ يجيل النظر فى محتوياتها ٠٠ ولفت نظره الاعترافات الكاملة من كل المتهمين والمكتوبة بأسلوب قانونى وبعبارات اصطلاحية لا يحذقها الا الاخصائيون المتمرسون بالتحقيقات القانونية ٠٠ فهل هؤلاء المتهمون جميعا ــ ومنهم الطبيب والمهندس والمعلم والازهرى والطالب والعامل والميكانيكى والتاجر ــ كلهم على درجة عالية من الدراية بالاصطلاحات القانونية التى لا يفهمها الا الاخصائيون ؟

لم يكن القضاء اللقمة السائغة للملفقين كما كانوا ينتظرون ، بل انه خيب آمالهم ، فقد أفسح صدره ، وتتبع الآثار حتى وصل الى أصلها ٠ وتعاون مع الدفاع فى تقصى الحقائق واستجواب الرءوس الكبيرة ــ التى كانت تعتقد أنها أمنع من أن يهبط بها من عليائها ــ وأوقفها أمام المتهمين وجها لوجه ٠٠٠ واقتحم بسلطانه العادل الى معاقل الظلم فعاين زنازين السجون المحصنة التى استقل بها البوليس السياسى وعزلها عن الدولة ٠

ترك القضاء الطبخة كلها جانبا ، وراح ينظر فيما بين يديه من آثار فى أجسام المتهمين ، ويستعين بالاطباء على معرفة أسبابها واعمارها ٠ وأخذ يبحث تاريخ هؤلاء المتهمين ، وهل هم فئة مردت على الاجرام بطبيعتها أم أن هناك بواعث أخرى كانت هى السبب الاصيل فى مثولهم بين يديه فى قفص الاتهام ؟ ثم أخذ يقيم هذه البواعث حتى انه قرأ القوانين الضابطة لمسيرة هؤلاء المتهمين فى الحياة ، والتى التزموا بها وبايعوا عليها من أول يوم ، فوجدها مثلا عليا مستمدة من القرآن الكريم ، ولكنها تتعارض مع أهواء السادة الحاكمين ، وتقف عقبة فى طريق شهواتهم ٠

وكانت القضيتان الكبريان اللتان آلتا آخر الامر الى ساحة القضاء هما قضية السيارة الجيب وقضية الاوكار وحامد جوده ٠ وضمت الاولى اثنين وثلاثين متهما وضمت الثانية خمسين متهما ٠

ومع أن القضية الثانية (الاوكار) قد عقدت أكثر من عشرين جلسة تكشفت فى خلالها فضائح واعاجيب ــ عرضنا لبعض منها فى الفصل السابق ــ فانها انقطعت عن مواصلة الجلسات للاسباب التى أشرنا اليها ٠

ولهذا فان القضية الكبيرة والهامة التى صدرت فيها الاحكام هى قضية السيارة الجيب ليس غير • وقد رأينا أن نثبت هنا نص هـذا الحـكم ، ثم نتبعه بالحيثيات التى بنى عليها ، ليرى القارئ فى هذا الحـكم وحيثياته وثيقة تاريخية نترك له تقييمها •

ولا يفوتنا ـ بهذه المناسبة ـ أن نقول أنه لو أن قضية الاوكار قدر لها أن تتابع جلساتها لانتهت الى أحكام وحيثيات أبدع واروع •• ولكن يبدو أن ارادة الله قد سبقت بأن تكون احكام هذه القضية وحيثياتها لا مجرد ادانة لحكم فاروق وعصابته ، بل تقويضا لدولتهم ، وثـلا لعرشـهم بقيـام ثورة يوليو ١٩٥٢ •

● **نص الحكم فى قضية السيارة الجيب :**

نظرا لمـا كان للحكم فى هذه القضية من صدى داخل مصر وخارجها • ونظرا لمـا لهذا الحكم من دلالات بعيدة المدى ، ولمـا له من آثار عميقة الغور فى تاريخ مصر ومستقبلها ، فقد صدرت اكبر الصحف اليومية فى ذلك اليوم ١٨ـ٣ـ١٩٥١ وملء صفحاتها الاولى بالخط الاحمر هذا العنوان وكتب تحته « براءة ١٤ متهما من ٣٢ متهما » ـ وكتبت تحت ذلك : كان المتهمون ينشدون نشيد السجون الذى الفه أحدهم وهو :

الله اكـبر فى سـبيل الله أدخلنـا السـجون

والمخـرجـون من الديار بـلا ذنوب يحبسـون

الله أكـبر وليـكن بعـد الحـوادث ما يكـون

لا نستعين بغير ناصـرنا وما نلـقى يهـون

والله اكـبر فى سبيل الله أدخلنا السـجون

□ **نـص الحـكم :**

السجن ثلاث سنوات : مصطفى مشهور ـ محمود السيد خليل الصباغ احمد محمد حسنين ـ احمد قدرى الحارتى ـ السيد فايز عبد المطلب •

الحبس سنتين مع الشغل : عبد الرحمن على فـراج السندى ـ احمـد زكى حسن ـ احمد عادل كمال ـ طاهر عماد الدين ـ محمـود حلمى فرغلى ـ محمد أحمد على ـ عبد الرحمن عثمان ـ صلاح الدين عبد المتعال ـ جمال الدين طه الشافعى ـ جلال الدين ياسين ـ محمد سعد الدين السنانيرى ـ على محمد حسنين الحريرى •

الحبس سنة واحدة : محمد ابراهيم سويلم ٠

براءة المتهمين جميعا من التهمة الرابعة الخاصة بحيازة أجهزة وأدوات ومحطة اذاعة لاسلكية بدون اخطار ٠

براءة ١٤ منهما هم : محمد فرغلي النخيلي ـ محمد حسني أحمد عبد الباقي ـ أحمد متولي حجازي ـ ابراهيم محمود علي ـ الدكتور أحمد الملط ـ جمال الدين ابراهيم فوزي ـ السيد اسماعيل شلبي ـ أسعد السيد أحمد ـ محمد بكر سليمان ـ محمد الطاهري حجازي ـ عبد العزيز أحمد البقلي ـ كمال سيد القزاز ـ محمد محمد فرغلي ـ سليمان مصطفى عيسى ٠

□ تعليق الدكتور محمد هاشم باشا على الحكم :

كان الدكتور محمد هاشم باشا من أكبر المحامين في مصر في ذلك الوقت، وقد تقلد منصب الوزارة في وزارة محايدة ٠٠ وقد أدلى لمندوب جريدة « المصري » برأيه في هذا الحكم فقال :

رأيي أنه حكم سليم ، قد راعى كل الاعتبارات ، وبخاصة فيما يتعلق بالظروف التي أحاطت بالتحقيق ، وعلى الاخص من جهة المعاملة التي عومل بها المتهمون ، وكيفية انتزاع ما اسمته النيابة اعترافات منهم ٠

ومن ناحية أخرى يخيل الي وانا لم أقرأ الحيثيات بعد ، أن المحكمة راعت الاعتبارات الخلقية والاجتماعية التي كان يقوم بها الاخوان المسلمون بصفة عامة ٠

والى جانب هذا فان المحكمة كانت واسعة الصدر بشكل واضح ، وقد اوسعت صدرها للاتهام أولا وللدفاع ثانيا ، ولم تترك كبيرة ولا صغيرة الا حققتها ووزنتها ٠ وقد عشنا ـ نحن القضاة والنيابة والمحامين ـ ثلاثة اشهر في بحث هذه القضية ٠ ولم يمل المستشارون بحال من الاحوال ، بل وأرادوا ايضا أن يحققوا أكثر مما دققوا فحجزوا القضية للحكم قرابة ثلاثة أسابيع لمراجعة الاوراق من جديد ، ووزن كل ما جرى في التحقيق وما قيل في المرافعة من جانب الاتهام والدفاع ٠

ولا شك أن قضاة يظهرون هذا التدقيق والوزن في كل أمر يمس هذه القضية لا يمكن بحال من الاحوال الا ان يجيء حكمهم عادلا سليما لا يرد عليه مطعن ٠

ويخيل الي ايضا أن القضاة وهم يباشرون نظر هذه الدعوى كانوا حقيقة بعيدين عن كل شيء يمس الجو العام للقضية كالدعاية وما شابهها ٠

ثم انسحبوا بعد ذلك الى محراب العدالة يستلهمون فيه حكم القانون اولا والعدل ثانيا ٠ والقضاء ليس الا تحقيقا للعدالة فى حدود القانون ٠

ولعلنا بعد أن نطلع على أسباب الحكم نقتنع تماما بهذا الشعور الذى حكمنا به لاول وهلة عندما سمعنا النطق بالحكم ٠ وهذا من غير شك يجعلنا نردد بحق تلك العبارة التقليدية التى تقول « **ان فى مصر قضاة** » ٠

● حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب :

فى ١٣ـ٤ـ١٩٥١ نشرت الصحف حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب على الصورة الآتية :

« المحكمة تعلن » وهى مطمئنة » أن تعذيبا وقع على المتهمين »

«كان التحقيق فوضى ، تارة تتولاه النيابة وأخرى يتولاه عبد الهادى باشا»

« المحكمة تشيد بمبادىء الاخوان المسلمين ، ولكن المتهمين

انحرفوا عنها بدوافع وطنية كابناء بلد محتل مغلوب على أمره » « وتحت تاثير كارثة فلسطين »

وقع أمس سعادة أحمد كامل بك رئيس دائرة الجنايات المكونة من سعادته وعضوية محمود عبد اللطيف بك ومحمد زكى شرف بك حيثيات حكمها فى قضية السيارة الجيب ، التى كان متهما فيها ٣٢ شخصا من الاخوان بالاتفاق الجنائى العام على قلب نظام الحكم واحراز الاسلحة ، وقضى ببراءة ١٤ متهما وبحبس الباقين مددا تتراوح بين ثلاث سنوات وسنة واحدة ـ ويقع الحكم فى ٣٨٥ صفحة فولسكاب ٠ وقد بدىء بأسماء المتهمين والتهم المنسوبة اليهم وبيان الاوراق والاسلحة التى ضبطت ثم جلسات المحاكمة ـ ثم اشار الى اعترافات عبد المجيد حسن قاتل النقراشى ـ ثم عرض الى اعترافات عبد الرحمن عثمان ٠

☐ اعترافات مصطفى كمال :

ثم انتقل الحكم الى سرد اعترافات مصطفى كمال عبد المجيد ـ المتهم الاول فى قضية الاعتداء على حامد جوده ـ المتضمنة انه تعرف بالمتهم عادل كمال ، وأنه كان يتردد على شعبة الظاهر ، وعلم أن محمود الصباغ اشترى سيارتين من سيارات الجيب عهد باصلاحهما لانيس أنس ، وأنه اشترك مع أحمد عادل فى نقل أوراق من احد المنازل بالسيارة ـ وبعد ذلك ضبط مع بعض المتهمين اثناء وجودهم فى السيارة الجيب بالوايلية ولكنه استطاع الهرب الى القاهرة وظل مختفيا تحت أسماء مستعارة ـ وانه دبر هو وزملاؤه مؤامرة

لقتل ابراهيم عبد الهادى باشا ، ولكن تصادف مرور سيارة الاستاذ حامد جوده فظنوه عبد الهادى باشا وألقوا على سيارته القنابل بمصر القديمة ٠

□ عـدم تعرف المعترف :

وأشارت المحكمة الى أنه بناء على هذه الاعترافات صحب المحقق هذا المتهم المعترف للارشاد عن منزل عادل كمال الذى يردده فى اعترافاته ، فاذا به لا يستطيع الارشاد عنه بل أرشد عن منزل آخر تبين ان صاحبه لا صلة له بالحادث ٠

□ اعترافات صنعها التعذيب :

ثم تناولت المحكمة عدول هذا المتهم عن اعترافاته ، وقوله ان أقواله المذكورة لم تصدر منه على الاطلاق ، وأنه عذب فور القبض عليه فى ٥ مايو ١٩٤٩ على أثر محاولة الاعتداء على الاستاذ حامد جوده رئيس مجلس النواب وقتئذ ، وأن التعذيب ترك بجسمه آثارا ٠ وان المحكمة استجابت لطلب الدفاع بضم التقرير الطبى الشرعى عنه ٠

□ سبع ندب بعد عدة شهور :

ثم استطرد الحكم يقول : انه بمراجعة التقرير الطبى تبين أن الكشف على المتهم المذكور انما تم بعد خمسة أشهر من وقوع التعذيب المدعى به ، وقد وجد بساعده وعضده سبع ندب لشقوق يتراوح طولها بين سنتيمترين وستة سنتيمترات ، وأنها قد تكون معاصرة للوقت المدعي بحصول الاعتداء فيه كما قد تكون سابقة لهذا التاريخ ، وأنه لا يوجد لدى الطبيب ما يساعده على الجزم بأن هذه الآثار ناشئة بالذات عن ضرب الكرباج ، ومن الممكن تخلفها من الاحتكاك بأجسام صلبة أيا كانت طبيعتها ٠

□ لولا قـرار المحاكمة :

ثم استطردت المحكمة معلنة رأيها فى هذه الواقعة قائلة : انه ثابت فى صدر التقرير الطبى أن هذا المتهم مصطفى كمال عبد المجيد عندما كشف عليه تنفيذا لقرار المحكمة العسكرية العليا فى ٨ أكتوبر ١٩٤٩ لم يكن أحد قد عنى من قبل ذلك باحالته الى الكشف الطبى ٠

□ فى قبضة البوليس :

وانه لا نزاع فى أن المتهم المذكور كان فى قبضة رجال البوليس وتحت سلطتهم فى الفترة ما بين ٥ مايو ١٩٤٨ وهو تاريخ القبض عليه وبين ١٠ من اكتوبر ١٩٤٩ وهو تاريخ الكشف الطبى عليه ٠

□ حيموتونى يا باشا :

وحيث ان دولة ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء وقتذاك قد أدلى باقواله أمام هذه المحكمة بجلسة ١٨ ديسمبر ١٩٥٠ وجاء فيها أنه عندما وصل الى علمه نبأ محاولة الاعتداء على حياة رئيس مجلس النواب السابق انتقل الى قسم مصر القديمة ، وهناك رأى مصطفى كمال عبد المجيد مقبوضا عليه ، وأنه استغاث بدولته قائلا : فى عرضك انا عطشان حيموتونى. فسأله دولته عن الحادث واشتراكه فيه فأقر بما ارتكب ·

□ الشعب المعتدى :

واضاف عبد الهادى باشا الى اقواله أنه علم أن الاهالى اعتدوا على مصطفى كمال عبد المجيد عقب القبض عليه ·

□ استغاثة لها دلالتها :

وعلقت المحكمة على هذه الشهادة من ابراهيم عبد الهادى باشا قائلة : ان عبارات الاستغاثة التى أسندها دولة ابراهيم عبد الهادى باشا الى المتهم ان دلت على شىء فاما تدل على أن المتهم كان محل اعتداء بعد القبض عليه وبعد ان صبح تحت سلطان رجال البوليس وحدهم وفى دار القسم وبعيدا عن تناول الافراد ·

□ لو كان فى مأمن :

ولو أن هذا المتهم كان بعد القبض عليه فى مأمن من أى اعتداء لكانت استغاثته بدولة عبد الهادى باشا غير مستساغة ولا معنى لها ·

□ من فم عبد الهادى باشا :

وحيث انه من هذا ترى المحكمة أن هذا المتهم كان محلا للاعتداء فى دار قسم مصر القديمة بعد القبض عليه ، وأن العبارات التى قال رئيس مجلس الوزراء الاسبق انه فاه بها انما تدل على ان الاعتداء كان شديدا ·

□ المحكمة تعلن ثبوت التعذيب :

واستطردت المحكمة تعلنها مدوية : ان المحكمة تستطيع أن تقرر وهى مطمئنة ان الآثار التى شوهدت بجسم مصطفى كمال عبد المجيد بعد ما يزيد على خمسة أشهر من وقت ضبطه ، يمكن ارجاعها كلها او بعضها على الاقل الى ما كان يقارفه من تولوا ضبطه والمحافظة عليه من رجال البوليس ·

□ **وتعلن بطلان الاعترافات :**

وتطرقت المحكمة مرتبة على هذا الرأى الخطير نتيجة خطيرة فقالت حيث ان ما أدلى به هذا المتهم فى التحقيقات الخاصة بهذه القضية ـ قضية السيارة الجيب ـ عن قيادته لسيارة الجيب مع بعض المتهمين ونقل أوراق وغير ذلك من وقائع انما كلها أتى بعد وقوع الاعتداء عليه اثر ضبطه ، ولذا فان المحكمة لا تطمئن الى أقواله جميعها ، وترى أن تسقطها من حسابها عند الكلام على الدليل ·

□ **تسليم النيابة بالاصابات :**

ولقد أرفق ممثل الاتهام الخطابات التى كتبها أحمد عادل كمال وزملاؤه بالتحقيقات · وان ارفاق هذه الخطابات دون سؤال مرسليها يدل على ان ما ورد بها عن اصاباتهم ـ أيا كان سببها ـ كان أمرا مسلما به · ويدل على ذلك شهادة دولة ابراهيم عبد الهادى باشا عن استغاثة مصطفى كمال عبد المجيد به · ولا محل لسماع شهادة ممثل الاتهام عن هذه الواقعة وقد تبينت المحكمة حصول اعتداء عليه داخل القسم ·

□ **تعذيب فصالون :**

ثم انتقل الحكم بعد ذلك الى الكلام عن المتهم عبد الرحمن عثمان فتناول الواقعة الخاصة بتعذيبه فى ١١ يوليو ١٩٤٩ بقصد الاعتراف امام المحقق فى اليوم التالى ، وواقعة أن ابراهيم عبد الهادى باشا اصطحبه معه فى صالونه الخاص فى سفره الى الاسكندرية ·

□ **ظــروف :**

ثم استطردت المحكمة تقول : انها ترى قبل الكلام على الادلة القائمة قبل هذا المتهم أن تعرض للظروف التى تم فيها ضبطه ثم الظروف التى أدلى فيها بأقواله سواء أكان ذلك فى التحقيقات أو بمحضر جلسة قضية مقتل النقراشى باشا ·

□ **انكار ينهار فجــأة :**

وأشارت الى القبض عليه وتمسكه بالانكار ثم تقديمه طلبا الى النيابة بأنه يريد الاعتراف · وأبرزت ظروف ذلك مقررة أنها تلاحظ أن آخر استجواب للمتهم قبل اعترافه كان بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٤٩ وقد ووجه بجانب من تقرير الخبراء من أن التقارير المضبوطة فى المحافظة بخطه واصر رغم ذلك على الانكار

ولم يجد جديد فى شانه حتى تقدم بالطلب المؤرخ ١١ يولية ١٩٤٩ عن طريق السجن يريد الاعتراف .

□ تعليل النيابة غير معقول :

وحيث ان النيابة فى مرافعتها قالت ان المتهم تبين بعد ورود التقرير بخطه أن إنكار الحقيقة لم يعد مجديا . وهذا القول مردود لان المتهم ووجه بتقرير الفحص فاصر على الانكار . ثم كان الطلب بعد أن أصر بنحو ٢٦ يوما دون أن يجد جديد ، فلم يواجه مثلا بأقوال شاهد أو بأقوال متهم معترف عليه بل ان الطلب قدم دون أسباب أو مقدمات .

□ سر له أثر حاسم :

وحيث ان الثابت من الاطلاع على دفتر سجن الاجانب أن المتهم خرج منه مع أحد ضباط القسم السياسى وقضى ٦ ساعات فى دار المحافظة ثم ظهر أنه قدم الطلب الذى يبدى فيه رغبته للاعتراف فى نفس هذا اليوم ، وأن الطلب كتب بعد عودته من المحافظة ، وذلك ينطوى على مسألة قد يكون لها أثر حاسم فى القضية محل التحقيق .

□ خفايا المحافظة :

وحيث انه لا يوجد فى الاوراق ما يكشف عن حقيقة ما دار فى الفترة التى قضاها المتهم فى دار المحافظة ، ولم يتحدث أحد بما حصل سوى الدفاع عن المتهم الذى قرر أنه عذب واستكتب طلبا بالاعتراف .

□ الاعتداء أقل ما يقال :

وألقت المحكمة برأيها فى هذه الواقعة فاعلنت أن اقل ما يقال فى هذا الشأن أن المتهم كان تحت تأثير اعتداء أو تحريض من رجال البوليس لدفعه الى كتابة ما كتب وللادلاء بعد ذلك بما أدلى من اعتراف فى ١٣ يوليو ١٩٤٩ .

وحيث انه مما يلفت النظر ، أنه فى اليوم التالى للاعتراف أخرج عبد الرحمن عثمان من السجن مرة أخرى (لتوصيله لنيابة الاستئناف) ولكنه لم يصل الى النيابة .

وقد دعا الدفاع ابراهيم عبد الهادى باشا للادلاء بأقواله أمام هذه المحكمة . وكان من بين ما قرره أن المتهم ركب معه القطار فى ذلك اليوم واستجوبه لفترة قصيرة بشأن اعترافه على قريب له هو ابن محمود يوسف باشا وكيل الخاصة الملكية ، وذلك لكى يتحقق دولة الشاهد - وهو الحاكم

العسكرى العام – من صحة هذا الاعتراف ويتصرف على مقتضى ما يصل اليه فى هذا الشأن . واستطرد دولة الشاهد فقال انه بعد أن سمع من المتهم ما أراد سماعه صرفه ولا يعرف ما تم فى أمره بعد ذلك .

وأمسكت المحكمة بهذه الرواية من ابراهيم عبد الهادى باشا لتبدى رأيها فيها قائلة : ان ما قرره دولة ابراهيم عبد الهادى باشا بشأن ابن محمود يوسف باشا لم يكن شيئا فى أوراق هذه القضية . ولم يخطر دولته المحقق بهذه المقابلة وبما تم فيها .

وانطلق الحكم يدوى بكلمة المحكمة : وحيث انه مع التسليم بأن من حق الحاكم العسكرى أن يدعو الافراد ويستجوبهم بنفسه وبخاصة اذا كان الامر يتعلق بالمحافظة على الامن العام ، الا أن ما تم بشأن هذا المتهم بالذات يدعو الى انعام النظر .

.. فلقد أخرج المتهم من السجن بحجة توصيله الى نيابة الاستئناف – ولم يصل ذلك اليوم على الاطلاق – واقتيد الى محطة القاهرة حيث ركب القطار والتقى بدولة رئيس مجلس الوزراء وقتذاك وكان ما كان بينهما مما رواه دولة الشاهد الذى لم يعن باثبات ما تم بينه وبين المتهم أو تبليغ المحقق أمر هذه المقابلة .

وواصل الحكم يجهر برأيه عن هذه الواقعة يسجل قائلا :

وحيث انه مهما يكن من سلطان الحاكم العسكرى فى هذا الشأن ، فان حريات الافراد يجب أن يكون لها حدود تقيها من العبث أيا كان مصدره ، وان لا يترك أمر استجواب المتهمين المقبوض عليهم فوضى يتولاه تارة المحقق ، وطورا الحاكم العسكرى صاحب السلطان الاكبر .. وذلك فى غيبة المحقق وعلى غير علم منه دون اخطاره بشأن الاستجواب .

□ **اعترافات فاسدة :**

وانتهت المحكمة من هذه الصيحة المدوية الى القول بأنها ترى أن كتابة المتهم الطلب الخاص بالاعتراف ثم اعترافه ، كل هذا شابه عوامل غير عادية قد تكون تعذيبا كما زعم المتهم أو على الاقل اغراء وتحريضا . وهذه الاقوال لا تعول عليها المحكمة وتعدها مهدرة .

وحيث ان هذه المحكمة ترى أن اطلاق يد البوليس فى مقابلاتهم للمتهمين، يلقونهم متى يشاءون ، ويخرجونهم من السجن متى ارادوا ، ويعيدونهم ثانيا طبقا لاهوائهم ، ودون رقابة من رجل النيابة المحقق ... هذه السلطة الطاقة

لا تتفق مع ما كفله القانون للمتهم من حرية الدفاع عن نفسه والادلاء بأقواله في جو بعيد عن شتى المؤثرات .

□ جماعة الاخوان المسلمين :

وتناول الحكم بعد ذلك الكلام عن جماعة الاخوان المسلمين مشيرا الى نشأتها ومسارعة فريق كبير من الشباب للالتحاق بها ، والسير على المبادىء التى رسمها منشئها ، والتى ترمى الى تطهير النفوس مما علق أو يعلق بها من شوائب ، وانشاء جيل جديد من اخوان مثقفين ثقافة رياضية عالية ، مشربة قلوبهم بحب وطنهم ، والتضحية فى سبيله بالنفس والمال .

ومضت تقول : وقد كان لابد لمؤسسى هذه الجماعة لكى يصلوا الى أغراضهم أن يعرضوا أمام هذا الشباب مثلا أعلى يحتذونه ، ووجدوه فى الدين الاسلامى وقواعده التى تصلح لكل زمان ومكان ، فأثاروا بهذا المثل العواطف التى كانت قد خبت فى النفوس ، وقضوا على الضعف والاستكانة والتردد .

وهذه الامور تلازم عادة أفراد شعب محتل مغلوب على أمره ، فقام هذا النفر من الشباب يدعو الى التمسك بقواعد الدين والسير على تعاليمه ، واحياء أصوله ، سواء أكان ذلك متصلا بالعبادات والروحانيات أو بأحكام الدنيــــا .

ولما وجدوا أن العقبة الوحيدة فى سبيل احياء الوعى القومى فى هذه الامة هى جيش الاحتلال ، الذى ظل بين المحتل وبين فريق من الوطنيين الذين ولوا أمر هذا البلد مباحثات ومفاوضات على اقرار الامور ليخلص الوادى لاهله ، ولم تنته هذه المفاوضات والمحاولات الكلامية الى نتيجة طيبة .. ثم جاءت مشكلة فلسطين وما صحبها من ظروف وملابسات .

ولما كان كل هذا .. اختل ميزان بعض أفراد شباب جماعة الاخوان فبدلا من أن يسيروا على القواعد التى رسمها زعماؤهم ، والتى كانت قديرة حتما على تربية فريق كبير من أفراد الشعب وتثقيفهم واعلاء روحهم المعنوية .. بدلا من السير على هدى هذه المبادىء ارادوا أن يختصروا الطريق ـ ظنا منهم أن أعمال العنف تبلغ بهم أهدافهم من سبيل قصير .

فاتجهت ارادتهم على القيام بأعمال قتل ونسف وغيرها مما قد لا يضر المحتلين بقدر ما يؤذى بمواطنيهم ، وذهبوا فى سبيل ذلك مذهبا شائكا ، منحرفين عن الطريق الذى رسمه لهم رؤساؤهم والذى كان أساسا قويا لبلوغهم أهدافهم .

وحيث إنه يتبين من كل هـذا أن هـذه الفئة الارهابيـة لم يحترفـوا الجريمة وانما انحرفوا عن الطريق السوى فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درســا ٠

□ درس رءوف :

على أن المحكمة تراعى فى هذا الدرس جانب الرفق ، فتأخذهم بالرأفـة تطبيقا للمادة ١٧ من قانون العقوبات ، لانهم كانوا من ذوى الاغراض السامية التى ترمى أول ما ترمى الى تحقيق الاهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره ٠

* * *

ثانيا ـ الحكم بوقف بيع المركز العام وممتلكات الاخوان :

دعوى رفعها الامام ودعاوى رفعها رؤساء الشعب :

على اثر صدور الامـر العسكرى فى عهـد النقراشى باشـا بحـل هيئه الاخوان ومصادرة أموالها وممتلكاتها فى أنحاء القطر ، رفـع الاسـتاذ الامام رحمه الله دعوى أمام مجلس الدولة يطالب فيها بالغاء أمر الحل ٠ فـما اغتيل واصل أصهاره ـ الاستاذ عبد الحكيم عابدين والاستاذ عبد الكريم منصور ـ الدعوى ٠ كما أقام بعض رؤساء الشعب دعاوى مماثـلة يطالبون فيها بوقـف تنفيذ مصادرة الشعب وبيع ممتلكاتها ٠

□ **السنهورى يتنحى :**

وقد رأى عبد الرزاق السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة ـ لعلاقتـه السابقة بحزب السعديين ـ أن يتنحى عن نظر كافة الدعاوى المتعلقه بالاخوان المسلمين ، وعهد بنظرها الى السيد على السـيد بك وكيـل مجلس الدولة ـ وكانت هذه كياسة من السنهورى باشا ٠

وفى يوم ٢٦ـ١١ـ١٩٥٠ عرضت بصفة عاجلة احدى هذه الدعاوى . وهى مرفوعة من محمد حمزة الجميعى بصفته رئيسا لشعبة الاخوان بدمنهور ضد وزارة الداخلية ومدير البحيرة والمندوب العـام لتصـفية أمـوال جمعية الاخوان ، يطالب فيها بالغاء أمر الحل لصدوره مخالفا للقانون والدستور . ولتضمنه نصوصا بالالغاء والمصادرة لا يملكها الحاكم العسكرى ، كما يطالب بصفة عاجلة بوقف تنفيذ الامر الصادر من مدير البحيرة بناء على امر الحل ببيع ارض يملكها المدعى بصفته رئيسا للشعبة ونائبـا عن المرشـد العـام ووضعت عليها الحراسة يدها باعتبارها من ممتلكات الجماعة ٠

□ الوفد ينكث وعده :

وينبغى هنا أن نذكر أنه كان مفروضا حسب وعود حزب الوفد بلسان مرشحيه لمجلس النواب ، وحسب الوعود التى تطعها هؤلاء لناخبيهم ، أن تتخذ حكومة الوفد عند توليها الحكم الاجراءات التى تغنى الاخوان عن السير فى هذه الدعاوى التى رفعوها فى المحاكم ، وذلك بأن تصدر الحكومة قرارات بالغاء الاوامر العسكرية والقرارات التى صدرت من حكومات السعديين بالاستيلاء على دور الهيئة وأملاكها ، وبرد هذه الاملاك الى أصحابها الشرعيين .

ولكن الذى حدث هو أن وزارة الوفد تلكأت فى اتخاذ هذه الاجراءات ـ بالرغم من استنجاز الاخوان هذه الوعود ـ حتى حان الميعاد الذى حدده الموظف المسئول عن تصفية هذه الاملاك لبيع دار المركز العام .

وهنا اضطر الاخوان الى تحريك دعواهم ، فعرضت الدعوى التى اشرنا اليها فى ٢٦ـ١ـ١٩٥٠ فى جلسة برياسة السيد على السيد بك . وحضر عن المدعى الاستاذ محمد طاهر الخشاب الذى طلب وقف تنفيذ قرار البيع بصفة عاجلة حيث تحدد يوم الاحد الماضى لاتخاذ اجراء بيعها ، على أن يحدد سعادة الرئيس جلسة لنظر الدعوى أمام القضاء الادارى ، اذ يستغرق الفصل فيها وقتا يصبح من المتعذر بعده اصلاح هذه الحالة الطارئة الناجمة عن قرارات الحراسة ، كما طلب ضم قضيتين أخريين مرفوعتين من الاخوان لاهميتهما فى الدعوى .

ودفع محامى الحكومة بعدم توافر صفة الاستعجال قائلا انه لا يوجد ضرر غير ممكن تداركه ، فطلب ايقاف التنفيذ متعلق بذمة مالية ، وخزانة الدولة دائما عامرة يمكنها السداد اذا حكم بتعويض .

ثم نطق الرئيس بالقرار وهو يقضى بتأجيل القضية لجلسة ٦ فبراير القادم مع القضيتين المثار اليهما .. وتوالى التأجيل بعد ذلك .

هذا .. ثم حدث بعد ذلك أن ركبت حكومة الوفد راسها ، وأصرت على سلوك الطريق الملتوى الذى تحدثنا عنه فى باب سابق ، وهو الطريق تجاهلت فيه ما قطعت على نفسها للاخوان من عهود وشرعت فى استصدار تشريعات تكبلهم بها ، وتشل حركتهم ، وتلغى وجودهم.. وتم لها من أرادت وأصدرت التشريعات التى أشرنا اليها .

□ تحت ضغط الظروف فاء الوفد الى رشده أخيرا :

ثم جاء الغاء معاهدة ١٩٣٦ فوجدت هذه الحكومة ـ كما وضحنا من قبل ـ

أنها فى أمس الحاجة الى وقوف الاخوان المسلمين بجانبها ، فتراجعت عن كل ما أجهدت نفسها فى اعداده من تشريعات ، وأخذت فى انتهاج سياسة جديدة تذكر معها سكرتير الوفد ووزير المالية موضوع دار المركز العام الذى كان معروضا للبيع منذ أكثر من عام وتعمد هو أن لا يستجيب لرجاء الاخوان باصدار تعليمات بوقف بيعه ـ وسأل الوزير رجال وزارته هل بيع المركز العام ؟ فأجيب بأن الاخوان استطاعوا أن يؤجلوا موعد بيعه بدعاوى رفعوها أمام مجلس الدولة وأن الجلسة الاخيرة لمجلس الدولة لاصدار الحكم تنعقد بعد أسبوع • وكان ذلك يوم ١١ـ٩ـ١٩٥١ • فانتهز الوزير الفرصة وسارع باصدار تصريح ظهر فى اليوم التالى بجريدة « المصرى » هذا نصه :

« علم مندوب « المصرى » أن فؤاد سراج الدين باشا أصدر تعليماته بوقف جميع الاجراءات التى كانت ستتخذ بشأن بيع دار الاخوان الذى كان محددا له يوم ١٧ الجارى ـ وستتم فى القريب اتصالات بينه وبين أقطاب الاخوان لرد ممتلكاتهم » •

ولكن الاخوان لم يعتمدوا على هذا التصريح الذى يعلمون الظروف التى اضطرت الحكومة الى اصداره • وواصلوا دعواهم فى مجلس الدولة •

مجلس الدولة يوقف بيع دار المركز العام

ويقرر أن جمعية الاخوان المسلمين موجودة قانونا

وانعقدت محكمة مجلس الدولة فى ١٧ـ٩ـ١٩٥١ وأعلن محمد سامى مازن بك المستشار بمجلس الدولة حكم المجلس فى هذه الدعوى ، ويقضى بوقف تنفيذ القرار المذكور ـ وجاءت حيثيات هذا الحكم فى اثنين وعشرين ورقة من الحجم الكبير ، وجاء فى هذه الحيثيات ما يلى :

☐ **حق تكوين الجمعيات :**

وقد أجابت المحكمة على دفع الحكومة بعدم قبول الدعوى لانتفاء صفة المدعى ولعدم وجود دعوى موضوعية ولخروج طلب وقف التنفيذ عن سلطة رئيس مجلس الدولة وولايته بما يلى :

انه للفصل فى ذلك يقتضى بيان الوضع القانونى للجمعية والصفة التى كانت لها قبل الحل ثم ما كان لهذا الامر من أثر عليها :

أما عن المسألة الاولى فان حق تكوين الجمعيات قد ورد فى المادة (٢١) من الدستور حيث تقرر أن « للمصريين حق تكوين الجمعيات ، وكيفية

استعمال هذا الحق بينه القانون » ثم استشهدت المحكمة بما جاء فى محاضر لجنة الدستور عن هذه المادة من أن الدستور قد عهد الى القانون بتنظيم الحق فى تكوين الجمعيات بعد أن قرر قيامه ـ كما أن اللجنة اذ تحدثت عن الباب الذى وضعته فى الدستور « حق المصريين وواجباتهم » والذى يعتبر حق تكوين الجمعيات فرعا منه قالت « وقد كان المصريون يتمتعون بهذه الحقوق تدعمها النظم السياسية التى كانت جارية فى مصر وتنظيم معظمها القوانين المصرية ، غير أن تلك الحقوق لم تكن مجموعة فى باب ظاهر منشور بين الناس ، لذلك رأت اللجنة أن تضع ذلك الباب جريا على سنن الدساتير الاخرى ، وتحقيقا للغرض الذى يلتمس منه ، وليكون قيدا للشارع المصرى لا يتعداه فيما يسنه من الاحكام » ٠

ثم عرضت الحيثيات لما جاء فى مذكرة وزير الحقانية عن الدستور ، وما جرت عليه المحاكم قبل الدستور وبعده لكفالة هذا الحق فى اطلاقه ـ ثم عرضت للقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ فى شأن الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية ثم للقانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٥١ الخاص بالجمعيات ٠

□ **هيئة استوفت عناصرها :**

واستطردت المحكمة فقالت « ومن حيث ان جمعية الاخوان المسلمين قد تكونت فى ظل ذلك الحق الاصيل فى تكوين الجمعيات ، فاكتسبت صفتها ، كما تمتعت بشخصيتها المعنوية منذ تكوينها وفقا للمبادىء المقررة من اسناد هذه الشخصية الى كل هيئة استوفت عناصرها ومقوماتها من ارادة خاصة ونظام تبرز به هذه الارادة ، ومن ذمة مالية مستقلة عن ذمم أعضائها ٠٠ وطبقا لما قضى به القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ فقد سجلت الجمعية أوجه نشاطها الخيرية فى وزارة الشئون الاجتماعية ٠٠ وبذلك تكون قد استوت ـ فى ظل أصول القانون العام ووفق أحكام القانون الخاص ـ خلقا سويا متكاملا » ٠

الاخوان يفتحون مركزهم العام بعد تسلمه

تقدير الممتلكات التى أعادتها الحكومة اليهم بمبلغ (٢٠٠) ألف جنيه

نشرت جريدة « المصرى » فى عددها الصادر يوم ١٧ـ١٢ـ١٩٥١ تحت هذا العنوان ما يلى :

كان اول عمل قام به الاخوان حين فتح المركز العام أن أقاموا به صلاة المغرب ، ثم توجهوا الى قبر الاستاذ الامام رحمه الله ٠

* * *

ثالثا ـ الحكم ببطلان أمر الحل والغائه :

كان أمام مجلس الدولة أربع قضايا كل منها تطلب الحكم بالغاء قرار الحل ٠ وقد ضمت جميعا الى القضية التى رفعها الاستاذ عبد الحكيم عابدين، ونظرت أمام محكمة القضاء الادارى بالمجلس برياسة السيد على السيد بك وكيل المجلس ٠ وكانت آخر جلسة لها استمعت فيها الى المرافعات هى جلسة يوم ٩ـ٤ـ١٩٥٢ ٠

وقد ترافع فيها الاستاذ عبد القادر عودة رحمه الله ، وفى نهاية مرافعته الطويلة الشاملة قال : ان كل ذلك لا علاقة له بسلامة الجيش ٠ وكما قرر رجال الجيش انفسهم أن سلامتهم كانت فى وجود الاخوان ، وأنهم عندما حوصر جزء منهم فى الفالوجا طلبوا عونا من الاخوان٠وكانوا كلما هدد اليهود مواصلات الجيش لجأوا الى الاخوان ليردوا هذا العدوان ، وكلما احتل اليهود موقعا له أهمية استراتيجية طلبوا من الاخوان اجلاءهم عنه ٠

وقال ان هذه القضية ليست قضية الاخوان ، وانما هى قضية الامـة المصرية ٠٠ قضية الامس واليوم والغد ٠٠ وان أمر هذه الامة لن ينصلح الا اذا وضع القضاء حدودا ظاهرة بين حق الحاكمين وحق المحكومين ، والا اذا علم الحاكمون أن وراءهم القضاء يحاسبهم حسـابا عسيرا كلما اعتدوا على حقوق الامة ٠

كلمة للاستاذ عبد الحكيم عابدين أمام المحكمة :

واستأذن الاستاذ عبد الحكيم عابدين المحكمة فى القاء كلمة فى القضية يبين فيها البواعث الحقيقية لصدور أمر الحل فقال :

ان الوزارة المذكورة فى عجزها عن علاج القضية الوطنية ، وفى تهاونها أمام طغيان الحاكم العام فى السودان ، وفى صبرها على صفعات اليهـود بفلسطين ، وفى تعلقها آخـر الامر بكراسى الحـكم ٠٠٠ لم تجـد معسكرا لصفوها ، ولا مظهرا للامة على حقيقة مخازيها ، الا جماعة الاخوان المسلمين ٠ الذين كانوا ضوء المصباح يكشف للامة عن حقيقة الحكام الهازلين ٠

فلا عجب ـ منطقها الشيطانى السقيم ـ ان تقدم على اطفاء هذا المصباح ليسود الظلام الذى يحجب الانظار عن مخازيها ٠٠ لا عجب فى ذلك ، وانمـا العجب أن تعمد الحكومة الى محو العار بالعار ، وستر الجريمـة بالجريمـة ٠ ومحاولة محو الوزر بوزر مثله ٠

وختم كلمته بقوله : الا ترى أخيرا أن قرار الحل المطلوب منكم الغاؤه وأ بطل آثاره لم يكن أبدا فى خدمة مصر ، ولا برا بالعروبة ، ولا وفاء للاسلام

وانما كان خدمة جلى للسياسة البريطانية التى أماتت الوعى فى مصر ، وقطعت أشواطا فى جلنزة السودان ، ونجحت فى اسكات صوت الحق والقوة والحرية ولو الى حين .

وبعد انهاء كلمة الاستاذ عبد الحكيم عابدين قررت ضم الدعاوى الاخرى وقررت اصدار الحكم بعد سبعة أسابيع .

● حكم مجلس الدولة فى القضية :

فى ٣٠-٦-١٩٥٢ أصدرت الدائرة الثانية لمحكمة القضاء الادارى برياسة السيد على السيد بك وكيل مجلس الدولة حكمها فى الدعوى المرفوعة من الاستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام للاخوان المسلمين . ويقضى الحكم بالآتى :

أولا - برفض الدفع الذى تقدمت به الحكومة بعدم جواز سماع الدعوى .

ثانيا - برفض الدفع بعدم الاختصاص .

ثالثا - برفض الدفع بعدم القبول الذى قدمته الحكومة على أساس أن الاخوان المسلمين لا وجود لها .

وحكمت المحكمة فى الموضوع بالغاء الامر العسكرى رقم ٦٣ بحل جمعية الاخوان المسلمين فيما تضمنه من أحكام ترمى الى القضاء على ذات الجمعية وانهاء حياتها القانونية وتصفية الاموال المكونة لذمتها المالية ، وكذلك جميع الآثار المترتبة على أمر الحل .

حيثيات حكم مجلس الدولة
بالغاء الامر العسكرى بحل الاخوان المسلمين وببطلانه

فى ٤-٧-١٩٥٢ نشرت حيثيات هذا الحكم ، والى القارىء هذه الحيثيات لما لها من بالغ الاهمية :

□ **دفوع الحكومة ورد المجلس عليها :**

كانت الحكومة قد دفعت عند نظر الدعوى بدفعين :

أولهما عدم الاختصاص ، والثانى عدم القبول تأسيسا على أن جمعية الاخوان لا وجود لها قانونا ... وعادت عندما صدر المرسوم رقم ٦٤ لسنة ١٩٥٢ بمنع سماع الدعاوى والطعون الموجهة الى تصرفات السلطة القائمة على اجراء الاحكام العرفية ، فدفعت بعدم جواز سماع الدعوى ، مما أدى الى

تاجيل الحكم فى الدعوى حتى يوم ٣٠ يونيه الماضى لاستظهار اثر ذلك المرسوم فى الدعوى القائمة ٠

● **الدفع بعدم جواز سماع الدعوى :**

وقد رفضت المحكمة هذا الدفع استنادا الى حكمها فى قضية الاستاذ أحمد حسين ، وقد نشرت حيثيات ذلك الدفع ، كما أن ذلك الدفع رفض فى دعوى أخرى هامة صدر فيها أخيرا حكم تاريخى خالد ٠ وانتهى مجلس الدولة من مناقشة ذلك الدفع والمرسوم الذى تستند اليه الحكومة بأن المرسوم نفسه باطل من جميع النواحى ويقتضى عدم الاخذ به ٠ وقال مجلس الدولة انه لو كان فى معرض دعوى خاصة مباشرة بذلك المرسوم لقضينا بالغائه ٠٠ ويفهم من ذلك أن مجلس الدولة قد حكم ضمنا بالغاء المرسوم المشار اليه ٠

● **الدفع بعدم الاختصاص :**

بنت الحكومة هذا الدفع ـ الدفع بعدم الاختصاص ـ على أن النظام العرفى فى مصر نظام عسكرى وليس نظاما اداريا أو سياسيا ، استحدثته مصر من واقع ما حدث فى الحرب العظمى الاولى ومن قواعد القانون الدولى العام ، وشأنه شأن القيود العسكرية التى تفرضها الدول المحاربة على البلاد التى تحتلها جيوشها ٠٠ وأن المشرع المصرى اقتبس النظام العرفى القائم من نظام الاحكام العرفية العسكرية التى أعلنتها انجلترا فى مصر وقت اعلان الحماية ، وأن هذه الطبيعة العسكرية للنظام تجعله أبعد ما يكون عن ولاية القضاء ٠

وقالت الحكومة ان المشرع المصرى درج على أن يقرن رفع الاحكام العرفية بنظام يحميها عن طريق سن قانون للتضمينات ، وبذلك تمتنع مساءلة الحكومة خلال فترة قيام الحكم العرفى بمقتضى طبيعة هذا النظام . كما تمتنع مساءلتها بعد انتهائه بمقتضى قانون التضمينات ٠

وقالت الحكومة أيضا ان الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان من التدابير العليا للامن الداخلى فيخرج بوضعه من أعمال السيادة عن اختصاص المحكمة ٠

● **رد مفحم من مجلس الدولة على هذا الدفع :**

أما مجلس الدولة فقد رد على ذلك بأن نظام الاحكام العرفية فى مصر هو نظام يستمد أساسه وأصوله وأحكامه من الدستور ومن قانون الاحكام العرفية

والقوانين المكملة له ٠٠ فتنص المادة (٤٥) من الدستور على ان « الملك يعلن الاحكام العرفية ، ويجب أن يعرض اعلانها على البرلمان فورا ليقرر استمرارها أو الغاءها ، فاذا وقع ذلك الاعلان فى غير دور انعقاد وجبت دعوة البرلمان للاجتماع على وجه السرعة » ٠

وتنص المادة (١٥٥) من الدستور على أنه « لا يجوز بأية حال تعطيل حكم من أحكام هذا الدستور الا أن يكون ذلك وقتيا فى زمن الحرب او أثناء قيام الاحكام العرفية وعلى الوجه المبين فى القانون ٠ وعلى أى حال لا يجوز تعطيل انعقاد البرلمان متى توافرت فى انعقاده الشروط المقررة بهذا الدستور » ٠

وينظم قانون الاحكام العرفية هذا النظام العرفى تنظيما شاملا ، فبين على وجه الحصر الحالات التى يجوز فيها اعلان الاحكام العرفية ، وكيف يكون اعلان هذه الاحكام ، وكيف يكون رفعها ، وما هى السلطات الاستثنائية التى تخول للقائم على اجرائها ٠ ويعدد القانون هذه السلطات الاستثنائية على سبيل التحديد والحصر ، ثم يجيز تضييقها او توسيعها بقرار من مجلس الوزراء اذا دعت الحاجة الى ذلك ، بقدر هذه الحاجة ، على أن تبقى دائرة هذه السلطات الاستثنائية دائما فى نطاق محدود هوما يقتضيه صون الامن والنظام العام من تدابير واجراءات وما دعت اليه الضرورة من اعلان الاحكام العرفية ٠

● لماذا يجب أن تكون اجراءات الحاكم العسكرى خاضعة لرقابة القضاء ؟

وقال مجلس الدولة انه يتبين من ذلك ان نظام الاحكام العرفية فى مصر وان كان نظاما استثنائيا الا انه ليس بالنظام المطلق ، بل هو نظام خاضع للقانون ، وضع الدستور أساسه ، وبين القانون أصوله وأحكامه ، ورسم حدوده وضوابطه ٠٠ فوجب أن يكون اجراؤه على مقتضى هذه الاصول والاحكام ، وفى نطاق هذه الحدود والضوابط ، والا كان ما يتخذ من التدابير والاجراءات مجاوزا لهذا الحد أو منحرفا عنه ـ مخالفا للقانون ـ تنبسط عليه رقابة المحكمة ٠٠

وكل نظام للحكم أرسى الدستور أساسه ، ووضع القانون قواعده ، هو نظام يخضع بطبيعته ـ مهما يكن نظاما استثنائيا ـ لمبدا سيادة القانون ، ومن ثم لرقابة القضاء ٠

وأضافت حيثيات الحكم تقول : انه مهما كان المصدر التاريخى الذى استقى منه المشرع هذا النظام ، فليس من شك فى أن الاختصاصات المخولة للسلطة القائمة على اجراء الاحكام العرفية مصدرها الرسمى هو القانون

الذى تولى تحديد نطاقها ، فلا يجوز بحال أن تخرج عن حدود هذا النطاق ٠٠ واذا كانت اختصاصات القائم على اجراء هذه الاحكام فى مصر بالغة السعة ، فان ذلك أدعى أن تنبسط عليها الرقابة القضائية ، حتى لا يتحول نظام ـ هو فى حقيقته ومرماه ـ نظام دستورى يقيده القـانون الى نظام مطلـق لا عاصم منه ، وليست له حدود ٠٠ اذ رقابة القضاء هى دون غيرها الرقابة الفعالة التى تكفل للناس حقوقهم الطبيعية وحرياتهم العامة ٠ ويؤكد ذلك ما درجت عليه الحـكومات من سن قانون التضمينات عنـد رفـع الاحـكام العرفيـة لدفـع المسئولية من جراء التدابير التى اتخذت تنفيذا لهذه الاحكام ٠ وفى سن هذا القانون اقرار واضح بمبدأ المسئولية الذى لم يسن القانون الا لدفعه ٠

وانتهت المحكمة من مناقشة ذلك الدفع الى الحكم برفضه ٠

● الدفع بعدم القبول :

أسست الحكومة هذا الدفع على أن جماعة الاخوان المسلمين لا وجـود لها قانونا ، وبنت الدفع على وجهين :

الاول : أن الجماعة لم تكتسب الشخصية المعنوية أصـلا لان القانون المدنى الجديد بين فى المادة (٥٢) منه **الاشخاص المعنوية على سبيل** الحصر وان الهيئة المذكورة لا تدخل بما لها من أغرض سياسية واجتماعية ودينية فى أى نوع منها ولا تتسق معه ٠

والثانى : أن القرار المطعون فيه قد قضى عليها قضاء مبرما ، فلم يعد لها من بعده أى وجوده ٠

● رد مجلس الدولة على هذا الدفع :

وقد رد مجلس الدولة على ذلك بأن حق تكوين الجمعيات للمصريين حق مقرر أصيل كان قائما قبل الدستور الذى جاء فأقره وأكد قيامه ، وان عهد الى القانون بتنظيم استعماله ٠ ومؤدى ذلك أن للمصريين حق تكوين الجمعيات بلا حاجة الى قانون يستمد منه هذا الحق ، لهم أن يستعملوه فى حدود القانون وما لم يرد قيد على هذا الاستعمال فهو يجرى على اطلاقه ٠

وقالت الحيثيات : ان جمعية الاخوان تكونت فى ظل هذا الحق الاصيل، فاكتسبت الشخصية المعنوية وفق المبادىء المسلمة من اسناد هذه الشخصية لكل جمعية استوفت مقومات هذه الشخصية ، من ذمة مالية مستقلة عن ذمم أعضائها ، ومن قيام هيئة منظمة تعبر عن ارادتها ٠

واستمرت الحيثيات تقـول : انه لا اعتـداء بما تنعاه الحـكومة على

اغراض الجمعية لتدفع به اكتسابها الشخصية المعنوية ، فهى تأخذ عليها انها جمعية سياسية ، وهذا لا يحول دون اكتسابها الشخصية المعنوية • وقد أقر القضاء المصرى للهيئات السياسية بالشخصية المعنوية • هذا فضلا عن أن المصريين يمارسون حقوقهم السياسية التى خولها لهم الدستور فى حدود القوانين • وحسبنا ان نذكر انهم يشتركون بما لهم من تشكيلات سياسية فى حكم البلاد ، وفى توجيه سياستها عن طريق الاشتراك فى الانتخابات العامة فى البرلمان •

كما تأخذ الحكومة على جمعية الاخوان أنها هيئة حيرية اجتماعية الى جانب اغراضها السياسية • وهذا بدوره لا يمنع اكتسابها الشخصية المعنوية،فقد اعترف القضاء المصرى للهيئات الخيرية والاجتماعية بالشخصية المعنوية • ثم ان الحكومة اعترفت بها بصفاتها تلك فرخصت لها باصدار صحيفة تكون لسان حالها ، واقرت نشاطها من شتى وجوهه واغراضه ، بل منحتها بعض الاعانات المالية فى سبيل تحقيق هذه الاغراض الخيرية •

وبالنسبة للوجه الثانى اذ قالت الحكومة ان الامر رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ قضى على الجمعية ولم يعد لها وجود قانونى ، فقد قالت الحيثيات :

ان الحاكم العسكرى اذا كان يملك بمقتضى قانون الاحكام العرفية تعطيل نشاط الجمعيات تعطيلا مؤقتا بمنع اجتماعاتها ، فهو لا يملك القضاء عليها قضاء مبرما ، بل تبقى قائمة قانونا وان تعطل نشاطها •

وانتهت المحكمة من مناقشة هذا الدفع الى القول بأنه قائم على غير أساس سليم فى القانون وحكمت برفضه •

موضوع الدعوى : الامر العسكرى رقم ٦٣

● المجلس يستعرض حجج الدفاع :

وانتقلت حيثيات الحكم بعد ذلك الى موضوع الدعى بعد أن رفضت كافة الدفوع التى تقدمت بها الحكومة ، فبدأت بسرد لدفاع الاستاذين محمد طاهر الخشاب وعبد القادر عوده المحاميين وقد جاء فيه : انها هيئة اسلامية جامعة تعمل لتحقيق الاغراض التى جاء من أجلها الاسلام ، وسردا هذه الاغراض ثم الوسائل لتنفيذها ثم الادوار التى قام بها الاخوان الى أن قالا :

« ولما نشبت الحرب الفلسطينية جندت الجمعية من شبابها جيشا خاض غمارها ، وكان مثار الاعجاب لما أبدوه من ضروب البسالة • ولكن الحكومة (السعدية) ـ ازاء حوادث فردية وقعت من بين المنتمين اليها اندفعوا تحت تأثير حماسة جامحة ، فالتوى عليهم القصد ـ حملت الهيئة

بأجمعها وزر هذه الحوادث ، وألقت عليها اثمها ، فاصدر الحاكم العسكرى (دولة محمود فهمى النقراشى باشا) الامر المطعون فيه ٠

وكان مما قاله الدفاع أيضا : ان دسائس الانجليز والصهيونيين وغيرهم ، الذين ظلوا يرمون الجمعية بالتهم الباطلة ، قد أفلحت فى تأليب الحكومة ضد الهيئة ، فحالت الرقابة دون تمكينها من الرد على ما يكال لها من التهم ، بل صدر أمر الرقيب العام بتعطيل جريدة الاخوان الى أجل غير مسمى ، ثم حشدت المعتقلات بالكثيرين من أعضائها بغير ذنب وبدون مبرز ثم صدرت الاوامر المطعون فيها بحل الجمعية وتصفية ممتلكاتها ومصادرة أموالها وتجميد أموال الاعضاء ، مع مخالفة ذلك للقانون ، اذ هى تخرج عن النطاق الذى فرضت من أجله الاحكام العرفية فى ذلك الوقت وهو تأمين سلامة الجيوش المحاربة فى فلسطين ، كما أنها تخرج عن نطاق التدابير التى تدخل فى اختصاص الحاكم العسكرى ٠

● **المحكمة تناقش مذكرة الامن العام للنقراشى :**

وقد ناقشت المحكمة المذكرة التى رفعتها ادارة الامن العام الى النقراشى باشا رئيس الوزراء وقتئذ ووزير الداخلية والقائم على اجراء الاحكام العرفية ثم قالت :

انه ولئن كان ما جاء فى هذه المذكرة أن الجماعة أعلنت فى أول الامر على الملأ أن لها أهدافا دينية واجتماعية دون أن تحدد لها هدفا سياسيا معينا ترمى اليه ، ولكنها ما كادت تجد لها أنصارا حتى أسفر القائمون عليها عن أغراضهم الحقيقية وهى أغراض سياسية ترمى الى الوصول الى الحكم وقلب النظم المقررة فى البلاد بوسائل العنف ٠٠٠

وهذا يخالف الواقع لان الجمعية حددت أغراضها فى المادة الثانية من قانون نظامها الاساسى ومنها أغراض سياسية الى جانب أغراضها الدينية والاجتماعية والرياضية والاقتصادية ٠٠ وهذه الاغراض السياسية هى : تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الاسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى ، ومساعدة الاقليات الاسلامية فى كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية ، والسير الى الجامعة الاسلامية وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الاسلام وتعاليمه عمليا ٠

● **المحكمة تستأنس بحيثيات حكم قضية السيارة الجيب :**

ثم قالت المحكمة : انه مما يخالف الواقع ذلك الذى رمت به الحكومة

تلك الجمعيةُ من أنها كانت ترمى الى قلب نظام الحكم بوسائل العنف . ولا أدل على ذلك مما ورد فى حكم محكمة الجنايات فى قضية السيارة الجيب . اذ بعد أن ذكرت المحكمة أن النيابة العامة قصدت الى تصوير الجماعة باسرها على أنها رمت لقلب نظام الحكم وأن أقوال المرشد العام (الشيخ البنا) كانت تحمل معانى التحريض السافر على القيام بهذه الجريمة ، وأن المتهمين وزملاءهم فهموا من كلام المرشد أنه يرمى الى ذلك ، وأن الغرض النهائى هو اقامة جمهورية على رأسها المرشد العام ... استعرضت نشأة الجماعة وأغراضها ووسائلها ورسائلها وتطورها ثم قالت : ان الاتهام لا يتفق مع الحقيقة المعروفة من أن الاسلام دين ودولة ، وقد سبق للمرشد العام أن تحدث فى هذا الصدد .

وقالت المحكمة انه ظهر جليا من أقوال المرشد العام أن الجماعة لا تناهض نظام الحكم القائم فى مصر بل تراه متفقا مع النظم الاسلامية . وأنها كانت تهدف الى تحقيق نظام شامل للنهضة والاصلاح وفقا لاحكام الدين الاسلامى وبالطرق الدستورية المعروفة .

ثم دحضت المحكمة ما عزى الى الجمعية من أنها وقد سعت الى قلب نظام الحكم أعدت لذلك جماعة ارهابية دربت وأعدت وسميت بالنظام الخاص وقالت المحكمة ان الاتهام على هذه الصورة خلط بين أمرين :

الاول - التدريب على استعمال الاسلحة وحرب العصابات .

الثانى - ذلك الاتجاه الارهابى الذى انزلق اليه بعض المتطرفين من أفراد تلك الجماعة .

وكان نتيجة الخلط الاتهام بان نظام الجماعة بجملته نظام ارهابى .

وقالت المحكمة بوجوب التفريق بين الامرين ، لان النظام الخاص يرمى الى اعداد فريق كبير من الشباب اعدادا عسكريا تطبيقا لما دعا اليه مؤسس الجماعة من أن الامر أصبح جدا لا هزلا ، وأن الخطب ما عادت تجدى ، وانه لابد من الجمع بين الايمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل وان حركة الاخوان تمر بثلاث مراحل :

الاولى - مرحلة التعريف بنشر الفكرة .

والثانية - التكوين وهى استخلاص العناصر الصالحة لحمل اعباء الجهاد المدنى من الناحية الروحية والعسكرى من الناحية العملية . وصفات هاتين الناحيتين دائما أمر وطاعة من غير بحث ولا مراجعة .

والثالثة ـ مرحلة الاعداد ٠

واستطردت المحكمة تقول : انه مما يدل على أن النية لدى أفراد النظام الخاص كانت متجهة الى مقاومة جيش الاحتلال ، تلك الاوراق التى ضبطت فى السيارة الجيب وهى تحض على أعمال الفدائيين ، وأن الصداقة البريطانية المصرية مهزلة ، وأن الانجليز يظنون شعوب الشرق الاوسط مسالة سانجة ، ثم تحدثت عن التدريب على استعمال زجاجة مولوتوف وعرقلة المواصلات وتعطيل وسائل النقل الميكانيكى والقوات المدرعة ٠ وانتهى كاتب هذه الاوراق الى القول صراحة بأنهم يقاومون العدو الغاصب ٠

وقالت المحكمة ان أثر ذلك التدريب الروحى والعسكرى ظهر عندما قامت مشكلة فلسطين وأرسلت الجماعة الكثيرين من متطوعيها للقتال ٠

وبعد استشهاد مجلس الدولة بهذه الفقرات من حيثيات الحكم التى اصدرتها محكمة الجنايات فى قضية السيارة الجيب ، خلصت من ذلك ومن مناقشة مذكرة الامن العام الى القول بأن ما نسبته هذه المذكرة الى جماعة الاخوان مخالف للحقيقة والواقع ٠

● **مناقشة أمر الحل نفسه والحكم بأنه على غير أساس من القانون :**

وانتقلت محكمة القضاء الادارى بعد ذلك الى مناقشة امر الحل نفسه فقالت : انه استند فى ديباجته الى البند الثامن من المادة الثالثة من القانون رقم (١٥) لسنة ١٩٢٣ الخاص بنظام الاحكام العرفية ٠ وهذا النص يخول للحاكم العسكرى « منع أى اجتماع عام وحله بالقوة ـ وكذلك منع أى ناد أو جمعية أو اجتماع وحله بالقوة » ٠

وقالت المحكمة انه ليس من شك فى أن المقصود من هذا النص هو تخويل الحاكم العسكرى فى سبيل صون الامن وحفظ النظام الاشراف والهيمنة على الاجتماعات لما قد تؤدى اليه من اخلال بالامن والنظام وحفظ ذلك هو الغاية التى من أجلها وسدت اليه السلطة بموجب قانون الاحكام العرفية لمنع الاجتماع قبل عقده كاجراء وقائى ، وله حل الاجتماع وفضه بالقوة بعد عقده كاجراء علاجى ٠

واضافت المحكمة قائلة : ان المقصود باجتماع أو ناد او جمعية هو تواجد لفيف من الناس فى مكان معين قد يخل تواجدهم فيه بالامن والنظام ٠ ولذلك خول القانون للحاكم العسكرى منع هذا التواجد ثم حله اذا تم أى تفريقه بالقوة ٠

وقالت المحكمة : انه على ذلك تكون سلطة الحاكم العسكرى فى حل الجمعية لا تشمل القضاء على شخصيتها المعنوية واعدام حياتها القانونية وتصفية أموالها التى تتكون منها ذمتها المالية ·· وآية ذلك أن المشرع قرر الحل باستخدام القوة وهى بطبيعتها لا تتوجه الا الى الاجتماع الذى هو مظهر مادى لا الى الشخصية المعنوية التى هى وضع أو تكييف قانونى معنوى ·

وانتهت المحكمة من ذلك الى القول بأنه لكل هذه الاسباب يكون الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ القاضى بحل جمعية الاخوان المسلمين على غير أساس سليم من القانون ويتعين الغاؤه ·

الفصـــل الثالث

تعقيب وتحليل لهذه الأحكام الخالدة

أولا ـ أنشئت هذه القضايا وركبت ورتبت بحيث طمست فيها جميع المعالم التى يمكن الاهتداء بها الى الحق ، وأنشئت فيها معالم أخرى تهدى الى طريق محدد مرسوم فى نهايته نهاية هذه الدعـوة واعـدامها وتـلاشيها لا من الوجود القانونى فحسب بل أيضا من نفوس الناس ٠

ثانيا ـ وتوضيحا لذلك نقول : ان الذين تعاونوا وتآمروا على خلـق هذه القضايا ، وارساء أسسها ، واقامة بنيانها ، ثم طلائها ، وفتـح المنفـذ الوحيد بها ٠ هم دولة كاملة بقضها وقضيضها ، منحت نفسها جميع القدرات والامكانات فى الوقت الذى حرمت فيه غيرها من كل وسائل الدفاع عن النفس، فكان رئيس الوزراء ووزراء الداخلية يخططون على هوى الجالس على العرش ومن وراءه من المستعمرين ٠ وأجهزة الامن مع أجهزة التحقيق تتعاون معا فى التنفيذ ٠٠ وحسبك أن تعلم أن رئيس جهاز التحقيق فى الدولة كان احـدى الادوات المسخرة لهذا التنفيذ ، فلم يعد القارىء يجهل محمود منصور باشا النائب العام الذى كان يشرف بنفسه على التحقيقات فى هذه القضايا ، ويختار لها المحققين الذين يانس فيهم لين الضمير ، ويستبعد عنها من يبلغه عنه أن عنده اثارة من ميـل الى العـدالة ٠٠ فـكان رئيس النيابة الاسـتاذ محمود اسماعيل هو الذى تولى التحقيق فى قضية الاوكار فانتزعها منه النائب العام وأسند التحقيق فيها الى اسماعيل عوض الذى كان متهتكا فى ارضاء الحكومة٠

ثم ان ضباط القسم السياسى لم يكونوا يكتفون بالوان التعذيب التى كانوا يسومونها المتهمين لانتزاع اعترافات محددة منهم ، بل كانوا أيضـا يحضرون التحقيقات ٠ وقد منحهم النائب العام حق انتزاع التحقيق من يد محقق الى محقق آخر ٠

ثالثا ـ كان المفروض أن يكون عرض هذه القضايا على القضاء لاصدار الحكم فيها هو الحلقة الاخيرة فى سلسلة المؤامرات ضـد دعـوة الاخـوان المسلمين ٠ ولـما كانت الحلقة الاخيرة فى السلسـلة هى الحلقة التى يكتمـل بها ارتباطها بعضها ببعض لانها هى التى تضم طرفى السلسلة وتغلق الدائرة، وبدونها تفقد السلسلة ارتباطها وتتعرض بقية حلقاتها للتشتت والتناثر ٠

فقد بذل المتآمرون اقصى جهدهم لاحكام هذه الحلقة وتامينها ، اذ كانت كل حلقات المؤامرة خادمة لهذه الحلقة وتحضيرا لها وتمهيدا . ذلك أن كل ما تم اتخاذه من اجراءات ضد الاخوان من حل واعتقال وتشريد واستيلاء وتشويه سمعة واغتيال لا يكون ذا قيمة مالم يؤيد بحكم قضائى تكتسب منه هذه الاجراءات شرعيتها .

رابعا ـ كان احراز المتآمرين النجاح فى احكام هذه الحلقة أمرا مفروغا منه ، لا يساورهم فيه شك ، فالجهود التى بذلت فى تحضير هذه القضايا جعلتها ـ كما قدمنا ـ كالطبخة الناضجة المشهية أمام من أشرف على الموت من الجوع ، ليس أمامه الا التهامها عن آخرها دون أن يسأل عن مكوناتها .

وان هذا الشعور لم يكن شعور المتآمرين وحدهم بل انه كان شعور كل من عايش هذه الفترة العصيبة ، ورأى اكباب كل السلطات فى الدولة على تحضير هذه القضايا ، حتى ان هذا الشعور قد ظهر على لسان أحد هيئات الدفاع فى قضية الاوكار حين أبدى رئيس المحكمة استعداد المحكمة لسماع شهادات فى موضوع التعذيب فقال الاستاذ زكى البهنيهى المحامي : « المتهمون لا يستطيعون أن يقدموا أدلة ، لان التعذيب كان يحصل بين أربعة جدران ، وهم لا يستطيعون أن يستشهدوا باحد خصوصا وأن المحيطين بهم كلهم من رجال البوليس . وكان الاطباء يدعون للكشف عليهم بعد عدة شهور من وقوع التعذيب ، مما يجعل الاطباء يثبتون آثار الاصابات وان كانوا لا يستطيعون الجزم بها » .

خامسا ـ يخطىء من يظن انه بعد سقوط وزارة عبد الهادى قد صار الجو مواتيا للاخوان .. نعم تغيرت الوزارة ، تارة الى وزارة ائتلافية وتارة الى وزارة محايدة وأخيرا الى وزارة وفدية .. ونعم أيضا .. كانت هذه الوزارات على خلاف كبير مع وزارة عبد الهادى ، ولكن هذا الخلاف كان فيما سوى ما يتصل بالاخوان المسلمين ، فلقد كانوا جميعا مختلفين فى كل شىء الا فى عدائهم للاخوان . وقد أفردنا فصلا من قبل لقانون تنظيم الجمعيات حتى لا يداخل القارىء شك فى هذه الحقيقة المؤلمة المزرية .

كان العهد عهد الملك الذى كان يعمل من وراء ستار .. غاية الامر أنه كان كلما علم أن المتفرجين داخلهم الملل غير المنظر ، ولكن الهدف من الرواية التى وضعها لا يتغير مهما تغيرت مناظرها أمام المتفرجين ،.. كان هدف الدولة القضاء على الاخوان المسلمين ، وكان يعرف ذلك الخاصة والعامة .

وكان القطاع الاكبر من العامة فى ذلك العهد مضللا ، فقد سلطت على سمعه وبصره وعقله وقلبه وسائل أعلام ـ كما يقولون تفتن العابد ..

وحسبك أن تعلم أن كتابا كبارا مثل عباس العقاد باعوا ضمائرهم وسخروا أقلامهم للكذب والافك والافتراء ، ورضوا لانفسهم أن يكونوا مطية ذلولا لهذا العهد البغيض .

سادسا ـ القضاة أمام طريق مسدود :

وسط هـذه الظروف كلها ، المواتية كل المواتاة لطرف ، والمنعدمة كل الانعدام الطرف الآخر ... طلب الى القضاء أن يقول كلمته فى هذه القضايا ... والقضاة ـ مهما قيل فيهم ـ بشر كسائر البشر لهم عقول ولهم قلوب ، ولكن لهم أيضا مصالح وآمالا .

ومع ذلك فقد كان لهم غيما بين أيديهم مندوحة .. فلو انهم تناولوا هذه القضايا تناولهم لسائر القضايا التى تعرض عليهم واقتصروا على الاسباب الظاهرة التى لا يطالب القاضى ـ باعتباره بشرا ـ بالنظر الى ما هو أبعد منها ، فحكموا بالحكم الذى تمليه هذه الاسباب فكان الحكم هو ما أراده المتآمرون أو قريبا منه .. لما كانوا فى ذلك ملومين بل كانوا معذورين امام قضايا أحكم اغلاق كل منافذها .. واذن لتفتحت أمام مصالح هؤلاء القضاة وآمالهم ابواب السعادة والرقى ، ولوجدوا احضان الحكومة مفتوحة فى انتظارهم لتبوئهم أعلى مناصبها .

ولكن الذى حدث هو أن هؤلاء القضاة قد حاك فى صدورهم شىء ، حين رأوا بين ايديهم قضايا كل المتهمين فيها معترفون ، وأكثرهم آثار التعذيب بادية على أجسامهم بالرغم من طول المدة منذ انتهاء التحقيق ، فلم تسترح ضمائرهم الى اخذ هذه القضايا مأخذ غيرها من سائر القضايا التى تكفى أسبابها الظاهرة لاصدار حكم فيها يكون عادة أقرب شىء الى الصواب .. فكان قرارهم ان يتأنوا فى نظر هذه القضايا وأن يقلبوها على جميع وجوهها ، وأن يحاولوا بكل الوسائل المتاحة أن ينفذوا الى داخلها .

سابعا ـ براعة المحكمة فى جر عبد الهادى للشهادة :

ولما راى هؤلاء القضاة أنهم عاجزون عن النفوذ الى داخل هذه القضايا الا عن طريق حائكى خيوطها ، وناسجى الجدار الواقى المنيع من حولها . ولما كان من المستحيل استدعاؤهم كمتهمين فى هذه القضايا ، حاولوا استدعاءهم شهودا ... وضربت المحكمة الاولى ـ محكمة سيارة الجيب ـ فى هذه المعركة الضربة الاولى ـ والضربة الاولى نصف المعركة ـ فاقتحمت الى كبيرهم واستدعته شاهدا .. وظهرت مهارة رئيس هذه المحكمة فى تهيئته المناسبة التى تقتضى استدعاء هذا الكبير وتبرر سماع شهادته ، حيث استمعت الى

أقوال المتهم عبد الرحمن عثمان الذى جاء فيها أنه أخذ من سجنه بحجة الذهاب الى محكمة الاستئناف للتحقيق معه ولكنه بدلا من ذلك أخذ من سجنه الى محطة سكة حديد القاهرة حيث قابل ابراهيم عبد الهادى باشا فى صالونه الخاص بالقطار وظل معه حتى وصل الى الاسكندرية ، وروى للمحكمة ما دار بينه وبين الباشا من حديث ٠

فرات المحكمة أن فى أقوال هذا المتهم ما يبرر استدعاء ابراعيم عبد الهادى باشا باعتباره شاهدا للاستفسار منه عن مدى صحة أقوال هذا المتهم ولكنها وبناء عن طلب الدفاع رأت قبل مثوله شاهدا بين يديها ان تستمع الى ثلاثة من المتهمين فى قضية الاوكار وجودة باعتبارهم أيضا شهود نفى فى هذه القضية وهم سعد جبر التميمى ومصطفى كمال عبد المجيد وعبد الـ... ثروت ٠٠ وبعد أن أدى هؤلاء الثلاثة شهادتهم طلبت ابراهيم عبد الهادى باشا فمثل أمامها ٠٠ وكان ذلك كله فى جلسة ١٩ـ١٢ـ١٩٥٠ التى تعد بحق جلسة تاريخية ٠

أتى الباشا للشهادة صاغرا ، وتناوبت عليه المحكمة من جانب والدفاع من جانب آخر ، وأمطروه بالاسئلة ، وطلب المتهم مواجهته بالشاهد وتمت المواجهة ٠

وانتهز الدفاع الفرصة ـ والرجل كان يعلم أنه قد جاء للشهادة فى قضية السيارة الجيب ، وهو يعرف كل شىء عنها ، ويعرف المتهمين فيها فاستعد لكل ذلك ٠٠ ولكن الدفاع فاجأ الباشا من حيث لا يحتسب ، وباغته بأسئلة تتصل بمتهم من خارج القضية هو مصطفى كمال عبد المجيد المتهم فى قضية حامد جودة ، فكانت مفاجأة للباشا جعلته ـ رغم مهارته فى تزوير الحقائق ـ فى أحرج موقف ، حتى كان من اجابته ما أضحك الحاضرين ، وقد اضطرته المفاجأة الى الاعتراف بأمور كانت مفتاح اللغز الغامض للتعذيب ٠

وكانت حركة التفاف بارعة ماهرة ، أن استدعت المحكمة مصطفى كمال عبد المجيد واستمعت اليه شاهدا قبل أن تستمع الى عبد الهادى وفى جلسة واحدة حتى لا يعرف عبد الهادى ما كان من شهادة مصطفى كمال لو أنها كانت فى جلسة سابقة فيستعد الباشا فى شهادته لترتيب معين فى أقواله يتفادى به المآزق التى أوقعته فيها أسئلة الدفاع المفاجئة ٠

وأسفرت هذه المظاهرة المفاجئة لاكبر رأس فى المؤامرة عن شق ثقب فى الجدار المنيع استطاع القضاء أن يكشفوا عن طريقة ما وورى من سوءات المدبرين ٠

ما كان أغنى هؤلاء القضاة عن هذا العناء ؟ وقد كانوا فى حل من اقتحام هذا الطريق الشائك الوعر ، ولكن القلوب المؤمنة ، والضمائر الحية المرهفة ، لا تبالى بالعناء ، ولا تنثنى أمام العقبات ٠٠ حتى تشعر بالرضا عن نفسها ، وحتى تحس فى قرارة ضميرها أنها لم تقصر فى حق وأنها قد أبلت بلاء حسنا ٠

لقد كان مثل هؤلاء القضاة ومثل هذه السلطات المتآمرة فى هذه القضايا كمثل نفر من المشهورين بارتياد الغابات ، دعوا لارتياد غابة كثيفة فى أعماق الغابات ـ وقصد الذين دعوهم من دعوتهم أن يسمع الناس من افواه هؤلاء الخبراء فى ارتياد الغابات ما ينفرهم من هذه الغابة ـ فرأى المرتادون أول ما رأوا فى الغابة كومة ضخمة من العقارب والافاعى والحيات ومختلف الهوام التى تقشعر لرؤيتها الابدان ٠٠٠ فقال الداعون للخبراء : أرأيتم ؟ هيا بنا نرجع أدراجنا قبل أن تفتك بنا وبكم هذه الآفات ٠ ولقد جئنا بكم لتروا بأعينكم أننا على صواب حين حذرنا قومنا من هذه الغابة وقلنا لهم انها غابة الموت والاهوال ٠٠ ألسنا على صواب ؟ ٠٠ هيا أعلنوا ذلك على الملأ ٠

ولكن فريقا من خبراء الغابات المدعوين لم يتسرعوا بالحكم على صواب ما سمعوه ممن دعوهم وقالوا لهم : دعونا نقترب من الكومة ٠٠ نكرر هؤلاء تحذيرهم ، ولكنهم أصروا مجازفين ٠٠ وصاروا يقتربون من الكومة فى حذر خطوة خطوة حتى غافل واحد منهم الداعين وفى قفزة واحدة وصل الى حافة الكومة فرأى كبرى الافاعى رابضة على هذه الحافة تتلوى وتنذرهم بالالتهام ٠٠ وبشجاعة وحذق ضربها على رأسها بعصاه فولت مذعورة وولى خلفها مئات من الافاعى والهوام ٠ فانكشف جزء من المكان الذى كانت تغطيه هذه الافاعى بأجسامها ٠٠ فأخذ هذا الخبير المرتاد ينبش بعصاه فى المكان الذى انكشف وظل يحفر حتى رأى بريقا يأخذ بالابصار منبعثا من موضع نبشه ٠٠ فدعا زملاءه فنبشوا بعصيهم فاذا به كنز مدفون قد حجب عن الناس بهذه الكومة الشاهقة المصطنعة من الآفات والافاعى والهوام ٠

فلما رأى الرواد الخبراء هذا الكنز بأعينهم طلعوا على قومهم أن أبشروا فان غابة الموت والاهوال لم تكن الا خديعة أراد مدبروها أن يحجبوا عن أنظاركم كنزا ثمينا لكم فيه الغناء والرخاء والرفاء ٠٠ حجبوه بهذه الكومة المصطنعة من الهوام التى جمعوها من هنا وهناك ٠

وهكذا لم يكتف فريق الرواد بفضح الخديعة الكبرى التى طلبوا المشاركة فى حبكها على قومهم بل انهم كشفوا فى نفس الوقت لقومهم عن الكنز المدفون تحتها لينتفعوا به ٠

ثامنا ـ خسر الاخوان فى هذه المحنة الكثير الثمين الغالى من الارواح والاجسام والمال والممتلكات . ولكن اذا وضعنا كل هذه الخسائر فى حساب الدعوة الاسلامية فى كفة الميزان لجاء ما اكتسبه الاخوان من أحكام القضاء فى الكفة الاخرى راجحا .

واذا كانت أعظم هذه الخسائر هى بلا شك فقد الاستاذ الامام حسن البنا رحمه الله ، فان فقد القائد فى الدعوة الاسلامية فى معاركها مع الظلمة والمتآمرين أمر متوقع ، سوابقه فى التاريخ الاسلامى معروفة مشهورة فقد فقد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب والحسين بن على وفقد الكثيرون من القادة والائمة فما توقفت الدعوة بفقدهم بل جادت بخلفاء لهم رفعوا اللواء وواصلوا المسيرة .

اذا مات منا سيد قام سيد   قئول لما قال الكرام فعول

وسوف يرى القارىء فى الصفحات التالية ان شاء الله كيف أن الدعوة لم تمت بموت حسن البنا ، بل ان دمه الطاهر قد روى شجرتها فكان أكسير الحياة لها ، بحيث لم تعد قابلة للموت بعد ذلك باذن الله .

خسرت الدعوة ما خسرت فى هذه المحنة ولكنها اكتسبت الخلود بأحكام القضاء ، واذا عبرت بلفظ الخلود فانما قصدت التعبير عن الطور الجديد الذى تمخضت عنه هذه المحنة ، فقد صارت دعوة الاخوان فكرة عالمية ، وأصبحت احدى القوى المؤثرة فى هذا العالم سواء اعترف بها رسميا أم تجاهلها الرسميون .

تاسعا ـ قد يلاحظ القارىء أن حكم المحكمة فى قضية السيارة الجيب تناول بعض المتهمين فيها بعقوبات .. فكيف نشيد بأحكام تضمنت ادانة لبعض المتهمين ؟

وهذه ملاحظة جديرة بأن نعلق عليها فى صدد ما نحن فيه ، ذلك أن القضاة ـ مهما تفاعلوا مع مجتمعهم ، ومهما بلغوا فى تقدير الظروف ، ومهما أيقنوا من شرف الغاية ـ فانهم مقيدون أولا وأخيرا بالاسس التى يقوم عليها النظام العام للدولة .. فقضاة هذه المحكمة كانوا على تفهم تام لظروف القضية وظروف المتهمين فيها ، وكانوا مقدرين كل التقدير هذه الظروف ، وكانوا مقتنعين بشرف غاية المتهمين ، ويتمنى كل قاض منهم أن لو أتيحت الفرصة لنجاح هذه الدعوة فى تحقيق أهدافها لانقاذ البلاد مما ترزح تحته من احتلال أجنبى واستغلال داخلى .. ولكن ـ حتى يزول هذا النظام الذى

تقوم عليه مؤسسات الدولة ــ هم مقيدون بهذا النظام وبالاستناد فى احكامهم الى القوانين التى سنها هذا النظام .

لقد كان المطلوب هو الحكم باعدام هؤلاء المتهمين أو الحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة ... فاذا بالحكم يبرىء أربعة عشر متهما ويحكم على الباقين بأحكام أقصاها ثلاث سنوات .. وما كان لمحكمة مقيدة بنظام الدولة الا أن يكون فى حكمها ادانة ، فكانت الادانة فى أخف صورها ، مشفوعة بما يشبه التماس العذر لمن أدين ، مع الاشادة بنبل غاية الاخوان المسلمين ، وسمو مقاصدهم ، وروائع جهادهم ، والاقرار بسلامة أسلوبهم فى تربية الشباب تربية روحية رياضية عسكرية .

وليس أدل على اقتناع قضاة هذه المحكمة بكل هذا الذى أشرنا اليه مما ضمنوه حيثياتهم ، من أن رئيس هذه المحكمة بعد أن فرغ من هذه القضية ومما كان منوطا به من قضايا أخرى ، قرر اعتزال القضاء ، وتقدم الى الاخوان المسلمين معلنا انضواءه تحت لوائهم .. وكان احد المتطوعين فى هيئة الدفاع عن المطالبين بالحق المدنى فى قضية اغتيال الاستاذ الامام .

عاشرا ــ كان الحكم سيكون أروع لو تم نظر قضية الاوكار :

ومع اقرارنا واقرار كل الاوساط المثقفة لا سيما الاوساط المشتغلة بالقانون بأن حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب هى احدى المعالم البارزة فى تاريخ القضاء المصرى ، والتى نطق كبار رجال القانون فى مصر حين اطلعوا عليها تعبيرا عن بالغ اعجابهم فقالوا : « ان فى مصر قضاة » ــ مع اقرارنا بذلك وبان الضربة الاولى نصف المعركة ، وبان هذه الاحكام وما تبعها من حيثيات كانت مفاجأة مذهلة للجميع ، فقد اذهلت السلطات القائمة لانها نسفت كل ما خططوا وارسوا بناءه فى سنين ، وأذهلت الشعب نفسه لانه لم يكن يتصور ان فى أبنائه ــ بعد ــ من تصل به الجراة الى هذا الحد من مناطحة أكبر رءوس الدولة بمثل هذه الشجاعة المنقطعة النظير .

مع اقرارنا بذلك كله نقول : لو أن الظروف أتاحت لقضية حامد جودة والاوكار أن يستمر نظرها دون العوائق التى عوقتها ، لسمعنا ورأينا العجب العجاب فى احكامها وحيثياتها .. ذلك أن هذه القضية ــ وقد جاءت بعد قضية سيارة الجيب ــ لم يدخل القضاة فيها على طريق مسدود ــ كما كان الشأن فى قضية الجيب ، بل وجد القضاة امامهم بعض منافذ أنشأتها المحكمة السابقة . وقد استطاع الدفاع بمهارته ان يوسع من هذه المنافذ شيئا فشيئا

حتى صارت طرقا سلكها القضاة فكشفوا فيها عن مواقع لم يكن المتآمرون يعتقدون أنها تكشف فى يوم من الايام ٠

ففى هذه القضية - الاوكار وجودة - كشف عن شخصية العسكرى الاسود » الذى كان الفضل فى كشفه لجريدة « الجمهور المصرى » والى الصحفيين المحررين بها سعد زغلول والبعثى ٠ وقد رأينا البوليس السياسى - حين علم بعثور المحكمة على هذا العسكرى - قد شمر عن ساقه ووضع خطة للالتقاء به قبل أن يمثل أمام المحكمة ٠ ووصل اهتمام البوليس السياسى بهذا اللقاء الى حد تطويقه الصحفى سعد زغلول فى منزل أحد أصدقائه ومنعه من الخروج حتى لا يمثل أمام المحكمة شاهدا ٠٠ ولم يكن اهتمام البوليس السياسى هذا الاهتمام البالغ الا دفاعا عن أنفسهم لانهم أيقنوا أن هذا العسكرى اذا صرح أمام المحكمة بالحقائق فانهم سيوضعون جميعا فى قفص الاتهام ٠

وفى هذه القضية شهود التعذيب ، شهود عيان كالشاهد الذى كان جارا لقسم مصر القديمة والذى وصف ما رآه بعينيه وبمنظاره المقرب وما سمعه بأذنيه من تعذيب ظل طول الليل داخل هذا القسم للمتهم مصطفى كمال عبد المجيد ، وكالشهود الذين كانوا ضباطا بالقسم السياسى ثم تركوه ٠

ولكن الحدث الجلل ، والمفاجأة المذهلة ، والطامة الكبرى على المتآمرين هى شهادة اثنين من رجال القضاء والنيابة ممن باشروا التحقيق فترة فى هذه القضية ، أحدهما من رجال النيابة والآخر قاض ٠٠ وناهيك بشهادة رجال القضاء ، ان كلمة واحدة منها ترجح فى ميزان العدالة عشرات الشهادات ٠

ومما يؤسف له أن الاخوة المتهمين فى هذه القضية قد صدر قرار بالافراج عنهم أو العفو عنهم على الاصح فى سنة ١٩٥٤ - وكم كنا نود لو أن محكمة الجنايات التى كانت تحاكمهم فى سنة ١٩٥١ أصدرت أحكامها قبل قيام الثورة فى سنة ١٩٥٢ ونشرت حيثيات هذه الاحكام ، اذن لسجلت لدعوة الاخوان المسلمين مجدا أروع مما سجلته لها محكمة سيارة الجيب ، ولسجلت على الطرف الآخر المتآمر خزيا وعارا - لا مجملا كما جاء فى أحكام قضية الجيب وحيثياتها - بل مفصلا تفصيلا ، لان هذه المحكمة قد كشفت من مخازيهم ما يزكم الانوف ٠ ويجرح الصدور ، وتتقزز منه النفوس ٠

☐ مجلس الدولة اعتمد فى أحكامه على حيثيات قضية الجيب :

وان كنا لا ننكر ان للمحكمة الاولى الفضل فى أنها هتكت أول حجاب تنكرى كان المتآمرون يظهرون به أمام الشعب ليخدعوه ، وكانت حيثياتها

ممـا اعتمـدت عليه حيثيات محـكمة مجلس الدولة فى حـكمها ببطلان الامـر العسكرى بحل الاخوان والغائه •

أما حيثيات مجلس الدولة نفسها فانها قواعد قانونية حـددت لسـلطة الحاكم نطاقا لا تتعداه ، وقررت لحرية الشـعب فى تكوين الجمعيات المـدى الذى لا يطمع عشاق الحرية فيما هو أبعد منه •

وقد رأينا أن نثبت نصـوصا كاملة من هـذه الحيثيات حتى يستنير القارىء بقراءتها فيعرف حقوقه المخولة له بنصوص الدسـتور فيحـرص على السهر عليها ، والمطالبة بها ، والذود عنها ، بهذه الحجج القاطعة الدامغة التى قررتها أعظم هيئة للقانون الادارى فى الدولة •

ولقد كان الاخوان يطمعون فى أن يستردوا مركزهم العام وممتلكاتهم وأن يباشروا عملهم الرسمى لدعوتهم بقرار تصدره الحكومة ، ولكن شـاءت أراد الله ــ وهو الذى يختار لدعوته ــ أن يختار لهم الموقف الاكرم ، والرجوع الأشرف ، عن طريق حكم القضاء حتى لا يتحملوا بجميل لاحد سوى القضاء الذى هو ملجأ كل مظلوم •



وبعد •• فها نحن الآن نؤرخ لفترة مضى عليها أكثر من ربـع قـرن • تطورت فيها الامور ، وتغيرت خلالها الاحوال ــ كدأب الايام وطبيعة الزمن ــ انقضى فى أثنـائها ما انقضى ، ومضى فى خلالها من مضى فصار بين يدى الله « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » •

فمن الذى ربح من الرجال الذين مروا بهذه التجربة القاسية ممن وضع الله فى أيديهم مصائر الناس ومن الذى خسر ؟.•• هـل ربـح الذين التحقوا بركب الطغاة أملا فيما عندهم من ألقاب ومناصب ، فرحوا بها حينا من الزمن ثم تركوها مخلفين وراءهم عارا لا يذكرهم مواطنوهم الا به ، وسـجلوا على أنفسهم فى صفحات التاريخ خزيا لا يمحى ؟ ثم أفضوا الى ربهم الذى لا يضل ولا ينسى •

أم هؤلاء الذين كان من قدرهم أن يعتلوا منصة القضـاء فى تلك الفترة العصيبة ، وزين لهم الشيطان ــ كما يزين لـكافة الناس ــ ما ينتظـرهم من من متع الحياة ومباهجها ، والحظوة لدى أصحاب السلطان، فهموا بالتعلق بها ــ كدأب سائر البشر ــ لولا أن رأوا برهان ربهم فتذكروا أنهم بين يدى امتحان رهيب : متع زائلة يعقبها ذكـر سىء وبىء فى الدنيا وعـذاب أليم فى الآخرة ، واعراض عن هذه المتع يعقبه ذكر عطر فى الدنيا ونـعيم مقيم فى الآخرة

فآثروا الآخرة على الدنيا .. فلم يخسروا شيئا وكسبوا الدنيا والآخرة . وخسر هنا لك المبطلون . « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما . وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

الا رحم الله رجالا تبوأوا منصب القضاء فعلموا أنهم خلفاء الله فى الارض ، كلمتهم فاصلة فى المال والاعراض والدماء .. فلم يستوحوا الا ضمائرهم ، ولم يستلهموا الا ربهم ، ولم تفتنهم عن كلمة الحق رغبة ولا رهبة ، فقالوها مدوية رائعة .. تاركين لانفسهم ولامتهم ذكرا فى الخالدين « فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

ختام الباب

وقد يجمل بنا بعد ذلك ، وفى ختام هذا الباب المتضوع بأريج نزاهة القضاء المصرى أن ننقل للقراء تحقيقا صحفيا أجرته صحيفة أخبار اليوم فى ١٢-٧-١٩٥٢ مع رئيس المحكمة التى أصدرت حكمها فى قضية السيارة الجيب . وها كم نص هذا التحقيق الذى نشرته الجريدة تحت هذا العنوان .

المستشار الذى حاكم الاخوان المسلمين

أصبح واحدا منهم

الاسكندرية - مكتب « أخبار اليوم »

بدأ الاخوان المسلمون فى تعديل لائحة الجماعة ، وذلك على أثر صدور حكم مجلس الدولة ببطلان الامر العسكرى الصادر بحل الاخوان .

وقرر مكتب الارشاد العام اتخاذ الاسكندرية حقلا لاول تجارب اجتماعية من نوعها تقوم بها الجماعة . حتى اذا ما نجحت التجربة عممت هذه المشروعات فى جميع بلاد القطر .

وقد اختيرت الاسكندرية بالذات لاجراء هذه التجارب الجديدة بعد أن انضم الى الجماعة سعادة احمد كامل بك الرئيس السابق لمحكمة جنايات مصر ، الذى أصدر حكمه فى قضية سيارة الجيب . وقد اختير سعادته رئيسا للجنة الاستشارية للاخوان فى العاصمة الثانية ، ليبحث وينظم هذه التجارب على ضوء دراساته وتجاربه الماضية .

وسيشرف سعادته على تنفيذ هذه المشروعات التى وضعت لصالح الجماعة وهى :

١ - الضمان الاجتماعى ٠
٢ - التأمين الصحى والعلاجى ٠
٣ - تنظيم جباية الزكاة وانفاقها فى وجوهها الشرعية ٠

□ الرجل الذى غير مصير الاخوان :

وقبل عامين كان أحمد كامل بك هو الرجل الوحيد فى مصر كلها ، بل فى العالم العربى كله ، الذى يتحكم فى مصير الاخوان المسلمين ٠ وكانت كلمة منه كفيلة بالقضاء على المستقبل السياسى للجماعة ، واغلاق فروعها وشعبها فى كل قرية ومدينة وفى سوريا ولبنان والباكستان ، وفى كل قطر اسلامى وقفت عنده أو امتدت اليه الدعوة الجديدة ٠

٠٠٠ كلمة واحدة فقط كان يمكن أن تغير مصير الدعوة ، وكان يمكن أن تؤدى الى نشريد كل من يدين بمبدأ الاخوان ٠٠ وأبقى الرجل على الجماعة حتى قدر له أن يصبح واحدا منها ، يساهم بجهده من اجلها ، بعد أن ظل مصيرها كله معلقا به ٠

□ من فوق المنبر العالى :

وجلس الرجل فوق المنصة العالية اربعة شهور متتابية ، يدرس برامج الجماعة ، ويتعمق فى تحليل حقيقة أهدافها ومراميها ، وتلتقط أسماعه أقوالا متناثرة فى ساحة القضاء ٠٠ ليصدر بعد ذلك حكمه بان الاخوان المسلمين جمعية اسلامية تهدف الى اقامة مجتمع اسلامى مثالى يحكمه الدين ٠

□ اذاعة السر :

هذه المراحل الثلاث المتضاربة بقيت سرا مكتوما فى ضمير القاضى ٠ حتى فتح قلبه « لاخبار اليوم » هذا الاسبوع ليروى القصة كامله ٠٠ قصة القضية التى غيرت مصير الاخوان ، وغيرت أيضا مصير القاضى نفسه ، بحيث نقلته الى الصف الاول من صفوف المكافحين ، يجلس بينهم ، بعد أن كانوا جميعا يقفون بين يديه ، وكان ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم رهن كلمة منه ٠

□ قصة الماضى :

وتبدأ القصة مع الرجل فى ماضيه البعيد عام ١٩٣٠ ، عندما خلع الاستاذ أحمد كامل روب المحاماة بعد ستة عشر عاما ليرتدى وشاح القاضى ٠
وفى المنيا سمع لاول مرة عن هيئة دينية جديدة تسمى « الاخوان المسلمين » وكان يظنهم جماعة صوفية تشبع افرادها بالتعصب الدينى

وكراهية الاجانب · وتخيل أن عملهم مقصور على حفلات الذكر ·· ولم يحاول أن يصل الى الحقيقة فى هذا الامر ، فلم يكن يعنيه منه شىء · وما خطر بباله يوما أن الوصول الى حقيقته سيكون شغله الشاغل ·

□ **كانت الفكرة تطاردنى :**

وانتقلت نفس الفكرة معه من المنيا الى بنى مزار · وكلما تقلب بين بلاد القطر كانت الفكرة لا تزال مسيطرة عليه ، أو كما يروى « كانت تتبعنى دائما بل كانت تطاردنى · هربت منها فى اسنا ولكنها لحقتنى فى أسيوط · وتعقبت خطوانى كلما ارتقيت درجة فى السلك القضائى ، كانت معى فى طنطا ودمنهور والقاهرة ·· ولم أكن أعرف أنى سألتقى بهذه الفكرة التى رسبت فى أعماقى فى معركة حاسمة فى محكمة جنايات القاهرة » ·

□ **اللقاء الاول والاخير :**

وسرح الرجل بفكره وهو يذكر قصة لقائه الاول بحسن البنا ، وهو اللقاء الاخير أيضا · وكان ذلك فى الزقازيق عام ١٩٤٥ وقد أضحى القاضى الشاب مستشارا فى محكمة الجنايات وأقيم حينذاك احتفال بالمولد النبوى·

□ **بين العقل والقلب :**

واستمع فى هذا اليوم الى حسن البنا وهو يتحدث عن العالم الاسلامى كما ينشده الاخوان المسلمون ، وعن المجتمع المثالى كما يتخيلونه اذا نفذت برامجهم ·

وشعر حينئذ أن الرجل خطيب ممتاز يؤثر فى سامعيه · ولم يحاول أن يفاضل بين الخاطر الذى استقر طويلا فى عقله ، والخاطر الجديد الذى بدأ يطرق زوايا قلبه طرقا رقيقا هينا ولكن فى نغم حلو ·

وبين العقل والقلب قام الكفاح أربعة أشهر حتى انتهى الاثنان الى رأى واحد ، بعد أن جمعت أمامه ، بل حشدت له جميع بيانات حسن البنا وخطبه وأحاديثه الدينية ومذهبه السياسى ، جمعتها له النيابة كمستندات ضد اثنين وثلاثين شخصا من الاخوان المسلمين ، أو « الاعضاء الارهابيين فى الجماعة المنحلة » كما أطلق عليهم فى ذلك الحين ·

□ **الفكرة السجينة :**

وحلقت خواطر القاضى السابق بعيدا وهو يذكر تلك الايام من شهر ديسمبر ١٩٥٠ : « كانت أمامنا أوراق كثيرة ، ربما عشرة آلاف صحيفة ، وربما تزيد على ضعف هذا العدد ، وكنا مطالبين بأن نقرأها جميعا ·

وأقوتها مخلصا . لم يكن يعنينا كثيرا فى هذه الايام أمر هؤلاء الاثنين والثلاثين منهما اثنين وقفوا يحملقون فينا من وراء القضبان .. بل كان يعنينا كثيرا تلك الفكرة السجينة خلف هذه القضبان ، ما هى ؟ ما حقيقتها ؟ ما وراءها من آمال ومطامع ؟ ان صح أن للدعوة مطامع على الاطلاق عدا المثالية فى مجتمع مأساته الاولى أخلاق بنيه .

كانت الفكرة السجينة هى هدف المحاكمة الاول . كنا نريد أن نحكم لها او عليها .. فاما أن يتاح لها أن تطل برأسها على مصر والعالم من جديد ، واما ان تلفظ أنفاسها صريعة داخل القضبان ، حيث يطويها العدم والفناء .

كان يعنينا كثيرا مصير عشرات الالوف بل ومئات الالوف من « رهبان الليل وفرسان النهار » كما قالت عنهم الصحف ووكالات الانباء . وكان علينا أن نقرر مرة واحدة والى الابد : هل هؤلاء جميعا يسعون الى قلب نظام الحكم واتلاف أسلحة الجيش المصرى وتخريب المنشآت الحكومية ونسف الطرق والكبارى والسرقة المسلحة ؟ .. وما أكثر ما وجه الى هؤلاء الابرياء .. الذين اصبحت واحدا منهم .

☐ الحقائق مطلقة للقاضى :

ان الحقائق نسبية لجميع البشر الا للقاضى ، فانه لا يعرف الا حقيقة واحدة مطلقة . وأقل شك لديه يغير مصير حياته والحيوات الاخرى المتعلقة بكلمة القدر التى تنطق بها شفتاه .

كنت حريصا على أن أقرأ كل شىء . فتتبعت نشأتهم وأحسست اذ ذاك بروحى تجوب معهم شوارع الاسماعيلية فى عام ١٩٢٨ ، ثم تترك المدينة الضيقة لتضىء كل مكان فى مصر ، وحتى فى ميدان القتال على أرض فلسطين .

واستمعت الى أحد الشهود .. ولم أستطع أن أنسى شهادته الى الآن.. ما أكثر ما ناقشته فى تلك الايام . وكنت أنا وهو حريصين على ان نصل الى الحقيقة كاملة .. وعرفنا الحقيقة الكاملة ، انا وزميلى اللواء أحمد على المواوى بك قائد حملة فلسطين ، الذى انضم الى الاخوان المسلمين فى الشتاء الماضى عضوا فى اللجنة الاستشارية ، ليضع خطوطا جديدة لتحركات الاخوان فى الميادين الاجتماعية والرياضية .

☐ من كان يدرى ؟

هل كنت أستطيع فى ذلك الوقت أن أتنبأ بأنى سأضيف الى مشروعاتهم

صفحة جديدة ؟ لا أحد يدرى ٠٠ وربما كان الاثنــان والثــلاثون متهما الذين كنت قاضيهم هم آخر من يتوقع ذلك ٠

□ القصة غيرت مجرى القضية :

ان قصة « العسلوج » غيرت كثيرا من مجـرى القضية ٠٠ لقــد روى المراوى بك القصة كاملة ، قصة الذين قيل عنهم انهم أرادوا اتلاف أسـلحه الجيش المصرى ٠٠٠ لقد نفدت ذخيرة ألف وخمسمائة جنــدى من الجيش ٠ ولم يستطيعوا التقدم للاستيلاء على الموقع ٠٠ وتقـدم خمســة وعشرون من فرسان الليل من كتيبة المرحوم أحمد عبد العزيز ليستولوا على الموقع ونجحوا فى ذلك ٠٠٠ حقيقة كانوا قــلة ، ولــكن كان لهم شــعارهم الخــالد ، شــعار الاجيال : « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ٠

□ تحــررت :

وبدا فكرى يتحــرر من رواسب ســبعة عشر عاما ، وبدأت خــواطرى القديمة عنهم تتــلاشى ، وبدأ حسن البنا يفقــد فى ناظرى شخصــيه شــيخ الطريقه المتصوف الذى يعقد حلقات الذكر ، لتحل محلها شخصية قائد الدعوة ٠

□ قاضيهم ومحاميهم :

كنت مطالبا بأن أكون عقيدة لنفسى قبل أن أكون عقيدة لغيرى ، وكان يجب أن أعيش فى القضية مكان المتهمين ومكان أعضاء الجماعــة ومــكان قائد الدعوة ، لاومن بما يؤمنون به ، أو لاكفــر بما يعتقدون أنه الحــق ٠٠ وبين الايمان والكفر كانت تنتظر قضية سيارة الجيب ، لتحدد والى الابد ٠٠مصير الاخوان المسلمين ٠٠ ولتحدد بعد ذلك مصيرى ٠ فانى أعتقد أن هذه القضية هى وحدها التى هدتنى اليهم ، وهى التى دفعتنى الى أن أصبح عضوا عاملا فى الجماعة ، أسير معهم ، وأدافع عنهم عنــدما يحين لقضــية « الاوكار » أن تعرض أمام القضاء ٠

ملحوظة ٠ قصة « العسلوج » التى جاء ذكرها فى حديث الاســتاذ أحمــد كامل بك هذا ، كنا قد تناولناها بشىء من التفصيل فى الجزء الاول من كتابنا هذا فى صفحة ٤٢٦ تحت عنوان « بطولات خارقــة لحماية انسحاب الجيش المصرى » ٠

الباب الرابع

نظرة أخيرة إلى حسن البنا

- تاريخ أرادوا طمسه
- حسن البنا بين مختلف الطوائف والافكار ٠
- حسن البنا والطائفة الخامسة أو موقفه من الساسة والحكام
- آخر ما كتبه حسن البنا بخط يده للنشر
- حسن البنا وكبار الدعاة فى العالم الاسلامى فى العصر الحديث

الفصـــل الاول

تاريخ أرادوا طمسه

□ بعد حسن البنا :

حسن البنا صاحب دعوة أفنى حياته فى نشر لوائها ، فقد وصل بها الى أعماق الريف بعد أن غزا بأفكاره عقول الطائفـة الرائدة فى البـلاد من طلبـه الجامعه والازهر ، فهز بهذه الطائفة أرجاء مصر من أقصاها الى اقصـاها ٠٠ وظل يزحف بدعوته هذه يوما بعد يوم حتى ضيق الخناق على كل فكر زائف، سواء أكان عقديا أو اجتماعيا أو سياسيا ٠٠ ممـا دعا أصحاب هذه الافـكار الزائفة ـ مع ما بينهم من خلاف مرير ـ الى تناسى خـلافاتهم ، واجمعـوا كيدهم ثم أتوا صفا لضرب هذا الزحف الهادر ضربة رجل واحد ٠٠ فاتحدت الشيوعية الدولية مع الصهيونية العالمية مع الاستعمار الغربى مع الخـونة من المصريين ، ووجهوا الضربة القاضية الى صاحب الفكرة ، وباعث الحركة، ومنشىء الدعوة ، وقائد الزحف فأردوه قتيلا ، وسط مؤامرة محبوكة الاطراف ٠٠٠٠ وراح حسن البنا شهيد فكرته وضحية دعوته ٠

ولـمـا تم لهم ما أرادوا من اغتياله ، فوجئوا بما لم يكونوا يحتسبون ٠ اذ وجدوا أنهم لم يظفروا بما كانوا يأملون من الامن ٠٠ فقـد ظـل شبحـه يلاحقهم ويقض مضاجعهم ، ويبعث الرعب والفزع فى نفوسهم ٠٠ فجندوا كل امكاناتهم من أقلام كتاب ، الى حناجر خطباء ، الى محـررى صحـف ، الى أبواق دعاية ، الى ملفقى تهم ، الى مزورى تحقيقات ، الى محترف تعـذيب لطاردة هذا الشبح ٠٠ وظلت هـذه المطاردة عاما كاملا لا تهـدأ يوما واحـدا ولا ساعة من ليل أو نهار ٠٠ ولكنها مع ذلك فشلت فى مطاردته وتغلب عليهم ـ فاضطروا الى تغيير الاسـلوب ، ولجأوا فى المطاردة الى اسـلوب الخـداع والمداهنة عن طريق سن القوانين ٠٠ ففشلوا كذلك ٠٠ ولـمـا سقط فى أيديهم سلموا بالامر الواقع راغمين ٠

استشهد حسن البنا فى ١٢ فبراير ١٩٤٩ ٠ ولكن كلمة انصاف واحدة فى حقه لم تخطها يد كاتب فى صحيفة الا فى ١٤ فـبراير ١٩٥٢ حيث كتبت جـريدة « المصرى » معبرة عن رأى اصحـابها ، فنشرت صـورة له ، وتحت عنوان « ذكرى الامام الشهيد المغفور له الشيخ حسن البنا » كتبت ما يلى :

« صـادف يوم تعطيـل « المصرى » (الجمعة ١٢ فـبراير حيث كانت

عطلتها الاسبوعية وكان لكل جريدة يوم عطلة فى الاسبوع) الذكرى السنويه للامام الشهيد المغفور له الشيخ حسن البنا (بخط كبير) ٠ والحق ان الشهيد العظيم باق فى قلب كل مصرى ٠ ويلتف المسلمون فى مصر والبلاد العربية حول دعوته الكريمة لانها كانت وما زالت نورا أى نور ٠

واذا كان الفقيد الكريم قد انتقل الى دار البقاء ، فان دعوته خالدة ممتنعة على الزوال ٠ وحسب الفقيد أن تلك الدعوة تنتظم الناس فى جميع الظروف ، وأن حياته المجيدة كانت جهادا فى سبيل إعلاء كلمة الله ٠

رحم الله الفقيد وعاشت ذكراه الوضيئة مثلا من الانسانية المكافحة فى سبيل الحق » أ٠هـ

□ **تناقض مريب فى تقييم حسن البنا :**

والآن ٠٠ وبعد ثلاثين عاما من استشهاده ، تخللتها أحداث جسام كان من أبرز سماتها أنها أحداث متناقضة ، يقف المؤرخ أمامها مشدوها حائرا ٠٠٠ كيف يعلل هذا التناقض ؟

فقسم من الناس يثنى على حسن البنا أجمل ثناء ، وقسم آخر يغض من قدره ٠٠ بل وصل التناقض الى حد أذهل المؤرخين ، فجهة واحدة مجدت شخصيته وشهدت له بالفضل فى ايقاظ الامة من سباتها ، وفى بعث الوعى الاسلامى فيها حتى صارت مهيأة للانتفاضة التى تخلصت فيها من معوقى نهضتها – ثم رأى المؤرخون أن هذه الجهة نفسها – بعد ان استقرت لها الامور – انقلبت فى عنف ونزق فسلبت حسن البنا كل فضيلة وألصقت به كل رذيلة ٠٠ فوقفوا أمام هذا التناقض ذاهلين ٠٠ كيف يكون هذا ؟ وبماذا يعللونه ؟

واذا كان بعض الاذكياء من الجيل الذى كان معايشا هذا التناقض قد استطاعوا أن يلمحوا فى ثنايا الاحداث ما يلقى بعض الضوء على هذا التناقض ، فماذا يكون وقع هذا التناقض على أجيال لم تعايش هذه الاحداث؟ لا سيما وأن ستارا كثيفا قد أسدل على الحقائق التى جرت طيله هذه الثلاثين عاما ٠٠ وكان مما زاد هذا الستار كثافة ان الالسنة والاقلام التى سمح لها بالتعبير كانت مأجورة من الجهة التى وقع منها التناقض ٠

□ **الشعب أخطأه التوفيق فى اختيار القيادة :**

اننى ألتمس العذر لهذه الاجيال – بعد أن لقنت ما لقنت – فذهبت بها الظنون فى أمر حسن البنا كل مذهب ، وانتهى بها الامر الى اطراح هذه الشخصية جانبا ، والجرى وراء شخصيات أخرى أرادت لها هذه الجهة

المتسلطة أن تبدو براقة أخاذة ، فركزت عليها أضواء باهرة لتملأ فى نفوس الشباب الجديد فراغا باعتبارها الزعامة والقيادة ٠

ولكننا اليوم ـ وقد أوشك هذا الستار أن ينقشع ـ هل نترك هذا الجيل وما يليه من أجيال فى هذا التيه الذى لا نهاية له الا الضياع الذى نعانى اليوم من بوادره وأخف ما فيه ٠٠ ومع ذلك فقد ضاق الشعب بمصائبه ذرعا ، ويئس الجميع من أن يجدوا لمعضلاته حلولا ، وبات الناس وقد بلغت القلوب الحناجر ٠٠٠ فكيف اذا دهمنا من معضلات هذا التيه ما هو أدهى وأمر ؟

ان أول الطريق للشعوب دائما هو الايمان بقيادة ٠٠ فاذا وفق الشعب الى قادة صالحة ، لم ينتقل من حال الا الى ما هو احسن منها ٠ أما اذا أخطأه التوفيق فى اختيار القيادة فالتدهور المتلاحق هو نصيب الشعب لايفيق منه لحظة واحدة ٠

والشعوب الحية قد تخطىء الاختيار ، لكنها لا تتمادى فى خطئها ، بل تعيد النظر وتقلب الطرف الفينة بعد الفينة ، على أساس من تقييم واضح وحساب دقيق ٠٠ وبهذا الاسلوب تقيل نفسها من عثرتها ، وتسترد رشدها ، وتعدل اختيارها ، فتصحح بذلك مسارها ٠٠ ولا يتأتى ذلك الا اذا اخترقت بثاقب نظرها سحائب الاوهام ، وبددت بحرارة ايمانها ضباب الشكوك فرأت الحقائق المستورة مجردة واضحة ٠

وقد اتينا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب على سرد تاريخى مدعوم بالادلة والاسانيد ، مشحون بالاقوال والنصوص ٠ وكان هدفنا من وراء هذا العناء كله أن نستخلص من بين حطام المعارك التاريخية فى عهود مظلمة ما أخفى عن هذا الشعب ـ لاسيما الاجيال الحديثة منه ـ من ظروف غامضة وقرائن محجوبة ، وأسرار مكتومة ، وحقائق مغلفة باغلفة كثيفة من الباطل٠٠ حتى يتمكن هذا الشعب ـ باعادة النظر فى تاريخه ـ من تصحيح اخطائه ، ومن وضع عناصر هذا التاريخ ـ لا سيما الرجال والقادة ـ كل منهم فى وضعه الصحيح الجدير به ٠٠٠ فربما ارتفع بذلك رجال ، وهبط الى الحضيض رجال كانوا فى نظره فى الذروة ٠

☐ انموذج لمسخ التاريخ :

رأى المسيطرون على مصائر البلاد ان يصوروا حسن البنا فى صورة منفرة حتى ينفض الناس عن دعوته ٠٠ ولا نستطيع فى عجالة كهذه ان

نستوعب ذكر جميع الصور التى صوروه فيها ، لا سيما بعد استشهاده وبعد اعتقال انصاره واعتقال جميع الالسنة الحرة والاقلام الحرة فى البلاد ، فان هذه الصور قد حوتها نشرات وكتيبات ومجلات وصحف لو أنها جمعت لكانت فى حجمها أضعافا مضاعفة لحجم هذا الكتاب ·· ولكننا نجتزىء منها جميعا بصورة واحدة تمخضت عنها قريحة كاتب كبير ، وأديب عظيم ، يضعه الجيل الحالى – مخدوعا – موضع الاجلال والتكريم ، ويفكرون فى تخليد ذكره بتمثال يجعله فى صف القادة الخالدين ·

كتب عباس محمود العقاد – الاديب العملاق – فى احدى صحف ذلك العهد مقالا ، وقامت الحكومة بطبعه ونشره وتوزيعه مجانا على الناس ·· ويتلخص المقال فى ان الاديب العملاق والكاتب المحقق قد اكتشف أخيرا أن حسن البنا دجال من أصل يهودى قام لتخريب الدولة الاسلامية ····

وقد اخترت هذه الصورة لانها كانت من أجرأ الاكاذيب على الحق ·· وحين قرأت هذا المقال تعجبت أشد العجب لاستهتار هذا الكاتب بعقول الناس ، فحسن البنا لم يكن شخصية قديمة موغلة فى القدم مضى عليها عشرات القرون حتى يختلف الناس فى أصلها ونسبها ·· وانما هو رجل من جيلنا نعرفه ونعرف أباه وأمه واخوته وأعمامه وأخواله وعماته وأجداده للابوين الى سابع جد كما يقولون ونعرف مسقط رأسه وهى قرية شمشيرة من أعمال مركز فوه محافظة كفر الشيخ – وكان والده من العلماء العاملين يرتزق من تصليح الساعات فى محل له بالمحمودية التى نزح اليها فى مقتبل أيامه طلبا للرزق ، ويشهد لهذا الوالد بالعراقة فى الدين وطول الباع فى العلم كتابه « الفتح الربانى فى شرح مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى » الذى يقع فى أكثر من عشرين مجلدا ·

ولكن بلادنا الاسيفة قد ابتليت بطائفة من أبنائها استحلوا الاتجار بضمائرهم ؛ فهم مع الغالب على المغلوب ، مهما كان الغالب ظالما والمغلوب مظلوما · فهذا الكاتب العقاد الذى طالع القارىء فى كتابنا هذا من قبل كيف كان يتزلف الى حسن البنا ويعده الامام المنقذ والقائد الملهم ، ويتمنى أن يظفر بالجلوس اليه – حيث كانت أسهمه فى ارتفاع ·· استباح – حين رأى الحكومة الباغية قد اضطهدته وصادرت دعوته واغتالته – أن يرتع فى عرضه، وأن يكذب على نفسه وعلى الناس وعلى الحقائق الماثلة وعلى التاريخ لقاء دريهمات من خزانة هذه الحكومة الغادرة استمتع بها حينا من الدهر ·

واذا كان « الاديب العملاق » قد انحدر الى هذا الحد ، فكيف بمن هم دونه علما وأدبا وثقافة ممن كانوا معايشين ذلك العهد الانكد ؟

على أن الذى يعنينا الآن هو أن نأخذ بيد المنصفين من أبناء هذا الجيل الجديد الذين لا زالوا فى حيرة من أمرهم حين يحاولون تقييم شخصية حسن البنا .. وسنحاول ان شاء الله فى الصفحات التالية ان نعرض عليهم شخصيته مقيسة بمختلف المقاييس المتعارف عليها ونترك لهم بعد ذلك تقييمها والحكم عليها .

الفصـــل الثانى

حسن البنا بين مختلف الطوائف والأفكار

اذا أردنا أن نقسم المسلمين فى مصر فى ذلك العهد الى طوائف حسب أفكارهم ومواقفهم من الدين رأينا أنهم طوائف خمس :

١ ـ طائفة المنتسبين الى التصوف

٢ ـ طائفة الداعين الى التزام السنة ومحاربة البدع

٣ ـ طائفة الصالحين من غير الطائفتين السابقتين

٤ ـ طائفة الذين لايبالون بالدين لجهلهم به

٥ ـ طائفة المترفين المنحرفين عن الدين المتمردين عليه ومنهم أكثـر الساسة والحكام ٠

ونحاول ان شاء الله فى السطور التالية تجلية موقف حسن البنا من كل من هذه الطوائف حتى يخرج القارىء بتقييم واضح المعالم لشخصيته ٠

حسن البنا والتصوف ٠

اذا ذكر لفظ «التصوف» انقسم الناس فى تصوره أربعة أقسام :

القسم الاول يتبادر الى اذهانهم هـذه الصـور وتلك المظـاهر التى نشاهدها فى الاحتفالات الرسمية والاعياد الدينية ، فيرون موكبا يتقدمـه خيالة الشرطة تتبعها طوائف من الناس على رءوسهم عمائم خضراء وسوداء وحمراء ، ويتوشحون بأوشحة ذات أشكال والوان ويرفعون أمامهم ألويـة كتب على كل منها اسم الطريقة ـ وقد يتبين للناس أن أكثر هؤلاء المشتركين فى هذه المظاهر لا يتخلقون فى حياتهم الخاصة بخلق الاسلام ، ولا يلتزمون فى مسلكهم مع الناس أحكامه وادابه ٠٠ ومن هنا ينشأ فى خواطر النـاس ازدراء للتصوف ، وانصراف عنه ، واستنكار له وللقائمين به والمنتسبين اليه

والقسم الثانى تقفز الى مخيلتهم صورة اولئك الذين اعتزلوا الحياة وانعزلوا عن الناس ، واحتجبوا داخل الزوايا والتكايا ، عاكفين على العبادة والذكر ، لا يعنيهم مـن أمـور بلادهم ومواطنيهم شىء ٠٠ حتى السعى على المعاش قعدوا عنه ، وعاشوا على صدقات الناس ، ظنا منهم ان مسلكهم هذا هو الزهد الذى حث عليه الدين ٠

والقسم الثالث وهم عادة من ذوى الثقافات الغربية ، فهموا التصوف على انه أسلوب فلسفى للحياة ، اشتقه المسلمون من نظريات فلسفية قديمة ، ونقلوه الى الاسلام ٠٠ فلم تعد العبادة معه عبادة بقدر ما انقلبت الى فلسفة ٠٠ وينتقل المتصوف بهذه النظريات الى متاهات لا حدود لها ، وتنتهى به عادة الى الضلال والزندقة ٠

هذه هى نظرات أكثر الناس الى التصوف ٠ ولكن نظرة حسن البنا اليه نظرة تختلف عن هذه النظرات ٠ فهو يرى التصوف أخذ النفس بأسلوب تربوى قويم ، يصفيها من أدرانها ، ويرتفع بها عن المطامع والشهوات ٠٠ على أن يكون هذا الاسلوب مستمدا من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولا حاجة بنا الى الاستعانة فى ذلك بما سواهما ففيهما الكفاية والغناء ، والامن من التفريط والافراط ، والسلامة من التورط والانحراف ٠

وقد مارس حسن البنا التصوف بهذا المفهوم ممارسة عملية ، فتربى منذ صغره على أيدى شيوخ علماء أتقياء صالحين ، ويقرر فى مذكراته أنه أفاد من هذه الممارسة أعظم الفوائد ٠ ويثنى على التصوف والمتصوفين بهذا المفهوم فيقول : « وهذا القسم من علوم التصوف وأسميه « علوم التربية والسلوك ، لا شك أنه من لب الاسلام وصميمه ، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها والطب لها والرقى بها لم يبلغ اليها غيرهم من المربين،ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الاسلوب على خطة عملية من حيث أداء الفرائض لله واجتناب نواهيه وصدق التوجه اليه » ثم يردف ذلك قائلا :

« وان كان ذلك لم يخل من المبالغة فى كثير من الاحيان تأثرا بروح العصور التى عاشت فيها هذه الدعوات ، كالمبالغة فى الصمت والجوع والسهر والعزلة ٠٠ ولذلك كله أصل فى الدين يرد اليه : فالصمت أصله الإعراض عن اللغو ، والجوع أصله التطوع بالصوم ، والسهر أصله قيام الليل ، والعزلة أصلها كف الاذى عن النفس ووجوب العناية بها ٠ ولو وقف التطبيق العملى عند هذه الحدود التى رسمها الشارع لكان فى ذلك كل خير » ٠

ويقول أيضا « ولا شك أن التصوف والطرق كانت من أكبر العوامل فى نشر الاسلام فى كثير من البلدان وايصاله الى جهات نائية ما كان ليصل اليها الا على يد هؤلاء الدعاة ، كما حدث ويحدث فى بلدان أفريقيا وصحاريها ووسطها وفى كثير من جهات آسيا كذلك ــ ولا شك أن الاخذ بقواعد التصوف فى ناحية التربية والسلوك له الاثر القوى فى النفوس والقلوب ، ولكلام الصوفية فى هذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس » ٠

ثم يتحدث عن بعض الطرق الصوفية المعاصرة وما دخل عليها من المغالاة

والانحراف فيقول « ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير فى اصلاح هـذه الطوائف من الناس ، واصلاحهم سهل ميسور • وعندهم الاستعداد الكامل له ، ولعلهم أقرب الناس اليه لو وجهوا نحوه توجيها صحيحا ، وذلك لا يستلزم أكثر من أن يتفرغ نفر من العلماء الصالحين العاملين ، والوعاظ الصادقين المخلصين لدراسة هذه المجتمعات والإفادة من هذه الثروة العلمية وتخليصها مما علق بها ، وقيادة هذه الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة » •

أما نحن فنقول : لعل اتصال حسن البنا فى مقتبل حياته بالصوفية • وأخذه نفسه بأساليبهم فى تطهير القلب وتزكية النفس ، وحملها على السهر وتعويدها على التقشف والصبر •• هو الذى هيأه للقيام بأعباء الدعوة بعد ذلك •• وهى أعباء ثقال ـ كما أن اندماجه هذا فى الصوفية ، وخوضه بنفسه بحارها ، ومعاناته أساليب التربية الروحية المكثفة فيها •• هو الذى جعله اهلا لتربية أتباعه بعد ذلك حين قام بالدعوة تربية روحيه قوية كان لها أكبر الاثر فى نجاحها نجاحا أذهل الاقربين والابعدين على السواء ــ ولا نعتقد أن حسن البنا كان قادرا على تحقيق هذا النجاح فى دعوته لو أنه لم يكن مؤهلا هذا التأهيل الصوفى القويم ، فان تكوين الفرد كان هو أساس نجاح هـذه الدعوة ، والركيزة العظمى فى تكوين الفرد هى تربيته تربية روحة ، وفاقد الشىء لا يعطيه •• ولعلنا قد جلينا أسلوب حسن البنا فى تربية أتباعه فيما قدمنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب •

□ حسن البنا والسنة :

كما أن عوامل الاهمال والتحريف قد فعلت فعلها بمرور الزمن فى الصوفية حتى حرفتها عن أصلها وبعدت بها عن حقيقتها ، وألصقت بها ما ليس منها ، فكذلك فعلت هذه العوامل نفسها فعلها فيما يتصل بالمعتقدات والعبادات فدخل فيها من التحريف ما بعد بها عن السنة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وكما قام دعاة ــ حين ركن الناس مع اتساع عمران الدولة الاسلامية الى الرفاهية والترف ـ يدعون الى الزهد والتقشف الذى سمى فيما بعد بالتصوف ، فكذلك قام دعاة ــ حين بعد الناس عن السنة فى العبادات والمعتقدات ــ يدعون الى الرجوع الى السنة ومحاربة ما أدخل على الدين من البدع والخرافات •

وحمل لواء هذه الدعوة فى عصرنا الحديث الامام محمد بن عبد الوهاب الذى قام فى نجد ، وكان لدعوته أصداء فى بعض البلاد الاسلامية لا سيما فى مصر ، حيث نادى بالرجوع الى السنة ومحاربة البدع الشيخ محمود خطاب

السبكى فأنشأ لهذا الغرض الجمعية الشرعية ، ثم نشأت بعد ذلك لنفس الغرض جمعية أنصار السنة المحمدية كما أشرنا الى ذلك بشىء من التفصيل من قبل ٠

وغنى عن البيان أن نذكر أن شابا كحسن البنا نشأ فى حجر والد متضلع فى علوم السنة النبوية عكف طيلة حياته على ترتيب أحاديث أكبر المسانيد الصحيحة فيها وتخريجها وتبويبها وشرحها والتعليق عليها وهو مسند الامام أحمد بن حنبل ، الذى يضم بين دفتيه أربعين ألف حديث ـ ولعل هذا الشاب قد شارك والده فى بعض المراحل فى هذا المجهود الكبير ٠٠٠ شاب نشأ هذه النشأة لابد أن يكون حب السنة قد اختلط بمهجته وامتزج بدمه وملك عليه لبه ٠٠ وسوف يرى القارىء بعد قليل ان شاء الله الى أى مدى وصل به هذا الحب ٠

حسن البنا بين طائفتى

المنتسبين الى التصوف والداعين الى محاربة البدع

والطائفتين المحايدتين

تبين مما سقناه آنفا ان التصوف والسنة باعتبارهما فكرتين ، قد أقرهما حسن البنا واعتقدهما اعتقادا راسخا ، وأخذ نفسه بهما ، وارتوى منهما وتضلع ـ لكن موقفه باعتباره داعية للفكرة الاسلامية الشاملة كان شيئا آخر ، اذ انه فى هذه الحالة لم يكن يواجه التصوف والسنة باعتبارهما فكرتين مجردتين ، وانما هو مواجههما باعتبارهما دعوتين ٠٠ وفى هذه الحالة يدخل العنصر البشرى فى الفكرتين على أساس أنه المكيف للفكرة والمحدد لها والموجه ٠٠ وهذا التكييف والتحديد والتوجيه هو الذى يخرج بالتصوف والسنة من كونهما فكرتين الى صيرورتهما دعوتين ٠٠ ومن هنا ينشأ الخلاف ٠

فالتصوف ـ كفكرة مجردة ـ يدخل فى الفكرة الاسلامية الشاملة على أساس أنه أحد عناصرها المكمل لشمولها ٠ والسنة ايضا كفكرة مؤداها الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واتخاذه اسوة هى كذلك أحد عناصر الفكرة الاسلامية الشاملة ولا غنى عنها ٠

أما أن يحمل هاتين الفكرتين طائفتان ، وتدعى كل منهما ان الاسلام مقصور على فكرتها لا يتعداها ، فيدعى الدعاة الى التصوف، أن التصوف هو الاسلام وأن الاسلام ليس الا التصوف ، ويدعى الدعاة الى السنة ان محاربة

البدع التى دخلت على المسلمين فى عباداتهم هى الاسلام وأن الاسلام ليس الا محاربة البدع ـ وادعاء الفريقين أن ما سوى ذلك من شئون الدنيا من جهاد فى سبيل تحرير الوطن الاسلامى من الاستعمار ، والعمل على اقامة الدولة الاسلامية التى تتخذ القرآن الكريم دستورا لها ٠٠ ان هو الا اقحام للاسلام فيما لا يعنيه ٠٠ هنا رأى حسن البنا أن يكون له موقف آخر ٠

كان للطرق الصوفية فى مختلف الانحاء أتباع كثيرون ، كما أن بعض الناس قد استجابوا لدعوة الرجوع الى السنة ومحاربة البدع ٠٠ ولكن نوعا من التحدى قد نشأ بين الطائفتين ، فتعرضت كل منهما للاخرى بالنقد اللاذع والتجريح الشديد ٠ وتربص كل طرف منهما بالطرف الآخر ، يشهر به ، وينفر منه ، ويعلن الحرب عليه ٠٠ حتى رمى كل منهما الآخر بالكفر ٠٠ فتحول الامر من دعوة الى التمسك بالدين الى اشاعة التقاطع والتباغض ونشر الفرقة والعداء بين المسلمين ٠٠

وفى خلال هذا التلاحى والتخاصم بين هاتين الطائفتين قام حسن البنا بدعوته ٠٠ ولما كان أساس دعوته الاخوة ، فانه توجه بها أول ما توجه الى الطائفتين المحايدتين الثالثة والرابعة ، ممن لا تشغل بالهم قضايا الخلاف ـ وهما يضمان أكثر أفراد الشعب ـ فالتف حوله جم غفير منهما ٠٠ فنهض بهم متخطيا حماة الخلاف ورقاب المتناحرين ، وواصل السير بعيدا عن هذا الخلاف يدعو المسلمين الى التآخى والتآزر للوقوف فى وجه المد الاستعمارى الذى بسط نفوذه على الامة الاسلامية فاذلها وسخرها لمصالحه بعد أن نشر فيها الفساد والانحلال وقضى فيها على الدين والاخلاق ٠

أحنق هذا الاسلوب فى الدعوة الطرفين المختلفين ، اذ رأيا حسن البنا لا يعير مواطن الخلاف بينهما اهتماما ، فى حين يرى كل منهما أنه يدعو الى الاسلام كله، لبه وجوهره ، وأن اعتقاده هو الحق وأن اعتقاد الطرف الآخر هو الباطل ٠٠٠ فرماه دعاة السنة بأنه يدعو الى السفساف والتافه من أمور الاسلام ويدع العظيم والخطير منها وهو العقيدة الصحيحة وتطهيرها من البدع والخرافات ٠٠٠ ورماه الصوفيون بأنه تنكب الاسلوب الاسلامى بدعوته الناس الى التدخل فى شئون الدنيا ، وحسبه لو كان يريد الدعوة الصحيحة الى الاسلام حقا أن يقتصر على دعوة المسلمين الى الانتظام فى سلك الطرق الصوفية ليتربوا فى احضانها تربية روحية ، مبتعدين عن التدخل فى شئون لا دخل لهم فيها ، فما لهم وللاستعمار ، ولا يقع فى ملكه الا ما يشاء ، وليس فى الامكان أبدع مما كان ٠

وقد يقع هذا الكلام من قرائنا اليوم موقع الاستغراب ، فالحال الآن

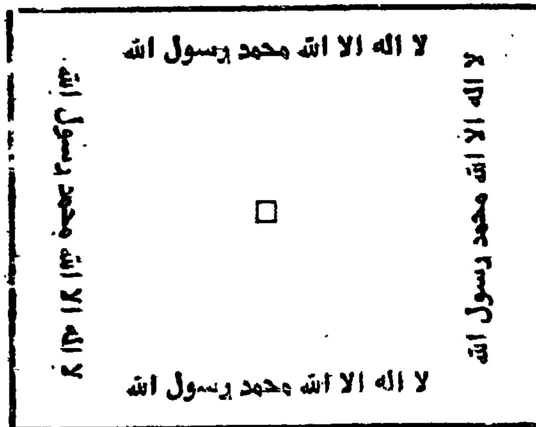
مغاير للحال التى نتحدث عنها ، ولكننى أؤكد لهم أن هذا الوصف الذى أوردنا طرفا منه كان هو الامر الواقع فى ذلك ، فلقد كنا ــ نحن دعاة الاخوان المسلمين ــ تعترضنا هذه الافكار حين نوجه دعوتنا الى زملائنا بالكليات ، وحين كنا نغشى المجتمعات الشعبية خارجها من عامة الناس فى القاهرة والاقاليم ·· وقد أشرت فى مكان سابق فى الجزء الاول من هذه المذكرات الى مواقف لى شخصيا مع زملاء لى فى الكلية من السنيين وأخرى مع أحد مشايخ الطرق ·

وقد أومأ حسن البنا نفسه الى مثل هذه المواقف فى أدب جم حين كتب فى « مذكرات الدعوة والداعية » يقول « واستمرت صلتنا على أحسن حال بشيخنا السيد عبد الوهاب الحصافى حتى أنشئت جمعيات الاخوان المسلمين وانتشرت ، وكان له فيها رأى ولنا فيها رأى ، وانحاز كل الى رأيه · ولا زلنا نحفظ للسيد ـ جزاه الله عنا خيرا ـ أجمل ما يحفظ مريد محب مخلص لشيخ عالم عامل تقى ، نصح فأخلص النصيحة ، وأرشد فأحسن الارشاد » ·

□ طريقته فى الدعــوة :

وتوضيحا للطريقة التى انتهجها حسن البنا فى الدعوة الى الفكرة الاسلامية ، وفى صدد ما وجه اليه من هاتين الطائفتين من نقد شديد كتب ـ رحمه الله ـ فى مجلة « الاخوان المسلمون » فى أواسط الثلاثينيات مقالا رسم فيه مربعا كبيرا كتب على حوافه الاربع من الداخل « لا اله الا الله محمد رسول الله » ورسم فى مركز هذا المربع مربعا صغيرا ·

وكتب يقول : ان اخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم فى حدود المربع الصغير الذى يقع فى مركز الدائرة · وهم بذلك يقصرونها على الذين اكتمل فيهم كل ما يرون أنه العقيدة الصحيحة ·· وهذا عدد ضئيل ·



أما نحن فنتوجه بالدعوة الى كل من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مهما كان مقصرا فيما سوى ذلك من تعاليم الاسلام وافكاره ــ وكل ما نطالبه به أن يرتبط معنا برباط الاخوة الاسلامية للعمل على استعادة مجد الاســلام ٠

وهذه الدعوة غير المشروطة بشيء الا بالاقــرار بالشهـادتين يستجيب لها طوائف على درجات متفاوتة من الايمان بالتعاليم الاسلامية والعمل بها ، تبدأ من مجرد الايمان بالشهادتين وتنتهي بالعاملين بجميع التعاليم الاسلامية الفاقهين لاسرارها ٠

وفي ظل روح الاخوة التي تجمع بين كل هــذه الطــوائف ، وتحت لواء المبايعة على العمل لاستعادة مجد الاسلام ، وعلى ضوء توجيهات قيادة الدعوة الممزوجة بروح الحب والمــودة ٠٠ تنصهر كل هــذه الطوائف في بوتقة هــذا المجتمع فترقى كل طائفة في ايمانها وعملها وعقيدتها وفقهها ٠٠٠ ويتقبل الفرد من هذه الطوائف ــ عن طيب خاطر بل وبمسارعة ــ من النصائح والتوجيهات والافكار مالم يكن ليتقبله وهو خارج نطاق هذا المجتمــع الذى تســوده روح الاخوة والتضامن والمحبة والود ٠

وأعود الى وصف الحال الذى كان فأقــول : ان هجــوم الطائفتين على حسن البنا كان يزداد شــدة كلما ازدادت دعــوته انتشارا ٠٠ فلما وصــل الانتشار الى الحد الذى أحسنا فيه أنه أخذ يغزو معسكريهما رفعتا درجــة الهجوم حتى شككوا في عقيدة الاخــوان وفهمهم للاســلام ٠٠٠ وهنا أصــدر حسن البنا رسالة هامة من رســائله التى كان يصــدر كلا منها بمناسبة من المناسبات ٠

□ فهمه للفكرة الاسلامية :

وكانت هذه الرسالة هي رسالة « التعاليم » التى حدد فيها رؤية الاخوان المسلمين للتعاليم الاسلامية الاســاسية ، ورأيهم في مــواطن الخــلاف بين الطوائف ، كما تشتمل على توجيهات عملية كثيرة ٠ ولكن بيت القصيد فيها هو ما صدرت به من رسم للصــورة التى يرى الاخــوان الفكرة الاسلامية في اطارها ، وهاك هذه الصورة ــ يقول حسن البنا رحمه الله :

« أيها الاخ الصادق ٠٠٠ انما أريد بالفهم :

أن توقن بأن فكرتنا اسلامية صميمة » وأن تفهم الاسلام كما نفهمــه في حدود هذه الاصول العشرين الموجزة كل الايجاز :

١ ـ الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعها ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافه وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة ٠

٢ ـ والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الاسلام ٠ ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ٠ ويرجع فى فهم السنة المطهرة الى رجال الحديث الثقات ٠

٣ ـ وللايمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله فى قلب كل من يشاء من عباده ٠ ولكن الالهام والخواطر ، والكشف والرؤى ليست من أدلة الاحكام الشرعية ، ولا تعتبر الا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه ٠

٤ ـ والتمائم والرقى والودع والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته « الا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة » ٠

٥ ـ ورأى الامام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوها عدة وفى المصالح المرسلة معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات ٠ والاصل فى العبادات التعبد دون الالتفات الى المعانى ، وفى العاديات الالتفات الى الاسرار والحكم والمقاصد ٠

٦ ـ وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم ٠ وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه ، والا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ٠ ولكنا لا نعرض للاشخاص ـ فيما اختلفوا فيه ـ بطعن أو تجريح ونكلهم الى نياتهم وقد أفضوا الى ما قدموا ٠

٧ ـ وعلى كل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الاحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلة امامه ، وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل ، متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته ٠ وأن يستكمل نقصه العلمى ان كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر ٠

٨ ـ والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد اجره ٠ ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول الى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب ٠

٩ ـ وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعا ، ومن ذلك كثرة التفريعات للاحكام التى لم تقع ، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل اليها العلم بعد ، والكلام فى المفاضلة بين الاصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفى التأول مندوحة ٠

١٠ ـ معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه هي أسمى عقائد الاسلام ٠ وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يتعلق بذلك من المتشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ٠

١١ ـ وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ـ ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها ٠

١٢ ـ والبدعة الاضافية والتركية والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى لكل فيه رأيه ، ولا بأس بتحميص الحقيقة بالدليل والبرهان ٠

١٣ ـ ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة الى الله سبحانه وتعالى ٠ والاولياء هم المذكورون فى قوله تعالى « الذين آمنوا وكانوا يتقون » والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فى حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم ٠

١٤ ـ وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ٠ ولكن الاستعانة بالمقبورين أيا كانوا ، ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور وسترها ٠ واضاءتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات ، كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لهذه الاعمال سدا للذريعة ٠

١٥ ـ والدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة ٠

١٦ ـ والعرف الخاطىء لا يغير حقائق الالفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها ٠ كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالاسماء ٠

١٧ ـ والعقيدة أساس العمل · وعمل القلب أهم من عمل الجارحة · وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعا وإن اختلفت مرتبتا الطلب ·

١٨ ـ والاسلام يحرر العقل ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ·

١٩ ـ وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى ما يدخل فى دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى ،فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى ، فان كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار ·

٢٠ ـ لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض ـ برأى أو معصية ـ الا أن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو كذب بصريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله اساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر ·

□ تعليق على بعض البنود :

يلاحظ القارىء أن السمة العامة لهذا الفهم ببنوده العشرين سمة الداعية الذى يريد أن يجمع ولا يفرق ، ويريد أن يغلب روح الاخوة على جموع التعصب ، ويريد أن يبرز سماحة الاسلام ورحابة افقه ومرونة أسلوبه وكفاءته العالية فى تكوين الشخصية المؤمنة القادرة على تعمير الحياة واصلاحها وجعلها الامة المثالية الجديرة بالقيادة والريادة ·· واذا أردنا أن نتناول البنود العشرين بشيء من التوضيح طال بنا الحديث وتفرع ولذا نكتفى بتعليق مقتضب على البنود التى تتصل بما نحن بصدده فى هذا المقام فنقول :

أولا ـ قرر البند الثانى أن مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الاسلام ليس القرآن وحده بل السنة المطهرة معه ، وأن فهم السنة المطهرة يرجع فيه الى رجال الحديث الثقات ·

ووراء هذا الحرص على الجمع فى النص بين القرآن الكريم والسنة قصة وموضوع خطير ، ذلك أن من الاساليب التى بيتها المتآمرون على الاسلام وأحكموا تدبيرها حتى وجدت طريقها الى أفئدة بعض المسلمين وعقولهم دون أن يقدروا خطورتها دون أن يعلموا أنها كافية أن تأتى على بنيان الاسلام من القواعد ، وتنسفه من أساسه ان نجحت ـ أن يلقوا فى روع المسلمين أن فى القرآن وحده الغناء فى معرفة أحكام الدين ، فالقرآن وحده هو

الكتاب الذى تكفل الله عز وجل بحفظه ، أما السنة فاتها لم تحظ بمثل هذا التكفل فهى لذلك غير موثوق بها ٠

ولكى تتضح خطورة هذه المؤامرة يستعرض القارىء ما يعرمه من أحكام الاسلام الاساسية فى العبادات والمعاملات فيجد أن أكثرها مأخوذ من السنة ولم يتعرض له القرآن الا بالاشارة المجملة ٠ فالصلاة بعددها ومواقيتها وهيئاتها وأركانها وشروطها ومبطلاتها كلها جاء من السنة المطهرة ، والزكاة بمواعيدها ومقاديرها وأنواعها كذلك ، ورجم الزانى المحصن وغير ذلك من الاحكام الاساسية فى الاسلام كلها أخذت عن السنه النبوية ٠٠ والقرآن الكريم نفسه يقرر وجوب الاخذ بالسنة فى قوله « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وقوله « وان تطيعوه تهتدوا » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ٠

□ أمنية لحسن البنا :

كان الكثيرون من أصدقاء حسن البنا من عارفى فضله من العلماء يحثونه على تأليف كتب فى التفسير وفى مختلف فنون الاسلام ، ويلحون عليه فى ذلك حرصا منهم على تزويد المكتبة الاسلامية بنظرات عميقة وافكار غير مسبوقة مما يسمعونه منه فى بعض دروسه وفى مجالسه الخاصة معهم ٠٠ ولكنه كان يقول لهم :

« دعونى من تاليف الكتب ، فمهما حوى الكتاب من نظرات وافكار فان هذه النظرات والافكار ستظل حبيسة دفتيه ، رهينة صفحاته حتى تصادف قارئا أهلا لفهمها قادرا على الانتفاع بها ٠٠ وقلما تصادف الكتب هذا اللون من القراء ٠٠ فأكثر المؤهلين لذلك لا تسعفهم ظروفهم باقتناء الكتب ولا بقراءتها ٠٠ أما أكثر الذين يقتنونها فانهم يقتنونها ليزينوا بها أثاث بيوتهم ـ والمكتبة الاسلامية متخمة بالمؤلفات فى جميع العلوم والفنون ، ومع هذا فانها لم تغن عن المسلمين شيئا حين قعدت هممهم وثبطت عزائمهم وركنوا الى الدعة والخمول ، واستكانوا للترف فركبهم الاعداء من كل جانب ٠٠٠

والوقت الذى أضيعه فى تأليف كتاب أستغله فى تأليف مائة شاب مسلم، يصير كل شاب منهم كتابا حيا ناطقا عاملا مؤثرا ، أرمى به بلدا من البلاد فيؤلفها كما ألف هو » ٠٠٠ وقد أثبت حسن البنا انه كان على صواب فى نظريته هذه ٠٠ وقد حققها تحقيقا لمسه العالم كله ، ولا زال العالم يعيش هذه الحقيقة ٠

أقول : انه ـ رحمه الله ـ مع عزوفه هذا عن تاليف الكتب ، فانه كانت

له امنية يسبر بها الى بين الحين والحين فى مناسبات معينة ، أنه يتمنى أن تتيح له الظروف وضع كتاب واحد هو الوحيد الذى تفتقر اليه المكتبة الاسلامية وهو كتاب فى « اثبات حجية السنة النبوية »(١) ٠

وكان يقول لى : ان عدم سد هذه الثغرة فى المكتبة الاسلامية مدخل خطير للشيطان على الامة الاسلامية ، فعن طريق هذه الثغرة يستطيع الشيطان أن يفسد على المسلمين دينهم ٠

ويقول فى هذا الصدد : ان أوثق الاخبار التاريخية التى نتلقاها فى مدارسنا ومعاهدنا المتخصصة باعتبارها قضايا مسلمة وحقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ٠٠ لا تدانى فى موازين رواتها ولا فى مقاييس نصوصها درجة الحديث الضعيف عند علماء الحديث ، فلقد وضع هؤلاء العلماء من المقاييس والموازين لرواة الاحاديث ما جعل أدنى شبهة حول تصرف واحد لراو واحد من سلسلة رواة حديث كافيا لاسقاط هذا الحديث ورميه بالضعف واعتباره مما لا يعتد به ٠

اقول : ولما كان وضع كتاب فى مثل هذا الموضوع يقتضى تفرغه بضعة اشهر ــ ولم تكن مطالب الدعوة لتمهله يوما واحدا ــ فانه لجأ أخيرا الى أسلوب الصحافة العلمية لعله يتناول فيها الموضوع مجزءا ، كلما سنحت له فرصة كتب مقالا كل شهر أو كل شهرين ٠ وقد بدأ هذه المحاولة حين أسندت اليه رياسة تحرير مجلة المنار ، ولكن الاحداث لم تمهلها طويلا فاحتجبت بعد اشهر ، فأصدر بعدها مجلة « الشهاب » التى لم تكن أحسن حظا من أختها « المنار » اذ لحقت بها بعد بضعة أعداد ٠٠ ثم طغت الاحداث الداخلية والخارجية على النحو الذى وضحناه من قبل فلم تدع لتحقيق هذه الامنية سبيلا ٠

ثانيا ـ وضح مما قدمناه فى هذه العجالة مدى اهتمام حسن البنا بالسنة ، وتقديره لمكانتها فى الاسلام باعتبارها الركن الاساسى الذى لا يقوم الاسلام الا به ٠٠ لكنه أراد بعد ذلك أن يبين أن الانتفاع بالقرآن الكريم والسنة النبوية فى تكوين الشخصية المسلمة المتوخية الكمال لايكون الا بأخذ النفس بأساليب التربية الروحية المستمدة منهما ، فنص فى البند الثالث على أن للايمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نورا وحلاوة يقذفها

---

(١) لعل مما يثلج الصدور فى هذا الصدد صدور كتاب « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » لفضيلة الدكتور مصطفى السباعى المراقب العام للاخوان المسلمين بسوريا الشقيقة ٠

فى قلب من يشاء من عباده ـ ثم ألحق ذلك بتحذير من المبالغة التى قد تؤدى الى الانحراف ٠

وبذلك يكون حسن البنا قد جمع فى فهمه للاسلام بين التعاليم فى ذاتها وبين تطبيق هذه التعاليم فى نفس الفرد المسلم ٠ وهو المعنى العملى الشامل الذى قصد اليه القرآن وحثت عليه السنة ٠ وبدون هذا التطبيق لاتتكون الشخصية المسلمة التى هى نواة الامة المسلمة ٠ وقد يعبر عن هذا الفهم بالاصطلاح العصرى أنه جمع بين الالتزام بالسنة وبين التصوف٠٠ ويذكرنى هذا بما كان يحاوله ـ رحمه الله ـ من تدريس كتاب « احياء علوم الدين » للامام أبى حامد الغزالى ووضع شرح له ٠ وقد بدأ فى ذلك كما اشرت من قبل ولكن الظروف حالت دون تحقيق هذه المحاولة أيضا ٠٠ ورحم الله الامام مالك ابن أنس اذ يقول : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف وتفقه فقد تحقق ٠

ثالثا ـ الامام الذى يشير اليه البند الخامس هو رئيس الدولة حين يكون للمسلمين دولة ـ أما موضوع أن الاصل فى العبادات التعبد دون الالتفات الى المعانى ، وفى العاديات الالتفات الى الاسرار والحكم والمقاصد فقد جليناه فى المدخل الى الجزء الاول من هذا الكتاب ٠

رابعا ـ ويقول البند السابع « وعلى كل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الاحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين » ويجدر بنا فى هذا المقام أن ننبه الى أن الدعوة الى الرجوع الى الكتاب والسنة قد فهمها بعض الناس لا سيما الشباب الذى نال قسطا من العلم فهموها على غير وجهها فراحوا يهاجمون المذاهب والمتمذهبين ويرمونهم بتنكب طريق السنة ، واعتقدوا فى أنفسهم ـ وقد استطاعوا مجرد أن يقرأوا القرآن وأن يقرأوا فى كتب الاحاديث أنهم يستطيعون أن يستنبطوا الاحكام دون حاجة الى اتخاذ مذهب أو اتباع امام ٠٠ مع أن درايتهم باللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها لا تعدو دراية سطحية ، فهم لا يعرفون وجوه الاعراب ولا اشتقاق الالفاظ ولا الشواهد التى استند اليها علماء اللغة من كلام العرب ، كما أنهم لا يعرفون الناسخ والمنسوخ ، ولا المام لهم بعلوم أصول الحديث وأصول الفقه ولا بعلوم التعديل والتجريح ولا بتاريخ الرجال وغيرها من العلوم التى لا يكفى مجرد الالمام بها بل لابد من التضلع فيها لمن يريد أن يستنبط من القرآن والسنة ٠

□ انموذج يوضح معنى المذاهب فى الاحكام الفقهية :

وتوضيحا لهذه النقطة من البحث ، وتقريبا للاذهان من فكرة المذاهب

فى الفقه الإسلامى ووجوب وجودها ، لانها هى الدليل على مرونة هذا الفقه ورحابة صدره وهى وليدة هذه المرونه والدليل عليها .. وسعيا وراء هذا التوضيح نتناول موضوعا قريبا من مهم أكثر الناس هو موضوع فرائض الوضوء شارحين الكيفية التى تم بها استنباط هذه الفرائض ، مستمدين ما نعرض فى هذا الموضوع من كتابى الدين الخالص وتفسير القرطبى .. ومنه يتبين كيف نشأت المذاهب والأسس التى قامت عليها هذه المذاهب .. فنقول :

إن النص الذي رجع إليه كل من ادلوا بدلائهم فى هذا الاستنباط هو قوله تعالى فى سورة المائدة « يأيها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم إلى الكعبين » ..

.. هذا النص هو المعين الذى اشتقى منه ائمة الفقه فخرج كل منهم للامة الاسلامية بشراب ، فكانت اشربة مختلفة طعومها ولكنها جميعا اشربة حلوة عذبة شهية سائغة لذيذة .

.. والقرآن الكريم ـ كما هو مقرر ـ حمال أوجه .. ولكنها أوجه لا تبين للسذج الجهلاء ولا للمثقفين السطحيين ، وانما تبين لاصحاب البصائر من أفذاذ العلماء المزودين بزاد لاينفد على طول البحث وتشعب سبل النظر ومهما طوحت بهم أسباب الاستقصاء .

.. والمذاهب فى الفقه الاسلامى كثيرة متعددة بقدر ما انجبت هذه الأمة من علماء أفذاذ وأئمة فضلاء ، ولكننا فى هذه العجالة ، وفى معالجة هذا الموضوع نقتصر فى تجليته على المذاهب الاربعة التى انتشرت وتعلق بها أكثر المسلمين فنقول :

مع أن الآية الكريمة لم تشتمل من التكاليف الا على أربعة هى : غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين والمسح بالرأس والارجل الى الكعبين .. مع هذا فقد كانت نظرات هؤلاء الائمة الى الآية أكثر عمقا وانفذ بصرا وأوسع احاطة .. وكان لهم أمامها ست وقفات :

الوقفة الاولى ـ النية :

فقد اضاف مالك والشافعى النية الى هذه الاربعة المفروضة فى الآية ، مستندين الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الاعمال بالنيات » وأحمد بن حنبل وان كان لم يقتنع بجعلها ركنا أو فرضا فى الوضوء فانه جعلها شرط صحة له .

ولكن أبا حنيفة اقتصر على الأربعة الواردة بالآية حيث لا ذكر للنية فيها ، وقال ان الحديث حديث آحاد يقبل التأويل .

الوقفة الثانية — المسح بالرأس :

ثم كانت لهم وقفة أمام قوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم » واختلفت نظراتهم الى هذا التركيب القرآني العربي المعجز ... ورجعوا منهم الى رصيد لهم بالغ الثراء في علوم اللغة وآدابها وشواهدها راى مالك ان الباء هنا مؤكدة زائدة ، وأن الرأس هي الجملة التي يعلمها الناس ضرورة ومنها الوجه فلما ذكره الله تعالى في الوضوء وعين الوجه للغسل ، بقي باقية للمسح ، ولو لم يذكر الغسل للزم مسح جميعه ما عليه شعر من الرأس وما فيه العينان والانف والفم .

وبناء على ذلك قرر مالك ان الفرض هو مسح الرأس كله . وقد سئل عن الذي يترك بعض رأسه في الوضوء فقال : أرأيت ان ترك غسل بعض وجهه أكان يجزئه ؟ .. وكان من دليل مالك على أن الرأس هي محوى كل ما ذكر قول الشاعر القديم :

اذا احتملوا رأسي وفي الرأس اكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري

واتفق راى احمد بن حنبل في هذه النقطة مع راى مالك .. ولكن الشافعي راى أن الباء هنا للتبعيض فيجزىء ولو مسح شعرة بحد الرأس . لان الباء الداخلة على متعدد كما في قوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم » تكون للتبعيض ..

وقال مالك : لو كان معنى الباء لتبعيض لافادته في التيمم في قوله تعالى « فامسحوا بوجوهكم » ورد الشافعي على ذلك قائلا : ان مسح الوجه في التيمم بدل من غسله فلابد ان يأتي بالمسح على جميع موضع الغسل منه ، ومسح الرأس أصل ، فهذا ما بينهما .. وورد في السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته ، فرد مالك قائلا . لعل النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لعذر ، فقد فعل ذلك في السفر وهو مظنة الاعذار وموضع الاستعجال والاختصار .

أما أبو حنيفة فقال ان المفروض قدر الربع ؛ لان الباء باء الالصاق ، اذا دخلت على المحل تعدى الفعل الى الآلة — والآلة هنا هي اليد — فيكون التقدير « وامسحوا أيديكم برؤوسكم » وهذا يقتضي استيعاب اليد دون الرأس . واستيعابها ملصقة بالرأس لايستغرق غالبا غير الربع — ويستند ابو حنيفة أيضا في ذلك الى حديث أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يتوضأ وعليه عمامة قطرية فأدخل يده من تحت العمامة ومسح مقدم رأسه ·

الوقفة الثالثة — ما يخص الرجلين:

ثم وقف الائمة مرة أخرى فى الآية الكريمة أمام قوله تعالى « وأرجلكم الى الكعبين » حيث ورد فيها ثلاث قراءات : الاولى — وهى التى نقرأها فى مصر — بنصب اللام والثانية برفعها والثالثة بخفضها — وقد أجمع العلماء على الاخذ بالقراءة الاولى حيث تكون « أرجلكم » معطوفة على « أيديكم » والعامل فى هذه الحالة هو « اغسلوا » ويكون التقدير هو « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برءوسكم » ويعضد هذه القراءة فعل النبى صلى الله عليه وسلم ·

أما قراءة الخفض فالعامل فيها الباء ، ويكون المعنى فى هذه الحالة هو مسح الرجلين لا غسلهما ، وروى عن أنس بن مالك أنه قال : نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل ، وكان اذا مسح رجليه بلهما — وقال عامر الشعبى : نزل جبريل بالمسح ، الا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا — وذهب ابن جرير الطبرى الى أن فرضهما التخيير بين المسح والغسل وجعل القراءتين كالروايتين أى يعمل بهما اذا لم يتناقضا ·

الوقفة الرابعة — الدلك :

ورأى مالك أن الدلك أحد فرائض الوضوء لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة فى الغسل : « ادلكى جسدك بيدك » والاصل فى الامر الوجوب ، ولا فرق بين الوضوء والغسل ، وايضا فان الدلك من مسمى الغسل أو شرط فيه — ولحديث حبيب بن زيد أنه سمع عباد بن تميم عن عمه عبد الله ابن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل يقول هكذا يدلك ·

ولكن الائمة الثلاثة الآخرين قالوا : ان الدلك سنة لا فرض لعدم التصريح به فى الاحاديث الكثيرة الواردة فى صفة الوضوء والغسل،وهوقرينة على صرف الامر بالدلك للندب · ودعوى أن الدلك من مسمى الغسل او شرط فيه ، محل نظر · والمقرر ان فعل النبى صلى الله عليه وسلم لا يفيد الفرضية·

□ الوقفة الخامسة — الموالاة : :

وفى هذه المرة وان اتخذوا الآية قاعدة لهم الا انهم لجأوا الى السنة لتوضيح حجتهم · والموالاة أو الفور هى التتابع بان يطهر العضو اللاحق قبل جفاف السابق — وقد استنبط مالك وأحمد أن الموالاة فرض من فرائض الوضوء لحديث عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أنه راى رجلا

يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء ، فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة ·

أما أبو حنيفة والشافعي فقد رأيا في سند هذا الحديث بقية بن الوليد وقد ضعفه غير واحد ، فقررا أن الموالاة ليست فرضا مستندين الى حديث عمر بن الخطاب أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ارجع فأحسن وضوءك · فرجع ثم صلى · رواه مسلم · قالا . فلو كانت الموالاة فرضا لقال صلى الله عليه وسلم « ارجع فاعد وضوءك » وانما قال « أحسن وضوءك » واحسان الوضوء اكماله ·

الوقفة السادسة – الترتيب :

واستنبط الشافعي ووافقه احمد أن النص القرآني بتركيبه يوحي بان الترتيب فرض من فرائض الوضوء ، بحيث لا يجوز تقديم عضو من اعضاء الوضوء على آخر بل لابد من الالتزام بالترتيب الذى جاء في الآية الكريمة – وكان حجتهما في ذلك أن الله تعالى أدخل ممسوحا بين مغسولين ، والعرب لا تقطع النظير عن نظيره الا لفائدة ، وهي هنا الترتيب · والآية ما سيقت إلا لبيان الواجب · ولان من حكى وضوء النبي صلى الله عليه وسلم كان مرتبا ·

ولكن مالكا وأبا حنيفة رأيا ان الترتيب في الوضوء ليس بواجب لان الله تعالى أمر بغسل الاعضاء الثلاثة ومسح الرأس ، وعطف بعضها على بعض بالواو ، وهي لا تقتضي الترتيب فكيفما غسل كان ممتثلا · ووضع الممسوح بين مغسولين لايدل على أن الترتيب فرض بل فائدته الدلالة على استحباب الترتيب ·

وعلى ذلك كانت أركان الوضوء أو فرائضه عند هؤلاء الائمة كالاتي :

عند ابي حنيفة : أربعة : غسل الاعضاء الثلاثة ومسح ربع الرأس ·

وعند الشافعي : ستة : النية وغسل الاعضاء الثلاثة ومسح بعض الراس ولو شعرة والترتيب ·

وعند مالك : سبعة : النية وغسل الاعضاء الثلاثة ومسح الراس كلها والدلك والموالاة ·

وعند أحمد : ثمانية : غسل الاعضاء الثلاثة والمضمضة والاستنشاق باعتبار الفم والانف من الوجه ومسح الراس والترتيب والموالاة – أما النية فجعلها شرط صحة ·

هذا ·· وقد أوردت هذا القدر المقتضب غاية الاقتضاب لاعرض على شبابنا الناشيء صورة مصغرة لكينية استنباط الاحكام من الكتاب والسنة، والآلات اللازمة لها ، والمؤهلات الضرورية لمن يرشح نفسه لها ، من حفظ مستوعب للقرآن الكريم والسنه النبويه واحاطة كاملة بفنون اللغة العربية وآدابها وشواهدها وأوجه الاعراب فيها واقوال العرب ولهجاتهم ، والمام تام بالسيرة النبوية فى أدق تفاصيلها ، وبعلوم السند والرواية وتاريخ الرجال والتعديل والتجريح ، وعلم القراءات وعلم الناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم التى تقصر دون الاحاطة بكل علم واحد منها الاعمار فما بالك بالاحاطة بها جميعا ؟ ثم المقدرة على استعمال كل معروفة من معارفها فى الموضع الذى يحتاج اليها وتؤتى ثمرتها فيه من أساليب الاستقصاء والاستنباط ·

على ان تكون كل هذه المواهب مرتكزة على فكر ثاقب ، وعقل ناضج ، وقريحة وقادة ، وبديهة حاضرة وأفق فسيح ، وقدرة على الابتكار ، وبصيرة مستنيرة واعية ـ ومع كل هذه المؤهلات فلا اعتبار لها مالم يكن صاحبها ذا قلب عامر بالايمان ، مترع باليقين ، مفعم بالخوف من الله ، فهو يصدع بالحق ولا يخشى فى الحق لومة لائم ·

وهؤلاء الائمة الذين نروى عنهم هم وأضرابهم ·· هم من هذا الطراز الذى جمع الى المواهب الفائقة النادرة القلب الخاشع والنفس الزاهدة المتبتلة العازفة عن متاع الدنيا ، فمن هؤلاء من حفظ القران لسبع ، ومنهم من كان يصلى الصبح بوضوء العشاء ، وكلهم أوذى فى الله وجلد وسجن ومثل به جهرا بكلمة الحق عند سلطان جائر ·· فهل فى اتباع هؤلاء الا اتباع للكتاب والسنة ؟ وهل عاش هؤلاء وماتوا الا حفاظا على الكتاب والسنة ؟ وهل تراثهم الذى خلفوه لنا الا الكتاب والسنة ؟ وهل كانوا بالنسبة للامة الاسلامية الا من أولى الامر الذين قال الله تعالى فيهم « ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » ·

وعلى اخواننا الذين يرغبون فى الاستنباط من الكتاب والسنة مباشرة ان كانوا من أهل العلم حقا أن يتوفروا على دراسة هذه العلوم التى أشرنا اليها حتى يستوعبوها جميعا فيكونوا بذلك أهلا للاستنباط · وان كان دون الوصول الى هذه الغاية خرط القتاد ـ وأما من كان هذا الشوط عليهم بعيدا ـ وهو بعيد فعلا ـ فحسبهم أن يتبعوا اماما ، وأن يحاولوا فهم أدلته ، لعل ذلك ينمى موهبة البحث فيهم ·ويكونون بذلك قد ساروا فى اتباعهم على بصيرة، وهو ما يجدر بكل مسلم ·· والا فانهم يكونون كالذين يقحمون أنفسهم فى الحرب بلا سلاح ·

خامسا – أشار البند الثامن الى الخلاف الفقهى فى الفـروع وما يؤدى اليه عادة من خصومة وتفرق نتيجة المراء وهو الجدال بدافع الانتصار للرأى· وكان حسن البنا رحمه الله كثير التحذير من المراء ·· ولا زلت أذكر الحديث الذى كان كثيرا ما يردده والذى ينهى فيه الرسول صلى الله عليه وسـلم عن المراء ويغلظ فى النهى حتى انه ليقول فى نهايته « أنا كفيل ببيت فى وسط الجنة لمن ترك المراء وهو محق ، وببيت فى ربضها لمن تركه وهو مبطل » ·

سادسا – وفى البند التاسع ينهى عن الخوض فى الامور التى لا ينبنى عليها عمل ، وعن الخوض فى معانى الآيات القـرآنية الكريمة التى لم يصـل اليها العلم بعد – وكان حسن البنا – رحمه الله – يستشهد على ذلك بقـول الله تعالى فى سورة الكهف « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل·فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحـدا » ·

ففى هذه الآيات نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن المـماراة مع سائليه عن عـدد اهـل الكهف كما نهـاه حتى عن الاستفسار من هـؤلاء السائلين وهم أهل الكتاب عن هذا العدد – ذلك أن معرفة عددهم لا جدوى من ورائها ، ولا ينبنى عليها عمـل أو تجنى فائدة ، وحسب المـرء أن يزداد من سياق القصة ايمانا بقدرة الله على الاماتة والاحياء وعلى البعث ··· أما مدة لبثهم فى الكهف – لانها موضع العبرة – فقد حددها القـرآن تحـديدا واضحا بالسنين الشمسية والسنين القمرية فقال « ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا » ·

وزيادة فى ايضاح هذين البندين نورد خلاصة تجربة عملية عاناها حسن البنا بنفسه فى ابان قيامه بالدعوة فى مدينة الاسماعيلية ننقلها من « مذكرات الدعوة والداعية » تحت عنوان : « فى زاوية الحاج مصطفى بالعراقية » يقول رحمه الله :

« كانت هذه الزاوية الثانية هى الزاوية التى بناها الحـاج مصـطفى تقربا الى الله تبارك وتعالى ، وفيها اجتمع هذا النفر من طلاب العلم يتدارسون آيات الله والحكمة فى أخوة وصفاء تام ·

ولم يمض وقت طويل حتى ذاع نبأ هذا الدرس – الذى كان يستغرق ما بين المغرب والعشاء ، وبعده يخرج الى درس القهاوى – حتى قصـد اليه كثير من الناس ومنهم هواة الخلاف وأحلاس الجدل وبقايا الفتنة الاولى ·

وفى احدى الليالى شعرت بروح غـريبة ، روح تحفـز وفرقـة ، ورايت المستمعين قد تمـيز بعضهم من بعـض ، حتى فى الاماكن ، ولم أكد أبدأ حتى فوجئت بسؤال : ما رأى الاستاذ فى مسألة التوسل ؟

فقلت له : يا أخى أظنك لاتريد أن تسألنى عن هـذه المسـألة وحـدها ، ولكنك تريد أن تسألنى كذلك « فى الصلاة والسلام بعد الاذان ، وفى قـراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، وفى لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسـلم فى التشهد ، وفى أبوى النبى صلى الله عليه وسلم وأين مقـرهما ، وفى قـراءة القرآن وهل يصل ثوابها الى الميت أو لا يصل ، وفى هذه الحلقات التى يقيمها أهل الطرق وهل هى معصية أو قربة الى الله » ، وأخـذت أسرد له مسـائـل الخلاف جميعا التى كانت مثار فتنة سـابقة وخـلافه شـديد فيما بينهم - فاستغرب الرجل وقال : نعم أريد الجواب عن هذا كله .

فقلت له : يا أخى انى لست بعالم ، ولكنى رجل مدرس مـدنى أحفـظ بعض الآيات وبعض الاحاديث النبوية الشريفة وبعض الاحكام الدينية من المطالعة فى الكتب ، واتطوع بتدريسها للناس . فاذا خـرجت بى عن هـذا النطاق فقد أحرجتنى ، ومن قال لا أدرى فقد افتى . فاذا أعجبك ما أقـول ، ورأيت فيه خيرا فاسمع مشكورا . واذا أردت التوسع فى المعرفة فسل غيرى من العلماء والفضلاء المختصين ، فهم يستطيعون افتاءك فيما تريد ، وأما أنا فهذا مبلغ علمى ولا يكلف الله نفسا الا وسعها - فاخذ الرجل بهذا القول ولم يجـد جـوابا ، وأخـذت عليه بهـذا الاسلوب سـبيل الاسترسال ، وارتاح الحاضرون أو معظمهم الى هذا التخلص .

ولكنى لم أرد أن تضيع الفرصة فالتفت اليهم وقلت لهم : يا اخوانى .. أنا أعلم تماما أن هذا الاخ السائل ، وأن الكثير من حضراتكم ، ما كان يريد من وراء هذا السؤال الا أن يعرف هذا المدرس الجديد من أى حزب هو ؟ أمن حزب الشيخ موسى أو من حزب الشيخ عبـد السميع ؟ .. وهـذه المعـرفة لا تفيدكم شيئا . وقد قضيتم فى جو الفتنة ثمانى سـنوات وفيها الكفاية . وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين . والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة . فأرجو أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الامور الآن وتجتهدوا فى أن نتعلم أصول الدين وقواعده ، ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة وارشاداته المجمع عليها ، ونؤدى الفرائض والسنن ، وندع التكلف والتعمق حتى تصـفو النفـوس ، ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأى . وحينئذ نتدارس هـذه الشئون كلها معا فى ظل الحب والثقة والوحدة والاخلاص ، وارجو أن تتقبلوا منى هذا الرأى ويكون عهدا فيما بيننا على ذلك .

وقد كان . ولم نخرج من الدرس الا ونحن متعاهدون على ان تكون وجهتنا التعاون وخدمة الاسلام الحنيف ، والعمل له يدا واحدة ، وطرح معاني الخلاف ، واحتفاظ كل برايه فيها حتى يقضي الله امرا كان مفعولا .

واستمر درس الزاوية بعد ذلك بعيدا عن الجو الخلافي فعلا بتوفيق الله. وتخيرت بعد ذلك في كل موضوع معنى من معاني الاخوة بين المؤمنين أجعله موضوع الحديث أولا تثبيتا لحق الاخاء في النفوس ، كما اختار معنى من معاني الخلافيات التي لم تكن محل جدل بينهم والتي هي موضع احترام الجميع وتقدير الجميع ، أطرقه وأتخذ منه مثلا لتسامح السلف الصالح رضوان الله عليه ، ولوجوب التسامح واحترام الاراء الخلافية فيما بيننا .

مثل : وأذكر انني ضربت لهم مثلا عمليا فقلت لهم : ايكم حنفي المذهب؟ فجاءني أحدهم فقلت : وأيكم شافعي المذهب ؟ فتقدم آخر . فقلت لهم : ساصلي اماما بهذين الاخوين فكيف تصنع في قراءة الفاتحة ايها الحنفي ؟ فقال : اسكت ولا أقرأ . فقلت : وانت أيها الشافعي ما تصنع ؟ فقال : أقرأ ولابد ـ فقلت : واذا انتهينا من الصلاة فما رايك أيها الشافعي في صلاة اخيك الحنفي ؟ فقال : باطلة لانه لم يقرأ الفاتحة وهي من أركان الصلاة . فقلت : وما رايك انت أيها الحنفي في عمل أخيك الشافعي ؟ فقال : لقد أتى بمكروه تحريما فان قراءة الفاتحة للمأموم مكروهة تحريما ـ فقلت : هل ينكر احدكما على الآخر ؟ فقالا : لا ... فقلت للمجتمعين : هل تنكرون على أحدهما ؟ فقالوا : لا . فقلت :

« يا سبحان الله !! يسعكم السكوت في مثل هذا وهو امر بطلان الصلاة أو صحتها ولا يسعكم أن تتسامحوا مع المصلي اذا قال في التشهد اللهم صل على محمد أو اللهم صل على سيدنا محمد . وتجعلون من ذلك خلافا تقوم له الدنيا وتقعد » .

وكان لهذا الاسلوب اثره فأخذوا يعيدون النظر في موقف بعضهم من بعض . وعلموا أن دين الله اوسع وايسر من أن يتحكم فيه عقل فرد أو جماعة وانما مرد كل شيء الى الله ورسوله وجماعة المسلمين وامامهم ان كان لهم جماعة وامام » أ هـ .

سابعا ـ البندان الثالث عشر والرابع عشر يتناولان الاولياء في حالتي الحياة والموت . وهذا التناول وان كان يغضب بعض المتغالين من المتصوفة فانه يقرر حقائق قررها القرآن الكريم بصريح آياته « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » ـ ولكن المعتدلين المتفقهين من الصوفية لا يجدون غضاضة في عموم هذا الفهم .

ثامنا ــ والبند السادس عشر يحذر من التلاعب بالالفاظ وخداع الجماهير بالالفاظ الجوفاء والخداع الفقهى والدجل السياسى معا الذى يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يكون نصيب الشعوب منه الا الضلال والا العبارات المغرية الجوفاء كالحرية وحقوق الانسان ، دون أن تستمع هذه الشعوب فعلا بشىء من هذه الحقوق « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام » « يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون • كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » •

تاسعا ــ مع اقرار البند الحادى عشر أن البدعة التى لا أصل لها فى الدين تجب محاربتها والقضاء عليها ، فانه قيد هذه المحاربة بسلوك أفضل الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها ــ والذى هو شر من البدعة هو أن تؤدى وسيلة محاربتها الى الخصومة والعداء والقطيعة بين المسلمين •• وهذا هو ما كان الاخوان حريصين على تفاديه ولو أدى الامر الى التغاضى بعض الوقت عن البدعة والدوران حولها من بعيد ، بدعوة صاحبها الى الالتحاق بالركب الاخوانى ، فاذا التحق لم يلبث الا قليلا حتى يرى نفسه قد أقلع ــ مقتنعا ــ من تلقاء نفسه عن بدعته •

كما أن البند الثامن كما أشرنا قد قرر مبدأ متفقا عليه هو أن الخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء ــ وجاء البندان الثانى عشر والخامس عشر فقررا أن البدعة الاضافية ــ وهى التى تضيفه شيئا لم يكن موجودا كالاحتفال بالهجرة النبوية والمولد النبوى ــ والبدعة التركية وتكون بترك سنة كان معمولا بها ، والالتزام فى العبادات المطلقة ، كالتزام نافلة فى وقت معين وان كان مسموحا بالتنفل فيه الا أن السنة لم تنص على التزام نافلة معينة فيه ، والدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه ••• كل هذه يعتبر الخلاف بشأنها خلافا فقهيا فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء •

وهنا أقول : ان نقل البدع التى أشير اليها من اضافية وتركية والتزام وتوسل من جانب الامور الاساسية الخطيرة المتعلقة بالعقيدة والتى تمس كيان الدين الى جانب الخلاف الفقهى فى الفروع ، والاقتصار فى محاربة البدعة على الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها •• هذا النقل ــ وان كان قد أغضب طائفة من الداعين الى السنة ومحاربة البدع ــ فانه فتح الباب على مصراعيه أمام أفواج ضخمة من ذوى المشارب المختلفة من المسلمين للحاق بالركب الاخوانى الذى تولاهم بأسلوبه الخاص •

وهكذا استطاع حسن البنا بهذا « الفهم » وبانتهاج هذا الاسلوب أن ينقل فى صمت وهدوء ــ الى صفوف العباد قوام الليل صوام النهار المجاهدين

فى سبيل الاسلام بالنفس والمال ــ مئات الالوف من الشباب والشيب الذين كانوا يعيشون عيشة الضياع على هامش الحياة فى اللهو واللعب ــ بل ان مجموعات كبيرة من صفوف شباب هذه الطوائف التى كانت تعترض عليه فى فهمه وأسلوبه قد استجابت أخيرا لدعوته ، بعد أن اقتنعوا بأن فهمه هو الفهم الامثل ، وأن أسلوبه هو الاسلوب الاقوم ، لجمع شمل الامة الاسلامية وسط الظروف القاسية التى تحيط بالمسلمين فى هذا العصر ٠

□ توسيع الدائرة :

اذا كنا قد اعتبرنا المنتسبين للتصوف والداعين الى الرجوع الى السنه ومحاربة البدعة طائفتين دب بينهما خلاف ، فانهما فى الحقيقة بالنسبة للطوائف على مستوى العالم الاسلامى ينتميان الى طائفة واحدة هى طائفة أهل السنة حيث الطائفة الاخرى على هذا المستوى العام هى طائفة الشيعة ٠

ولما كان المجال العملى لحسن البنا حين قام بدعوته هو مصر ٠ فلما عالجه أخذ فى توسيع دائرة عمله فاتجه الى معالجة الطوائف على مستوى العالم الاسلامى ، حيث تنتشر طائفة الشيعة فى الشام والعراق وايران وتركيا وغيرها ٠

وكانت هذه الطائفة ــ على كثرتها ــ تعيش فى عزلة تامة عن طائفة أهل السنة كانهما من دينين مختلفين ، مع أن هذه الطائفة تضم أقواما من اكرم العناصر المسلمة ذات التاريخ المجيد والغيرة على الاسلام والذود عن حياضه ٠٠ ووجه الخلاف بينهم وبين أهل السنة ينحصر فى انهم يتغالون فى حب أهل البيت رضوان الله عليهم ٠٠ واذا كان فيهم من تطرف فان فى المنتسبين الى أهل السنة من تطرف ٠٠٠ ولكن هل تظل هذه القطيعة قائمة بين طائفتى المسلمين والاسلام فى امس الحاجة الى جهد كل فرد منسب اليه للوقوف فى وجه الغارة المطبقة عليه ؟

رأى حسن البنا ان الوقت قد حان لتوجيه الدعوة الى طائفة الشيعة ، فمد يده اليهم أن هلموا الينا فانتم اخواننا فى الاسلام ٠ وهيا نتعاون معا على اقامة صرحه واستعادة مجده ٠٠٠ وقد وجدت دعوته هذه من الشيعة أذنا صاغية ، اذ اسعدهم أن يسمعوا لاول مرة منذ مئات السنين صوتا ينضح بالحب ويدعو الى الاخوة الاسلامية ٠٠ فقدم الى مصر شيخ من كبار مشايخهم فى ايران هو « الشيخ محمد تقى قمى » والتقى بحسن البنا وحسن التفاهم بينهما ٠٠ وثمرة لهذا التفاهم أنشئت فى القاهرة دار ترمز الى هذه المعانى السامية اسمها « دار التقريب بين المذاهب الاسلامية » وقامت هذه الدار بجهد مشكور فى سبيل هذا الهدف ٠

ولو كانت الظروف قد امهلت حسن البنا لتم مزج هذه الطائفة بالطوائف السنية مزجا عاد على البلاد الاسلامية باعظم الخيرات ــ ومع ذلك

فقد وضع أساس التقارب وأنجز شيء منه ، اذ زالت القطيعة الى حـد ما ، وتوحد الصوت فى المطالبة فى مختلف البلاد الاسلامية بالرجـوع الى الحـكم الاســـلامى ٠

والذى أعلمه أن هذه الدار « دار التقريب » ، لا نزال موجودة بالقاهرة لكنها فقـدت العنصـر الفعال والرجـل الذى كان قادرا على حسن توجيهها والافادة منها لخير العالم الاسلامى أعظم افادة ٠٠ ولكن حسب حسن البنا أنه اقتحم الباب المغلق ، وأرسى أساس التقارب والاتصال ٠

حسن البنا :

بين القومية والاسـلامية :

كان لابد لنا من عرض موقف حسن البنا من هـذا الموضـوع ، لان كل الزعامات التى قامت فى هذه البلاد اتخذت لها مـواقف محـددة منه ٠ وقـد أبانوا عن هذه المواقف ، فبعضهم أبان عنها فى خطب ومقالات ، وبعضهم أبان عنها فى رسائل وكتيبات وكتب وفلسـفات ٠٠ وما كان لزعيم من هـؤلاء أن يغفل الابانة عن موقفه من هذا الموضوع لان حكم الموقع والروابط الطبيعية والانسانية توجب هذه الابانة ٠

وقبل أن نعرض لموقف حسن البنا من هذا الموضـوع ، نشـير الى أن مواقف الزعماء الذين سبقوه والذين جاءوا من بعده لم تكن الا وليدة مصالح مادية ومنافـع مأمـولة ، ثم انهـا على كل حال لم تـكن مبنية الا على آراء شخصية ونظر شخصى وتقدير شخصى ، مما يجعلها مواقف محتملة للصواب والخطأ ــ أما حسن البنا فبالرغم من تفوقه على سابقيه ولاحقيه من الزعمـاء فى المقدرة على اصدار الرأى ، وفى سعة الافق ، وبعد النظر ، ورجاحة العقل ، وحسن التقدير ٠٠ فانه لم يعتمد فى تحديد موقفه على ما هو مستمتع به من هذه الميزات ، بل اعتمد مع كل هـذا على أصـل ثابت وركن ركين لا يحتمـل الخطأ ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠

فبعد أن عرضنا لفهم حسن البنا للفكرة الاسلامية واوضحنا تصـوره لابعادها ، نعرض لتصوره للوحدة القومية والوحدة العربية والوحدة الاسلامية ٠٠ وقد تولى هو بنفسه توضيح ذلك بأجلى عبارة ــ لمـا كان يـلم من أهمية هذا التوضيح ــ فى بيانه الذى ألقاه فى المؤتمر الخامس فقال :

« كثيرا ما تتوزع أفكار الناس فى هذه النـواحى الثـلاث : الوحـدة القومية ، والوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية ، وقـد يضيفون الى ذلك الوحدة الشرقية ٠ ثم تنطلق الالسنة والافكار بالموازنة بينها وامكان تحققها أو صعوبة ذلك الامكان ، ومبلغ الفـائدة أو الضـرر منها ، والتشيع لبعضها

دون البعض الآخر .... فما موقف الاخوان المسلمين من هذا الخليط من الافكار والمناحي ؟ ولا سيما وكثير من الناس يغمزون الاخوان المسلمين في وطنيتهم ، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الاسلامية مانعا اياهم من الاخلاص للناحية الوطنية . والجواب على هذا اننا لن نحيد عن القاعدة التى وضعناها أساسا لفكرتنا ، وهى السير على هدى الاسلام وضوء تعاليمه السامية ـ فما موقف الاسلام نفسه من هذه النواحي ؟

□ **الوطنية أو القومية الخاصة :**

ان الاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها ، أن يعمل كل انسان لخير بلده ، وأن يتفانى فى خدمته ، وأن يقدم فى ذلك اكبر ما يستطيع من الخير للامة التى يعيش فيها ، وأن يقدم الاقرب فالاقرب رحما وجوارا ، حتى انه لم يجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر الا لضرورة ، ايثارا للاقربين بالمعروف .

فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التى هو عليها ، وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه . ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعا لمواطنيه ـ لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين ـ وكان الاخوان المسلمون أشد الناس حرصا على خير وطنهم ، وتفانيا فى خدمة قومهم . وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد ، وكل تقدم ورقى ، وكل فلاح ونجاح ، وبخاصة وقد انتهت اليها رياسة الامم الاسلامية بحكم ظروف تضافرت على هذا الوضع الكريم . وان حب المدينة لم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحن الى مكة ، وان يقول لاصيل وقد اخذ يصفها : « ياأصيل دع القلوب تقر » ، وان يجعل بلالا يهتف من قرارة نفسه :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة ... بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنه ... وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

فالاخوان المسلمون يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار ، ولا يجدون غضاضة على أى انسان ان يخلص لبلده ، وأن يفنى فى سبيل قومه ، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وفخار . هذا من وجهة القومية الخاصة » أ. هـ

وتعليقا على حديث حسن البنا رحمه الله عن الوطنية أو القومية الخاصة أحب ان اذكر انه لولا ان طبيعة دعوة الاخوان المسلمين تقوم على أساس من التربية الروحية الاسلامية ، حيث يطالب العضو فيها بدراسة عقيدة معينة واداء عبادات محددة ـ مما لا يجوز أن يطالب به غير المسلم ـ لولا هذا لفتح حسن البنا باب العضوية فى جماعته لغير المسلمين من المصريين .

ولذا فقد كان له ــ رحمه الله ــ اصدقاء من مفكرى الاقباط وذوى الثقافات الواسعة منهم ، حتى انه لما كون فى عام ١٩٤٦ لجنة استشارية للشئون السياسية للاخوان المسلمين ضم الى أعضائها بعض كبار الساسة من الاقباط وكان منهم الاستاذ وهيب دوس عضو مجلس الشيوخ آنذاك .

□ القومية العربية :

واستأنف حسن البنا حديثه فقال :

« ثم ان هذا الاسلام الحنيف نشأ عربيا ، ووصل الى الامم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين ، وتوحدت الامم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء فى الاثر : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسى ، وانتقل الامر من أيديهم الى غيرهم من الاعاجم والديلم ومن اليهم . فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه .

واحب هنا أن أنبه الى أن الاخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه « ألا ان العربية اللسان . الا ان العربية اللسان » ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لاعادة مجد الاسلام ، واقامة دولته ، وأعزاز سلطانه ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها . وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية » .

□ الوحدة الاسلامية تمهيدا للوحدة العالمية :

ثم انتقل الى الوحدة الاسلامية فقال :

« بقى علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الاسلامية ــ والحق ان الاسلام كما هو عقيدة وعبادة هو وطن وجنسية . وانه قد قضى على الفوارق النسبية بين الناس فالله تبارك وتعالى يقول « انما المؤمنون اخوة » والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « المسلم أخو المسلم » و « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم »

فالاسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ، ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الاسلامى وطنا واحدا مهما تباعدت أقطاره ، وتناءت حدوده . وكذلك الاخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ، ويؤمنون بهذه الجامعة ، ويعملون لجمع كلمة المسلمين ، واعزاز أخوة الاسلام . ينادون بأن وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم يقول لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ثم يختتم - رحمه الله هذا البيان الرائع المحدد الواضح الصريح بقوله :

« وضح اذن أن الاخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الاساس الاول للنهوض المنشود . ولا يرون بأسا بأن يعمل كل انسان لوطنه، وأن يقدمه فى الوطن على سواه . ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية فى هذا النهوض . ثم هم يعملون للجامعة الإسلاميه باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامى العام - ولى أن أقول بعد هذا : ان الاخوان يريدون الخير للعالم كله ، فهم ينادون بالوحدة العالمية ، لان هذا هو مرمى الاسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى « وما أرسلناك الا رحمه للعالمين » .

وأنا فى غنى بعد هذا البيان عن أن أقول انه لا تعارض بين هذه للوحدات بهذا الاعتبار ، وبأن كلا منها تشد أزر الاخرى ، وتحقق الغاية منها . فاذا أراد قوم ان يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحا يميت الشعور بما عداها فالاخوان المسلمون ليسوا منهم . ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس » .



وبعد ما نقلناه الى القارىء من هذا البيان الشامل الواضح نقول : لعل قد صار جليا أن حسن البنا لا يرى الوحدة القومية أو القومية الخاصة فى الانتماء - على سبيل المثال - الى الفراعنة ولا الى الفينيقيين ولا الى الاشوريين ، فيتعالى المنتسبون الى الفراعنة على المنتسبين الى الفينيقيين. ويتطاول المنتسبون الى الاشوريين على المنتسبين الى الفراعنة وهكذا ...

ولا يرى الوحدة العربية فى الانتماء الى يعرب بن قحطان ، ولا فى الانتماء الى مكان محدد أو زمان معين ، فيتفاخر سكان اقليم على سكان أقاليم أخرى . او يستطيل الاقدمون عهدا بالعروبة على الاحدثين عهدا بها .. بل يرى أن اللسان العربى هو مقياس العروبة ، فالمتكلمون باللسان العربى حيثما كانوا هم عرب وكلهم سواء .

كما أنه لا يرى أن الوحدة القومية الخاصة والوحدة العربية هما فى ذاتهما غايتان ، بل هما وسيلتان وخطوتان فى سبيل تحقيق الهدف الاصيل وهو الوحدة الاسلامية ، تلك الوحدة التى يقربنا تحقيقها من تحقيق الوحدة العالمية .

حسن البنا والراسمالية والشيوعية والاشتراكية :

وقد يختلج فى صدور بعض القراء سؤال عن موقف حسن البنا فيما

يتصل بالمبادىء السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتصارعة ، والتى تتجاذب الشعوب فى عصرنا هذا من رأسمالية وشيوعية واشتراكية · فنقول:

انه كان رحمه الله يرى فى الفكرة الاسلامية غناء عن كل ما فى هذه الافكار من مزايا ، مع تنزه الفكرة الاسلامية عما يشوب هذه الافكار والمبادىء من عيوب ·

أما أسلوبه فى مواجهة هذه المبادىء والافكار فكان أسلوبا يبدو للنظر السطحى كأنه أسلوب سلبى ، اذ هو لا يهاجم هذه المبادىء ، وانما يفرغ جهده كله فى نشر فكرته فى أوسع نطاق ، وفى تعميق معانيها وأهدافها ومراميها فى نفوس أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب ·· وهو بذلك يرى أنه قد أوصد الابواب فى وجه هذه المبادىء وفى وجه كل فكر دخيل ·

وما من شك فى أن أسلوبه هذا الهادىء الرزين قد أثمر أينع الثمر ، وآتى أكله ، وحقق ما كان يرجو منه ، فلقد أحس أصحاب هذه المبادىء الدخيلة فعلا أن الطريق أمامهم مسدود ، وقد حاقت بهم خسائر جسيمة . الامر الذى حملهم — مع ما بينهم من تناقض كبير — على أن يتحدوا ضد هذا الداعية الصامت الجسور

على أن المبدأ الذى كان متسلطا على مصر فى تلك الحقبة من الزمن من هذه المبادىء الثلاثة كان الرأسمالية ، حيث الاقطاعات الزراعية الشاسعة والمصانع الضخمة ، والاسلام لا يمنع الاقتناء والتأثل ولكنه لا يرضى عن الظلم ·

وليس معنى أن أسلوب حسن البنا فى مواجهة هذه المبادىء كان أسلوبا هادئا أنه لم يكن هناك احتكاك بين معسكرات هذه المبادىء وبين معسكره ، بل كانت هناك احتكاكات واصطدامات فى مواطن تجمعات العمال فى مصانع الاسكندرية وشبرا الخيمة وفى بعض الاقطاعات الزراعية الواسعة فى الريف المصرى ·· لكن الاحتكاك فى كل هذه المواطن لم يكن من جانب معسكر حسن البنا وانما كان دائما من جانب المعسكر الآخر ·· فالمعسكر الآخر يعتبر مجرد استجابة نفر من العمال العاملين فى احدى وساياه أو فى أحد مصانعه الى دعوة الاخوان المسلمين والتفافهم حول فكرتهم ، يعتبرون ذلك تحديا لسلطتهم ، وتقويضا لنفوذهم ، فيشنون على هؤلاء العمال حربا لا هوادة فيها ، ويستعدون عليهم سلطات الحكومة التى كانت فى ذلك الوقت طوع اشارتهم ، خادمة لمصالحهم ·· ومن شاء أن يقرأ عن هذه الاصطدامات فليرجع الى صحف تلك الايام وان كان العرف عند هؤلاء القوم فى تلك الايام أنهم كانوا يعتبرون المظلوم ظالما والظالم مظلوما ·

ومن هذا القبيل ما جاء فى المذكرة التفسيرية للامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل الاخوان المسلمين فى البنود « عاشرا وحادى عشر وثانى عشر » فليرجع اليها القارىء ان شاء ثم ليرجع الى ما جاء عنها من تفنيد فى مذكرة الاستاذ الامام فى الرد عليها ٠

ونحب أن نلفت النظر الى أن موقف حسن البنا من هذه المبادىء وقد احتك بها أو بتعبير أدق احتكت هى به احتكاكا شديدا ـ وإن كانت فترة الاحتكاك على شدته لم تطل اذ عاجلته المنية ـ لم يكن هدفه من ذلك الاحتكاك مجرد القضاء على هذه الافكار ثم يجلس بعد ذلك يبحث عن بديل ـ كما فعل غيره ـ بل ان البديل بكل قواعده وأصوله وتفاصيله كان بيده ٠٠ ولم يكن هذا البديل ملفقا ولا مستعارا ، كما أنه لم يكن فكرة مخترعة لم يسبق لها ان وضعت موضع التجربة ٠٠ وانما كان البديل الذى بيده كاملا شاملا مجربا مضمون النجاح ، وفضلا عن ذلك فانه بديل قريب الى النفوس تنبض له القلوب ٠

ولا شك فى ان القوى العالمية صاحبة هذه المبادىء والافكار ، متضافرة مع القوى المصرية حاملة نفس هذه المبادىء والافكار ـ هى التى دبرت المؤامرة التى راح ضحيتها حسن البنا ٠

الفصـــل الثالث

حسن البنا والطائفة الخامسة
أو موقفه من الساسة والحكام

نوع السياسة الذى كان سائدا فى مصر :

قامت دعوة الاخوان المسلمين منذ قامت ومقاليد الامـور فى البلاد فى أيدى طبقة من الساسة والحكام يتداولونها بينهم ، فيختلفون حـولها تارة ويتفقون أخرى . ولكن لهم سمة عامة تميزهم عن بقية طبقات الشعب أنهم أشبه بالاجانب المستعمرين منهم بأهليهم وشـعبهم . فهم لا يعرفون عـن تاريخ قومهم مثلما يعرفون عن تاريخ هؤلاء الاجانب من الاوربيين .ويجيدون الحديث بلغات هؤلاء الاوربيين فى الوقت الـذى يجهلون فيه لغـة بلادهم . ويعتقدون انهم خلقوا ليكونوا هم وشعوبهم مسودين ، وأن هؤلاء الاوربيين خلقوا ليكونوا سادة .. ولا يشعرون فى ذلك بغضاضة .

وقد لقنهم هؤلاء المستعمرون فيما لقنوهم أن الدين معوق للتقدم عـدو للحضارة والرقى .. ولذا فالدين ــ ان كان لابد مـن تـدين ــ ينحصـر فى نظرهم بين جدران المساجد ، وللطبقة من الناس الذين انقطعت بهم السبل . ولا يجوز للدين أن يخرج عن هذه الحدود ليتصل بأمور الدنيا ، فللدنيـــا قوانينها التى سنها هؤلاء السادة الغربيون ....

واذا كان الغربيون معذورين فى فهم الدين على هذه الصورة لطبيعـة دينهم ، ولما عانوه فى خلال تاريخهم الطويل من عنت الكنيسة وتدخلهـا . شئون الناس بغير مبرر ، ومحاولة رجال الدين عندهم ان يحملوا الناس على آرائهم الشخصية بعد أن يلبسوها مسوح القداسة ، فوقفوا بذلك حائلا بين الغرب وبين نور العلم بضعة قرون ، ولم يستطع نور العلم ان ينفذ اليـهم الا بعد حروب ضروس شنوها على الكنيسة حتى قضوا على نفوذها ، والزموها حدودها التى حددتها المسيحية لها .

اذا التمسنا للغربيين العذر بعد كل هذه المعاناة ان ينظروا لدينهم هذه النظرة ، فما عذر هؤلاء الساسة المسلمين فى انتحالهم هذه النظرة نفسها الى الاسلام وطبيعة الاسلام تختلف عن طبيعة المسيحية ؟ والاسلام هو الـدين

الخاتم الذى جاء بعد أن بلغت الانسانية رشدها لينظم للناس حياتهم تنظيما يربط بين الدنيا والاخرة ، وهو دين العلم والحضارة والحياة ، ويشهد بذلك تاريخه على مدى الف عام ، وكتابه الذى نزل من عند الله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون دستورا مهيمنا على كل شئون الحياة « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ٠

قام حسن البنا بدعوته والوضع فى أمر السياسة والحكم على ما وصفنا ٠ فسلك بدعوته الطريق الذى واجه فيه طوائف الشعب الاربع بالاسلوب الذى كفل لها السلامة والنجاح والتفوق ٠ مع جمع الشمل ونشر الوعى وايقاظ الامة ٠ ولم يبق بعد ذلك أمامه من طوائف الشعب الا الطائفة الخامسة ٠٠ الطائفة المترفة – طائفة الساسة والحكام ٠٠ فماذا كان له معهم من موقف ؟

لم يخرج فى موقفه منهم عن أسلوبه الذى اتبعه مع الطوائف الاخرى ٠٠ موقف من يريد تقويم الاعوجاج ، وتصحيح النظرة ، وتطهير النفوس مما علق بها من النفاق والضعف والانانية والتخاذل ٠٠ واذا كان قد توجه بهذا الاسلوب الى طوائف الشعب الاربع الاخرى فان توجهه به الى طائفة الساسة والحكام أدعى والزم ٠٠ فبقاء نفوس هذه الطائفة على فسادها قد يحبط كل ما تم من اصلاح فى نفوس بقية الشعب ، اذ أن هذه الطائفة – على قلة عددها – بيدها ان تغرق السفينة بكل ما فيها ومن فيها ، فهى التى تتحكم فى توجيهها حيث شاءت لانها هى التى تمسك بدفتها وتقبض على زمامها ٠

وتوضيحا لما أشرنا اليه من أخلاق هذه الطائفة من الساسة فى ذلك الوقت نقتبس سطورا من مقال كتبه الاستاذ مصطفى صادق الرافعى – رحمه الله – يصف فيه هؤلاء الساسة فيقول :

« كان (م) باشا – رحمه الله – داهية من دهاة السياسة المصرية . يلتوى فى يدها مرة التواء الحبل ، ويستوى فى يدها مرة استواء السيف . ولا يرى ابدا الا منكمشا متحرزا كأن له عدوا لا يدرى اين هو ولا متى يقتحم عليه ٠ ولكنه كغيره من الرؤساء ، الذين كانوا آلات للكذب بين طالب الحق وغاصب الحق – يعرف أن عدوه كامن فى اعماله ٠

وكان ذكيا اريبا ، غير أن ملابسته للسياسة الدائرة على محورها ، جعلت نصف ذكائه من الذكاء ونصفه من المكر ، فكان فى مراوغته كأن له ثلاثة عقول : احدها مصرى ، والآخر انجليزى ، والثالث خارج من الحالين ٠

وبهذا تقدم وعاش أثيرا عند الرؤساء من الانجليز ، واستمرت مجاريه مطردة لديهم حتى بلغوا به الى الوزارة ، اذ كان حسن الفهم عنهم ، سريع الاستجابة اليهم ، يفهم معنى ألفاظهم ، ومعنى النية التى تكون وراء ألفاظهم، ومعنى آخر يتبرع هو به لالفاظهم ... فكان هو وأمثاله فى رأى تلك السياسة القديمة ، رجالا كالافكار : يوضع أحدهم فى مكانه من الحكم كما توضع صيغة الشك لافساد اليقين ، أو صيغة الوهم لتوليد الخيال ، أو صيغة الهوى لايجاد الفتنـة .

وكان صديقى (فلان) رحمه الله صاحب سره (سكرتيره) ، وقد وثق به الباشا حتى انه كان يعالنه بما فى نفسه ، ويبثه همومه وأحزانه ويرى فية دنيا حرة يخرج اليها كلما ضـاقت به دنيا وظيفته ، ويستعير منـه اليقـين أحيانا بأنه لا يزال مصريا لم يتم بعد تحويله فى الكرسى ... »

□ نوع السياسة الذى دعا اليه حسن البنا :

أراد حسن البنا أن يدعو الى سياسة تقوم على أساس وطيد من القوة والصراحة والطهر والشرف والكرامة وعلى المبادىء الخلقيه الرفيعة ــ سياسة تقوم على التضحية والبذل من قبل الحـاكم ، لا على الاسـتغلال والتأثل ــ سياسة كتلك التى سأل النبى صـلى الله عليه وسلم أحـد عمـاله (حـكام الاقاليم) عن مال عنده فقال : انه مال اهدى الى . فأمـر بعـزله وقال قولته التى وضع بها قاعدة الحكم الصالح « لو قعـد أحدكم فى بيت امـه هـل كان يهدى اليه ؟ » .

سياسة لا تجامل فى الحق ، ولا تتهـاون فى العـدل ، ولا تخشى فى الله لومة لائم ــ سياسة يحكمها دستور منزل من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يرضى للمؤمنين به الذل ، ولا يقر أحـداً أيا كان على الظلم ، وينعم الجميع فى ظله حتى غير المؤمنين به « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

فغير المسلمين من المواطنين متساوون فى الحقوق مع المسلمين بحـكم القرآن ، لا على أسس من النفاق السياسى والاهواء والمداهنة ، فاذا رضى حاكم أنصفهم واذا غضب عليهم سلبهم حقوقهم ــ واذا قامت الدولة على قواعد مقررة بصريح القرآن ــ وهو الدستور المحفوظ والمقروء والمسموع فى كل بيت وفى كل يوم ــ سادها الامـن والطمانينة والاستقـرار والسـلام الاجتماعى المنشود ــ وليس سـلام اجتماعى يقرره القـرآن الـكريم ، كذلك السـلام الاجتماعى الذى يقرره بشر تكتنفه الاهواء من كل جانب .

سياسة لا تقبل أن يعطى المسلم الدنية فى دينه ولا فى وطنه مهما اقتضاه ذلك من تضحيات براحته وماله ومصالحه ودمه « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا»

ولسائل أن يسأل : لما كان حسن البنا يعلم من خطورة بقاء هذه الطائفة على فسادها ما يعلم ، فلم لم يسارع بالتوجه بدعوته اليها من أول يوم ·

فنقول : انه كان يعلم هذا ولم يتوان عن توجيه الدعوة اليها فى كل مرحلة من المراحل ، ولكنه حين كان يفعل ذلك كان يفعله لمجرد الاعذار الى الله واقامة الحجة عليهم ، فانه كان يعلم أن قوة صوته مرهونة بقدر القطاع الشعبى الذى يتكلم باسمه ويعبر عن مشاعره ـ فكان صوته فى أول الامر يصل الى هؤلاء السادة فى بروجهم المشيدة خافتا ضعيفا لا يكاد يسمع ، ثم أخذ فى الارتفاع حتى صار آخر الامر قويا مجلجلا · وكان هذا هو السبب فى تساؤل كثير من الناس لم سكت حسن البنا عن التوجه بدعوته الى هذه الطائفة البالغة الاهمية طيلة هذه المدة الكبيرة ؟ فهؤلاء الناس لم يسمعوا صوته موجها الى هؤلاء الا يوم قوى صوته فأسمعهم وأسمع الجميع معهم فظنوا أنه قصر فى الاتصال بهم حتى اتصل بهم فجأة آخر الامر ·

□ من مراحل توجيه الدعوة الى هذه الطائفة :

فمنذ لم تكن دعوته شيئا مذكورا عمل على الاتصال بهذه الطائفة ، منتهزا الفرص العارضة والمناسبات · وناخذ ان شاء الله فى عرض صور من هذه الاتصالات مؤيدة بتواريخها ·· وقد يلاحظ القارىء أن كل صورة من هذه الصور مرتبطة بزمنها معبرة عن مرحلتها ·

١ ـ المطالبة ببناء مسجد للبرلمان :

فى ١٧ـ١١ـ١٩٣٤ أرسل باسم الجماعة خطابا الى رئيس الوزراء ووزير الاشغال يستنكر فيه « انصراف النية عن بناء مسجد البرلمان الذى قد تقرر انشاؤه » · فرد عليه وزير الاشغال بأن الوزارة قررت بناء المسجد المذكور ، واعطت المقاولة الى عبد الحميد محمد عبد الله المقاول بتاريخ ٣٠ـ١١ـ١٩٣٤ ·

٢ ـ احتجاج على النحاس باشا لتاييده أتاتورك :

وفى ١٤ـ٦ـ١٩٣٦ أرسل الى مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء خطابا يحتج فيه على تصريحه الذى نشر بجريدة « الاهرام » والذى

يقرر فيه « اعجابه بلا تحفظ بكمال اتاتورك الذى صاغ بعبقريته تركيا الحديثة » ويقول فى سياق اعجابه : « ولست أعجب فحسب بعبقريته العسكرية بل أعجب أيضا بعبقريته الخالصة وتفهمه لمعنى الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وأن تنمو » ٠

وفى سياق خطاب الاحتجاج يقول حسن البنا :

« وبعد ٠٠ فدولتكم اكبر زعيم شرقى عرف الجميع فيه سلامة الدين وصدق اليقين ٠ وموقف الحكومة التركية الحديثة من الاسلام واحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف فى العالم كله لا لبس فيه ، فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة الى الجمهورية ، وحذفت القانون الاسلامى ، وحكمت بالقانون السويسرى مع قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» وصرحت فى دستورها بأنها حكومة لا دينية ، واجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة من غير المسلم ، وان ترث المرأة مثل الرجل واصطدمت فى ذلك بقوله تعالى « للذكر مثل حظ الانثيين » ٠ وهذا قليل من كثير من موقف الحكومة التركية من الاسلام ٠

وأما موقفها من الشرق ، فقد صرحت فى وقت من الاوقات بلسان وزير خارجيتها بأنها ليست دولة شرقية ، وقد قطعت صلتها بالشرق حتى فى شكل حروفه وفى أزيائه وعاداته وكل ما يتعلق به ٠

ثم يقول حسن البنا : لهذا كان وقع تصريح دولتكم للمراسل الخاص لوكالة الاناضول التلغرافية بالقاهرة غريبا على الذين لم يعرفوا دولتكم الا زعيما شرقيا مسلما فخورا بشرقيته متمسكا باسلامه فى أمة تعتبر زعيمة الشرق جميعا ٠

ولقد اخذ الكثير ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون : هل يفهم من هذا أن دولة النحاس باشا وهو الزعيم المسلم الرشيد يوافق على أن يكون لامته ــ بعد الانتهاء من القضية السياسية ــ برنامج كالبرنامج الكمالى يتولى كل الاوضاع فيها ، ويفصلها عن الشرق والشرقيين ، ويسقط من يدها لواء الزعامة ؟ ــ وانا لنعيذ دولة الرئيس من هذا المقصد الذى نعتقد أنه ابعد الناس عنه ٠

لهذا يا صاحب الدولة ٠٠ نتوجه اليكم بهذه الكلمة ، وهى كلمة الولاء المحض والنصح الخالص والاشفاق الكبير رجاء ان تتفضلوا بالحاق هذا التصريح بما يطمئن نفوسا قلقة ، ويقر افئدة مضطربة ، ويسد الطريق امام الظنون والاوهام » ٠

٣ – معارضة المعاهدة ومطالبة الحكام بالرجوع الى الاسلام :

لما وقعت المعاهدة بين مصر وبريطانيا فى أغسطس ١٩٣٦ وقف الاخوان منها موقف المعارضة – ولما كانوا فى ذلك الوقت لا يزالون نبتة صغيرة ، فقد اكتفوا بمجرد المعارضة ، واتجهوا الى الاصلاح الداخلى باعتباره أساس بناء الامة · فوضع حسن البنا رسالة « **نحو النور** » وبعث بها الى الملك والى رئيس الوزراء والوزراء والى أعضاء مجلس النواب والشيوخ والى ملوك وأمراء وحكام العالم الاسلامى والى كثير من كبار المسئولين فى مصر وفى خارج مصر ·· يطالبهم فيها بالعودة الى نظام الاسلام ·

ورسالة « نحو النور » هى أولى الرسائل التى خاطب فيها حسن البنا الحكومة ببرنامج كامل للاصلاح فى جميع مرافق الحياة · بدأها بهذه العبارة :

يا صاحب ···

ان الله وكل اليكم أمر هذه الامة ، وجعل مصالحها وشئونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم · وأنتم مسئولون عن ذلك كله بين يدى الله تبارك وتعالى · ولئن كان الجيل الحاضر عدتكم ، فان الجيل الآتى من غرسكم · وما أعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل الرجل عن أمة : « وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وقديما قال الامام العادل : « لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتنى مسئولا عنها بين يدى الله تبارك وتعالى لم لم أسو لها الطريق » ؟ وصور الامام عمر بن الخطاب عظيم التبعة فى جملة فقال : « لوددت أن أخرج منها كفافا لا لى ولا على » ·

□ من مزايا النظام الاسلامى :

وبعد أن أشار الى أن هذه الفترة من تاريخ الامة هى فترة انتقال وهى من أخطر الفترات فى حياة الامم ، بين أن امام الامة أحد طريقين ، اما طريق الاسلام واما طريق الغرب · ثم أخذ فى توضيح مزايا الاخذ بنظام الاسلام فقال : « واننا اذا سلكنا بالامة هذا المسلك استطعنا أن نحصل على فوائد كثيرة ، منها أن المنهاج الاسلامى قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته وأخرج للناس أمة من أقوى الامم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الانسانية جميعا ، وله من قدسيته واستقراره فى نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه متى وجهوا اليه ، فضلا عن الاعتزاز بالقومية والاشادة بالوطنية الخالصة ، اذ أننا نبنى حياتنا على قواعدنا واصولنا ولا نأخذ عن غيرنا · وفى ذلك أفضل معانى الاستقلال الاجتماعى والحيوى بعد الاستقلال السياسى ·

وفى السير على هذا المنهاج تقوية للوحدة العربية اولا ثم للوحدة الاسلامية ثانيا ، فيمدنا العالم الاسلامى كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده، ويرى فينا اخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه ، وفى ذلك ربح أدبى كبير لا يزهد فيه عاقل .

وهذا المنهاج تام شامل كفيل بتقرير أفضل النظم للحياة العامة فى الامة عملية وروحية . وهذه هى الميزة التى يمتاز بها الاسلام ، فهو يضع نظم الحياة للامم على أساسين مهمين : أخذ الصالح وتجنب الضار .

فاذا سلكنا هذه السبيل استطعنا أن نتجنب المشكلات الحيوية التى وقعت فيها الدول الاخرى التى تعرف هذا الطريق ولم تسلكه ، بل استطعنا أن نحل كثيرا من المشكلات المعقدة التى عجزت عن حلها النظم الحالية وانا لنذكر هنا كلمة برنارد شو : « ما أشد حاجة العالم فى عصره الحديث الى رجل كمحمد يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فنجانا من القهوة » .

وبعد ذلك كله فاننا اذا سلكنا هذا السبيل كان تأييد الله من ورائنا يقوينا عند الوهن ، وينقذنا فى الشدائد ، ويهون علينا المشاق ، ويهيب بنا دائما الى الامام « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

□ الدور الآن دورنا :

وبعد أن تحدث عن المدنية الغربية وفشلها فى اسعاد أهلها قال : «لقد كانت قيادة الدنيا فى وقت ما شرقية بحتة ، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية ، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية الى الشرق مرة ثانية ، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة فكانت سنة الله التى لا تتخلف وورث الغرب القيادة العالمية .. وها هو ذا الغرب يظلم ويجور ، ويطغى ويحار ويتخبط ، فلم يبق الا أن تمتد يد « شرقية » قوية يظللها لواء الله ، وتخفق على رأسها راية القرآن ، ويمدها جند الايمان القوى المتين ، فاذا بالدنيا مسلمة هانئة ، واذا بالعوالم كلها هاتفة « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

ليس هذا من الخيال فى شىء ، بل هو حكم التاريخ الصادق ، اذا لم يتحقق بنا « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .. بيد أننا نحرص على أن نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة ويكتبون فى ديوان هذا الشرف « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

□ الاسلام يمد الامة بكل ما تحتاج اليه :

ثم اخذ فى اثبات أن الاسلام كفيل بامداد الامة الناهضة بما تحتاج

اليه ، فهو يمدها بالامل ويبعث فيها العزة القوميـة ويبث فيها روح القـوة والجهاد ويحثها على تصحيح الابدان كما يدفعها الى التزود بالعلم ويغرس فى نفوسها الاخلاق وينظم اقتصادها وينشر الرخاء فى ربوعها ٠

□ الاسـلام والامــل :

فتحدث عن الاسلام والامل فذكر قـول الله تعـالى « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض » وقوله تعالى « هو الذى أخـرج الذين كفـروا من اهـل الكتاب من ديارهم لاول الحشر،ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم،من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا ياأولى الابصار » ٠٠ أن أضعف الامم اذا سمعت هذا التبشير كله وقرأت ما اليه من قصص تطبيقية واقعية ، لابد ان تخرج بعد ذلك أقـوى الامم ايمـانا وأرواحا ، ولابد أن ترى فى هـذا الامل ما يدفعها الى اقتحام المصاعب مهما اشتدت حتى تظفر بمـا تصـبوا اليـه من كمال ٠

□ الاسـلام والعزة القومية :

ثم تحدث عن الاسلام والعزة القومية وذكر أن ادعاء الامم المختلفة بأنها أعظم الامم وشعار كل جنس أنه « فوق الجميع » هو تعصب للجنس وفخر كاذب ليس له ما يسنده ، لكن الامـة الاسـلامية اذا هى حققت الاهــداف الاسلامية متسامية فى شعورها عن التراب والجنسية فانها تستحق أن تكون بحكم الله خالق الناس « خير أمة أخرجت للناس » ٠

□ الاسلام والقوة والجندية :

ثم تحدث عن الاسلام والقوة والجندية فذكر قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم » وقوله تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ٠٠ ويوضح شرف غاية الجندى المسلم ودناءة غاية الاعداء فيقول « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضـعيفا » ٠ ثم وضح أن ثمن النصر للمسلمين ليس استعباد النـاس بل هـو نشر لواء الفضيلة فقال « ولينصرن الله من ينصـره ان الله لقـوى عـزيز ٠ الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعـروف ونـهـوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ٠

□ الاسلام والصحة :

ثم تحدث عن الاسلام والصحة العامة فذكر الاسس التى وضعها القرآن لاختيار القواد والزعماء فقال « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » وقوله « ان لبدنك عليك حقا - كما أن تعليماته صلى الله عليه وسلم فى تناول الطعام والشراب تضمن للمسلم الصحة والعافية . وكذلك حثه على السباحة والفروسية .

□ الاســـلام والعلم :

ثم تناول الحديث عن الاسلام والعلم فذكر قول الله تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ثم ان الاسلام قد وزن مداد العلماء بـدم الشهداء . ثم لفت النظر الى أن القرآن لا يفرق بين علم الدنيا وعلم الدين بل أوصى بهما جميعا وجمع علوم الكون فى آية واحدة وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ؟ وفى ذلك اشارة الى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالارض . ثم قال « فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها « وفى ذلك الاشارة الى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه : ثم قال : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » وفى ذلك الاشارة الى علم الجيولوجيا ثم قال « ومن الناس والدواب والانعـام مختلـف الوانه كذلك » وفيها الاشـارة الى عـلم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من انسان وحشرات وبهائم ، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئا من علوم الكون ؟

ثم يردف ذلك كله بقوله تعالى فى نهاية الآية : « انما يخشى الله مـن عباده العلماء » .

□ الاسلام والخلق :

تكلم بعد ذلك عن الاسلام والاخلاق فذكر قول الله تعالى « قد افلح مـن زكاها وقد خاب من دساها » وقد جعل القـرآن تغيـير حال الامم متوقفا على تغير اخلاقها وصـلاح نفوسها فقال « ان الله لا يغـير ما بقـوم حتى يغيروا ما بانفسهم » - وليس كالاسلام عامـلا على ايقـاظ الضمير واحياء الشـعور واقامة رقيب على النفس من النفس وذلك خير الرقباء ، وبغيـــره لا ينتظم قانون ما الى أعماق السرائر وخفيات الامور .

□ الاســـلام والاقتصاد :

وانتهى بالحديث عن الاسلام والاقتصاد فذكر قوله تعالى « ولا تؤتوا

السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ويقول فى موازنة الانفاق والدخل « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ويقول « ما عال من اقتصد » ٠

وبعد أن انتهى من توضيح مزايا النظام الاسلامى أخذ فى تحذير الساسة من الانحراف عن الاسلام واختيار تقليد الغرب ٠ وشرح لهم أن الاسلام يحمى الاقليات ويصون حقوق الاجانب ولا يعكر صفو العلاقات مع الغرب٠كما شرح لهم كيف أن أصول النهضة فى الشرق غير أصولها فى الغرب، وأومأ الى الفرق بين دين الغرب والدين الاسلامى وأن رجال الدين غير الدين نفسه ٠

وانتهى من ذلك الى حث هؤلاء الحكام والمسئولين فى مصر وفى العالم الاسلامى كله على المبادرة باتخاذ الخطوة الجريئة فى اختيار المنهج الاسلامى القويم لحكم البلاد ٠

وحتى لا تكون الرسالة مجرد مقال انشائى فقد ذيلها بخمسين مطلبا عمليا تطبيقيا من مطالب الاصلاح الداخلى : عشرة منها تناولت الناحية السياسية والقضائية والادارية ، وثلاثون منها تناولت الناحية الاجتماعية والعلمية ، والعشرة الباقية تناولت الناحية الاقتصادية ٠

وقد ختم حسن البنا الرسالة بهذه العبارة « وبعد ٠٠ فهذه رسالة الاخوان المسلمين نتقدم بها ، وانا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة اسلامية نحو الرقى والتقدم ، نجيب النداء ، ونكون الفداء ٠ ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا ، والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وحسبنا الله نعم الوكيل ٠ »

وفى خلال هذه المراحل الثلاث التى اتينا على صور مصغرة لكل منها لم ينقطع عن حث الحكومات المتتالية على مساندة قضية فلسطين مساندة فعالة، وعلى الوقوف بجانب قضايا الشعوب الاسلامية فى المغرب العربى والمشرق العربى عن طريق الخطب والمحاضرات والخطابات والمنشورات والمقالات التى تملأ صفحات ما كان يصدره الاخوان من مجلات وكتب ونشرات ٠

ولكن هل كان لهذه التوجيهات من اثر فى اتجاه هؤلاء الساسة والحكام ؟

الواقع التاريخى يلزمنا ان نقرر انه حتى هذه المرحلة من مراحل الدعوة لم يكن لنداءات حسن البنا بمختلف صورها من أثر يذكر فى اتجاه الحكومات المتتالية التى كان يتداولها الساسة المصريون ٠

٤ ـ المؤتمر الخامس أو من أعلى مئذنة :

ولكن حين قويت شوكة الدعوة ، واشتد ساعدها بعد أن دارت رحى الحرب العالمية الثانية كما بينا من قبل ـ أخذ صوت حسن البنا يجلجل فايقظ النائمين وأقض مضاجع السادة المترفين ·· ولاول مرة اخترق صوته آذانهم حين وقف على منصة المؤتمر الخامس بسراى آل لطف الله بالجزيرة فى عام ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨ يلقى بيانه الذى وضح فيه موقف الاخوان المسلمين من جميع الجهات والافكار والهيئات فى الداخل والخارج · وتعرض فيه للساسة المصريين فقال :

« والاخوان المسلمون يعتقدون أن الاحزاب المصرية جميعا قد وجدت فى ظروف خاصة ولدوافع أكثرها شخصى لا مصلحى ، وشرح ذلك تعلمونه حضراتكم جميعا · ويعتقدون كذلك أن هذه الاحزاب لم تحدد برامجها ومناهجها الى الآن ، فكل منها سيدعى انه يعمل لصلحة الامة فى كل نواحى الإصلاح ، ولكن ما تفاصيل هذه الاعمال ، وما وسائل تحقيقها ، وما الذى أعد من هذه الوسائل ، وما العقبات التى ينتظر أن تقف فى سبيل التنفيذ ، وماذا أعد لتذليلها ؟ كل ذلك لا جواب عليه عند رؤساء الاحزاب وادارات الاحزاب ، فهم قد اتفقوا فى هذا الفراغ كما اتفقوا فى أمر آخر هو التهالك على الحكم ، وتسخير كل دعاية حزبية ، وكل وسيلة شريفة وغير شريفة فى سبيل الوصـــول اليه ·

ويعتقد الاخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم ، وعطلت مصالحهم ، وأتلفت أخلاقهم ، ومزقت روابطهم ، وكان لها فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الاثر » ·

ثم قال « ان الاخوان لا يضمرون لحزب من الاحزاب أيا كان خصومة خاصة به ، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها الا أن تنحل هذه الاحزاب كلها ، وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الامة الى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم ·

« وبهذه المناسبة أقول ان الاخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الاحزاب ، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج ، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض فتعود الحرب بينهم جذعة على اشد ما كانت عليه قبل الائتلاف ـ والعلاج الحاسم الناجع أن تزول هذه الاحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التى أوجدتها ، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون »

ثم تناول بعد ذلك موقف الاخوان من الدول الاستعمارية فقال :

«الاسلام كما قدمت يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة،ويشارك بعضها بعضا فى الآلام والآمال • وان أى عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعا ـ أضحكنى وأبكانى حكم فقهى رأيته عرضا فى كتاب « الشرح الصغير » على أقرب المسالك ، قال مؤلفه « مسألة امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين » ورأيت مثله قبل ذلك فى كتاب « مجمع الانهر فى شرح ملتقى الابحر » نقلا عن كتاب « البحر » فى مذهب الاحناف ـ رأيت هذا فضحكت وبكيت • وقلت لنفسى : أين عيون هؤلاء الكاتبين لتنظر المسلمين جميعا فى أسر غيرهم من أهل الكفر والعدوان ؟ •

« أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الاسلامى واحد لا يتجزأ ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله ، هذه واحدة •• والثانية أن الاسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة فى ديارهم . سادة فى أوطانهم • بل ليس ذلك فحسب ، بل ان عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول فى دعوتهم والاهتداء بأنوار الاسلام التى اهتدوا بها من قبل •

« ومن هنا يعتقد الاخوان المسلمون ان كل دولة اعتدت وتعتدى على أوطان الاسلام دولة ظالمة لابد أن تكف عن عدوانها ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرها » •

وبعد أن تناول الدول المستعمرة دولة دولة وما فعلته كل منها بالمسلمين ختم هذا الموضوع بالعبارة الآتية :

« أيها الاخوان المسلمون ـ هذا كلام يدمى القلوب ويفتت الاكباد ، وحسبى هذه الفواجع فى هذا البيان ، فتلك سلسلة لا آخر لها ، وأنتم تعرفون هذا ولكن عليكم أن تبينوه للناس ، وأن تعلموهم أن الاسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلا عن السيادة واعلان الجهاد ، ولو كلفهم ذلك الدم والمال ، فالموت خير من هذه الحياة : حياة العبودية والرق والاستذلال • وانتم ان فعلتم ذلك وصدقتم الله العزيمة فلابد من النصر ان شاء الله « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » •

٥ ـ بيان أشبه بانذار فى المؤتمر السادس :

وبعد المؤتمر الخامس بسنتين أى فى عام ١٩٤١ عقد حسن البنا المؤتمر السادس • وقد وعدنا الاخوة القراء ـ فى الجزء الاول من هذا الكتاب فى سياق الحديث عن مؤتمرات الاخوان ـ أنه اذا يسر لنا الحصول على مرجع للمؤتمر

السادس سننقل لهم فقرات مما جاء فى كلمة الاستاذ الامام فيه ·· وقد يسر لنا ذلك والحمد لله ·· فهاكم هذه الفقرات :

يقول – رحمه الله – فى مستهل خطابه :

« واذكروا جيدا أيها الاخوة أن دعوتكم أعف الدعوات ، وأن جماعتكم أشرف الجماعات ، وأن مواردكم من جيوبكم لا من جيوب غيركم : ونفقات دعوتكم من قوت أولادكم ومخصصات بيوتكم · وأن أحدا من الناس ، أو هيئة من الهيئات ، أو حكومة من الحكومات ، أو دولة من الدول ·· لا تستطيع أن تجد لها فى ذلك منة عليكم · وما ذلك بكثير على دعوة اقل ما يطلب من أهلها النفس والمال « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ·

ويعرض لغاية الاخوان المسلمين فيقول :

« يعمل الاخوان المسلمون لغايتين : غاية قريبة يبدو هدفها وتظهر ثمرتها لاول يوم ينضم فيه الفرد الى الجماعة ··· وغاية بعيدة لابد فيها من ترقب الفرص وانتظار الزمن وحسن الاعداد وسبق التكوين ·

فأما الغاية الاولى فهى المساهمة فى الخير العام أيا كان لونه ونوعه ، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف ·

أما غاية الاخوان الاساسية ·· أما هدف الاخوان الاسمى ·· أما الاصلاح الذى يريده الاخوان ويهيئون له أنفسهم ·· فهو اصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الامة جميعا ، وتتجه نحوه الامة جميعا ، ويتناول كل الاوضاع القائمة بالتغيير والتبديل ·

ان الاخوان المسلمين يهتفون بدعوة ، ويؤمنون بمنهاج ، ويناصرون عقيدة ، ويعملون فى سبيل ارشاد الناس الى نظام اجتماعى يتناول شئون الحياة جميعا اسمه (الاسلام) ·

والاخوان المسلمون يعملون ليتأيد النظام بالحكام ، ولتحيا من جديد دولة الاسلام ، ولتشمل بالنفاذ هذه الاحكام ، ولتقوم فى الناس حكومة مسلمة ، تؤيدها امة مسلمة ، تنظم حياتها شريعة مسلمة أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم فى كتابه حيث قال « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون · انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين » ·

ثم أخذ – رحمه الله – فى تناول النظام الاجتماعى فى مصر وما فيه من فساد مستعرضا بعض نتائج هذا الفساد ·· وهنا نلفت نظر السادة القراء

الى أن الاستاذ الامام كان يلقى هذا الخطاب فى عام ١٩٤١ فهو يصف ما كان موجودا فى ذلك الوقت مما كان يجهله الشعب كل الجهل ولا يعلم عنه شيئا ـ وهذا الجزء من كلمة الاستاذ ـ رحمه الله ـ هو الذى استغرق تحضيره جهدا كبيرا وبحثا مستفيضا ووقتا طويلا أياما ذات عدد اذ نمكن من الحصول على مظان ومراجع لم تكن متداولة بين عامة الناس • وقال رحمه الله :

بعض نتائج فساد النظام الاجتماعى (الحالى) فى مصر(١)

أيها الاخــــوان ••

اننا فى أخصب بقاع الارض ، وأعذبها ماء ، وأعدلها هواء ، وأيسرها رزقا ، وأكثرها خيرا ، وأوسطها دارا ، وأقدمها مدنية وحضارة وعلما ومعرفة وأحفلها بآثار العمران الروحى والمادى والعملى والفنى • وفى بـلدنا المواد الاولية والخامات الصناعية والخـيرات الزراعيـة وكل ما تحتاج اليه أمـة قوية تريد ان تستغنى بنفسها وأن تسوق الخير الى غيرها • وما من أجنبى هبط هذا البلد الامين الا صح بعد مرض ، واغتنى بعد فاقة ، وعز بعد ذلة ، وأترف بعد البؤس والشقاء •

فماذا أفاد المصريون أنفسهم من ذلك كله ؟ لا شىء •• وهل ينتشر الفقر والجهل والمرض والضعف فى بلد متمدن كما ينتشر فى مصر الغنية مهد الحضارة والعلوم وزعيمة أقطار الشرق غير مدافعة ؟ !

اليكم أيها الاخوان بعض الارقام التى تنطـق بما يهـددنا من أخطار اجتماعية ماحقة ساحقة ان لم يتداركنا الله فيها برحمته فسيكون لها أفدح النتائج وافظع الاثار :

١ ـ الفلاحون فى مصر يبلغون ثمانية ملايين • والارض المنزرعـة نحـو ستة ملايين من الافدنة ، وعلى هذا الاعتبار يخص الفرد الواحد نـحـو ثلثى فـــــدان •

فاذا لاحظنا الى جانب هذا أن الارض المصرية تفقد خواصها لضـعف المصارف وكثرة الاجهـاد ، وانهـا لهـذا السبب تاخذ من السماد الصـناعى اضعاف غيرها من الارض التى تقل عنها جودة وخصوبة ، وأن عدد السكان يتكاثر تكاثرا سريعا ، وأن التوزيع فى هذه الارض يجعل من هذا العدد أربعة ملايين لا يملكون شيئا ، ومليونين لا يزيد ملكهم عن نصـف فـدان ، ومعظم الباقى لا يزيد ملكه على خمسة افدنة ••• علمنا مبلـغ الفقر الذى يعانيـه

---

(١) فى عام ١٩٤١ •

الفلاحون المصريون ودرجة انحطاط مستوى المعيشة بينهم درجة ترعب وتخيف ..

ان أربعة ملايين من المصريين لا يحصل أحدهم على ثمانين قرشا فى الشهر الا بشق النفس ، فاذا فرضنا أن له زوجة وثلاثة أولاد وهو متوسط مايكون عليه الحال فى الريف المصرى بل فى الاسر المصرية عامة .. كان متوسط ما خص الفرد فى العام جنيهين ، وهو أقل بكثير مما يعيش به الحمار ، فان الحمار يتكلف على صاحبه (١٤٠ قرشا خمس فدان برسيم و ٣٠ قرشا حملا ونصف الحمل من التبن و ١٥٠ قرشا أردب فول و ٢٠ قرشا أربعة قراريط عفش ذرة ومجموعها ٣٤٠ قرشا) وهو ضعف ما يعيش به الفرد من هؤلاء الادميين فى مصر . وبذلك يكون أربعة ملايين مصرى يعيشون أقل من عيشة الحيوان .

ثم اذا نظرت الى طبقة الملاك وجدتهم مكبلين بالديون اذلاء للمحاكم والبنوك . ان البنك العقارى وحده يحوز من الرهون قريبا من نصف مليون فدان . ويبلغ دينه على الملاك المصريين ١٧ مليونا من الجنيهات الى أكتوبر سنة ١٩٣٦ . وهذا بنك واحد .

وقد بلغ ثمن ما نزعت ملكيته للديون من الارض والمنازل فى سنة ١٩٣٩ (٣٤٦ر٢٥٦ جنيها) فعلى أى شىء تدل هذه الارقام ؟

٢ ـ العمال فى مصر يبلغون (٧١٨ر١٢٧ر٥) أى نحوا من ستة ملايين عامل ، يشكو التعطل منهم (١١٩ر٥١١) أى أكثر من نصف مليون لا يجدون شيئا . وهناك الجيوش من حملة الشهادات العاطلين .

فكيف يشعر انسان هذه حاله بكرامته الانسانية أو يعرف معنى العاطفة القومية والوطنية وهو فى بلد لا يستطيع أن يجد فيه القوت ؟ ولقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من الفقر ، وقديما قيل : يكاد الفقر أن يكون كفرا .. فضلا عن أن المشتغلين من العمال مهددون باستغلال أصحاب رأس المال وضعف الاجور والارهاق فى العمل . ولم تصدر الحكومات بعد التشريع الكافى لحماية هؤلاء البائسين . وقد ضاعفت حالة الحرب القائمة هذا العدد من المتعطلين وزادت العاملين بؤسا على بؤسهم .

٣ ـ شركات الاحتكار فى مصر قد وضعت يدها على مرافق الحياة والمنافع العامة . فالنور والمياه والملح والنقل ونحوها كلها فى يد هذه الشركات التى لا ترقب فى مصرى الا ولا ذمة والتى تحقق افحش الارباح وتضن حتى باستخدام المصريين فى اعمالها .

لقد بلغت أرباح شركة المياه بالقاهرة منذ تأسست فى ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٩٣٣ عشرين مليونا من الجنيهات • وقد بلغ التفريط والتهاون بالحكومة المصرية أن باعت حصتها فى أرباح الشركة فى عهد وزارة رياض باشا (وكان ناظر الاشغال حينذاك محمد زكى باشا) بمبلغ ٢٠ ألفا من الجنيهات مع أن حصتها فى صافى الربح من تاريخ البيع وهو ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٣٤ فقط مليونين ونصف مليون من الجنيهات •

ان فى مصر ٣٢٠ شركة أجنبية تستغل جميع مرافق الحياة • وقدبلغت أرباحها فى سنة ١٩٣٨ الماضية (٧ر٦٣٧ر٤٨٢) (١) جنيهـا كلها من دم المصريين الذين لا يجد نصفهم القوت • ولقد ربحت شركة مياه الاسكندرية وحدها سنة ١٩٣٨ (١٢٢ر٨٥٠ جنيها) وشركة مياه القاهرة (٢٨٤ر٨٩٢) جنيها • وهذه الشركات جميعا تخالف نصوص العقود فى كثير من التصرفات ثم لايكون التصرف معها الا متراخيا ضعيفا يفوت الفائدة على الحكومة وعلى الجمهور معا •

ولعل من الظريف المبكى أن نقول ان عدد الشركات المصرية الى سنة ١٩٣٨ بلغ احدى عشرة شركة فقط مقابل ٣٢٠ ثلاثمائة وعشرين شركة أجنبية •

٤ ـ لقد استقبلت العيادات الحكومية سنة ١٩٤٣ (٧ر٤٢١ر٣٨٣) مريضا • منهم مليون بالبلهارسيا ، وأكثر من نصف مليون بالانكلستوما ، ومليون ونصف بالرمد • وفى مصر ٩٠ فى المائة مريض بالرمد والطفيليات ، وفيها (٥٥ر٥٧٥) من فاقدى البصر • ويكشف لنا الكشف الطبى فى المدارس والمعاهد والجامعة ومنها الكلية الحربية ـ حقائق عجيبة عن ضعف بنية الطلاب وهم زهرة شباب الامة •• وكل ذلك فى أمة علمها نبيها أن تسأل الله أن يعافيها فى أبدانها وفى سمعها وفى بصرها •

ثم عرض بعد ذلك ـ رحمه الله ـ للامية ومدى تفشيها وعن انحطاط المستوى الخلقى وانتشار الجرائم التى يعاقب عليها القانون والجرائم التى لا يعاقب عليها القانون مما يخالف تعاليم الاسلام كشرب الخمر والقمار واليانصيب والسباق والعبث وغيرها • ثم قال :

□ **الداء والدواء**

أيها الاخوان •• هذه لغة الارقام ، وهذا قليل من كثير من مظاهر البؤس والشقاء فى مصر • فما سبب ذلك ؟ •• ومن المسئول عنه ؟ •• وكيف نتخلص منه ، وما الطريق الى الاصلاح ؟ •••

---

(١) قد يقدر القارىء ضخامة هذا الربح اذا تذكر ان ميزانية الدولة فى ذلك الوقت لم تكن تتجاوز أضعاف هذا الرقم •

أما سببذلك ففساد النظام الاجتماعي في مصر فسادا لابد له من علاج فقد غزتنا أوروبا منذ مائة سنة بجيوشها السياسية وجيوشها العسكرية وقوانينها ونظمها ومدارسها ولغتها وعلومها وفنونها ، والى جانب ذلك بخمرها ونسائها ومتعها وترفها وعاداتها وتقاليدها ، ووجدت منا صدورا رحبة وأدوات طيعة تقبل كل ما يعرض عليها · ولقد أعجبنا نحن بذلك كله ، ولم نقف عند حد الانتفاع بما يفيد من علم ومعرفة وفن ونظام وقوة وعزة واستعلاء ، بل كنا عند حسن ظن الغاصبين بنا فاسلمنا لهم قيادنا ، وأهملنا من أجلهم ديننا ، وقدموا لنا الضار من بضاعتهم فاقبلنا عليه ، وحجبوا عنا النافع منها وغفلنا عنه · وزاد الطين بلة أن تفرقنا على الفئات شيعا وأحزابا يضرب بعضنا وجوه بعض ، وينال بعضنا من بعض ، لانتبين هدفا ولانجتمع على منهاج ·

أما المسئول عن ذلك فالحاكم والمحكوم على السواء . الحاكم الذى لانت قناته للغامزين ، وسلس قياده للغاصبين ، وعنى بنفسه أكثر مما عنى بقومه حتى فشت في الادارة المصرية أدواء عطلت فائدتها وجرت على الناس بلاءها· فالأنانية والرشوة والمحاباة والعجز والتكاسل والتعقيد كلها صفات بارزة في الادارة المصرية ـ والمحكوم الذى رضى بالذلة وغفل عن الواجب وخدع بالباطل وانقاد وراء الاهواء ، وفقد قوة الايمان وقوة الجماعة فأصبح نهب الناهبين وطعمه الطامعين ·

اما كيف نتخلص من ذلك فبالجهاد والكفاح · ولا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة ، فنتخلص من ذلك كله بتحطيم هذا الوضع الفاسد وأن نستبدل به نظاما اجتماعيا خيرا منه ، تقوم عليه وتحرسه حكومة حازمة تهب نفسها لوطنها ، وتعمل جاهدة لانقاذ شعبها ··· ولئن فقدت الامم مصباح الهداية في أدوار الانتقال فان الاسلام الحنيف بين أيدينا مصباح وعاج نهتدى بنوره ونسير على هداه ·

ثم تحدث ـ رحمه الله ـ عن وسائل الاخوان العامة وذكر انها تتلخص في الاقناع ونشر الفكرة الاسلامية بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأى العام يناصرها عن عقيدة وايمان · ثم النضال الدستورى ثم قال :

« اما ما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجا اليه الا مكرهين · ولن نستخدمه الا مضطرين · وسنكون حينئذ صرحاء شرفاء ، لا نحجم عن اعلان موقفنا واضحا لا لبس فيه ولا غموض معه · ونحن على استعداد تام لتحمل

نتائج عملنا أيا كانت ، لا نلقى التبعة على غيرنا • ولا نتمسح بسوانـــا ، ونحن نعلم أن ماعند الله خير وأبقى ، وأن الفناء فى الحق هو عين البقاء ، وأنه لا دعوة بغير جهاد ، ولا جهاد بغير اضطهاد ، وعندئذ تدنو ساعة النصر ويحين وقت الفوز ، ويتحقق قول الملك الحق المبين « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عـــن القوم المجرمين » •

ثم تحدث ـ رحمه الله ـ بعد ذلك عن الاخوان والسياسة ووضح نوع السياسة الذى يباشره الاخوان ثم اخذ فى توضيح موقف الاخوان من الهيئات والاحزاب والحكومات المصرية ، ونجتزىء بفقرات من مما جاء فى خطابه عن موقف الاخوان من الحكومات المصرية حيث هو عنوان هذا الفصل وهـــو القضية التى نحن بصدد معالجتها مما أقتضانا أن نذكر ست مراحل لحظنا فيها مدى عناية الاخوان المسلمين بتوجيه الدعوة الى الطائفة الخامسة وهم الساسة والحكام • وكان سادس هذه المراحل هو عقد المؤتمر السادس وخطاب المرشد العام فيه • واليك فقرات من الخطاب مما جاء بهذا الصدد :

« فأما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف ألوانها فهو موقـف الناصح الشفيق ، الذى يتمنى لها السداد والتوفيق ، وأن يصلح الله بها هذا الفساد • وان كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا فى واد وهى فى واد ، ويا ويح الشجى من الخلى •

لقد رسمنا للحكومات المصرية المتعاقبة كثيرا من مناهـج الاصـلاح ، وتقدمنا لكثير منها بمذكرات ضافية فى كثير من الشــئون التى تمس صميم الحياة المصرية ••

لقد لفتنا نظرها الى وجوب العناية باصلاح الاداة الحكومية نفسها باختيار الرجال وتركيز الاعمال وتبسيط الاجراءات ومراعاة الكفايات والقضاء على الاستثناءات •

والى اصلاح منابع الثقافة العامـة باعادة النظر فى سياســة التعليم ومراقبة الصحف والكتب والسينما والمسارح والاذاعة ، واستدراك نواحى النقص فيها وتوجيهها الوجهة الصالحة ••

واصلاح القانون باستمداده من شرائـع الاســلام ، ومحـــاربة المنكر ومقاومة الاثم بالحدود وبالعقوبات الزاجرة الرادعة •

وتوجيه الشعب وجهة صالحـة بشغله النافـع من الاعمــال فى أوقات الفراغ ••

فماذا أفاد كل ذلك ؟ .. لاشىء ... وستظل (لاشىء) هى الجواب لكل المقترحات ما دمنا لا نجد الشجاعة الكافية للخروج من سجن التقليد والثورة على هذا « الروتين العتيق » ومادمنا لم نحدد المنهاج ولم نتخير لاتفاذه الاكفاء من الرجال .... ومع هذا فسنظل فى موقف الناصحين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين .

ثم نختم مقتطفاتنا من هذا الخطاب القوى الجامع بفقرة عنونها ـ رحمه الله ـ «بكلمة حق» وهى كلمة أراد أن يؤكد بها ما بدأ به خطابه وما كان هو أشد الناس حرصا عليه وهو سلامة بناء الدعوة وطهارته وتساميه عن كل ما يشوب الهيئات والدعوات فقال :

□ كلمة حق :

نحب بعد هذا أن نقول كلمة صريحة لاولئك الذين لا زالوا يظنون أن الاخوان يعملون لحساب شخص أو جماعة : اتقوا الله أيها الناس ، ولا تقولوا مالا تعلمون . واذكروا قول الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وان أبغضكم الى وابعدكم منى مجلسا يوم القيامة المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الملتمسون للبرءاء العيب » وليعلموا تماما أن اليوم الذى يكون فيه الاخوان المسلمون مطية لغيرهم أو أداة لمنهاج لايتصل بمنهاجهم لم يخلق بعد ... وأذكر أننى كتبت فى احدى المناسبات خطابا لاحد الباشوات جاء فى آخره :

« ان الاخوان المسلمون يا رفعة الباشا لا يقادون برغبة ولا برهبة ، ولا يخشون أحدا الا الله ، ولا يغريهم جاه ولا منصب ، ولا يطمعون فى منفعة ولا مال ، ولا تعلق نفوسهم بعرض من أعراض هذه الحياة الفانية ، ولكنهم يبتغون رضوان الله ويرجون ثواب الآخرة ويتمثلون فى كل خطواتهم قول الله تبارك وتعالى « ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين » فهم يفرون من كل الغايات والمطامع الى غاية واحدة ومقصد واحد هو رضوان الله . وهم لهذا لا يشتغلون فى منهاج غير منهاجهم ، ولا يصلحون لدعوة غير دعوتهم ، ولا يصطبغون بلون غير الاسلام « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .. فمن حاول أن يخدعهم خدع ، ومن أراد ان يستغلهم خسر ، ومن طمع فى تسخيرهم لهواه أخفق . ومن أخلص معهم فى غايتهم ووافقهم على متن طريقهم سعد بهم وسعدوا به ، ورأى فيهم الجنود البسلاء والاخوة الاوفياء، يفدونه بأرواحهم ، ويحيطونه بقلوبهم ، ويرون له بعد ذلك الفضل عليهم ..

أكتب لكم يا رفعة الباشا لارجاء معونة مادية لجماعة الاخوان المسلمين،

ولا رغبة فى مساعدة نفعية لاحد اعضائها العاملين ، ولكن لادعوكم الى صف هؤلاء الاخوان بعد دراستهم دراسة جدية صحيحة تقنعكم بمنهاجهم ، وتنتج تعاونكم معهم فى اصلاح المجتمع المصرى على أساس متين من الخلق الاسلامى وتعاليم الاسلام « ولله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » •

بمثل هذا الاسلوب نخاطب الناس ، ونكتب لرفعة النحاس باشا ومحمد محمود باشا وعلى ماهر باشا وحسين سرى باشا ، وغيرهم ممن نريد أن نعذر الى الله بابلاغهم الدعوة وتوجيههم الى ما نعتقد أن فيه الخير والصواب لهم وللناس •

أفيقال بعد هذا ان الاخوان المسلمين يعملون لحساب شخص أو هيئة كبر ذلك أم صغر ؟ قل أم كثر •• « لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين » ومعاذ الله أن نكون فى يوم منالايام لغير دعوة القرآن وتعاليم الاسلام • »

وبعد أن أنهينا مقتطفاتنا من الخطاب نقول . ان بيان حسن البنا فى هذا المؤتمر كان شواظا من نار ، حيث تحدث لاول مرة – بتفصيل مثير – عن الاستعمار الاقتصادى فى مصر • فكشف بذلك من عورة الاستعمار ما كان مستورا بواجهة مصطنعة من ساسة مصريين •

والمستعمرون قد يسكتون وقد يتغافلون وقد يغفرون •• اذا هاجمهم مهاجم فى سياستهم الاستعمارية فيما يمس الحريات •• بل نهم قد يتحملون اذا هاجمهم المهاجم فى احتلال جيوشهم أرضا غير أرضهم •

أما الذى لا يتحمله المستعمرون ولا يتغاضون عنه ولا يسكتون عليه ولا يغفرونه فهو أن يهاجموا فى استغلالهم الاقتصادى •• انهم حينئذ يحسون أنهم قد طعنوا فى سويداء قلوبهم ، ويشعرون أنهم أصبحوا فى موقف من يدالفعون عن حياتهم •• فيستبيحون جميع الوسائل المتاحة لهم للتعجيل بضرب هذا المهاجم والقضاء عليه قبل أن يقضى عليهم •

ذلك أن جميع أساليب الاستعمار ووسائله من احتلال الارض ، وافساد الخلق ، وبث الفرقة ، وشراء الضمائر ، وحجب العلم ، ونشر الجهل والمرض والاذلال •• كل هذه الاساليب والوسائل ما هى الا مقدمات وممهدات وخدما للوصول الى الغرض الاصيل من الاستعمار . وهو وضع يد المستعمر على مقدرات البلاد ، والتمكن من استنزاف خيرانها وحرمان أهلها منها •

لقد صبر المستعمر على حسن البنا حين هاجمهم من قبل فى اعتدائهم على حريات الشعب واحتلالهم لارضه ، وافسادهم الذمم والاخلاق مع اشارة

مجملة الى استغلالهم الاقتصادى ·· واقتصر ردهم عليه على الحد من حريته ووضع العراقيل فى طريقه — أما حين سمعوه فى المؤتمر السادس يهاجم استغلالهم الاقتصادى بتفصيل يفهمه ويتأثر به جميع الناس حتى العوام منهم — مما كانوا حريصين أشد الحرص على حجبه عن سائر الشعب — حينئذ قرروا فيما بينهم أن لا مناص من وضع خطة للقضاء على شخصه — ولكن الحرب العالمية الثانية كانت تستغرق كل جهدهم مما لا يدع لهم فرصة التفكير فيما سواها فأجلوا وضع الخطة وتنفيذها حتى تضع الحرب العالمية أوزارها ·

٦ — زيادة الزحف الشعبى ضد الاستعمار :

وماكادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها — بعد أن حاول دخول مجلس النواب مرتين — حتى رأوا حسن البنا يتقدم صفوف المطالبين بحرية مصر واستقلالها ، ويتزعم حركة مواجهة صريحة لا تعرف عوادة ، ثم رأوه يقتحم على اليهود فى مستعمراتهم المغتصبة ، ويذيقهم بأيدى رجاله ما أذيق آباؤهم من قبل بأيدى الرعيل الاول من الصحابة الكرام فى حوارى يثرب وازقتها حين خانوا ونكثوا العهود ·

تلقى العالم الغربى بيانى حسن البنا فى المؤتمرين الخامس والسادس على أنهما إعلان حرب مقدسة عليه وعلى ما هو مستمتع به من نفوذ فى العالم الاسلامى المستكين المهلهل المقطع الاوصال ·· واثبتت لهم الاحداث بعد ذلك انه كان جادا فى كل كلمة أعلنها ·

كما وقعت هذه البيانات وما صحبها وتلاها من خطوات عملية من الساسة المحليين موقع الصاعقة المزازلة ، حيث هددت بنسف مطامعهم ومصالح تواطئهم ·· فوافق شن طبقه كما يقول المثل ، وتلاحمت مصالحهم مع مصالح سادتهم المستعمرين ، واتحدت ارادتهم جميعا على سحق هذه الدعوة ، ومحو قائدها من الوجود ··· وكانت المؤامرة العالمية التى اتينا فى الفصول السابقة على ملامح منها ·

وبعـــــد :

فعودا الى السؤال الذى قد يتلجلج فى صدور كثير من الناس والذى وضعناه فى اول هذا الفصل ونصه : لما كان حسن البنا يعلم من خطورة بقاء هذه الطائفة (الساسة والحكام) على فسادها ما يعلم ، فلم لم يسارع بالتوجه بدعوته اليها من اول يوم ؟

نقول : بعد أن يستعرض السائل المراحل الست التى أتينا على لمحات خاطفة مما قام به حسن البنا من جهود فى خلالها ·· هل يجد السائل بعد ذلك فى نفسه حرجا من أن حسن البنا قد أولى هذه الطائفة من العناية ما هى حديرة به ، وهل كان هناك فضل من عناية أو مزيد من جهد حتى يكون قد أعذر الى الله فى شأنها ؟

ان جهود حسن البنا حيال هذه الطائفة من الساسة والحكام تذكرنا بقول الله عز وجل فى كتابه الكريم : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » ·

الفصـــل الرابـــع

آخر ما كتبه حسن البنا بخط يده للنشر

نشرت جريدة « المصرى » فى عددها الصادر فى اول اكتوبر ١٩٤٩ وبملء صفحتها الاولى حديثا تحت العنوان التالى :

الحديث الذى ادلى به الشـيخ حسن البنا
بعد حل الجمعية ومقتل النقراشى باشا وقبيل مقتله ببضـعة ايام

وتحت هذا العنوان كتبت : « صادفه قيام حـرب فلسـطين سلسلة من الانفجارات الداخلية والحوادث أدت الى توتر الحالة فى مصر ، وانتهت بان أصدر المغفور له دولة النقراشى باشا أمـرا عسكريا بحـل جمعية الاخـوان المسلمين ·

وزاد الامر العسكرى الحـالة توترا ، وباتت البـلاد ونذر الشر تخيم عليها ، واذا بحادث أليم يقع فيهـز أركان الوادى وهـو حادث اغتيال دولة النقراشى باشـا ·

وجاء هـذا الحـادث ليزيد الامور تعقيدا ، واشـيع فى هـذه الآونة أن الاسـتاذ الشـيخ حسن البنا مهـدد بالاغتيال ، ولذلك رأى « المصـرى » أن يستوضح فضيلته رايه فى موقفه وموقف جمعية الاخوان المسلمين بعد حلها وما يتبع الحل من حوادث جسام · فأدلى البنا رحمه الله بالحديث الخطير التالى مكتوبا بخطه ، ووقع فضيلته على كل اجابة · وقد امتنعنا عن نشره فى حينه لظروف لعلها لا تغيب عن ذهن كل قارىء » ·

وجاءت الجـريدة فى صـدر الصـفحة الاولى بنـص سـؤال منقـول بالزنكوغراف واجابة الاستاذ المرشد عليه ، والاجابة مكتوبة فعـلا بخط يده وخطه ليس غريبا على ، وبجانب التوقيع ٩ـ١ـ١٩٤٩ ·

وقد نشرت « المصرى » فى عددها الصـادر يوم ٢ من اكتوبر (اليـوم التالى)أن الرقابة ارسلت مندوبا بعد أن أرسلت اعداد اول اكتوبر الى المحطات لشحنها الى البلاد ـ لمصادرة الذى طبع · ومع أن « المصرى » استصدر امرا من النيابة بالغاء امر الرقابة ، فان اكثر الاعداد لم تصل الى البلاد وتسبب ذلك فى خسائر فادحة ، وقد أبرقت « المصرى » الى رئيس الحكومة محتجة ·

نص الحـديث

● **السؤال الاول :**

كان لما حدث للاخوان المسلمين أخيرا صداه فى مختلف الدوائر السياسية التى كانت ترقب باهتمام حركات الجماعة وآثارها فى مختلف الشئون الاسلامية والعالمية - لذلك رأينا أن نستوضح فضيلتكم فى الاسباب التى دفعت بالمسئولين فى مصر الى اتخاذ تلك الاجراءات ؟

□ **الاجابة :**

لايمكن بالتحديد أن أحصر الاسباب التى دعت الذين أصدروا هذا القرار الى اصداره . ولكن يقال ان من هذه الاسباب التحول الذى طرأ أو فى النية أن يطرأ على اتجاهات السياسة البريطانية فى الشرق . ومن المعلوم أن بريطانيا تعتبر الاخوان المسلمين قوة وطنية متطرفة ، وتعزو الى دعايتهم تعطيل مشروعات الاتفاق بينها وبين مصر .

كما يقال ان من هذه الاسباب العوامل الحزبية التى تصاحب قرب موعد الانتخابات النيابية ، اذ أنه من المعروف أن الحزب السعدى يريد أن يظفر بأغلبية برلمانية تمكنه من الاستمرار فى الحكم . ومن المعروف أن الاخوان المسلمين هم قوة شعبية ينتظر منها الصمود فى هذا الموقف ، فمن التكتيك الحزبى أن يتسوه موقفهم بمثل هذا العمل قبل حلول موعد الانتخابات الذى سيكون فى أكتوبر ١٩٤٩ مالم تطرأ عوامل على الموقف .

ويقال كذلك ان رغبة الحكومات العربية فى انهاء قضية فلسطين ولو على غير ما تريد الشعوب كان من العوامل التى أوحت الى الحكومة المصرية بهذا الموقف .

ويقال أيضا انه كان هناك من الضغوط الاجنبية مالم تستطع معه الحكومة المصرية الا أن تتخذ هذا الاجراء . وعلى كل حال فهو موقف يؤسف له ، وقد أدى الى عكس المقصود منه ، وما لم يعدل فى وقت قريب فان الامور فى الداخل والخارج لا يمكن أن تستقر على هذا الاساس من الضغط والظلم والتحدى والارهاق .

● **السؤال الثانى :**

هل تنتظرون فضيلتكم ان تقتدى الحكومات الاسلامية الاخرى بمصر فى اتخاذ اجراءات مماثلة مع فروع الجماعة ومنظماتها فى شعوبها ، أم انما هى اجراءات محلية لا تمتد الى الاخوان المسلمين بصفتها هيئة عالمية ؟

□ **الاجابة :**

لا أنتظر ذلك ، فان الاخوان المسلمين يقومون فى كل حكومة من هذه الحكومات ولكل شعب من هذه الشعوب بأجل الخدمات . ولولا أن لطبيعة دولة النقراشى باشا رحمه الله ولبعض العوامل النفسية والتصورات الخاصة التى استولت عليه أكبر الاثر فى هذا العمل لما حدث فى مصر نفسها ، ولهذا أعتقد أنها اجراءات محلية بحتة ، وسوف لا تلبث أن تزول باذن الله .

● **السؤال الثالث :**

هل ترون أن الاجراءات التى اتخذت كانت من وحى تفكير مصرى خالص أو أن هناك يدا أجنبية كان لها فى ذلك تأثير ، واذن فلمن تكون هذه اليد ؟

□ **الاجابة :**

يقال ان هناك ضغوطا أجنبية دفعت الحكومة المصرية ، وانه كان للسفير البريطانى والسفير الفرنسى والقائم بأعمال السفارة الامريكية أثر فى ذلك . وان كانت الحقيقة أن الاخوان المسلمين لا يضمرون لدولة من الدول ولا لشعب من الشعوب ولا لطائفة من الطوائف عدا الصهيونيين المحاربين الا الخير .

● **السؤال الرابع :**

ما هو مصير قوات الاخوان المسلمين المجاهدة فى فلسطين فيما لو قررت الحكومات العربية الانسحاب منها ، ومهادنة اليهود أو مصالحتهم . وهل تحارب هذه القوات تحت اشراف قوة من قوى الدول العربية أم تعمل مستقلة؟

□ **الاجابة :**

لا تزال القوات تجاهد فى مراكزها ببسالة وشجاعة وايمان . وهى تحارب الآن تحت اشراف الجامعة العربية ، ولا يمكن الآن تحديد موقفها فى المستقبل ، وان كانت القاعدة العامة أن الاخوان المسلمين جميعا قد عاهدوا الله على أن يظلوا مجاهدين فى سبيله حتى تتحرر فلسطين من عصابات الصهيونية المتحدية وتعود الى اهلها العرب .

● **السؤال الخامس :**

يشيع خصومكم فى الاوساط السياسية ان الاخوان المسلمين علاقة بالشيوعيين ، ويستدلون على ذلك بالتشابه الموجود بين بعض التشكيلات والاتجاهات فى كلتا الهيئتين . فما هو نصيب ذلك من الصحة ؟ وفيما يزعم البعض من أن دولة اجنبية تساعد الاخوان ماديا ؟

□ الاجابة :

لقد قيل مثل هذا كثيرا ، واتهم الاخوان بأنهم على صلة بالنازية من قبل ، وأن شبابهم منظم على نسق شباب هتلر ، وأن بعض تشكيلاتهم تشبه هذه التشكيلات الخ ... ولكنى أؤكد كل التأكيد أن الاخوان لم يتصلوا بأحد، ولم تساعدهم أية دولة أجنبية بشىء مادى أو أدبى ، وأنهم يسيرون على نمط اسلامى عربى مبين ، ويعتمدون على ايمانهم ومواردهم الخاصة . وهذا هو فى الحقيقة سر نجاحهم وثبات دعوتهم وجماعتهم للعواصف والاعاصير .

● السؤال السادس :

بعد الحوادث الاخيرة هل جرت اتصالات من جانبكم أو من جانب خصومكم لتسوية الموقف . وهل أنتم مستعدون للاستجابة لشىء من ذلك ؟ وما هى الاسس التى ترونها لازمة لتسوية الموقف ؟

□ الاجابة :

نعم جرت اتصالات بيننا وبين الحكومة المصرية ــ ولا أقول خصومنا ــ فاننا لم نفكر فى يوم من الايام بعقلية تستسيغ اشعال العداوة بين الوطنيين. وكل الذى نطالبه هو رفع هذه المظالم عن الاخوان ، والسماح لهم بمزاولة نشاطهم المشروع بالاسلوب الذى يستفيد منه الوطن ويخدم الاسلام . وأظن أن الاستعداد من جانب الحكومة المصرية لا بأس به ، اذ أن فى هذا الطريق وحده استقرار الامور ، وبعث الطمأنينة فى نفوس الاجانب والوطنيين على السواء .

وأحب أن أنتهز الفرصة فأوجه لنزلاء مصر من الاجانب المدنيين والسياسيين منهم هذه الكلمة :

« انهم يخطئون أشد الخطأ حين يعتقدون أن الاخوان خصوم لهم أو يتعصبون عليهم أو يريدون بهم شرا أو سوءا . وكل هذه دعايات سخيفة باطلة لان دعوة الاسلام تتنافى مع التعصب والاعتداء ــ ودعوة الاخوان هى دعوة الاسلام .. وكل ما هنا لك أن نشوب الحرب بين مصر وبين الصهيونيين ــ وموقف الكثير من اليهود المصريين أو الاجانب المقيمين فى مصر من هذه الحرب وما تميز به من برود وشماتة ووقوف عن المساعدة ــ قد أحدث حالة من التوتر بين الاخوان المتحمسين للجهاد وبين هؤلاء اليهود الذين يصرون على مساعدة الصهيونية ويطعنون مصر فى ظهرها وهى تحارب .

أما من عداهم من الاجانب أو الوطنيين غير المسلمين ــ مهما كانت عقيدتهم ــ فلم يفكر احد فى أن يمد اليهم يده أو لسانه بسوء .. وعلى هذا فمن الخير لهؤلاء الاجانب انفسهم أن يكونوا عوامل وفاق لا عوامل خصومة وخلاف بين الحكومة والاخوان . وفى هذا الخير للجميع .

● السـؤال السابع :

ماذا تنوون عمله فى المستقبل ؟ وهل تعتقدون أنه من الممكن أن يرجع الاخوان الى صيغتهم الشرعية ونشاطهم العلنى السابق ؟

□ الاجابة :

من الممكن جدا والميسور جدا كذلك أن يعود الاخوان الى صيغتهم الشرعية ونشاطهم العلنى باذن الله ، وسيكونون حينئذ من أقوى العوامل فى تربية الشعب المصرى تربية فاضلة ناضجة تقوم على أساس الايمان الصافى وتقدير الواجب ومعرفة الحقوق والتمسك بالفضيلة والمثل الانسانية العليا المستمدة من الاسلام الحنيف ، وهو خلاصة ما جاء به الانبياء والمرسلون والكتب من شرائع وتعاليم ٠

● السـؤال الثامن :

ماذا تنتظرون من آثار فى قضية فلسطين لما انكشف للحلفاء الغربيين أخيرا وكان له تأثير على الرأى العام فى الشعوب الديمقراطية من مساعدة الروسيين ومن يدور فى فلكهم لليهود بالمال والسلاح ؟

□ الاجابة :

ننتظر أن تعدل حكومات الغرب عن خطتها فى معاونة الصهيونيين ٠ ولو أن هذا التنبيه جاء بعد فوات الفرصة ٠ وهذا اذا كان المنطق والمصلحة الحقيقية ـ لا الدعايات الصهيونية واغراءات اليهودية العالمية المختلفة ـ هما اللاذان يؤثران فى هذه الحكومات ٠

● السـؤال السابع :

حدثت تغييرات فى الحكومات العربية أخيرا فى وقت كان المنتظر فيه استقرار الحكم فى البلاد العربية ٠ فما رأيكم فى ذلك ؟ وعلام يدل ؟

□ الاجابة :

اظن أن ذلك من الامور الطبيعية فى مثل هذه الظروف ، فان تطورات قضية فلسطين ومفاجآتها وشدة حساسية الشعوب بكل ما يطرأ من هذه التطورات ، مع مفاجآت السياسة البريطانية الدائبة ـ كل ذلك يجعل مثل هذه التغيرات أمورا عادية ٠ وهو لا يدل على شىء فيما نعتقد الا على أن سياسة الحكومات العربية ما زالت الى حد بعيد مرتجلة ، وخاضعة للتاثير البريطانى ، بعيدة عن مطالب الشعوب ومشاعرها الحقيقية ٠٠ وهو ما يؤسف له ٠ ولابد من النظر فى علاجه بوضع سياسات ثابتة مستقرة تستمد من روح الشعب وحسن توجيهه والاعماد عليه ٠ »

الفصـــل الخــامس

حسن البنا وكبار الدعاة في العالم الاسلامي في العصر الحديث

لا ينبغى فى القاء نظرتنا الاخيرة على حسن البنا أن نغفل امرا ذا بال . هو أن نقيم أسلوبه فى الدعوة مقيسا بأساليب كبار الدعاة الذين قاموا بأعباء الدعوات فى انحاء العالم الاسلامى فى خلال هذا القرن الذى نعيشه ٠٠ وقد يكون ابرز هؤلاء الدعاة هم :

أولا ـ السيد جمال الدين الافغانى :

وهو رائد الدعاة فى هذا القرن ، واحد أفذاذ العلماء وأئمة الدعاة ـ نشأ فى القطاع غير العربى من العالم الاسلامى ، وحمل لواء الفكرة الاسلامية الى كثير من الاقطار الاسلامية وغير الاسلامية ـ وحضر الى مصر وأقام بها مدة ٠٠ وتتلمذ على يديه ، وتلقى عنه فكرته رعيل من كبار المفكرين وعلية القوم ، منهم الشيخ محمد عبده وسعد زغلول والامير محمد توفيق الذى صار بعد ذلك خديوى مصر وتنكر لاستاذه وناصبه العداء واخرجه من مصر ٠

وانتقل السيد جمال الدين أخيرا الى الاستانة حيث يقال انه قد دس له السم فى طعامه بتدبير من الطبقة الحاكمة فذهب الى ربه يشكو ظلم الظالمين ٠٠ وكان ـ رحمه الله ـ آية من آيات الله حاد الذكاء ، قوى الحجة ، سريع الخاطر ، عميق الايمان بفكرته ـ وقد اصدر مجلة « العروة الوثقى » التى جعل تلميذه محمد عبده رئيسا لتحريرها ٠

ثانيا ـ الشيخ محمد عبده :

واذا ذكر الشيخ محمد عبده لزم ذكر الثورة العرابية ، فلقد كان أحد أركانها ، وقد نفى مع من نفى من قادتها الى خارج مصر ـ واشتراك محمد عبده فى ثورة عرابى يدل على أن الفكرة التى تلقاها تلامذة السيد جمال الدين منه عن شمول الفكرة الاسلامية لكل شئون الحياة هى التى جعلت هؤلاء التلاميذ يرون أن الشئون العسكرية جزء من هذه الفكرة ٠

ولا شك فى ان الثورة العرابية فى ذاتها لم تكن الا ثمرة من ثمرات التعاليم الاسلامية التى بثها السيد جمال الدين فى اذهان الصفوة من القادة الذين كانوا يلوذون به ويستمعون الى احاديثه ٠

وهذه الثورة بعد أن فشلت ـ لاسباب ليس هنا موضع ذكرها ـ قد تناولها الكتاب والمؤرخون تناولا مشبوها ، اذ أخذوا ما أخذوه عنها من أفواه الاعداء المغرضين ، الذين كان همهم الاول أن يفصلوا هذه الثورة عن الفكرة الاسلامية التى أوحت بها ٠٠ مع أن قائد هذه الثورة ـ أحمد عرابى ـ قد وضع كتابا سجل فيه أطوار حياته منذ ولد ٠٠ وقارىء هذا الكتاب حين يقرأه يشعر بأن الفكرة الاسلامية كانت قوام حياة هذا الرجل ، وبأن كل ماتمخضت عنه حياته من أعمال لم تكن الا من وحى هذه الفكرة ٠ وحسب القارىء أن يعلم أن الكلمة التى أثرت عن أحمد عرابى والتى أجمل فيها كل ما يضطرم فى نفسه من مشاعر دفعته الى هذه الثورة هى قوله مخاطبا الحكام فى شخص الخديوى « كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » وهى هى نفس الكلمة التى قالها عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص أمير مصر حين ضرب ابنه ابن المصرى بغير جريرة ٠

ونرجع الى السياق فنقول : ان محمد عبده ـ بعد أن عاد من منفاه ـ عاد بفكرة جديدة ، متأثرة بما لقيه فى منفاه من اذلال واعنات ، تلك أنه صار يرى أن السبيل الاقوم لتحقيق الفكرة الاسلامية هو تعليم الشعب وتربيته دون اقتحام ميادين أخرى ٠٠ وأخذ فى العمل لهذه الفكرة حيث أنشأ هو وتلميذه السيد محمد رشيد رضا مجلة « المنار » التى أدت دورا لا ينكر فى توضيح الفكرة الاسلامية ، وتثقيف طبقة من الشعب ثقافة اسلامية مستنيرة ٠

كما حاول اصلاح الازهر باخراجه عن جموده فى بعض مناهجه الدراسية التى كانت تقطع الدارسين فيه عن المنابع الاصلية من القرآن والسنة والوقوف بهم عن آراء المتأخرين ومؤلفاتهم ٠٠ وقد آتت هذه المحاولة بعض الثمار ٠

ثالثا ـ مصطفى كامل :

أنشأ مصطفى كامل « الحزب الوطنى » الذى ـ مهما اختلفت الصور التى فى أذهان الناس عن فكرته ـ فان فكرته الاصيلة التى قام على أساسها ، وظل مصطفى كامل ـ ما عاش ـ ملتزما بها ، لا يحيد عنها ـ هى الفكرة الاسلامية ٠٠وقد أشرت الى ذلك ببعض التوضيح فى موضع سابق من هذا الكتاب ٠

وبدأ مصطفى كامل فى تنفيذ فكرته بجمع أكبر عدد من كبار الوطنيين فى القاهرة ، حيث كون منهم ادارة الحزب ٠ واعتمد على خطب قوية رنانة واجه فيها الاستعمار مواجهة صريحة لا هوادة فيها ، وعلى مقالات نارية تعتبر صدى لهذه المواجهة فى جريدة اللواء التى أنشأها ـ كما أنه اعتمد أيضا

على جولات له فى فرنسا وبعض البلاد الاوربية التى خلالها خطبا مثيرة عن فضائح الاستعمار البريطانى أملا فى كسب رأى عام للقضية المصرية ضد انجلترا ٠

ولم تتح له - رحمه الله - فرصة أن يولى مختلف أقاليم البلاد نفس العناية التى أولاها العاصمة ٠٠ ومع ذلك فقد كان لخطبه ومقالاته وجريدته تأثير كبير فى الرأى العام فى الاقاليم ٠ ولكن هؤلاء المستجيبين والمعجبين لم يجدوا من ينظم صفوفهم ، ويثقف عقولهم ، ويتعهد نفوسهم ، وينشىء منهم أمة متراصة واعية ذات عقيدة راسخة٠٠ فلما مات مصطفى كامل أو بالاحرى لما اغتاله الاستعمار فى عنفوان شبابه ، لم يجد أتباعه ومحبوه ما يعتصمون به من فكرة بلغت من نفوسهم مبلغ العقيدة ٠٠ فتفرقوا وتوزعتهم الافكار الاخرى والمبادىء البراقة المزيفة ٠

رابعا - سعد زغلول :

وهو ممن تلقوا عن السيد جمال الدين أيضا ، غير أنه اتخذ لنفسه أسلوبا بعد به عن فكرة أستاذه ، حيث اكتفى بالناحية السياسية المجردة منفصلة عن الدين - مع أن سعدا كان أزهريا - ففقدت هذه الناحية بذلك روحها ومسخت ٠٠ فبعد أن كانت السياسة نضالا ومواجهة وتضحية،صارت استجداء وقناعة بفتات موائد العدو - وقد سبق أن جلينا وصف هذا الانحراف فى فصول سابقة ٠

خامسا - الدعوة الوهابية :

وقد قام بأعبائها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نجد بالجزيرة العربية٠ وقد رأى أن الناس فى العالم الاسلامى قد انتشرت بينهم البدع والخرافات حتى كادت تحجب حقيقة العقيدة الاسلامية وتذهب بوضاءتها ، وكادت تنحرف بهم الى الشرك ٠٠ فدعا الى الرجوع للكتاب والسنة والى تطهير العقيدة الاسلامية مما علق بها من خرافات ٠ فاستجاب له خلق كثيرون من أهل نجد ٠ وكان ممن استجابوا له أمير نجد فى ذلك الوقت وكان من آل سعود، الذين آل اليهم بعد ذلك ملك الجزيرة العربية ٠٠ فاكتسبت دعوته بذلك قوة اد صارت لها دولة تقوم على أساس من فكرتها ٠

ومع أن فكرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكرة سليمة ، فان ما نهجه قلة من غير الناضجين من دعاتها من وسائل تجنح الى التغالى فى بعض الاحيان والى التطرف ، وعدم سلوك أساليب تقوم على التفاهم والود ٠٠ قد نفر الكثيرين منها فى أول الامر حتى رمى بعضهم بعضا بالكفر ومما يؤسف له ان القلة المتطرفة تجنى دائما على الدعوة المنتسبة اليها وتشوه سمعتها

وتكون حائلا بين الناس وبين معرفة حقيقة الدعوة ··· ولكن بمرور الايام تضاءلت هذه القلة غير الناضجة حتى لم يعد لها وجود الآن بين الدعاة ·

سادسا ـ الدعاة فى المغرب العربى :

فى الوقت الذى كان المشرق العربى تتنازعه تعاليم الافغانى من ناحية ، واغراء الحضارة المادية الاوروبية من ناحية أخرى ، تحت وطأة الاحتلال البريطانى فى مصر والسودان والعراق ، والاحتلال الفرنسى فى بلاد الشام ـ كان المغرب العربى يرزح تحت وطأة أقدام ثقال من احتلال فرنسى وايطالى غاشم مصر على القضاء على الاسلام عن طريق قطع الصلات بين هذه الشعوب المسلمة وبين القرآن والتراث الاسلامى ، بانساء هذه الشعوب اللغة العربية واحلال اللغتين الفرنسية فى الجزائر وتونس ومراكش والايطالية فى ليبيا ··· فقام مصلحون لمقاومة هذا التيار المخرب وكان على رأسهم :

١ ـ فى الجزائر : عبد الحميد بن باديس :

كانت وسيلته انشاء المدارس لتعليم الشعب اللغة العربية والقرآن ـ وقد لقى هو وأعضاء الجمعية التى يرأسها ـ فى سبيل النهوض بهذا المشروع ـ عنتا وظلما ومطاردة من السلطة الفرنسية ·· ولكنهم بثباتهم ومواصلة الجهود والتضحيات استطاعوا أن يحفظوا لهذا الشعب المغربى هويته وعروبته وشخصيته المسلمة ·

وقد يجهل أكثر القراء اسم عبد الحميد بن باديس ولا يعرفون الا أسماء أحمد بن بيلا وبومدين واخوانهم ·· وهؤلاء ممن لا يجحد فضلهم فى تحرير الجزائر ·· لكن هؤلاء جميعا قد نشأوا فى مدارس عبد الحميد بن باديس ، وأشربوا الروح الاسلامية فيها · ولولا تنشئتهم فى هذه المدارس لما أحسوا بالانتماء الى الاسلام والعروبة ·· هذا الانتماء الذى كان المحرك الاول للثورة ··ولولا هذه التنشئة لفقدوا هم وجيلهم الشخصية المستقلة عن فرنسا ، وان كان بن بيلا وبومدين قد حادا بعد ذلك عن الطريق الصحيح واتجها نحو دخيلة سموها الاشتراكية ·

٢ ـ فى ليبيا ـ الدعوة السنوسية :

قامت فى ليبيا الدعوة السنوسية ، وهى فى مظهرها طريقة صوفية تأخذ المنتسب اليها بأسلوب يجمع بين التربية الروحية والتربية العسكرية · وتقوم بانشاء « زوايا » وهى مساجد صغيرة فى الاماكن النائية وخارج المدن · وفى هذه الزوايا يتلقى المريدون عن شيوخهم البرامج المعدة لتربيتهم التربية التى اشرنا اليها ·

وقـد انتشرت هـذه الزوايا فى أنحـاء ليبيا انتشارا أقـض مضـاجع المستعمرين الايطاليين الذين كانوا يستظلون فى احتـلالهم هـذه البلاد بظل وارف من الرعاية البريطانيـة المجـاورة لهم فى عصر ، فقـام الاستعماران الايطالى والبريطانى بشن حرب غادرة على هؤلاء المجاهدين حتى قضوا عليهم، بعد أن استباحوا الحرمات ، وارتكبوا أفظع الجرائم الوحشية ٠٠ وقد أبلى المجاهدون فى خلال هذه الحرب غير المتكافئة أعظم بلاء ، وسجل التاريخ لهم بطولات خارقة ٠

وكان أشهر رجال الاسرة السنوسية التى أنشأت الدعـوة وخـرجت هؤلاء الابطال السيد أحمد الشريف السنوسى الذى كان الاستعمار البريطانى يعتبره فى ذلك الوقت الد أعدائه ٠

□ **موقف حسن البنا من هؤلاء الدعاة :**

ليست القيادات التى أتينا على ذكرها فى هذه العجالة هى كل القيادات التى حملت اللواء فى العالم الاسلامى خلال هذا القرن ، بل هناك قياداتأخرى لها وزنها قامت بحركات عظيمة فى المغرب وايران والهند والقارة الافريقية ٠ ولكننا اجتزانا بمن ذكرنا من قيادات باعتبار أن الاماكن التى قامت فيها هذه القيادات هى منابر ترنو اليها أنظار العالم الاسلامى كله ، ولهـا صدى فى آذان المسلمين فى كل مكان ٠

والآن ، وعلى ضوء ما ألمحنا اليه من هذه الدعوات والافكار والاساليب ، نستطيع ان نتبين أين هى دعوة حسن البنا بين هذه الدعوات ، وما وضـع شخصيته بين هذه الشخصيات ٠٠٠ انه عاصر بعضها فى صغره ، وقرأ عن البعض الآخر ، ودرس هذه وتلك دراسة عميقة واعية ، بعقلية الداعية المؤهل الموهوب ، فعرف مواطن القوة فى كل منها ، وألم بمواطن الضعف ٠٠ وأخـذ بعد ذلك فى تحديد خطته ، مستلهما توجيه القرآن ، وخطوات النبى صلى الله عليه وسلم ، غير متجاهل الاوضاع العالمية وواقع الشعب الذى يعيش فيه ٠٠ فتجنب فى خطته التى رسمها مواطن الضعف فى تلك الدعوات وأخـذ بنواحى القوة فيها ٠٠٠ وقد نستطيع تصوير هذه الخطة فى النقاط التالية :

الاولى – وجد أن اقتصار السيد جمال الدين – فى توجيه دعوته – على القادة وكبار القوم ، دون توجيهها الى جماهير الشعوب ، قد جعل نجاح الدعوة أو فشلها متوقفا على مزاج هؤلاء القادة والكبراء ، الذين يعيشـون – عادة – فى حماة الفتنة : أمام تلويح المستعمر لهم باغـراء المناصب والمـال وبعصـا الانذار والارهاب ٠ وقلما يستطيع الفرد منهم – فى بلد مستعمر – أن يتحرر من هذا الشعور المسلط عليه بين اونة وأخرى ٠٠ وقد وضح ذلك فى انقـلاب الامير محمد توفيق على السيد جمال الدين بعد أن خلع الانجليز والده اسماعيل

عن العرش ونصبوه بعده ــ كما وضح فى انحراف سعد زغلول عن خطة استاذه حين بهرته أبهة الزعامة فهادن العدو وميع قضية الاستقلال .

وتوجيه الدعوة الى القادة والكبراء ليس مما يعاب على السيد جمال الدين ، فكل صاحب دعوة يتمنى أن يختصر الطريق ، ويتصور أنه اذا أقنع علية القوم فقد أقنع من وراءهم . حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى ذلك وحاوله حتى عاتبه القرآن فى اهتمامه بالكبراء وتقديمهم على الضعفاء من غمار الناس بقوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره » .

فخالق الناس يعلم أن الاعتماد على الكبراء ــ مع ما يتنازعهم من أهواء وآمال وفتن ــ لا يحقق ما يتمناه الدعاة الى الخير من اختصار الطريق فى نشر دعوتهم بل قد يؤدى الى عكس ما يتمنون .

لهذا ركز حسن البنا جهوده على الاتصال بالجماهير ، فوجه الدعوة اليهم وخالطهم وتفاهم معهم وأقنعهم وامتزج بهم وكون منهم قاعدة عريضة لدعوته .. . واذا كانت سيطرة المستعمر وعملائه على الكبراء وذوى المناصب سهلة المنال ، فان هؤلاء المستعمرين قد يعجزون عن بسط سيطرتهم على هذه القطاعات العريضة من الجماهير فى مختلف البلاد ومختلف الطبقات .

الثانية ــ لم يقتصر فى اتصاله بالجماهير على أسلوب الخطابة الذى ــ مهما كان بليغا ــ فان اثره لا يعدو أن يكون سطحيا ومؤقتا ، بل قد أولى الجانب الاكبر من اهتمامه أسلوب الاتصال الشخصى بأولئك الذين تأثروا بخطابته ، فجلس معهم ، وتناقش واياهم ، وتوسع فى الحديث معهم ، وآخى بينهم ، وربطهم بمكان يجتمعون فيه ومواعيد يلتقون فيها ــ فعالج بذلك النقص الذى فكك أوصال الحزب الوطنى بعد وفاة مؤسسه مصطفى كامل .. ولا ننسى أن نذكر أن برنامج مصطفى كامل رحمه الله وان كان هدفه اسلاميا فانه لم يكن للتربية الروحية فيه الوضع الذى يتناسب مع أهميتها .

الثالثة ــ لم ير حسن البنا فى أسلوب التعليم والتثقيف الوسيلة الوحيدة للنهوض بأعباء الدعوة الاسلامية ، بل اعتمده ضمن مجموعة من الاساليب التى لا غنى عنها . فقد رأى فى الاقتصار على هذه الناحية دون المشاركة فى جميع مسئوليات الامة ومشاكلها فى مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية جنوحا بالثقافة والعلم الى الفلسفة والعقم ، وحرمانا للامة من جهود أبنائها فى مطالبها الملحة ــ خالف فى ذلك الشيخ محمد عبده بعد رجوعه من المنفى .

ويجدر بنا هنا أن نلفت نظر القارىء الى أن حسن البنا حين اختلف مع محمد عبده فى اقتصاره على اسلوبه التعليمى لميكن متناقضا مع نفسـه حين أيد عبد الحميد بن باديس فى أسلوبه التعليمى ، ذلك أن الظروف فى الجزائر كانت مختلفة عن الظروف فى مصر ٠٠ فلقد كان الاستعمار الفرنسى يحـاول فرنسة الشعب الجزائرى وجعله جزءا من الشعب الفرنسى وان تكون الجزائر امتدادا أرضيا لفرنسا ٠ ورأى هذا الاستعمار أن السبيل الوحيد لتحقيق هذا الهدف لا يمكن الا بالقضاء على اللغة العربية واحلال اللغة الفرنسـية محلها باعتبار اللغة العربية هى لغة القـرآن فاذا قضى عليها انقطعت الصـلة بين الشعب الجزائرى وبين القرآن وهنا تسهل الفرنسة ٠

وأمام هذا الاسلوب وهـذا الهـدف كانت الوسـيلة الوحيـدة لعـرقلة الاسلوب الفرنسى واحباطه هى العمـل على نشر اللغة العـربية ، وتعليمها للشعب بانشاء المدارس لهذا الغرض ٠ وهو ما فعله عبد الحميد بن باديس وواجه فى سبيله الاهوال ، ولكنه نجح فيه واستطاع أن يحفظ بذلك للشعب الجزائرى عروبته واسلامه ٠

ولهذا فان حسن البنا كان يؤيد هذه الخطة فى الجزائر وكثيرا ما يبعث بالرسائل والبرقيات لشـد ازر السيد عبد الحميـد كما كان يكتب المقـالات الضافية فى مجلة الاخوان لهذا الغرض ويعلن الاحتجاجات على السلطـات الفرنسية لمصادرتها لمدارس السيد عبد الحميد واضطهاد رجاله العاملين معه ٠٠ وفى ذلك الوقت لم يكن احد من المصريين شعبا وحكاما يحس بما يجرى فى الجزائر ولا يعير ذلك ادنى اهتمام ٠

وغنى عن الذكر أن نقول ان الاسلوب البريطانى فى استعماره لمصر كان مغايرا للاسلوب الفرنسى فى الجزائر اذ كان الاسلوب البريطانى يولى جل اهتمامه الى تغيير النفس المصرية من داخلها بطـرق مغـرية هادئة تتسرب اليها دون أن تحس ودون ان تشعر هى ولا غـيرها بقسر أو ارغام ٠٠ وهـذا الاسلوب اخطر فى آثاره من الاسلوب الفرنسى ومقـاومته أصعب بكثـير من مقاومة الاسلوب الفرنسى ٠

الرابعـة ـ تجنب حسن البنا الفصـل بين السياسـة والدين ، حتى لا تتحول السياسة الى أشكال ومظاهر قائمة على أهـواء الزعمـاء وأغـراض الحكام ٠ بل جعل السياسة نابعة من الدين ، متفرعـة عنه ٠ فحـاطها بذلك بسياج متين كان وقاية لهـا من الانحـراف والتفريط والخـداع ، فصـارت السياسة بذلك سياسة ذات حدود واخـلاق ، لا تعطى الدنية فى الدين ولا فى

الاهل ولا فى الوطن ـ فعدل بذلك مسار السياسة ـ بعد أن انحرف بها سعد زغلول ـ فصارت مع العدو مواجهة وعداء بعد أن كانت تذللا واستجداء ٠

الخامسة ـ سبق أن تحدثنا عن موقف حسن البنا من موضوع البدع وطريقته فى تنقية الدين منها بالالتفاف حولها وتطويقها من باب خلفى ، دون الوقوف من أصحابها موقف التحدى والرمى بالشرك والنعت بالكفر الذى يخلق العناد والتعصب ، ويقطع الصلة ، ويقضى على فرص التفاهم بينهما ـ وبذلك تجنب العيب الذى شاب طريقه بعض دعاة الوهابيين التى أوجدت دعوتهم عند كثير من الناس حجبهم هذا النفور عن أن يدرسوا هذه الدعوة ليعرفوا حقيقتها ٠

السادسة ـ أخذ من الطريقة السنوسية أسلوبها فى التربية الروحية الممزوج بروح الفتوة والقوة ٠ أو بمعنى آخر بأسلوب تربوى ،يطهر النفس ويزكيها ، تطهيرا يعدها لحمل أثقل التبعات ، ويؤهلها للتضحية بالنفس والمال فى سبيل الله ٠

السابعة ـ بقى أن نقول ان هناك طائفة من أرباب اللسان والقلم الذين ألهبوا المجتمعات بخطابتهم ودبجوا المقالات وألفوا الكتب وانشدوا القصائد التى اذكت نار السخط على المستعمرين فقامت ثورات وهبت انتفاضات فى عدة أنحاء من العالم الاسلامى ٠ وكان على رأس هؤلاء محمود سامى البارودى والامير شكيب أرسلان ومحمد اقبال ورفيق العظم وعبد الرحمن الكواكبى ومصطفى لطفى المنفلوطى وعبد الله النديم وعلى الغاياتى ومصطفى صادق الرافعى وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم وأبو القاسم الشابى ٠

وهؤلاء وان استطاعوا اشعال هذه الروح فترة من الزمن ، فانهم كانوا مجرد عنصر مساعد لاقادة بالمعنى المفهوم ، فكان هؤلاء عادة يعملون فى ركاب كبار الدعاة باعتبارهم أحد العناصر الفعالة فى نشر الافكار واثارة العواطف واعداد النفوس والعقول لتلقى التوجيهات والاخذ بالبرامج التى تصدر عن القادة ٠

وعناية حسن البنا بهذه الطائفة كانت عناية فائقة ، فهو نفسه كان خطيبا مفوها وكاتبا مبينا وأديبا مفتنا ٠ وقد طالع ما كتبه هؤلاء الرجال ودرس ما تركوه من آثار ثم جعله ضمن برنامج الدراسة لاعضاء كتائب الاخوان ٠٠

وقد نشأ فى ظل دعوة الاخوان المسلمين جيل لا حصر له من الكتاب والخطباء والشعراء ٠ ولا أعتقد أن دعوة من الدعوات أيا كان هدفها قد أثرت

بمثل هذ العدد الذى بلغ الشاو فى فنون الادب بأنواعها ، ولم يكن ذلك كله الا بوحى من هذه الدعوة التى ملكت على المؤمنين بها مشاعرهم ٠٠ وقد أظلم نفسى وأظلمهم اذا أنا حاولت ان أسرد أسماءهم فى هذه العجالة ٠٠ واذا كانت الدعوات الاخرى قد اقتصر وجود طائفة أرباب القلم واللسان فيها على القاهرة ودمشق والاسكندرية وغيرها من العواصم ، فان هذه الطائفة فى دعوةالاخوان المسلمين قد نبتت وأينعت وأثمرت فى كل مكان نفذت اليه أشعة هذهالدعوةحتى فى أحشاء القرى والدساكر ٠٠ وما أحوج هذه الطائفة الى من يجمع ثمرات قرائحها وينشرها كما نشرت ثمرات قرائح سابقتيهم ٠

وهكذا جاءت دعوة حسن البنا مزيجا من محاسن كل ما سبقها مندعوات متجنبة كل مواطن الضعف فيها ٠ فكانت دعوته كما وصفها بنفسه فى خطابه فى المؤتمر الخامس عام ١٩٣٨ ٠

« دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية » ٠

موجهة الى جماهير الشعب ، وقائمة على أساليب من التفاهم والتآخى والاعداد والتكوين والتوجيه ٠

□ أسلوب عف كريم :

وقد يلتحق بهذا الفصل أن نشير الى أسلوب حسن البنا فى التعامل مع سلف هذه الامة الاسلامية من القادة فنقول : انه ــ رحمه الله ــ لم يكن ممن يحرصون على تتبع عورات الرجال ، ولا ممن يسعون الى عد مساوىء الناس٠ وكانت نظرته الى هؤلاء السلف من الدعاة النظرة العامة المجملة فيأخذ الرجل منهم بمجمل حياته لا بتفاصيلها ، أعنى بذلك أنه كان حين يعلم بموطن ضعف فى أحدهم لا يتخذ ذلك ذريعة الى التشهير به والتنديد بهذا الموطن فيه ، وانما هو يتجاوز ذلك مبرزا مواطن القوة ونواحى الخير فيه ٠٠ أخذا بما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « من ستر مسلما ستره الله » وقوله « من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته » وقول الشاعر الحكيم :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ومما لا حاجة بنا الى التدليل عليه ، أن انسانا أيا كان ذلك الانسان لا تخلو حياته من مواطن ضعف ٠ ولولا أن الانبياء قد عصمهم الله لما خلوا من ذلك ٠٠ فحسب الذين يبحثون فى تاريخ الامم ــ والامر كذلك ــ أن يأخذوا رجالات هذا التاريخ بمجملهم لا بتفاصيل حياتهم ودقائق خصوصياتهم ، حتى لا يخرجوا من بحوثهم صفر اليدين ٠ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول « لو تكاشفتم ما تدافنتم » ٠

ان النظرة المسددة الى المساوىء ، المتتبعة المستقصية فى حياة الرجال ، تدمر التاريخ ، وتحطم بنيان الامم ٠٠ وما أيسر الهدم ولكن ما أخطر عواقبه ٠٠ وان القرآن الكريم ليفترض وجود مواطن الضعف فى كل انسان حتى فى المؤمنين ، فحين يشيد بالاخوة بين المؤمنين فيقول«انما المؤمنون اخوة»لايقف عندها حتى يذكر بهذه المواطن فيلحق الاشادة الحاقا مباشرا بقوله « فأصلحوا بين أخويكم » والاصلاح لا يطلب الا لتلافى خلل موجود ٠

وقد يكون تتبع عورات رجال التاريخ – فى بعض الاحيان – واطالة البحث عن مثالبهم ، والتشهير بهم ، نوعا من أنواع التمرد النفسى ينتاب الاجيال الصالحة التى تعانى من افتقاد قيادة صالحة ، ولا يجدون بين أيديهم الا قيادات تافهة مغرضة متقلبة مزدوجة الشخصية ٠٠ فهذا الافتقاد وهذه المعاناة تبعث فى نفوس هؤلاء الصالحين من هذه الاجيال سوء الظن بالقيادات، وتؤجج فى صدورهم نار التمرد والغضب ، وتطبعهم بطابع التبرم والتشاؤم٠

ونحب أن نلفت النظر الى أن هذه النغمة التى يضرب على أوتارها هؤلاء المشككون هى نغمة يطرب لها الكائدون للتاريخ الاسلامى لانهم هم مخترعوها ومؤلفوها وهم مروجوها وهم صانعوا أوتارها – ويسعدهم كل السعادة أن يروا من يضرب على أوتارها مأجورا أو متطوعا ٠ فاذا كان الضارب متطوعا طاروا فرحا ، لان هذا معناه أن فكرتهم المسممة التىسهروا على بثها قد تسللت حتى وصلت الى عقول صالحى المسلمين وأفئدتهم فتبنوها وهم لا يشعرون – وهل كان لهؤلاء الكائدين من هدف الا هذا الهدف ، ولا من أمل الا هذا الامل ؟ !

على أننا حين ننعى على الذين يذيعون بمثالب القيادات لا نقصد بذلك تلك المثالب التى هى نفسها قد أعلنت عن نفسها على حد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أمتى معافى الا المجاهدين » وانما نقصد المثالب التىيبذل الباحث وراء الوصول اليها جهدا ، والتى يتصيد الشبه من هنا وهناك ليجمع منها دليلا عليها ، والتى يحاول تاويل المواقف والالفاظ والعبارات حتى تشير اليهـا ٠

مزيد بيان وتحذير من تدبير خطير
تجريح قادة الدعوة الاسلامية
اسلوب خبيث لهدم هذه الدعوة فى نفوس المسلمين

ولما كان لهذا الموضوع شان خطير فيما نحن بصدده من بحث فقد يقتضى المقام أن نزيده توضيحا مستطردين فنقول :

□ حبائل المستشرقين :

هناك قوم قد اعدوا أنفسهم ، وأعدتهم أجهزة خاصة فى حكوماتهم ، للبحث عن اشد الاساليب فعالية فى هدم الاسلام فى نفوس أهله ، وتقويض

أسسه باعتباره دعوة قائمة ٠٠ على أن يتوخوا فى هـذه الاسـاليب المناخ ذا السمة العلمية ـ وهؤلاء القوم ، والذين سموا بالمستشرقين لان اعدادهم لهذه المهمة التخريبية اقتضى تعليمهم اللغة العربية ، وايفادهم لقضـاء فترة من حياتهم وسط هذه الشعوب لدراسـة معتقـداتها وعاداتهـا ومـواطن القـوة والضعف فيها ٠

هؤلاء المستشرقون ٠٠ انتهزوا فرصة انشاء الجامعة المصرية ، وتطلع الاجيال الاولى من الدارسين فيها الى الاستزادة من العلم لا سيما فى التاريخ الاسلامى ٠٠٠ ولمـا كانت أمهـات الكتب التى بين يدى هؤلاء الدارسين من تراث الامة الاسلامية فى التاريخ لا تغرى بالقراءة ، لانها ليست سهلة المأخذ ولا قريبة التناول ٠٠ فقد وضع هـؤلاء المستشرقون مـؤلفات تناولت هـذا التاريخ بأسلوب عصرى أكثروا فيه من التعليق والتحليل ٠٠ وقد أذابوا فى هذا التعليق والتحليل كل مافى نفوسهم من حقد وضغينة على نبى الاسلام وصحابته وعلى البطولات الاسلامية التى هى مفخرة المسلمين ٠

ولمـا كانت أحداث التاريخ مما لا يسهل تناوله بالتغيير والتبديل ، فقد لووا منها ما تمكنوا من ليه ، وحرفوا منها ما استطاعوا تحريفه ٠٠ وما لم يستطيعوا ليه ولا تحريفه وجدوا مجالهم فيه فى التعليق والتحليل ٠٠٠ ولكن هذا كله صاغوه فى مجلدات ناصـعة أنيقة ، وفى أسـلوب طلى لبق رشـيق ، تغطى فيه مهارة الكاتب ومقـدرته الادبية على ما دسـه فى سطوره من زيـف وسمـــوم ٠

واقبل المتطلعون لدراسة التاريخ الاسلامى على هذه المؤلفات ، سـواء منهم من تلقوها عن مؤلفيها انفسهم فى بلادهم حين اوفدوا فى بعثات علمية اليها ، ومن درسوها هنا على يد من تلقوها عن مؤلفيها ـ ولقد أغـراهم بهـا اسلوبها التحليلى الذى يجمع بين الطرافة والجدة والتشويق ٠

ونجحت خطة الاستشراق بهذا الاسلوب ردحا من الزمن ، حين صارت مؤلفاتهم مرجعا يتبارى دارسو التاريخ الاسلامى فى الاقتباس منه ، وفى حمل أفكاره والتباهى بها واذاعتها والدعـوة اليها ٠٠ وتسرب هـذا الزيـفـ الى الكثيرين من المثقفين عن طريق الصحف والمجلات والندوات والمحاضرات ٠٠ وقد لا ننكر أن قليلا من هؤلاء الحملة كانوا يحملون هذه الافـكار عن غفـلة وحسن نية ، اذ لم تكن لهم خبرة سابقة بالتاريخ الاسلامى ، واعتقدوا أن الامانة العلمية أقدس من أن يجرؤ عالم على تخطى جيدها واستغلالها فى غرض دنىء ٠

ثم نبت البعث الاسلامى من جديد بعد غيبة طال أمدها ، وكان متمثلا هذه المرة فى دعوة الاخـوان المسـلمين ــ ولقيت هـذه الدعـوة فى ابانها عنتا شديدا على يد هذا الرعيل الحامل لهذا الزيف ٠٠ وكانوا هم وتلامذتهم عقبة كأداء فى سبيل هذه الدعوة ٠٠ ولكن ثبـات هـؤلاء الدعاة . وأصـالة الامـة الاسلامية ، سرعان ما كشف القناع عن وجه هذا الزيف وأبرزه على الملأ عاريا كالحا بشعا على حقيقته ٠

وبدأ المستشرقون يشعرون بحرج موقفهم ، وبأنهم لم يعودوا صالحين للظهور بعد ذلك أمام العالم الاسلامى بالمظهر الذى انتحلوه لانفسهم أمامه من قبل باعتبارهم علماء يتوخون الحقيقة ليس لهم من رائد سواها ٠

فمــاذا فعلوا ؟ ٠٠٠

□ بدائل المستشرقين :

لقد فعلوا ما أثبت أنهم كانوا جديرين لمـا انتدبوا له من تخريب انهم اعترفوا بالامر الواقع ، وبطغيان الموجة الاسـلامية على باطلهم ، وانتحـوا جانبا بعيدا عن الانظار ، وكفوا عن أسلوبهم الذى انكشف ، وشرعوا يبحثون عن أسلوب آخر يتناسب والبيئة الجديدة والجو الاسلامى الغامر الجديد ٠٠ ولكنه يؤدى نفس الدور ويحقق اصابة الهدف التخريبى العتيد الذى رصدوا له جهودهم ووقفوا عله حياتهم ٠

أخذوا يرقبون فى حذر ومن وراء ستار الجيـل الذى منـه دعاة الدعـوة الاسلامية النابتة ــ وكان أكثرهم فى ذلك الوقت طلابا بالجـامعة ــ وأخـذوا يتتبعون أفرادا من هذا الجيل رأوا أن فيهم من الصفات والاخلاق ما يؤهلهم لان يحمـلوا عنهم هـذا العبء ٠٠ على أن يكونوا هم من ورائهم يمـدونهم بالافـكار ، ويتعهدونهم بالرعاية من وراء ستار ، فيهيئون لهم الطريق حتى يتبوأوا منـاصب تثقيفية مـرموقة تتيـح لهم أن يصـدروا تحت أسمـائهم مؤلفات تؤدى المهمة التى كانوا يؤدونها هم من قبل ٠٠ ولكن هـذه المؤلفات الجديدة ستكون أوقع فى النفوس ، وأقـرب الى أن تسيغها العقول ، وأبعـد ما تكون عن الشبهات ، لانها صادرة من أساتذة مسلمين يشغلون أعلى مناصب التوجيه ٠

ولقد استطاع المستشرقون أن يعثروا على طلبتهم دون مشقة ، اذ كان مجال الاختيار منحصرا فى مكان محـدود ، من السهل مراقبته ٠٠ ذلك هـو الجامعة المصرية التى كانت وحيدة فى ذلك الوقت ٠

ومن حق القارىء أن لا أكتمه أننى انا نفسى ــ بعد أن دار الزمان دورته، وشبت أجيال جديدة ، سمعت من أصلح صلحائها آراء ذهلت لسماعها ، وكادت

لخطورتها تهصر قلبى عصرا ··· وعجبت كيف يحمل هؤلاء الصالحون هـذه الآراء التخريبية التى تقوض الدعوة الاسلامية من اساسها ···

فتجريح قادة الدعوة الاسلامية واحدا واحدا ورميهم بالانتساب الى الى شىء سرى مجهول يسهل نسبة أى انسان اليه ·· وافتقاد المسلمين بهذه الطريقة ـ الثقة فى قادتهم ·· يهدم الدعوة الاسلامية ، ويحيلها الى مجرد فكرة لا فعالية لها ··· وهذا تحقيق للحلم الذى طالما بات أعداء الاسلام يحلمون به ويخططون لتحقيقه ، أن يحولوا الاسلام الى فكرة مجردة ، يستنفد صالحو المسلمين جهودهم وأعمارهم فى التوسع فى دراستها ، والهيمان بها فى آفاق الفلسفة والخيال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ··· ولقد جاء على أسلافنا من المسلمين حين من الدهر فعلوا باسلامهم مثل ذلك ـ ولكن المؤرخين قد التمسوا لهم بعض العذر فلقد فعلوا ذلك حين بلغت دولتهم من الازدهار والتمكن فى الارض مالم تبلغه دولة من قبل ·· فاذا ركنوا الى الدعة ونسوا أن الاسلام دعوة قائمة وهداية نابضة وشعلة مضيئة فى حاجة الى من يحملها الى المحرومين من النور فى أنحاء الدنيا الى يوم القيامة ـ اذا نسوا ذلك فى تلك الظروف ونظروا الى الاسلام نظرة علمية بحتة فتوفروا على دراسته وقضوا أعمارهم فى فلسفة نظرياته ·· وأنتجوا فى هذا الميدان انتاجا كان بعضه كافيا لسد نهر دجلة ··· ولكن هذا الانتاج ـ مع التقاعس عن حمل لواء الدعوة الاسلامية ـ لم يغن عنهم شيئا فى أول صدام مع الباطل يوم أغارت عليهم جيوش التتار ··· فكيف يكون حال المسلمين اذا هم فقدوا ثقتهم فى قيادات الدعوة الاسلامية فأسلمهم ذلك الى الدوران حول أنفسهم وانتهوا من ذلك الى العكوف على الدراسة والاطلاع والتزود من ذلك لمجرد النقد والتشكيك والتجريح ·· هذا فى الوقت الذى لا زالت الامة الاسلامية فيه تحاول أن تنفض عنها غبار نوم ثقيل طويل · ؟ !

وأصدق القارىء القول فأقول ، اننى لم أفق من ذهولى من سماع هذه الآراء المخربة الهدامة الا حين علمت من هؤلاء الصالحين المصادر التى استقوا منها هذه الآراء ·· فقد ذكرتنى هـذه المصادر بزملاء كانوا معاصرين لنا بالجامعة · وكانوا بطبيعة نشأتهم وبما عرف عنهم من شذوذ فى الخلق والسلوك ، كانوا أعداء حقراء للدعوة الاسلامية وللاسلام المجرد وللاخلاق والفضائل فى ذاتها ·· وكانوا بذلك أهلا لان تهيئهم الايدى الخفية التى أشرنا اليها لحمل أعباء العملية التخريبية بالنيابة عنها ·

ولما كانت هذه الاجيال الجديدة لا تعرف شيئا عن تاريخ هؤلاء الا ما يرونه بين ايديهم من مناصب لا معة ، ومؤلفات فخمة ضافية وأساليب معسولة رتبت بطريقة تستهوى الصالحين من هـذه الاجيال ·· لهذا راجت بينهم هذه المؤلفات واحسنوا الظن بها ووقعوا ضحايا سمومها ·

فالصائد الماهر الخريت هو الذى يعد لكل نوع من الاسماك طعما خاصا به عرف الصائدون بالتجربة أنه يشتهيه ويجذبه الى آلة الصيد ـ فيقبل على الطعم ويلتهمه عن آخره ٠٠ حتى اذا فرغ من التهامه أسلمه هذا الطعم الشهى الى آلة الصيد نفسها ليكون تحت رحمة الصياد يفعل به ما يشاء ٠

وارتداء مسوح الرهبان لا يغير من نفوس المرتدين بهذه المسوح قليلا ولا كثيرا ، ولكنه قد يفتن الكيثرين ممن يجهلون حقيقة هؤلاء المرتدين ٠٠٠ وهؤلاء الذين فتنتهم المسوح لا يزالون معذورين حتى يصادفوا خبيرا بحقيقة المرتدين ، يفتح عيونهم على ما تحت هذه المسوح من نئاب كاسرة ضارية ٠

أما نحن وقد جربنا بأنفسنا ٠٠ ورأينا كيف يجنزئ أناس ـ وهم متسنمون أعلى مراكز التوجيه فى بلادنا ـ على الحق وعلى التاريخ ، ويستحلون الكذب والاختلاق ، وينسجون من خيالهم وقائع وأحداثا ينسبونها ـ زورا وبهتانا ووقاحة ـ الى حسن البنا ٠٠ وتنشر الصحف هذه الاكاذيب وتقدمها للشعب على أنها حقائق ٠٠٠ ومع ذلك فلا يزال هذا الشعب ينظر الى هؤلاء الكاذبين نظرة الاجلال والاكبار ٠٠ وما عباس محمود العقاد فى هذا المجال عنا ببعيد ٠

بعد أن جربنا ذلك بأنفسنا لم نعد فريسة سهلة لاولئك الكذابين الجدد الملتمسين للبراء العيب ٠٠ مهما جاءونا اليوم يزجون الثناء العاطر لحسن البنا ولدعوته ، مقدمة يستدرجوننا بها لتقبل ما هدفوا اليه ووضعوا مؤلفاتهم من أجله مما يقوض ثقتنا فى كل من سوى حسن البنا من قادة الدعوة الاسلامية ٠

واذا سمح بعضنا اليوم لانفسهم أن يتقبلوا هذه الفرى على هؤلاء القادة السابقين فلا يلومن هؤلاء المتقبلون أجيالا تأتى من بعدهم تتلقى ما اختلق على حسن البنا من افتراءات بالتصديق والقبول ٠

□ مرونة وسعة أفق وسعت الجميع :

ونرجع الى ما كنا بصدده من الحديث عن حسن البنا فنقول : وكما أن هذا كان أسلوب حسن البنا ـ رحمه الله ـ مع من سبقه من القادة ، فقد كان هذا أيضا أسلوبه مع سائر الناس ٠٠ فلقد كان له من الفطنة ونفاذ البصيرة مالا تخفى عليه معهما حقائق الاشخاص ودخائل نفوسهم ، كالذى قال فيه الشعراء ٠

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا
ولكنه مع ذلك كان قديرا على ان لا يجعل لما كشفته فطنته اثرا يقعد به

عن الاقتراب من هؤلاء الاشخاص والاتصال بهم ·· وحين يتصل بهم ويتحدث اليهم لا يجدون فى حديثه ما يشعرون منه أنه مطلع على عورات منهم، ولا أنه على علم بما هم متورطون فيه من مساوىء ··· انه كان يجالس هذا النوع من الناس ، ويقبل عليهم ، ويفسح لهم فى مجلسه ، ويخصهم بمجاملات ترضى عواطفهم لا ويتحدث اليهم ويتطلف معهم فى الحديث،ولا يهاجم مواطن الضعف فيهم ، ولا يمس شعورهم من قريب ولا من بعيد ·· ولكنه يريهم من تصرفاته وتصرفات اخوانه من أدب الاسلام وسعه صدره،ورحابة أفقه ، ما يشوقهم الى هذا الاسلام الرقيق الحاشية الجديد الذى لاعهد لهم بهذه الصورة المشرقة فيه من قبل ···· فيخلو هؤلاء الى انفسهم حين يخلون،فيستعرضون ما رأوا وما سمعوا ، فيسلمهم هذا الاستعراض الى لون من النقد الذاتى ، الذى ينتهى بهم عادة - بعد تكرر الزيارات وتعدد الجلسات ·· الى أن يجد الواحد منهم نفسه وقد حملته قدماه - دون أن يدرى - الى حيث يقدم نفسه الى حسن البنا خلقا آخر قد تنزه عن كثير مما كان متلطخا به من مساوىء ·

لقد افاد حسن البنا لدعوته بهذا الاسلوب أعظم افادة ، فقد أصلح الكثيرين من المنحرفين دون أن يهاجم معتقداتهم أو ينتقد مسالكهم فيقطع خط الرجعة عليهم ، بل تركهم لانفسهم فراجعوا أنفسهم بأنفسهم وأتوا تائبين ·· وبعد أن كانوا عقبة فى سبيل الدعوة صاروا لبنات فى بنائها ، وصدق الله العظيم « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ·

كان حسن البنا يرضى من العاملين معه فى ميدان الدعوة من يعطى الدعوة كل نفسه ، ومن يعطيها نصف نفسه ، ومن يعطيها ربع نفسه ، ومن لا يعطيها شيئا الا مجرد الابتسامة والاعجاب ··· ولا يشعر انسانا من هؤلاء بشىء من التبرم به أو الضيق بوجوده ، بل يفسح لهم جميعا مجالا من نفسه ومجالا فى الدعوة ، بحيث يشعرون جميعا بالرضا والسرور ، مما ينقل الواحد منهم دون ان يشعر من درجة من درجات الايمان الى ما هو أعلى منها ·

وشعوره بأنه داعية لفكرة هو مؤمن بها أعمق الايمان . ومقتنع بسلامتها وجدارتها وتفوقها ، جعله مستعدا دائما بل متشوقا لاستقبال كل ذى فكرة مهما اختلفت عن فكرته وللسعى اليهم ، ولا يجد فى نفسه حاجزا نفسيا يحجزه عن الاتصال بكل انسان - مهما كان موقف هذا الانسان - ذلك انه يعتقد أن فى كل انسان جانبا من الخير يحتاج الى من يكشف عنه ويحركه ويبعث طاقته الكامنة ، وقد يأثم الداعية اذا هو تخلف عن الكشف عن هذا الخير واطلاق هذه الطاقة ···

ومن هنا كان اتصاله بمن اشتهر عنهم أنهم أعداء للفكرة الاسلامية ..
وكان يرضى من هؤلاء بعد لقائه معهم مجرد عدولهم عن خططهم المعادية حتى ولو لم يلتزموا بعد ذلك بالخط الاسلامى الواضح .. فهو يحمد لهم هذا الموقف ، وينسى لهم سابق تاريخهم ويحب أن يكون هذا موقف الاخوان منهم . ويعد ذلك نوعا من النصر للدعوة يجب أن يحرص عليه .

هذا هو اسلوبه فيما يتصل بالاشخاص ، أما أسلوبه فيما كانت تتخذه الحكومات المتعاقبة مما كانت تسميه اصلاحات ، فانه كان يعتبر هذه الاصلاحات علاجات جزئية ويتقبلها على أنها اسعافه مؤقتة لمجرد الاحتفاظ برمق الحياة .. أما العلاج عنده فهو معرفة أصل الداء الذى تفرعت عنه كل الامراض التى استشرت فى جسم الامة حتى شلت جميع الاعضاء ، ثم اعداد العدة الكافية لاستئصال أسبابه ، ثم يوضع المريض امام العلاج الشامل وهو المنهج الاسلامى الكامل . واعداد العدة هو نشر لواء الفكرة الاسلامية وتثبيتها فى نفوس الشعب حتى تنبثق عن هذه النفوس حكومة تضع المنهج الاسلامى فى جميع مرافق الحياة موضع التنفيذ .

□ **اسلوبه فى المناقشة :**

وكان رحمه الله ذا مقدرة فائقة فى مناقشاته أن لا يدع لمناقشه فرصة ينقل فيها المناقشة من الموضوع الاصيل فى نظره وهو صلب الدعوة الاسلامية الى نقط خلافية فرعية تافهة .. ونذكر فى هذا المقام لقاءه مع الصحفى البارع المبتكر مصطفى أمين فى أواسط الاربعينيات بالمركز العام بالحلمية الجديدة ، حين أراد مصطفى أمين بمهارته الصحفية أن يوجه المناقشة ويحدد موضوعها بان استهل اللقاء بتقديمه سيجارة الى حسن البنا وهو يعلم أنه سيرفضها ، وكان قد رتب فى خاطره نقاشا يديره معه على أساس التحليل والتحريم يبتغى على نتائجه رأيا عن مدى تزمت الاخوان المسلمين .

ولكن الذى حدث هو أن حسن البنا بفطنته والمعيته تنبه الى ما رتبه زائره فى خاطره ففاجأه برد لم يكن يتوقعه ولم يخطر له على بال اذ رفض السيجارة معتذرا شاكرا قائلا : اننى لا أدخن عادة لا عبادة ـ فسلبت هذه المفاجأة مصطفى أمين ميزة المباداة ونقلتها الى يد حسن البنا الذى أدار المناقشة على الوجه الذى يريده(١) .

---

(١) أرجو أن لا يفهم القارىء من هذا أن حسن البنا كان يبيح التدخين . ومن أراد استقصاء هذا الموضوع فليرجع الى أعداد مجلة المنار حين كان رحمه الله يترأس تحريرها ففى أحد هذه الاعداد بحث ضاف له فى موضوع التدخين كتبه ردا على سؤال وجهه اليه أحد القراء فى ذلك الوقت .

وقد عبر مصطفى أمين فى ذلك اليوم عن فهمه لدعوة الاخوان المسلمين بما نشره فى « أخبار اليوم » فقـال : « ان حسن البنا قـد استجاب له مئات الالوف فى أنحاء القطر وقد اسـتطاع أن يؤاخى بينهم بحيث لو عطس عضـو منهم فى الاسكندرية قال له عضو فى أسوان « يرحمك الله » •

□ مقـدرته الخـارقة على الاقناع :

اما قدرته الخارقة على الاقناع فحسب القارىء أن أقص عليه بصددها ما سمعته قريبا فى جلسة عارضة ضمت مجموعة من ذوى الثقافات العالية ، وكان أحد حاضريها اللواء شرطة بالمعـاش سيد عبد النبى الذى قـص علينا القصة التالية :

قال : كان الاستاذ محمد حياتى ياورا للنقراشى باشا حتى أواخر عام ١٩٤٧ ثم استبدل به الاستاذ اسماعيل المليجى شقيق ابراهيم عبد انهادى باشا • وظل الاستاذ حياتى يعمل فى وزارة الداخلية حتى جاءت وزارة الوفد سنة ١٩٥١ نقررت التخلص من موظفى عهد السعديين الذين يشغلون وظائف حساسة ، فقررت نقل الاستاذ محمد حياتى نائبا لمأمور مركز ايتاى البارود ••

يقول اللواء سيد عبد النبى : وكنت فى تلك الوقت معاونا لمركز ايتاى البارود ـ وكنا بحكم الزمالة فى العمل نتحدث معا فى مختلف الشئون لا سيما فيما يتصل بالاحداث التى وقعت بعد حل الاخوان المسلمين حيث كان الاستاذ حياتى أقرب الناس من هذه الاحداث ـ وكان مما حدثنا به الاستاذ حياتى فى هذا الصدد قـوله :

قبل صدور أمر حل الاخوان سنة ١٩٤٨ ـ لمـا شعر الاستاذ البنا بأن أمر الحل يعد فعلا ، حاول مقابلة النقراشى باشا ، فقابل عبد الرحمن عمار بك وكيل الداخلية وطلب منه مقابلة النقراشى باشـا فاعتـذر له عمـار بك بمشغولية النقراشى باشا ، فكلفه بتحديد ميعاد فتظاهر عمار بك بالاستجابة ولكنه بعد خروج الاستاذ البنا فهمنا منه أنه لن يتيـح للاسـتاذ البنا هـذه المقـــابلة •

يقـول الاستاذ حيـاتى : وكنت حاضـرا وسمعت ما تم بين الاثنين وما كان من عمار بك •• فسـألته لم كان منه هـذا التصرف ؟ فقـال : احنا لو تركنا الاستاذ البنا لمقابلة النقراشى باشا فلن يصدر أمر الحل ، لان هـذا الرجل قادر على اقناع النقراشى باشا ، وبذلك تحـدث أزمة بين الحـكومة والسـراى

وتعقيبا على هذه القصة اقول : ان حسن البنا كان من اتساع الافـق بحيث لا يعدم ان يجد بديـلا مهما بدا لجميع الناس ان الامـور قـد ضـاقت

واستخدمت حلقاتها حتى صار الطريق مسدودا لامنغذفيه ـ وكان هذا هو السبب فى أن كثيرين من أعدائه كانوا يتحاشون لقاءه لانهم كانوا واثقين من انه سوف يلزمهم الحجة ويكسبهم الى جانبه وهم لا يريدون ذلك حسدا من عند أنفسهم ٠

□ حسن البنا فى صلواته :

كان حسن البنا رحمه الله داعية يلتزم أسلوب الداعية فى كل تصرفاته مع نفسه ومع الناس حتى فى صلاته ـ فلقد كنت ـ كما قدمت من قبل فى أوائل أيام اتصالى بالاخوان المسلمين حريصا على مراقبة كل ما يدور فى مركزهم العام لا سيما ما يصدر من مرشدهم من حديث وأعمال وتصرفات ٠٠

وقد لفت نظرى أن صلاة المرشد ـ وكان دائما هو الامام ـ لا تكاد تختلف عن صلاة كثير من الناس ، فهى وان كان صلاة خاشعة مطمئنة ، لكن رائيها لا يمكن أن يصفها بأنها صلاة مطولة كتلك التى تمارس فى مساجد بعض الجمعيات ٠٠ وكان اعتقادى أن هذا الرجل ذا اللحية السوداء لا بد أن يكون ملتزما فى صلاته ما يلتزمه أصحاب اللحى من المنتسبين الى هذه الجمعيات ٠

ولقد تقدمت اليه وسألته فى ذلك سؤالا مباشرا فأجابنى قائلا : اننى حريص على أن لا أطيل فى الصلاة حتى لا أدع الفرصة لمن خلفى أن تشرد أفكارهم ٠

وقد ناقشت نظرته هذه مع نفسى فوجدت أنه فعلا مصيب كل الاصابة، وخبير بطبيعة النفوس وبطبيعة المجتمع الذى يتعامل معه وأنه طبيب يعطى مريضه الدواء بالقدر الذى لو تجاوزه لاضربه ٠ فالمأمومون ـ والمامهم عادة بالقران قليل ـ اذا قرأ الواحد منهم سورة من قصار الصور التى يحفظها ثم انتظر ساكتا حتى يفرغ امامه من قراءة الكثير الذى يحفظه من القرآن ٠٠ مدا يكون منه فى الوقفة الطويلة التى هى بالنسبة له فراغ الا أن يفلت منه الزمام فيشرد فكره فى مختلف الشئون ؟ ٠

اما فى الصلوات الجهرية فكان له فيها رحمه الله أسلوب آخر ٠٠ كان يطيل فيها من قراءة القرآن ٠٠ ولكن هذه الاطالة لم تكن مجرد اطالة ولا القراءة مجرد قراءة ، وانما كانت قراءة هادفة ، كانت قراءة من مواضع مختارة ٠٠ يتناول فى كل صلاة منها معالجة موضوع معين من المواضيع الحساسة التى تمس النفوس وتعالج مشاكل المجتمع ٠٠ ففى صلاة يستعرض على المأمومين أصناف الناس ، وفى صلاة أخرى يستعرض طبائع النفوس ، وفى ثالثة يعرض صورة لغرور السلطة وعواقبه ، وفى رابعة يستعرض مواقف الحق

الاعزل من الباطل المسلح ، وفى خامسة يستعرض دلائل قدرة الله من مخلوقاته ‥ وهكذا من المواضيع التى يخرج المأمومون من كل منها بتوجيهات محددة وتعاليم معيّنة ٠

وغير خاف على القارىء المجرب أن سماع المؤمن القرآن وهو واقف فى الصلاة بين يدى الله ذو أثر فى النفس أشد عمقا وأعظم وقعا من سماعه القرآن فى غير هذا الوضع ‥ وقد يفهم من القرآن فى هذا الموقف مالا يفهمه منه فى غيره من المواقف ‥ لا سيما اذا كان القارىء أستاذا مربيا يفهم ما يقرأ ، ويعرف كيف يتلو الآية تلاوة تبرز ما خفى من معانيها فهو يعرف كيف يكون الوقف ويعرف كيف يكون الوصل ‥ ولا يمر بآية وعيد وعذاب الا استعاذ فى سره بالله ، ولا يمر بآية من البشريات الا طلب فى سره من الله المزيد ـ وهكذا كانت الصلاة احدى وسائل حسن البنا فى تثبيت أفكار دعوته فى النفوس وفى تربية من وراءه وتوجيههم ٠

وعلى العموم ، فقد كنا نعتبر صلاة حسن البنا الجهرية بنا تكملة لدروس التكوين التى كنا نتلقاها على يديه والتى أشرنا اليها فى الجزء الاول من هذا الكتاب ٠

وينبغى هنا أن أكاشف القارىء بشعور داخلى خاص انتابنى وانا أكتب مسودة هذه السطور التى يقرأها الآن ، فقد كان فى خاطرى ـ كما هى طبيعة الكتابة عن عادات الزعماء وأساليبهم فى الحياة ـ أن يكتب الكاتب عن أساليبهم مع المجتمع ، ثم يكتب عن أساليبهم فى حياتهم الخاصة ‥‥ واندفاعا بهذا الشعور وصفت صلاته التى كان يؤديها امامنا ‥ ثم تهيأت للكتابة عن صلاته الخاصة التى كان يؤديها وحده بعيدا عن أعين الناس ، وفى هدأة الليل ، بين جدران منزله ‥ ففوجئت بأنه ـ رحمه الله ـ لم تكن له حياة خاصة أمام تكاليف الدعوة التى لم تدع له فرصة من ليل أو من نهار دون أن تشغلها ، فاذا كان فى القاهرة فهو فى المركز العام ، فى لقاءات واجتماعات ودروس ومحاضرات وندوات وجلسات ادارية وتربوية ‥ حتى اذا انتصف الليل ، فاذا كانت هناك كتيبة فى المركز العام أو فى احدى شعب القاهرة أكمل معها بقيه الليل ، واذا لم تكن وقلما لاتكون ـ كان آخر من يغادر المركز العام الى بيته لينام ساعتين أو ثلاثا ثم يقوم لصلاة الفجر ليبدأ الاعداد ليومه الجديد ليكون اول قادم فى الصباح الباكر الى المركز العام الذى كثيرا ما كان يبيت فيه ـ واذا كان خارج القاهرة فهو مع الاخوان لا يفارقهم ولا يفارقونه لحظة من ليل أو نهار حتى يغادرهم الى بلد آخر ‥‥ فانى لمثل هذا ان تكون له حياة خاصة ؟!

لقد اتيحت هذه الحياة الخاصة لقوم من أئمة هذا الدين فسعدوا بساعات طوال فى بطون الليالى تفرغوا فيها للعبادة ولمناجاة ربهم فرووا بهذه المناجاه ظمأ نفوسهم ، كالذى أثر عن الامام أبى حنيفة أنه كان يصلى الفجر بوضوء العشاء ‥ وكالذى أثر عن الامام على كرم الله وجهه حين كان يقف فى سكون الليل فى محرابه يناجى ربه ويقول للدنيا : يادنيا غرى غيرى ‥ ألى تعرضت ‥ أم الى تشوقت ‥ لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ‥٠

ولكن لله فى خلقه شئون ‥ لقد شاءت ارادة الله أن ترشح حسن البنا لدور يحرم فيه حتى لذة الظفر بمثل هذه الليالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » ورحم الله الرجل الصالح الذى قال : ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب ، من الشهوة الخفية ‥ وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية ٠

وخلاصة القول ، اننى نظرت فاذا الرجل لم تكن له حياة خاصة حتى أصف عبادته فيها كما وصفت عبادته وسط المجتمع ‥ على اننى لا أذكر أنه كان له من فرص أرضى فيها بعض ما كانت تتوق اليه نفسه من استمتاع باطالة فى الصلاة الا ما كان يؤديه فى شهر رمضان وفى المركز العام عادة من صلاة القيام التى كان يقرأ فيها كل يوم بجزء من القرآن بحيث يتم القرآن بتمام رمضان ٠

خاتمـــة الباب

مـوقف من اللغات ذو دلالة

هناك ناحية فى حياة حسن البنا ينبغى أن توضع بين يدى القراء موضع البحث والتأمل ، تلك هى نظرته الى اللغات وموقفه منها · فهؤلاء القادة الذين اتينا على ذكرهم فى هذه العجالة منذ قليل ، والذين كانوا حمـلة الشـعلة فى العالم الاسلامى خلال قرنهم ، كانوا جميعا ملمين بمختلف اللغات ·فالسيد جمال الدين الافغانى كان يتقن التحدث بجميع لغـات الدنيا الحية فى أيامـه تقريبا ، والشيخ محمد عبده وسعد زغلول وهما أزهريان درسا اللغة الفرنسية دراسة خاصة حتى اجاداها ، ومصطفى كامل كانت دراسته الحقوقية دراسة فرنسية ، والدعاة الذين قاموا بالمغرب كانوا بحكم الاستعمار على معرفة بلغة المستعمر — ومن المألوف والمسلم به أن على كل من يهيىء نفسه للقيادة فى الشرق العربى أن يتزود أول ما يتزود بدراسة لغة اجنبية أو أكثر ، باعتبار ذلك اؤهلا لا بد منه بل وسلاحا يتسلح به فى نشر افكاره ··

ولكن حسن البنا لم يكن ملما بلغة من اللغات الا اللغة العربية ·· وليس هذا هو موضع الاستغراب ·· ولكن موضع الاستغراب أن حسن البنا كان أقدر الناس على تعلم اللغات ، فلقد كانت مواهبه النادرة تسـعفه أن يتعـلم أصعب اللغات وأن يجيدها ويتحدث بها كما يتحدث أهلها فى أشهر معدودات ·· غير أنه مع ذلك لم يتعلم أية لغة من اللغات ·

فهل كان هذا مقصودا أم جاء عفوا ؟

لقد كان حسن البنا يحث أتباعه على تعلم اللغات واجادتها والتضلـع منها ، لكنه هو لم يول هذه الناحية فى نفسه أدنى اهتمام ، وكان يقرأ أكثر ما يترجم الى العربية من مؤلفات كتاب الغرب لا سيما فى علوم التربية ·

فهل كان ضيق وقته هو الذى حال دون تعلمه اللغات ؟ !

أم انه كان يرى لنفسه شخصيا أن الاعتصام باللغة العربية وحدها هو شعار له معناه وله مغزاه ، ذلك المغزى الذى أشرنا اليه فى الجزء الاول من هذا الكتاب عند الـكلام على ترجمـة القرآن الكريم ·· انه كان يرى أن تترجم الدنيا بما فيها من شعوب وأمم الى القرآن والى لغة القرآن ·

انه كان يعلم ان الغرب لن يقيم وزنا لاية دعوة فى الشرق مهما مـلأت الدنيا كلاما مكتوبا ومسموعا بكل لغات الدنيا ، ولكنه يقيم وزنا للدعوة التى تستطيع ان توقظ الشرق من سباته ، وتبعثه من رقاده ، وتقوده لاستخلاص حقه ، وتخلق من شعوبه جيلا يسترخص الحياة فى سبيل الكرامة الانسانية

وفى سبيل استرداد الحقوق المغتصبة.. مهما اقتصرت هذه الدعوة على لغة بلادها

ان هذا الغرب المتعجرف لا يفهم الا لغة القـوة ، ولا يسمع الا صـوت الاقوياء .. ولقد كان حسن البنا ـ رحمه الله ـ كثير التمثل ببيتين لمصطفى صادق الرافعى وكثيرا ما كان يرددهما :

لو كل مـزمار لهـو عنـدنا خنث   لنبـابه مـدفـع فنـانه بشـــــع

اذن لكانت لنابين الورى لغـــة   متى تقل قولها فى العـالم استمعوا

لقد استطاع حسن البنا بلغته العربية وحدها أن ينشر دعوته فى أرجاء العالم الاسلامى ، وسالت أنهر الصحف فى أوروبا وأمريكا بالكتابة عن دعوته ، وأرسلت هذه الصحف مندوبيها للحصول على أحاديث منه ، وعقدت المؤتمرات بين أساطين السياسـة الاوربيين والامـريكيين لدراسـة هـذه الاحاديث وتخصص الدارسون الاوروبيون والامريكيون فى دراسة دعـوته ، فحضروا الى القاهرة وأقاموا بها شهورا ، وحصلوا بذلك على الدرجات العلمية العليا فى جامعاتهم . ولا زالت دعوته هذا وضعها فى الجامعات الاجنبية ، كما أنها صارت عنصرا أصيلا يحسب حسابه ساسة أوروبا وأمريكا وروسيا حين يخططون لسياستهم فى الشرقين العربى والاسلامى ..كل هذا قد تم دون أن يحتاج حسن البنا الى التحدث بلغة غير لغته العربية .

ولقد أدى محمد صلى الله عليه وسلم رسالته التى قلبت موازين العالم كله ، ولا زالت رسالته سارية حتى اليوم والى أن تقوم الساعة .. دون أن يتحدث بغير لغته العربية ..



حقا .. لقد كان حسن البنا لغز هذا الزمان وأعجوبته .. كان رجلا .. ولكنه كان أعلى من أهل زمانه فكرا ، وأوسع منهم أفقا ، وأرحب منهم أملا .. لا تستعصى عليه معضلة مهما بلغ تعقدها ، ولا تعجـزه مشـكلة مهما أظلمت جوانبها .. كان أقوى شكيمة ، وأصلب عودا من أحداث الزمان ، فهى لا تقوى على قهر نفسه مهما ادلهمت ظلماتها ، وأحاطت خطوبها ، وتفاقمت مصائبها .. فهو كالشعلة مهما نكستها تصـوبت حتى تحـرق اليـد التى نكستها ، وتظل هى مشتعلة مصوبة .. انظر اليه حين يبدى شاعر الشبان المسلمين محمود جبر اشفاقه عليه ، وتخوفه على حياته وقد تعاظمت الاحداث من حوله واحاطت به من كل جانب قبيل استشهاده بايام فيرد عليه مبتسما ويقول :

انى لارنو الى الاحداث مبتسما   والبحر حين يرى الاحداث يبتسم

وانظر اله جين ساله وكيل قضاياه الدكتور عزيز فهمى المحامى ـ وكان

هو الآخر وطنيا من فلتات الايام ــ أين سلاحك ؟ فيجيبه : السلاح أخذوه والاخ الشفيق اعتقلوه .. فيبدى الدكتور عزيز جزعه وهلعه وبالغ ارتيابه وكأنه يقول له : وكيف تأمن على نفسك بعد هذا وتخرج من بيتك ؟ فيرد عليه متمثلا بما تمثل به فى مثل هذا الموقف الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

أى يومى من الموت أفر — يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه — ومن المقدور لا ينجو الحذر

★ ★ ★

لقد حير حسن البنا أعداء الاسلام ، فلم يجدوا فى دعوته ولا فى شخصه ولا فى بنائه الذى شيده مغمزا يغمزونه منه ، ولا ثغرة ينفذون منها ، فقرروا فى شأنه ما قرره عتاة كفار قريش فى شأن صاحب الدعوة الاول صلى الله عليه وسلم ، ولكن صاحب الدعوة الاول كان قد تكفل الله عز وجل له بقوله « والله يعصمك من الناس » .

الباب الخامس

الدعوة في مهب الرياح

- الدعوة تنبت من جديد
- شبهة خطرة ماكرة
- عقبات من أولى القوة
- شبه تثار حول المرشد العام الجديد

الفصـــل الاول

الدعوة تثبت من جديد

ظلت الدعوة بعد اغتيال الامام الشهيد عامين كاملين بغير مرشد عام ٠ وهذه الفترة هى التى اخترنا لها عنوان هذا الباب ، لانها كانت فترة حـرجة امتازت بسمات خاصة ، وكانت الدعوة فى خلالها فى مهب الرياح ٠ وهذه الفترة هى التى كان اعداء الاسلام يعولون عليها فى ان تنتهى بالاخوان الى التشتت والتناحر والزوال ــ فاذا تذكرنا خطتهم الاجرامية التى قدموها بين يدى هذه الفترة حكمنا ــ بحسب التقدير البشرى ــ بنجاح تخطيطهم وبزوال الدعوة الاسلامية من الوجود ــ ولكن هذه الدعوة متصلة بالخالق الذى تكفل لهـــا بالبقاء « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ٠ انهم لهم المنصـورون ٠ وان جندنا لهم الغالبون » فانها خيبت آمال اعدائها ، وافسدت عليهم حساباتهم وخلق الله لها من الاسباب مالم يجر بخلدهم ولم يخطر ببالهم ٠



فوجىء المخططون بعد سقوط عبد الهادى بان الدعوة اخـذت تلم شعثها من جديد وكان شيئا مما حدث لها لم يحدث وبدات تزاول نشاطها بحيويتها التى هى سمة من سماتها ، ولم يعد ينقصها الا مرشد عام يقودها ، والا دورها التى اغتصبتها الدولة ٠

كانت هذه اول تجربة لهؤلاء المخططين الصغار ، ومن ورائهم اصحاب المســرح ــ المخططون الكبار ــ الذين يباشـرون دورهم ــ فى عجلة الزمـن الدائرة ــ فى تخطيط العالم بالصورة التى يريدونه عليها ٠٠٠ وهى صـورة مشوهة المعالم كريهة المنظر ، لان اسس تخطيطها اسس جشعة دنيئة نابعة من المطامع والاستغلال ٠٠ والهدف منها هو اخضاع العالم تحت اقدامهم ــ ولعلهم بهتوا حين راوا الاخوان المسلمين بعـد أن طحنوا فى سجـون الظلم ، وتحت كلاكل الارهاب ، يخرجون ويتجمعـون ويعيدون الـكرة دون تافف او ضجر ، ودون ذكر لمـا اصابهم أو شكوى مما الم بهم ٠

ولعل فشلهم هذا فيما خططوه جعلهم يعيدون النظر فى هذه الخطط بحثا عن مواطن الضعف فيها ليتلافوه فيما بعد ٠

وقد هيات مجمـوعة القيـادة المؤقتة فى ذلك الوقت رابطتين يتجمـع الاخوان حولهما هما :

رابطة الكلمة المسموعة ورابطة الكلمة المقروءة ـ واذا قلنا « هيئات » فان فى هذا القول بعض التجاوز ، لان التهيئة انما كانت فى حقيقة أمرها هداية من الله وتوفيقا ، لا تدرى كيف هيئت وكيف تمت « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » :

□ رابطة الكلمة المسموعة :

كان الاخوان ـ المطلقو السراح منهم والمفرج عنهم من المعتقلات ـ فى فترة الفراغ هذه دائبى البحث عن شىء يجتمعون حوله ، ويكون بمثابة معلم يأتون اليه من كل صوب ٠٠ ولما كانت هذه الدعوة تحمل حيويتها فى نفسها ومعالمها هى جزء منها لا ينفصل عنها ، فان هذا المعلم الذى تطلع اليه هؤلاء الاخوان كان قريب المنال ، فان بيوت الله هى معالم هذه الدعوة لا تنفصل عنها ولا يحاول فصلها الا ظالم ، ولامر ما كان قوله تعالى « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » ٠٠ واذا كانت بيوت الله فى كل مكان هى مثابتهم ٠

ولو أن ماتعرض له الاخوان من القهر والارهاب تعرض لهأصحابالدعوات الاخرى ذات الافكار البشرية لزالوا من الوجود ، لان وجودهم مرهون بمكان يجمعهم ، فاذا زال المكان زالوا ، واذا طال عليهم الامد نسوا أنفسهم ونسيهم غيرهم ٠

ولما كانت القاهرة قلب البلاد ، فكان لابد من مثابة فى القاهرة ٠ وما أكثر بيوت الله فيها ٠٠ لكن المثابة التى يتطلع الاخوان اليها لا يكفى أن تكون بيتا من بيوت الله دون أن يكون فيها لسان رطب بذكر الله ، مردد لكلمات الله ، مناد بحكم الله ، حتى يؤدى هذا البيت دوره الذى يرتضيه صاحبه جل ذكره ٠٠٠ ولم يحرم الله دعوته من هذا اللسان الرطب ، وهذا الصوت الجهورى ، فقد كان ممن أفرج عنهم أخ كريم وداعية واع مؤمن ، هو الاخ الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصى ، الذى كان صداح الدعوة فى مسجد المنيرة ، الذى صار كعبة الاخوان فى القاهرة ، لا يفد اليه الاخوان من أنحاء القاهرة فحسب ، بل يفدون اليه من أنحاء القطر كله ٠

كانت صلاة الجمعة فى هذا المسجد مؤتمرا اسلاميا جامعا يحيى موات القلوب ، ويبعث فى النفوس القوة والحياة ٠ وكانت خطب الشرباصى شواظا من نار يلهب ظهور محترفى الاجرام من الحكام ويفضح جرائمهم ٠٠ حتى اذا قضيت الصلاة رايت الالوف من المصلين يعانق بعضهم بعضا ، ويقبل بعضهم بعضا ٠ ثم ترى الاخوة المسئولين فى القاهرة يتعرفون أحوال أخوانهم

فى الاقاليم من مندوبين يفـدون كل أسـبوع لاداء صـلاة الجمعـة ، ولسماع الشيخ الشرباصى ، وللقاء اخوانهم الوافدين من الاقاليم الاخرى ، ثم لقـاء الاخوة المسئولين فى القاهرة ، وتبادل الانباء وتلقى التعليمات ٠

انه مسجد واحد ، وليس من أكبر مساجد القاهرة ولا أشهرها ، ولكنه كان فى دعوة الاخوان المسلمين معلما من أعظم معالمها ، وقد أدى فى خلال هذه الفترة دورا خطيرا ٠٠٠ ولولا أن الطغمة الحاكمة كانت قد استغرقت جهدها كله حتى لم يبق منه شىء لاطبقت على هذا المسجد من كل جانب ، وبطشت بخطيبه وأغلقته بالشمع الاحمر ٠٠ لانه كان غصة فى حلقها ، وصداعا مستمرا فى رأسها ، وتحطيما متجددا لاعصابها ، وعنوان فشـل واخفـاق لسياستها وجهودها ، وبرهانا على خطأ نظرياتها وتصوراتها٠٠كان البوليس السياسى يحيط بالمسجد ، ويحاول الاندساس بين المصلين ٠٠ ولكن لان دعوة الاخوان أساسها التآخى ، والتآخى أساس التعارف ، فكل أخ يعرف اخوانه ، فكان رجال البوليس فى هذا الوسط المتعارف مفضوحا أمرهم ٠

□ **رابطة الكلمة المقروءة :**

أما الكلمة المقروءة ففى الوقت الذى كانت تؤدى ذلك فيه مجلة « المباحث القضائية»التى استأجرها الاخوان لاصدارها فىخلال هذه الفترة،وراستحريرها الاخ الاستاذ صالحعشماوى وظلت تصدر من قوليونيو١٩٥٠ حتى ٢٣ يناير ١٩٥١ ــ فى هذا الوقت نفسه ٠٠ تطوعت جريدة « منبر الشـرق » للاسـتاذ على الغاياتى أن تكون لسان حال للاخوان ومعبرة عنهم فى خلال هذه الفترة العصيبة ٠٠٠ والاستاذ على الغاياتى مجاهد قديم منالرعيل الاول الذين فهموا معنى الوطنية ــ فى بلد محتل ــ على أنها تضحية وفداء ، فلم يبخلوا بشىء فى سبيل بلادهم ، فواجه بقلمه الحر صنيعة المستعمـر الجـالس على العرش مواجهة القت به فى غياهب السجن ، فكان بذلك من شـباب الحـزب الوطنى الذين جعلوا لهذا الحزب فى التاريخ ذكرا ٠ وخرج على الغاياتى من مصر مطاردا وهو شاب ورجع اليها وهو شـيخ ٠ ويبدو انه حين رجـع الى مصر اخذ يبحث عن ميدان يواصل فيه جهاده فلم يجد الا رجالا وراء أسوار السجون والمعتقلات ديست كرامتهم بالنعال ٠٠ ولكن بنعال من ؟ انها بنعال من قال فيهم المتنبى ــ كما قدمنا ــ :

واذا أتتك مذمتى من ناقـص   فهى الشـهادة لى بأنى كامل

كان الذين هم وراء الاسوار هم طلبته التى كان عليه أن ينتظرها ، حتى اذا لاح بصبص ضوء تلقاهم بالترحاب تلقى الحبيب لحبيب طال غيابه ٠

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ووضع نفسه وجريدته فى خدمة الدعوة المضطهدة المطاردة ، وهو يعلم أنه يراهن ماديا على الفرس الخاسرة ، فالاخوان أفقر الناس جيبا ، وابغضهم الى رجال المال والاعمال الذين كانوا اذ ذاك صنائع المستعمر • فمن أين لجريدة وضعت نفسها فى خدمة هؤلاء المضطهدين أن تجد لنفسها ايرادا ؟ومع ذلك رضى الرجل كل الرضا ، بل كان يحس بسعادة غامرة أن تحقق له – وان كان فى آخر أيامه – أمل طالما راوده الاشتياق اليه •

وقد أنشأ جريدته هذه « منبر الشرق » فى جنيف عام ١٩٢٢ وخصصها « للدفاع عن الشعب الناهض » وجعل شعارها بيتين من قصيدة له كتبهما وجعلهما ملازمين لاسم الجريدة وهما :

باسم الكنانة باسم شعب ناهض لا باسم أحزاب ولا زعماء
كل يزول وينقضى الا الحمى فوديعة الآباء للابناء

لعبت «منبر الشرق» هذه دورا أساسيا فى ربط الاخوان بعضهم ببعض، وأبرزت صورتهم ، وأسمعت الرأى العام الداخلى والخارجى صوتهم •• وأخذ « على الغاياتى » رحمه الله يدبج بقلمه مقالات ينتصف فيها للدعوة المظلومة من ظالميها • ويهاجم الظلم الحكومى والارهاب ، ولكن بأسلوب الرجل المؤمن الثائر المجرب الحريص على أن يظل هذا اللسان قائما بمهمة الدفاع عن الحق دون توقف ، راضيا بما يحيق به من خسائر مادية ، متغاضيا عما يوجه اليه من انذارات حكومية تتهدد جريدته وشخصه •

هذا وقد ظلت « منبر الشرق » بجانب « المباحث القضائية » هما الكلمة المقروءة للاخوان حتى أصدر الاخوان فى ٣٠ يناير ١٩٥١ مجلة خاصة بهم هى « مجلة الدعوة » •

الجو السياسى خلال هذه الفترة :

وقعت جريمة حل الاخوان المسلمين وما سبقتها من مقدمات وما تلاها من مؤامرات فى أثناء حملة حزب الوفد على الاخوان حملة وصفنا طرفا منها • وكان المتوقع أن يواصل الوفد حملته بعد أن أوقع بالاخوان • ولكن الذى حدث كان غير ذلك ، اذ أمسك الوفد عن مهاجمة الاخوان وتوقف عن حملته عليهم • ولست أدرى ما الذى دفع الوفد الى اتخاذ هذا القرار •• أهو النبل أم هو دافع آخر ؟ ولا زال الدافع الى ذلك سرا لا يعرفه الا الذين قرروا اتخاذه •• ولكن الاخوان على كل حال حمدوا للوفد هذا الموقف أياما كان الدافع اليه • ولقد

كان لهذا الموقف أثره حين أجريت انتخابات عامة سنة ١٩٥٠ جاءت بالوفد الى الحكم ٠

□ لماذا غير الملك موقفه ؟

ولابد فى هذا المقام من اثارة موضوع هام هو الانقلاب الذى انقلبه الملك على انصاره السعديين فى أيام حكم زعيمهم ابراهيم عبد الهادى ، ثم تدرجه فى اسناد الحكم الى أشخاص ممن يسمون بالمستقلين وان كانوا يدينون له بالولاء حتى انتهى فى تدرجه الى الوفد ٠٠ ما السر فى هذا الانقلاب المفاجئ ؟

أهو كشفه أن السعديين خونة ؟ أهو أمر جاءه على سبيل النصيحة من الانجليز ؟ أهو اعتقاده أن الاخوان المسلمين - وقد صاروا من غير قيادة - أصبحوا جماعة لا يخشى بأسها ؟ أهو مراجعته نفسه حين فعل بالاخوان ما فعل ، واغتال مرشدهم - ثم رآهم بعد ذلك كله قوة متماسكة ، لم ينل من قوتها كل ما فعل - وهو أقصى وأقسى ما يستطيع أن يفعل - فأراد التقرب اليهم ، ملصقا كل ما اتخذه ضدهم من أجراءات ظالمة بالسعديين الذين طردهم من الحكم شر طردة ، مدعيا انهم خانوه بما فعلوا بالاخوان ؟

قد يكون السر واحدا من هذه الفروض أو هو خليط مما حوته هذه الفروض ٠٠ ولكن الارجح هو أن الفرضين الاخيرين قد غره أولهما فتعلق به وظل متعلقا به حتى وجد نفسه بعد غير كثير من الزمن وجها لوجه أمام الفرض الاخير ٠

□ لماذا غير الوفد موقفه ؟

أما من ناحية الوفد نفسه فموقفه من الاخوان فى هذه الفترة يستحق البحث والتمحيص ٠ فهو بعد أن تولى الحكم نكث بوعوده للناخبين وجرب اسلوب التحدى مع الاخوان فى صورة قانون تنظيم الجمعيات ، وأسلمته تجربته الى الفشل ، فنبذ هذا الاسلوب واخذ التقرب والتصالح ٠

فهل نسى الوفد انه قبل سنتين كان قد أعلن الحرب على الاخوان،حربا لا هوادة فيها ، ولا ترعى الا ولا ذمة ؟ ٠٠ ما هذا التطور الذى طرأ على سياسة الوفد ازاء الاخوان ؟ ما هذه المهادنة ؟

صحيح أن فؤاد سراج الدين كان ينتهج سياسة تتسم بشىء من التجديد والمرونة ، كان هدفها أن يحتوى ما يستطيع احتواءه من الاشخاص والحركات ٠ واستطاع أن يحتوى فعلا بعض الهيئات التى كانت موجودة اذ ذاك فى الحقل السياسى ٠ فهل كان اتجاه سراج الدين نحو الاخوان المسلمين هو نفس الاتجاه وبنفس الهدف ؟ اذن يكون أشبه بالفار الذى

بحاول أن يبتلع قطا بل نمرا ·· ومثل هذا لا يخطر ببال رجل عاقل مثل سراج الدين مهما اتسع أفق آماله ··

ولكن الذى أرجحه هو أن سراج الدين كان واقعيا ، حين قيم الاخوان حق التقييم فرآهم على حقيقتهم التى أثبتتها الاحداث ـ سلمها وحربها ـ ·· رآهم هيئة ذات عقيدة فى قلوب معتنقيها أثبت من الجبال الرواسى ، وأن هذه الهيئة من القوة الذاتية بحيث لا تقهر ، وأن كسب ودها أنفع له ولحزبه من معاداتها وقطع الحبال بينه وبينها ·

وكان الصراع الحزبى حافزا لجرائد الوفد أن تسيل أنهارها بالكتابة عن الاخوان وما لاقوه على يد السعديين من اضطهاد وتعذيب · وكانت المادة التى تعتمد عليها فى ذلك قضايا الاخوان التى كانت فى ذلك الوقت تعرض على القضاء وتتكشف عن مخازى حكومة السعديين ·· وقد أنشأ الوفد فى ذلك الوقت جريدة أسبوعية سماها « الجمهور المصرى » كان رئيس تحريرها أبو الخير نجيب ، وتكاد تكون هذه الجريدة قد خصصت لهذا الموضوع · وكان لها تأثير عميق فى نفوس الناس الذين كان محولا بينهم وبين معرفة الحقائق طيلة عام أو أكثر ·

□ حـيرة :

لست أدرى حتى الآن هل كان حسن البنا ـ رحمه الله ـ مؤسس هذه الدعوة ومرشدها العام ـ يعتقد أن ستكون نهاية حياته فى هذه الدنيا على الصورة التى انتهت عليها ، وأن ستكون النهاية قريبة الى هذا الحد حيث انتقل الى جوار ربه ولما يبلغ الخامسة والاربعين ؟

انه كان كثير التبصير للاخوان فى مواقف كثيرة بما ينتظرهم من أوقات عصيبة يحال فيها بينه وبينهم ، وبأهوال سيخوضونها مع أهل الباطل · ويدعوهم الى الصبر والثبات حيث العاقبة لهم ·· ولكن ذلك التبصير والحيلولة بينه وبينهم ·· هل كان يتصورها على الصورة التى تمت بها ، حيث صارت حيلولة مفاجئة ليست كحيلولة السجن والاعتقال ؟

ان ثقة حسن البنا فى الله كانت ثقة لا حدود لها · فلم يكن يهاب الموت ولا يرهبه · وقد كانت لى معه تجربة فى هذا الصدد فى أوائل أيامنا بالدعوة أشرت اليها فى الجزء السابق ، وقد أذهلتنى هذه التجربة لاننى لم أكن أتصور انسانا يستهين بالموت كما رأيته يستهين به ويقدم عليه ··· ولكن هل معنى هذا أنه كان يتوقع أن تكون نهاية حياته على الصورة التى انتهت بها؟·

لا أعتقد ··· : لانه لو توقع ذلك لاعد للاخوان ما يعينهم على اختيار من يخلفه ·· وهو الانسان الذى يخطط للمستقبل ـ بالهام من الله وتسديد ـ

كما يخطط للحاضر الذى بين يديه ٠٠ ولا تجد فى تخطيطه ثلمة تنفذ منها الى خطأ ، ولا تعثر على خطوة أخرها يتبين أن الخير كان فى تقديمها ، ولا على خطوة قدمها يتبين أن الخير كان فى تأخيرها ، فهو المسدد دائما كما جاء فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » ٠

فمثله لو أنه توقع لخطط للاستخلاف ، أو على الأقل لانار لمن بعده الطريق ٠٠ فاذا أضفت الى ذلك كله شدة حرصه على دعوته ، فهى عنده آثر من أبنائه وأحب وأقرب ٠٠ والمرء حين يتوقع النهاية يوصى أبناءه أو يوصى بأبنائه ٠٠ ولو أنه ـ رضى الله عنه ـ توقع لاوصى أبناءه فى الله ولاوصى بهم

ولكنه ـ رحمه الله وعوض العالم فيه خيرا ـ مع ما كان يعرفه عن أعداء الدعوة من سوء الخلق وموت الضمير ، فانه لم يكن يجردهم من الانسانية أو يضعهم فى مصاف الوحوش الكاسرة ، بل كان دائم الامل فى أن يستطيع فى يوم من الايام أن يحرك بقية من انسانية فى نفوسهم لعلها توقظ ضمائرهم فيستجيبوا الى ما ينفعهم ٠٠٠ وقد جرب نفسه مع كثيرين من كبار الاشقياء وعتاة المجرمين فاستطاع بفضل الله أن ينقلهم من حضيض الضلال الى سماء الهدى والنور ، وأن يجعل منهم أبطالا يحمون ذمار الحق ، وأئمة يهدون بأمر الله ٠

ما كان يغيب عنه رحمه الله أن تكون نهايته كنهاية سابقيه من أصحاب الدعوات أمثال ابن تيمية والافغانى ، وكثيرا ما كان يردد ذكرهم ويذكر نهايتهم وهو سعيد بهذه الشهادة التى هى أمل كل مؤمن ٠٠ ولكن النهاية التى انتهت بها حياة هؤلاء الرجال لم تكن كالنهاية التى انتهت بها حياته ٠٠٠ كان يتصور ان يعتقل وأن يسجن وأن يطول اعتقاله وسجنه ، ويتصور أن تلفق له تهمة ليتخلص منه فيقدم الى القضاء ، ويؤتى بشهود الزور ويحكم عليه بالاعدام ٠٠ كل هذا كان يتصوره وكان يتوقعه ٠٠ ولكن هذا كله وأعنف منه لم يكن ليحول بينه وبين أن يستخلف أو يشير بشىء يعين على اختيار من يخلفه ٠٠ لم يكن الرجل يحسن الظن بخصوم الاسلام ، ولا يهون من كيدهم ومكرهم ، ولكنه كان يعتقد مع ذلك أن ستكون لديه الفرصة الكافية لوصية تنير الطريق ٠

لكن النهاية جاءت مخلفة كل ظن ، مناقضة لكل تصور ، مباغتة للعقل والمنطق والقياس والنظر بل والخيال أيضا ٠٠ لم نكن لها سابقة تقاس عليها ، ولم يحدثنا التاريخ عن مثيل لها حتى كنا ادخلناها فى خيالنا ، ولكنها كانت نسيج وحدها ، وأعجوبة زمانها بل وزمان غيرها ٠٠٠ ولا ننكر أن الظلم كان موجودا فى كل زمان وكل مكان ، وأن الطغاة والظالمين لم يخل منهم زمان ولا مكان ٠ ولكن هؤلاء كانوا اذا ارتكبوا جريمة القتل ضد أعدائهم

ارتكبوها جهرا وعلانية ، كما كان يفعل الحجاج بن يوسف الثقفى ، أو كانوا يستغلون القضاء ، أو أن يسجنوا عدوهم حتى يموت فى السجن مثلا ٠٠٠٠ أما أن تقوم الحكومة بجميع سلطاتها بدور المتآمر الذى يبيت الجريمة فى خفاء ، ويحاول الاستخفاء فى الظلام ، وتقتل عدوها الاعزل غيلة وقد أعطته الامان ٠٠ فهذا ما ليس له فى التاريخ مثيل ، وهذا عار قد يأباه حتى الطغاة المستبدون .

على أى حال ٠٠ فان الجريمة وقعت ٠٠ وكان خروجها عن المألوف ، وبعدها عن تصور العقل وتخيل الخيال حائلا بين الرجل وبين أن يعين من بعده فيما كان هو بغير شك حريصا على اعانتهم فيه ٠٠ وهذا هو ماجعلهم فى حيرة من أمرهم ٠

□ قيادة مؤقتة :

كان التصرف الطبيعي وقد غاب قائد الدعوة أن تتصدى لقيادتها المؤسسات التى كانت تعاونه فى القيادة وهى مكتب الارشاد والهيئة التأسيسية ٠٠ ولما كان أكثر أعضاء هاتين المؤسستين فى المعتقلات ، فقد تولى هذه المهمة الاعضاء الذين أطلق سراحهم ، ثم صار ينضم اليهم من يطلق سراحه ٠ وقد باشر هذه المهمة منهم الاعضاء المقيمون فى القاهرة خير قيام ، وكانوا يتخذون من منزل الاخ الكريم الاستاذ منير الدلة مكانا لاجتماعاتهم ٠ وينبغى أن نشير هنا الى الدور الذى أداه الاخ الاستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى كان عضوا بمكتب الارشاد العام ، والذى كان الاستاذ الامام رحمه الله يخصه بكثير من الحب مع ما كان يعرف من شطحاته ٠٠ كانت ظروف الباقورى – التى أشرت من قبل الى طرف منها – قد أعفته من أن يعتقل أو أن يحجر على حريته ، وكان ذلك نافعا للدعوة فى هذه الظروف العصيبة .

فهيئة قيادة الدعوة فى خلال تلك الفترة كانت مجموعة من الشباب ، متقاربة السن ، متقاربة الثقافة ، متقاربة المنزلة الاجتماعية ، ليس لها من الخبرة نصيب ذوبال اذا قيس بما كان لقائدهم منها ٠٠ وقد ترك القائد الدعوة وهى فى أحرج مواقفها ٠٠ فى موقف لا تحسد عليه ، أخطاء من داخلها أعطت لاعدائها سلاحا بتارا أغمدوه فى ظهرها ، وأحقاد من حكام هذا البلد استغلها من الخارج دول كانت تتربص بهذه الدعوة الدوائر ٠

وقد استطاعت هذه القوى الداخلية والخارجية أن تشوه وجه الدعوة أمام الرأى العام الداخلى والخارجى ٠٠ وهذا اسلوب اخطر على الدعوة من اسلوب القتل والاعتقال والسجن والتشريد ٠٠ وهو ما سوف نتناوله بالحديث والمناقشة فى فصل قادم ان شاء الله ٠

تيـــــاران :

اذا كانت الدعوة الاسلامية بعد قائدها الاول صلى الله عليه وسلم ــ مع أنه قبل اختياره الرفيق الاعلى قد أنار لمن بعده الطريق الى حد ما ــ قد تعرضت لتيارات متناقضة متعارضة كادت تعصف بها ولولا لطف الله وحصافة أبى بكر وعمر ومع أيمان كان لا يزال غضا يعمر القلوب .. كان هذا والناس بعد قريبو عهد بالوحى ينزل بينهم .. فما بالك بالدعوة نفسها بعد ثلاثة عشر قرنا ، وقد حالت الظروف دون أن ينير قائدهم لهم الطريق لاستخلاف من يلى الامر فيهم ؟ .. انهم لمعذورون اذا اختلفوا وتضاربت آراؤهم ، وتوزعتهم الآراء والاتجاهات . ولكنهم مع ذلك قد عصمهم الله ، وربط على قلوبهم ، فلم يطف على سطح هذا الخضم المتلاطم الا التياران اللذان انتابا الدعوة الاولى .

□ التيار الاول ــ أولو القربى :

أول ما يتبادر الى أذهان الناس عادة أن أحق الناس بخلافة قائد دعوة ما بعد وفاته هم أهله وعشيرته .. وقد يكون الاهل والعشيرة أشد الناس الناس ايمانا بهذه النظرية باعتبارها حقا شرعيا كالميراث الشرعى فى المال ، لا سيما اذا كان منهم من كان فى طليعة العاملين فى الدعوة ومن ذوى السابقة والبلاء فيها .. واذا ما أخطأهم الاختيار وأسند الامر الى غيرهم اعتبروا ذلك هضما لحقوقهم وتخطيا لرقابهم .

وكان من أكرم العاملين فى دعوة الاخوان وذوى السبق والبلاء فيها اثنان من أهل الاستاذ الامام رحمه الله وعشيرته : هما الاخوان عبد الرحمن الساعاتى (البنا) وعبد الحكيم عابدين ــ الاول شقيقه والآخر زوج شقيقته أما عبد الحكيم عابدين ــ بما يغلب عليه دائما من صبغة صوفية نشأ فى أحضانها منذ صغره ــ فقد كان عازفا عن ذلك وأعلن أنه لا يؤمن بهذه النظرية من حق ذوى القربى .. وأما الاستاذ عبد الرحمن الساعاتى ــ بما كان يغلب عليه من تشيع لاهل البيت رضوان الله عليهم ومن مغالاة فى هذا التشيع ــ فانه رأى نفسه ورآه أشقاؤه وبعض أهله وعشيرته أحق الناس بمكان أخيه وشقيقه فى الدعوة ... ومع أن الاستاذ عبد الرحمن كان يرى هذا الراى ويعلنه فانه لم يرفع راية العصيان فى وجه الجماعة حين رأت غير رأيه . وان كان بعض من لا دور لهم فى الدعوة قد شغبوا فلم يجدوا اذنا واحدة صاغية .

□ التيار الآخر ــ أولو القوة :

ولم يكن بروز هذه الفئة من رجال الدعوة فى المطالبة بهذا المنصب بدعا، فقد وقف امثالهم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم يطالبون بأن تكون

الخلافة فيهم ٠٠ والانصار فى الرعيل الاول من الدعـوة الاسـلامية انما هم الفئة التى بايعت على حماية الدعوة وحماية صاحبها بالسيف من أى أعتداء عليها ٠٠ وقد كان اخواننا العاملون فى ـ النظام الخاص » فى دعوة الاخوان يرون أنفسهم يمثلون فريق الانصار رضوان الله عليهم فى الرعيل الاول ٠٠ ولذا فقد رأوا أنفسهم أحق الناس بأن يكون صاحب هذا المنصب بترشيحهم٠

وقد رجع الانصار بعد قليل الى ايمانهم ، واقتنعوا بأن دعاءهم هذا الحق هو نوع من النكوص فى بيعتهم التى لم تكن الدنيا ولا المناصب غايتها ولا هدفها ، فنزلوا ـ راضين ـ على ما استقر عليه رأى المسـلمين فى اختيار أبى بكر رضى الله عنه وسمعوا له وأطاعوا ٠٠٠ أما اخواننا هؤلاء فقد اتخذوا موقفا نتناول الحديث عنه بعد قليل ان شاء الله ٠

الفصـــل الثـانى

شبهة خطرة ماكرة

يتشعب التخطيط الدولى فى حبك المؤامرات تشعبا عجيبا ، فبينما يهيىء أسبابا للايقاع بين الهيئة التى يتآمر عليها وبين حكومة بلدها فتضـربها الحكومة بكل قوتها لتشتت شملها وتضعضع قوتها ، مما قد يرضى أعداءها من بين فئات الشعب ـ يتجه التخطيط فى الوقت نفسه الى محبى هذه الهيئة والمتعاطفين معها من بين فئات الشعب فيلقون بذور الشك فى نفوسهم تجـاه الهيئة بأسلوب يحار اللب فيه ، ويدل على براعة أولئك المخططين ، وعمق تفكيرهم ، وواسع درايتهم بالخصائص النفسية للامم التى يخططون لها ٠

واذا كان الايقاع بين الاخوان وبين الحكومة قد أسـفر عن تضـحيات وخسائر لمسها القارىء فى سياق الابواب والفصـول السابقة ، فان اصـلاح ما أفسده الايقاع أمر يسير متدارك تكفلت به أحكام القضاء ـ أما القاء بذور الشك فى نفوس محبى الاخوان والمتعـاطفين معهم بالاسـلوب البارع الذى يتسرب الى النفوس دون أن تشـعر كيف تسـرب اليهـا ، بحيث يجـدون أنفسهم وقد تغيرت نظرتهم الى الاخوان المسلمين ، فبعـد أن كانوا سـعداء بهم ، مفاخـرين بقيـادتهم ، مباركين خطواتهم ٠٠ اذا بهم وقـد صـاروا متشـككين فى توفيـق قيـادتهم ، مرتابـين فى أهـدافهم ، معترضـين على تصرفاتهم

ان الاسـلوب الذى بث به التخطيط الدولى الشـك فى نفوس صـالحى المسلمين فى كل بقاع الارض ، لم يتعرض لدعوة الاخوان المسلمين بذم ، ولم ينتقص من قيمة الاخوان وتفانيهم وشجاعتهم ، ولكنه يقرر ـ أسفا حـزينا متحسرا على هذه الهيئة العظيمة ـ أن قيادة الاخـوان قد تسرعت فى خطاها أخيرا اذ تعجلت قطف الثمرة قبل تمام نضجها بتدخلها فى السياسة ٠٠ فحدث لها مع الحكومة ما يحدث لكل متعجل ٠ ولو انها صبرت وتركت السياسة فى فى ذلك الوقت لاربابها لمـا حدث لها ما حدث ٠

ونجح هذا الاسلوب أيما نجاح ، وغزا العقـول والنفـوس والقلوب ، فكنت لا تسمع من أقرب الناس للاخوان الا هذه النغمة من العتب الشديد ، واللوم اللاذع ، والتقريع العنيف ٠٠ لماذا تسرعتم ؟ ٠٠ لمـاذا تعجلتم ؟٠٠ لقد اضعتم الدعوة وقضيتم عليها بهذا التسرع ٠٠٠

ما كدنا نخرج من محنتنا التى عصرتنا عامين كاملين حتى فوجئنا بأهلينا واصدقائنا باستقبال حافل باللوم والتقريع ، فكان هذا الاستقبال اشد على نفوسنا من كل ما لقينا فى محنتنا .

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وخطورة هذا الاسلوب انه افتقدك ثقة الناس فيك . وأنك مضطر ــ لكى تستعيد ثقتهم ــ الى أن تبدأ محاولات لاقناعهم من جديد .. وقد يكون اقناع خلاة الاذهان أيسر من اقناع أمثال هؤلاء .. ولهذا فقد كان نجاح المتآمرين فى بث الشك فى النفوس عقبة كأداء امامنا ــ نحن دعاة الاخوان ــ فى تلك الفترة الحرجة ، وكان علينا ان نذللها قبل كل شىء حتى نسوى الطريق بين يدى الدعوة لتنطلق فيه الى سابق مسارها .

ولا شك فى ان محاولة اخراج شعب من أمية فى شئون الحياة ، وتبصيره بما يدبر له ، أمر من أشق الامور ، فاذا كانت هناك عوامل قوية دائبة النشاط ، مهمتها أن تعمل على احباط هذه المحاولة ــ فان نجاح المحاولة يحتاج الى أضعاف الوقت وأضعاف الجهد . وقلما تصل المحاولة الى نهايتها الا اذا كان المحاول مستميتا لا يجد اليأس الى نفسه سبيلا .

وكان هذا هو حال الاخوان مع هذا الشعب المسكين الذى طال رقاده ، وطال أمد تشربه أفاويق الخداع والتضليل ، فبات وعلى بصره أسداف من الغشاوات ، كلما رفع الاخوان غشاوة وجدوا تحتها أخرى ، فلما صاروا قاب قوسين او أدنى من كشفها جميعا ، أطفأ حكام مصر الانوار ، وتركوا الشعب يعيش فى ظلام دامس ، فهو يسمع ولا يرى ــ وبتكميم أفواه الاخوان بالقائهم خلف الاسوار لم يعد الشعب يسمع الا نعيق هؤلاء الحكام ، وما زيفوه عليه من أنباء ، وما قلبوه من حقائق ، وملأوا به سمعه من أكاذيب ومفتريات .

سنة كاملة اعتقلت خلالها الالسنة ، والجمت الافواه ، وحطمت الاقلام : ولم يعد الشعب المصرى والعربى والاسلامى فى أنحاء العالم يسمع أو يقرأ الا تهما تختلق ، وأكاذيب تنمق ، حتى شك المؤمنون فى ايمانهم ، وارتاب الناس فى أقرب الاقربين اليهم ؟ وسرت موجة الشك هذه فى أوساط الامة الاسلامية ، فأخذت تعيد النظر فى تقييم الاخوان ودعوتهم ومدى التزامهم بأهداف الدعوة ووسائلها على ضوء الشكوك والريب التى تسربت الى نفوسهم .

صار أقرب الناس الى الاخوان يعتقدون أن الاخوان قد اعتسفوا الطريق ، وتسرعوا فخرجوا عن الجادة . وعزوا ما ووجه به الاخوان من ظلم وقهر وأذى الى أنه جزاء وفاق للتسرع والتعجل .

واذا سألت احد المعترضين عما يراه خروجا من الاخوان عن جادة دعوتهم اجابك قائــلا : انهم تدخلوا فى السياسة • فاذا سـألته : اذن فمــاذا كنت تريدهم أن يفعـلوا ؟ قال : كان عليهم أن يكتفوا بالدعـوة الى العبــادات والاخلاق •• وأن يرجئوا ما سوى ذلك الى وقت آخر •••• فاذا ما سألته : ومتى يأتى هذا الوقت الآخر ؟ أرتج عليه واعتصم بالصمت لانه قد وصل الى طريق مسدود ••

□ دحض هـذه الشبهة :

ولـما كانت هذه الشبهة المضلة مما تتعرض له الدعوة على مـر الايام حين تصطدم مع هوى الحاكمين ، فقد رأينا أن نتصـدى لها تصـديا فـكريا مستمدين أسلحة هذا التصدى من صميم الفكرة الاسلامية ومن واقع الحياة العامة التى تعمل فيها هذه الفكرة باعتبارها دعوة ، فنقول :

أولا – ان الاخوان منذ اليوم الاول لقيام دعوتهم كانوا يقدمون دعوتهم للناس ، ويحرصون على ابراز معنى شمول الاسلام لكل نواحى الحياة من عبادية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، وان الاسلام دين ودولة •• وابراز هذا المعنى الشمولى للاسلام كان هو الدافع الوحيد لقيام حسن البنا بالدعوة •• والا فما كان هناك ما يدعـو لقيامه ، فقد كانت مصـر وغـيرها من الدول الاسلامية تعج بالجمعيات والهيئات التى تدعو الى الاسلام ولكن بمعنـاه المبتور •• وتحت يدنا مطبوعات كنا نوزعها على طلبة الجامعة فى عام ١٩٣٦ تدعو باصرح عبارة الى نفس ما كان يدعو اليه الاخوان فى أعـوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ •

ثانيا – ان الاخوان يوم قرروا النهوض بأعباء الدعـوة الى الاســلام بمعناه الشامل كانوا يعرفون أن ابراز الاســلام بمعناه الشــامل لن يرضى المستعمر ولا تابعيــه من الحـكام لان ذلك سـيحد من سلطتهم ويقضى عـلى أطماعهم ••

ثالثا – ان حسن البنا لتيقنه من ذلك كــان حريصــا على أن يطمئن هؤلاء الحكام بين الفينة والفينة وفى مختلف المواقف الى ان الاخوان ليسوا طلاب حكم ، ولكنهم اصحاب فكرة ، يقدمونها الى الحـكام المنتسـبين الى الاسلام ليحكموا على اساسها ، وسيكون الاخوان فى هذه الحالة فى ركابهم ، وعلى حد قوله « يغسلون على ايديهم » •• وقد وصــل فى حرصــه على طمأنة الحكام الى ذلك ان اعلن فى المؤتمر السادس – وكان الاخوان فى أوج قـوتهم ان الاخوان ليسوا اعداء الملك ، وانما هم أصحاب دعوة ، فى الحكم بها انقاذ البلاد وصلاح العباد •• يتقدمون اليه بها لتكون دستور الحكم • واستشهد

رحمه الله فى ذلك بقول الامام مالك بن أنس : لو كانت ى دعـوة مستجـابة لجعلتها للسلطان فانه اذا صلح صلح بصلاحه خلق كثير .

رابعا ــ ان الاخوان حين اعلنوا شمول دعوتهم من أول يوم حتى آخر يوم لم ينقصوا من شمولها شيئا ولم يزيدوا عليه شيئا .. الا أن صـوتهم فى هذا الاعلان كان متناسبا فى درجة اسماعه للآخرين مع ما وصلوا اليه من قوة ، فليس صـوتهم فى الاسماع وهم مئـات كصـوتهم وهم ألوف ، وليس صوتهم وهم ألوف كصـوتهم وهم عشـرات الالوف ، وليس صـوتهم وهم عشرات الالوف كصوتهم وهم مئات الالوف وهكذا .... وكلما ازداد صوت التحذير قوة صار أشد ازعاجا للصوص وهم يسرقون فى هداة الليل وسـكون الظلام .. وقد يدعو هذا اللصوص الى انتضاء السـلاح .. واذا بلـغ بهم الازعاج كل مبلغ تركوا المتاع الذى يسرقونه وتفرغوا أولا للقضاء على مصدر الازعاج ليباشروا بعد ذلك سرقاتهم فى أمان واطمئنان .. مع علمهم بأن هذا المصدر لا يهدف من وراء ازعاجهم الى فوزه بنصيب مما يسرقون ــ وقد كان يسعدهم أن يشركوه معهم لو كان فى اشراكه ما يقنعه ويوقفه عن الازعاج ــ ولكنهم تيقنوا من أن هدفه الوحيد من وراء الازعاج هو ايقاظ أصحاب المتاع للحيلولة دون سرقة متاعهم .

هل كان أمام الاخوان مندوحة تعفيهم من المسئولية امام الله والناس والتاريخ اذا هم تعاموا عما يرون ، وأدعوا الصمم عما يسمعون ، وسكتوا لتتم السرقـة تحت سمعهم وبصرهم .. ان أيسـر الطرق أمامهم كانت هى هذه الطريق ، أن يسكتوا .. ولـكن ليست أيسر الطرق دائمـا هى الطريق القويم .. نعم لقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بـين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثمـا ... ولكن أليس السكوت فى هـذه الحالة اثما ؟ .. انه اثم كبير لا حدود لكبره ...

ثم أين تجد هذه الآية الكريمة من يحققها فى مثل هذه الحال حين يقول الله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » اذا لم يلبها الاخـوان وهم الذن قامـوا من أول يوم يدعون الناس الى تحقيق هذا الامر الالهى ؟ ... أحـين يجـد الجـد ، ويصبح السكوت اهدارا لحقوق الشعب فى الحرية والاسـتقلال . ينكصـون على أعقـابهم ، ويعتصمون بالصمت ، ويلجـأون فى تـبرير نكوصـهم الى أضاليل يغشون بها الناس ، فيحق عليهم قول الله تعالى ــ يا أيها الـذيـن آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ؟!

خامسا ــ ان الاستاذ الامام ــ رحمه الله ــ كان أعرف النـاس كيـف

بضع الشيء فى موضعه او كما يقولون « يضع الهناء مواضع النقب » .. لم يكن رحمه الله ممن يرمون بالتسرع فى اية مرحلة من مراحل الدعوة ، بل انه كان لشدة توخيه الاناة ، ولشدة حرصه على ان يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ـ كان منافسوه يرمونه بايثار العافية ، وقد اشرنا الى طرف من ذلك فى الحديث عن « الاخوان ومصر الفتاة » وفى الحديث عن بعض مواقفه مع حزب الاحرار الدستوريين وحزب الوفد ..

وما كانت « الفتنة الاولى » التى افضنا فى الحديث عنها فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، والتى كادت تستأصل الدعوة من جذورها ، وفقدت الدعوة من جرائها عددا كبيرا من اكرم الاخوان .. ما كانت الا احتجاجا على التباطؤ فى خطوات الدعوة والتقاعس ـ فى عرفهم ـ عن العمل الجرىء الشجاع الذى كانوا يصرون عليه .. ولقد أشاد الاستاذ الامام الى ذلك وقرر استمساكه بهذا الاسلوب مهما رمى بالضعف والتخاذل ، ومهما خرج عليه الخارجون . فقال فى المؤتمر الخامس الذى عقد بعد هذه الفتنة باكثر من سنتين « أيها الاخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم : اسمعوها منى كلمة داوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمركم هذا الجامع ـ ان طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بانها اسلم طريق للوصول .. أجل .. قد تكون طريقا طويلة ، ولكن ليس هناك غيرها ـ وانما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب . **فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه فى ذلك بحال . وخير له ان ينصرف عن هذه الدعوة الى غيرها من الدعوات** ـ ومن صبر معى حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف فاجره فى ذلك على الله ، ولن يفوتنا واياه اجر المحسنين : اما النصر والسيادة واما الشهادة والسعادة » .

افمثل هذا الرجل يرمى اخيرا بالتسرع الذى هو ليس من طبيعته ، وليس من دأبه ، بل ويتعارض مع ما جبل عليه من الاناة والحرص والحذر والمرونة وبعد النظر وحسن التقدير .

ولكن ماذنب الحمل اذا كان الذئب قد قرر افتراسه فادعى انه عكر عليه ماء البحر الذى لا يعكره الف حمل ؟ ...

سادسا ـ لقد كان حسن البنا ـ رحمه الله ـ ابخل الناس بدم الاخوان ووقتهم ـ وفى مواقف كثيرة كان يتصرف فيها تصرفا يصادم عواطف الاخوان ، حيث كانوا يرون فى انفسهم القوة الكافية لقهر الموقف .. ومع ذلك يرونه يتفاداه .. وكان يشرح لهم خطته التى تتلخص فى انه اضن الناس بقطرة من

دم الاخوان أو بدقيقة من وقتهم مالم يكن ذلك امرا لا مفر منه ٠٠ لكن ما دام أمامه مندوحة لتفادى ذلك فسيتفاداها مهما رمى بالضعف والمسالمة ٠٠ فهل انسان كهذا يرمى بالتسرع وتعجل النتائج ؟

سابعا — كان من المأثور عنه فى خطبه العامة وفى دروسه الخاصة أنه كان يقول : نحن الاخوان ليس هدفنا نصرة الاسلام ، وانما هدفنا الحصول على رضا الله عز وجل ٠ ولولا أن الحصول على رضا الله عز وجل هو فى نصرة الاسلام لما عملنا على نصرته ٠

انسان هذه عقيدته وهذا هدفه ، عقيدة وهدف استبعدا كل ما يحجب صاحبهما عن وجه ربه ، من بريق لحلاوة النصر أو تطلع الى العلو فى الارض فهو لا يرى دائما الا وجه ربه الكريم ٠٠٠ ومن علامات اعتصام انسان بمثل هذه العقيدة أنك تراه مهما واتته الظروف ، وأفسحت له الايام من سعتها ، ثابتا على ما ألزم به نفسه من أول يوم من عيشة الكفاف ، والبعد عن الرفاهية والمتع ٠٠٠ وهذا الرجل كان يعيش فى آخر عهده بالحياة الدنيا — وقد صار أتباعه بمئات الالوف ، وصار اسمه تهتز له العروش ، وصار يجرى بين يديه مئات الالوف من الجنيهات — نفس عيشة الكفاف التى كان يعيشها وهو شاب مجهول لا يعرفه أحد ، ولا يجرى بين يديه الا اثنا عشر جنيها هى مرتبه فى الشهر ٠

ولو كان الرجل يميل الى الاستمتاع بالمال أو يتشوف الى الاستئثار بالسلطة لكان أمامه مندوحة ، فكل ذلك كان متاحا له مالم يكن متاحا لرئيس حكومة ولا لملك ٠٠ ولكنه رحمه الله كان يؤثر عيشة الكفاف ، ويزهد فى السلطة ، ويرى سعادته فى الجلوس بين اخوانه على الارض ، يؤاكلهم أخشن الطعام ، ويلبس أخشن الثياب وأرخصها ثمنا ، ويبادلهم الراى كأحدهم ، ولا يحملهم على رأيه بل يحاول اقناعهم بالحجة والبرهان — مع أنه لو أمر لسارع الجميع الى طاعته ، ولكن شهوة الحكم والتسلط لم يكن لها فى نفسه مكان ٠٠

وكان اذا سافر من بلد الى آخر ركب فى الدرجة الثالثة من القطار ، مع أن الذين ينتظرونه على محطة الوصول أكثر عددا ممن ينتظرون رئيس حكومة ، والذين يودعونه عند العودة مثل مستقبليه عددا ٠ والكل مدفوع الى ذلك — لا خوفا من بطش ولا أملا فى غنم — بل حب وتفان واخلاص وايمان ٠

فهل مثل هذا الانسان يرمى بالتهالك على مظاهر الحكم والتعجل فى الجرى وراء المغانم ؟ !

□ من واقع الاحـــداث :

قـد تكون النقاط السـبع الماضية التى ناقشنا فيها هـذه الشبهـة الزائفة تجنح المناقشة فى أكثرها الى الناحية النظرية ، مما يتصـل بطبيعة الفكرة وخصال الداعية الذى كان يقود مسيرتها ويرتاد لها الطريق . ونرى أن اتمام المناقشة يقتضى أن نشفع ذلك باستنطاق الاحداث البارزة التى شغلت اكثر الوقت من الفترة التى هى موضع العتب ، ومحل اللوم ، ومثار الشبهة ، ومبعث الاقاويل .

ومع أن هذه الاحداث قد ناقشناها من قبل فى مواضعها على أوسع نطاق فاننا هنا وفى هذا السياق نجمل مناقشتها على ضوء الشبهة المفتراة فنقول :

□ المواقف التى ابرزت الاخوان فى المجتمع الدولى :

يمكن اجمال المواقف التى ابرزت الاخوان فى المجتمـع الدولى فى هـذه الفترة فى ثلاثة مواقف :

(أ) موقفهم من ثورة اليمن .
(ب) موقفهم من حرب فلسطين .
(ج) موقفهم من تطورات الاحداث فى مصر .

□ موقف الاخوان من ثورة اليمن :

لانرى داعيا لاعادة القول فى اليمن وطريقة حكم الامام يحيى فيه والحياة التى كان يعيشها الشعب اليمنى التى جعلت كتاب الغرب الذين زاروا اليمن فى ذلك الوقت يقولون ان اليمن يعيش فى عهد ما قبل التوراة ... فهل اذا قام أحرار من مثقفى أهل اليمن بثورة على هذه الاوضاع التى يأباها الاسلام، وتنفر منها الانسانية ـ وقد بايع الشعب هؤلاء المثقفين ـ واسـتغاث هـؤلاء المثقفون بالاخوان باعتبارهم الهيئة الاسـلامية المستنيرة التى تدعـو الى الحكم الاسلامى الصحيح ، يطلبون منها معاونتهم فى ارساء حكم اسلامى فى بلادهم ـ وهم حكومة بيدهم مقاليد الامور ـ فهل يتنكر الاخوان لدعوتهم ويتقاعسـون عن اعانتهم وهم أقـــدر الناس على هـذه الاعانة .. وهـم لم يطلبوا من الاخـوان جيشـا ولا أسـلحة وانما طلبوا منهم تاييدا معنويا ، ومعاونة بالرأى فى تدبير الامور على أساس من النظام الاسلامى ؟

وينبغى هنا أن يتذكر القارىء ما جاء فى ختام رسالة « نحو النور » التى بعث بها الاخوان فى عام ١٩٣٧ الى حكام الدول الاسـلامية وأصحاب الرأى فيها اذ يقول الاخوان « وبعد .. فهذه رسالة الاخوان المسلمين نتقدم بها ، وانا لنضع انفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف اية هيئة او حكومة

تريد أن تخطو بأمة اسلامية نحو الرقى والتقدم ، نجيب النداء ، ونكون الفداء · ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا · والدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل » ·

لقد كان الاخوان مخيرين بين أمرين لا ثالث لهما ، اما أن يستجيبوا لطالبهم ، وفى ذلك ارضاء لله ورسوله وانقاذ لشعب مسلم مغلوب على أمره ، وفى ذلك أيضا تجاوب مع دعوتهم وصدق لما عاهدوا الله عليه · واغاثة الملهوف هى أدنى ما يطلب من المسلم للمسلم بل من المسلم لاى ملهوف ·· هذا لانقاذ فرد ···· فما بالك اذا كانت الاغاثة لانقاذ شعب بأسره ؟ ··· وإما أن يقعدوا عن اجابة طلبهم ، ويتخاذلوا عن اغاثتهم ـ كما فعلت الجامعة العربية والمسيطرون عليها فى ذلك الوقت ـ فيكون فى ذلك ما يثبت للناس وللاخوان أنفسهم أنهم كانوا كاذبين فى ادعائهم حمل لواء الدعوة الاسلامية ·

ولو أنهم فعلوا ذلك لفقد الناس ثقتهم فيهم ، ولفقد الاخوان ثقتهم فى أنفسهم ، وقضوا بذلك على الدعوة الاسلامية بتقاعسها عن اجابة أول نداء وجه اليها وفشلها فى أول تجربة تعرضت لها ·· والقضاء الحقيقى على أية فكرة أو دعوة ـ كما قدمنا ـ هو القضاء عليها فى نفوس الناس ·· وكل الخطوب تهون أمام هذا الخطب ·

□ موقف الاخوان من حرب فلسطين :

وقد لا يحتاج الاخوان الى من يجادل عنهم فى هذا الموقف ولا الى مزيد بيان ، فان هذه الحرب لا تزال هى موضوع الساعة فى مصر وفى البلاد العربية وفى العالم كله ·· واذا كان الاخوان هم أول من خف الى أداء واجب الدفاع عن هذه الارض المقدسة ـ ولم يكونوا فى هذا طارئين على الموقف ولا مدعين ـ فقد كانوا منذ كانت دعوتهم نبتا صغيرا حرس هذه الارض والذائدين عن حياضها ···

واذا كان تطوعهم للدفاع عن فلسطين واستبسالهم فى الذود عنها قد أظهر للعالم بطولات قلما يجود الزمن بمثلها وصارت حديث الاعداء قبل الاصدقاء ·· واذا كان ذلك قد احنق حكاما وأصحاب عروش فى قلوبهم مرض، فنظروا الى هذه البطولات نظرة حقد وضغينة ··· فما ذنب الاخوان فى ذلك وهم يؤدون واجبا ما تخلفوا عن أدائه يوما من الايام ؟

على أن المجد الذى اكتسبه الاخوان من هذه الحرب لم يكن هو هدفهم يوم تطوعوا لها وتركوا وظائفهم وأعمالهم وبيوتهم وتجارتهم وأولادهم ·· وانما كان هدفهم أداء الواجب ، وتحقيق أمل طالما تعشقوه وهو أن يحوزوا شرف الموت فى سبيل الله ··

واذا كانت هذه الحرب لم تحقق ما كان يامله كل عربى ومسلم من تحرير الارض المقدسة من دنس الصهيونية ، وكانت الهزيمة لاسباب لم يكن للاخوان يد فيها ، ولم يكن فى استطاعتهم دفعها ، فان تقدم الاخوان الصفوف قد هز مشاعر المخلصين من أبناء الامة الاسلامية ، واحرج صدور المستوزرين وأصحاب السلطة والنفوذ فى الحكومات العربية ٠

وعلى المعترضين على تطوع الاخوان فى فلسطين ـ ناسبين كل ما حدث من تالب أصحاب النفوذ فى العالم عليهم الى بروزهم فى هذه الحرب ـ على هؤلاء المعترضين أن يستعرضوا تاريخ هذه القضية ، وكيف استطاع الاخوان أن ينقلوها من عالم المجهولات فى أوائل الثلاثينيات الى قمة المعلومات فى أواخر الاربعينيات ٠٠ وما كانوا ليحققوا ذلك بالجلوس فى بيوتهم ونواديهم وارسال الحسرات على فلسطين وأهلها كما كان يفعل أخلص المخلصين من غير الاخوان ٠

ماذا كان يريد اللائمون أن يكون موقف الاخوان ازاء هذه القضية غير ما كان لهم من موقف ؟ ٠٠هل كانوا يريدونهم أن يقفوا موقف الجبن والتخاذل خوفا من أن يزداد الملك وذيوله والمستعمرون من ورائهم حقدا عليهم ؟ ٠٠ انهم لو فعلوا ذلك لكانوا كالذى حفر لنفسه قبرا ووأد نفسه فيه خشية أن يراه أعداؤه ومنافسوه فيحقدوا عليه ويحسدوه ٠٠٠ ولكن الاخوان قد استجابوا لنداء الواجب ، ووطنوا أنفسهم على تلقى ضربات الحاقدين ، موقنين بأن لكل تضحية ثمنا فى الدنيا والآخرة ، وبأن العاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ٠٠ فضحوا بأعز ما يملكون ، فأحيت هذه التضحية قضية فلسطين حياة لن تموت بعدها ٠٠ أحيتها فى ضمائر جيل يورثها الاجيال من بعده ٠٠ وأحيت الفكرة الاسلامية وخلدتها بحيث صارت واضحة فى نفوس الناس وعقولهم وبحيث صارت الثقل الراجح فى ميزان السياسة العالمية ٠٠ وعن طريق هاتين تمخض تاريخ هذه البقعة من العالم عن أحداث جسام لا زلنا نعيش حتى اليوم فى حلقة من حلقاتها ٠

□ موقف الاخوان من تطورات الاحداث فى مصر :

وقد جلينا الكثير من هذا الموقف وافضنا فى الحديث عنه من قبل ، ونستطيع الآن ان نوجزه اذا تصورنا أن محاور هذه الاحداث كانت ثلاثة هى الانجليز والملك والاحزاب ٠ اما الانجليز فقد كان الاخوان يعلمون أنهم اصل البلاء ، وانهم من وراء كل فساد واضلال وخيانة ومحاولات للقضاء على القيم وطمس معالم الدين ، كما كان الاخوان يعلمون أن الانجليز من اقدر الناس على بث الدسائس وحبك المؤامرات ٠٠ فكانت سياسة الاخوان قائمة على اساس من الاستخفاء بالدعوة طالما هى فى مهدها ، حتى لاتتنبه لها عيون

الانجليز فتقضى عليها قبل أنترى نور الحياة ، فلما شبت الدعوة واشتد عودها انتبه الانجليز لاول مرة فرأوها فى طور لا يسهل اقتلاعها فيه ، فلجأوا الى أساليب أخرى من الدس والوقيعة والضرب بيد الغير ، ولكن الاخوان كانوا فى يقظة فلم تفلح مكايد الانجليز ولم يستطيعوا أن ينالوا من الاخوان نيلا يوقف تيار دعوتهم أو يحد من مدها الغامر ٠

وهنا فوضوا صديقهم المقرب فى ذلك الوقت (١) ـ أمين عثمان باشا وكيل وزارة المالية ـ فى الالتقاء بالمرشد العام ٠ وبناء على طلب امين عثمان تم اللقاء ، وكان لقاء فى منتهى الوضوح والصراحة من الجانبين ٠ فقال أمين عثمان : ان الانجليز قوم عمليون ٠ فهم قد خدعوا بقيام دعوة الاخوان فى غفلة منهم ، وقد أصبحت هذه الدعوة أمرا واقعا لا يمكن تجاهله ٠٠ فهم يريدون أن يتفاهموا مع هذه الدعوة ٠٠ فماذا يريد الاخوان ؟

وكان رد الاستاذ البنا هو أن الاخوان ليسوا طلاب حكم ، ولا هواة مناصب ، وانما هم أصحاب فكرة ولهم برنامج محدد ٠ وليس هذا البرنامج من وضعهم حتى يستطيعوا أن يعدلوا فيه أو ينتقصوا منه أو يزيدوا عليه ـ لانه من وضع الله خالق الكون ٠٠ وشرح الاستاذ البنا هذا البرنامج بايجاز ٠ وقال لامين عثمان : انك بلا شك قد لاحظت أن هذا البرنامج لايهدف الا الى اصلاح الناس وخير الانسانية ، وأنت باعتبارك مختلطا بالانجليز سمعتك تقول انهم يريدون الخير والاصلاح ، فماذا يضير هم أن تأخذ الدولة فى مصر بهذا البرنامج ؟

ولما كان قصد الانجليز من التفاهم هو التلويح بمناصب الحكم ، باعتبار أن هذه المناصب هى أسمى ما يتطلع اليه الزعماء ، وان مجرد بريقها والتلويح بها كاف لاسالة لعاب أعظم الزاهدين ٠٠ ولما كان الاستاذ البنا يفهم قصد الانجليز ، فقد جاء رده جامعا مانعا كما يقولون أو بمعنى أدق جاء رده موئسا ، فلم يجد الانجليز ثلمة يدخلون منها الى البناء الاخوانى ليخربوه من داخله ، وهى الوسيلة التى يعلم دهاة الانجليز أنها الوحيدة التى يمكن عن طريقها احداث التخريب الذى يستحيل معه الاصلاح ٠٠ وكان هذا هو هدفهم من طلبهم التفاهم مع الاخوان ٠

ومنذ ذلك اليوم ـ وقد يئسوا من الحصول على فرصة تخريب الاخوان من داخلهم ـ وضع الانجليز خطة جديدة على أساس النوافع الذى لمسوه ـ على حد القول السائر : مالا يدرك جله لا يترك كله ٠٠ واذ فاتتهم فرصة التخريب من الداخل ٠٠ وهى الفرصة المثلى ـ فلا يفوتهم فرص التخريب من الخارج ،

(١) عام ١٩٤٢ ٠

وان كانت ليستحاسمة ولاقاصمة لكنها معرقلة ومعوقة٠٠وقد استطاع الانجليز عن هذا الطريق وضع العراقيل ـ كما شرحنا ذلك من قبل ـ فى طريق مشروعى الجريدة اليومية والمطبعة وبأساليب التآمر الاخرى ، وأصروا على ابقاء جيش احتلال لهم فى قلب القاهرة ٠٠ ورد الاخوان على ذلك كله بأعمال ايجابية أشرنا اليها أيضا مما اضطر الانجليز أخيرا الى سحب جنودهم من القاهرة الىثكناتهم الضخمة فى القنال ٠٠ فتتبعهم الاخوان بغارات على هذه المعسكرات أشاعت القلق فيهم ، وبثت الرعب فى جنودهم ، وجعلتهم يشعرون لاول مرة أنهم مهددون غير مستقرين ٠٠ وهذا الشعور أوجد عندهم استعدادا للتفاهم على الجلاء ٠

ومن هنا يتبين أن النضال بين الاخوان وبين الانجليز ليس وليد أعوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ كما يعتقد كثير من الناس وانما هو قد بدأ بصورة جدية فى أوائل الاربعينيات حين يئس الانجليز من اصطياد الاخوان والايقاع بهم فى شرك مناصب الحكم التى أوقعوا فيه كل زعماء البلاد ٠٠ وكان النضال من جانب الاخوان فى صورة نشر الوعى الوطنى والاسلامى فى جميع الاوساط الشعبية ، فى صورة توضيح القضايا التى تعانى منها الشعوب الاسلامية فى أنحاء العالم ، وتجميع القوى الشعبية من ورائها ، وفى صورة فضح أساليب الاستعمار البريطانى فى المشرق العربى ، وأساليب الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى ، وفى صورة متابعة قضية فلسطين بكل أساليب المتابعة التى وضحناها من قبل ٠

أما نضال الانجليز ضد الاخوان فكان فى صورة دسائس ومؤامرات لا تكاد تفشل واحدة حتى تتبعها بأخرى مستخدمة فى ذلك صنائعها من حكام مصر ٠

فلما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فى عام ١٩٤٥ ، وكانت الفرصة التى لا تعوض لمطالبة كل شعب بحقوقه المسلوبة ، وجاء دور المطالبة بحقوق مصر فى الحرية والاستقلال ، انتظم الاخوان فى صف المناضلين عن هذه الحقوق ٠

فهل كان يريد اللائمون أن يقف الاخوان من الانجليز غير هذا الموقف ؟ هل كان على الاخوان أن يسالموا الانجليز أو يهادنوهم ؟ وطبيعة الانجليز التى وصفهم بها أحد كبار ساستهم أنهم اذا احتلوا بلادا لم يغادروها الا اذا وجدوا أن خسائرهم فيها تفوق مكاسبهم منها ؟ !

ان الاخوان لو كانوا فعلوا ذلك لكانوا خونة لدعوتهم ولبلادهم ، ولكانت جريمتهم فى ذلك تكون جريمة تاريخية يرويها التاريخ مثالا للجبن والنفاق والتخاذل والتفريط ٠

هذا ما كان من شأن الاخوان مع الانجليز ·· أما الملك والاحزاب ـ ولقد أشبعناهما من قبل درسا وتمحيصا ـ فان ايجاز موقف الاخوان منهما يتلخص فى أن الاخوان لم يقفوا منهما فى يوم من الايام موقف المهاجم ، لكنهما مع ذلك اعتبرا مجرد وجود دعوة الاخوان هجوما عليهما ، على حد القول المأثور : «يكاد المريب يقول خذونى » ·

وكم يكون جميلا من اخواننا الذين يعتبون على الاخوان أنهم تسرعوا ·· أن يراجعوا صفحات التاريخ ، وليس هذا التاريخ ببعيد ثم يخبروننا : هل هاجم الاخوان الملك أو الملكية فى جرائدهم أو فى منشوراتهم أو خطبهم ؟ هل وجهوا الى الملك شتما أو سبا أو أوعزوا الى من يسبه كما فعل آخرون؟·· ان شيئا من ذلك لم يحدث ، وما كان ليحدث من دعوة تقوم على عفة اللسان وطهارة القلب والجوارح ·

كما أرجو أن يراجعوا صفحات التاريخ ليبحثوا هل هاجم الاخوان حزبا معينا؟ ·· انهم لن يجدوا هذا الهجوم قط ، لان الاخوان دعاة بناء لادعاة هدم ·· كل جهودهم موجهة الى توضيح فكرتهم لينضم الى صفوفهم من يقتنع بها ·· وكانوا يتمنون أن تقتنع هذه الاحزاب بالفكرة الاسلامية فيكونوا عوامل بناء واصلاح ·· فلما يئس الاخوان من اقتناعهم توجهوا بفكرتهم الى أفراد الشعب فاستجاب لهم الكثيرون ·· وقد اعتبرت الاحزاب هذه الاستجابة من أفراد الشعب الى دعوة الاخوان هجوما عليهم ·

فهل كان على الاخوان أن يصدوا الناس عن دعوتهم لارضاء هذه الاحزاب ؟

وهل اذا آنس أحد السياسيين المحترفين فى الاخوان قوة تحمى ، فالتجأ اليهم طالبا حمايتهم ، معاهدا على انه حين يتولى الوزارة سيطالب الانجليز بالجلاء ، واذا لم يستطع اجلاءهم فانه يستقيل ·· هل اذا طلب مثل هذا السياسى الحماية من الاخوان على هذه الشروط يرفضونه ويتخلون عنه ام يمنحونه فرصة يتبين فى خلالها صدقه من كذبه ؟ ·· هذا ما فعله الاخوان مع اسماعيل صدقى ·· ويوم تبين لهم أنه لم يف بما تعهد به ، وأنه يريد التشبث بأهداب الحكم أرغموه على تركه ·

هل يعد هذا مأخذا يؤاخذ به الاخوان والله تعالى يقول « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا » فالاخوان ليسوا طلاب مناصب ، ولا هواة سلطة ، وانما هم من وراء كل من يعمل على تحرير البلاد من ربقة الاستعمار ايا كان هذا العامل ·

وبعد ... فلعل هذه المناقشة السريعة قد أوضحت باجلى بيان أن الاخوان حتى آخر يوم قبل الحل كانوا يسيرون فى حدود الطريق الذى رسموه لدعوتهم منذ كانت مجرد أمل فى النفوس ، لم يحيدوا عن هذه الحدود ، ولم يقصروا عنها ، ولم يقفزوا فوقها شبرا واحدا ، ولا قيد أنملة ، وانما كان التشكيك فى هذا الالتزام هو من حبائل الشياطين ومكايدهم - شياطين الانس الذين تفوقوا فى دسائسهم ووساوسهم على شياطين الجن . « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » .

حتى أئمة الدعوة الاسلامية فى أقاصى الارض

حاصرتهم الشبهة اللعينة

كان هذا فى النصف الاخير من عام ١٩٥٠ ، حين يسر الله لى أن أؤدى فريضة الحج فى رفقة والدى ووالدتى وسيدة كانت صديقة لوالدتى .

□ من مشاهداتى فى رحلة الحج :

وهنا أبيح لنفسى - قبل أن أواصل الحديث فيما نحن بصدده . والشىء بالشىء يذكر - أن أستطرد قليلا فأعرض على القارىء بعض مشاهداتى فى هذه الرحلة المقدسة فأقول :

ان استعداد المسلم لاداء فريضة الحج ، وتوفر كل أسبابه لديه . لا يكفى وحده لادائها الا أن يشاء الله .. فقد كنت أحد أفراد أول بعثة أوفدتها الجامعة المصرية فى عام ١٩٣٧ لاداء فريضة الحج ، وقدمت الى ادارة البعثة ما حددته من رسوم ، وأعددت كل ما يلزم الحاج فى رحلته من لوازم ، ولكن لم يشأ الله أن أؤدى الفريضة لسبب غاية فى الغرابة ليس هنا مجال الاشارة اليه .

ولكننى فى عام ١٩٥٠ بعد أن أنهيت عملى فى موسم القطن فى الصعيد نزحت الى بلدنى رشيد لقضاء فترة من اجازة الصيف ، ففوجئت حين وصلت بوالدى وقد أعدا نفسيهما للحج ، وطلبا أن أرافقهما فقبلت فى الحال - وما كان لى أن أتخلف عنهما .. غير أنى باعتبارى داعية من دعاة الفكرة الاسلامية لم يكن هدفى مجرد اداء الفريضة ، وانما كان هدفى أبعد من ذلك مدى ، فقد عزمت على استغلال هذه الرحلة المقدسة فى دراسة المجتمعات الاسلامية التى تكاد تجتمع كلها فى خلالها .

وكان السفر عن طريق البحر . وقد رغبنا فى حجز أمكنة لنا فى الدرجة

الثانية على السفينة ، ولكن يبدو اننا تأخرنا فى طلب هذه الاماكن فقد حجزت جميعا ، ولم يكن بد من السفر فى الدرجة الثالثة • وكان هذا متوائما مع هدفى الذى اشرت اليه •• ففى الدرجة الثالثة تستطيع أن ترقب القلة القليلة من أهل الدرجتين الاولى والثانية ، وكذلك تختلط وتعيش مع الغالبية الغالبة وهم أهل الدرجة الثالثة الذين يمثلون جمهور الشعب بكل ما فيه •

والى القارىء بعض ما صادفنى فى هذه الدراسة :

أولا ـ بعد أن تقدمنا بطلب التصريح لنا بالحج ، بلغنى أن بعض المسئولين من رجال الادارة يتقاضون رشوة فى مقابل ادراج الطلب المقدم ضمن الطلبات المصرح لها •• فساءنى ذلك ، واعلنت أمام الناس أننى لن أدفع رشوة ولو أدى ذلك الى سحب طلباتنا ـ ويبدو أن اعلانى ذلك بعث الخوف فى نفوس المرتشين فمرروا طلباتنا دون رشوة •• ولعمرى انها لكارثة أن يبدأ المسلم عبادته بارتكاب اثم عظيم •

ثانيا ـ لما كانت هذه هى المرة الاولى التى نقوم فيها بهذه الرحلة المقدسة ، فقد رأينا أن نستأنس بمصاحبة بعض ممن سبق لهم القيام بها من قبل ، فتعرفنا على ثلاثة أشخاص من أهل الاسكندرية سبق أن حجوا ثلاث مرات ، وكانت تربطنا بأحدهم صلة نسب •

وقد اثبتت لنا هذه الرحلة أن الاختبار الصحيح الذى يكشف حقيقة الاصدقاء هو مرافقتهم فى رحلة شاقة وطويلة ، فانك تسمع من أكثر الناس ما يثير اعجابك ، وما يثلج صدرك •• حتى اذا جمعت بينك وبينهم رحلة شاقة سقطوا من عينك واحدا بعد الآخر ، ولم يثبت فى مكانه منهم الا أقل القليل •• فهؤلاء الثلاثة الذين ملأوا الدنيا وعودا أنهم سيحملون عنا كل الاعباء طول فترة الحج تخلوا عنا من أول يوم أقلتنا واياهم السفينة •

وقد ساءنا هذا ، لكنه عاد علينا بفوائد كبيرة ، فان تحمل المرء مسئولية نفسه يبعث فيه قوة يواجه بها المواقف ، ويجابه بها المشاكل وينتصر عليها •• وان كان فى ذلك اقتطاع من الوقت والجهد الا أن الانسان يشعر بلذة وسعادة تعوض هذا الوقت وتنسى هذه المشقة ، اذ يخرج بحصيلة من فهم للامور ، وكسب لاصدقاء ، وبث لافكار •• وقد كان لى ذلك كله والحمد لله •

ثالثا ـ قطعت بنا السفينة المسافة بين السويس وجدة فى ثلاثة أيام قضيتها ـ الا فترات النوم ـ على ظهر السفينة اتصل بجميع الراكبين ، اغشى مجالسهم ، واستمع الى أحاديثهم ، وانتقى منهم من أتوسم فيه الخير فأنتحى به جانبا ، وأعقد معه ما يشبه الصداقة •

رابعا ـ كان احد الذين انتقيتهم رجل فارع الطول ، عريض المنكبين جهورى الصوت ، مرهوب الجانب ، لكننى احسست أن هذه الهيئة المتسمة بالعنف انما تطوى على قلب سليم .. وحين جلست اليه أخبرنى باسمه الذى نسيته الآن ، وأخبرنى أنه تاجر مواش من طنطا .. وفهمت منه انه لا يعرف من أمور الدين شيئا ، وانه يقوم بأداء الحج كما يقوم زملاؤه حتى لا يكون أقل مكانة منهم فى نظر أهل بلده ـ وكانت صراحته معى دليلا عندى على انه منطو على قلب سليم .

وهذا الصنف من الناس هم كالخامة الثمينة الغيبت فى القذر حتى تلوثت وطمس جمالها وشاهت وبدت بشعة مرذولة : تعافها النفوس . فاذا وجدت من تحامل على نفسه ، ويغالب اشمئزازها ، فيتناولها ويزيل ما عليها من القذر ، فانه سيكشف عن حقيقتها ، ويبرز معدنها فتبدو متالقة اخاذة .

وهكذا كنت مع هذا « الحاج » . ما كدت اتحدث اليه فى شأن الحج ومعانيه حتى اقبل على ، وتعلق بى ، الى حد أننى كنت اذا غبت عنه بحث عنى ليستمع الى .. ولم أكن فى كل مرة اطيل معه الحديث عملا بما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم م نقولهم « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة » ... وقبل أن تصل السفينة الى الشاطىء فى جدة ـ حيث يفترق الحجيج ـ عاهدنى الرجل على التوبة .

خامسا ـ مكثنا فى المدينة اسبوعين قبل الحج ، وكانت دورة المياه الخاصة بالحرم النبوى منفصلة عنه ولكن مبناها قريب من مبنى الحرم . ولم أكن دخلت هذه الدورة طول مدة اقامتنا بالمدينة ، فرأيت فى آخر يوم ان ألقى نظرة على هذه الدورة ـ ودخلتها فاذا هى محتشدة ـ وبينما انا واقف اقلب نظرى فى الناس اذا بصوت ضعيف ينادى باسمى ، وكان الذى ينادى ينادى من قريب . ولما كان اسم « محمود » من الاسماء المنتشرة بين المسلمين ، ونظرت فاذا المنادى شخص لا أعرفه ، فقد اعتقدت أنه ينادى شخصا غيرى.. وكرر المنادى النداء ولم ارد عليه ، حتى رأيته يتجه نحوى حتى صار قبالتى، ومد يده الى مصافحا فصافحته وأنا لا أعرفه . فقال لى :ألا تعرفنى ؟ فلما رأى فى وجهى علامة الاستغراب قال : أنا أعذرك فى عدم معرفتك اياى ، فقد تغيرت تغيرا تاما .. اننى انا فلان ـ فاذا هو صديقى تاجر المواشى ، غير انه قد انتحل جسمه حتى صار جلدا على عظم ، وشحب لونه ، وبرزت عظامه .. فهالنى ما به ولكنه سارع قائلا :

لا تحزن لما حل بى ، فوالله اننى اسعد الناس بهذا .. فبعد ان افترقنا فى جدة ودخلت المدينة ، دخلتها وانا عازم على التوبة .. ولم يمر على بعد ذلك يوم واحد حتى مرضت واشتد على المرض حتى فقدت وعيى ، ويئس

زملائى منى بعد أن بذلوا جهدهم فى علاجى ، وظللت أعالب سكرات الموت أياما، ويغمرنى شعور بالسعادة أن ألقى ربى تائبا ·· ولم تكن لى أمنية الا أن أراك قبل أن أموت لانك صاحب الفضل فى هدايتى ·· ولكننى كنت يائسا من تحقيق هذه الامنية ·· وشاء الله لى أن أبرأ من المرض منذ يومين ، فعزمت على أداء الصلاة فى الحرم ·· فاذا بأمنيتى تتحقق والقاك الآن ·

فقلت له : أبشر فقد ذكرتنى هيئتك التى أنت عليها الآن بالحديث القدسى الشريف الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه « اذا مرض عبدى فلم يشكنى الى عواده ، فلأبدلنه لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه » قال الصحابة : وما لحم خير من لحمه ودم خير من دمه ؟ قال « لحم لم يذنب ودم لم يذنب » ·

سادسا — قفلنا الى مكة لنقيم بها حتى يحين موعد الحج ، ونزلنا فى منزل المطوف ، وهو منزل كبير ينزل به أكثر من خمسين حاجا من مختلف بلاد مصر ·· فرأيت فى خلال فترة اقامتنا هذه عجبا ·· رأيت من هؤلاء الحجاج الذين حجوا المرات ذات العدد من يسبون الدين ، ورأيت منهم من لا يؤدى الصلاة ، ويقضون أوقاتهم فى الطعام والشراب واغتياب الناس والتنابز بالالقاب والتباهى بعدد الحجات ·

أما خارج بيت المطوف وفى شوارع مكة ، فقد كنت أرى صعاليك المصريين يتطاولون على الحجاج الهنود ، ويسخرون منهم ، ويتغامزون عليهم ، ذلك أن الحجاج الهنود يأخذون بالطريق الاشد فيهلون — عند وصولهم من بلادهم لاول ميقات — يهلون بالحج · ومعنى ذلك أنهم يدخلون لاول حضورهم من بلادهم — مكة محرمين ، ويظلون ملتزمين بشروط الاحرام مدة تزيد على الشهر قبل أن يحل موعد الحج ، فتطول شعورهم ، وتغظم لحاهم وتتشعث ، وتتسخ ملابس احرامهم — قاصدين بهذا التقشف والحرمان وجه الله ·· فلا يكون من سفهاء المصريين الذين لا يفهمون معنى الحج الا التندر عليهم ، والسخرية منهم ، ورشقهم بألفاظ نابية ·· وحتى الحجاج الهنود أو الماليزيون غير المحرمين — وملابسهم الوطنية تختلف عن ملابسنا — لا يسلمون من ألسنة الحجاج المصريين الجهلة ، فلقد كنت واقفا مع وكيل وزارة التعليم فى باكستان أتحدث معه ، فمر بنا نفر من هذا الصنف أخذوا يستهزئون بالرجل ويضحكون منه ، معتمدين على أنه لا يفهم ما يقولون ·

سابعا — كان أكثر همى منصبا على الاتصال بالحجاج من البلاد الإسلامية غير العربية ، لاسيما الباكستان التى كانت فى ذلك الوقت دولة ناشئة لم يمض على انشائها الا نحو ثلاثة أعوام ·· وقد اتيح لى الاتصال بحجاج باكستانيين من مختلف الطبقات ، وقد فهمت من لقائى معهم وحديثى

اليهم عن حقيقة أحوال بلادهم مالم أفهمه من قراءاتى ومطالعاتى فى الصحف والمجلات ٠

ومما كان يقربنى الى نفوس هؤلاء القوم من المسلمين غير العرب ويفتح لى قلوبهم ، أننى فى خلال حديثى اليهم باللغة الانجليزية كنت أصدع بالآية والآيتين من كتاب الله — باللغة العربية طبعا — فالمح فى بريق عيـونهم وتألق جبينهم حين يسمعونها كل معانى الاخوة والمودة والحب — وكان هذا مصداق ما حدثنا به أستاذنا الامام — رحمه الله — مرجعه من حجته الاولى عام ١٩٣٦ وأشرنا اليه فى الجزء الاول من هذا الكتاب من أن بقاء القرآن الكريم بألفاظه العربية صار هو الرباط الوحيد بين المسلمين فى أنحـاء الارض مهما اختلفت السنتهم ، وتعددت ألوانهم ، وتباينت لغاتهم ، وهـو الرباط الوحيد الذى أعيى المستعمرين بعد أن قطعوا أوصال الامة الاسلامية ولم يبقوا منها على شىء ٠

ثامنا — لاحظت أن أكثر الذين يعزمون على أداء فريضة الحج يستعدون لذلك ويعدون لها كل ما يلزم الحاج من زاد وعتاد مادى ، فهـو يحضر النقود التى يحتاجها السفر والانتقال والسكن وشراء الهدايا ، ويعد الملابس التى يرتديها هناك من زى عادى وملابس للاحرام ، وربما أعد لنفسه زادا من الطعام يكفيه طيلة الرحلة ٠٠ ولكن لا يخطر بباله أن يعد نفسه روحيا لهذه الرحلة المقدسة التى هى من اولها لآخرها رحلة روحية عبادية ٠٠

فأكثر الحجاج المصريين الذين قابلتهم لا يعرفون من مناسك الحـــج شيئا ، ويعتمدون فى ذلك على من يسمـون فى مـكة والمـدينة « بالمـدعين أو المطوفين » الذين يقودونهم لاداء المناسك كما يقاد القطيع ٠٠ ولكثرة عدد هذا النوع من الحجاج الذين يفدون الى مكة والى المدينة اعتقد المطوفون الجهـل فى جميـع الحجاج ٠

ولا أنسى أننا حين نزلنا من المدينة الى مكة محرمين ، دخلنا مـكة فى ساعة متأخرة من الليل ، فلما دخلنا منزل المطوف سألته عن الطريق الموصـل الى البيت الحرام فلم يرد على سؤالى ، ونادى على أحد موظفيه وهو شاب يـكاد يكون أميا وقال لى : سـيروا خلفـه ورددوا كل ما تسمعـون منـه ٠ فأغضبنى كلام الرجل وقلت له : يا سيدى لسنا جهلة حتى نحتاج الى مثل موظفك هذا ٠ وليعلم موظفك هذا أن مهمته تقتصر معنا على أن يدلنا عـلى طريق البيت الحرام ٠ أما المناسك وأما الادعية فنحن أعلم بها منه ٠٠

تاسعا — لا زالت تطن فى اذنى حتى اليوم عبارة كررها والدى — رحمه الله — على سمعى مرات كثيرة فى أثناء قيامنا باداء مناسك الحج من احـرام

وطواف وسعى ووقوف بعرفة ورمى للجمرات ·· تلك هى قوله لى : يامحمود أنا لم أندم على شىء كما ندمت على أن أجلت أداء هذه الفريضة حتى كبرت ووهن عظمى ، فان الحج عبادة الاقوياء ·

عاشرا – عندما عاد الاستاذ الامام – رحمه الله – من الحج أخذ يصف لنا المواقف التى وقفها ، وكان الموقف الذى أسهب فى وصفه ، واطال الحديث عنه ، وحلق بأرواحنا فى سماء شعوره ، موقف صعوده على جبل الرحمة بعرفات ، حين أخذ يدعو ربه ، ويبتهل اليه ، ويستمطر فضله ·· حتى قال لنا : اننى أحسست برحمة الله ورأيتها بعينى ولمستها بيدى ···

وقد وقع منا هذا الوصف اذ ذاك موقع الاستغراب ·· فاننا لم نجرب فى الاستاذ المبالغة ولا الادعاء ولكننا لم نتصور ما يقول ·· ولهذا كنت شديد الشوق الى رؤية هذا الجبل ، والى صعوده ، والى مناجاة الله عز وجل والابتهال اليه وأنا على قمته ···

فلما انتقلنا الى عرفة ، وقاربت الشمس الغروب،صعدت على هذاالجبل الصخرى الوحيد فى أرض عرفات الرملية المنبسطة الشاسعة حتى صرت على قمته ، وأخذت أدعو وأبتهل والجأ الى الله واستمطر رحمته ، وارجو فضله ، حتى غمرنى ما غمر الاستاذ رحمه الله ولمست ما لمس ، واحسست بما أحس به، ونعمت بما نعم به « وما راء كمن سمعا » ·

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

□ بيت القصيد :

الحادى عشر – وهو بيت القصيد فيما قصدنا اليه من عنوان هذا الموضوع ·· فبعد أن سعدنا بزيارة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، استقر بنا المقام فى مكة المكرمة قبل الوقوف بعرفة بنحو شهر ، استمتعنا فى أوله اياما بما يطمح اليه كل حاج من ملازمة المسجد الحرام ودوام الطواف ، ثم ابتلينا بمرض أصاب الرفقاء جميعا سواى ، فكان على أن أقضى فى تمريضهم طول اليوم ، فكنت لا أكاد أسعد بالصلاة فى المسجد الحرام الا صلاتى المغرب والعشاء ·· واستمر هذا الحال حتى انتهى الحج ورجعنا الى ديارنا ·

وقد لاحظت فى أيام متتالية بعد صلاة المغرب أن افرادا من الحجاج يلقون دروسا ويلتف بعض الحجاج حولهم يستمعون لما يقولون ، ويتقدمون اليهم بالاسئلة فى نهاية الدرس فيجيبون عليها · وكل محاضر يتخذ له عمودا من اعمدة المسجد يجتمع بالناس حوله ·· ورأيت فى ليلة من الليالى أن أستمع

الى درس من هذه الدروس • وكان الذى يلقيه شابا هنديا يتكلم العربية الفصحى • وقد راعنى ولفت نظرى ان أسلوبه فى الحديث وأهدافه التى يهدف اليها قريبة جدا من اسلوب الاخوان واهدافهم •• حتى اذا انتهى من درسه ابدى استعداده للاجابة على أسئلة الحاضرين ، وساله أكثر من واحد وأجابهم ثم تقدمت اليه بسؤال ، فالتفت الى قائلا : اننى لا أستطيع الاجابة على سؤالك هذا ، فرجائى أن نلتقى بعد صلاة العشاء لاقابلك بمن هو أوسع منى علما من اخوانى ليجيبك على سؤالك •

وبد صلاة العشاء قابلنى الشاب المحاضر بشاب أكبر منه سنا ، ذى لحية ، ويرتدى بزى العلماء الازهريين وعرفنى به وقال لى انه أمير جماعتنا فى فترة الحج • ودار الحديث بيننا طويلا ثم قال فى نهاية اللقاء : يا أخى •• ان سؤالك هذا ينبىء عن أن السائل ليس شخصا من غمار المسلمين ، وانما هو صاحب دعوة وانسان له دراية وتاريخ ، ولسنا جميعا هنا الا تلاميذ لا ينبغى لنا ان نتصدى لمناقشة اساتذة •• وسيحضر أستاذنا الاكبر فى يوم كذا (حدده) ان شاء الله ، وسنقدمك اليه لتتناقشا معا ـ ثم طلب الى أن أقوم بالقاء درس كما يقومون ، فاتخذت لى عمودا وصرت ألقى درسا حوله كل ليلة •

وفى احدى الليالى بعد انتهائنا من صلاة العشاء أخبرونى بأنهم سيقومون برحلة دعوة فى صباح اليوم التالى الى ضاحية من ضواحى مكة تسمى « وادى فاطمه » وطلبوا الى أن أرافقهم فاعتذرت بالظروف التى أشرت اليها آنفا • وسألتهم عن وادى فاطمة هذا فقالوا : ان سكان هذه الضاحية ـ بالرغم من مجاورتها لمكة ـ خلاة الاذهان عن أبسط قواعد الاسلام ، حتى ان كثيرين منهم يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الاله • وقالوا ـ عن تجربة لهم سابقة فى هذه الضواحى ـ ان أهل هذه الضواحى فى أمس الحاجة الى من ينشر الاسلام بينهم كانهم من أهل الفترة •

□ السيد أبو الحسن على الندوى :

وفى الليلة التى تعرفت فيها على أمير الجماعة أعطانى مجموعة من الرسائل المطبوعة ، وقال لى انها من وضع أستاذهم • وهى رسائل صغيرة الحجم لا تعدو الواحدة منها بضع ورقات • وقد طالعت هذه الرسائل فوجدتها قريبة الشبه برسائل الاخوان فى الاسلوب والهدف والروح ، منها رسالة بعنوان « الانسانية واصدقائها » ، وأخرى بعنوان « بين الصورة والحقيقة » وثالثة بعنوان « معقل الانسانية » فزادنى ذلك شوقا الى لقاء هذا الاستاذ •

لا سيما وقد لمحت فى اتباعه وتلامذته روح الاخوان فهم مجموعة من الشباب طلاب الجامعات فى الهند يتدفقون حماسا وايمانا ٠

وفى اليوم المحدد لحضور « الاستاذ » بادرت بالذهاب الى المسجد للالتقاء به ٠٠ وحين اقبل رأيت شابا فى سن الاستاذ الامام رحمه الله ، ذا لحية غير كثيفة ، يرتدى بعباءة سوداء ، وهو نحيل الجسم ، يبدو عليه آثار السهر والجهد وطول العبادة ، ومع كل هذا ينبثق من بين عينيه شعاع من نور وذكاء وفطنة ٠٠ وقد استقبلنى بالعناق ، ثم صعدنا الى طابق علوى (كان يتصل بالمسجد فى تلك الايام بيوت من عدة طوابق ، ابوابها من داخل المسجد يسكنها المجاورون ٠ وبها مكتبة المسجد الحرام ومرافق اخرى) فى بيت من البيوت المتصلة بالمسجد ٠ وكان الاخوة تلامذة الاستاذ قد صفوا مقاعد فى ردهة فسيحة ، وامتلأت الردهة ، ووقف السيد أبو الحسن على الندوى فتحدث بالعربية الفصحى حديثا رائعا كدت أحس معه اننى أستمع الى حسن البنا ، فهو يستشهد بآيات القرآن فى مواقعها لا يتلعثم ٠٠ يتدفق تدفق القلب المفعم يفيض من أحاسيسه على سامعيه ٠٠ انسان ملك الاسلام عليه لبه فقرأ القرآن وحفظه وتغلغل فى بحار معانيه وتشربته نفسه حيث صادف قلبا ذكيا ، ودرس التاريخ الاسلامى والادب العربى ، فتسمعه كما كنت تسمع حسن البنا ينشد من الشعر القديم البيت أو البيتين فكأنما يضرب أوتار قلبك ٠

وبعد انتهاء خطابه قام جميع الحاضرين فصافحوه وانصرفوا لكنه استبقانى ، ثم جلسنا معا هو وانا وحدنا دون أحد من تلاميذه وأخذنا فى الحديث فقال لى : ان اخوانى حدثونى عنك حديثا فهمت منه من انت ٠ فقلت له : وماذا فهمت ؟ قال : فهمت أنك من قادة الاخوان المسلمين فى مصر ٠ فقلت : نعم ٠٠٠ قال : اننا فى الهند كنا نتابع الاخوان فى مصر ، ونعتبرهم قيادة واملا ، وقد كنت حريصا على أن التقى بالاستاذ البنا للتعارف ولايجاد صلة بين حركتنا فى الهند وبين الاخوان فى مصر ٠ ولكن الظروف الاخيرة وما حدث للاخوان فى مصر كان صدمة لنا ٠

قلت : وما رايكم فى هذه الاحداث ؟

قال : ان الاخوان تسرعوا ، وما كان لهم ان يتسرعوا ٠ وهذا التسرع هو الذى أوردهم هذا المورد وحرم العالم الاسلامى من أعظم هيئة كان يعقد آماله عليها ٠

فقلت : لقد كنت حريصا ان اسمع منك هذا الكلام ٠ واذا كان هذا الذى تقول يقوله المقيمون فى مصر فما كان لانسان بعيد كل البعد عن مصر ، ولم تتح له فرصة واحدة للالتقاء بالاخوان — الا ان يتكلم بما وقع عليه بصره

فى الصحف أو قرع سمعه فى الاذاعات . وكل هذا المقروء والمسموع هو من طرف واحد ... واذا كان المقيمون فى مصر لا يكادون يعرفون حقيقة ما جرى فى بلادهم ، فأنتم – وبيننا وبينكم آلاف الاميال – معذورون أن لا تعرفوا حقيقة ما يجرى فى بلادنا .

ثم أخذت أشرح له أطوار الدعوة فى مصر ، وحقائق المواقف بها ، وناقشت معه كل موقف منها .. ثم أخذ هو يشرح لى أسلوبهم فى الدعوة فى الهند وأنه أسلوب هادىء ، ولا يمضى يوم الا ويدخل فى الاسلام عشرات ومئات من غير المسلمين – فقلت له : ان وضعكم فى الهند لا يقتضى أكثر من ذلك ، لانكم أقلية وسط أكثرية من غير المسلمين ، أما الاخوان فى مصر فهم مسلمون فى بلد مسلم ، ثم ان هذا البلد هو طليعة البلاد الشرقية والاسلامية على الاطلاق .. وطال الحديث بيننا حتى انتهى باقتناع الرجل بعد أن تكشفت له الحقائق التى طمسها المغرضون .

وبعد أن استعرضنا معا أحوال العالم الاسلامى واتفقت وجهتا نظرنا ازاء كل مشكلة من مشاكله ، رأيت فى الرجل من صفات القيادة الاسلامية ومؤهلاتها ما قد يندر وجوده – ولم نكن بعد فى مصر قد انتهينا الى رأى فى هذا الموضوع – فعرضت عليه فكرة ترشيحه لمنصب المرشد العام للاخوان المسلمين . فشرح لى وجهة نظره فى هذا الموضوع شرحا مستفيضا وهى تدور حول النقاط التالية :

١ – أنه غريب عن مصر ، وليس ملما باحوال أهلها ولا بظروف الحكام ولا المحكومين .

٢ – أن الظروف الحاضرة فى مصر لا تسمح لرجل مثله باقتحامها .

٣ – أن الدعوة فى الهند فى أمس الحاجة الى قيادة بل الى أكثر من قيادة لاتساع رقعة البلاد وكثرة الناس .

٤ – أن انتقاله الى مصر فى مثل هذه الظروف ربما كان ذا أثر سىء على سير الدعوة فى الهند ، فى الوقت الذى لا يضمن أن تواتيه الظروف فى مصر .

وقد وافقته على ملاحظاته ، ولكننى طلبت اليه أن يحضر الى مصر ليتصل بالناس فيها وليعرف أحوالها عن قرب . وقلت له . اننا نحن الاخوان سنكون بمنأى عنك حتى لا تتقيد خطواتك أو تمنع من البقاء فيها ... وقد وفى الرجل بوعده وحضر فعلا الى مصر ، واتخذ مقره دار الشبان المسلمين بالقاهرة ، وألقى بها عدة محاضرات جذبت اليه انظار الكثيرين .. وأذكر أنه طبع – فى فترة اقامته بها – كتابه الذى سماه « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » .

الفصـــل الثـالــث

الاتجاه الى الاستاذ الهضيبى

ادت بحوث اخوان مكتب الارشاد المتواصلة الدائبة الى العثـور على الضالة المنشودة ، والشخصية المثاليــة المفتقــدة ، التى تحقـق كل الآمال ، ونسد جميع الثغرات فى البناء الاخوانى وفى عـلاقاته مع المجتمـع المصرى ٠ وكانت هذه الشخصية هى الاستاذ حسن اسماعيـل الهضيبى ٠٠ وقـد أيد الاخوان فى جميع نواحى القطر عن طريق مندوبيهم الذين كانوا يفدون الى القاهرة كل أسبوع ٠

لقى هذا الاتجاه ارتياحا من جماهير الاخوان لانهم مع اقتناعهم بجدارة الرجل باعتباره رجلا ذا تاريخ ناصـع ، وله مـواقف مشـرفة فى الدفاع عن الاسلام والشريعة الاسلامية ، فانهم كانوا يرون فى اختياره مصـالحة مـع القضاء الذى يعتبرون التصالح معه رد اعتبار للدعـوة ، وتصـحيحا لوضعها امام النـاس ٠

وكان الاستاذ الهضيبى اذ ذاك مستشارا بمحـكمة النقـض والابرام وفى السنتين الاخيرتين له قبل الاحالة الى المعاش ٠ وكان قد أصيب بانفجار فى شرايين المخ وعولج منه لكن زملاءه أعفوه من العمل الشاق حتى لا يعاوده المرض اذا أرهقه العمل ٠

وقد اتصل به بعض أعضـاء مكتب الارشـاد وفاتحـوه فى المـوضـوع فاعتذر بحالته الصحية ٠ ومع تقديرهم لظروفه الصحية فانهم يرون أنه مع ذلك هو أنسب من يصلح لهـذا المنصب ، ولذا فانهم ظلوا على اتصـال به ، وجمعوا بينه وبين مجموعات من مختلف المستويات فى الاخوان ، بعضهم من القاهرة ، وبعضهم من اخوان الاقاليم ، محاولين بذلك التقريب بينه وبينهم، واطلاعه على واقع الاخوان ٠٠ وقد حضرت ـ عرضا ـ احدى هذه اللقاءات فى الدار التى أشرت اليها بحى العباسية أو بحى الظاهر على الادق ـ ويبدو أن هذه الزيارة كانت الزيارة الاولى لهذه الدار ، وكانت عقب جـلاء اخـوان الجهاز عنها ـ واحسست بأن الرجل كان سعيدا بهذا اللقاء ٠٠ لكننى أخبرت بعد ذلك أنه أصر على الاعتذار ، وأن اصراره هذا لم يكن للقاءاته الكثيرة مع جمهور الاخوان ، وانما كان صدى لاجتماعه بأعضاء مكتب الارشاد ، الذى كانت آثار التيارين اللذين نوهنا عنهما بادية فيه ، مسيطرة على مناقشاته ٠

□ فى بيته بالاسكندرية :

عجز اخواننا المتصلون بالاستاذ الهضيبى من اعضاء مكتب الارشاد عن

أن ينهنهوا من غرب اصراره • وشاع نبأ هذا الفشل بين جماهير الاخوان فى كل مكان • وكان لهذا النبأ أسوأ الاثر فى نفوس الاخوان ، لان ترك هذا المنصب شاغرا يتيح الفرص لفتن لا يعلم مداها الا الله ، وسيؤوله جمهور الشعب بأن القضاء يرى هذه الدعوة غير جديرة بتقديره •

وكان الوقت صيفا ، والتقيت فى الاسكندرية بمجموعة من أكرم الاخوان من مختلف البلاد •• ولا أدرى والله كيف اتفق لهذه المجموعة أن تلتقى فى وقت واحد وفى مكان واحد الا أن تكون تفسيرا لقول الحق تبارك وتعالى « ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا » نعم انه التوفيق الذى جـاء على لسان شعيب عليه السلام حين قال « وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » •

أراد الله للدعوة أن تخرج من ورطتها فوفق لهذا اللقاء ، وكان العدد غير قليل فقد كنا نحو العشرين ، ولكننى لا أكاد أذكر منهم الآن الا أفرادا قلائل منهم الاخوة عبد العزيز عطية ومختار عبد العليم وعبد القادر عوده ويوسف طلعت وعبد العزيز كامل • وقد قررنا أن نذهب بجمعنا هذا الى بيت الاستاذ الهضيبى بالمندرة •

وتلقانا الرجل وأبناؤه بالترحاب ، ثم أخذنا فى الحديث معه فتكلم الاخوان عبد العزيز عطية وعبد القادر عوده ، وشرحا الظروف المحيطة بالدعوة وشدة حاجتها الى قيادته ــ وتحدث كثير من الحاضرين من مختلف البلاد معبرين عن رغبة بلادهم فى قيادته •• ثم تكلم هو فشرح حجته فى أنه لا يستطيع أن يتسلم قيادة دعوة ، أقرب معاونيه فيها متفرقو القلوب والاهواء ، وضرب لذلك أمثلة لا داعى لذكرها الآن ــ ولكن تبين فيما بعد أنه كان ملهما وكان بعيد النظر ــ ثم قال : انتى مريض ولا أستطيع تحمل مسئولية دعوة كهذه وأنا فى الحالة التى وصفتها لكم •••

وكانت بعد ذلك هدأة •• هى هدأة الخيبة واليأس الذى أحسسنا جميعا بمرارته فى حلوقنا •• وما أجمل أن يذكر اليائسون وهم فى حمأة اليأس قول الله تعالى « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » فاذا بنا ونحن فى هذه الحال نسمع صوت أخ منا ينطلق صارخا باكيا هو الاخ الكريم يوسف طلعت يقول للاستاذ الهضيبى :

« اننا نعلم ما تعانيه ، ولكن الدعوة أعز علينا وعليك من أن نتركها بلا قيادة • وقد اتفقنا على أن تكون قائدها • واذا كنا قد بايعنا على افتدائها فلتفتدها أنت كذلك • والله قادر على شفائك اذا استجبت لدعوته •• ولن نخرج من هذا المكان الا بنزولك على رأى الاخوان الممثل فينا » •

ولقـد كانت لكلمات الاخ يوسـف ولدمعـه المنهمر فعـل السحر فى قلب الاستاذ الهضيبى وقلوبنا ، حتى اننا انهمرت دموعنا ، ووجدنا انفسنا قد انتقلنا الى جو روحى غامر ، لم يملك معه الاستاذ الهضيبى الا أن يبتسم والدموع تترقرق فى عينيه ويقول :

« لقد نزلت على رأيكم ــ وأسأل الله تعالى أن يعيننى » ٠

وقمنا جميعا نعانقه ويعانق كل منا أخاه ٠٠ وكانت جلسة قصيرة عابرة ولكنها كانت جلسة تاريخية فاصلة لها ما بعدها ٠

الفصـــل الرابـــع

مشبهات حول المرشد الجديد

يبدو أن الذين كان لهم رأى يخـالف رأى الجمـاعة فى اختيار المرشـد الجديد ، أخذوا فى اثارة الشبه حول الرجل الذى أجمعت عليه الجماعة ٠ وقد يسر لهم ذلك أن الناس فى ذلك الوقت لم يكونوا يعرفون عن الرجـل شـيئا أكثر من أنه قاض كبير ٠ وهذه المعلومات وحدها لا تكفى أن تكون كل المؤهلات لرجل يقود أعظم دعوة فى العالم الاسلامى ، وجاء ليخلف حسن البنا الذى كان أقوى زعيم فى الشرق ، بشهادة الاعداء قبل الاصدقاء ٠

ونرى لزاما علينا ازاء هذه الشبه المثارة ، والتى وجدت من بعض الناس آذانا صاغية ، أن نكشف للناس عن حقيقة هذا الرجل وعن مؤهلاته الاسلامية والعلمية والاجتماعية والسياسية التى لم يكن الرجـل حريصـا على الكشف عنها ايثارا لما عند الله وحده ، الذى كان هو هدفه وغايته ومبتغاه فى كل قول يقوله وكل عمل يعمله ٠

وقد تناولت الشبه المثارة شخصية الرجل فى نواح ثلاث هى :

١ ــ خبرته فى الشئون السياسية والاجتماعية ٠

٢ ــ مدى اتصاله ومدى سابقته فى الدعوة ٠

٣ ــ مدى استعداده الخطابى أو اللسانى ٠

أولا ــ خبرته فى الشئون السياسية والاجتماعية :

كان الاستاذ حسن الهضيبى مستشارا بمحـكمة النقـض والابرام ، وكان من القـلائل الذين اشتهـروا بين رجال القضـاء بالجمـع بين العـلم والنزاهة والحصافة وقوة الشخصية وبعـد النظر ٠٠ وله تاريـخ عريـق فى المطالبة بجعل الشريعة الاسـلامية قانون البلاد ، ولا زالت مضـابط مجلس الشيوخ المصرى تسجل أروع دفاع له عن التشريع الاسلامى أمام أساطين علماء القانون فى مصر الذين كان يضمهم هذا المجلس ــ حين كان المجلس فى صدد مناقشة تعديل القانون المـدنى وانتـدب اثنين من كبار رجال القضاء للاشتراك فى هذه المناقشة ، فانتدب رئيس محـكمة النقض والاستاذ حسن الهضيبى ٠٠ وكنت احتفظ فيما أحتفظ به بنسخة من مضبطة هذا المجلس بها جزء مما دافع به هذا الرجل عن الشريعة الاسلامية ٠ وقد كان جل همه أن يقنع المجلس بأن التشريع الاسلامى هو أوفى تشريـع بمصـالح الناس ، وأنه يجب أن يكون هو تشريع البلاد ٠

ومما يجب أن يستحضره القارئ فى خاطره اذ يقرأ هذا الذى اكتبه الآن أن مجرد الحديث فى ذلك الوقت عن التشريع الاسلامى كان أمرا مستغربا ، بل أستطيع أن أقول انه كان أمرا مستهجنا • لان الفكرة الاسلامية بوجه عام كانت لا تزال فكرة مشوهــة فى أذهان الناس عامــة ، وفى أذهان قادة البــلاد خاصة ، نتيجة الجهود المتواصلة التى بذلها المستعمر طيلة ما يقارب القرن من الزمان •• ولذا كان حــديث الاســتاذ الهضيبى فى مجلس الشيوخ يعــده الاكثرون فى ذلك الوقت ضربا من الخرافة والرجعية ، ولولا أن الرجل كان على على ايمان راسخ بما يقول ، ولولا أنه كان شخصية قوية ما استطاع أن يجهر بهذه الآراء •

والاستاذ الهضيبى ينحدر من أسرة عربية تقطن فى مركز شبين القناطر• وقد تدرج فى السلم القضائى من أول درجة فيه حتى وصل الى أعلى درجاته ، وقد أثرت عنه مواقف قضائية مشرفة فى مختلف هذه الدرجات • وقد وضــع الاستاذ محمد شوكت التونى ــ وهو محام كبير ــ كتابا يعد الفريد فى بابه ، ولعله أول كتاب باللغة العربية فى موضوعه ، وهو كتاب « المحاماة فن رفيع » وقد أتيحت لى فرصة قراءته فى الايام الاخيرة من معتقل سنه ١٩٥٤ • وهــو يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد استعرض كل مايتصل بالمحاماة التى سماها القضــاء الواقف فى جميــع دول العــالم ، كما تحــدث باقاضة عن القضاء الجالس •• وكانت الشخصــية الوحيــدة التى اتخــذها مثالا لاسمى صور العدالة والنزاهة والشجاعة والادب والعلم وبعد النظروسعة الافق هى شخصية الاستاذ حسن الهضيبى •

وقد سجل فى نفسى أول لقاء مع هذا الرجل ــ وكان ذلك فى الجلسة التى كانت فى بيته فى المندرة والتى أشرت اليها آنفا ــ أن هــذا الرجل يجمــع فى شخصيته صفتين هما أشبه بما وصف به المؤمنون الاقوياء من أنهم « رهبان بالليل فرسان بالنهار » فقد كان هذا الرجل مع صلابة عزمه رقيق القلب سريع الاستجابة للضعفاء بقــدر ما هــو عنيد لا ينثنى أمام الاقــوياء ، فلقــد طاطأ ونسى عناده وانثنى أمام دموع يوســف طلعت بعــد أن كان مصرا على عناده أمام اخوان القاهرة وأعضاء مكتب الارشاد حتى أدخل اليأس فى قلوبهم •

ومعلوماتنا عن هــذا الرجل فى مــدى احتــكاكه بالاحــداث الاجتماعية والسياسية لبلاده قد استقيناها من مصادر مختلفة ، بعضــها وثائق مطبوعة، وبعضها الآخر من زملاء له وأصدقاء •• أما الرجل نفسه فقد كان حريصا على أن تظل هذه المعلومات فى طى الكتمان لانه قد يرى فى الافضــاء بهــا نوعا من من التباهى والتفاخر الذى كان يتجافى عنه ويكرهه •

وقد كنت فى مسودة هذه المذكرات قد سردت هذه المعلومات سردا ، ولكن لما حان وقت تبييض هذه المسودات ، كان قد ظهر فى السوق كتاب الاستاذ مصطفى أمين « سنة ثالثة سجن » قرأت فيه بابا ضم هذه المعلومات نفسها لكن ميزته أنه أوردها عن لسان المرشد العام نفسه • فآثرت أن أوردها كما جاءت عن لسانه حيث جاءت أوضح وأكثر تفصيلا

ولقد عجبت كيف استطاع مصطفى أمين أن ينتزع هذه المعلومات من بين شفتى الرجل الكتوم الشديد الحرص على أن لايبوح بشىء يتصل بنفسه، ولكن يبدو أن براعة مصطفى أمين الصحفية بالاضافة الى الظروف التى كانت محيطة بهما فى السجن من طول المدة والفراغ الذى لا حدود له هى التى هيأت الفرصة للحصول على هذه المعلومات الدفينة فى أعماق النفس ••

والى القارىء نص ما نقله الاستاذ مصطفى أمين عن لسان الاستاذ الهضيبى فى هذا الشأن تحت عنوان :

السر الذى أخفاه المرشد العام الجديد

ليمان طره فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٦٧ •

أمضيت وقتا طويلا مع الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين وجارى فى الزنزانة • وتحدث عن رأيه فى الاغتيال السياسى فقال : انه من حق الشعب عندما يحتله جيش أجنبى أن يقاومه بالرصاص ، ولكنه لا يوافق على ان يقتل الناس خصومهم فى الرأى •

وروى لى أنه دخل الازهر ومكث فيه سنة واحدة ولم يستفد شيئا • ثم دخل مدرسة باب الشعرية الابتدائية ثم مدرسة الخديوية الثانوية ، وكان فى أول الامر تلميذا منطويا على نفسه ، يتفرج على الاحداث ولا يشترك فيها •

وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا التحق بمدرسة الحقوق ، وقد سميت كذلك نسبة الى الخديوى عباس • وذات يوم اتصل به زميله الطالب أمين صدقى وحدثه عن دخول جمعية سرية تعمل ضد الانجليز • ورحب بأن يدخل الجمعية ، واقسم على القرآن والمسدس أن لا يفشى أسرارها لاى مخلوق • وكانت هذه الجمعية تنقسم الى عدة خلايا وكانت الخلايا لاتعرف بعضها • وكانت الخلية السرية مؤلفة من خمسة اشخاص : رئيس وأربعة اعضاء • وكان زملاء الهضيبى فى الخلية الطالب حسن مختار رسمى الذى أصبح فيما بعد وكيلا لوزارة المالية ورئيسا لمجلس ادارة شركة غزل المحلة ، والطالب مغازى البرقوقى الذى أصبح بعد ذلك قاضيا ونائبا وفديا ووكيلا لمجلس النواب ، وأمين صدقى الذى أصبح بعد ذلك محاميا وحصل على

دكتوراة فى الحقوق ، والطالب عبد الخــالق عطية الذى أصــبح وكيــلا لمجلس النواب ٠٠ وكان الزعيم محمد فريد هو رئيس الجمعية السرية ٠

وكان كل عضو من أعضاء الجمعية السرية مكلفا بأن يجند عضوا آخر ، وكان لحسن الهضيبى زميل فى الفصل يأتمنه ويثق به ، فعرض عليه الامــر أن ينضم للجمعية السرية فوافق بعد أن سأل عن غرضها ، فقال له الهضيبى ان غرضها قتل الانجليز وعملاء الانجليز ٠ ورحب الصديق بالفكرة ٠ ولكنه فى اليوم التالى عاد يقول انه رأى نفسه فى المنام فى الليلة السابقة يخنق أخته ففزع ، ولهذا فهو قد عدل عن الانضمام الى الجمعية السرية ــ وأسقط فى يد الهضيبى وأسرع الى رئيس خليته يبلغه ما حدث ٠ وأسرع رئيس الخليــة الى قيادة الجمعية يبلغها بما جرى ٠ وعقدت القيادة محــكمة لمحــاكمة حسن الهضيبى ٠٠ أخذوه الى شقة فى بيت مهجور ، فى حى سحيق ، وأدخلوه غرفة مظلمة ٠ وجلس ثلاثة شبان الى مائدة فــوقها قرآن ومســدس وبدأ القضــاة السريون يحاكمون حسن الهضيبى ، يوجهون اليه أسئلة ويجيب عليها ٠٠ ثم أصدروا حكمهم أنهم تبينوا من التحقيق الذى أجروه أن حسن الهضيبى لم يفش لصــاحبه سر الجمعية ، وأنهم لو كانوا شــعروا من المحــاكمة بأنه أفشى أسرارها لقتلوه على الفور رميا بالرصاص ، وأنهم لهذا يصدرون عليه حــكم البراءة ٠

وتنفس الهضيبى الصعداء ٠ وكان من حسن حظه أن زميله كان كتوما فلم يفش سر صاحبه لاحد ٠ ولكن الهضيبى تعلم من هذا درسا لم ينســـه طوال حياته : أن يكون حذرا وأن يكون كتوما ٠

وذات يوم أصدرت قيادة الجمعية أمرا الى الخلية السرية بأن تستعد للقيام بعملية هامة ، وهى الهجوم على قسم شرطة السيدة زينب والاستيلاء على كل ما فيه من أسلحة وتسليمها الى قيادة الجمعية ٠

وعقدت الخلية السرية اجتماعا وضعت فيه خطة الهجــوم على قســم الشرطة ، ووزعت على أفرادها الادوار التى ســيقوم بهــا كل واحــد منهم ٠ وذهب أعضاء الخلية وعاينوا مكان القسم ، واختاروا الوقت الملائم للهجوم وهى الساعة التى عرفوا أن عدد الجنود فى القسم فيها يقل الى حده الادنى ٠ وتحددت ســاعة الصــفر للانقضــاض ٠٠٠ وقالت لهم الجمعية انها عمليــة انتحارية قد يموتون فيها جميعا ٠

وعاد الهضيبى ليلتها الى بيته فى حارة سليم بالسيدة زينب وأحرق كل أوراقه ، وبدأ يصلى استعدادا لكى يموت شهيدا ٠٠٠

وعند منتصف الليل دق الباب ، وتصور الهضيبى أن المؤامرة انكشفت وأن البوليس جاء ليقبض عليه ٠٠ وتقدم الى الباب يفتحه . واذا بأحد زملائه

أعضاء الخلية السرية يبلغه ان قيادة الجمعية قررت تأجيل العملية الانتحارية ..وسأل عن السبب فقيل له انه ليس من حقه أن يسأل عن السبب . وسأل عن موعد التنفيذ القادم فقال له صاحبه ان الاوامر ستصدر فى الوقت المناسب.

وبعد ذلك أطلق ابراهيم الوردانى الرصاص على بطرس باشا غالى رئيس الوزراء لانه اتفق مع الانجليز على الحكم الثنائى فى السودان وأراد تجديد اتفاقية قناة السويس .

وسقط رئيس الوزراء قتيلا ، وقبض على عدد من أعضاء الجمعية .. وعرف الهضيبى عندئذ أن جمعيته هى التى اغتالت بطرس غالى . فهل كانت الفكرة فى أول الامر هى مهاجمة قسم السيدة زينب والاستيلاء على أسلحته ليستعملها أعضاء الجمعية فى هجوم جماعى على مجلس الوزراء يقتلون فيه رئيس الوزراء ، ثم رأى ابراهيم الوردانى أن يقوم بهذه العملية وحده بغير شركاء ، وأن يقتل رئيس الوزراء عند خروجه من رياسة مجلس الوزراء وحده بدل عشرة أشخاص كان المفروض أن يقوموا معا بهذه العملية .. ان حسن الهضيبى لم يعرف هذا السر أبدا . كل ما يعرفه أن أحد أعضاء جمعيته قتل رئيس الوزراء ، وأن العملية الانتحارية التى كان مكلفا بها لم تتم .

ولم يقبض البوليس على حسن الهضيبى بين عشرات من أعضاء الجمعية الذين قبض عليهم للاشتباه ، ولم يتطرق الشك الى أحد أن هذا التلميذ المنزوى الطيب المطيع هو عضو فى الجمعية السرية التى أمر الانجليز بالقبض على جميع أعضائها .

وانفرط عقد الجمعية ، ولم يعرف الهضيبى كيف انفرطت ، ولماذا انفرطت ، ولكنه عرف أن خليته لم تعد تتلقى أوامر أو تعليمات .

ثم حدث أن حكمت المحكمة باسجن لمدة ستة أشهر على الزعيم محمد فريد لانه كتب مقالا هاجم فيه الخديوى والانجليز . وهرب محمد فريد الى أوروبا . واختلف رأى الشبان فى قرار الزعيم الوطنى ، كان من رأى فريق أنه بعد أن قيدت الصحافة عقب مصرع بطرس غالى ، وبعد أن بدأت مطاردة الوطنيين ــ أصبح مجال العمل ضيقا أمام محمد فريد ، فهو سوف يكون فى أوروبا مطلق اليدين ، يهاجم الاحتلال البريطانى والخديوى كما يشاء ويقلب العالم ضد الاحتلال والفساد فى مصر .

وفريق آخر كان يرى أن واجب محمد فريد كان يقضى عليه أن يدخل السجن ولا يتخلى عن مكانه داخل المعركة ، وأن يبقى ليقاوم ويؤلب الشعب على الاحتلال .

وكان الهضيبى يؤيد هذا الرأى الاخير ... فقد شعر ان الجيش أصبح

بلا قائد ، وأن العلم الذى كان يجمعهم اختفى فجأة • وزاد فى ايمانه أنه رأى أفراد خليته السرية حيارى تائهين ، ثم لم يلبث أن رآهم نفرقوا ، لا يجتمعون ولا يتناقشون •• كأن محمد فريد عندما خرج من مصر أخذ مع حقائبه روح مصر ••

وفى سنة ١٩١٤ أعلن الانجليز الحماية على مصر . وخلعوا الخديوى عباس حلمى واعلنوا الامير حسين كامل سلطانا على مصر •

وشعر الهضيبى كأن خنجرا أغمد فى ظهره ، ثم ما لبث أن أحس أن خنجرا أكبر يغمد فى قلبه •• أعلن الانجليز الحماية على مصر •• ولم يتحرك أحد من المصريين ، لم تقم مظاهرة واحدة ، لم يلق حجر واحد على الجنود الانجليز الذين ساروا فى موكب من قشلاق قصر النيل الى قصر عابدين يزفون السلطان الجديد الى عرش مصر على أسنة حراب الاحتلال •

وأسرع الهضيبى الى زملائه أعضاء الخلية السرية ، واذا بالفجيعة تمزق قلوبهم ، العمل الوحيد الذى قام به بعض المتحمسين منهم أن وضعوا فى عنقهم أربطة سوداء •• كانت الكرافتة السوداء هى العلم الوحيد الذى رفعوه• شعر الشباب المصرى فى تلك الايام المريرة بالشقاء والذل والخزى والعار • أحسوا أن شرف كل واحد منهم لطخ بالوحل والطين •• أحذية الجيش البريطانى داست على رءوسهم جميعا •• أحسوا أكثر بالحاجة الى القائد••• راحوا يقولون : لو كان محمد فريد موجودا فى مصر لعرف كيف ينظم المقاومة وكيف يرد على صفعة الاحتلال •

وأوقف أمين الرافعى اصدار جريدته ، فضل أن يحطم قلمه على أن ينشر فى جريدته نبأ أن مصر أصبحت تحت الحماية البريطانية •• أما جريدة المقطم التى كان يصدرها الدكاترة فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس فقد أصدرت ملحقا بعناوين ضخمة فى الصفحة الاولى « بشرى للامة المصرية- اعلان الحماية البريطانية على مصر » وكان هذا العنوان المخزى أشبه بكفن وضعت فيه جريدة المقطم جثة الشباب الوطنى فى مصر •• ولكن شباب مصر دفن ولم يمت •• الصدمة المفاجئة جعلته يتسمر فى مكانه بلا حراك • واختفاء محمد فريد من مصر كان أشبه باختفاء المنارة التى كانت تضىء للسفن الهائمة فى أثناء العاصفة •

وأعلن السلطان الجديد تغيير اسم مدرسة الحقوق الخديوية الى اسم « مدرسة الحقوق السلطانية » •• وأذاع قصر عابدين أن عظمة السلطان قرر أن يشرف مدرسة الحقوق السلطانية بزيارته – وكان بناء مدرسة الحقوق مجاورا لقصر عابدين • وتحدد يوم الزيارة •• وفرشت ممرات المدرسة بالرمل الاحمر ، ورفعت الاعلام استعدادا لقدم السلطان •

وفى يوم الزيارة تلقى طلبه مدرسه الحقوق بطاقه مطبـوعة بأن فـلانا الطالب بالمدرسة توفى الى رحمة الله وستشيع جنازته من منزله رقم ١١ شارع المناخ فى الساعة الحادية عشرة صـباحا ، وعلى جميـع الطلبة الاشـتراك فى تشييع الجنازة ٠

وكانت الساعة الحادية عشرة هى الموعد المحدد لزيارة السلطان ٠

وكان العنوان المكتوب فى البطاقة هو عنوان محـل جـروبى فى شـارع عدلى الان ٠

وترك الطلبة المدرسة ، وذهبوا لتشييع الجنازة الوهمية ، وفى جروبى تناولوا الجاتوه والحلوى على روح الفقيد المرحوم ٠٠٠ ودخل السلطان حسين الى المدرسة فلم يجد فيها طالبا واحدا ٠

وجن جنون السلطان ، وهاج وماج وثار ٠٠ وعرف أن طلبة أكبر مدرسة عالية فى مصر فى ذلك الوقت أرادوا أن يلطموا السلطان لطمة علنية عقابا له على توليه عرش مصر فى ظل الحماية البريطانية ٠

وقام السلطان ولم يقعد ، وقام الانجليز ولم يقعدوا ، وقامت الحكومة ولم تقعد ٠٠ هذه ثورة ضد السلطان وضد الانجليز وضد الحكومة ٠ وقبض على عدد كبير من طلبة مدرسة الحقوق ، وقبض على صاحب المطبعة الذى طبع بطاقة الدعوة لحضور الجنازة ٠

وعرض النائب العام على صـاحب المطبعة كل طلبة مدرسـة الحقـوق ليتعرف على الطالب الذى طبع بطاقة الجنازة ٠٠ ولم يتعرف صاحب المطبعة على واحد منهم ، وقال ان الشخص الذى جاء لطبع البطاقة كان أكبر عمرا من هؤلاء الطلبة ٠٠ وهنا عرضت النيابة أساتذة مدرسة الحقوق على صـــاحب المطبعة فقال ان المجرم الاثيم ليس واحدا منهم ٠

والواقع أن المجرم الاثيم لم يكن طالبا ولا مدرسا ى مدرسـة الحقـوق وانما كان عربجيا ٠٠ كان العربجى الذى يقود العـربة الحنطور التى تملكها أسرة الطالب فؤاد حمدى وتحمله كل يوم الى المدرسة ٠

وأصدرت الحكومة قرارا بفصل عدد من طلبة الحقوق نهائيا ، وعدد آخر لمدة عامين ، وعدد ثالث لمدة سنة واحـدة ٠ وكان حسن الهضيبى أحـد الذين فصلوا لـمدة سنة واحـــدة ٠

وحاول الطلبة أن يتظلموا فوجدوا أن كل الابواب مغلقة فى وجوههم ٠ لا احد يجـرؤ على أن يتوسـط لهم والسـلطان ثائر ، والانجليز حانقـون ،

والحكومة غاضبة ٠٠ ثم سمع الهضيبى من زملائه المفصولين أن سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية التى عطلها الانجليز يتعاطف معهم ٠ وذهب مع بعض زملائه وقابلوه ، فاذا به يهنئهم لانهم أعادوا الاعتبار للشعب المصرى عندما لطمه السلطان ٠٠ واذا به يقول انه سيبذل كل ما يستطيع لرفع الظلم عنهم ، وانه لا يملك أى سلطة ، ولكنه يعتبر نفسه ممثل الشعب الذى انتزعت سلطاته باعلان الحماية ٠٠ ودهش الهضيبى لان رجلا فى الستين من عمره يتكلم بلغة الشباب ٠٠ وبعد خروجه من بيت سعد زغلول قال لزميل له ٠ هذا الرجل يستطيع أن يقود مصر بدلا من محمد فريد ٠

قال له زميله : مستحيل ٠٠ مستحيل ٠

وبعد أربع سنوات قامت ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول ، وصدقت نبوءة الهضيبى ٠٠٠ وكان طلبة الحقوق المفصولون هم أول الذين مشوا وراء سعد زغلول وأشعلوا الثورة ٠

ثانيا ــ هل الهضيبى طارىء على الدعوة ؟

ان الذين يريدون أن يقصروا صفة الاخوان المسلمين على الاشخاص الذين ضمت سجلات العضوية الرسمية أسماءهم ، والذين يؤدون اشتراكاتهم والذين ينتظمون فى تشكيلاتهم ــ يريدون أن يضيقوا واسعا ويحجروا سهلا ميسورا ٠٠ فالاخوان المسلمون ليسوا شيئا مخترعا ، ولا فكرا مبتكرا ، ولا دعوة مبتدعة ــ وانما هى الفكرة الاسلامية : من اعتنقها وعمل لها وجاهد فى سبيلها فقد صار من الاخوان المسلمين ، له كل حقوقهم ٠٠٠ وعلى هذا الاساس من المعنى الفسيح الذى أرساه القرآن الكريم بقوله « انما المؤمنون اخوة » تحدثت فى مكة المكرمة ــ كما سبق أن ذكرت ــ الى السيد أبى الحسن على الندوى فى أخطر ما يتصل بالاخوان المسلمين ٠٠ ولم يشعر الرجل بغرابة فى حديثى معه فى هذا الشأن ، لان هذا المعنى الفسيح الرحب الجامع للاخوة الاسلامية هو أمر مقرر فى نفس كل من فهم الاسلام،وهو احدى البديهيات فيه٠

وقد أثبت فى الصفحات السالفة كيف كان الاستاذ حسن الهضيبى عريقا فى فهمه للفكرة الاسلامية وفى جرأته فى التقدم بها وفى شرحها وفى الدفاع عنها أمام أعلى هيئة تشريعية فى البلاد ٠٠ فهل يكون رجل كهذا غريبا على الدعوة الاسلامية ، دخيلا على الجماعة التى رصدت نفسها لنفس الفكرة ولشرحها والدفاع عنها ٠٠٠ واذا كان مثله يعد دخيلا فمن اذن يكون فيها أصيلا ؟ ٠

ومع ذلك فقد أثبتت الاحداث أن الاستاذ الامام كان نقادا ماهرا ، وكان قديرا فى وزن الرجال ووضعهم فى مواضعهم ، فقد رأى أن الاستاذ حسن

الهضيبى كنز ثمين يجب الحرص عليه والانتفاع به ٠٠ ولكنه رحمه الله كان يراعى ظروف بعض ذوى الوظائف الحساسة فيعفيهم من الظهور فى أوساط الاخوان ، ويجعل اتصاله بهم اتصالا شخصيا ، فهو يتبادل معهم الرأى ، ويشاورهم فى الخطير من الامور ، ويظهرهم على مواقف الدعوة وما يحيط بها من ظروف ٠٠ وكان هذا هو دأبه مع الاستاذ الهضيبى ٠٠ ولذا فلم يكن يعرف علاقة الاستاذ الهضيبى بالاخوان الا من كانت الظروف تدعو الى هذه المعرفة من قلة من الاخوان ٠ كما كان يعرف هذه العلاقة قلة من غير الاخوان ٠

فلقد قرأنا فى ثنايا أحداث الايام السوداء من عهد ابراهيم عبد الهادى أن الاستاذ الهضيبى كان الرجل الوحيد الذى كان بجانب الاستاذ الامام فى أشد هذه الايام حلوكة ، وأن الاستاذ الامام قد اتخذه صفيه ومستشاره وموضع سره ، فقد كانا يجلسان معا فى دار جمعية الشبان المسلمين على انفراد ٠٠٠ ويبدو أن الاستاذ الامام قد أفضى اليه بكل ما عنده ، وشرح له جميع المواقف ، وحلل له كل الشخصيات ، بدليل أنه منذ أول يوم فوتح فيه فى خلافة الاستاذ الامام تحدث عن بعض شخصيات الاخوان حديث العليم الخبير ، مع أنه لم يسبق له اتصال بهم ٠

وأنقل للقارىء فى هذا الشأن فقرة جاءت عرضا فى شهادة الاستاذ محمد الليثى رئيس قسم الشباب بجمعية الشبان المسلمين أمام محكمة الجنايات فى أثناء نظر قضية اغتيال الاستاذ الامام وذلك فى يوم ١١ـ١١ـ١٩٥٣ حيث قال :

« ولما أحس البوليس السياسى بأن الشيخ البنا يتردد على الجمعية أخذ يراقبه لمعرفة المتصلين به ٠٠ وكنا قد اتفقنا على رموز للتفاهم بها ٠٠ حتى انه حدث أن حضر الاستاذ الهضيبى ، ونظرا لعدم معرفتى به أنكرت معرفتى بالشيخ البنا لاعتقادى أنه من البوليس السياسى ٠٠ وعرفت أخيرا من الشيخ البنا أنه هو الاستاذ الهضيبى » ٠

وفى ١٨ـ١١ـ١٩٥٣ وفى أثناء شهادة الاستاذ مصطفى مرعى أمام نفس المحكمة وفى نفس القضية ، وجه اليه الاستاذ عبد القادر عوده ـ أحد أفراد هيئة الدفاع ـ سؤالا ، ودار النقاش على الوجه الآتى :

الدفاع ـ ألم تفهم الاسباب التى من أجلها كان الشيخ البنا يمهلك فى الرد عليك ؟

مصطفى مرعى ـ كان لديه مستشار ٠

المحكمة ـ من المستشـار ؟

مصطفى مرعى ـ الاستاذ الهضيبى ٠

هذا هو الاستاذ حسن الهضيبى الذى اشـاع المغرضون أنه غـريب عن الاخوان المسلمين ٠

ثالثا ـ المقدرة الخطابية أو بين عهدين :

لقد وضح تمام الوضوح أن الله تعالى يصنع لدعوته ـ وهو أعلم بمـا يصلح لها ـ فلقد علم أن هذه الدعوة فى العشرينيات والثلاثينيات قد طمست معالمها ، وشوه وجهها ، وغابت تحت الاضاليل قسماتها ، حتى أضحت غريبة على أهلها ، مجهولة لاقرب الناس اليها ـ فاختار لها داعية من الشباب قـوى البدن ، ذكى الفؤاد ، ذلق اللسان ، ذا بسطة فى العلم والجسم ٠ لايمل ولايكل٠ فهو واعظ وكاتب وقائد ومعلم ومتنسك وفارس وخطيب ٠٠ اذ كانت الدعوة فى ذلك الوقت فى حاجة الى من يجالس الناس فى المقاهى ، والى من يربى من يستجيب له تربية حانية فى خفاء ، والى من يؤم الناس فى المسجد ، ويخطب فيهم خطبة الجمعة والعيدين ، والى من يكتب للناس شارحا دعوته ، مفندا ما علق بالاسلام من شوائب ٠٠ والى من يبث فى الشباب روح الفداء فهـو يرتدى الملابس العسكرية ويقف معهم فى الصف ويقودهم فى الطابور ٠٠٠

كانت الدعوة فى حاجة الى من يواصل فى سبيلها الاسفار ، فهو كل يوم فى بلد ، وكل أسبوع فى مدينة ، يغشى مجالس الناس ، ويجلجل صوته وسط جموعهم ، بأساليب تناسب هذه الجموع ٠٠ ففى جمع من هذه الجموع يناقش شئون الدولة العليا على ضوء الفكرة الاسلامية ٠٠ وفى جمع آخـــر يخاطب الناس فيقول : ان الناس قد فشا فيهم الجهل بالدين حتى ان رجلا مسلما كان يقرأ الفاتحة فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ٠ الرحمن الرحيم ٠ مالك يوم الدين اياك نعبـد واياك نستعين ٠ اهـدما الصـراط المستقيم » ويعلق على لفظ « اهدم » تعليقا يجعل هذه الجموع تضحك مـلء أشداقها ٠٠ فيقودهم وقد تفتحت قلوبهم بهذا الضحك الى معالجة هذا الجهل بالاقبال على كتاب الله وهو ما يدعو اليه الاخوان ٠

وهكذا فهو يخاطب كل قوم بأسلوبهم ٠٠ وقد يضطر فى جمع واحد أن يخاطب فى حديث واحد كل الحـاضرين بمختلف مستوياتهم الثقافية بحيث لا يشعر أى منهم أنه غريب وسط هذا الجمع ٠

كانت الدعوة بادرة صغيرة ، ونبتة ضعيفة ، فى أمس الحاجـة الى من يحوطها ويطرد عنها الهوام والحشرات والحيوان من حولها حتى لا يفتك بها أو يفترسها ٠٠ كانت فى أمس الحاجة الى من ينكفىء فوقها ٠٠ يداريها من الرياح والعواصف والحر والبرد والصقيع ٠

كان حسن البنا هو الداعية الذى أهله الله تعالى بكل هذه المؤهلات ٠٠ فأدى دوره أحسن أداء ، ثم ذهب الى ربه بعد أن بهر العالم بايمانه وصبره ولسانه وقلمه وعلمه وسعة أفقه وقدرته على التكوين وصنع الرجال ـ وترك وراءه دعوة قد اكتمل شبابها ، ورسخت أقدامها ، وآتت أكلها كل حين باذن ربهـــا ٠

لم تعد الدعوة فى حاجة الى كبير عناء لشرحها للناس فقد فهمها الجميع لكثرة ما خـوطبوا بحججها باللسان والقـلم ، ثم اقتنعوا بهـا بعـد أن رأوا بأعينهم الفاسدين من الشباب وقد صلحوا ، والهازلين وقد جدوا ، والجاهلين وقد تعلموا ، وبعد أن رأوا فى نهاية الامر رعيلا كالرعيل الاول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسابقون الى الموت هاتفين « وعجلت اليك رب لترضى » ٠

لم تعد الدعوة فى حاجة الى من يذرع البـلاد شرقا وغربا ، ويجـوبها شمالا وجنوبا ، لا يبيت فى بيته قدر ما يبيت فى القرى والمدن ، فلقد استجابت البلاد للدعوة من أقصاها الى أقصاها ٠ ولم تعد فيها مدينة ولا قرية ولا عزبة الا وفيها شعبة للاخوان ، وفيها قلوب تنبض بحب الدعوة وتفتديها ٠

لم تعـد الدعـوة فى حاجـة الى من ينكفىء فـوقها ليقيها غوائل البرد والصـقيع أو صـفعات الرياح والعواصـف ، فلقـد نمت وترعرعت وثبتت جذورها ، وأخرجت شطأها فآزرها واستغلظت واستوت على سوقها ٠

لم تعد الدعوة فى حاجة الى ما كانت تحتاج اليه من قبل من حماية ، ولكنها وقد أزهرت وبانت ثمارها جنية شهية تسيل اللعاب ٠٠ أضـحت فى حاجة الى من يكف أصـحابها أنفسهم عنها من أن يسـيل لعـابهم فيمـدوا أصابعهم الى ثمارها ليقطفوها للاستمتاع الشخصى بها ٠٠ أضحت فى حاجة الى من يقنع الاخوان أنفسهم بأن يعلموا أن ثمار هذه الدعوة ليست ملكا لهم يستمتعون به ، وانما هى من حق الامة الاسلامية جمعاء ٠٠ والا لـما كان هناك داع لتقديم الدماء والارواح التى قدمت عن رضا وطواعية لترو ى هـذه الشجرة العزيزة ٠٠٠

ما أشبه الدعوة فى عهـديها بالدرجتين العليين المشهـورتين : الفقير الصـابر والغنى الشاكر ٠٠٠ الاول كان فى حاجـة الى كفاح مستمر ، وكـد متواصل ، وجهـد لا يفتر ، ومواصـلة الليل بالنهـار للحصـول على الرزق الكفاف الذى يحفظ عليه الحياة ـ اما الآخر فقد توفر له الرزق بكل أشكاله والوانه ، تجبى له الثمرات من كل مكان ، فهو لا يحتاج الى كد ولا كفاح ولا

سعى ، ولكنه يحتاج الى أن يكف شهـواته عن الانطـلاق ، والى أن يكبـح جماح نفسه ، ويقف بها عند الحدود ٠

وقد استطرد فأقول ، ان نمو الدعوات لا يعمل فيه الزمن عملا متناسقا مطردا ـ كما قد يخطر بالبال ـ فتنمو الدعوة فى سنتين ضعف نموها فى سنة وفى ثلاث سنوات ثلاثة أمثال وهكذا ٠٠ بل ان من السنين ما يوقفه النمو ومنها ما يضاعفه أضعافا مضاعفة ٠٠ ففى السنتين الاخيرتين قبل استشهاد الاستاذ الامام انطلقت الدعوة انطلاقا لم نعد نستطيع معه ملاحقتها كأنما نشطت من عقال ٠٠ ولعل هذا كان هو الذى دفع بالمستعمرين وأذنابهم الى التعجيل بخطتهم للقضاء عليها ٠

وأذكر أنه قبيل السنتين الاخيرتين هاتين كنت مع الاستاذ الامام فقال لى : « يا محمود ٠٠ لقد شارفت الاربعين ٠٠ وآن لكم أن تتولوا عنى الكثير مما أقـوم به ٠٠ فحسب صـاحب الاربعين أن يكون مرجعـا يشـير بالرأى ويشترك بالتوجيه » ٠

وقد رأيت اثبات هذا الحديث لابين أن الاستاذ الامام ـ رحمه الله ـ كان يتأهب لدور هو أشبه بالدور الذى تقلده ونهض به الاستاذ الهضيبى ٠٠ ولا شك فى أن الدعوة يوم تسلم قيادتها الاستاذ الهضيبى كانت قد وصلت الى الوضع الامثل لهذا الدور ٠

وأعتقـد لو أن حسن البنا ـ أوسـع الله له فى جناته ـ كان على قيـد الحياة فى سنى الخمسينيات ما واصل النهج الذى كان ينتهجـه ، بـل كان يعدل عن كثير من هذا النهج ، ولسلك نفس الاسلوب الذى سلكه الاستـاذ الهضيبى ، فما عادت الدعوة محتاجة من قائدها الى خطب ومحاضرات بقدر حاجتها الى قائد قادر على اتخاذ القرار ٠

والهضيبى وان لم يكن من أهل الخطابة واللسن ـ وعد بعض البسطاء هذا عيبا فيه ـ فان الاخـوان المسلمين ـ وهم أدرى الناس بما تفتقر اليـه دعوتهم ـ لم يروا ذلك عيبا فيه ٠٠ بل أحسوا بأن هذا الرجل بعزوفه عن الكلام ، مع مقدرته الفائقة على اتخاذ القرار ، وجـرأته فى الحسم ، وجـلاء بصيرته فى النظر الى الامور ، وبعد نظره فى الحكم عليها ٠٠ أحسوا بأن هذا الرجل هو رجل الساعة ٠٠ لان الظروف التى أحاطت بالدعوة فى تلك الحقبة من الزمن كانت أحوج الى تلك الصفات فى القيادة منها الى ذلاقة اللســـان وبراعة البيان ، لا سيما وجماهير الاخوان كانت تعـج بالخطباء والشـعراء والكتاب والمحاضرين الذين لا يشق لهم غبار ٠

ومما يعد برهانا على أصالة هذا الرجل فى الدعوة الاسلامية ، وعلى اكتمال عناصر القيادة فيه ، أنه فى خلال أقل من عام استطاع ان يحتل قلب كل أخ مسلم ، لافى مصر وحدها بل فى أنحاء العالم العربى والاسلامى ٠٠ ومحال أن يستطيع ذلك انسان عادى أو انسان مخادع أو انسان ضعيف الشخصية أو انسان تنتابه نوبات الاثرة والانانية ، أو تتجانبه رياح الاهواء والشهوات ٠٠٠ لا سيما وجمهور الاخوان المسلمين ـ مع اتساع نطاقه ، وكثرة عدده ، واختلاف مستوياته المادية والاجتماعية ـ جمهور يقظ مستنير ليس من السهل خداعه ولا التمويه عليه ٠٠

☐ هل سخر الهضيبى الدعوة لاغراضه الشخصية ؟

وقد أثار المغرضون حول هذا الرجل أخيرا أنه رجل سياسى استغل الدعوة للوصول الى كراسى الحكم ٠٠ وسوف يرى القارىء ان شاء الله فى سير الاحداث التى عاشها هذا الرجل ، ومواقفه فيها ما يدحض هذه المفتريات ويقوضها من أساسها ، وما يكشف عن حقيقته التى كان هو حريصا على اخفائها ، ولكن الايام تكفلت باظهارها ، وأثبتت أن الرجل كان من أزهد الناس فى دنيا الناس ٠

والى هؤلاء المغرضين الذين رموا الرجل بأنه سخر الدعوة لاغراضه السياسة الخاصة نسوق القول فنقول :

ان الطريق الذى سلكه حسن الهضيبى كان هو نفس الطريق الذى سلكته الدعوة من قبل ، لا فى أواخر أيام حسن البنا فحسب ، بل منذ أوائل أيامها ٠٠ ففى عام ١٩٣٩ ورد فى البيان الذى ألقاه حسن البنا فى المؤتمر الخامس ما يلى :

« ان انجلترا لا تزال تضايق مصر رغم محالفتها اياها ٠ ولا فائدة فى أن نقول ان المعاهدة نافعة أو ضارة أو ينبغى تعديلها أو يجب انفاذها ٠ فهذا كلام لا طائل تحته ، والمعاهدة غل فى عنق مصر ، وقيد فى يديها ما فى ذلك شك ٠٠ وهل نستطيع أن نتخلص من هذا القيد الا بالعمل وحسن الاستعداد ؟ فلسان القوة هو أبلغ لسان ، فلنعمل على ذلك ولنكتسب الوقت اذا أردنا الحرية والاستقلال » ٠

وفى رسالة وجهها الاستاذ الامام فى منتصف الاربعينيات الى رئيس الحكومة وأعضاء الهيئات النيابية ورؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية والى الامة تحت عنوان « مشكلاتنا فى ضوء النظام الاسلامى » جاء فيها :

« لقد فاوضنا فلم نصل الى شىء لتعنت الانجليز ونصلبهم ومناورتهم ·· واحتكمنا فلم نصل الى شىء كذلك أمام تغليب المصالح الدولية والمطامع الاستعمارية · ولقد قال لى كاتب فاضل : اننا وصلنا الى كسب أدبى عظيم بالدعاية الواسعة لقضيتنا بطرحها أمام العالم كله ، واخراجها من حيز التفاهم الثنائى الضيق الى حيز التحاكم الدولى الواسع ·· وذلك صحيح ـ ولكن هذا الكسب الادبى لن يغنى عن الحقيقة الواقعة شيئا وهى أننا ما زلنا مع الانجليز حيث كنا ، لم نتقدم خطوة ، بل ان هذا الركود مدعاة الى التساؤل والبلبلة ·

لم يبق اذن الا « النبذ على سواء » **بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة ، ونقرر فى صراحة الغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات ، ونعلن اعتبار أمة الوادى معهم فى حرب ـ ولو سلبية ـ وننظم حياتنا على هذا الاعتبار :** اقتصاديا بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند اخواننا العرب والمسلمين والدول الصديقة ـ ان كانت ـ واجتماعيا بتشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية ـ وعمليا بتدريب الشعب كله تدريبا عسكريا حتى يأتى أمر الله ، وتهيأ نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة ، كما تفعل الامم اذا واجهت حالة الحرب الحقيقية ، وتتغير كل الاوضاع الاجتماعية على هذا الاساس ·

وهذا العمل لا ينتسنى للافراد ولا للهيئات ابتداء ولكن الحكومة هى المسئولة عنه أولا وآخرا · والعجيب أن رئيس الحكومة (النقراشى) أعلن هذا صراحة فى مجلس الامن ثم عاد فلم يعمل شيئا ، ولم يتقدم فى هذا السبيل خطوة ···· وهذا واجب الحكومة قطعا ·

وأما الشعب ،فنحن نقولها فى صراحة ووضوح وثقة ، انه على أتم استعداد لبذل كل شىء لو سلكت الحكومة هذا السبيل ·· انه مستعد ليجوع وليعرى وليموت ويناضل ويكافح بأشد أنواع النضال والكفاح · ولكن على شريطة أن يكون ذلك فى سبيل حريته واستقلاله لا فى سبيل ارتباك اللجان الحكومية وضعف الوسائل الادارية . والتخبط فى السياسة الاقتصادية ، والوقوف أمام مكايد الانجليز وضغطهم موقف المستسلمين العاجزين ·

لقد سمعت عاملا فقيرا يقول حين صدرت الاوامر بخلط الخبز : اننى مستعد أنا وأولادى أن نأكل كل يوم مرة واحدة ، اذا وثقنا من أن هذا فى سبيل الحرية والتخلص من الانجليز ···

فالشعب على أتم استعداد للبذل ، ولكن فى طريق واضحة مرسومة تؤدى

الى الحرية أو الشهادة ، بقيادة حكومة حازمة ترسم له فى قوة واخلاص مراحل هذا الطريق ـ أما اذا استمرت الحكومة فى ترددها وتراخيها واضطرابها فلن يؤدى ذلك بالشعب الا الى أحد أمرين : اما أن يثور واما أن يموت • وكلاهما جريمة وطنية لا يغتفرها أبدا التاريخ •

« هذه هى الطريق فاسلكوها فى ضوء الاسلام والله معكم ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » •

ليت شعرى أليس هذا هو كلام حسن البنا ، أو ليست هذه هى الطريق التى شرحها وفصلها وطلب من الاخوان المسلمين سلوكها ؟ •• فهل سلك الهضيبى سبيلا غير هذا السبيل ؟ أم كان كل ما عمله هو مواصلة السير فى نفس الطريق دون أن يحيد عنها ؟ !

على الذين يتهمون الرجل بأنه خرج بالدعوة عن مسارها الذى رسمه لها قائدها الاول ، وبأنه حاد بها عن هذا المسار ، وسلك بها نهجا مبتدعا لاطماعه الشخصية •• على هؤلاء أن يقرأوا ما اقتطفناه من توجيهات القائد الاول ليعلموا أن الهضيبى لم يكن فى قيادته للدعوة الا مواصلا للخط الذى رسمه هذا القائد الاول ، لم يحد عن ذلك قيد أنملة •

وسوف يرى هؤلاء ـ بعد قليل ان شاء الله ـ أنه ـ بمواصلة هذا الطريق المرسوم ـ قد وصل بالدعوة الى الوضع الذى صارت فيه مناصب الحكم لا فى قبضة يده فحسب بل صارت تحت أقدامه ، ولكنه عزف عنها ، وترفع بالدعوة الطاهرة عن أن يلحق بها دنس الحكم فى ظل عرش آثم •• وليس هذا فحسب، بل انه ـ مبالغة منه فى الاحتفاظ للدعوة بنقائها ، وبعدا بها عن مواطن الشبهات ـ قرر منع الاخوان من الاشتراك فى الانتخابات منعا قاطعا مع أن فوز الاكثرين منهم كان مضمونا •

فهل مثل هذا الرجل يرمى بأنه حاد بالدعوة عن طريقها المرسوم ، وسلك بها طريقا آخر سخرها فيه لمآربه الشخصية ، وجريا وراء مناصب الحكم ؟ ••• ألا فليتق الله ، وليربعوا أولئك الذين لا هم لهم الا أن يتلمسوا للبرءاء العيب ••

الباب السادس

المرشد العام الجديد يتبوأ منصبه
والبلاد أمام تطورات جديدة
الدعوة تحتل مكان الصدارة

- الضغط الشعبى للاخوان يبلغ أقصى مداه الحكومة تلغى معاهدة سنة ١٩٣٦ .
- مقابلة الملك للمرشد العام الجديد .
- حريق القاهرة أو الخطة الجهنمية لاحباط المقاومة .
- الشعب يفيق من الضربة الجهنمية ويستأنف جهاده .

مقـــــدمـة

كان مفروضا أن يكون أول عمل يستهدفه المرشد العـام الجـديد حين يتولى قيادة الدعوة أن يتفرغ تفرغا تاما لاعادة تنظيم صفوف أتباعه وجنوده، بعد أن عـدت عليهم يد الظلم ، وعملت بكامل طاقتهـا على تشتيت شملهم ، وتفريق جمعهم ، وتقطيع أرحامهم ، وتمزيقهم كل ممزق ··· وقد يستغرق ذلك فى الدعوات الوضعية أقصد الدعوات غير الربانية الاعوام والسنين حتى يلم الشعث ، وترتق الفتوق ، وتضمد الجروح ، ويرمم ما تهدم ، ويرفع البناء·

والمرشد العام حين ألقيت اليه مقاليد الامور ، وجد نفسه أمام سيل جارف من المطاليب الخطيرة تلح عليه بنداءات مدوية من كل جانب ·· كلها بنت ساعتها ، لا تحتمل التأجيـل ولا تقبـل التأخير ·· فاسترداد سمعـة الدعوة التى لطخها المفترون ، والحشد الكبير من الشباب الذين ألقى بهم عهد الظلم فى غياهب السجون ، ومنشآت الدعوة ومؤسساتها فى آلاف الشعب من دور ونواد رياضية ومدارس ومعاهد ومساجد ومطابع وصحف ومستوصفات وأراض زراعية ومناجم ومحاجر وغيرها ·· وقد اغتصبتها السلطات الغاشمة ودمرت أكثرها ···

لكن نداء واحدا جد أخيرا وكان فى سمع المرشـد العام أعلى صـوتا ، وأقوى دويا من كل النـداءات ، لانه صـادر من الوطن المسـلوب الحـرية ، المهضوم الحقوق ، المقهور الشخصية ، وقد استيقظ أخيرا حراسه الرسميون بعد أن فرطوا طويلا فى حقه ····· فأى هذه النداءات يجيب ؟

أما الاخوان المثخنون بالجراح من آثر المحنة الجائحة فقد اعتادوا أن يضمدوا جراحهم بأيديهم ، فأتاحوا بذلك لمرشدهم الجديد أن يستجيب للنداء الطارىء الجـــديد ·

والمرشد العـام الجـديد رجـل يميل بطبيعته الى الهـدوء والتنسك ومناجاة ربه ·· وكان يحلم بتلك الايام التى ينهى فيها عمله بالقضاء لينعم بما حرمه منصبه القضائى منه طول حياته ــ بالانتظام فى كتائب الاخـوان فى الجـو الروحى الخـالص ، ويستمتع بالليالى الربانيـة التى تذوب فيها متاعب الحياة وتتلاشى فى بحار القرب من الله والتضرع اليه فى وقت السحر مع هذه الصفوة المختارة الذين يقضون هذه الليالى بين راكع وساجد وضارع وخاشع ··· لقد كان الرجل يحـلم بتلك الايام ، وجاءت تلك الايام ولـكن الحلم لم يتحقق فما كادت تتاح له الفرصة حتى وجد نفسه أمام أمور جسام لم تمهله لحظة ·· رأى نفسه مطالبا بأداء حقوق نحـو الوطن الغـالى الذى يهتف كل أخ مسلم مهما ناله من ظلم بقول الشاعر :

بــلادى وان جارت على عــزيزة وقومى وان ضنوا على كرام

وهكذا نزل الرجل الى الميــدان من أول يوم ، ونفسه تائقة الى الجــو الروحانى الغامر ٠٠ ولكن الميدان لم يدع له فرصة الى ما تتوق إليه نفسه الا خلسا ٠٠٠ أما المتلمسون للبرءاء العيب ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فيرمون الرجل بأنه قد نقل الاخوان من صميم دعوتهم الى ميدان السياسة ٠٠ ويستدلون على ذلك بأنه منــذ اليــوم الاول لتوليه منصب المرشد العام قد نزل بالاخوان الى ميدان السياســة ولم يدعها لحظة من نهـــار ٠

والى هؤلاء نعيد توجيه القــول فنقــول : ماذا كنتم تريدون أن يكون موقف الاخــوان ـ وقــد كانوا يحثون الحكام دائمــا على منــابذة المستعمر العداء ـ وجاءت حكومة آخر الامر وأخذت بنصيحتهم ، ودعتهم الى المشاركة فى حمل العبء معها فى نتائج هذه المنابذة ٠٠ هــل كنتم تريدون أن يتخلــف الاخوان ويتنكروا لدعوتهم ويقــولوا للحــكومة : دعــونا نعكف على الخطب والمحاضرات والعبادة واذهبوا أنتم وحدكم واجهوا العدو ٠٠؟!

وقد نكون فى غنى عن أن نذكر هؤلاء وغيرهم بأن العمــل على تحــرير البــلاد من ربقة الاستعمار ـ بالنسبة لدعــوة تريد للبلاد أن تحــكم حــكما اسلاميا ـ هو الخطوة الاولى التى لابد منها ولامفر من العمل على تحقيقها لسببين:

الاول ـ أن الاســلام دين لا يرضى للمنتسبين اليــه أن يعيشوا تحت سيطرة غيرهم من الامم ، والا كانوا آثمين « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضــعفين فى الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » ٠

الثانى ـ أن المستعمر بطبيعة هدفه من الاستعمار يحتل البــلاد التى يحتلها ليستغل خيراتها لنفسه ، وليسخر أهلها لخدمة أغراضه ٠٠ ولا يتأتى له ذلك الا بحجب أسباب القوة عن هــذه البــلاد ، وبنشر وتمكين أســباب الضعف فيها من فقر وجهل ومرض وفساد ، حتى لا تقوى فى يوم من الايام فتفكر فى مقاومته ـ والمستعمرون على اختلاف نزعاتهم الاستعمارية يحولون بكل الوسائل بين الشعوب الاسلامية التى يستعمرونها وبين الحكم الاسلامى

لهذا فان دعوة الاخوان المسلمين ـ بعــد أن استوى صــفها واكتملت تكويناتها ـ قد جعلت أول خطوة تخطوها لتحقيق برنامجها الاسلامى ، هى تحرير الوطن الاسلامى من ربقة الاحتلال ، واطلاقه من أسر الاستعمار ٠

ثم نرجع الى ما كنا بصـــدده من مواجهة العائبين بالموقف الذى وجـد المرشد العام الجديد نفسه أمامه فنسألهم هل كان أمام الرجل من خيار وقـد وجد نفسه فى هذا الموقف من أول يوم ٠٠ وظل هذا الموقف على اشده أعواما متتالية لم يهدأ له أوار ٠٠ واذا كان من وجه للعجب ، فعجب أن رجلا أبل من مرض خطير وهو فى سن ما بعد الستين استطاع أن يتحمل هذا العبء الثقيل، ويضطلع بهذا الجهد المضنى المتصل طيلة تلك المدة دون كلل أو اعياء ٠

الفصـــل الاول

الضغط الشعبي للاخوان يبلغ أقصى مداه
الحكومة تلغي معاهدة سنة ١٩٣٦

اقترن انتخاب المرشد العام الجديد انتخابا رسميا بحدث جلل فى تاريخ مصر السياسى هو اعلان الحكومة المصرية الغاء معاهدة ١٩٣٦ . فقد أعلنت الحكومة الغاء المعاهدة يوم ١٠ـ١٠ـ١٩٥١ وأعلن انتخاب المرشد العام يوم ١٩ـ١٠ـ١٩٥١ .. فهل كان لهذا الاقتران مدلول معين أم أنه جاء بمحض المصادفة ؟

والذى نعلمه ـ وقد علمه القراء من الفصول السابقة ـ أن حكومة الوفد منذ وليت الحكم وهى دائبة البحث عن وسائل التعويق وأساليب المماطلة لتسد بها الطريق أمام استرجاع الاخوان المسلمين حقوقهم القانونية التى سلبهم اياها أمر الحل الغاشم .. وكانت هذه الحكومة فى خلال تلك المدة منذ آل اليها الحكم فى منتصف يناير سنة ١٩٥٠ حتى هذا التاريخ يداعبها الامل فى أن تستطيع الحصول على حقوق البلاد فى الحرية والاستقلال بطريق التفاهم والمفاوضة مع الانجليز ، ولكنها وصلت آخر الامر الى طريق مسدود. .. ولم يعد أمامها الا طريق انتزاع هذه الحقوق انتزاعا ... ولما كان لكل ميدان رجال ، فقد صارت الاستعانة بالاخوان المسلمين أمرا لا مفر منه .. واذن فليخطبوا ودهم ...

هذا من جانب الحكومة . أما من جانب الاخوان فانهم ما كادوا يلمحون فى الحكومة الاتجاه الجاد الى نبذ المفاوضة مع الغاصب ـ وهو مطلب طالما طالبوا به كل الحكومات السابقة ـ حتى نسوا مواقف هذه الحكومة منهم ، وهبوا لهذا الاتجاه مؤيدين .. فنشرت الصحف فى اليوم التالى لاعلان الغاء المعاهدة ما يلى :

« يسر الاخوان المسلمين أن تنجز الحكومة وعدها فى الغاء المعاهدة . ويستقلبون بالتقدير تلك الخطوات المباركة التى تتمثل فى مراسيم الغاء المعاهدة واتفاقيتى السودان وفى اصدار الدستور السودانى ، وتغيير لقب الملك الى ملك مصر والسودان .

وينتظر الاخوان المسلمون كما تنتظر الامة جمعاء الخطوات الايجابية الحاسمة التى ينبغى أن تسارع الحكومة الى اتخاذها لصيانة الاستقلال

وتحقيق آمال البلاد ، مؤكدين لها ان الشعب كله من ورائها ، يشد أزرها في الجهاد المقدس لتطهير البلاد من آخر اثر للاحتلال » .

ثم عقدوا مؤتمرا بدارهم المؤقتة بحي الظاهر للطلاب بمناسبة بدء العام الدراسي . ونشرت الصحف عن هذا المؤتمر قائلة : انهم أصدروا قرارات بصدد الغاء المعاهدة واتفاقيتي السودان .

وفي ١٩ من الشهر نفسه ، وفي نفس يوم انتخاب المرشد العام أصدرت الهيئة التاسيسية البيان التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم»

يؤكد الاخوان المسلمون ما جاء في بيانهم السابق من تقدير للخطوات الوطنية المباركة التي تتمثل في مراسيم الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي السودان ، ولما كانت الحكومة بسبيل اتخاذ اجراءات ايجابية لتنفيذ هذه المراسيم ، والرد على اعتداءات الانجليز الاخيرة ، فان الاخوان المسلمين يعلنون استعدادهم التام لمؤازرة الحكومة والتعاون معها في كل عمل ايجابي يؤدي الى الاستقلال ووحدة الوادي والتخلص من كل آثار الاستعمار .

وان الاخوان يحثون الشعب على أن يثق بنفسه ، ويؤمن بحقه ، ويعلم أن مستقبله بيده لا بيد غيره ، وأن التضحية والجهاد هما طريق الحرية ، وان الاتحاد والتعاون هما السبيل الى الغاية ، وأن التنازع والفرقة يبددان قوى الامة ، ويذهبان بريحها « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » .

والاخوان يدعون الامة الى التذرع بالجلد والحكمة واجتناب الحركات الفردية وغير المنظمة ، فانها لا تؤدي الى خير . وما ينفع الامة في هذا الموقف العصيب الا الروية والاعداد والتنظيم ووقوف الحكومة والشعب صفا واحدا .

ألا وان الاخوان ليهيبون بالامة والحكومة أن ترجع الى الله ، وتعلم أن ما عنده من النصر لا ينال بالمعاصي ولا يدرك بالقعود ، وأن تستمد منه العون فيما اعتزمته من جهاد صادق وكفاح مرير .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

رحم الله امامنا الشهيد وشهداء الامة جميعا ، وأيد بالقوة والعافية جرحانا وأثابنا فتحا قريبا » ٠

وبعد يومين أى فى ٢١ـ١٠ـ١٩٥١ ظهرت جريدة المصرى وفى صدرها العنوان التالى :

المرشد العام للاخوان المسلمين يتحدث الى « المصرى »
الظروف الحاضرة تستوجب الافراج عن المسجونين السياسيين
فقد كان سبب سجنهم هو العداء المباشر للانجليز

قال المرشد العام : وجهة نظرنا فى أننا نرى أن الظروف التى تجتازها البلاد تستوجب أن تصدر الحكومة عفوا عن المسجونين السياسيين ، فالقانون يبيح العفو عن المسجون بسبب أى جريمة ـ ومع ذلك فقد كان عداء هؤلاء المسجونين للانجليز هو السبب المباشر للحكم عليهم بالسجن ٠٠ ونحن لا نريد أن نلح على الحكومة فى ذلك لان الالحاح فيه ينقص من الشعور بادراكها لهذه الحقيقة ٠

□ الاخوان تعودوا النظام :

وسأله المندوب عن حملة الصحف الانجليزية على الاخوان المسلمين وتحميلها اياهم مسئولية الحوادث التى وقعت بالقنال فقال : نحن لا نهتم بما تنشره الصحف الانجليزية لانه بعيد عن الحق ٠ وقد عمل الانجليز دائما على محاربة الاخوان ٠٠ وعلى أى حال فان موقف الاخوان من الحالة الحاضرة مبين فى القرارات التى صدرت عن المركز العام والتى تتلخص فى أننا نؤيد الحكومة فيما أصدرته من مراسيم ٠ ونحن ننتظر الخطوات التى ستتخذها فى سبيل تحقيق الغاية المرجوة ٠٠٠ وما زلنا ننتظر ـ أما ما وقع فى الاسماعيلية وبور سعيد فلم يصدر أصلا عن الاخوان ، وحسبك أنك لا تجد فى المعركة جريحا واحدا أو حتى ذا ثوب مقطوع من الاخوان ٠٠ والاخوان المسلمون تعودوا النظام ، ولا يمكن أن يصدر عنهم حركة طيش أو تسرع ٠

□ فى انتظار ما تقرره الحكومة :

يقول المندوب : وقد أجاب على سؤال وجهته اليه عما اذا كان الاخوان يستعدون لكفاح عملى ضد الانجليز كما حدث فى حرب فلسطين قائلا : نحن فى انتظار ما تقرره الحكومة ٠ والكفاح العملى قد يأخذ صورا مختلفة غير القتال ، كالمقاطعة الاقتصادية ٠٠ وانما اذا قررت الحكومة القتال فالامة كلها من ورائها ولن يحيد الاخوان بطبيعة الحال ٠

□ لا كتائب حتى الآن :

وسألته عما اذا كانوا ينوون تكوين كتائب أسـوة بما فعلته الهيئات الاخرى فكان رده : ليس عندنا كتائب ، ولم ندرس بعد هذه المسألة ·

□ لا اعتماد على الدول الاجنبية :

ثم وجهت اليه سؤالا عما أبداه البعض من رأى بشأن الاستعانة بدول أجنبية فى كفاحنا ضـد الانجليز فقال : اننـا لا نؤمن بمعـاونات من الدول الاجنبية لانها جميعا ذات مصالح ، ورأينا أن تعتمد الامة على نفسها فقط · واستطرد سعادته يقول : انه كان من الواجب أن لا يعاون المصريون الانجليز منذ تاريخ احتلالهم لبلادنا ، وأن لا يعمل مصرى واحد فى معسكراتهم ، فقد أدى ذلك الى رسوخ أقدامهم فى البلاد وامتناعهم عن الجلاء على وجه الاطلاق ··ولكن مـع ذلك فان الامـر لا يزال فى أيدينا ·· ونستطيع أن نمنـع عنهم جهود عمالنا ، ونقطع عنهم جميع معاوناتنا الاقتصادية ، وأن نتبع دستور القرآن ففيه كل وسائل حريتنا ·

وفى ٢٢ـ١٠ـ١٩٥١ نشرت « المصرى » ما يلى تحت هذا العنوان :

جواسيس انجليز لمراقبة الاخوان

الاسماعيلية ـ لمنـدوب المصـرى ـ علمت أن السـلطات الانجليزية فى الاسماعيلية قد أوفدت جواسيس الى القاهرة ، مهمتهم الوحيدة هى تقصى أنباء الاخوان المسلمين وجمعها ورفعها فى تقارير الى مركز القيادة العسكرية· وقد عاد أحدهم اليوم بعد أن جمع المعلومات · وكان ضمن ما قام به من جولات زيارة منطقة جبل الجيوشى ·

وفى ٢٧ـ١١ـ١٩٥١ نشرت « المصرى » عنوانا بعرض صفحاتها الاولى هـــذا نصه :

كتائب الاخوان المسلمين تخوض المعركة فى الاسماعيلية

وكتبت تحته ما يلى :

أذاعت وكالة الاسوستيدبرس العالمية نبأ من الاسماعيلية تقول فيه :

قيل اليوم ان الاخـوان المسلمين بدأوا يشتركون فى المعـركة بدليل أن بعض الفدائيين كانوا يتكلمون اللغة الانجليزية بطـلاقة لا يمكن أن تتـوفر لجمهور الشعب ·

وقد أوردت هذه المقتطفات مما نشر بالصحف فى تلك الحقبة من الزمن لا سيما ما نشر فى جريدة « المصرى » لسان حال الحزب الحاكم ، لانتقل الى

القارىء احساس الحكومة واحساس الشعب واحساس المستعمر نحو الاخوان المسلمين باعتبارهم معقد الرجاء ومناط الامل والعنصر الفعال . فالمستعمر قد عرف قوة الاخوان من قبل فى فلسطين . وعجم عودهم ، فهو عليم بأنهم العنصر الوحيد الذى يخشى بأسه ، ويرهب جانبه ، لانهم فدائيون حقا لا يبالون بالموت ، ولا يعرفون النكوص على الاعقاب .

□ موقف ساذج للحكومة :

ولما كانت الحكومة حديثة عهد بمواجهة مثل هذا الموقف الذى وجدت نفسها فيه فجأة ، نتيجة اعلانها الغاء المعاهدة ، فانها ظنت أن على القوات الشعبية أن تحشد نفسها حشدا لتقف مع الجيوش البريطانية فى القنال وجها لوجه .. ولكن تجارب الاخوان أثبتت أن المناوشة وحرب العصابات هى مهمة القوات الشعبية ، واذ صارت الحكومة على رأس قوى النضال فعليها أن تخطط لهذه القوى وتنظمها .. وهذا هو ما أشار اليه المرشد العام فى حديثه الى جريدة « المصرى » وهو نفس ما أشار به الاستاذ الامام ونقلناه عنه فى آخر الباب السابق .. وقد أدى عدم فهم الحكومة لدورها هذا وعدم قيامها بهذا التنظيم الى سلوك بعض هذه القوى سلوكا معيبا شكا منه الاهاون .

وكان المستعمر يريد أن يستدرج الاخوان ويستغل حماسهم ويستغل جهل الحكومة بطرق المقاومة ... فالحكومة – بسذاجة منها وعن طريق صحفها – تحرج الاخوان فينزلون الى ميدان المعركة نزول جيش لجيش فتحصدهم مدافع الجيش البريطانى حصدا . ويتخلص الانجليز بذلك من العنصر الخطير – كما حدث حين تركت الحكومة قوة الشرطة بالاسماعيلية بسلاحها العاجز البدائى طعمة لنيران العدو فحصدتهم دون رحمة – ولكن المرشد العام كان أحصف من أن تجوز عليه هذه الخدعة ، وأصر على مواصلة المقاومة بطريقة حرب العصابات ، التى كان ضحاياها أقل عدد ممكن ، ولكنها سببت للقوات المحتلة أفدح الخسائر ، وسلبتهم الشعور بالامن ، وشتتت النوم من عيونهم ، حتى اضطروا الى ترحيل أسرهم .

ودعا المرشد العام فى نفس الوقت الى تنظيم عملية هى فى ظاهرها سلبية ، لكنها ادت بهذه القوات الى الشعور لاول مرة بالحرمان والارهاق والجوع ، وهى تتلخص فى حث الشعب على عدم التعاون مع قوات الاحتلال .. وكان دور الحكومة فى هذا الحث ان تتكفل بالحاق من يستجيب لهذا الحث من العمال والمقاولين باعمال فى دوائر الحكومة .

□ وموقف متناقض ايضـــا :

وكان المتبادر الى الخاطر أن الحكومة ـ وقد اتجهت اتجاها جادا ـ أن يكون اتجاهها هذا اتجاها متوائما مع روح الدين وخلقه ، فتغلق أماكن العبث واللهو الحرام ، وتأخذ بالاحكام الاسلامية فى المال والعرض والنفس ، حتى يزول من الصدور الحرج من التناقض الصــارخ فى الحياة المصــرية ، فبينما شباب يركبون الخطر ، ويواجهون الموت فى ساحات القتال مـع العـدو يرى آخرون يتمرغون فى أعطاف اللهو والمجون .

ولقد شيع الاخوان فى خلال الخمسة عشر يوما الاولى من شهر يناير ١٩٥٢ ثلاثة شهداء من طلبة الجامعات هم « عادل محمد غانم » الطالب بكلية طب عين شمس و « عمر شاهين » الطالب بآداب القاهرة ، و « أحمد المنيسى» الطالب بطب القاهرة ـ وكا نتشييع جنــازة الشهيدين الاخيرين فى مـدينة الزقازيق .. وأترك لجـريدة « المصرى » بعـد أن وصفت روعـة الجنــازة ، واشتراك جميع الطوائف فيها ، ونشرت صورة للمشيعين يتقدمهم المرشد العام أترك لها أن تذكر ما حدث فى أثناء سير الجنازة اذ قالت :

« ومن المفارقات أنه فى أثناء تشييع الجنازة فى الزقازيق .. ، والجنازة الجليلة تسير الهوينى لتوديع الشهداء الابطال الى مكانهم فى الخالدين ـ حدث أن دخل الى الصفوف عمال احدى السينمات لتوزيع اعلانات عن عرض الافلام بها .

واذا كان القارىء الآن قـد امتلأ حقـدا على هـؤلاء العمال وعلى الذين أرسلوهم لتوزيع الاعلانات فى هذه اللحظات الخاشعة ، فانه لا محالة يعذر المشيعين اذا كانوا قد اعتدوا على هؤلاء العمال بالضرب وعلى دار السينما ببعض التلف » .

هذا هو ما كتبته الجريدة .. ونحن لاننظر الى الحادثة فى ذاتها ، وانما ننظر الى ما توحى به الى النفوس من معان تثبط الهمم وتهد العـــزائم .. واذا كان هذا هو ما يحدث فى الاقاليم ـ التى من طبيعتها التمسك الى حد ما بالقيم ـ فما بالك بما يحدث فى القاهرة والاسكندرية فى نوادى القمار ودور السينمات والمسارح والكباريهات ؟ !

واذا لم تذكر المحن القاسية الشعب والحكومة بالله الذى بيـده وحـده النصر فمتى يذكرون الله ويرجعـون اليـه ، ومتى يحـكمون شريعتـه ومتى يلتزمون حدوده ؟

المرشد العام يضبط المشاعر ويحدد الموقف بحزم :

والاخوان بطبيعتهم ـ كما قدمنا ـ اذا ذكر الجهاد والاستشهاد نسوا كل شىء وخفوا الى ساحة الموت

ركضـــا الى الله بغـــير زاد   الا التـــقى وعمـــل المعاد

ولكن المرشد العام ـ وهو الرجل الذى حنكته التجارب ، والذى اجتمعت فى يديه كل الخيوط ـ كان هو الرجل القادر على ضبط هـذه المشـاعر وحسن توجيهها ، فهو لا ينسى أنه ـ قبل كل شىء ـ صاحب دعوة شـاملة هـدفها ارساء قواعد الحكم الاسلامى فى البـلاد ، ولا ينسى أن القابضـين على زمام الامور فى البلاد لازالوهم أعداء هذا الهدف ، والغارقين فى بحار اللهو والعبث والمجون ... وفى الوقت الذى يرى أن دعوته تلزمه باجلاء المستعمر عن البلاد يرى أنها تلزمه أيضا بتطهير أداة الحكم من أئمة الفساد والمجون .

فبينما كان كل أخ من الاخوان المسلمين يتحفز فرحا وجذلا للذهاب الى الميدان ، كان المرشد العام مشغولا بايجاد حل لهذه المعادلة الصعبة التى تجمع بين الاحتلال الخارجى والفساد الداخـلى وكيفية التخلـص منهما معـا .. والمشقة الكبرى أمام الرجل كانت تتمثل فى أنه يعد العدة فعـلا لحل المعـادلة ولكنه لا يستطيع أن يبوح لاحد بما يعد ، ولا حتى للاخوان أنفسهم .

وأكتفى هنا بهذه الاشارة العابرة ، فتوضيح هذا الموضوع ليس هـذا موضعه ، وانما يأتى موضعه فى الجزء الثالث من هذه المذكرات ان شاء الله .. ولكننى أورد هنا بعض نصوص نشرت فى صحيفة « المصرى » فى تلك الحقبة، قد تلقى قراءتها بعض الضوء على الموضوع ، لا سيما بعد أن تكشفت الامـور ووقعت الاحداث التى كان يحضر لها المرشد العام ، وأصبحت بالنسبة للناس الآن تاريخا يدرس ـ وان كان محرفا ـ بعد أن كانت فى الوقت الذى نؤرخ له آمالا فى ضمير الغيب .

وهـذه النصـوص تتصـل فى مجمـوعها بامر كان يشغل بال الشعب والحكومة والمحتل نفسه ، وهو ابراز موقف الاخوان المسلمين محددا مفصلا من أحداث الساعة .. وقد تصدى بعض الاخوان المسئولين لتحديد هـــذا الموقف : بعضهم مدفوع بالتشوف الملح الى احراز الشهادة . والبعض الآخر ـ ممن يعيشون فى معمعة المعركة ورأوا بأعينهم المآسى الداميـة التى خلفهـا الاعتـداء البريطانى الآثم على الســويس ـ مـدفوع بالامل فى منح فرصـة للمنكوبين من اهل تلك المدينة وضواحيها لاصلاح بعض شئونهم ، واعـداد انفسهم ليكونوا فى موقف أفضل للدفاع عن أنفسهم .

وقد نشرت الصحف رأى الاستاذ محمد طاهر منير رئيس شعبة الاخوان بالسويس وهو يمثل نظرة أهل المنطقة التى جنت عليها نظرة الحكومة السانجة لطريقة المقاومة وتركها الحبل على الغارب للاهالى العزل المجردين من كل سلاح ومن كل خبرة لمواجهة جيوش الاحتلال المجهزة بأحدث وسائل التجهيز ٠

ثم نشرت بعد ذلك رأى الاخ الشيخ محمد الغزالى عضو مكتب الارشاد فى ذلك الوقت وهو يمثل الفئة الاخرى فى كلمة له بعنوان « لن تبلغ أمة هدفها الا اذا نظفت جبهتها الداخلية ـ رأى الاخوان المسلمين فى الموقف » هذا نصها :

« ان الاسلام الذى يعمل الاخوان المسلمون فى حدوده ، له توجيهات واضحة بازاء الموقف الحاضر ٠ فلأول مرة التقى القانون الشرعى والقانون الوضعى على اعتبار الانجليز فى هذا الوادى محاربين لا أمان لهم ولا عهد ٠ وكان من بشائر الخير أن اتفقت الحكومة والشعب على تحمل هذا الموقف ، ومواجهة تبعاته بروح من الاصرار الواجب والكفاح المحمود ، والاسلام لا يظاهر هذه الحركة فحسب بل يؤجج نارها ، ويرمى لها بوقودها من الفدائيين والشهداء ٠

ويجب أن يعلم أن الاسلام كما يقوم على كلمة التوحيد ، يقوم كذلك على توحيد الكلمة ٠ ولن تبلغ أمة أهدافها الا اذا نظفت جبهتها الداخلية من المنتهزين والمصطادين فى الماء العكر ، فان الالتواء بعناق الامة عن غايتها التى اتحدت عليها قد يصيب نهضتها بانتكاس وخيم العاقبة ٠ ولذلك وضع الاسلام له أشد العقاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان » ٠

وفى حدود تعاليم الاسلام السابقة يمكن أن نعرف حقيقة السياسة التى لا يتخلى عنها الاخوان المسلمون غير ناظرين الى أحزاب أو اشخاص ٠٠ ومن الحقائق المقررة فى أذهان الاخوان المسلمين جميعا :

١ ـ انه لا يجوز بقاء أى جندى انجليزى لا فى مصر وحدها ، بل فى ربوع العالم الاسلامى كله ٠

٢ ـ أن الاخوان المسلمين يسوون فى نظرهم بين أخطار الشيوعية الوافدة ، والخلل الاجتماعى القائم ، لانهم ينادون بالاشتراكية الاسلامية(١)، وفيها وحدها الانقاذ مما نعانيه ومما نتوقعه ٠

(١) تعبير « الاشتراكية الاسلامية » تعبير دخيل استعاره الكاتب ٠ والاخوان حين ينادون ينادون « بالاسلامية » دون موصوف ٠

٣ — ولما كانت مصر طليعة الكتلة الاسلامية التى يدور النزاع العالمى على استغلالها ، فان الاخوان يرفضون الارتباط بأية كتلة معتدية ، وهم يحاربون فقط من يعتدى على أرضهم ٠

ذلك ومن البديهى أن الاخوان الداعين الى تحكيم كتاب الله ليسوا هم الذين يشاركون فى الحكم بغير ما أنزل الله ٠ وقد أدى الاخوان واجبهم فى معركة القنال ٠ ولامة أن تعتمد على رجولتهم دائما فى ردالاذى ودفع العدوان٠

وقد يلحق بهذا المعنى الذى نحن بصدده مقال للاستاذ احسان عبد القدوس نشره فى مجلة روز اليوسف فى نفس هذه الفترة نقتطف منه الفقرات التالية :

« لا أستطيع أن أتحدث عن القوى الشعبية ، وانسى جماعة الاخوان المسلمين ٠٠ وأنا أحد المؤمنين بأن الدعوة الدينية هى دائما أقرب الدعوات الى نفوس الطبقة الشعبية ٠٠

والاخوان المسلمون اليوم ـ كما كانوا بالامس ـ هم الذين يمثلون دعوة الدين الى الجهاد ، وبفضل دعوتهم هذه شهدت ساحات فلسطين أبطالا منهم وقفوا وقفة العمالقة ، وهتفوا باسم الله ، فاذا بالبطل منهم وفى صدره عشرة أبطال ٠٠٠ ولا يستطيع ضابط ممن اشتركوا فى حملة فلسطين أو مراقب ممن راقبوا معاركها ، أن ينكر فضل متطوعى الاخوان المسلمين فيها ، أو ينكر بطولتهم وجسارتهم على الموت ، والعبء الكبير الذى تحملوه منها راضين فخورين مستشهدين فى سبيله ٠٠

أين هم اليوم فى ساحات القنال ؟ ٠٠ لنكن منصفين ٠٠ لقد عاد الاخوان من حملة فلسطين وفى ظهر كل منهم خنجر مسموم ٠٠ عادوا ليشردوا ويعتقلوا وليروا رجلهم الاول يغتال فى ظلام — فهل تتكرر عليهم المأساة لو اشتركوا فى حرب التحرير ؟ وهل من حقهم أن يسألوا انفسهم مثل هذا التساؤل ؟

وهل كفر نبى بدينه وتخلى عن دعوته لمجرد أنه خدع فى فريق من انصاره ، أو أوذى من بنى قومه ؟ ! أقولها وفى القلب أمل لا يزال قويا ٠٠ فيوم أن يتحرك الاخوان المسلمون ، ويعرفون كيف يتحركون والى أين ، فيومئذ اكتملت لمصر قواها الشعبية وضمنت لايام الجهاد الاستمرار » ٠

ولما كانت الصورتان اللتان أبرز الفريقان موقف الاخوان فيهما ونشرتهما الصحف يبدوان كأنما هما مختلفتان ٠٠ فقد أشفق بعض محبى الاخوان عليهم وكتبوا يريدون أن يسمعوا من المرشد العام القول الفصل ٠

وهنا تقدم الاستاذ سيد قطب ـ وكان حتى ذلك الوقت لا يزال فى صفوف المتعاطفين مع الاخوان ـ تقدم بطلب الكلمة الفاصلة من المرشد العام، فنشر له « المصرى » فى أول يناير ١٩٥٢ الكلمة التالية تحت عنوان « رأى الاخوان ورأى الاسلام » وهذا نصها :

« .. سرنى أن أقرأ فى « المصرى » أمس كلمة الاخ الاستاذ محمد الغزالى عن موقفه الاخوان المسلمين من الكفاح الشعبى فى هذه الايام ، بعد ذلك اللبس الذى وقع عند الكثيرين من قراءة كلمة الاخ الحاج طاهر منير رئيس شعبة الاخوان بالسويس ، والتى أشار فيها الى السلم لو جنح الانجليز الى السلم.

ان حساسية الناس شديدة فى هذه الايام . وكل اشارة الى مسالمة الانجليز ، ولو كانت مشروطة بشرط أن يكفوا هم عن العدوان بالجلاء عن البلاد ـ تقابل من الناس بالتشكك وعدم القبول ، مما يدل على عزيمة هذا الشعب أن يكافح الى النهاية ، وبلا هوادة .

ولكن هناك كلمة صريحة يجب أن تقال للاخوان المسلمين . وأحسبنى أقدر الناس على أن أقولها لهم بحكم ما بينى وبينهم من صداقة وثقة وتعاون.

انه لا الاخ الحاج طاهر منير رئيس شعبة الاخوان بالسويس ولا الاخ الاستاذ محمد الغزالى عضو مكتب الارشاد يملك أن يقول كلمة الاخوان الرسمية . فقانون الاخوان يجعل هذه الكلمة الرسمية من حق المرشد العام .

وهذه الكلمة الصريحة الواضحة التى قالها الاستاذ الغزالى كان يحسن أن تكون هى الكلمة الرسمية التى يقولها الاخوان ، فالناس فى حاجة ماسة الى كلمة صريحة واضحة رسمية من الاخوان فى هذه الايام ، لان هناك ما يدعو الى قولها .. وأصدقاء الحركة الاسلامية من أمثالى هم أحرص على سماع هذه الكلمة فيما تواجهه البلاد من أحداث .

ان دور الاسلام فى الكفاح الشعبى دور ايجابى دائما . والشعب يكافح اليوم من أجل غايتين جليلتين : التحرر المطلق من كل استعمار أجنبى . والعدالة الاجتماعية المطلقة من كل استغلال . ورأى الاسلام فى هاتين الغايتين واضح .. فما هو رأى الاخوان ؟

ومعذرة اذا سألت هذا السؤال ، فان رأى الاخوان يجب أن يكون واضحا فى مناهج وبرامج محدودة ، لا يحيل احالة غامضة الى رأى الاسلام بل ان تقول وتعلن : ما هو رأى الاسلام الذى يراه الاخوان .

ان الاسلام ليس هو الاشتراكية وليس هو الشيوعية كما أنه بكل تأكيد

ليس هو الرأسمالية • وعندما توازن هذه المذاهب بالنظرية الاسلامية تبدو محاولات صغيرة قاصرة ، وأوضاعا وقتية محدودة ، فهى لا تعالج الا الجانب المادى فى حياة الانسانية ، بينما يتبولى الاسلام علاج البشرية بكل مقوماتها الانسانية •

غير أن آراء الاسلام فى كل حقل من حقول الحياة يمكن أن تصور تصويرا مغرضا مشوها اذا تركت بغير تحديد واضح فى صورة مناهج وبرامج محددة فى كل جانب من جوانب الحياة • وبما أن دعوة الاخوان تمثل دعوة الاسلام فانه ينبغى أن يعلنوا للناس هذه المناهج المحددة وهذه البرامج الواضحة•• وليست العلاقة بيننا وبين الاستعمار الا جانبا واحدا تشمله هذه البرامج على أساس صريح •

ان أصدقاء الاخوان – قبل منافسيهم – هم الذين يطلبون هذا الايضاح •• وهذا وقته ، بعد ما استرد الاخوان نشاطهم واستأنفوا جهادهم • « ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله » •

□المرشد العام يحسم الموقف :

وهنا رأى المرشد العام أن يقول الكلمة الفاصلة ، فلفت النظر الى أمور ذات بال هى صلب الموضوع ، ولكنها غائبة عن أذهان الشعب والحكومة ، الذين ظنوا أن النصر ينتزع من الله انتزاعا مع مخالفتهم عن أمره واعراضهم عن شريعته وهو الذى يقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » ويقول : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » – وقد نشرت كلمة المرشد العام فى جريدة « المصرى » فى ٣–١–١٩٥٢ تحت عنوان : « الاخوان• الاخوان » وهذا نصها :

« كثر تساؤل الناس عن موقف الاخوان المسلمين فى الظروف الحاضرة •• كأن شباب مصر كله قد نفر الى محاربة الانجليز فى القنال ولم يتخلف الا الاخوان المسلمون •• وكأن دور اللهو والمجانة أغلقت وحرمت على اللاهين والماجنين •• وكأن الجالسين فى ظل ظليل ، وعيش رغد ، وأمن لا خوف فيه ، ومكاسب لا يدرى أحلال هى أم حرام •••• تركوا ذلك كله وأخذوا فى الجد من العمل والمر من الكفاح ••• ولم يجد هؤلاء وأولئك للاخوان عذرا واحدا يجيز لهم الاستبطاء بعض الشىء ، ولم يفطن أحد الى أنهم كانوا الى وقت غير بعيد مقيدين بقيود لا تسمح لهم بالحركة ، ولا يزال شبابهم المكافح رهن السجون •

وأيا كان غرض المتسائلين من تساؤلهم فان الاخوان لن يتكلموا الا اذا شاءوا ، ويحبون أن يؤدوا واجبهم فى صمت • وخير لهم ولـلامة أن تنطق أعمالهم وهم لا ينطقون ، ولا يريدون أن يقولوا ما قال واحد منهم ـ ليس له حـق التعبير عنهم ـ انهم قـد أدوا واجبهم فى معـركة القتال • فان هذا غلو لا جدوى له ولا خير فيه • ولا يزال بين ما فرضه الله عليهم من الكفاح وبين الواقع أمد بعيد • والامور الى أوقاتها « ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » •

قال الكاتب الجليل الاستاذ سـيد قطب : « ان دور الاســلام فى الكفاح الشعبى دور ايجابى دائما ، والشعب يكافح اليوم من أجل غايتين جليلتين: التحرر المطلق من كل استعمار أجنبى ، والعدالة الاجتماعيه من كل استغلال، ورأى الاسلام واضح •• فما رأى الاخوان » ؟

فاذا كان رأى الاسلام فى ذلك واضحا فما معنى السـؤال ؟ •• ان رأى الاخوان كذلك واضح ، فهم يطلبون أن يحكم الاسلام تحـكيما تاما فى حياة الامة كلها ، فهو دين متـكامل غير قابل للتجـزئة ، يسير بالحيـاة فى نظام عجيب ، كلما دققت فيه النظر وجدته مما لا يمكن أن ينقص منه شىء أو يزاد عليه شىء • وقد أخذ الاخوان المسلمون أنفسهم فنفذوه فيما فى طوقهم تنفيذه •• والكاتب الجليل يعلم أن أساس النظام الاجتماعى التربية والتعليم ، وهما حق للامة وواجب عليها •

وقد مضى الاخوان فى ذلك شوطا بعيدا فأصلحوا النفوس الشاردة فى الجامعة والمدارس وفى المدن والقرى وردوها الى الله ، وأدخلوا الايمان فى قلوب الضالين ، وأقاموا المستشفيات والمستوصفات لتصحيح الاجسام ، وأنشأوا المدارس • وكانت كل شعبة من شعبهم منبعثا للنور والهدايه • وا فوالشركات المختلفة لتدعيم الحياة الاقتصادية التى تسير على هدى الاسلام ، ذلك الى غيره من المنشآت التى صادرتها الحكومة ، ولم تبق منها الا على ما لم يتسع لها الوقت لافساده • وقد نهضوا على قرب عهدهم باسترجاع نشاطهم لمثل هذه الاعمال وأتموا منها الشىء الكثير •

وأما رفع مستوى المعيشة فلعل الكاتب يعلم من رأى الاخوان المسلمين فيه مالا يعلم غيره من وجوب توفر السكن واللبس والغذاء والعلاج لكل فرد فى دولة الاسلام ، ويعرف أن هذا مبسوط فى كتبهم ورسائلهم ، ويعـرف أنه مبسوط فى كتابه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » الذى يدرسه الاخوان فيما

يدرسون من كتب بدقة وعناية ، ويعلم أن ما يلزم ذلك من مال يؤخذ من الاغنياء ويرد على الفقراء ، فتضيق المسافة بين الغنى الفاحش والفقر المذل ـ فاذا كان بعض المترفين الذين يريدون أن يجعلوا بينهم وبين الاسلام سدا لا يقرأون أمثال هذه الكتب ، واذا كان من بيدهم الامر لا يهتمون بأن ينظروا فيها ـ ولو على سبيل حب الاستطلاع ـ فليس الذنب فى ذلك ذنب الاخوان ٠

أما أن الكاتب يريد منا أن نضع مناهج محدودة وبرامج واضحة ، فان هذا من التفصيل الذى نعتزمه حين تتوفر لنا أسباب النشر كما توفرت لنا أسباب القول فيه ، ولعل ذلك يكون قريبا ان شاء الله ٠ »

الفصـــل الثـــانى

مقابلة الملك للمرشد العام الجديد

نشرت الصحف فى ٢١ـ١١ـ١٩٥١ النبأ التالى :

فى الحضرة الملكية

المرشــد العام للاخوان المسلمين

قصد سعادة الاستاذ حسن اسماعيل الهضيبى بك المرشد العام للاخوان المسلمين الى قصر القبة العامر فى الساعة الســادسة من مســاء أمس ، حيث تشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك · وقد دامت المقابلة ٤٥ دقيقة · ولم يشأ سعادته أن يفضى بشىء عما تم فى هذه المقابلة ·

وفى ٢٨ـ١١ـ١٩٥١ نشرت الصحف ما يلى :

المرشد العام فى الاجتماع الاسبوعى

قال المرشد العام فى الاجتماع الاسبوعى الذى اعتاد الاخوان اقامته فى مساء الثلاثاء من كل أسبوع انه ليس من اللائق التحدث عما جرى فى مقابلته مع الملك ، ووصف ما أشارت اليه بعض الصــحف بصــدد هــذه المقابلة من اشتراطات وتعهدات بأنها مجرد تكهنات لا أصل لها من الصحة ·

* * *

تعقيبنا على هــذه المقابلة

هذا هو ما نشرته الصحف اليومية الكبرى عن هذه المقابلة ·· وكانت مقابلة الملك فى تلك الايام لشخصية غير رسمية تعتبر حدثا تاريخيا ، وتعــد مفخرة لهذه الشخصية ، تتحدث عنها جميع الاوساط ، وتعلق عليها ، وتتكهن بما سوف يعقبها ، وما يترتب عليها ، اذ هى شرف لا يدانى ، وأمل لا ينال ، وأمنية يحلم بها رؤساء الاحزاب المستوزرة ، ويقطعون عــلى أنفســهم بين يديها عهودا أن يكونوا الخدم الامناء للحضرة الملكية ولاوامرها ولمآربها ·· ومع ذلك قلما يظفرون بها ·

فاذا كانت المقابلة للمرشد العام للاخوان المســلمين ، فانها لا تعتــبر حدثا تاريخيا فحسب ، بل تعتبر انقلابا اجتماعيا وسياسيا تعجز التكهنات عن تقدير مدى نتائجه ، وما قد يترتب عليه ، لا سيما وأن هــذه المقابلة قــد حاولها من قبل غير مرة المرشد العام الاول · ولكنه حيل بينه وبينها ·· فمــا

الذى حدث وما الذى طرأ على مسرح الحياة السياسية فى مصر حتى تمت المقابلة فجأة دون مقدمات تمهد الاذهان لتوقعها ؟

وقد أوردنا كل ما كتبته الصحف اليومية الكبيرة عن هذه المقابلة من نشر نبأ حدوثها ومن تعليق المرشد العام على ما نشر فى مختلف الصحف ، وهو تعليق يزيد النبأ غموضا ، ويشجب التكهنات التى دارت فى الاوساط الصحفية الاسبوعية ، ولكنه لا يلقى أى ضوء على ما كان من شأن المقابلة وما تم فيها ·· ولذا فقد رأينا أن نعرض بتعليق على المقابلة وأن نحلل الظروف التى أحاطت بها فى السطور التالية ان شاء الله ·

وقد غلبت على الرجل طبيعته فى الكتمان التى اكتسبها منذ كان طالبا بالحقوق وعضوا فى جمعية اليد السوداء ، فظلت هذه المقابلة وما تم فيها سرا مكتوما يجهله جميع الناس بل ويجهله أكثر الاخوان المسلمين أنفسهم ·· حتى ان هذا الجهل بحقيقة ما تم فيها قد استغله بعض الحكام المغرضين فيما بعد استغلالا دنيئا للنيل من دعوة الاخوان المسلمين ومن المرشد العام ممايأتى تفصيله فى الجزء القادم من هذه المذكرات ان شاء الله ·

وأرى من حق التاريخ على ، وابراء لذمتى نحو الحقيقة التى انطمرت تحت ركام الاحداث وتوالى الايام ، أن أفضى الى شعبنا الذى طال أمد تضليله ـ بما أعرف عن هذه المقابلة وما دار فيها وما سبقها وما تلاها ·· ومعذرة حين أسرد معلوماتى اذا أنا سردتها وسط الظروف التى تم وصولها الى فيها ، وبالاسلوب وبالالفاظ التى سمعتها بها ، ون كان فى ذلك بعض الاستطراد وبعض معلومات لا تتصل بالمقابلة لكنها لا تخلو من فائدة ان شاء الله ·

كان ذلك فى مقتبل ربيع عام ١٩٥٢ ، ولم أكن فى تلك الاثناء قريبا من القاهرة حيث كنت لا أزال فى عملى الخاص فى الصعيد ، فلما انتهى موسم القطن فى الصعيد ـ وهو ينتهى مبكرا ـ ذهبت الى رشيد لاستجم بضعة أيام، فوصلنى من الاخوان بالقاهرة خطاب يطلبون الى فيه أن أكون فى دمنهور فى يوم كذا لان الاستاذ المرشد يقوم برحلة فى الوجه البحرى وسيكون فى هذا اليوم ان شاء الله فى دمنهور ، « وهو يريد أن يلقاك هناك » ·

ولم تكن الظروف قد أسعفتنى بشىء من المعلومات عن مقابلة الاستاذ المرشد للملك الا ما قرأته فى الصحف التى اعتبرت هذه المقابلة حدثا تاريخيا لم يكن متوقعا ، وعدت ذلك شرفا عظيما يضفى على الاخوان المسلمين ·

□ من أخطار الربا :

وسعدت بوجودى فى دمنهور فى ذلك اليوم ، فقد غبت عنها زمنا طويلا

منذ غادرتها منقولا عقب اغتيال الاستاذ الامام · فقابلت اخـوانا بها أعـزاء منهم الاخ الحاج عبد القادر عثمان المضيف للمرشد العام وصحبه فى منزله ، والذى استقبلنى بالعناق الحار ، وبادرنى بقوله : لقـد كنت حريصـا على لقائك لاقول لك اننى لم أخالف نصيحتك الا مرة واحدة ، وكادت هذه المخالفة الواحدة أن تؤدى الى املاك الحرث والنسل ــ فقد كنت نصحتنى باعتبارى تاجرا أن لا أتعامل مع البنوك ·· ولكن صديقا لى يعمل وكيلا لبنك التسليف الزراعى بالمحمودية أغرانى وألح على بكمية من الفول لم يكن معى ثمنها ·· وكان الذى أغرانى أن أسعار الفول كانت فى ارتفاع مستمر ·· ولكن بعد أن أصبحت هذه الكمية باسمى أخذت الاسعار فى الهبوط بل فى الانهيار فطالبنى البنك بالتغطية ــ أى بأن أدفع للبنك الفرق بين الثمن الجديد والثمن الذى اشتريت به ــ فدفعت اليه كل ما كان معى من نقـود ·· ثم هبط السـعر ــ وليس هناك مشترون كدأب الاشياء اذا كانت أسعارها فى انخفاض مستمر ــ فطالبنى البنك بتغطية أخرى ·· وهكذا حتى اضطررت الى بيع أثاث بيتى وكل شىء عندى حتى هذا المنزل عرضته للبيع ·· ولكن الله سلم ·

ويبدو أن الله تعالى قد اكتفى هذه المرة بتأديبى الى هذا الحد وقد علـم منى حسن التوبة وصدق الله العظيم « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » ·

□ حديث خاص وخطير :

لم أكن حتى تلك اللحظة قد جلست الى الاستاذ المرشد العـام حسن الهضيبى أو تحدثت معه أو استمعت اليه الا المقابلتين العـارضتين اللتين أشرت اليهما قبل أن يتم انتخابه ·· وكنت أعجب لرجـل هـذا حالى معه يطلبنى بالذات لاقابله بدمنهور · وكنت حين وصلت الى منزل المضيف قد اتخذت ــ فى غرفة فسيحة من غرفاته ــ مجلسى بين الاخوان مؤتنسين بوجود الاستاذ المرشد معنا · ولكن الاسـتاذ المرشـد نادانى وطلب الى أن أجلس بجانبه ففعلت ·· وأنا أعرف أن الرجل قليل الكلام · وكانت هذه صفة من صفاتى أنا الآخر ··· وكنت حريصـا ــ بعد أن حييته ورحبت بمقـدمه الى عاصمة محافظتنا ــ على أن لا أبدأه بكلام حتى يبدأ هو لاعرف السبب الذى دعانى من أجله لمقابلته وأنا لم أخالطه من قبل ··

وبدأ الرجـل بالكلام فـرد على مافى نفسى من سؤال فقـال : « اننى لا أهتم بالاخوان المظهريين ، ولا بذوى الالسنة ، ولا بالمتحمسين · ولعلك تعلم أننى كنت رافضا هذا المنصب لعدم ثقتى فى هؤلاء ، ولولا دموع يوسف طلعت وهؤلاء الاخوة البسطاء ما قبلت ·

وقد علمت بعد ذلك بما كان من أمر النظام الخاص وتمرده على الدعوة ·

وعلمت بما كان من محاولات لاقناعهم ، وكبح جماحهم ، وبأن هذه المحاولات لم تجد معهم ٠٠ وقد كدت أرجع الى رفضى ، لانى لا أقبل أن أكون على رأس دعوة يتسلط عليها مركز قوة من داخلها ، فان هذه المراكز هى ديناميت ينسف الدعوة فلا يبقى منها على شىء ــ ولولا أن قيل لى :أمهلنا حتى نرسل فى طلب أخ يحبه اخوان هذا النظام ويحترمونه ليكون ذلك آخر ورقة فى جعبتنا ٠٠ ثم قال : ولم تكن هذه أول مرة أسمع فيها عنك ، فقد حدثنى الاستاذ الامام عن كثير من شخصيات الدعوة ــ وقد بلغنى ما كان من حديث بينك وبين هؤلاء الاخوة وما انتهى اليه الامر من اذعانهم وانهاء تمردهم ٠٠ وقال : اننى اريد الاخوان الذين يعملون ولا يتكلمون ، والذين يعملون ويرجون وجه الله »٠.

ثم قال : اننى أحب أن أعرف رأيك فى بعض الاشخاص ٠٠٠ حتى جئنا الى شخصية هامة جدا فى الدعوة فوجدت وجهة نظره فيها متفقة مع وجهة نظرى ــ مع أنها وجهة غائبة عن أكثر الاخوان ــ والعجيب أن كلينا قد قرر أن هذه الشخصية هى فى أسمى الدرجات ايمانا وعلما واخلاصا لكنها لا تحسن تقدير المواقف ، وقد عبر الاستاذ المرشد عن ذلك المعنى بكلمة فرنسية

وقد أثبتت الاحداث الجسام بعد ذلك أن تقييمنا كان صحيحا ودقيقا ٠

لقد طال الحديث بينى وبين الاستاذ المرشد حتى خشيت أن يحرج ذلك صدور الاخوان الجالسين ، ولكن أمام أهمية الحديث رأيتنى فى حل من مواصلته معتمدا على ثقة الاخوان فى مرشدهم وحسن ظنهم بى ٠

ثم التفت الاستاذ الى وقال : هل علمت ما كان من أمر مقابلة الملك فاروق؟

قلت : لا أعلم الا ما نشرته الصحف ٠

قال : هذا ما كنت أتوقعه من رجل مثلك ليس من طبيعته أن يتحشر ويتسقط الاخبار ٠٠ ولهذا حرصت على أن أقابلك وأفضى اليك بتفاصيل هذه المقابلة ، فمثلك لا ينبغى أن يجهلها ٠

□ تفاصيل المقابلة مع الملك :

وسرد على الاستاذ المرشد تفاصيل هذه المقابلة ومقدماتها وملحقاتها ساعة بساعة ولحظة بلحظة ، لكننى بعد مضى خمسة وعشرين عاما لا أستطيع أن أدعى أننى لا زلت أعى كل هذه التفاصيل ، لا سيما وهذا أول يوم منذ ذلك التاريخ أمسك بالقلم لاسجل ما سمعته ، ولذا فانى لن أثبت هنا الا ما بقى فى الخاطر ــ وهو قليل ــ لكن الذى أثبته هو النص الذى لم يتفلت من خاطرى منه شىء ٠٠ أما ما سوى ذلك من التفاصيل مما لم يبق فى الذهن منه الا ظله

فسأضرب عنه صفحا حتى لا أخلط الحق الصريح بما هو دونه ·

قال الاستاذ المرشد في يوم كذا اتصل بى الصديق فلان (أنسيت اسمه وتاريخ اليوم) وقال لى ان كريم ثابت المستشار الصحفى لجلالة الملك يريد أن يقابلك · فلم أمانع · وحضر كريم ثابت وأخبرنى بأن جلالة الملك يريد أن يقابلنى ، فأمهلته حتى عرضت الامر على مكتب الارشاد ووافق · وحدد الميعاد ·· وقال لى الاستاذ . اننى فى اجتماع مكتب الارشاد حاولت أن أهون من شأن هذه المقابلة مهتديا بالحكمة التى تقول : متى يستقيم الظل والعود أعـــوج

وفى اليوم السابق للميعاد اتصل بى كريم ثابت وسألنى : هل لديك ردنجوت (بدلة من أثمن أنواع الصوف الانجليزى الاسود ذات سترة طويلة ولها هى وبنطلونها شكل خاص وتفصيل خاص وتكاليفها باهظة ، ولا يسمح لاحد بمقابلة الملك الا اذا كان مرتديا بها) فقلت له : ليس عندى · فقال : سأبعث اليك بواحدة ·· قال الاستاذ : فلما رجعت الى المنزل وجدت بدلتين من الردنجوت قد بعثوا بهما لاختار أنسبهما لجسمى ·

فلما كان يوم المقابلة قررت أن لا ألبس الردنجوت · وحين جاء الميعاد حضر كريم (على ما أذكر أنا) ليصحبنى الى القصر · فوجدنى ببدلتى العادية · فسألنى : ألم تصلك البدلتان الردنجوت ؟ فقلت : قـــد وصلتا ، وسلمتهما له وقلت له : اننى قررت أن لا أقابل الملك الا بملابسى العادية هذه· واذا لم يكن مسموحا به فأرجو الغاء المقابلة ، لاننى لم أطلبها حتى تشترطوا على شروطا ·· قال : فظهر الحرج على وجه كريم · ولكن يبدو أنه كان مكلفا من الملك باتمام هذه المقابلة على أى وضع وبأى ثمن ، لانه مع ما أوقعته فيه من حرج قال : ما دمت متمسكا بذلك فلا مانع ·· وهذه أول مرة يقابل فيها الملك شخصا لا يرتدى الردنجوت ·

قال الاستاذ : وكان عندى مجموعة من الاخــوان فى ذلك الوقت ، وقـد حاولوا أن يزحزحونى عن رأيى لاخراج كريم من حرجه ، لكننى أصررت على رأيى وصممت عليه متمنيا أن تلغى المقابلة ·

ولمــا وصلنا الى القصر ، وجدت فى استقبالى الموظفين الرسميين الذين يستقبلون السفراء وأمثالهم حتى دخلنا مكتب سكرتير الملك (أو كبير الامناء لا اذكر) فاذا بالملك يدخل ويلقى على السلام ويصافحنى فصافحته كما أصافح أى انسان · ثم أخذنى ويده فى يدى ودخلنا مكتبه الخاص فجلس الى مكتبه وجلست الى جانبه فى الفوتيل المجاور · ثم أخذ يرحب بى ويوجه الى الحديث ويقول لا ادرى لم يسىء الاخوان الظن بى ؟ فلم أرد عليه ·

فقال : اننى رجل مسلم وأحب الاسلام واتمنى له الخير ، وقد أمرت بانشاء مساجد كذا وكذا ٠٠ فلم يكرهنى الاخوان ؟ فلم أرد ٠ فقال : ان الاخوان قد أفهموا خطأ أننى الذى أمـرت بحلهم واعتقالهم وباغتيال الشـيخ البنا ٠٠ هذا والله العظيم خطأ ، ولم أفعل من هذا شيئا ٠٠ ان الذين فعلوا هذا هم السعديون ٠٠ النقراشى وابراهيم عبد الهادى ٠٠ وفى اللحظة التى تمكنت فيها أقلت ابراهيم عبد الهـادى وأمـرت الوزارة التى عينتها بالافـراج عن الاخـــوان ٠

وقال لى الاستاذ المرشد : لقد طال حديث الملك نحو ساعة استعرض خلالها تاريخه وما عمله من خير ، ونسب كل عمل سىء الى غيره ٠٠ وبين الفينة والفينة كان يلقى السؤال نفسه « لم يكرهنى الاخوان اذن ؟ وأنا لا أرد ٠٠٠ ثم قال لى الاستاذ : ويبدو أننى سهوت عن نفسى بعد قليل من بدء الحديث ، وتنبهت فوجدت نفسى فى وضع عجيب ٠٠ وجدتنى جالسا فى الفوتيل واضعا احدى رجلى على الاخرى ، ففكرت فى الرجوع الى الجلسة المناسبة ، ولكننى قررت أن لا أغير هذا الوضع ، فظللت فى هذا الوضع حتى نهاية المقابلة حين سالنى بعد أن أشعرنى أنه قال كل ما عنده : ما رأيك اذن يا حسن بك فيما قلته ، وفى أننى على استعـداد أن أعمل للاسـلام ؟ فرددت عليه قائلا : اننى سأعرض ذلك على الاخوان ونسأل الله التوفيق ٠

قال الاستاذ فقام الملك وصافحنى وصافحته ،ووصلنى الى باب مكتبه حيث تلقانى كبار رجال القصر حتى رجعت الى المركز العام ٠

وقال لى الاستاذ : ووالله يا فلان لقد كنت أشعر وأنا أصافح ذلك الرجل ثم وأنا أجلس معه أننى أمام طفل صغير ، لا أشعر نحوه لا برهبة ولا حتى باحترام ٠٠ وبهذه العبارات ختم الاسـتاذ حـديثه معى فى تلك الليلة أو فى ذلك اليـوم ٠

□ لقاء أحباب ذكرنا بالايام الحلوة الخالية :

كان فى صحبة الاستاذ المرشد فى هذه الرحلة عدد من اخوان القاهرة ومن غير القاهرة ، غير أننى لاحظت أن المرافق الاصيل الملازم له طول هذه الرحلة التى رصد لها نحو شهر هو الاخ الاستاذ احمد حسن الباقورى ، ذلك أننى وجدت الاستاذ المرشد كلما سئل عن شىء يتصل ببرنامج الرحلة أحال السائلين الى الاخ الشيخ أحمد ٠٠٠ ولقد أثار هذا الامر عجبى لان الشـيخ الباقورى ــ وهو من لا يشك فى اخلاصه ووفائه ــ لم يكن ــ مع ما يعلم من حب الاستاذ الامام له ــ يلزم نفسه أن يكون مرافقا له فى رحلة طويلة ، مـع أنه كان اذ ذاك خفيف الظهر قليل المسئوليات ٠٠ فما هذا الذى أراه الآن

بعينى ؟ ••• لقد لا حظت أكثر من ذلك انه على غير ما تعودت أن أراه ، اذ لم يكن يحفل بأن يأخذ نفسه بأسلوب تعبدى شاق •• لكننى أراه الآن آخذا نفسه بهذا الأسلوب ، فهو صائم النهار ، كثير التسبيح بالليل ، كأنما هو شخص آخر غير الباقورى الذى عرفته فى بواكير أيام الدعوة •

على كل ، فان عجبى لم يطل اذ تذكرت طبيعة الباقــورى •• طبيعــة الشاعر الذى تستبد به مشاعره ، فهو طيع لها توجهه حيث تشاء دون أسباب ولا مقدمات •• غير أن هذا الوضع الاخير الذى رأيته عليه من تمام الجــد فى الدعوة وقوة الاخذ بأسباب التبتل والعبادة ، أشاع فى نفسى السرور وشرح صدرى ، وحبب الى المبيت معه ، حيث دعانى الى ذلك لنقضى ليلة طالما افتقدناها بعد أن أنهينا مرحلة الطلب •

وليس غريبا ان يطول الحديث فى مثل هذه الليالى المختلسة من الزمن بين صديقين باعدت بينهما الايام أمدا طويلا ، وأن تتشعب شجونه • ولكن بيت القصيد ، وما يهم القارىء مما دار بيننا من أحاديث ، هو ما كان منها فى شأن الموضوع الذى نحن بصدده •• فقد قلت له : يا أخى أحمد •• انك تعلم أن ظروفى ونأى مكان عملى قد حرمنى أن أكون على مقربة من هذا الرجل الاستاذ حسن الهضيبى • وقد تكون أنت من أقرب الناس اليه ، ومن ألصق الاخوان به ، وأنا أحــب أن تحــدثنى عنه حــديثا صــريحا يكشــف لى عن حقيقة شخصيته •

فقال الباقورى : أنت محق فى استفسارك هذا • ومن حقك أن تعرف عن دخائله قبل أن تعرف عن ظواهره • ولقد تعرفت على هذا الرجل وجالسته وحادثته وناقشته فسرنى وأعجبنى ومــلأ نفسى فى جميــع الجــوانب التى ننشدها فى قائد للدعوة ــ غير أن شيئا بقى فى نفسى جعلنى لا أجرؤ على أن اخلطه بنفسى وأن أخلط نفسى به ، ذلك أننى كنت أحس أن الرجل من طبقة الارستقراطيين بحكم منصبه ومكانته الاجتماعية • (ينبغى أن يعلم القارىء أن كبار رجال القضاء فى ذلك الوقت ــ وكانوا قلة ــ كان الشعب ينظر اليهم باعتبارهم أعلى طبقة فى الامة ، وكانت الدولة تعاملهم بهذا الاعتبار نفسه ماديا وأدبيــا) •• حتى دعانى فى يوم الى مــنزله ، فلما جاء وقت الطعام ، رأيت الطعام يقدم كما نقدمه فى بيوتنا ، ويجلس أبناؤه معنا كأنهم اخوتنا حتى انه بعد تناول الطعام اقترح على أن أقيل ساعة ، فاذا بى أعطى وسادة ، كما أخذ كل من أبنائه وسادة ، ونمنا على أرض الحجرة ــ حجرة الجلوس ــ تماما كما كنا نفعل فى المركز العام وفى بيــوتنا وفى بيت الاســتاذ الامام ــ

فعلمت أننى كنت على خطأ فى سوء ظنى بالرجل فى هذه الناحة ٠ ومنذ ذلك اليوم وأنا أشعر أنه منـا ونحن منـه . كما كنا مـع حسن البنا رحمـه الله وكان معنا ٠

□ فى أعقاب المقابلة الملكية :

بعد لقائى هذا مع الاستاذ المرشد ، التقيت فى القاهرة بالاخ الاستاذ عبد الحكيم عابدين ، وقصصت عليه ما أنبأنى به الاستاذ المرشد عن المقابلة ٠ فأخبرنى عبد الحكيم بأن الذى حدث بعد المقابلة كان أغرب ٠ فقـد حضر الى المركز العام ـ بعد المقابلة بيوم أو نحوه ـ الاستاذ كريم ثابت باشا يحمل معه صورة فاخرة للملك فى اطار فاخر ، مهداة الى حضرة صاحب العزة الاستاذ حسن اسماعيل الهضيبى بك المرشد العام للاخوان المسلمين . وموقعة بتوقيع الملك ٠ وقدمها كريم ثابت الى الاستاذ المرشـد مقترحا عليه أن يعلقها فـوق مكتبه بالمركز العام حيث كانا جالسين معا ٠ ثم نهض الرجل وسلم وخرج ٠

ودخل الاخوان بعد ذلك فرأوا الصورة ، وبهروا لفخامتها ، ومنهم من رأى جدارتها أن تعلق ٠ ولكن الاستاذ المرشد طلب منهم ان يتركوا له اختيار مكان تعليقها ٠٠ قال الاستاذ عبد الحكيم : وانتظرنا أن نرى الصورة معلقة فى مكتب الاستاذ أو فى أية حجرة أخرى بالمركز فلم نرها ، فسـألناه فقال . اننى أخذتها فى بيتى ٠ قال الاستاذ عبد الحكيم : فذهبت الى منزل الاستاذ المرشد منتحلا سببا من الاسباب ولكن كان قصدى أن أرى أين علقت الصورة فى بيته ، فدخلت حجرة الجـلوس كالمعتاد فـلم أرها ٠ وترددت على المنزل اكثر من مرة فلم أرها ٠ فعزمت على أن أذهب الى المنزل هذه المرة ولا أغادره حتى أعرف أين وضعت هذه الصورة ٠٠ فدخلت البيت وتعمدت أن أتناول طعام الغداء فلم أرها فى حجرة الطعام ، فانتحلت أسبابا لدخـول كل غـرف البيت فلم أعثر عليها فى أية غرفة ٠ فيئست وعزمت على أن ألح على الاستاذ ليحل لى هذا اللغز ٠٠ حتى اذا حان وقت الصلاة طلبت أن أجدد وضوئى ، فدخلت دورة المياه ٠٠ وكانت المفاجأة ٠٠ فقد وجدت الصورة ملقاة على أرض الدورة مركونة على أحد جدرانها ٠٠ فذهلت ٠ ولمـا قابلت الاستاذ المرشـد حدثته فى ذلك فقال لى : « هذا هو مكانها » ٠

وقال لى الاستاذ عبد الحكيم : ولم يحفل المرشد بزيارات متكررة من أشخاص كان يعلم أنهم موفدون من قبل القصر ليروا أين وضعت الصورة ٠

الفصــــل الثالث

حريق القاهرة
أو الخطة الجهنمية لاحباط المقاومة

□ انتخابات نادى ضباط الجيش فى ٣١-١٢-١٩٥١ :

هذه نقطة قد يظنها القارىء بعيدة عما نعالج من موضـوع ، ولـكنها فى الحقيقة هى جزء منه لا يتجزأ ، اذ هى احدى معالم الطريق الذى قرر الشعب أن يسلكه ، وهى احدى ثمرات التوعية والجهاد الطويل الممتد منـذ عشـرين عاما فى غمار الشعب وفى صفوف الجيش ٠٠ وهى ارهاص بأحـداث جسـام موشكة أن تقع فى البلاد ، تغير قسمات وجهها ، وتقلب موازينها ٠

نعم ان انتخابات نادى ضباط الجيش عملية دورية كانت تجرى دون أن يحس بها أحد ، ودون أن تثير اهتماما ، لانها فى ذاتها أمر عادى كانتخابات نادى ضباط البوليس وانتخابات نوادى التجاريين والزراعيين والاطباء ومن اليهم ٠

ولو أن هذه الانتخابات حدثت قبل هذا التاريخ بعام أو بعامين أو نحو ذلك لما كانت ذات دلالة خاصة ، ولا ذات أهمية تذكر ٠٠ ولكن وقـوعها فى هذا التاريخ جعلها وكأنها صـــدى للدوى الهائـل الذى انبعث من صفـوف الشعب واستجابت له الحكومة آخر الامر ، فألهب المشاعر ، وفجر العواطف الوطنية ٠

ولقد تحفزت الجبهات المختلفة فى البلاد لهذه الانتخابات ، وأعدت كل منها العدة لخوضها ، باعتبارها احدى جولات المباراة النهائية فيما بينها ، فالملك ومن ورائه النفعيون يحشدون أنصـارهم ، ويقفـون وراء مـرشحيهم التقليديين بالمـال والنفوذ والوعود والاغراء - والاخوان ومـن يؤ.زرون فى فلكهم بضباطهم الصغار يعدون العدة لاسقاط مرشحى الملك وانجاح رجل عرف بالشجاعة والنزاهة والتدين والوطنية هو اللواء محمد نجيب الذى كان الملك يعتبره عدوه اللدود ٠

ونظرا لاهمية هذه الانتخابات وخطورة نتائجها رأينا أن نرشح بها لهذا الفصل وسنورد هنا تفصيلات دقيقة لمـا تم فى الاجتماع الـذى وضع أسسهـا وتمخضت عنه نتائجها وهو اجتماع الجمعية العمومية ٠ واليك القـرارات والتفصيلات ٠

أولا ـ ضم هذا الاجتماع نحوا من خمسمائة ضابط ومنهم الفريــق عثمان المهدى باشا رئيس أركان حرب الجيش ٠

ثانيا ـ تقرر فيه ضم نادى سلاح البحرية الى ادارة النادى حتى تمثل جميع أسلحة الجيش ٠

ثالثا ـ رفض اقتراح بضم سلاح الحدود كسلاح منفصل حيث ان هو الا فرع من فروع الجيش ـ ومما يجدر ذكره ان اللواء حسين سرى عامر قد عين ـ بعد الحكم الذى أصدرته المحكمة ببراءته ـ مديرا لسلاح الحدود محل اللواء محمد نجيب الذى نقل الى سلاح المشاة ٠ وسرى عامر كان رجل الملك ومن أقرب المقربين اليه ـ وبذلك استبعد سرى عامر من الانتخابات نهــائيــا ٠

رابعا ـ عدلت المادة السابعة من قانون النادى والتى كـانت تقضى بأن يكون رئيس النادى هو رئيس هيئة أركان الجيش ، اذ رؤى أن يكون رئيس النادى بالاقتراع ـ وينشأ منصب جديد هو رئيس شرف النــادى يتولاه القائد العام للقوات المسلحة ، باعتباره قائد جميع أسلحة الجيش لا بصفته الشخصية ، على أن يعطى الرئيس المنتخب جميع حقوق الرياسة ، وبذلك تئول اليه الاختصاصات التى كانت منوطة برئيس أركــان حرب الجيش وهى التكلم باسم النادى وتمثيله ٠

خامسا ـ رفض اقتراح بأن يعين وكلاء شرف للنادى رئيس أركــان حرب الجيش وقائد الطيران وقائد البحرية ٠

سادسا ـ العدول عن قيام كــل سلاح بانتخاب ممثليــه فى مجلس الادارة ، وتقرر أن تقوم الجمعية العمومية للنادى مجتمعة بانتخاب هـؤلاء الممثلين ٠

سابعا ـ العدول عما جاء بالمادة الثامنة من أن يدير النــادى مجلس ادارة مؤلف من رئيس لا تقل رتبته عن أميرالاى وسكرتير وأمين صندوق لا تقل خدمتهما عن ١٥ سنة وكذلك ١٩ عضوا يمثلون الضباط بتوزيــع الاسلحة ـ وتقرر الاستغناء عن شرط مدة الخدمة بالنسبة للسكرتير وأمين الصنــــدوق ٠

ثم أجرى الانتخاب فأسفر عن الاتى :

الرئيس ـ اللواء محمد نجيب ٢٧٦ صوتا (انتخب) ـ اللواء سيد محمد بك ٣٤ صوتا ـ اللواء ابراهيم زكى الارناءوطى ١٩ صوتا ـ الاميرالاى محمد نايل ١٣ صوتا ٠

الحاشية العسكرية ـ بكباشي مورى يحيى امام ٢٥٩ صوتا«انتخب»

البحرية ـ بكباشي انور عبد اللطيف ٢٩٨ صوتا (أنتخب) ـ بكباشي أحمد عبد الغنى ٢٦٧ صوتا « أنتخب » ـ أمير البحر أحمد ثروت بك ٧١ صوتا ٠

الطيران ـ قائد جناح محمد بهجت مصطفى ٢٨٤ صوتا « أنتخب » ـ قائد جناح عز الدين رمزى ٥٢ صوتا ـ قائد جناح جمال سالم ٣٧ صوتا ـ قائد أسراب عمر شكيب ٢٧ صوتا ـ قائد أسراب حسن ابراهيم ٥٠صوتا

المشاة ـ بكباشي زكريا محيى الدين ٣١٦ صوتا « أنتخب » ـ بكباشي أحمد حمدى عبيد ٢٩٦ صوتا « أنتخب ـ صاغ محمد جمال الدين ٢٨٦ صوتا « أنتخب » ـ بكباشي محمد صلاح توفيق ٥٨ صوتا ـ بكباشي أسعد رفله ١١ صوتا ـ صاغ علام خالد علام ١٦ صوتا ٠

المدفعية ـ بكباشي محمد رشاد مهنا ٣٣١ صوتا « أنتخب » ـ بكباشي ابراهيم عاطف ٢٢٠ صوتا « أنتخب » ـ بكباشي محمد فوزى ٣٧ صوتا ـ قائمقام ابراهيم فؤاد شرفه ١٦ صوتا ـ صاغ احمد كامل ٦١ صوتا ـ صاغ سراج الدين ٦ أصوات ٠

الفرسان ـ الاميرالاى حسن حشمت فاز بالتزكية

الاشارة ـ يوزباشي محمد أمين شاكر ٢٥٦ صوتا « أنتخب ـ صاغ محمد لاشين ٣٨ صوتا ـ الصاغ نوفل ٣٧ صوتا ـ

المهمات ـ قائمقام عبد الرحمن فوزى ٣٠١ صوتا أنتخب » ـ بكباشي أحمد حسنى السيد ٣٦ صوتا ٠

الصيانة ـ بكباشي عبد العزيز الجمل ٢٠٩ صوتا « أنتخب »

المهندسين ـ ابراهيم فهمى دعبس ٣٢٤ صوتا « أنتخب »

الطب ـ الاميرالاى عياد ابراهيم بالتزكية

خدمة الجيش ـ بكباشي عبد الرحمن أمين ٢٨٦ صوتا « أنتخب »

المحاربون القدماء ـ بكباشي جلال ندا ٢٤٥ صوتا « أنتخب »

هذا وقد حاول الملك فى خلال فترة الاعداد لهذه الانتخابات وفى اثناء اجرائها وبعد اتمامها محاولات شتى ، منها أن يأمر باغلاق النادى ، ومنها أن يصدر أمرا بالغاء الانتخابات ، ومنها أن يصدر أمرا بابعاد اللواء محمد نجيب من الجيش ٠٠ ولكن مستشاريه والمقربين اليه رأوا أن أدنى

الاضرار هو أن يترك كل ما تم يأخذ طريقه ، وأن يعمل هو بكل الوسائل على التقرب من الجيش ، واسترضاء ضباطه بالاتصال بهم والاغداق عليهم ·· وقد أخذ الملك بهذه النصيحة وبنصيحة أخرى · ويرى القارىء فى الصفحات القادمة ان شاء الله كيف كان ذلك ·

حـــريـــق القـــاهـــرة

بعد القاء شعاع من الضوء على معلم من معالم هذه الفترة الحرجة مما قد يشبه أن يكون فى ظاهره استطرادا نرجع الى السياق فنقول :

انطلقت المقاومة الشعبية بالرغم من بعض الاخطاء التى تخللتها ، والتى كان مبعثها بعض تصرفات من الحكومة ومن بعض فئات لم تخض المعركة لخدمة القضية الوطنية ، بل لكسب الصيت والشهرة والتقرب الى الحكومة · ولكن أمثال هذه الفئات لم تستطع المواصلة ، وســـار ركب المقاومة النظيفة فى طريقه الى اخر الطريق ؟ فأشاع الذعر فى أوساط الجيش المحتل ، وأدخل اليأس فى قلوبهم من استطاعتهم وقف زحف هــذه المقاومــة او النيل منها أو حتى تخفيف وطأتها ·

وليس أشد على العدو من مقاتلين يقاتلونه وهم يطلبون المــوت ·فهم لا يبالون بشىء ، ولا يوقف زحفهم سلاح ، ولا يحمى منهم دروع أو حصون ·· ومع ذلك فهم يؤثرون أن لا يعلم بجهودهم الا الله وحده حتى يحظوا عنده بجزاء الشهداء كاملا غير منقوص ·

ولقد كافح هؤلاء الرجال كفاحا مريرا ، وتساقط منهم كثير من الشهداء دون أن يعرف الناس أسماءهم ، راضين بما ادخر الله لهم من جنات عرضها السموات والارض ·· ولولا أن الاخوان لم يروا بدا – لكى يلهبوا مشاعر الشعب ضد المحتل – من ابراز بعض الصور المثيرة ، لما سمحوا بتشييع جنازات بعض شهدائهم على الهيئة التى شيعت بها شعبيا ونشرت عنها الصحف الوطنية – ومع ذلك فقد كان الاخوان حريصين على أن ينسبوا هؤلاء الشهداء الى جامعاتهم وكلياتهم لا الى الاخوان ·

□ **السهم الاخير**

□ **اشعال النار فى كنيسة السويس**

« فرق تسد » هى السهم الاخير دائما فى جعبة الانجليز ، وهى خطتهم المدخرة · وبالرغم من خسة هذه الخطة وحقارتها فانهم يستبيحونها ويلجأون اليها حين تتعقد أمامهم الامور ، وتنسد المسالك ويسقط فى أيديهم – وهم يحتفظون دائما بفريق من الخونة يستعملونهم فى تنفيذ هذه الخطة القذرة·

فلما يئسوا من وقف الزحف الاخوانى المكتسح لجأوا الى هـؤلاء الخونة ، فأوعزوا الى عدد منهم يتسمون بأسماء المسلمين ـ والاسلام برىء منهم ـ أن يقوموا باشعال النار فى كنيسة الاقباط فى السويس لتتجـــه الانظار الى الاخوان المسلمين ٠

وتمت الخطة بنجاح ، وكادت تفسد حملة المقاومة ، لولا أن تنبهت الحكومة والاخوان الى خطورة المؤامرة فقام المرشد العام بزيارة البطريرك، ونشرت الصحف نبأ هذه الزيارة فى مكان بارز فى ٥٢/١/١٩ تحت عنوان « البطريرك والمرشد يتعانقان ـ مسبحة من البطريرك للمرشد » وقالت :

« توجه الاستاذ حسن الهضيبى بك المرشد العام للاخوان المسلمين فى الساعة الخامسة من مساء أمس الى دار البطريركيه حيث قابل غبطـة البطريرك الاكبر الانبا يوساب ، ودام الاجتماع نصف ساعة ، وقد حضره معالى مكرم عبيد باشا ونيافة مطران الجيزة ٠

وقد أكد غبطة البطريرك للمرشد أنه لم يتهم الاخوان المسلمين ولن يفكر فى اتهامهم بشأن حادث كنيسة السويس ، لانه يعلم مبادىء الاخوان المسلمين ومحافظتهم على حرية الاديان ٠

ودار الحديث حول الوحدة الوطنية بين الاقباط والمسلمين ٠٠ ومما قيل أنه على المسلم والقبطى أن يعبدا ربهما كل حسب تعاليم دينه ،ولكنهما فى الوطنية سواء ٠ والكفاح من أجل مصر يقع على عاتق المصريين جميعا اقباطا ومسلمين ـ وقد كان هذا الاجتماع مظهرا من مظاهر الوطنية والاخاء بين العنصرين ٠

وعند خروج فضيلة المرشد أهداه غبطة البطريرك مسبحه من الكهرمان ثم أوصله الى الباب حيث تعانقا على مشهد من جمع كبير من الاقبـــاط والمسلمين ـ وودع غبطة البطريرك فضيلة المرشد متمنيا لـه كـل نجاح وتوفيق فى الدعوة للدين الاسلامى » ـ ونشرت الصحف صورتهما وهمـا يتعـــانقـــان ٠

وفشلت الخطة ٠ وطاش السهم الاخير ٠ وافتضح التدبير الاثيم ٠٠ ولم يعد أمام العدو الخاتل الا التسليم ٠٠٠ ولكنه لم يسلم ٠٠

كان شارع فؤاد الاول (شارع ٢٦ يوليو الان) فى ذلك الوقت أعظم شارع تجارى فى القاهرة ٠

وكانت اكثر المحلات التجارية فيه ملكا لاجانب من البريطانيـيــن وغيرهم من مختلف الجنسيات ٠

وفى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ـ حيث كانت المقاومة الشعبية ضد الجيش البريطانى المحتل قد بلغت ذروتها ٠ ولم يجد بريطانيا نفعا تدخل دول حليفة لها مثل الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا محاو لين وقف سيل المقاومة ـ فى صبيحة ذلك اليوم شبت النيران فى هذا الشارع على حين غرة وفجأة ودون مقدمات ٠ وكان الاشتعال من الفظاعة بحيث ان كل قـــوات الإطفاء فى القاهرة وضواحيها لم تستطع حصر النيران ولا وقف امتدادها الا فى المساء بعد أن أتت على كل شىء ٠٠ فكان حريق هذا الشارع بما فيه وفيه ثروة البلاد ـ من الحرائق التاريخية العالمية ، وسمى بحريق القاهرة

□ حول هذا الحريق :

وحريق القاهرة هذا لم يكن اول حريق ولا آخر حريق ،ولكنه مع ذلك كان أغرب حريق ، فالامر المثير فيه هو أنه لازال حتى اليوم لغز التاريخ الذى لم يعرف له حتى اليوم حل ، ولم يعثر له على تعليل قاطع ، ولم يتوصـــل الى معلومات أكيدة عن فاعله ٠

ولقد وقع هذا الحادث الجسيم فجاة ودون مقدمات ، وبطريقة تنفى تمام النفى أن يكون قضاء وقدرا ٠ فقد يشب الحريق قضاء وقدرا فى منزل من المنازل أو فى أحد المحال التجارية،وكثيرا ما يحدث هذا ٠٠٠ أما أن يشب الحريق فى أعظم شارع تجارى فى القاهرة ، وفى جميع محاله فى وقت واحد٠٠ فهذا لابد أن يكون بتدبير مسبق وبخطة محكمة ، بل لابد ان يكون المدبرون وواضعو الخطة خبراء وذوى سلطة ونفوذ ٠

فشارع فؤاد الاول بالقاهرة شارع فسيح وطويل ويضم أعظم المحال التجارية فى مصر ٠ وليست هذه المحال محال لبيع البنزين أو البترول أو الكبريت أو المواد الملتهبة ٠ كما أن هذه المحال لا تخزن فوق سطوحها حطب القطن أو قش الارز كما يحدث فى القرى حتى نقول ان هذه المواد الملتهبــة بداخل المحال والقش على سطوحها ساعدا الهواء على نقل النار من محـل الى اخـــــر ٠

اذن لابد أن يكون هذا الحريق بتدبير ٠ ولابد أن يكون هذا التدبير تدبير ذوى سلطة ونفوذ ، ولابد ان يكون للسياسة يد فى احداثه وفى توقيته وأن يكون لفاعليه هدف أو أهداف تحقق لهم مأربا ٠٠ ولكى يكون بحثنا وراء هذا الحادث بحثـا مستنبرا يجب أن نلم بشىء مـن الظروف التى أحاطت بهذا اليوم الكئيب ٠

□ **صورة الموقف السياسى قبيل الحريق :**

كان الموقف فى تلك الايام فى مصر على الوجه الاتى .

أولا ـ قبل أن يتم الافراج عن كثيرين من معتقلى الاخوان المسلمين ، وقبل أن يلتئم شمل الدعوة ، كانت الانتخابات النيابية فى مصر قد تمخضت عن فوز حزب الوفد ، وتولت الحكم وزارة وفدية برياسة مصطفى النحاس ، وكان فؤاد سراج الدين أبرز شخصية فيها ـ وقد تحدثنا عن موافقة هذه الوزارة بعد مماطلات طويلة على اعادة الصفة القانونية للاخوان المسلمين لاسيما بعد أن صدرت أحكام قضائية فى صالحهم . وهذه الحكومة تعلم أن الاخوان المسلمين ليسوا ممن يشترون أو يباعون ، ولكنها اتخذت هذا الاجراء الصحيح أخيرا تقربا الى الرأى العام الذى كان فى ذلك الوقت قد تكشفت له حقائق الامور .

ثانيا ـ وكما سايرت هذه الحكومة الرأى العام فى اعادة الصفة القانونية للاخوان المسلمين ، فانها اضطرت الى مسايرته أيضا فى أمر لا يقل خطورة عن ذلك هو الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ .

ومناداة حكومة الوفد فى تلك الحقبة من الزمن ، ومناداة غيرها من الحكومات التى وليت السلطة فى نفس الحقبة بسقوط معاهدة ١٩٣٦ لم يأت من فراغ ، ولم يكن وحيا هبط على هذه الحكومات فجأة ، وانما كان وليد ضغط بدأه الاخوان منذ عام ١٩٣٨ . وقد أنضج هذا الضغط وبعثه حيا فى نفوس المصريين انتشار الوعى الاخوانى فى أوساط الناس مع اتساع دائرة غزوهم لافكار الشعب وقلبه ـ ثم حول هذا الضغط الى نار مشتعلة فى النفوس حرب فلسطين وما تلاها من أحداث جسام جعلت هذا الشعب الغافل يستقيظ على حقائق مريرة طالما أخفيت عنه .

أقول : ان وزارة الوفد لم تقرر الغاء المعاهدة الا راغمة تحت ضغط تيار شعبى جارف لا يقوى على مواجهته حزب ولا هيئة ولا حكومة ...

ثالثا ـ الغاء حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ اقتضى مواجهة بين هذه الحكومة وبين الانجليز المعسكرين بمنطقة القناة . ولم تجد حكومة الوفد بدا من المواجهة . ولكنها حاولت أن تحصر هذه المواجهة فى أضيق نطاق ، وان تجعلها مجرد مواجهة رمزية . لكن الحركات الشعبية انتهزت هذه الفرصة وحولت المواجهة الرمزية الى مواجهة حقيقية . واستطاعت هذه الحركات توحيد صفوفها وقامت بدور كبير أقض مضاجع الانجليز .. وأخذت روح المقاومة تسرى فى أوساط الشعب ـ وكان الانجليز أول من

احس بخطورة هذه الظاهرة – ومن طبيعة الانجليز أن لا يواجهوا عدوهم اذا شعروا بمقاومة جادة منه ، ولكنهم يحاولون البحث عن وسيلة أخرى لافساد خطته قبل وقوعها ٠

رابعا – من الاوساط التى سرت فيها روح المقاومة الجيش المصرى وقد اشترك فعلا فى المقاومة أفراد من ضباط الجيش ٠ وأحس أفراد آخرون من الجيش بأن المقاومة اذا استمرت على الطريقة البطيئة التى تسير عليها فان الامر سيطول وتكثر الضحايا ، وقد تقع الحكومة تحت ضغط لا تتحمله من العدو فتتراجع وتنكص على أعقابها ٠٠ فبدأ هؤلاء الافراد سرا يخططون لانقلاب يستولون فيه على الحكم ٠

خامسا – بعد أن زالت الوحشة التقليدية التى كانت بين الملك وبين حزب الوفد ، على أثر التقارب الذى تم على يد سراج الدين ، لم يشعر الملك بغضاضة فى تهيئة الجو للوفد أن يحتل مناصب الحكم عن طريق اجراء انتخابات – ولا أعتقد أن الملك كان سيفكر فى يوم من الايام فى التخلص من الوفد بابعاده عن الحكم ، لانه فى ظل الوفاق الذى نشأ بينهما استطاع أن يحظى بتحقيق قسط من مآربه أكبر مما كان يحظى به فى ظل الحكومات الاخرى ٠

سادسا – ثم طرأ موضوع الغاء معاهدة ١٩٣٦ ٠ ويبدو ان الملك لم يكن ينظر الى هذا الموضوع نظرة جادة فى أول الامر ، كما أعتقد أن الوزارة نفسها لم تكن تتصور الامر يتعدى الاجراءات القانونية يصحبها احتكاك مع الانجليز فى صورة مظاهرة شعبية ترضى عواطف الشعب ، ثم تهدأ الامور ، ويستقر الوضع كما كان ، على أن يعتبر وجود الانجليز فى منطقة القناة غير قانونى ٠٠ ويخرج الملك والحكومة من هذا الموقف ببطولة يتباهون بها أمام الشعب ٠٠ ولكن الامور لم تسر فى الطريق الذى رسموه لها ، وانما تعدته وخرجت عليه ، وتفرعت وتشعبت ، ووجد الملك نفسه وحكومته أمام معركة ضارية لا سبيل الى السيطرة عليها ولا أمل فى انهائها

أما حكومة الوفد فانها خشيت ان تراجعت أن تفقد ما بقى لها من رصيد لدى الشعب ، ولكن الملك يعلم أن لا رصيد له لدى الشعب وأن بقاءه فى منصبه مرهون برضا الانجليز عنه ٠

سابعا – أن الملك – بعد أن استنفد جميع الوسائل للقضاء على الاخوان ، ثم فوجىء برجوعهم أقوى مما كانوا ، ورأى جميع الخيوط قد صارت فى أيديهم – حاول استرضاءهم كما بينا من قبل ٠ وكان يظن أنهم

من السذاجة بحيث يتعامون عن كل ما هو غارق فيه من المجون ويفتحـــون له أذرعتهم ـ فلما رأى عزوفهم عنه · واهمالهم لشأنه ، لم يجد له سنــدا الا الانجليز ·

من البنود السبعة السابقة قد يستطيع القارىء أن يرى ـ من خلال الظلام الحالك المحيط بهذا الحادث ـ اصبع اتهام تشير الى جهات معينة ·· وقد يكون أبرز هذه الجهات وضوحا شخصية الملك فاروق وقد تبدو من ورائها شخصية الانجليز ·

□ صورة من جانب آخر للموقف قبيل الحريق :

أنا لا أدعى أن كان لدى الاخوان أية أثارة من علم بهذا الحريق قبل أن يشب ولا حتى بعد أن شب والتهم أعظم متاجر البلاد على جانبى هـذا الشارع ·· ولكن الاخوان كانوا على علم بكل الاحداث وبكل الاستعدادات التى كانت مختلف الجهات فى البلاد تخطط لها ، والتى عرضت فى السطور السابقة صورا منها ·

كان الاخوان يعلمون بأن حكومة الوفد ستتقدم على الغاء معاهدة١٩٣٦ وهى لا تقدر عواقب هذا الالغاء · ويعلمون أن الملك فاروقا متضامن مع هذه الحكومة على أساس أنها لعبة لا خطر فيها ولكنها سترفع أسهمه لـــــدى الشعب بعد أن وصلت الى الحضيض ·

وكان الاخوان يعلمون مدى خطورة هذه الخطوة وهى الغاء المعاهـدة فان هذا الالغاء اذا لم يقترن بحركة مقاومة شعبية تؤيدها الحكومة فانه سيكون مجرد حبر على ورق ·· وأن احراج الحكومة فى اتخاذ هذه الخطوة ثم مفاجأتها بحركة مقاومة شعبية سيضعها هى والملك فى مأزق ، وسيجعل تراجعهما أمرا مستحيلا ·· ولذا فان الاخوان كانوا اول المستجيبين لحركة المقاومة التى تطوع لها شباب من مختلف الهيئات فى البلاد ·· وقد وصلت المقاومة بالقضية الى الحد الذى لا يمكن لاى طرف فيها التراجع خطوةواحدة

وكان الاخوان يعلمون أن الملك فاروقا ـ نتيجة انتشار الوعى الصحيح فى الشعب والجيش ـ يفقد كل يوم أرضا ·· وأنه حاول أخيراتلافى هذا الفقد المستمر فلجأ الى تملـــق الجيش والاخوان ·· أما الجيش فأســـــبغ عليه ترقيات وانعامات تلفت النظر ·· وأما الاخوان فالتقى بمـرشدهم الجـديد وحاول تقديم نفسه اليه على أنه جندى من جنود الاســلام ، كما حاول أن يعقد معه صداقة ·

وكان الاخوان يعلمون أن دور الاحزاب فى مصر قد انتهى ٠ وأن الملك يعلم ذلك ، ولذا فانه كان يتحسس فى الساحة لنفسه سندا آخر من الجيش ومن الاخوان ـ ويعلمون أن الملك فى آخر المطاف قد فهم أن الاعتماد على كبار ضباط الجيش ليس الا وهما سخيفا ، فأخذ يتقرب الى صغار الضباط ـ وكان ضباط الاخوان فى الجيش يعرفون زملاءهم من صغار الضباط الذين استمالهم الملك الى جانبه ، ولم تكن تكوينات الاخوان تخشى بأس هؤلاء لانهم لا يعملون بوحى من ايمانهم ٠

كان للاخوان فى الجيش تكوينات تعمل وتعد العدة. كما كانت هناك تكوينات اخرى فى الجيش على صلة بالاخوان تعمل هى الاخرى وتعد العدة ٠ وكان الاخوان يفسحون الطريق لجميع التكوينات السليمة الهدف أن تعمل ، على أن يكون الاخوان سند الجميع وموئلهم فى أثناء العمل وبعد العمل ٠

وكان الاخوان يعلمون أن الملك قد وضح له أن محاولته كسب الاخوان الى جانبه قد باءت بالفشل وأن لا أمل فى محاولات أخرى ـ كما وضح له أن تملق الجيش لم يؤت ثماره المرجوة ، بل انه قد يكون أطمع فيه الوطنيين من الضباط حيث رأوا فى هذا التملق دليلا جديدا على شعوره بالضعف فأخذ هؤلاء يعدون العدة لانقلاب ٠٠٠ وأخيرا وضح له أن لا أمل له فى سند الا أن يكون من الانجليز ٠٠ ولكن استرضاء الانجليز مع وجود المقاومة الشعبية أمر من المحال ٠ وأحس فى نفس الوقت أن حكومة الوفد لن تستجيب له اذا هو طلب اليها اجهاض المقاومة لان فى ذلك القضاء على ما بقى للوفد من شعبية ٠

بعد أن وضح للملك كل هذا ، كان عليه أن يفكر فيما يواجه به كل هذه الاوضاع ٠٠ وقد يتبادر الى ذهن القارئ أن أيسر الحلول لمقابلة هذه المعضلات هو أن يغير الملك طريقته فى الحياة ، ويقلع عن حياة اللهو والمجون ، ويستقيم على أمر الله ٠٠ ونقول : ان هذا هو أيسر الحلول وأجداها نفعا لان الشعب لم يكن يكره الملكية لذاتها ، وانما كان يكرهها للمثل السيئة التى كانت تشغل منصبها وما يقترن بحياتهم من الظلم والفسق والمجون ٠٠ ثم نقول . ان هذا الحل مع كونه حلا مجديا وهو أقصر الطرق فانه لم يكن واردا لان الملك كان قد انحدر فى حمأة المجون انحدارا جعله كالمدمن الذى لا يفيق ٠٠

فما هو الحل اذن الذى هداه تفكيره اليه ؟

لم يكن الاخوان يتصورون أن يواجه الرجل هذه الاوضاع ـ وان كانت موئسة ـ بهذه الخطة الشيطانية التى لا نعتقد أنه هو الذى وضعها

وحده ، والتى تذكرنا بما فعله نيرون بروما ٠٠ واعتقادنا أن هذه الخطة لابد أن يكون الانجليز واضعيها أو أن يكونوا على الاقل المشيرين بها ، لان مصلحتهم قد اتفقت تماما مع مصلحة فاروق ٠٠ ولان فاروقا لم يكن ليجرؤ على احراق بضائع بمئات الملايين يملكها جميعا رعايا انجليز وأوربيون الا أن تكون انجلترا قد أومأت له بالتغاضى عن هذه الخسارة فى سبيل انقاذ ما هو أهم وأعظم قيمة من مصالح الامبراطورية ٠

□ **حفل مريب فى توقيته :**

ثامنا — ومما يعزز هذا الاتهام ، تصرف عجيب فائق الغرابة ، وقف الجميع أمامه مشدوهين ذاهلين حائرين ٠٠ هل حدث هذا التصرف مصادفة أم كان ترتيبا معدا ؟ !

ذلك هو أن يقيم الملك بقصر عابدين مأدبة غداء ابتهاجا بمولد ولى العهد ، ويدعو اليها ضباط الجيش والبوليس من مختلف الرتب ، وأن يحدد لهذه المأدبة ميعادا هو يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ٠٠٠ والذين يعتقدون أنه كان ترتيبا معدا يقولون : انه كان وسيلة لاخلاء القاهرة فى ذلك اليوم من الضباط ليخلو الجو لمدبرى الحريق أن يبلغوا به أقصى مداه دون أن يعترضهم معترض ٠٠ ونثبت فيما يلى نص كلمة الملك التى ألقاها فى هذا الحفل :

« ضباطى ٠٠ فكرت اليوم فى الغاء هذه المأدبة بسبب الظروف الطارئة، ولكنى عدلت عن ذلك لما لكم فى نفسى من مكانة ، ولرغبتى فى أن أتحدث اليكم ٠ ولم أجد مناسبة للاجتماع بكم والتحدث اليكم خيرا من مناسبة مولد ابنى ولى العهد — ويهمنى أن أوجه نظركم الى اهتمامكم بموضوع تحركون جميعا أهميته وفائدته فى النظام العسكرى وهو موضوع « الضبط والربط » ٠

ومجرد قرزاءة هذه العبارات التى جاءت على لسان الملك مخاطبا الضباط تشعر القارىء بأن هذا الرجل اما أن يكون أبله لا يقدر الظروف التى أظلت البلاد فى ذلك اليوم ، واما أن يكون متواطئا ان لم يكن مدبرا لهذه الظروف ٠٠ فالعبارات من التفاهة بحيث لم تكن تستحق هذا الاعداد الضخم الذى حشد له هذا الحشد الكبير من ضباط الجيش والبوليس مالم يحشد مثله من قبل ٠

□ **من نتائج الحريق :**

(١) حول هذا الحريق بآثاره المدمرة الانظار عن منطقة قناة السويس وما كان يجرى فيها من تحرش بالجيوش الانجليزية الى قضية جديدة هى

كيف وقع هذا الحريق ومدى الكارثة التى حاقت بالبلاد بوقوعه ، وكيف تتلافى البلاد هذه الآثار ، فقد كان من هذه الآثار ما يلى :

أ ـ قبض على ثلاثمائة شخص وأحيلوا الى النيابة للتحقيق معهم ٠

ب ـ قتل ثلاثة من كبار الموظفين الانجليز ٠

جـ ـ تلقت وزارة الخارجية احتجاجات من جميع الدول لما وقع على رعاياها فى الحوادث الاخيرة ووصل عدد هذه الاحتجاجات الى عشرين احتجاجا ٠

د ـ طالبت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وسويسرا بتعويضات مادية عما لحق أفرادها ومصالحها من أضرار ٠

(٢) أتاح هذا الحريق للملك فرصة يسترد فيها أنفاسه ، ويدبر فيها أموره مع الانجليز الذين صاروا أمله الوحيد ٠

(٣) أجهض هذا الحريق حركات كانت قد أعدت عدتها كاملة للقيام بانقلاب عسكرى فى ذلك اليوم نفسه الذى شب فيه الحريق ٠ وكان الاخوان على علم بهذا الاعداد للانقلاب وكانوا متأهبين لحمايته ٠

ويبدو أن مخابرات الانجليز ومخابرات الملك كشفوا سر هذا الاعداد قبل اليوم المحدد لتنفيذه حتى انهم اختاروا نفس اليوم لاشعال الحريق ٠

(٤) اتخذ هذا الحريق مبررا لاسقاط حكومة الوفد حيث نسب اليها الضعف والاهمال ، فكيف يشب حريق يلتهم أعظم شارع فى القاهرة دون أن تستطيع بأجهزتها المتشعبة فى كل مكان أن تضع يدها على المدبرين قبل أن يقوموا على تنفيذ جريمتهم ٠ واذا فاتها ذلك وشب الحريق فلم لم تعمل بأجهزتها على حصره فى أضيق نطاق وعلى سرعة اطفائه ٠٠٠ مسالة يوجهها الى الحكومة أدرى الناس باستحالة الوقوف فى وجه السيل المنحدر٠

□ تقييم حكومة الوفد تقييما منصفا :

كان مجىء حزب الوفد الى الحكم هذه المرة ـ بعد طول غياب ـ مجىء انسان ضل الطريق فى صحراء مجدبة شاسعة ، وقد نفد زاده ، وأنهكه السير ، واستبد به العطش حتى أشرف على الموت ٠٠ وقبل أن يسلم أنفاسه الاخيرة رأى يدا تمتد اليه بكوب ماء فتعلق بها ٠٠ فلما شرب ارتدت اليه روحه ٠٠ ولكنه ظل متعلقا بهذه اليد ، متشبثا بها حتى لا يقع فريسة العطش القاتل مرة أخرى ٠

كان الوصول الى مناصب الحكم ضرورة من ضرورات الحزبية فى مصر فى ذلك الوقت ، فأنصار كل حزب يناصرونه على أمل أن يئول اليه الحكم فى يوم من الايام فيعوضهم عما بذلوه . ويغدق عليهم لقاء ما شدوا أزره وناصروه . وكان نصيب الوفد من فترات تولى الحكم أقل نصيب . وكانت الاحزاب الاخرى غير الشعبية والمعروفة بأحزاب الملك تحظى من هذه الفترات بنصيب الاسد ، لانها كانت تبيح للملك التصرف المطلق سواء فى شئون الحكم أو فى شئونه الخاصة الشخصية ، وهو مالم يكن يحظى بمثله فى فترات حكم الوفد .

ويبدو أن الوفد ـ فى خلال فترة ابعاده عن الحكم آخر مرة ـ فكر طويلا فى هذه الظاهرة التى لازمته منذ انشائه ، واستقر رأيه أخيرا على أن يصل الى الحكم هذه المرة ويتجنب أسباب ابعاده مبررا ذلك بأن وجوده فى الحكم يتيح له الفرصة لانجاز مشاريع ، واتمام خدمات تعود على الامة بالخير .

وولى الوفد الحكم ، واستبشر كثير من الناس ، وانتظروا على يديه الخير .. ومهما اختلف الناس فى تقدير انجازاته فان الخطوة الجريئة التى اتخذها فى القضية الوطنية كافية أن تعد وحدها أعظم انجاز ، وكانت جديرة أن تبوئه اعلى مكان فى قلوب الشعب لولا أن خطته الجديدة فى مجاراة الملك قد أحرجت صدور الناس ، حتى ان أقرب أنصاره اليه وأخلص المخلصين من جنوده تمردوا عليه ، وجاهروا بعصيانه ، لانهم وجدوا هذه الخطة الجديدة نشازا فى أسلوب الوفد ، وخروجا عن مساره ، وتلطيخا لتاريخه ، وتناقضا مع مبادئه .

ولو أن الملك كان ينتهج فى حياته الشخصية نهجا سليما ، لاغتفر الناس للوفد تغاضيه عما يجنح اليه الملوك عادة من تخط لحدودهم فى السلطة ومن تعد فى بعض الاحيان على سلطة الحكومة .. ولكن الذى أحرج صدور الناس أن الملك كان يسلك فى حياته الشخصية مسلكا معيبا ، حتى أن هذا المسلك كان موضع نقد لاذع بل وسخرية من الصحف الاجنبية ، وكانت المجلات التى تصدر فى أوربا وأمريكا تتحدث عن لياليه الحمراء وجولاته فى نوادى القمار .. ولقد كانت الحكومة المصرية تضطر الى ارسال المراسيم اليه ليوقعها فى هذه النوادى فى أوربا . ولا ننسى انتقال الوزير عبد الفتاح حسن اليه حيث وقع بعض هذه المراسيم وهو على مائدة القمار فى مونت كارلو

وبدلا من أن تحتج هذه الحكومة على هذه التصرفات المهينة اخذت فى حمايتها والتستر عليها ، فمنعت دخول هذه المجلات الاجنبية الى مصر . ثم سجلت على نفسها بعد ذلك عارا لا يمحى باصدارها قانونا يمنع الصحف

المصرية من نشر أخبار القصر والاسرة المالكة الا بعد عرضها على وزير الداخلية واذنه اذنا كتابيا بنشرها ·

·· ولما كانت مجالس النواب والشيوخ فى مصر أداة طيعة فى أيدى رؤساء الحكومات فقد أجيز القانون ·· ولم يعارضه علنا الا شابان من شباب الوفد جديران أن يسجل لهما التاريخ هذه المعارضة فى صفحات الشجاعة والنزاهة والوطنية ، وهما الشابان أحمد أبو الفتح والدكتور عزيز فهمى ، فقد هاجما المشروع مشروع القانون على صفحات جريدة « المصرى » بمقالات نارية ملتهبة ، وكان ذلك فى خلال يونيه سنة ١٩٥٠ ·

وفى الوقت الذى رفضت فيه هذه الحكومة طلب اعتماد مبلغ من المال لانصاف رجال الازهر كانت مئات الالوف من الجنيهات تعتمدها الحكومة لرحلات الملك الماجنة الى موائد القمار فى أوروبا ·

وكانت هذه السيرة النتنة قد أزكمت الانوف حتى ان الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الازهر فى ذلك الوقت نقلت عنه الصحف تعليقا على رفض الحكومة ما طلبه الازهر من اعتماد قوله : « تقتير فى ناحية واسراف فى ناحية أخرى » · وكان لهذا التعليق من شيخ الازهر صدى واسع النطاق فى جميع أوساط الشعب ، فقد قابلته هذه الاوساط بالرضا والاستحسان · ولكن الحكومة ــ جريا على سياستها ــ اعتبرت هذا القول تعريضا بالملك فأصدرت قرارا باحالة شيخ الازهر الى المعاش ·

وبعد عام من اصدار هذه الحكومة قانون منع نشر أخبار القصر والاسرة المالكة الا باذن كتابى من وزير الداخلية ، وفى شهر يونيه سنة ١٩٥٢ تقدمت الحكومة بمشروع قانون لتقييد حرية الصحافة ، وهو المشروع الذى تقدم به الى مجلس النواب النائب اسطفان باسيلى ··· وهنا قامت قيامة الامة على اختلاف أحزابها وطوائفها ، حتى ان جريدة « المصرى » تزعمت هذه الحملة وأقامت الدنيا وأقعدتها حتى أحبطت هذا المشروع ، والحكومة مصرة عليه ومصممة على انفاذه ، حتى ان فؤاد سراج الدين فى ٣١ــ٨ــ١٩٥١ وجه الكلام الى الصحفيين فقال : « حكومة الوفد آخر من يفكر فى تقييد حرية الصحافة ، ولكن هذه الحرية ليس معناها اشاعة الفوضى والتطاول على أسمى مقام » ·

وهكذا أرادت حكومة الوفد فى هذه المرة أن تجمع بين الضدين ، وأن تسير فى وقت واحد فى طريقين متعارضين ، وأن تجعل المسجد مسجدا وما خورا فى وقت معا ·· ومثل هذا الاسلوب لا ينتهى بصاحبه الا الى التمزق والتفتت والانهيار ·· وهو ما حدث للوفد فعلا ·

لقد وقع حريق القاهرة وأسقطت حكومة الوفد ٠٠ وقد يظن بعض الناس أنه لولا وقوع هذا الحريق ماأسقطت هذه الحكومة ، ولكننا نقرر أن الشعب كان مصمما على أسقاط هذه الحكومة ، لان حزب الوفد نفسه قد سقط من أعين الناس ، وأنهار قدره العظيم من نفوسهم ـ ولكنه ـ وقد تزعم حركة الغاء المعاهدة ـ فقد رأوا أن يصبروا عليه ويمهلوه حتى يتم المشوار ويكمل المهمة ثم يتفرغوا له بعد ذلك ويحاسبوه على ماقدم منتستر على مجون الملك وحماية لنزواته ، وتهجم فى سبيل ذلك على مقدسات الشعب وحرياته ٠

ويخيل الى أن وقوع حريق القاهرة كان من مصلحة الوفد فى كل ناحية من نواحيه ، فانه وقف بتدهوره على منحدر الدمار فى نفوس الشعب عند حد ، وترك للوفد فرصته بسقوط حكومته فى ذلك الوقت ان ينتحل لنفسه أعذارا فيما ارتكبته حكومته فى خلال هذه الفترة من أخطاء جسيمة كما أن هذا الحريق قد أدرك هذه الحكومة فى لحظة كانت مشرفة فيها ـتحت الضغوط الهائلة من كل اتجاه ـ على التراجع عن الموقف الشجاع الذى سجلته لنفسها باعلانها الغاء المعاهدة ٠

□ الى من وجه الاتهام القضائى فى الحريق ؟

كان على البوليس والنيابة أن يوجهوا الاتهام فى هذا الحريق الى أشخاص تبعث ظروفهم على الارتياب فيهم ٠ ولم يكن امامهما الا تلك الفئة من الغوغاء والمحرومين الذين ينتهزون كل فرصة تتيح لهم السلب والنهب ٠ ٠٠ وحريق يشب فى جميع المحال فى أكبر شارع تجارى فى القاهرة فى وقت واحد هو أعظم فرصة لامثال هؤلاء أن يتقاطروا على هذه المحال ليجمعوا لانفسهم وذويهم من بضائعها ما كانوا محرومين منه ٠٠٠ وهذه الفئة ـ وان كانت هى التى ظهرت على مسرح الحادث ـ فانها ليست هى التى دبرته ولايد لها فيه ٠٠٠ وقد أحالت النيابة هؤلاء ـ وهم عدد كبير ـ الى القضاء٠

أما من السياسيين فان النيابة لم توجه اتهاما الا لهيئة واحدة هى الحزب الاشتراكى الذى يتزعمه الاستاذ أحمد حسين ٠ ولم يكن ذلك لانهم ضبطوا اعضاء هذا الحزب متلبسين ، وانما بنوا ذلك الاتهام على مادأبت عليه جريدة هذا الحزب من مهاجمة للنظام الذى يحكم البلاد بأسلوب عنيف مكشوف ٠٠ وقد أختفى الاستاذ أحمد حسين بعد الحريق فترة ثم قدم نفسه بعد ذلك الى النيابة التى امرت بالقبض عليه وحبسه على ذمة تقديمه الى القضاء ٠

واحب ان اقول ، انه حتى لو كان الاستاذ أحمد حسين ورجاله قد

اشتركوا فعلا فى هذا الحريق ، فانهم يكونون قد استغلوا دون أن يحسوا ودون أن يشعروا أن أحدا قد استغلهم ٠٠ وهذا النوع من الاستغلال لايمارسه الا رءوس كبيرة ذات آفاق واسعة ، وعلم غزير ، وقدرات فائقة ٠٠ وهؤلاء ـ فى دولة كانجلترا ـ هم المخططون للمؤامرات ، والمدبرون للانقلابات ، يعرفون عن الزعماء والهيئات فى كل بلد مواطن القوة ونقاط الضعف ، والطباع المميزة ٠٠ وعليهم اصطناع الظروف المهيأة ، فيجد هذا الزعيم ، وتجد هذه الهيئة نفسها مندفعة لاتخاذ مكانها فى هذه الظروف المواتية لطباعها ، فتعمل عملها ، معتقدة أنها مندفعة اليه من تلقاء نفسها ، وهى فى الحقيقة مدفوعة بالايدى الخفية لاصحاب هذه الرءوس الكبيرة من المخططين ٠

الفصـــل الرابـــع

الشعب يفيق من الضربة القاضية ويستأنف جهاده

□ اقالة وزارة الوفد بعد توريطها فى فرض الاحكام العرفية :

خرج الجميع من حريق القاهرة مبهوتين ٠ اذ فوجئوا بما لم يكونوا يحتسبون ٠٠ ثم ثاب كل الى رشده وأخذ يعيد النظر فى حساباته من جديد، مدخلا هذا العنصر الجديد ـ وهو حريق القاهرة بظروفه وآثاره ـ فى حساباته

وفى حفل الضباط الذى أشرنا اليه ، والذى أقامه الملك لهم فى نفس يوم الحريق أصدر تصريحا قال فيه : « ان البلاد تجتاز مرحلة دقيقة ٠ وقد تمر بها مرحلة أقسى وأشد » ٠٠٠ وهذا كلام يكشف عن أن قائله يتحدث عن أمور لم يكن هو منعزلا عنها ولا مفاجأ بها ٠

ويبدو أن الترتيب الذى وضعه المدبرون كان ترتيبا محكما ٠ فهو لايقضى باقالة حكومة الوفد فحسب ، بل انه يرغمها قبل أن تقال على أن تعلن الاحكام العرفية ، مما يصمها بجريرة وعار ـ وهو هدف مقصود ـ كما أن من الاهداف المقصودة أيضا أن يصدر اعلان الاحكام العرفية من حكومة شعبية مما يجعل وقعه على نفوس الشعب أخف وطأة ٠٠ وهكذا أصدر النحاس باشا رئيس حكومة الوفد فى نفس يوم الحريق البيان التالى الذى ظهر فى الصحف صباح اليوم التالى :

« أيها المواطنون الاعزاء

لقد آلمنى بالامس ـ كما آلمكم ـ ما ارتكبه الانجليز المعتدون من وحشية باغية على أبنائنا فى القنال ، وبخاصة فى الاسماعيلية ، حيث روعوا الناس ، ودمروا المرافق ، وأراقوا دماء الابرياء ٠ وقد زادنى ألما الى ألم ، وحزنا الى حزن ، ما وقع اليوم من حوادث مزعجة دامية فى عاصمة البلاد ٠ فقد انتهزت عناصر من الخونة المارقين ، ودعاة الفتنة الهدامين ، الذين ينتهزون الفرص لمحاولة بث الذعر والاضطراب ، واشاعة الفوضى فى ربوع البلاد ٠٠ انتهز هؤلاء الخونة فرصة اعلان غضبكم واستنكاركم لعدوان الانجليز الوحشى الغاشم فى القنال ، وأخذوا يندسون فى صفوفكم ، ويرتكبون جرائم منكرة مدبرة بالاعتداء على المتاجر والمنشآت والمنازل ، واشعال النيران والتخريب والتدمير والنهب والسلب ٠٠ فأثاروا موجة من الفتنة والاضطراب

تنزل بالبلاد أفدح الاضرار ، وتهىء لاعداء البلاد فرصة للايغال فى البغى والامعان فى العدوان .

وقد اقتضى علاج تلك الحالة الشاذة الخطيرة التى تكاد تهدد كيان الوطن ، وتعرض حقوقه للخطر ، اعلان الاحكام العرفية مؤقتا فى أنحـــاء البلاد حتى تتمكن الحكومة من القضاء على تلك الفتن المدبرة ، والمؤامـرات المبيتة ، وتبادر الى اقرار الامن واشاعة الهدوء والطمأنينة فى البلاد » .

وفى اليوم التالى أصدر الملك أمرا باقالة وزارة الوفد بالصيغة الاتية :

« حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

أن أشد ما نحرص عليه ونعمل له ، هو أن تنعم بلادنا العزيزه بحـكم يحفظ سلامتها ، ويرعى الامن بين ربوعها . تسود فيه كلمة القـانـون ، ويستتب معه النظام ، وتتوافر فى ظله طمأنينة الناس على أرواحهموأموالهم ولقد أسفنا أشد الاسف لما أصيبت به العاصمة أمس من اضطرابات نتجت عنها خسائر فى الارواح والاموال ، وسارت الامور سيرا يدل على أن جهـد الوزارة التى ترأسونها قد قصر عن حفظ الامن والنظام .

لذلك رأينا اعفاءكم من منصبكم . وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما قمتم به مدة اضطلاعكم بأعبـاء منـــاصبكم .

هذا هو الخطاب الذى وجهه فاروق الى مصطفى النحاس يتضمـــن اقالته من الوزارة ، ويؤسس هذه الاقالة على تقصير الوزارة فى حفظ الامن والنظام — ويتناسى هذا الحريص على حفظ الامن والنظام أنه احتجز فى قصره ضباط الجيش والبوليس من مختلف الرتب فى يوم الحريق .

ولا يستطيع المتتبع للاحداث الا أن يعتقد أن هذه الاقالة لم تكن الا حلقة من حلقات المؤامرة التى بدأت فى السادس والعشرين من يناير ، وأن هذا الحريق انما دبر ليتخذ مبررا للقضاء على المقاومة الشعبية باتخـــاذ اجراءات — فى ظاهرها — منطقية أولها اقالة الحكومة التى كانت تؤازر هذه المقـــاومــــة .

وليس هذا منا دفاعا عن حكومة الوفـد ، وانما هـو ادانة لاجراءات الملك التى تحمل فى ظاهرها البراءة والطهر والحرص على مصالح الجمهور ، وهى فى الحقيقة ليست الا املاء من المستعمر وتنفيذا لمخططه .

ومع ذلك ، فقد تكون هذه الاقالة قد صادفت هوى فى نفس حكومة الوفد ، بل لعلها كانت أمنية تتمناها لاخراجها هى الاخرى من ورطة تورطت فيها ، ولم تكن تظن أن الاحداث ستصل الى الجسامة التى وصلت اليها ٠٠ فى حين أن الظروف قد حالت بينها وبين استطاعتها التراجع ٠

□ اسناد الوزارة الى على ماهر :

وفى اليوم التالى لصدور هذه الاقالة أصدر الملك أمرا باسناد الحكم الى على ماهر باشا ٠٠ وجاء فى صيغة هذا الامر العبارة التالية :

« ولما عهدناه فيكم من خبرة واخلاص ، وأصالة رأى ومضاء عزيمة ٠٠ رأينا أن نوجه اليكم مسند رياسة مجلس الوزراء »

وهذا الاطراء الذى ورد فى صيغة التكليف لعلى ماهر لا يعد فى الحقيقة اطراء بل هى صفات أصيلة فى هذا الرجل ، الذى أثبتت المرات التى أسند فيها الحكم اليه أنه رئيس قدير ، ذو مواهب نادرة فى الاصلاح الادارى والاجتماعى والسياسى ٠٠٠ ولكن هل كان اختيار الملك اياه خلفا لمصطفى النحاس كان لسد نقص فى هذه النواحى الاصلاحية عجز عنه مصطفى النحاس

اننا نعتقد أن اختيار الملك لعلى ماهر فى هذه المرة وفى هذه الظروف لم يكن لهذه الميزات ، وانما كان لما يعرفه الملك من أن على ماهر هو أقدر رجل على مواجهة الوفد ، وعلى النيل منه ، وعلى منازلته وكشف عوراته٠٠ ولم يجاف الملك الواقع فى اعتقاده هذا ، فان هذه حقيقة يعرفها الوفدويعرفها كل مصرى عاصر التطورات الحزبية فى مصر خلال الثلاثينيات والاربعينيات والنحاس يعتبر على ماهر أخطر أعداء الوفد على الاطلاق ٠ وقد سمعت ذلك بأذنى من النحاس فى النادى السعدى فى سنة ١٩٣٦ فى غضون فترة المظاهرات التى كنا نقوم بها ونحن طلبة فى ذلك الوقت احتجاجا على الغاء دستور سنة ١٩٢٣ ٠

□ على ماهر يخلف ظن الملك فيه :

نعم كان على ماهر رجل الملك وعدو الوفد حين كان الملك لايزال مناط رجاء الشعب وموضع آماله ، قبل أن تحيط به بطانة السوء وحاشية المجون، وحين كان الجو السياسى والاجتماعى فى البلاد خاليا الا من الجبهتين المتصارعتين القصر والاحزاب ٠٠ أما وقد تغيرت الاوضاع ، واقتحمت هذا الجو الجبهة الاسلامية ممثلة فى هيئة الاخوان المسلمين بعد أن اثبتتوجودها على أثر المعركة الرهيبة بينها وبين الجبهتين معا ٠٠ فما كان لعلى ماهر ـ وهو الرجل الخبير العاقل المحنك ـ ان يتعامى عن الوضع الجديد ، لاسيما

والملك الذى كان يقف بجانبه فى الثلاثينيات وكان الشعب يحبه ويطلق عليه لقب « الملك الصالح » ليس هو الملك الذى انحدر الى هاوية الفسق والفجور وتلطخت سمعته فى الداخل والخارج ، ولما انتهى به سوء سلوكه واساليب نفاقه الى أزمة خانقة ومأزق ألجأه الشعب اليه وحصره فيه ، نادى حليفه القديم وسنده القدير ليخرجه من المأزق ويواجه هو الشعب بدلا منه

فهل يستجيب على ماهر لهذا النداء المشبوه ؟ .. انه استجاب ولكنه استغل استجابته هذه المرة لصلحة الشعب وضد مصلحة المستعمر .

□ بيان من الاخوان المسلمين :

وفى نفس اليوم يوم السابع والعشرين من يناير أصدر الاخوان البيان التالى الذى نشرته الصحف يوم ٢٨ منه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ... روعت البلاد لما حدث بالقاهرة أول أمس من أعمال الفوضى والعنف والعبث بالممتلكات واحراقها . والاخوان المسلمون يستنكرون هذه الاساليب التى لايمكن أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف الوطن ، بل هى على التحقيق ضارة بقضيته ، وتفتح بابا خطيرا من أبواب الفتنة يصيب كثيرا من الابرياء . وكان الاجدر بمرتكبى هذه الحوادث أن يلجوا باب الجهاد الصادق الذى ولجته الامة ورأت أنه السبيل الوحيد لاكراه الانجليز على مغادرة البلاد .

ويخطىء من يتصور أن احراق حانة أو تدمير ملهى فيه قضاء على أسباب الشر والرذيلة ، مادامت القوانين القائمة يتيح قيامها وينظمه ، وقد حدث من قبل مثل هذا الاعتداء فلم تفد الامة منه شيئا ، وأعلن الاخوان أنهم لا يؤمنون بهذا الاسلوب ، وحذروا رجالهم أن يكون لاحدهم به صلة .

- وطريق الاخوان المسلمين هو الجهاد بالوسائل المشروعة لتغيير هذه القوانين . وهم لم يدخروا وسعا منذ قامت دعوتهم فى توجيه المسئولين هذه الوجهة الصالحة . وقد أعلنت ذلك فى خطاب لى بمدينة الاسكندرية منذ أسابيع .

ويخطىء من يظن أن محاربة الانجليز اقتصاديا تكون عن طريق تدمير المتاجر والمؤسسات . انما طريق ذلك المقاطعة وحدها ، وتنظيمها داخليا ، والعمل على منع الاستيراد من الاسواق الانجليزية – ومما يساعد على القضاء على الفتنة أن تنفذ الحكومة ما وعدت به من مواجهة الموقف تجاه الانجليز بما يقتضيه من اصرار وتصميم . والله يتولانا جميعا بالرعاية والهداية والتوفيق ولله أكبر ولله الحمد .

حسن الهضيبى

المرشد العام للاخوان المسلمين

ويلاحظ القارىء أن هذا البيان قد قصد الى أهداف ثلاثة :

الاول : أن الاخوان لا يرون فى أسلوب تدمير المتاجر واحراقها ـ أن كان قد وقع من مواطنين مصريين ـ وسيلة مجدية فى مجاهدة المحتلين ·

الثانى : بين الاخوان الطريق المجدى بالوسائل المشروعة لتغيير القوانين الوضعية التى تحمى الرذيلة وابدالها بالقوانين الاسلامية ـ وبمحاربة الانجليز المحتلين اقتصاديا بمقاطعة بضائعهم وعدم الاستيراد من أسواقهم ·

الثالث : حاولوا لفت نظر الحكومة الجديدة الى الطريق الذى يجب عليها أن تختطه لنفسها ، وهو مواجهة الانجليز باصرار وتصميم ·

وهكذا أسقط الملك حكومة الوفد ، وهو يرى أن الوفد قد خانه بالخطوة التى اتخذها فى اعلان الغاء المعاهدة · ويعتقد أنه أخفى عنه ان هذا الالغاء قد يكون له من العواقب ماقد يهوى بعرشه نتيجة المواجهة مع الجيش البريطانى نفسه والحكومة البريطانية ـ وقد اعتبر الملك ذلك من الوفد جريمة لا يستحق عليها الابعاد عن الحكم فحسب ، بل أن توجه اليه بعد الابعاد حملة تأديبية قاسية ·· وقد تناسى هذا الملك أن الوفد قد ضحى بالكثير من سمعته فى سبيل التستر على استهتاره ومجونه ·

وتولى على ماهر منصبه فى رياسة الوزارة التى الفها من عشرةوزراء واحتفظ لنفسه بالرياسة والخارجية والحربية والبحرية · وعكف علىوضع خطة عمل لوزارته ـ وكان الرجل لبيبا ، ممن تكفيهم الاشارة عن العبارة ، فقد فهم ماأراده الملك منه وماجاء به الى الحكم من أجله ، كما فهم ما جاء فى بيان الاخوان المسلمين ·

ولم يكتف الاخوان ببيانهم الذى أصدروه فى اليوم التالى للحريق ، بل شفعوه ببيان أخر نشر بالصحف يوم ٣٠ يناير طلبوا فيه من رئيس الحكومة سرعة الغاء الاحكام العرفية والافراج عن المعتقلين الذين سيقوا الى المعتقلات دون محاكمة أو تحقيق ، كما طالبوا بالاصلاح العام الداخلى·

□ مهـزلـة :

فى هذا اليوم نفسه ·· يوم الثلاثين من يناير ـ ووسط هذا الجو المفعم بالجد ، والمشحون بالتوقعات والمخاطر ، وبينما رجال السياسة فى حيرة من أمرهم أمام الموقف المعقد الذى تمخضت عنه الاحداث الاخيرة ، وبينما ضباط الجيش يتناجون فيما بينهم ماذا يفعلون للخروج بالبلاد من هذا المأزق ، وبينما وقف كل مصرى مبهوتا أمام ما دهى البلاد من مصائب

لم تكن تخطر على بال أحد ، مما أجهض المقاومة الوطنية التى كانتمواصلتها أملهم الوحيد فى طرد المستعمر من أرض الوطن ••• بينما كل ذلك يحدث ، ووسط هذه الهموم التى أخذت بخناق كل الاوساط والطوائف •• اذا بطائفة قد أهمتهم أنفسهم فانفصلوا شعورا واحساسا عن مواطنيهم الشرفاء ، وباتوا لا تشغلهم قضية البلاد ، ولم تؤثر فيهم الدماء التى أريقت على ضفاف القنال ، ولا الارواح التى أزهقت ، ولا الاموال التى بددت ، ولا المؤامرات التى دبرت ، ولا المصائب التى حاقت بأهليهم وببلادهم •• وكان شاغلهم الوحيد أن يحظوا وسط اشلاء الشهداء وحطام المعارك بمكان مرموق عند الملك الفاسق الماجن •

والى القارىء صورة من هذا العبث المقيت الذى جاء على لسان واحد من أفراد هذه الطائفة • ومما يؤسفه له أنه الضابط اللواء وحيد شوقى ابن أخت مصطفى النحاس – من كلمة نشرتها له الصحف فى يوم الثلاثين من يناير المشئوم تحت عنوان « على مائدة الملك » اذ يقول فى وصف هذا الملك :

« انه أكثر من ملك •• فلقد عرفنا الملوك يقتعدون أريكة الملك ، ويستثمرون أبهة الحكم •• غير هذه الدوحة العلوية النادرة التى نبتت وعلت ، وبذلت وضحت ، وأنهضت ونهضت ••• أما الفاروق العظيم فأبى الا أن يبز دوحته ، والا أن يأتى مزيدا ، وان يختط جديدا ، رشيدا سديدا ، بل فتيا شديدا •

أى ملوك العالم والتاريخ ذلك الذى فاجأ مجلس وزرائه بالزيارة ليقول لهم « جئت لاطالب بحق الفقير » انه البطل ، أى والله انه البطل ، بكل ما تحمله البطولة من آماد ومن آفاق ومن أبعاد ومن أعماق • أنه البطل فى كل معنى كريم عظيم ، وفى كل مبنى سديد سليم • انه البطل فى أكبر ما تحمل الكلمة من أوزان ، وأحلى ما ترتل من الحان ، وأجمل ما تجلو من ألوان • انه البطل تتجسم فيه البطولة وكفى »

وقد قصدت من ايراد هذا الا نموذج من النفوس أن يعلم القارىء أن بلادنا حتى وهى فى معمعان جهادها فى سبيل حريتها كانت تنوء على ظهرها بأحمال ثقال من نفاق أبنائها ، وتجر فى أقدامها أغلالا من صغر نفوس بعض كبار المسئولين من رجالها •

□ مفاجأة :

قدمت فى السطور السابقة أن الملك اسند الحكم الى على ماهر باعتباره الرجل القادر على استثمار هذا الحريق فى اتمام القضاء على روح المقاومة الشعبية ، وتاديب الوفد على احراج الملك مع الانجليز ••• ولكن على ماهر

فاجأ الجميع بموقف كريم ، خيب آمال الملك والمحتلين ، وأرضى نفـوس الوطنيين والمجاهدين ‥ ويمكن تلخيص هذا الموقف فى النقاط التالية :

١ ــ أعلن تأييده لخطة حكومة الوفد فى الغاء المعاهدة • ولم يكتف بذلك بل قام بزيارة النحاس فى بيته ورد النحاس له الزيارة • فكان هذا التصرف من على ماهر بمثابة خنجر أنفذه فى صدر الملك ‥ وامعانا منه فى تحدى ارادة الملك والانجليز الذين كانوا يطمعون فى حل البرلمان واعلان انتخابات جديدة أعلن على ماهر ابقاءه على برلمان الوفد •

٢ ــ أبدى رغبته فى الاجتماع بالمرشد العام ، وتم هذا الاجتماع فى اليوم الثالث من فبراير ، واستغرق الاجتماع أكثر من ساعة ، ثم اجتمـع المرشد العام بعد ذلك بوزير العدل •

٣ ــ نشرت الصحف بعد ذلك ما يلى : « استجابة لطلبات المرشـد العام بادر رفعة على ماهر باشا رئيس الوزراء فاستصدر من مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ٥ فبراير ١٩٥٢ قرارا بأن يعهد بأمر التدريب العسكرى للشباب من كافة نواحيه اليه بصفته وزيرا للحربية والبحرية بدلا مـن • وزير الدولة ، وله أن يتخذ جميع التدابير والاجراءات اللالازمة لـذلـك • وستقدم وزارة الحربيه والبحرية الاسلحة والادوات اللازمة لتدريب الشبان واقامة المعسكرات لهم •

٤ ــ توالت الاجتماعات بين المرشد العام ورئيس الوزراء •

٥ ــ كان الانجليز فى كل مفاوضة فى أمر الجلاء يقوم بها معهم رئيس وزارة مصرية ويشعرون أنهم أحرجوا وأفحموا وألزموا الحجة ، يلجأون الى اعتذار مخواه أنهم يريدون أن يفاوضوا رئيس حكومة مصرية مؤيدا مـن جميع المصريين ممثلين فى أحزابهم وهيئاتهم ــ وكانوا يلجأون الى هـذا الاسلوب ثقة منهم فى أنهم يطلبون محالا ، فحكومة الوفد تشغب عليهـا الاحزاب الصغيرة الاخرى ، وحكومة هذه الاحزاب لا يرضاها الوفد ــ فأراد على ماهر أن يبطل حجة الانجليز بجمع الجميع حولـه وتوحيـد كلمتهم فى تفويضه والثقة فى تمثيلهم ، وتكوين جبهة وطنية منهم أمام الانجليز •

أما الوفد فقد أعلن تأييده له حين أعلن هو أنه مواصل طريق حكومته فى التمسك بالغاء المعاهدة •

أما الاحزاب الاخرى فانه دعا رؤساءها الى الاجتماع به فلبوا جميعا وأعلنوا تأييدهم له لاعتقادهم أنه يعمل لحساب الملك •

٦ ـ وأما الاخوان المسلمون ـ والانجليز يعلمون أنهم قد صاروا الثقل الاكبر فى ميزان الوطنية المصرية ـ فقد كانت لقاءات المرشد العام بعلى ماهر دليلا على الثقة المتبادلة بين الرجلين ٠

□ فرط حرص يؤدى الى احراج :

وحرصا من رئيس الوزراء على ابراز معنى تضامن كل القوى الوطنية معه أمام العالم وأمام الانجليز وقع الاتى :

أ ـ كان هناك موعد لاجتماع المرشد العام برئيس الوزراء فى مكتبه فى ساعة محددة من يوم ٢٧ فبراير ٠

ب ـ تبين بعد ذلك أن رئيس الوزراء دعا رؤساء الاحزاب للاجتماع به بمكتبه فى نفس الموعد ٠

ج ـ ذهب المرشد العام الى مكتب رئيس الوزراء فى الموعد المحدد ٠ فلما دخل المكتب فوجىء بوجود جميع رؤساء الاحزاب ٠

د ـ ويبدو أن رئيس الوزراء ـ لشدة حرصه على ابراز المعنى الذى أشرنا اليه ـ كان قد دعا مصورى الصحف فالتقطوا صورة تضم المرشد العام مع رؤساء الاحزاب وفى وسطهم رئيس الوزراء ٠ ونشرت الصحف هذه الصورة فى صدر الصفحة الاولى بها ٠

هـ ـ توضيحا لهذا الموقف وما حدث فيه وما سببه من حرج ، أنقل للقارىء ما نشرته جريدة « المصرى » عنه فى ٢٩ فبراير ، فقد كتب تحت عنوان يملأ صفحتها الاولى « تصريحات لفضيلة المرشد العام عن حل القضية المصرية ٠٠٠٠ » ما يلى :

« علم مندوب المصرى من مصادر مطلعة أن فضيلة حسن الهضيبى بك المرشد العام للاخوان المسلمين كان قد أبدى رغبته لرفعة على ماهر باشا منذ بدأ مشاوراته لتشكيل الجبهة السياسية فى أن يبدى فضيلته آراءه لرفعته كلما شاء دون التقيد باجتماعات تضمه مع آخرين ٠ ولذلك فقد فوجىء فضيلته أمس الاول حين دعى للاجتماع برفعة على ماهر باشا فاذا بمكتب رفعته يضم الجميع دفعة واحدة ٠

وعلم المندوب أن فضيلته حين دخل على رفعة على ماهر باشا أمس الاول فى مجلس الوزراء كان يعتقد أن رفعته انتهى من مشاوراته مع بقية رؤساء الاحزاب ، وأن فضيلته سيجتمع برفعة على ماهر باشا وحده ، ولذلك فقد كان عقد الاجتماع من الجميع دفعة واحدة مفاجأة لفضيلته ٠

فلما سئل عن رأيه اثناء الاجتماع المذكور قال فضيلته « **اننى سبق أن بينته لرفعة رئيس الوزراء » فقال هيكل باشا لفضيلته : هل تسمح أن تذكر لنا ما قلته لرفعته ؟ فقال « ان رأينا صريح فى أنه لا مفاوضه ولا اتفاق مع أحد » وقد أكتفى فضيلة المرشد بذلك مفضلا عدم الدخول فى مناقشة طويلة مع هيكل باشا ·**

وقد اتصل مندوبنا بفضيلة المرشد العام وسأله عن رأى الاخوان المسلمين فى الموقف بالتحديد فأجمله فى النقط التالية :

١ – أن الاخوان المسلمين لا يقبلون المفاوضة فى مبدأ الجلاء فى ذاته وانما فى كيفية تنفيذه وتحديد مدته ·

٢ – يرى الاخوان فيما يتعلق بالسودان أن مسالة خروج الانجليز من هناك أمر واجب لابد منه · أما فيما يختص بالصلة بمصر فقد أصبح من المتفق عليه أن يستفتى السودانيون فى ذلك ·

٣ – أى اتفاق على الاشتراك فى أى نظام دفاعى أو اقليمى يجب أن لا يكون شرطا للمسالتين السابقتين أو مرتبطا بهما · وبعد تحقيق البندين الاولين فلمصر أن تعقد من المحالفات ما يتفق مع مصلحتها ومع من ترى فى الاتفاق معهم مصلحة لها ·

وسأل المندوب فضيلته عن السبب فى اختياره للادلاء الى الصحفيين بنص البيان المشترك الذى نشرته الصحف أمس عن الاجتماع برفعة على **ماهر باشا،وهل يفهم من هذا البيان أن المجتمعين قيه كونوا جبهةواحدةمعا؟**

فقال فضيلته : ان المجتمعين اتفقوا على أن تلقى هذه الكلمة على الصحفيين · وأقترح مكرم باشا بأن ألقيها · وما دام قد تم الاتفاق عليها فأى منا يلقيها · والقاؤها لا يحمل أى معنى · **ولكن ليس معنى ما حدث أننا كونا جبهة واحدة · والاخوان المسلمون مستقلون فى ابداء آرائهم ولن يكونوا جبهة مع أحد ·**

ملحوظة : كان البيان الذى ألقاه المرشد العام هو « لقد تبادلنا الرأى فى الموقف السياسى ، والجميع متفقون على تحقيق أهداف البلاد »

□ **صبغة الله :**

□ **هكذا يكون فهم دعوة الاخوان المسلمين :**

نعم ·· ضم هذا الاجتماع الرجال الذين انتهت اليهم الرياسة فى هذا البلد ، والذين تشرئب اليهم الاعناق فيه ، والذين يتمسح بهم من

يطلبون لانفسهم المكانة والشرف بين بنى قومهم .. ولكنهم على كل حال أصحاب مبادىء وضعية ، وأفكار بشرية ، وأهداف محدودة بالارض،وأغراض نابعة من هوى النفس .

فهل يستوى هؤلاء مع المنتسبين الى دعوة الحق ، والمعتصمين بأسباب السماء ، والمنطلقين بأهدافهم الى ما وراء المادة ، والمخضعين هوى نفوسهم لارادة بارىء الكون ؟

قد يلتقى هؤلاء وهؤلاء عند أمر معين أو مسألة محددة أو مشكلة طارئة ولكن ينبغى أن يفهم الناس أن هذا الالتقاء ليس التقاء الشبيه بالشبيه، ولا القرين بالقرين ، بل هو التقاء عابر ... ولذا وجب أن يكون هناك تميز يعين الناس على فهم هذه المعانى .. لابد للمعتصمين بأسباب السماء من التميز عن المخلدين الى الارض .

وابرازا لهذا التميز كان حرص المرشد العام أن يكون لقاؤه مع رئيس الوزراء على انفراد ، فيفضى اليه بما عنده ، فى الوقت الذى لا يختلط الامر على الناس فيذهب بهم الظن كل مذهب . وقد يشرد بهم الظن فيعتقدون أن الاخوان صاروا حزبا من الاحزاب .

فلما فوجىء المرشد العام بوجوده فى اجتماع ضم الجميع غضب ، وظهر الغضب فى رده على من وجهوا اليه أسئلة منهم .. ثم شرح للناس أمر هذه المفاجأة على صفحات الجرائد ، فرد الى الناس اطمئنان نفوسهم ، وأزال ماحاك فى صدروهم من حرج ، ورجع بدعوة الاخوان الى موضعها السامى فى قلوبهم « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »

وهنا نحب أن نوجه القول الى الذين تئول اليهم مناصب السلطة فينسون فى غمار بهرجها أن الايام دول ، وأن الزمان قلب ، وأن الفلك دوار لا يهدأ ، وأن عجلة الايام تجرى ولا قبل لقوة فى الارض أن توقفها .. نقول .. هكذا دارت الايام ، وارتدت الروح الى الموءودة بعد أن أهيل عليها التراب . فنفضته عن نفسها ، وخرجت من تحته بشرا سويا ، وعملاقا فتيا .. حتى أن الذين اشتركوا فى وأدها وقفوا أمامها ذاهلين .. ثم رغمت أنوفهم فالتفوا حولها متوسلين ، يخطبون ودها ،ويطلبون صفحها ،وينشدون رضاها ، وينتظرون كلمتها التى هى كلمة الحق والتى صارت القول الفصل .... فهل يتعظون ؟؟

« ذلك بأن الله هو الحق ، وانه يحيى الموتى ، وانه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور »

الباب السابع

آخر المحاولات لصد الزحف
الانهيار التام
النظام الملكى يلفظ أنفاسه الأخيرة

- الهلالى آخر محاولة يائسة لصد التيار الوطنى
- الملك يفقد توازنه ويعيش فى هلع
- المصير المحتوم

الفصـــــل الاول

الهلالى آخر محاولة يائسة لصد التيار الوطنى

لم يستطع الملك ولا الانجليز تحمل أكثر من ذلك من تصرفات على ماهر التى كانت الخطوة التالية فيها بلا شك هى استئناف المقاومة من جديد .. ولكنها ستكون مقاومة أكثر تنظيما ، وأشد تأثيرا ، وأخطر نتائج ، فبادروا باقالته بطريقة جعلت هذه الاقالة تأتى فى صورة استقالة .

ففى ٢ مارس ١٩٥٢ أى بعد خمسة وثلاثين يوما فقط فى الحكم استقال على ماهر على أثر اعتذار السفير البريطانى فجأة عن موعد مقابلة كان قد اتفق عليه — وقال على ماهر للصحفيين بعد أن قدم استقالته : اننى أشعر بعقبات فى سبيل مهمتى .

وأسند الملك الوزارة بعده الى أحمد نجيب الهلالى . وهو وفدى سابق ، كان أحد كبار أعضاء الحزب . وقد اعتزل على أثر اختيار فؤاد سراج الدين سكرتيرا عاما للوفد ، ورأى فى ذلك تخطيا له ولامثاله من قدامى الاعضـاء وذوى السابقة فيه — واعتقد الملك والانجليز أن هذا الرجل هو خير من يستعان به على تقويض بناء الوفد ، وبالتالى خير من يخلص الملك من ورطة الغـاء المعاهدة وما أدت اليه من احياء روح المقاومة فى الشعب ضد الانجليز .

وكان للاحداث التى أدت الى اجهاض المقاومة الشعبية أثر عميق فى نفوس الشعب بمختلف طبقاته وطوائفه ، فلقد تذوق الشعب لاول مرة منذعام ١٩١٩ لذة الوقوف صفا واحدا فى وجه المستعمر ، ولمس بعد وقت غير طويل من هذا الموقف أن هذا هو السبيل الصحيح لاسترداد الحقوق من الغاصبين . بل نستطيع أن نقول ان الشعب أحس بوجوده لاول مرة ... واذا أحس شعب بوجوده فقلما تجدى معه وسائل القمع أو أساليب التمييع والمداهنة فى انسائه هذا الاحساس أو أقناعه بشعور آخر .

وتصوير الموقف بعد اقالة وزارتى الوفد وعلى ماهر كان على هذه الصورة : الشعب المصرى أحس بوجوده ، وذاق حلاوة الجهاد فى سبيل حقوقه —وقوى داخلية وخارجية تحاول أن ترجع به الى الوراء .. تحاول أن تنقله من مجال الشعور الذى يسيطر عليه الى مجال شعور أخر معاكس لهذا الشعور .. قويد

أن ترجع به الى طريق جربه ثلاثين عاما فما جنى منه الا الخيبة والتفكك والخسارة والندم ، ولم يتقدم الى الامام شبرا واحدا ٠

ويبدو أن الاسلوب الذى تمخضت عنه أدمغة هذه القوى جاء هذه المرة ذا ثلاث شعب ، فهو يصوب الى أهداف ثلاثة ، وان كان الهدف الثالث يقع من تلقاء نفسه اذا ما أصيب الهدفان الاولان ٠٠ وهذه الاهداف الثلاثة هى الوفد والاخوان والغاء المعاهدة ٠٠ فاذا استطاعوا القضاء على الوفد وعلى الاخوان سقط الغاء المعاهدة فورا دون عناء ، لان هذين هما اللذان عملا على الغاء المعاهدة ، فالاول كان الجهة الرسمية التى أعلنت الالغاء ، والثانية هى الجهة الشعبية التى نقلته الى ميدان المواجهة والمقاومة وقدمت له الوقود ٠٠ فلما أجهض هذا الميدان وقفت تحرسه بكل قوتها حتى لا تجرؤ جهة رسمية أخرى مهما كان لونها على مس هذا الالغاء من قريب أو من بعيد ، وهى تحرسه حتى تحين الفرصة لاستئناف المقاومة فيه من جديد ٠

وجاءت هذه القوى بهذا الرجل ـ نجيب الهلالى ـ الى الحكم على أنقاض الوزارتين المشار اليهما وله هدفان : هدف خفى وهدف ظاهر ٠ أما الهدف الخفى فهو محاولة القضاء على حزب الوفد وعلى الهيئات المناهضة للملك والتى يمثلها الاخوان المسلمون ، والهاء الناس عن القضية الاصلية وهى اخراج الانجليز من مصر ٠ وأما الهدف الظاهر فهو اعلان مواصلة سياسة المواجهة مع الانجليز ـ وما كان لرئيس يتولى الحكم فى مصر فى ذلك الوقت أن يجرؤ على اعلان غير هذا الهدف ٠

☐ متى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ :

وقد اتخذ الهلالى لتحقيق هدفه الخفى عدة خطوات ، منها أنه بدأ بحل مجلس النواب واعدا باجراء انتخابات فى أقرب وقت ٠ ثم ماطل فى البر بوعده وأجل موعد اجرائها عدة مرات ٠

وكان تبريره للتأجيل والماطلة هو ما أعلنه من أول يوم تولى فيه الحكم من أنه انما جاء ليطهر البلاد مما تزخر به من فساد ٠٠ فهو يؤجل بدعوى أن سياسة التطهير لم تبلغ بعد مداها ـ وأنى لسياسة التطهير أن تبلغ مداها أو حتى أن يرجى لها أدنى نجاح فى بلد رأس الفساد فيه ومنبعه هو حاكمه الاعلى ، الذى يعين الحكام ويقيلهم حسب نزواته وأهوائه ، والكل يتفانى فى خدمته وارضاء نزواته ؟؟

ولعل القارىء الكريم لم ينس ما طالعه فى الصفحات القليلة الماضية من أن حكومة الوفد كانت ترسل الى الملك بالمراسيم ليوقعها وهو على موائد

القمار فى أوربا ٠٠ وهذا الملك هو الذى ننقل الان ما نشرته الصحف فى السادس من مايو ١٩٥٢ فى عهد هذه الوزارة التى جاءت لتطهير البلاد ، وقد وافق هذا اليوم يوم عيد جلوسه على العرش ٠٠ واليك نص ما نشر :

« أذاع فضيلة السيد محمد الببلاوى نقيب الاشراف وحسين الجندى باشا وزير الاوقاف الاسبق ، أنهما عثرا على مايثبت نسب الملك فاروق الى السلالة النبوية الشريفة عن طريق جده محمد شريف باشا »

ولن نتعرض فى هذه العجالة لوضع هذا الاكتشاف المثير فى ميزان التصديق والتكذيب ، ولكننا نكتفى بأن نتساءل عن الدوافع التى حملت المكتشفين على اعلان اكتشافهم فى هذا الوقت وفى خلال الظروف التى يعلمها الناس فى الداخل والخارج من سيرة هذا الرجل العفنة النتنة التى أزكمت أنوف المسلمين وغير المسلمين على السواء فى أنحاء الدنيا — هل يريد هؤلاء المكتشفون أن يقنعوا الناس فى الداخل والخارج أن هذه السيرة تمثل الطهر والنقاء والسمو والعفاف والنبل ، تلك الصفات التى هى ديدن المنتسبين الى العترة النبوية الشريفة ٠

واذا كان فاروق بما هو متلطخ به فى حمأة الرذيلة والفجور والمجون يجد من كبار رجال الدولة من يجهدون أنفسهم لينسبوه الى السلالة النبوية الطاهرة ، فما هو الفساد اذن الذى جاء الهلالى ليطهر البلد منه ؟؟

استطراد على هامش التطهير :

وضح مماسبق أن عملية التطهير التى أدعى الهلالى أنه انما جاء ليباشرها لم تكن فى حقيقتها الا تمويها وخداعا والهاء للشعب ٠ لكن مرفقا واحدا من مرافق البلاد كان اجراء التطهير فيه أمرا لابد منه ، ذلك أن هذا المرفق كان متصلا أوثق اتصال بالبلاد الاجنبية لاسيما باوروبا عامة وبانجلترا على وجه الخصوص ٠ وكان هذ المرفق هو القطن ٠٠ حيث كانت مصر تعتمد فى تجارة القطن فى ذلك الوقت على تصديره الى الخارج ، وكانت حصيلة تصديره هى قوام مالية الدولة وعصب دخلها ، حيث لم تكن مصانع الغزل المصرية اذ ذاك تستهلك عشر انتاج البلاد ٠

ولعل القارىء الكريم قد فهم عرضا مما سقته فى صفحات سابقة أن تجارة القطن فى مصر لم تكن تجارة نظيفة ٠ وتوضيحا لذلك أقول : ان المتعاملين فى تجارة القطن كانوا — كدأب غيرهم من التجار — يتوخون تحقيق أكبر ربح مستطاع من وراء تجارتهم ، مستحلين فى سبيل ذلك الطرق الحرام

ولما كانت أصناف القطن على اختلافها متشابهة تمام التشابه بحيث لايستطيع تمييز بعضها من بعض الا الخبراء المتخصصون ، فتجد صنفين من هذه الاصناف متشابهين تمام التشابه فى مظهرهما لكن سعر أحدهما ضعف سعر الآخر لتميزه فى صفاته الغزلية عن الصنف الاخر · ولهذا أنشأت الحكومة مراقبة تضم خبراء متخصصين فى هذه الناحية على أعلى مستوى من الخبرة ، ووكلت اليهم معاينة جميع الاقطان فى جميع مراحلها منذ دخولها مصانع الحليج حتى تشحن على السفن فى ميناء الاسكندرية الى الخارج · وقد سلحت هؤلاء الخبراء بقانون صارم يأخذون به من أقدم على خلط صنف بآخر ·

ولما كانت المكاسب التى تعود على تجار القطن من خلط صنف بآخر مكاسب باهظة ، ولكنهم لايستطيعون تحقيق هذه المكاسب الا بالتواطؤ مع خبراء الحكومة المتخصصين ، فانهم بسطوا أيديهم لهؤلاء الخبراء كل البسط حتى لانت لهم مقادة أكثرهم ·· وتحقق لهم بذلك مايريدون ·

وسارت الامور فى هذه التجارة على هذا النحو ، وكل عام تزداد جرأة التجار عن العام السابق · وما دام خبير الحكومة قد أجاز عملية الخلط فان هذا الخلط لايمكن اكتشافه الا حين تغذى آلات الغزل فى مصانع الغزل بهذه الاقطان · ذلك أن الصفات الغزلية لكل صنف من الاصناف تقتضى معاملة خاصة ومقاييس خاصة تضبط على أساسها أجزاء آلة الغزل · فاذا كان الصنف مخلوطا بصنف آخر اختلت آلة الغزل ولم تنتج الغزل المطلوب ذا المقاييس المحددة ·

وأخذ أصحاب مصانع الغزل فى أوروبا يبعثون بشكاواهم من أن الاقطان التى تصل اليهم من مصر يشوب بعضها الخلط الذى يسبب لهم خسائر ·· وكلما زادت نسبة الاقطان المخلوطة بمرور الاعوام زادت هذه الشكاوى ، حتى جاء عام ١٩٥١ وكانت نسبة الخلط قد بلغت حدا لايمكن تحمله ، فبعث أصحاب المغازل الاوروبية الى الحكومة المصرية انذارا بأنهم سيقررون مقاطعة القطن المصرى ·

ولما كان معنى هذا أن الدولة تعلن افلاسها فقد بدأت الحكومة تتحرك ·· ولم يكن أمامها الا أن تأخذ الامر بالحزم ·

كنت فى هذا الوقت مغضوبا على ـ كما قدمت من قبل ـ فكان مقر عملى فى الصعيد · وقد انتهى موسم القطن وذهبت الى بلدتى رشيد لاقضى فيها فترة من أجازة الصيف التى كانت تمتد الى أربعة أشهر ·· وبينما أنا فى رشيد وصلنى خطاب من الادارة التى اتبعها فى الصعيد بأننى قد تقرر انتدابى

للعمل بالاسكندرية فى الصيف ـ والعمل القطنى فى الاسكندرية كان يستمر تقريبا طوال العام ـ واغراء لى بالاستجابة الى هذا الانتداب ذكروا فى الخطاب أن هذا الانتداب ببدل سفر ٠

ولما كنت ناقما على كل الادارات التى تراسلنى فى هذا العمل لعدم ثقتى فى ذمتهم ، فقد رددت على الخطاب بأننى ارفض الانتداب مهما كان فيه من مزايا مادية ـ وبعد ايام وصلنى خطاب شخصى من زميل يكبرنى سنا ومنزلة فى العمل ، ومن القلة الطاهرة اليد التى احترمها يرجونى فيه أن أستجيب للانتداب لانه خدمة وطنية لاينبغى لمثلى أن يتخلف عنها ، وحدد لى يوما التقى به فيه فى ادارة العمل بالاسكندرية ٠

وما كان لى أن أتخلف بعد ذلك ، فسافرت الى الاسكندرية ، والتقيت بهذا الزميل الكريم فأخبرنى بأن الحكومة ـ أمام تهديد أصحاب المغازل فى أوروبا بمقاطعة القطن المصرى ـ قد قررت خطة حازمة ٠٠ وبدأت بوقف المدير العام لمراقبة القطن ومفتشى المراقبة ببعض المحافظات ، وانتدبت سامى بك الهرميل مراقبا عاما للقطن ، الذى كان أول عمل قام به أن انتدب ستة من خبراء المراقبة ، منهم أنا وانت ، لمعاينة جميع الاقطان التى تعد فى مكابس القطن بالاسكندرية للتصدير ، وضبط المخلوط منها ٠ وقال :ان سامى بك سيحضر اليوم من القاهرة لمقابلتنا نحن الستة هنا فى ادارة الاسكندرية ٠

وحضر الرجل فعلا والتقينا به ٠ وكان اربعة من الستة من الزملاء الذين طرأت عليهم فى دمنهور فى عام ١٩٤١ وكانوا سندا لى اذ ذاك حين كنت أقوم بنشر الدعوة فى مقاهى دمنهور كما قدمت فى الجزء الاول من هذا اكتاب ٠

وتكلم الرجل فشرح لنا الموقف ، ومدى الدمار الذى يحيق بالبلاد اذا قاطع الغزالون الاوروبيون القطن المصرى ٠ وقال : أجريت بحثا دقيقا فى جميع العاملين بمراقبة القطن فى القطر وانتهى بحثى اليكم انتم الستة الذين لاتحوم حولكم أثارة من شبهة ، فقررت انتدابكم لضبط الاقطان المخلوطة الواردة من الريف قبل تصديرها من الاسكندرية حتى نرد لبلادنا اعتبارها أمام الدول ٠

وباشرنا مهمتنا،وضبطنا الاقطان المخلوطة،وأجرى تحقيق كان من نتيجته فصل المدير العام للمراقبة لاتهامه بأنه كان ضالعا مع المفتش العام لمحافظة القليوبية وخبيرى المراقبة بمحلج القناطر الخيرية ، الذى ثبت انه كان مباءة لعمليات خلط رهيبة ـ ولكن لما كانت الادلة القانونية غير كافية لاثبات التهمة على المفتش والخبيرين فقد اكتفى بابعادهم عن هذه المحافظة ٠ ٠ وكان لهذه الاجراءات الحازمة صدى فى أوساط الغزالين بالخارج فعدلوا عن خطة المقاطعة

وانتهت فترة انتدابنا نحن الستة · ورجع كل منا الى مقر عمله ، كما رجع سامى بك الهرميل الى عمله الاصلى وهو رئيس حسابات الخاصة الملكية — وبهذه المناسبة أقول : لعل اهتمام الملك بهذا الموضوع هذا الاهتمام الذى جعله ينتدب رئيس حسابات خاصته لمباشرته ، أنه أى الملك كان فى ذلك الوقت أكبر منتج للقطن فى مصر · واذا قاطع الغزالون القطن المصرى فسيبور قطنه وتحيق به أكبر خسارة فضلا عن الخسارة العامة للبلاد ·

وفيما أنا أتهيأ للسفر الى مقر عملى بالوجه القبلى حيث أصبح موسم القطن على الابواب ، اذا ببعض زملائى يزجون الى التهنئة بأننى سأنقل الى محلج القناطر الخيرية أى الى القاهرة — واذ كنت ناقما كما قدمت على الزمرة المشرفة على هذه المراقبة فقد أبديت لهم رفضى البات لهذا النقل ، وكلفتهم بنقل هذا الرفض الى المسئولين ·· ولما استفسر هؤلاء المسئولين عن سبب رفضى قلت لهم : انكم نفيتمونى الى الوجه القبلى ست سنوات كاملة ، ولم أجد أحدا منكم قال كلمة انصاف فى حقى طيلة هذه المدة ·· وتأتـــون الآن لتطلبونى للعمل فى أقذر محلج فى القطر كله ·

فاذا تكون ملمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وأصررت على الرفض · ولم أكن أعلم أن المفتش العام الجديد لمراقبة القطن بمحافظة القليوبية هو أحد أصدقائى الحميمين الطاهرين الـــذيـن تعلمت فن القطن على أيديهم ·· وجاءنى هذا الصديق وبسط أمامى ظــروف الموضوع ، وتتلخص فى أن الحكومة قررت تطهير المراقبة فأسندت اليه منصب الاشراف على هذه المحافظة فاشترط لقبوله هذا المنصب أن يسند الى الاشراف على هذا المحلج الذى كان سببا فى فصل المدير العام للمراقبة ·· وبالرغم من حبى لهذا الصديق وتقديرى له فقد أصررت على الرفض متأثرا بما لقيته من اضطهاد على يد المسئولين السابقين ·

وبعد ذلك بأيام طلبت لمقابلة المرشد العام الـذى بادرنى بقولـه : أن صديقك وزميلك فلان — وهو الذى نقل مشرفا على محافظة القليوبية فى القطن — حضر هنا وقابلنى وشرح لى ظروف نقله ونقلك ، وأخبرنى بأنك مصـــر على الرفض · وأنا أعرف وجهة نظرك وأقدرها حق قدرها ، ولكننى أرى أننا باعتبارنا أصحاب دعوة لاصلاح المجتمع لا ينبغى لنا أن نتخلف عن العمل فى أحرج المواطن ، ولتنس الماضى ولنعمل على تطهير هذه البؤرة من الفساد — فلما سمعت ذلك من الاستاذ المرشد زال ما كان فى نفسى وانشرح صـــدرى واستجبت لما كنت رافضه ·

□ فى بــــؤرة الفســـاد :

حين ذهبت لتسلم العمل فى هذا المكان الجديد لاحظت أن كل من حولى متنكر لى ، وضائق بى ، ويتمنى أن لو نزلت على صاعقة فاراحتهم منى ٠٠ وكادت تضيق نفسى لولا أن تذكرت أن وجودى فى هذا المكان انما هو من أجل الدعوة التى آمنت بها وعاهدت على العمل لها ٠

ووردت الى المحلج أقطان بأسماء تجار من عملائه فعاينتها وصـادرت أكثرها ٠٠ وبدأت ادارة المحلج ــ وكانوا أجانب ــ تحتك بى على أســاس أنهم لم يتعودوا أن يروا من يقف فى وجه مصلحتهم من قبل ٠ وأبرقوا الى الجهات الحكومية العليا يتهموننى بتعطيل أعمالهم ويطلبون التحقيق معى ، فلم تأبه هذه الجهات بهم ٠٠ ووقعت احتكاكات من مختلف التجار بى ، حتى وصل الامر بأحدهم أن هددنى بالقتل اذا لم أعدل عن خطتى ٠ فكان ردى على ذلك أن الاجل بيد الله وحده ، واذا أراد الله لى ذلك فانها هى الشهادة التى أتمناها ٠٠ وظل الحال على ذلك حتى ركن الجميع الى اليأس من ناحيتى ٠

وقد دفعهم هذا اليأس الى مراجعة عقولهم وتدبر أمورهم والثوب الى رشدهم ، فجاءونى وقالوا : يافلان ٠٠ اننا جئنا نعتذر اليك مما فرط منــا نحوك ، وعذرنا فى ذلك أننا فوجئنا بأسلوب لم نعهده من قبل ٠٠ ولكننا لما راجعنا أنفسنا وجدنا أننا قد تسرعنا وأننا مخطئون ، وأن الخطة التىتعاملنا بها هى أصلح لنا من الخطة التى كنا نعامل بها من قبل ٠٠ ان التاجر مناحين يرسل الى المحلج رسالة من القطن يعرف عدد الاكياس السليمة منها وعــدد الاكياس المخلوطة فيها ، ويبعث الينا المحلج بنتيجة فرز الرسالة فنجد أنـك صادرت نفس العدد من الاكياس الذى نعرف أنه مخلوط ، وأجزت الاكيـاس الاخرى ٠٠ وفى هذه الحالة لم نخسر شيئا لان الاكياس التى صادرتها قــد اشتريناها بثمن بخس باعتبارها مخلوطة ، وستحلج على أنها مخلوطـة ، وتباع على أنها كذلك ، وستحقق من بيعها على هذا الاساس بعض الربح ــ والاكياس السليمة التى أجزتها ستحقق من بيعها ربحا كبيرا ٠

أما الخطة التى تعودنا عليها من قبل ، فان كل رسالة ندخلها المحلجكانت تصادر كلها سواء المخلوط منها والسليم ما لم ندفع لخبير الحكومة جنيها عن كل كيس منها ، ولا يمكن أن نجد فى السوق أقطانا مخلوطة تكفى لجعل كــل الرسائل التى ندخها المحلج مخلوطة ــ وكان يتحتم على الواحد منا أن يحضر بنفسه مع كل رسالة ليقدم هذه الرشوة حتى لاتصادر الرسالة كلها ٠٠٠ أما الان فنحن نرسل الرسالة ولا نكلف أنفسنا مشقة الحضور معها ، ونستغلوقتنا

فى اعمالنا الاخرى ، ولا ندفع شيئا ، ولا يصادر منا الا ما يستحق أن يصادر ٠ ٠٠ وتم الصلح بينى وبين التجار وبين ادارة المطبخ على أن يبدأوا من جديد حياة طاهرة نقيـــة ٠

ما أحوجنا فى التطهير الى القدوة :

وبعد أن سارت الامور على النحو الجديد ، وانقطع المد الغامر الذى كان الجميع من تجار وموظفين وعمال ينعمون فيه ٠٠ سألت العاملين الحكوميين اللذين يعملان معى وكانا يعملان من قبل مع السابقين سألتهما بعد أشهر عن شعورهما ، وهل يشعران بالضيق والحرمان ويبكيان على الايام الخالية ، ويتمنيان لو ترجع تلك الايام ؟ فكان ردهما عجيبا ٠٠ قالا : اننا حرمنا فعلا من متع كثيرة ، ولكننا مع ذلك نشعر بسعادة ما كنا نشعر بها من قبل ، فلم نكن من قبل يخطر على بالنا أن هناك الها مطلعا علينا وسيحاسبنا على هذا الكسب الحرام ٠٠ أما الآن ، وبعد أن دللتنا على اللـه ، فاننا نجد فى الاقيمات الجافة التى نفتات بها مع أولادنا لذة ما كنا نجد مثلها فى الاطعام الفاخر الشهى ٠٠ وننظر الى الايام الماضية نظرة الضال بعد أن اهتدى ، ونضرع الى اللـه أن يغفر لنا هذا الماضى ٠٠

وهكذا استقام العاملان كما استقام كل العاملين فى هذا المحذج من تجار وموظفين،وقد حبب الله اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وصاروا من الراشدين ــ وتوطدت العـلائق بين هؤلاء النـاس وبينى حتى ان كثيرين منهم ــ بعد أن طوحت بى الايام بعيدا عنهم ــ كانوا يزورونني ، وأحسوا بفضل دعوة الاخوان المسلمين على وعيهم وعلى المجتمع

ولقد سقت هذه القصة ــمغفلا الكثير من تفاصيلها وعجائبها ــ لابين أن الاصـــلاح لايتحقق الاعلى يد أفـراد من الشعب صالحين ــ لان فاقد الشيء لايعطيه ٠٠ أما أن يشرد الصالحون كل مشرد ، ويعهد بالمناصب الحساسة الى الفاسدين ، ثم تدعى الحكومة مع ذلك أنها بسبيل اصلاح البلاد وتطهيرهـا ٠٠ فلا نقول ان هذا أسلوب خاطىء ووسيلة غير مجدية فحسب بل نقول انه تضليل واحتيال وخداع ٠

الفصل الثاني

الملك يفقد توازنه ويعيش في هلع

كان الاخوان يعرفون حالة الهلع التي يعيشها هذا الرجل مطاردا باشباح ما أرتكب في حق الشعب من آثام ، وما ينتظره على أيدى المظلومين من عقاب ومع أنه كان يتمتع ـ بحكم منصبه ـ بحماية جميع أجهزة السلطة في الدولة ، فانه لم ير في هذه الاجهزة كلها مايكفي لتهدئة روعه وتأمين خوفه ٠ ٠ ٠ ٠ فأنشأ جهازا سريا خاصا سماه « فرقة الحرس الحديدى » أنشأها له الدكتور يوسف رشاد زوج السيدة ناهد رشاد وصيفة الملكة ٠ ومهمة هذه الفرقة هي حمايته ٠ ٠ وكانت هذه الفرقة مكونة من مجموعة من صغار الضباط ، بعضهم من الجيش وبعضهم الآخر من الشرطة ، ومعهم عدد من المدنيين الافاقين ٠

وقد قامت هذه الفرقة باغتيال الملازم أول عبد القادر طه بحي الروضة بالقاهرة يوم ٢٤ مارس ١٩٥٢ ـ وشاء القدر أن لا يسلم عبد القادر طه الروح الا بعد أن أدلى الى المحققين بالطريقة التي تمت بها الجريمة ٠

وقد انهم ـ رحمه الله ـ اللواء حسن سرى عامر (وهو أحد كبار ضباط الجيش، وكان من أقرب المقربين الى الملك ، وكان معروفا أنه رجله في الجيش وصنيعته وقد نوهنا عنه في حديثنا عن انتخابات نادى ضبـــاط الجيش ٠ وسيأتي ان شاء الله ذكره فيما بعد) وقال ان صديقا لسرى عامر اسمــه على محمد حسنين ألح عليه مرافقته بحجة زيارة مقر جماعة الاخوان المسلميـــن بالروضة ٠ وماكادا يصلان الى نقطة التقاء شارعى الاخشيد بالملك اظفر حتى سلطت احدى السيارات عليهما ضوء مصباحها ووقفت فجاه وأطلقت عليــه النار ٠٠ وتبين بعد ذلك أن على محمد حسنين كان أحد أفراد الحرس الحديدى

وقد لمح القارىء من خلال هذه الواقعة أن الموقف في مصر في تلك الحقبة من الزمن قد تمخض عن انقسام البلاد الى جبهتين : جبهة الملك وأعوانـــه والمتوهمين انه لا يزال القوة الغالبة التي يرجى الانتفاع الشخصى من ورائها وتتضمن هذه الجبهة اكثر السياسيين التقليديين وعددا من العسكريين المأجورين أما الجبهة الاخرى فهي « الاخوان المسلمون » وهي الجبهة التي تضم الاكثرية الساحقة من الشعب لافي القاهرة وحدها بل في جميع انحاء البلاد، ويدعمها تنظيم واع مستتر في صفوف الجيش ٠

ولما كان عبد القادر طه ـ رحمه الله ـ من الضباط الواعين المستنيرين فقد رأى عميل الملك المكلف باستدراجه أن استدراجه لايكون الا بعرض مكان يرافقه اليه بحيث يكون هذا المكان مقبولا لديه ، فعرض عليه أن يرافقه الى دار شعبة الاخوان المسلمن في حي الروضة •

وقد رأيت أن أثبت هنا واقعة اغتيال عبد القادر طه ، لانها كانت احدى معالم فترة الانهيار التي أفردنا لها هذا الباب ، اذ كانت أشبه باعلان حرب من جانب بلغ به اليأس كل مبلغ • وقد حفز اعلان الحرب هذا الجانب الآخر الى التعجيل بالضربة القاضية • وقد فهم هذا الجانب الآخر أن حالة الرعب التي يعيشها الملك صورت له أو لعله نمى الى علمه عن طريق أجهزته أن هناك مؤامرة لقتله يشترك فيها عبد القادر طه والدكتور عزيز فهمى ، فأمر جـلالته بوضع خطة لاغتيالهما ، فاغتيل الاول بالطريقة التي ذكرناها ، ودبر للاخر أن تصدم سيارته سيارة أخرى أدت الى موته •

وبمناسبة ماذكرنا من أن هناك فريقا كبيرا من المشتغلين بالسياسة كانوا يتوهمون أن الملك لازال الفرس التي يراهن عليها نقول :

ان النيابة وجهت الاتهام الى الاستاذ أحمد حسين رئيس الجــزب الاشتراكي وبعض أعضاء حزبه بالتحريض على ارتكاب حوادث ٢٦ ينــاير بدافع العداء للنظام السياسي والاجتماعي وذلك في يوم ١٣ / ٥ / ١٩٥٢ ، على أن تنظر القضية أمام محكمة الجنايات برياسة المستشار حسين طنطاوى بك يوم ١٨ مايو وطالبت النيابة بتطبيق عقوبة الاعدام •

ولما كان الاستاذ أحمد حسين متهما من قبل بالعيب في الذات الملكية ، فقد تخلى المحامون عن الدفاع عنه جبنا ونفاقا ، فقد انتدبت المحكمة الاستاذ على عبد العظيم للدفاع فاعتذر ، ثم انتدبت الاستاذ الظاهر حسن أحمدفاعتذر أيضا ـ وهنا تقدم للدفاع عنه الاستاذ شمس الدين الشناوى وهو من الاخوان والاستاذ عبد المجيد نافع وهو صديق للاخوان •

والطريف الذى لا يخلو من دلالة أن الاستاذ سليمان زخارى رئيس تحرير مجلة الاشتراكية وضع دفاعه عن نفسه بأن الاستاذ أحمد حسين كان مسيطرا على المجلة وعلى كل شيء في الحزب ، وقد اضطر هو للنشر خوفا من فصله ـ فرد الاستاذ أحمد حسين بأنه كان في يوم ٢٦ يناير طريح الفراش في بيته ، واستشهد بعدة أشخاص منهم على ماهر ومصطفى أمين ، وقد أيدوه في ذلك • فقال الاستاذ احمد حسين ان زخارى اذن كان حرا في قبول النشر أو عدمه •

استغلال الاخوان الوقت

للاعـــداد لعمـــل خطيـــر

قلنا ان الهلالى حاول التقرب الى الاخوان فأعلن أنه يرى اعادةالتحقيق فى قضية مقتل الامام الشهيد وغيرها من القضايا ، ودأب على استطـلاع رأى الاخوان والاجتماع بالمرشد العام الذى ظل على اصراره أن يكون اجتماعه به على انفراد دون أن يضمه اجتماع برؤساء الاحزاب .

وبعد عدد من اللقاءات بين المرشد العام ونجيب الهلالى كون الاخـوان فكرة عن الهدف من ابدال على ماهر بالهلالى . وبدا لهم أن الهدف لا يعدو أن يكون محاولة لاضـاعة الوقت ، وشـغل الناس بما سـموه التطهير واجـراء انتخابات .. فقرر الاخوان الاكتفاء ـ من اتصالهم به ـ باحراجه فى القضية الوطنية بحيث لا يجد فرصة للتحلل مما أجمع عليه الشعب وسارت عليـــه الوزارتان السابقتان . واتجهوا الى استغلال الوقت فى ناحيتين :

□ **الناحية الاولى : علنية**

وهى تنظيم أنفسهم ، ونشر دعوتهم وتعميق فكرتهم فى نفوس الشعب ومثالا لذلك قاموا بما يلى :

أ ـ رحلة المرشد العام : طاف المرشد العام فى خلال هذه الفترة بشـعب الاخوان فى رحلة طويلة . وهى الرحلة التى التقيت مع المرشد فيها بدمنهـور والتى أشرت اليها من قبل . وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من شهر . وقد زار خلالها الاخوان بالوجهين البحرى والقبلى .

ب ـ تقوية الروابط بالشعوب الاسلامية : وقد أولى الاخوان فى خـلال هذه الفترة اهتماما كبيرا لتقوية الروابط بالشعوب الاسلامية ، وابراز دعوة الاخوان المسلمين على أنها فكرة عالمية لا تحدها حدود اقليمية . وقد عملـوا على عقد مؤتمر للشعوب الاسلامية بكراتشى فى باكستان فى أوائل شهر مايو ١٩٥٢ . وقد مثل الاخوان فيه الاخ الاستاذ صالح عشماوى ، وألقى كلمـــة الاخـــــوان .

ومن مقترحات الاخوان التى جاءت فى سياق هذه الكلمة : اعادة النظر فى نظام الملكية الزراعية وفى نظام الرعوية ـ ويقصد باعادة النظر فى نظام الملكية الزراعية ما صار يفهمه الناس فيما بعد بالاصلاح الزراعى ، وهى لفتة تشعر القارىء بأن الاخوان كانوا أول من دعا الى الاصلاح الزراعى وهى لفتة تشعر بل فى جميع البلاد الاسلامية ، ولكن ليس على أساس ما يسمونه الاشتراكية وانما على أساس أنه جزء من الفكرة الاسلامية . وقد يحسن بنا فى هذا المقام

أن ننبه القارىء الى أن صورة الاصلاح الزراعى التى أرادها الاخوان لم تكن هى الصورة التى تم بها هذا المشروع فى مصر وسيأتى تفصيل هذا الموضوع فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله .

أما اعادة النظر فى نظام الرعوية فيقصد به اقتراح فتح الحدود المصطنعة بين البلاد الاسلامية بعضها وبعض ، واعتبار البلاد الاسلامية ـ مهما اختلفت مواقعها الجغرافية ـ أمة واحدة ودولة واحدة بحيث يكون الاسلام وطنا وجنسية .

واذا كانت دول أوروبا ـ ولا تربطها بعضها ببعض أية روابط ـ تسعى الى فتح الحدود فيما بينها محاولة تحقيق وحدة تامة فيما بينها .. لانها ترى ان هذا هو السبيل الوحيد لابرازها قوة عالمية مهيبة وقوة اقتصادية وسياسية متكاملة ومسيطرة ، فان الدول الاسلامية أولى بذلك وأحرى ، وكتاب هذا الدين يخاطب المسلمين حيث كانوا فيقول « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ويقول « انما المؤمنون اخوة » ويقول رسولهم « ليس منا من دعا الى عصبية » ويقول « وكونوا عباد الله اخوانا » ... واذا كان التاريخ يحدثنا عن هذه الدول الاوربية حيث التناحر المستمر والعداء المستمر والحروب المتواصلة ، فان هذه الدول الاسلامية المقطعة الاوصال الان كانت على مر التاريخ منذ نشأتها أمة واحدة ودولة واحدة .. فاذا رجعت كما يطالب الاخوان دولة واحدة فانما ترجع الى أصلها وتحقق وضعها الذى كانت عليه والذى يجب أن تكون عليه .

وقد ختم مندوب الاخوان فى المؤتمر كلمته مرددا الحديث الذى أدلى به المرشد العام لجريدة « المصرى » فى أوائل شهر ابريل محذرا من الانحراف بالتجمع الاسلامى عن غايته حيث قال :

« وأحب أن أقول لك بهذه المناسبة انى قرأت فى بعض الصحف أنباء مرماها أن الحلف الاسلامى قد تطمئن اليه الدول الغربية لأنه سوف يكون مناهضاً للشيوعية ، أو أنه سيستخدم لهذه الغاية .. والحق ان الاسلام شىء قائم بذاته ، ونظام جمع الله فيه خير ما فى النظم جميعا ، فلا يصح أن يكون أداة فى يد أحد يستخدمها لغاياته . بل يجب أن تكون خادمة للنظم الاسلامية والمصالح الاسلامية وحدها ، بلا ميل الى أى نظام أو فكرة تخالفه سواء أكانت ما يسمى الديمقراطية أو الشيوعية أو الفاشية .

فالاخوة والعدالة الاسلامية تجمع جميع الناس من جميع الألوان وجميع الأديان . ولا تعتبر العدالة مقصورة على المسلمين ، وانما هى حق لكل من يعيش فى دولة الاسلام . ولا تكون الاخوة بين المسلمين وحدهم كشأنها بين الفرنسيين الذين يعتبرون أنفسهم اخوة ويعاملون التونسيين أسوأ معاملة .

والامريكان معاملتهم للهنود الحمر لا تخفى على أحد . أما عدل الانجليز فهو عدل لا يعرفونه الا فى بلادهم ، فاذا خرجوا منها رأيت صورته العكسية فى قنال السويس والسودان وغيرهما »

ويبدو أن تحرك الاخوان فى هذه الفترة نحو العالم الاسلامى ،واشتراكهم فى هذا المؤتمر ، وكلمتهم التى ألقوها فيه ، قد أيقظت فى الشعب المصرى عواطف كانت نائمة فأخذ الشعب يسأل ويستفسر فقد نشرت جريدة « المصرى » فى ٢٣ مايو ١٩٥٢ تحت عنوان « المرشد العام يتحدث الى المصرى » حديثا طويلا على هيئة أسئلة وجهها اليه مندوب الجريدة وأجاب عليها المرشد العام . نجتزىء منه ما يلى :

« أما عن فكرة تكوين كتلة اسلامية فنقول : كيف يتم ذلك والاحتلال الاجنبى بين ظهر انينا ؟ اننا لا نريد أن نكون ألعوبة فى يد أحد . ومثل هذه الكتلة يصح أن تكون للتقريب بين الامم الاسلامية والعمل على انهاضها حتى تأخذ بكتاب الله ، وحينئذ يكون الاتحاد الشامل بينها .

وختم المندوب الحديث بسؤال عن مبادىء الاخوان وهل تمنع أن يكون الانسان منضما لحزب من الاحزاب وأن يكون فى الوقت نفسه أخا مسلما ؟ فقال فضيلته : ان مبادىء الاخوان لا تمنع من ذلك اطلاقا . ولكن الانسان حين ينضم اليهم سيجد نفسه منساقا الى ترك الحزبية جانبا والتفرغ لدين الله »

ج – قضية السودان : – ساهم الاخوان بجهد كبير فى قضية السودان التى اعتبرت جزءا لا يتجزأ من قضية الجلاء عن مصر . ولكن نظرة الاخوان الى قضية السودان كانت نظرة مختلفة تمام الاختلاف عن نظرة الحكومة المصرية والاحزاب المصرية . فهؤلاء جميعا كان همهم منصباً على الحصول على اجراء قانوني لتحقيق وضع شكلى يتيح للملك أن يحمل لقب « ملك مصر والسودان »

والله وحده هو الذى يعلم هل كان هؤلاء الذين انحصرت مطالبهم آخر الامر فى هذا الطلب المتواضع يهدفون من وراء ذلك الى ربط السودان بمصر عن طريق هذا اللقب أم أن هدفهم كان ارضاء الملك والتزلف اليه . وهو الهدف الذى كان طابع جميع ساسة مصر المحترفين فى ذلك الوقت .

أما نظرة الاخوان الى قضية السودان فانها كانت تقوم على أساس الاخوة الاسلامية التى تستمد أصلها من القرآن الكريم فى قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » . وقد التقى الاخوان بوفود من السودان اكثر من مرة، بعضها فى دار المركز العام وبعض آخر فى أماكن أخرى . فكانت هذه الوفود تشعر

بشعور غير الذى تشعر به فى لقاءاتها مع رجال الحكومة ورؤساء الاحزاب ٠

كان حديث الاخوان معهم لا يتناول الروابط الجغرافية ، ولا المسائل القانونية ، ولا يتناول ألقاب الملك ولا شروط الاتحاد ، وانما كان الحديث حديث قلوب تفيض بالمحبة وتترع بالاخلاص ولا تشوبها شائبة من شوائب الخداع السياسى ـ كانت هذه الجلسات جلسات انصهار روحى فى بوتقة الاخوة الاسلامية ، تنسى فيها المطامع ٠ وتذوب فيها الحزبيات والحزازات ـ ولو ترك الأمر فى موضوع السودان للاخوان ، وأتيحت لهم فرص اللقاءات بمصر والزيارات بالسودان ، وتنحت الجهات المصرية الاخرى ورفعت يدها عن الموضوع لكان للسودان ولمصر وضع آخر غير الذى تم على أيدى السياسيين المحترفين فى هذه الايام وفيما بعدها من أيام ٠٠

ولكن هذه الوفود السودانية كانت بعد انصهارها فى دار الاخوان فى بوتقة الاخوة الاسلامية ، كانت تلتقى بقوم لا صلة لهم بالمعانى الاسلامية فى قليل ولا كثير ، فتحس هذه الوفود كأنما هبطت من السماء الى الارض ، فالتعامل مادى ، والحديث مادى ، والمقاييس مادية ، والمفاوضات أشبه شىء بصفقات البيع والشراء ٠٠ وتعرف هذه الوفود أن هؤلاء الذين يفاوضونهم ـ اذا كان هناك اتحاد فيما بعد ـ هم الذين سيتعاملون معهم لان بيدهم مقاليد الحكم وبيدهم بالتالى مفاتيح الخزائن ٠

□ الناحية الاخرى : سرية

وهى تنظيم صفوفهم من المدنيين والعسكريين ٠ وهى تنظيمات كان يلجأ اليها كل ذى نفس تتوق الى الحق والحرية ٠ وليس معنى ذلك أن البلاد كانت خالية الا من تنظيمات الاخوان ، فمن حق التاريخ أن نقرر أنه كانت هناك تنظيمات أخرى ولكنها كانت قاصرة على القاهرة ، وكان كل تنظيم منها قليل العدد ، غير قائم على أسس من المبادىء الدينية أو الخلقية ، ولا على تجانس فى الافكار والمعتقدات ، كما أنها جميعا لا تستند الى قاعدة شعبية ، فلا نصيب لاى منها فى مثل هذه القاعدة

أما تنظيمات الاخوان فانها كانت تخضع لاساليب مركزة تجمع بين التربية الروحية والتدريبات العسكرية والبرامج الثقافية ٠ ولذا فانها تقوم على أسس من المبادىء الدينية والخلقية،وعلى تجانس تام فى الافكاروالمعتقدات فضلا عن انها تستند الى أوسع قاعدة شعبية قوية صلبة متماسكة ٠

وقد يبدو الفرق الشاسع بين هذه التنظيمات والتنظيمات الاخوانية فى الناحية الفكرية فى موضوع تحرير مصر الذى نحن بصدده ٠ فالتنظيمات

الاخرى ترى تحرير مصر من الحكم القائم بها هو الهدف وهو الغاية · بينما ترى تنظيمات الاخوان أن تحرير مصر من الحكم القائم بها هو مجرد وسيلة لتمكين الحكم الاسلامى من القيام بها ، اذ ان تحريرها هو بمثابة ازالة العوائق من طريق المصلحين الذين يريدون رفع لواء هذا الحكم القرآنى بها ، ثم توسيع نطاق هذا الحكم حتى يعم العالم الاسلامى كله ·

وبالرغم من هذه الفروق الشاسعة بين التنظيمات الاخوانية والتنظيمات الاخرى ، فان التنظيمات الاخوانية ـ لمجرد التقائها مع التنظيمات الاخرى فى نقطة واحدة وهى العمل على تحرير البلاد من الحكم القائم بها ـ فانها فتحت لهم صدرها ، وأوسعت لهم من حمايتها ، ومنحتهم من رعايتها ، وكانت موئلا لهم كلما حزب الامر ، وملجأ اذا اشتد الخطب ·

وقد يرى القارىء فى هذا الكلام بعض الابهام ، ولا يحس فيه الوضوح الكافى ·· وهذا صحيح ·· ومع ذلك فلا نستطيع الآن أن نكون أوضح من ذلك ، فكل شىء مرهون بوقته · وسوف يأتى ان شاء الله فى الجزء الثالث من هذا الكتاب توضيح ذلك وجلاء حقيقته وتفصيل مجملة ·

وخلاصة القول هى أن الاخوان فى خلال هذه الفترة أعدوا أنفسهم فى هذه الناحية ، وأعدوا الشعب تمام الاعداد ، وتلاقت عندهم كل الجهود العاملة على تغيير الوضع ، وأخذوا فعلا فى وضع خطة العمل ·

ومع أن أكثر الناس لم يكونوا يعرفون شيئا عن الاعداد السرى للاخوان، فان الشعور العام فى مصر كان متجها اليهم ، والانظار مصوبة نحوهم، والآمال معقودة عليهم · والكل يترقب العمل المأمول من الاخوان المسلمين · وصار المرشد العام للاخوان المسلمين هو المحور الذى تدور حوله الاحداث ، والرجل الذى عنده الكلمة الفاصلة ·

ولم يكن الطرف الاخر ـ أقصد الملك ومعاونيه ـ يجهل ذلك ، ولكنهم قد سقط فى أيديهم ورأوا أن الموجة الشعبية المستنيرة العارمة كادت تجرفهم ، ولا يستطيعون لها دفعا ··· ولعل الملك حين رأى الموجة الاخوانية العاتية ظن أن وجود جهاز سرى من العسكريين والمدنيين هو الذى أكسبهم هذا التفوق ، فدفعه ذلك الى انشاء جهازه السرى الذى سماه « الحرس الحديدى » عملا بالمثل المأثور « لا يفل الحديد الا الحديد » ولكن فات جلالته أن يذكر دلالة المثل الاخر الذى يقول « ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة » ·

الفصـــــل الثـــــالث

المصير المحتوم

آخر سهم فى كنانتهم ولكنه مسمم :

منذ وليت الحكم وزارة الهلالى وحلت مجلس النواب الذى وافـــق على الغاء المعاهدة ، وهى تعلن عن عزمها على اجراء الانتخابات فى اقرب وقت ممكن . ودأب رئيس الوزراء على استطلاع رأى الاحزاب والهيئات فى موضوع الانتخابـــات ومـوقفهم منها . وقــد تلقى اجابـات من جميعها بالترحيب بالانتخابات وعزمهم على دخولها .. الا الاخوان المسلمين فانهم أعلنوا أنهم لن يدخلوا الانتخابات . وكان نص قرارهم الذى أعلنوه هو :

« عدم الاشتراك فى المعركة الانتخابية لا باسم الهيئة ولا بصفـاتهم الشخصية . لان الاوضاع الانتخابية منذ عام ١٩٢٤ تقوم على أساليب تتنافى مع مثل الاخوان وطبيعة دعوتهم . كما دلت على ذلك تجاربهم العملية » .

وكان هذا القرار قد أتخذ وأعلن فى ٢٨ مارس ١٩٥٢ أى فى أوائل أيـام تولى الهلالى مقاليد الحكم .

ويبدو أنه كان من الاهداف الاساسية التى جىء بهذه الوزارة الى الحكم من أجل تحقيقها أن تجر الاخوان المسلمين الى خوض المعركة الانتخابيـة . ودليل ذلك أن أول اجراء اتخذته هذه الحكومة هو حل مجلس النواب والاعلان عن اجراء انتخابات ، والاتصال برؤساء الاحزاب والهيئات لتحديد مواقفهم منها . وهى تعلم والكل يعلم أن جميع الاحزاب تتمنى أن تجرى انتخابـات حتى تنعم بالوصول الى كراسى الحكم ، ومن لم ينعم بكراسى الحكم فسينال ولو أقل القليل من مغانمه ــ فلما قـرر الاخـوان وحـدهم ــ رفضهم خـوض الانتخابات أسقط فى يد الحكومة وأعلنت ــ تحت ستار اتمام عملية التطهير ــ تأجيل مـوعــد اجـــراء الانتخابـــات .

وفى العاشر مـن ابريل أعـادت الحكومة الكـرة فى عملية الاستطلاع ، وكلفت وزير العدل أن يطلب من الاخوان المسلمين ابداء الاسباب التى رفضوا من أجلها دخول الانتخابات . وأعاد الاخوان ــ فى مذكرة مكتوبة ــ الاسباب التى أعلنوا مجملها فى قرارهم السابق . ومما جاء فى هذه المذكرة : « أن مـن المآخذ التى يأخذها الاخوان على قانون الانتخاب أنه لايلزم الناخب باستعمال حقه ، ولذلك كان معظم الذين يستعملون حقهم الانتخابى ممن يسهل اغراؤهم

والتأثير عليهم ، وأنه لا يميز المتعلم الذى يستطيع أن يكون رأيا قائما على حكم شخصى باعطائه صوتين أو ثلاثة مثلا ، وأنه لا ينص على ضرورة حمل البطاقة الشخصية المعتمدة من الجهة الرسمية المختصة منعا للتلاعب ، وأنه ليست فيه الضمانات الكافية لوقاية المعركة من تدخل رجال الادارة ، وغير ذلك من المآخذ • »

وعرضت هذه المذكرة على مجلس الوزراء الذى قرر بناء على ما جاء فيها تأجيل موعد اجراء الانتخابات الى شهر أكتوبر ١٩٥٢ حتى يمكن اجراء تعديلات فى قانون الانتخاب •

وينبغى على ـ وقد كنت ملابسا لهذه الظروف التى أتحدث عنها الان ـ أن أقرر أن كثيرين من الاخوان فى ذلك الوقت كان من رأيهم خوض المعركة الانتخابية باعتبار ذلك وسيلة من وسائل نشر الدعوة وتحقيق أهدافها ، مطمئنين الى ما يتمتع به الاخوان من تأييد شعبى واسع النطاق ولكن هؤلاء الاخوان ـ ثقة منهم فى مرشدهم ـ نزلوا على رأيه عن رضا وطواعية ، فخرج القرار قرارا اجماعيا لا رجعة فيه •

وقد وضح بعد ذلك أن هذا الرجل كان بعيد النظر ، يصدر عن قلب عامر بالايمان ، وعقل مستنير ، وأن قراره هذا قد وضع الدعوة فى موضعها اللائق بها من الطهر والسمو ، وربأ بها عن النزول الى مواطن الاسفاف وهجر القول والخداع والكذب •

ولعل فى هذا الموقف للاستاذ حسن الهضيبى أبلغ الرد على من يرمونه بأنه انحرف بالدعوة الى مزالق السياسة وأوحالها كما يدعون •

□ احباط الخطة الخطيرة أو رد سهمهم الى نحورهم :

ولقد تبين فيما بعد أن هذا الموقف الاخوانى قد أحبط خطة محكمة محبوكة الاطراف ، قد دبرت بدقة وعناية ، ذلك أنه كان يراد القضاء على القوتين الشعبيتين فى البلاد : الوفد والاخوان • (وبصرف النظر عن الاختلاف الكبير بين الهيئتين فى المبادىء والوسائل والاهداف فانهما بحكم الواقع هما الهيئتان الشعبيتان الوحيدتان فى البلاد) فجىء بالهلالى باعتباره موتورا من الوفد لا سيما من عنصره الفعال سراج الدين ، ويتمنى أن تتاح له الفرصة للنيل من الوفد وتمزيقه •

ولما كان تحقيق هذا فوق طاقة أية حكومة ، فقد رسمت له الخطة بأن يحل مجلس النواب الوفدى ويعلن عن اجراء انتخابات عليه أن يجر الاخوان

اليها ‥ وبذلك تقف القوتان الشعبيتان الوفد والاخوان ، كل امام الاخرى ، فتقوم كل منهما بتصفية الاخرى ـ ويتحقق بذلك ما عجز عن تحقيقه أصحاب المصلحة من الانجليز والملك وأعوانهم ‥ ويصفو لهم بذلك الجو ٠

عصم الله تعالى الدعوة من الوقوع فى شباك هذه الخطة الجهنمية ، بفضل التفاف الاخوان حول مرشدهم ، وثقتهم فيه ، ونزولهم عند رأيه ، وتاييدهم لخطواته ٠ وقد كسبت الدعوة الكثير من هذا الموقف ولم تخسر شيئا ‥ والانتخابات التى طنطنوا بها وحددوا لاجرائها الميعاد تلو الميعاد شاء العلى القدير أن لا تجرى ٠

□ اقصاء الهلالى :

ولما فشل الهلالى فى جر الاخوان الى الانتخابات أعفى من منصبه باستقالة قدمها فى أخر شهر يونيه ١٩٥٢ منتحلا اعذارا لتغطية السبب الحقيقى الذى ظل محجوبا عن المصريين ، وان كان المراقبون الاجانب فهموه وعلقوا عليه تعليق الخبراء الحاذقين ، فقد نشرت جريدة النيويورك تيمس فى ٥ مايو ١٩٥٢ برقية مطولة عن موقف الاحزاب فى مصر بمناسبة قرب الانتخابات العامة فقالت :

« ان الوفد أقدم الهيئات فى مصر وأدقها تنظيما صحيحا قويا حتى ان له لجانا تنفيذية فى جميع أنحاء القطر حتى أصغر القرى ـ وقالت : **لا شك فى أن الاخوان المسلمين قوة لا يستهان بها ٠ وقالت : انهم آثروا عدم خوض المعركة الانتخابية حتى يتم لهم تنظيم صفوفهم بالصورة التى يعتقدون أنها كفيلة بتحقيق أهدافهم »**

وزارة حسين سرى

كان سقوط وزارة الهلالى فى ٣٠ـ٦ـ١٩٥٢ علامة واضحة لا على تدهور الموقف فحسب ، بل على انهياره انهيارا تاما ، حتى ان الطبقة المثقفة من الشعب باتت فى قلق شديد ٠ وشملها شعور بأن البلاد مشرفة على تطور خطير ـ ولقد كنت فى ذلك الوقت منتدبا فى عملى الخاص بالاسكندرية ٠ وجمعتنى هذه الفرصة بعدد من أقربائى المثقفين الذين كان اشتغالهم بالسياسة طفيفا ، وجلسنا فى احدى ليالى النصف الاول من شهر يوليو ١٩٥٢ فى شرفة منزل احدهم ، ودار الحديث حول حالة البلاد وما تعانيه من تمزق وعدم استقرار ، فكان هذا الشعور شعورهم وشعور كل مجلس وكل مجتمع فى مصر

□ شعور عام باليأس من الاصلاح :

ساد هذا الشعور جميع اوساط الشعب سواء فى الناحية الخارجية والناحية الداخلية ، فالوزارة التى يشتم منها رائحة اتجاه عملى نحو اصلاح

خارجى أو داخلى لا يلبث الشعب أن يراها بطريقة أو بأخرى قد أوديت ٠٠فمما لا شك فيه أن وزارة على ماهر كانت جادة ومتأهبة لعمل ايجابى يتطلبه الموقف ، ولكنها لم تمكن وأسقطت بأسلوب غير كريم ٠٠ ويؤتى بعدها بوزارة كل بضاعتها وعود ، ويكاد يقتصر عملها على الكيد لحزب الوفد بدافع التشفى لا بهدف الاصلاح الذى كان يقتضى تتبع الفساد فى كل الاحزاب والهيئات مهما علا مقامها ٠٠ وضاعت مصالح البلاد بين هذه الوزارات المتعاقبة ٠

ونموذجا لهذا اليأس الذى أحاط بالنفوس فى تلك الفترة من الزمن نورد حديثا لحافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى نشر بجريدة « أخبار اليوم » فى ٢٦ـ٤ـ١٩٥٢ تحت عنوان « لماذا قررت اعتزال السياسة» جاء فيه « وقلتها صريحة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٥٠ ان الحالة الداخلية قد بلغت حدا من المفاسد لا مزيد عليه ٠٠ وكنت أول قائل فى ٢٣ فبراير ١٩٥١ ان البلاد فى حاجة الى عملية تطهير شاملة ٠ قلت ذلك كله وجهرت به فكان أغلبه يذهب أدراج الرياح ٠

بل ان ذات الحركات التى بدرت وأملت فيها تحقيقا للمبادىء الصحيحة والافكار السليمة ، كالغاء المعاهدة المشئومة وما تلا الالغاء ، والصيحة بحركة التطهير وما أعقب الصياح ٠٠ ما لبثت أن رأيتها صادرة عن ارتجال معيب أو سارية فى تعثر ممقوت ٠٠

فالحكومة التى ألغت المعاهدة وصرحت فى مظاهرة الالغاء باتخاذها الحيطة لكل احتمال ، والعدة لكل حال ٠٠ اتضح أنها لم تقدر احتمالا ولم تفهم حالا ٠٠ والحركات التى تلت هذا الالغاء تعثر جلها برغم صدق بعضها ٠

وحركة التطهير التى أملنا فيها بعض الخير الداخلى ، تسير فى بطء غير مطمئن ، وتتأوح بينها تيارات أخشى معها أن تنقلب الى مجرد معركة حزبية أو شخصية أو انتقامية ، دون أن تسير كما ناديت أساسا لاصلاح شامل يطهر الادوات والنفوس ٠

كل ذلك الذى أراه جعلنى أشعر بالفساد ينتاب جل نواحى الحياة السياسية فى البلد ، وجعلنى أحس أن الوسائل المشروعة ، والمنطق المعقول والقيم الاخلاقية ـ وهى عدتى على ما أسلفت ـ لم تعد مجدية ٠٠ لهذا انسحبت الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا »

وفى خلال هذه الحقبة أيضا نشرت نفس الجريدة حديثا للمرشد العام وكان فى الاسكندرية ، على الوجه الآتى :

ـ قلت لفضيلة الاستاذ حسن الهضيبى بك المرشد العام للاخوان المسلمين : بعد فى المدة الاخيرة من الاخوان المسلمين ظاهرة انكماش عن الميدان السياسى ، فلم نعد نسمع لهم رأيا فى أحوال مصر السياسية كما كانوا من قبل ـ فكيف تعللون ذلك ؟

ـ فأجاب فضيلته : ان الاخوان يعتبرون الموقف السياسى فى مصر بحرا مضطربا لا أمان لاحد فيه ، فهم يقفون على شاطئه ينظرون من يغرق فيه ، ولا يريدون أن تطيح بهم العواصف مع الغرقى · وهم بالتزامهم هذا الموقف انما يلتزمون جادة الصواب · ويكفى فى دفع اللوم عنهم انهم يقدمون النصيحة للقائمين بالامر ·

وقد أمليت براى الاخوان فى سياسة مصر لرفعة على ماهر باشا ودولة أحمد نجيب الهلالى باشا عندما توليا رياسة الوزارة ـ وسيظل هذا هو موقف الاخوان الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ·

ـ هل يتغير موقف الاخوان بالنسبة للانتخابات القادمة ؟

ـ لا يزال الاخوان المسلمون عند رأيهم الذى اعلنوه من قبل · وهو عدم دخولهم الانتخابات القادمة اذا أجريت · ولم تعد هذه المسألة محل بحث أحد منهم · وهى لا تشغل بالهم على الاطلاق ، فقد اتخذوا فيها قرارهم وانتهى الامر بالنسبة لهم »

ولكى يكون القارىء أمام صورة واضحة المعالم لهذا الموقف وما كان يثيره فى النفوس من قلق ، نرجع الى ما نشرته جريدة « أخبار اليوم » فى ٥ يوليه ١٩٥٢ تحت عنوان « ٣ وزارات فى ٤ أيام » فقد كتبت تقول :

« فى يوم السبت استقالت وزارة الهلالى باشا ·· وكلف سرى باشا بتأليف الوزارة ·· واثناء قيام رفعته بمشاورات وزارته كان بهى الدين بركات باشا قد استدعى لتأليف الوزارة ـ وهكذا كان فى مصر ثلاث وزارات :

وزارة مستقيلة عليها أن تقوم بأعباء الحكم لان استقالتها لم تقبل بعد ·· ووزارة يؤلفها سرى باشا ·· ووزارة يؤلفها بركات باشا ـ واستمر هذا الوضع الذى واجهته مصر لاول مرة فى تاريخها حتى بعد منتصف الليل ·· يوم الثلاثاء ·· وهذه قصة ثلاث وزارات فى أربعة أيام ·

وبعد ان كان الصحفيون تغص بهم حجرات منزل سرى باشا فى الاسكندرية ، انتقل الصخب والضجيج وعشرات السيارات والصحفيون الى منزل بهى الدين بركات باشا فى منطقة مصطفى باشا قرب سيدى جابر ·

• وبهى الدين باشا يسأل الاستاذ على حمدى الجمال المحرر « بالاخبار » وهو منه بمنزلة الابن : ماذا يرضى الشعب يا على في هذه الظروف ؟

فيجيب الصحفى الشاب : الشعب يريد الغاء الاحكام العرفية ، ورفع الرقابة عن الصحف والافراج عن المعتقلين ، واجراء الانتخابات والحكم النظيف .

□ لماذا عدل عن بهى الدين باشا ؟

ووقع الاختيار أخيرا على حسين سرى باشا — وقد سبق لهذا الرجل أن تولى منصب الرياسة أكثر من مرة . كما تولى رياسة الديوان الملكى عندما أخلى مكـانـه لـوزارة الوفـد الاخيرة .

وبعد أن استقر الرأى على حسين سرى باشا تم اجتماع في الاسكندرية بين بهى الدين باشا وبين المرشد العام .. ولكننا لا ندرى لم كان الاتجاه أولا الى بهى الدين باشا ولماذا عدل عنه .. وقد يكون سبب العدول عنه أنهم تذكروا أن هذا الرجل معروف بالنزاهة المطلقة ، وبالدقة التامة في تحرى الحقائـق ، وبعدم المجاملة في مواجهة الفساد مهما علا مركز الجهة التى تحمى هذا الفساد والقصر الملكى كان في ذلك الوقت ذا حساسية بالغة في هذه الناحية وكـان محتاجا الى رجل يتغاضى .. وقد سبق أن تولى بهى الدين باشا منصب رياسة ديوان المحاسبة فلم يطيقوه وسارع هو بالاستقالة ..

وحسين سرى باشا مع أنه كان مشهورا بالصرامة والاستقامة ، الا أن شغله المناصب التى شغلها والتى أشرنا اليها آنفا ، قـد دل على أنه مـن السياسيين المحترفين الذين جبلوا على اعتقاد أن القصر الملكى فوق القانـون وفوق مستوى النقد .. فاختيار القصر لرجل سبق له أن جربه آمن له مـن اختيـار رجـل لم يجربـوه .

□ وزارة تـاريخية

□ ملابسات تأليفها تنذر بانهيار العهد

ولما كانت وزارة حسين سرى باشا هذه وزارة تاريخية ، وأعنى بـذلك أنها تعتبر معلما واضحا بين حقبتين متباينتين من التاريخ — وكانت طريقـة تأليفها ذات دلالات معينة مرتبطة بالاحداث الجسام ارتباطا وثيقا ، فقد وجب وضعها موضع المناقشة والبحث والتمحيص .

١ — أول ما يتبادر الى خاطر انسان يريد أن يعرف أو أن يكون رأيا عن حكومة من الحكومات هو أن يستعرض أعضاءها .. ومع أن تأليف هذه الوزارة قد مر بمراحل طويلة وشاقة وهى بيت القصيد في بحثنا هذا فاننا نبدأ باثبات الوضع الاخير لاعضاء الوزارة :

حسين سرى باشا	الخارجية والحربية والبحرية
الدكتور محمد هاشم باشا	الداخلية
محمد على راتب باشا	الشئون البلدية
نجيب ابراهيم بك	الاشغال والمالية بالنيابة
سامى مازن بك	المعارف
كريم ثابت بك	وزير دولة
سيد عبد الواحد بك	المواصلات
الدكتور أحمد زكى	الشئون الاجتماعية
الدكتور محمد على الكيلانى	الزراعة
الدكتور حسين كامل الغمراوى	التموين
الدكتور عبد المعطى خيال	التجارة والصناعة
الدكتور محمود صلاح الدين	الصحة
الدكتور على بدوى بك	العدل
الشيخ فرج السنهورى	الاوقاف

وكان النطق الملكى لهذه الوزارة هو : « أرجو أن تقدروا الظروف الدقيقة التى تمر بها البلاد، لا من الناحية السياسية وحدها بل من الناحية الاقتصادية»

٢ ـ مجرد نظرة سريعة على هذه الوزارة يفهم القارىء منها دون جهد أنها وزارة فنية غير حزبية جمعت عددا من أعظم العلماء الاخصائيين ذوى السمعة الطيبة ، وأكثرهم لم يتول منصب الوزارة من قبل ٠

٣ ـ استغرق تأليف هذه الوزارة أربعة أيام ، طلب رئيسها فى أثنائها اعفاءه من تأليفها أكثر من مرة ، وكان الملك يصر عليه فى كل مرة ٠

٤ ـ كان فى هذه الوزارة مناصب وزارية معينة نشأ عن شغلها خلاف كبير بين سرى باشا والملك ٠

ومن هذه المناصب منصب وزير المالية ، فقد رشح سرى باشا لهذه الوزارة « حلمى بهجت بدوى » ورشح الملك شخصا آخر ٠ وقد مرض حلمى بهجت فسوى بذلك الخلاف ، ولكن سرى رفض مرشح الملك وأسند هذا المنصب مؤقتا الى نجيب ابراهيم بك بالنيابة ٠٠ وقد يحس القارىء من الخلاف على هذا المنصب أن فى التصرفات المالية للقصر الملكى عورات يحرص الملك على سترها عن الاعين ٠

٥ ـ المنصب الآخر الذى كان مثار خلاف شديد ، وكاد يعصف بالوزارة كلها ، وقد مر بتطورات خطيرة ، وكانت هذه التطورات ذات أهمية تاريخية بالغة ، فقد كان لها ما بعدها ٠٠ وكانت هذه التطورات تجرى فى الخفاء ، ولم يكشف عنها الا بعد سقوط الوزارة وزوال العهد كله ٠٠ بل ان هذه التطورات هى التى عجلت بهذا الزوال ٠٠ ونوجز هذه التطورات فيما يلى ، مستقين بعض الانباء مما نشر بجريدة « أخبار اليوم » فى ٢ من أغسطس ١٩٥٢ :

أ ـ لعل القارىء يذكر انتخابات نادى ضباط الجيش التى أجريت فى ٣١ ـ١٢ـ١٩٥١ والتى حرصنا على ذكرها واثبات تفاصيل ما جرى فيها وما أسفرت عنه فى فصل سابق ، وأومأنا الى أهمية هذه الانتخابات باعتبارها معلما من المعالم الاساسية التى كشفت دلالاتها عن تصدع بناء هذا العهد ، وأشرنا الى ان الملك أحس بخطورتها على عرشه ، وكاد يتخذ ازاءها اجراء عنيفا ٠ ولكن مستشاريه أقنعوه فى ذلك الوقت بالتسليم بالامر الواقع،ورسموا له خطة أخرى تعتبر بمثابة حركة التفاف يطوق بها ماتم فى هذا النادى من اجـــــراءات ٠

ب ـ يبدو أن الاحداث كانت أسبق من خطوات الملك فى هذا السبيل ٠ وقد أحس بهذا السبق فقرر العدول عن نصيحة مستشاريه ٠ وعزم على انتهاج سياسة التحدى لعله يعوض ما سبقته به الاحداث ٠

ج ـ كانت سياسة التحدى تتلخص فى اجراءين اثنين هما : حل مجلس ادارة نادى الضباط ، ونقل اللواء محمد نجيب وابعاده عن القاهرة ـ كانت هذه هى رغبة الملك ، ولكن صاحب الحق فى اصدار هذين القرارين هو القائد العام للقوات المسلحة الفريق أحمد حيدر باشا ٠٠ ومع أن أحمد حيدر كان من الشخصيات المقربة من الملك حتى انه كان يعد من صنائعه فانه كان مشفقا على نفسه من أن يصدر هذين القرارين ٠

د ـ فى أثناء فترة تاليف الوزارة ، وفى خلال احدى مقابلات حسين سرى باشا مع الملك ، طلب اليه الملك فصل حيدر من منصب القائد العام للقوات المسلحة ليحل محله الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، على أن يحل محل حسين فريد فى رياسة أركان حرب الجيش اللواء حسين سرى عامر حبيب الملك وصنيعته ورجله المقرب ، والذى دبر من أجله اغتيال الضابط عبد القادر طه ـ كما طلب الملك من رئيس الوزراء نقل اللواء محمـــد نجيب خارج القاهرة ٠

هـ ـ طلب رئيس الوزراء مهلة لبحث هذه المطالب مشعرا الملك بعـــدم

موافقته عليها لانه يحس أن فى البلاد غليانا ، وأن فى الجيش تذمرا • وقـد عرف سرى باشا عن طريق زوج ابنته الدكتور محمد هاشم باشا أن الجيش كله ملتف حول اللواء محمد نجيب ـ وكان الدكتور محمد هاشم قد اجتمـع ـ فى الخفاء ـ باللواء محمد نجيب وعرف منه الحقائق ، وأبلغها لصهره المرشح لرياسة الوزارة فاقتنع سرى باشا ـ بدافع الخلاصه للملك ـ بأن ترشيح محمد نجيب لوزارة الحربية والبحرية هو الحل الامثل للخروج من الازمة التى يعانيها الملك والتى تضطرم فى البلاد ، لا باقصائه وابعاده ••• وفعلا قـرر ترشيحه فى قائمة الوزراء لهذا المنصب •

و ـ أرسل سرى باشا الى الملك يطلب منه معرفة أسباب طلبه فصـل حيدر ، فجاءته ورقة من السراى مكتوب فيها بالقلم الاحمر : لكى لا يفصـل حيدر فعليه فى ظرف خمسة أيام أن يحل مجلس ادارة نادى الضباط،وينقل ١٢ ضابطا • فاستدعى سرى باشا حيدر وأطلعه على المذكرة وسأله عن الاثنى عشر ضابطا • فقال أنه لا يعرفهم • فقال له سرى باشا : ابحث هذا الموضوع ثم عد الى ـ فرجع اليه فى اليوم التالى وقال : خلاص أصدرت أمرا بحـل مجلس ادارة نادى الضباط ـ فقال له سرى باشا : لماذا تعجلت وأنا لم أكلفك باصدار هذا الامر وانما طلبت منك مجرد بحث الموضوع ؟ فرد حيدر قائلاً : أنـا كنت سأنفصـل مـن عملى •

ز ـ كان هذا القرار بمثابة صب البنزين فوق النار سواء فى الاوسـاط الشـعبية وفى الجيش •

ح ـ تقدم حسين سرى الى الملك بقائمة الترشيحات الوزارية وقدرشح فيها اللواء محمد نجيب لوزارة الحربية والبحرية • ورفض الملك القائمـة لوجود محمد نجيب بها • وتمسك سرى بنجيب • وحدثت أزمة • وأصـر حسين سرى على الاستقالة وذهب الى بيته ـ وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى زاره حيدر موفدا من قبل الملك ، ودار بينهما الحديث التالى :

حيدر ـ يا باشا أنت تعرف حبى لك وتقديرى لشخصك •••
فقطع عليه سرى الكلام وقال : احنا الآن فى جد مش فى هزل • الجيش فى تذمر وهذا التذمر سينتهى الى ثورة تأكل الاخضر واليابس • وأنتم تعيشـون من ساعة لساعة وبتقولوا دى زوبعة فى فنجان وأن حكومتى حكومة جبناء •• وأحب أن أقول لك للمرة الأخيرة أن النصح والاصرار ليس جبنا •• وأنـا شايف أنها ثورة وانتم شايفين انها زوبعة فى فنجان••• وأنا شايف ان محمد نجيب محبوب فى الجيش وأنتم بتقولوا العكس ـ وأنا بقول ان سرى عامـر راجل وسخ وحرامى وأنتم متمسكين بيه • والذى لا نختلف عليه أن هنـاك

تذمرا ، ونحن مختلفون فى تقدير مدى هذا التذمر ونتائجه • وأنا اللى بحكم وشايف كل حاجة فمفيش محل للكلام ده وأنا مستقيل » •

فلما عجز حيدر عن اقناعه أرسل اليه الملك حافظ عفيفى رئيس الديوان وقال له : ان الملك فى مأزق ، وهو يثق فيك كل الثقة ، ويرجوك أن تؤلف الوزارة • واتفق معه على أن يتولى هو بنفسه مؤقتا وزارة الحربية والبحرية

٦ ـ كريم ثابت من رجال السراى ورجال الحاشية ووظيفته السكرتير الصحفى للملك • ويلاحظ أن الملك قد حشره فى الوزارة وزير دولة ليكون عينا له على الوزارة ولعل سرى باشا قد أذعن لهذا الحشر تهدئة لروع الملك وتخفيفا من فزعه •

□ دلائل أخرى على الانهيار التام :

ومما يدل أيضا على خطورة الحالة فى مصر فى تلك الحقبة ما يأتى مما ننقله من « أخبار اليوم » فى ١٩ يوليه ١٩٥٢ :

أولا ـ اجتمع سرى باشا منذ يومين بأحد أصدقائه المقربين اليه • وكان هذا أول اجتماع بينهما بعد تأليفه الوزارة ـ وبادر سرى باشا قائلا : لعلك تريد أن تسألنى كيف قبلت الحكم برغم تأكيدى لك أنى لن أتولى الوزارة ؟ •

فرد سرى باشا قائلا : لقد كنت أنت على حق •• وكنت أنا أيضا على حق ـ كانت هناك محاولات لاقناعى بقبول الوزارة ولكنى رفضت ذلك رفضا باتا ••

وبعد ذلك صورحت بحقيقة الموقف وبما آلت اليه مصائر البلاد،وكيف أصبح الامر من الخطورة بحيث لا يسع أى مصرى الا أن يتقدم لحمل العبء ولو ناءت به كتفاه •• ولما وجدت الامر كذلك لم يسعنى الا أن اقبل الوزارة لعلى أنقذ شيئا •

ثانيا ـ لم يكن المصريون وحدهم هم الذين يحسون بخطورة الموقف فى البلاد وبأن البلاد مقبلة على أحداث جسام •• واليك ما نشرته « أخبار اليوم » فى نفس اليوم تحت عنوان « أنوار كاشفة » وجاء فيه .

« وقد واجهت وزارة حسين سرى باشا بعض العقبات عند تأليفها ، ولهذا فانه يمكن القول انها ولدت فى الاعاصير • وعادة أن المولود الذى يولد فى أثناء العواصف لا يتأثر كثيرا بتيارات الهواء •

ومن الطريف أن كثيرا من السفراء والوزراء المفوضين الذين زاروا

الوزراء مهنئين سألوهم : كم يعتقدون أن عمر الوزارة سيطول ؟ وهو سؤال ما كان يصح أن يوجه الى الوزراء • اذ المفروض دائما أن الوزير كالـزوج هـو آخـر مـن يعلم •.• »

أمـا نحـن فنقـول :

لقد صدق حدس الشعب وحدس هؤلاء السفراء ، فقد مكثت هذه الحكومة فى الحكم سبعة عشر يوما ، ثم خلفها وزارة أخرى برياسة الهلالى مكثـت سبـع عشـرة سـاعة •

وكانت الازمة المستحكمة تتلخص فى أن البلاد صار يتنازعها تيـاران متعارضان : تيار متمسك بما أعلن من الغاء المعاهدة ، ومصمم على مواصلـة المقاومة ضد المستعمر المحتل حتى يجلو عن وادى النيل ـ والتيار الآخر يرى مصلحته فى مصالحة المستعمر والاستسلام له والرجوع عما تم اتخاذه مـن خطوات ايجابية فى الغاء المعاهدة •

والتيار الاول من ورائه الشعب كله بجميع طوائفه وهيئاته • والتيار الآخر منبعث من القصر الملكى ومعه حفنة من السياسيين القدامى المحترفين من ذوى المصالح وعشاق مناصب الحكم ، ولكنهم مع ذلك لا يجرؤون • أمام اجماع الشعب ـ على الاعلان عن نواياهم ، فهم يلجأون الى أساليب ملتوية ، وخطط باهتة المعالم ، يخفون فى ثناياها أغراضهم وأهدافهم ـ وكلما جربـوا أسلوبا فخيب آمالهم لجأوا الى أسلوب آخر •• والشعب واقف لهم بالمرصاد

وكان الملك فى ذلك الوقت فى أشد حالات الذعر والهلع ، كالمجرم الـذى عاث فى الارض فسادا ثم وجد نفسه أخيرا وقد ضيق عليه الخناق ، وأحيط به من كل جانب • ورأى يد العدالة تمتد الى عنقه لتقتص منه ـ ولم يكن هـذا الوصف لحالة الملك مجرد تصور أو تخيل ، بل لقد تبين فيما بعد أنه كـان يفكر فى ذلك الوقت فى الهرب من البلاد •

الفهرس

الموضوع — الصفحة

الخطة الأخيرة للإبادة

جريمة القرن العشرين

اغتيال المرشد العام

الفصل الأول

التمهيد للجريمة

الفصل الثانى

التدبير الأثيم

الفصل الثالث

شخصيات ومواقف كشفت عنها المحنة القاسية

الفصل الرابع

لو ذات سوار لطمتنى ؟
من هم السعديون ؟

الفصل الثانى
المحاكمات

الفصل الثالث
معالم فى هذه القضايا

الفصل الرابع

البوليس السياسى والتعذيب

الفصل الثالث

تعقيب وتحليل لهذه الأحكام الخالدة

الموضوع | الصفحة

رقم الايداع ٥١٩٣ ــ ١٩٨١

طبع بمطابع جريدة السفير
٤ شارع الصحافة
ت ٨٠٣٩٦٤ إسكندرية